

وقائع

# المؤتمر العلمي السنوي الأول لـ «إلى الأبد»

تحت شعار

علي وفاطمة عليهما السلام وساطة فيض بين الحق والخلق

٢٧-٢٨/٩/٢٠٢٤م الموافق ٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤٦هـ

مراجعة وتدقيق

وحدة البحوث والدراسات والترجمة

(الجزء الثالث)



ديوان الوقف الشيعي

العتبة الكاظمية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م

# وقائع

المؤتمر العالمي السنو الأول الثالث عشر

تحت شعار

علي وفاطمة عليهما السلام وساطة فيض بين الحق والخلق

٢٧-٢٨ / ٩ / ٢٠٢٤ م الموافق ٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤٦ هـ

(الجزء الثالث)

## هوية الكتاب

اسم الكتاب: وقائع المؤتمر العلمي الدولي السنوي الثالث عشر (الجزء الثالث).

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - وحدة البحوث والدراسات والترجمة.

التاريخ: ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م.

[www.aljawadain.org](http://www.aljawadain.org)

موقع العتبة المقدسة:

[fikriya@aljawadain.org](mailto:fikriya@aljawadain.org)

للمراسلة:

# وقائع

## المؤتمر العلمي السنوي الأول والثالث عشر

تحت شعار

علي وفاطمة عليهما السلام وساطة فيض بين الحق والخلق

٢٧-٢٨ / ٩ / ٢٠٢٤ م الموافق ٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤٦ هـ

مراجعة وتدقيق

وحدة البحوث والدراسات والترجمة



(الجزء الثالث)

ديوان الوقف الشيعي

العتبة الكاظمية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٥ م



## الفهرست

ت	الباحث	اسم البحث	رقم الصفحة
١	م.م. علي قاسم محمد عقال	تقنيات الإعلان ودورها الجمالي في إثراء الأفلام الدينية (فلم سيدة الجنة إنموذجا)	٩
٢	أ.د. علي مجيد البديري	مخاطر الاستلاب الثقافي الجديد قراءة في ضوء تمثيلات الانتهاء في نهج البلاغة	٣٧
٣	أ.د. علي نيكوکار	الحوار الخطابي في نهج البلاغة الدقة في المصادقة أنموذجا	٦١
٤	م.د. علياء سعيد ابراهيم	الأساليب التربوية والاخلاقية في فكر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)	٨٩
٥	د. الشيخ عماد الكاظمي	بناء الشخصية الإسلامية في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى كميل بن زياد - قراءة تربوية موجزة -	١١٥
٦	أ.د. عمار جاسم مسلم	الأسس العامة للتربية والتعلم من شذا نصوص ووصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) برؤية فسيولوجية (علم وظائف الأعضاء)	١٥٥
٧	أ. غزوة حسن يونس	الحب بين الأزواج في ميزان علي وفاطمة (عليهما السلام)	١٨٩
٨	م.م. فارس عبد الرضا عباس النعماني	فن القيادة والمعارضة السلمية في تراث السيدة الزهراء (عليها السلام)	٢١٧
٩	د. فاطمة مهدي البزال	شذرات تربوية من وصية الإمام علي لابنه الحسن (عليه السلام) دراسة في استراتيجيات الخطاب	٢٥٧

٢٩٥	بناء الفرد في نهج البلاغة عبر تذكيره بيوم القيامة ومصاحباته المختلفة - دراسة دلالية -	م. د. قحطان هادي حسن الجليحاوي	١٠
٣١٩	فاطمة الزهراء (عليها السلام) والمعارضة السلمية في فكر المستشرقين	د. كريم جهاد الحساني	١١
٣٦٣	رؤية الإمام علي (عليه السلام) لحقوق الإنسان في نهج البلاغة	الشيخ محسن مظاهر	١٢
٣٨٧	الإنسان المتكامل بين المعرفة والسلوك في حديث أمير المؤمنين (عليه السلام)	السيد محمد حسن المولى	١٣
٤١٥	فكر التعايش الاجتماعي في تراث الزهراء (عليها السلام) دراسة مقارنة بين القانون والتراث الإسلامي	د. السيد محمد قاسم الحبوبي	١٤
٤٥٣	شبكة مراقبة الرؤوسين في الأسلوب الإداري العلوي (قراءة في نهج البلاغة)	د. السيد مرتضي فري زني	١٥
٤٧٣	انعكاسات التأسي بسيد الأوصياء وسيدة النساء (عليها السلام) في المنمنمات الشيعية	مرضية علي پور	١٦
٥٠٣	المستوى النوعي للخطاب في نهج البلاغة (دراسة في ضوء النقد الثقافي)	أ.م.د. مسار غازي شناوة	١٧
٥٢٣	وظائف اللغة عند مايكل هاليداى دراسة تطبيقية على نصوص مختارة من نهج البلاغة	مقدم راتب المرفجي	١٨
٥٤١	التربية الأسرية عند الإمام علي وفاطمة الزهراء (عليهما السلام) دراسة تحليلية في ضوء النظريات النفسية-الاجتماعية	د. منتظر كامل منصور الكعبي	١٩

٥٦٣	رؤى الحياة في معالم الفكر التربوي العلوي ( الإنسانية الرسالية أنموذجاً )	الشيخ منير صادق نجم الكاظمي	٢٠
٥٨٥	دور التكافل الاجتماعي في تحقيق العدالة الاجتماعية (سيرة النورين أنموذجاً)	د. مؤمنة ياسين الزين	٢١
٦٠٩	قراءة في أصناف التكافل الاجتماعي في سيرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم	الشيخ نبيل سرحان كاظم الحسناني	٢٢
٦٤١	التنمية البشرية المستدامة دراسة في نماذج من نصوص ووصايا أمير المؤمنين (عليه السلام)	د. نجاة باقر مشكور	٢٣
٦٥٩	مقومات القيادة في نهج البلاغة - رسالة الإمام علي (عليه السلام) إلى عثمان ابن حنيف الأنصاري - أنموذجاً -	أ.د. نجم عبد الله غالي الموسوي	٢٤
٦٨٩	مَنْظُومَةُ الْقِيَمِ الْفَاطِمِيَّةِ وَأَثَرُهَا فِي بِنَاءِ الْمَجْتَمَعِ	أ.م.د. نوري كاظم الساعدي	٢٥
٧٢١	تقنيات الحوار في الخطاب النسوي دراسة تطبيقية في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام)	أ.د. هادي سعدون هنون العارضي	٢٦
٧٤١	الحق اليقين في علي والزهراء (عليهما السلام)	م. هاشم محمد محمد باقر الباججي	٢٧
٧٩٧	شخصية السيدة الزهراء (عليها السلام) وأثرها في توجهات فكر المرأة المعاصرة بنت الهدى وأمينة الأصفهانية أنموذجاً	م.م. هند كامل خضير	٢٨





**تقنيات الإعلان ودورها الجمالي**

**في إثراء الأفلام الدينية**

**(فلم سيدة الجنة إنموذجاً)**

**الباحث**

**م.م. علي قاسم محمد عقال**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

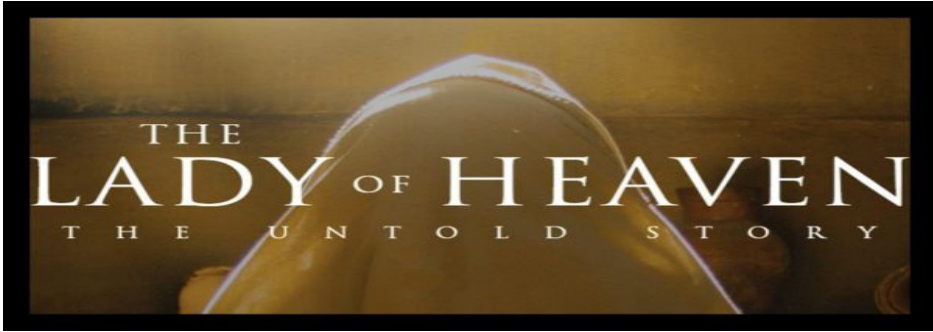
تجتاح العالم ثورة تكنولوجية هائلة حققت تقدماً سريعاً للبشرية، فكان من اللازم على الإنسان التأثر بهذا التطور التكنولوجي الحاصل في مجالات الحياة المختلفة، فأصبحت التكنولوجيا جزءاً من حياتنا لا يمكن الاستغناء عنه، حيث إنّ التكنولوجيا الحديثة أحدثت طفرة غير مسبوقة في مجال المعلومات والمعرفة. فانتشار شبكة الإنترنت أتاح الوصول إلى المعلومات بكل سهولة وسرعة، فكان لا بدّ من توظيف التكنولوجيا في جميع المجالات الحياتية والمعرفية، ومن بينها المجال التعليمي، لزيادة إمكانيات المتعلمين وقدراتهم الفكرية والإدراكية.

حيث أصبحت التقنيات الإعلانية والخدع البصرية والواقع الافتراضي في زمننا هذا من أهم الأشكال الإعلامية والفنية التي يتم صياغة المحتوى المرئي من خلالها بشكل مبدئي ومختلف، حيث تعدّ التقنيات الإعلانية عنصراً مهماً وفعالاً في تكوين شخصية المتعلم، لأنّ التقنيات الإعلانية تحتلّ أولى اهتمامات المتعلم؛ فهي تقدم كلّ ما يجبه من عالم ساحر وقصص جذابة تتمحور أحداثها في أجواء الخيال؛ لذلك ينجذب لهذه الرسوم ويرتبط بها بشكل كبير.

وتعدّ التقنيات الإعلانية ذات فعالية في تنمية القدرات التعليمية لدى الفئة المستهدفة حيث تمكن المستخدم من معالجة المعلومات المراد توصيلها للطلبة وتقديمها لهم بشكل أفضل لا سيما إلى الأطفال في المراحل التعليمية الأولى. وهنا لا بدّ من استخدام هذه التكنولوجيا والرسوم المتحركة في نقل سير الأنبياء وأهل البيت (عليه السلام) وتجسيد شخصياتهم، وعرض سير أهل البيت وقضاياهم بصورة غير مألوقة، نظراً للحساسية والقدسية التي

يتمتع بها أهل البيت وعدم إمكانية تجسيد هذه الشخصيات واقعياً. فأصبحت الرسوم المتحركة والتقنية الرقمية وسيلة جيدة لعرض هذه الشخصيات وتجسيدها بطرق إبداعية ومجسدة حسب الروايات المذكورة، وإنتاج العديد من الأفكار الإبداعية المختلفة لهذا النوع من الإعلانات لزيادة جذب المتلقي وإثارة عاطفته، وإحداث أثر إيجابي، وهو الحصول على أكبر قدر من التأثير والتأثير بسيرة أهل البيت وقصصهم ونشر تعاليمهم .

حيث يُعدّ فلم «سيدة الجنة» مثالاً بارزاً على كيفية استخدام تقنيات الإعلان بشكل فعال لإثراء الفيلم الديني ونشر رسالته. ويُساعد تحليل تقنيات الإعلان المستخدمة في الفيلم على فهم كيفية استخدامها بشكل فعال في الأفلام الدينية الأخرى، ويمكن استخلاص دروس مستفادة من تجربة فلم سيدة الجنة لتطوير تقنيات إعلانية أكثر فعالية في الأفلام الدينية.



## الفصل الأول

### أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في شرح استخدام تقنيات الإعلان وآلية عمل هذه التقنيات سواء كانت الميكانيكية أو الفيزيائية أو الرقمية وطريقة توظيفها من قبل المخرج، بما يتناسب وبناء مشاهد الفلم بشكل جمالي ودرامي. وكذلك يرصد البحث مرحلة مهمة في تاريخ صناعة الفلم وإدخال القصص والسير الذاتية لأهل البيت (عليه السلام) بشكل كبير، وهنا استطاعت التقنية الرقمية أن تغير أكثر من مفصل في صناعة الفلم من عدسات وأنظمة تسجيل الصورة وحوامل كاميرات وأسلوب التمثيل والإخراج، وتكمن أهمية البحث أيضاً في إفادة شريحة واسعة من الدارسين للفن السينمائي والعاملين به.

تكتسب دراسة تقنيات الإعلان ودورها في إثراء الأفلام الدينية أهمية قصوى لفهم دور تقنيات الإعلان في عصر السرعة والتشتت وتلعب تقنيات الإعلان دوراً مهماً في التغلب على هذا التحدي، وذلك من خلال إثراء الأفلام الدينية جمالياً وجذب انتباه المشاهدين. ويُساعد فهم تقنيات الإعلان على استخدامها بشكل فعال لنشر الرسائل الدينية والتأثير على المشاهدين. ودور تقنيات الإعلان المهم في تجسيد قصص وسير الأنبياء وأهل البيت (عليه السلام) الرقمية المختلفة الحديثة والمتعددة للاستفادة منها.

### مشكلة البحث:

إنّ الفلم التاريخي هو عملية إبداعية تعتمد على قدرة المخرج في ترجمة النص المكتوب وتحويله إلى صورة مرئية تعرض على الجمهور، وإنّ نجاح الفلم أو فشله يتوقف على مهارة المخرج في توظيف الأدوات المتوافرة له، واستخدامها بشكل إبداعي لإنجاز فلمه.

وتتلخص مشكلة بحثنا بأنّ افتقار الأفلام التاريخية لاستخدامات تقنيات الإعلان الرقمية يؤثر سلباً في هدف الإعلان. وحتى يثبت حقيقة ذلك أو نفيه تمخضت هذه المشكلة عن تساؤل:

- كيف تساهم تقنيات الإعلان في إثراء الأفلام الدينية وقصص أهل البيت (عليه السلام) جمالياً؟

### أهداف البحث

الكشف عن تقنيات الإعلان المستخدمة في صناعة الفلم التاريخي.  
الكشف عن التوظيف الجمالي والدرامي لتقنيات الإعلان في فلم سيدة الجنة.

### منهج البحث

يستخدم الباحث المنهج الوصفي الذي يعدّ الأكثر استخداماً في ميدان البحث العلمي، نظراً لشموليته ومرونته وقدرته على دراسة الواقع ووصفه وصفاً دقيقاً؛ ومن خلاله يتعرف الباحث إلى الأسباب التي أدّت إلى ظهور إحدى الظواهر، كما يقوم بتحليلها، ومقارنتها بالظواهر الأخرى، وتقييمها<sup>(١)</sup>.

### أدوات البحث:

تحليل المضمون، الذي يهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمضمون الظاهر من مواد الاتصال<sup>(٢)</sup>. وهناك تعاريف عديدة لتحليل المضمون، إلّا أنّ هناك شبه إجماع على تعريف برنارد بيرلسون والذي عرف تحليل المضمون بأنّه: أحد أساليب البحث

(١) <https://www.bts-academy.com> - موقع أكاديمية.

(٢) مناهج البحوث الإعلامية: إسماعيل إبراهيم، القاهرة، ٢٠١٧، دار الفجر للنشر والتوزيع، ص ١٩٧.

العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر لمضمون الاتصال<sup>(١)</sup>.

### مصطلحات البحث:

تقنيات الإعلان: في سوق اليوم شديد التنافسية، تعدّ القدرة على التواصل والإقناع بشكل فعال أمرًا بالغ الأهمية. تشمل تقنيات الإعلان مجموعة من الاستراتيجيات والتكتيكات التي يستخدمها المسوقون والمعلنون لجذب انتباه الجمهور المستهدف وتحقيق الإجراءات المطلوبة. تتضمن هذه المهارة فهم سيكولوجية المستهلك، وصياغة رسائل مقنعة، واستخدام قنوات الوسائط المختلفة لتقديم حملات مؤثرة. في القوى العاملة الحديثة، تلعب تقنيات الإعلان دورًا حاسمًا في الترويج للمنتجات والخدمات والأفكار، وحتى العلامات التجارية الشخصية.

تعدّ تقنيات الإعلان ضرورية «في كل مهنة وصناعة تقريبًا. من محترفي التسويق ومندوبي المبيعات إلى رواد الأعمال ومنتشي المحتوى، يمكن أن يؤدي إتقان هذه المهارة إلى تعزيز النمو الوظيفي والنجاح بشكل كبير»<sup>(٢)</sup>. من خلال الاستفادة من تقنيات الإعلان الفعالة، يمكن للأفراد جذب العملاء وإشراكهم، وزيادة الوعي بالعلامة التجارية، والتأثير في قرارات الشراء، وفي نهاية المطاف دفع نمو الأعمال.

علم الجمال: يعرف علم الجمال باللغات الأوروبية بـ «Esthetic-que» وهي مشتقة من كلمة Ashesis اليونانية وتعني الشعور أو الحسّ الإنساني ونشاطاته الجمالية<sup>(٣)</sup>.

(١) مناهج البحث في العلوم الإنسانية: محمود أحمد درويش، مصر، ٢٠١٨، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، ص ١٧١.

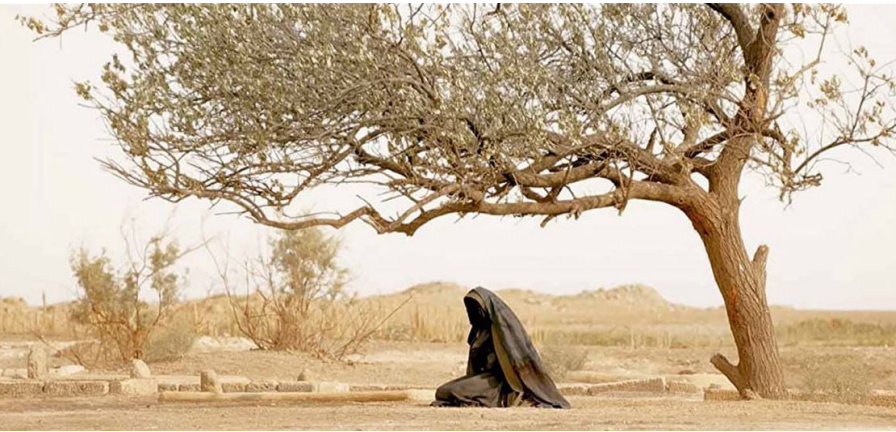
(٢) أحمد حسن الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، ج ٢، (اسطنبول، دار الدعوى، ٢٠٠٦)، ص ١٠٤٢.

(٣) عدنان رشيد، دراسات في علم الجمال، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٥)، ص ٩-١٠.

ويعرف الجمال: بكونه «صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سروراً ورضاً و(علم الجمال): باب من أبواب الفلسفة يبحث في الجمال، ومقاييسه ونظرياته»<sup>(١)</sup>.

الخدع السينمائية: تتشكل الأفلام التاريخية من مجموعة الشرائط التي تعيد إلى الشاشة الكبيرة أحداثاً وقعت في الماضي، القريب أو البعيد، سواء استخدمت في ذلك مجموعات من الشرائط الوثائقية التي سجلت الحدث بالفعل، في القرن العشرين أو ماضي الإسلام والمجيء بممثلين أوقفتهم أمام الكاميرا ليلعبوا أدوار شخصيات تاريخية.

وهذه الأفلام التاريخية، على تفاوت في جودتها، كان لها دائماً جمهور عريض، جعل هذا النوع يعيش أكثر من غيره. كما جعل المنتجين والمخرجين يضيفون دائماً شرائط جديدة عن أحداث كان سبق لها أن قدمت على الشاشات مراراً، وعن شخصيات اهتمت بها السينما منذ بداياتها. وحسبنا أن نذكر أن العام الماضي وحده شهد عرض شرائط عديدة تتصدى للتاريخ: من تاريخ طروادة إلى سيرة الإسكندر إلى حكاية الملك آرثر إلى أفلام الرسالة وفلم محمد رسول الله ﷺ حتى ندرك كم أن هذا النوع يلقي القبول، بل الإقبال!



(١) المعجم الوسيط، تأليف مجموعة مؤلفين، ج١، ط٣، (القاهرة: مطبعة الدار الهندسية، ١٩٨٥)، ص ١٤١.

## الفصل الثاني

### صناعة الخدع في الأفلام التاريخية والتقنيات المستخدمة

أدت التقنيات الحديثة المستخدمة في صناعة خدع الأفلام التاريخية دوراً بالغ التأثير، إذ أمست مثار جدل واسع بين أوساط السينمائيين فأصبح استخدام تقنية «(CGI)» \* محور تكهنات مكثفة ليس فقط من قبل الجمهور السينمائي ولكن أيضاً من قبل صناع المؤثرات الخاصة أنفسهم.... فالكثير من التساؤلات تركز على مسألة كم من الوقت ستصمد خدع تقنيات الإعلان الفيزيائية والميكانيكية أمام خدع التقنيات الرقمية»<sup>(١)</sup>.

إنّ التطور الكبير في التكنولوجيا الرقمية دخل إلى عالم السينما والأفلام التاريخية بشكل سريع محدثاً ثورة تقنية شمل أجهزة التصوير والمونتاج وأساليب صناعة الخدع الأفلام التاريخية وأصبح بالإمكان إنتاج الأفلام الروائية من غير الحاجة إلى استخدام الفيلم السينمائي التقليدي؛ وهذا ما انعكس سلباً على الشركات المصنعة للفلم الخام والتي تستخدم التقنيات التقليدية (الأشرطة القلمية السينمائية، بكل أنواعها وحجومها) في إنتاج الأفلام «فشركة كوداك لإنتاج الأفلام السينمائية معرضة للإفلاس؛ وقد توقفت كل من شركة

(Panavision and Arri flex) عن صنع الأفلام. فعلى سبيل المثال قد يلاحظ

المتلقي الفرق بين فلم الرسالة وبين فلم سيدة الجنة حيث أنّ الفرق بين الفلمين كبير جداً

(١) CGI: الأفلام والخدع والمؤثرات التي تصنع بواسطة جهاز الحاسوب (Computer Generated Imagery CGI).

1- Pierson, M. No Longer State of –the-Art: Crafting a Future for CGL1- . 1999. - 29. Johns Hpokins University Press: Wide Angle. 1999- 121 (1).

من ناحية استخدام التكنولوجيا الرقمية والخدع السينمائية حيث إنّ مخرج العمل إيلي كينغ استعان بالكثير من رواد مجال التقنية الرقمية والخدع السينمائية وطلب المشورة من المتخصصين للاستعانة من أجل إبداء الرأي بالتقنية الرقمية<sup>(١)</sup>.

وبطبيعة الحال إنّ تصنيف الخدع والتقنيات الإعلانية يخضع إلى التغيرات المستمرة في حقل صناعة التقنية وبراءة الاختراع، وذلك لارتكازه على الابتكارات العلمية التي تقوم شركات الانتاج السينمائي بإدخالها باستمرار من أجل تطوير مستوى تكتيك صناعة أفلامها، فالبرامج الجديدة لصناعة الخدع تندفق إلى يد صناع الأفلام من أجل تحقيق أكثر المشاهد صعوبة، وبطرائق سهلة ومقنعة، وبتكاليف مقبولة انتاجياً.

ومن الملاحظ أنّ «التحول إلى التقنيات الرقمية في عملية صنع الفلم التاريخي وعرضه هو بمثابة (الثورة الثانية) في مسار السينما فابتكار الحاسوب (الكمبيوتر) والثورة التكنولوجية التي أحدثها في كافة مناحي المعرفة والنشاط الإنساني شملت... كافة وسائل الاتصال الحديثة والوسائط المتعددة بما فيها الصناعات الترفيهية بأشكالها المختلفة وتكنولوجيا الفنون وتقنياتها»<sup>(٢)</sup>، ومن جراء دخول التكنولوجيا الرقمية Digital إلى مفاصل صناعة السينما جعل تصنيف الخدع السينمائية متغيراً بشكل مستمر.

ويرى الباحث أنّ تقسيم تقنيات الإعلان للأفلام التاريخية، يصنف إلى ثلاثة أقسام أساسية هي:

#### ١. «تقنيات لخدع والمؤثرات التي تصور في موقع التصوير»<sup>(٣)</sup>.

John, B. Introduction: Digital Cinema. Indiana University Press: Film (١) History. 2012; p 131

(٢) يحيى عزمي، التطور التكنولوجي لفن السينما عبر مائة عام، تر فهمي جدعان، (عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد ٢٠٠٨، ٢) ص ٣٧٩.

(٣) ينظر، جوليان كونتر، كيف تعمل المؤثرات السينمائية، تر هاشم النحاس، (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ص، ٣٨، ٥٣، ٦١، ١١٠.

٢. «تقنيات لخدع التي يتم تصويرها في موقع التصوير ويستكمل المتبقي في غرفة المونتاج»<sup>(١)</sup>.

٣. تقنيات الخدع التي يتم صنعها باستخدام تقنيات وبرامج الكمبيوتر.

٤. تقنيات لخدع والمؤثرات التي تصور في موقع التصوير.

ونقصد كل التقنيات (الميكانيكية والفيزيائية) التي يتم إنجازها في موقع التصوير دون الحاجة إلى إكمالها في مرحلة المونتاج أو بتقنيات الحاسوب.

ولكي يصبح المشهد محاكياً للواقع المطلوب يعمل مخرجو الخدع على خلق أجواء فيها مؤثر هبوب الرياح ووميض الرعد وتعزيزها بالصوت ليصبح المشهد أكثر إقناعاً أثناء التصوير، وتصمم إضاءة خلفية للمشاهد والأمطار بشكل معتم وتسلط إضاءة أمامية على قطرات المطر النازلة من أجل إبرازها بطريقة تكفل رؤيتها أثناء التصوير كون الإضاءة في مشاهد المطر «تضفي انعكاسات متألئ على قطرات المطر وعلى الشوارع المبتلة وتوحي بالتأثير المطلوب للحدث المراد تصويره»<sup>(٢)</sup>، و تقنية استخدام المياه في مشاهد الأمطار قد تتسبب ببعض المشاكل في التصوير الداخلي أي داخل الاستوديو فيجب ضبط أماكن تصريف المياه بشكل محكم لتجنب إتلاف قطع الديكور وأسلاك الكهرباء؛ وهذا المثال رأيناه جلياً بإحدى لقطات فلم سيدة الجنة بمشهد ولادة الإمام علي عليه السلام.

وأيضاً على سبيل المثال، الأفلام التي تصور أعماق البحار والتغيرات المناخية، فإنّ تكلفة إنتاج فلم يتضمن سفينة تتعرض لإعصار أو هجوم بالقنابل، قد يكلف الإنتاج ما

(١) ينظر، رباب عبد اللطيف، فنيات المونتاج الرقمي في الفلم السينمائي، (القاهرة: دار الحريري للطباعة، ٢٠٠٥)، ص ٤١-٩٣.

(٢) شذى حسين العاملي، تقويم واقع الإعلان التجاري التلفزيوني في العراق وسبل تطوره، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية الفنون الجميلة ١٩٩٦)، ص ٦٥.

يعادل ميزانية الفلم بالكامل. وكما شاهدنا، استخدم المخرج في فلم سيدة الجنة كثيراً من اللقطات بها واقع افتراضي.

تقنيات الخدع التي يتم تصوير جزء منها في موقع التصوير ويستكمل الباقي في حجرة المونتاج.

إنَّ تكلفة بناء قصر تاريخي أو مدينة تاريخية أو إرسال فريق تصوير على متن طائرة أو بجوار بحر ومحيط يكون باهظ الثمن أو يحتوي على جملة من المخاطر. ومن أجل تحقيق هذه المشاهد بتكاليف إنتاجية متدنية وخطورة أقل، عمد مصممو الخدع إلى استخدام «واحدة من أقدم الطرائق المعروفة بطريقة العرض الخلفي وبها تعرض شرائح ثابتة (سلايدات Back Projection) أو صورة متحركة عرضاً خلفياً على شاشة نصف شفافة خلف الممثل»<sup>(١)</sup>، وقد حققت طريقة العرض الخلفي أو الأمامي بوساطة الشاشة تقدم مهم.

ويرى الباحث أنَّ طريقة استخدام شاشة العرض في المشهد السينمائي غالباً ما تحوي على جملة من المشاكل التي تعيق فريق التصوير وفريق الخدع السينمائية والتي تلخص بالنقاط الآتية:

١. صعوبة الحصول على زوايا الكاميرا الصحيحة والتي تجعل من الشاشة والمشهد قطعة واحدة خصوصاً إذا كان المشهد متحركاً.

٢. صعوبة ضبط درجة تباين شاشة العرض إلى درجة تباين المشهد.

٣. صعوبة توزيع الإضاءة ما بين شاشات العرض والمشهد المصور.

ومن أجل حلّ هذه المصاعب، استُخدمت طريقة أكثر سهولة واقتصاداً تعرف بطريقة التصوير بـ (الكروما Chroma)؛ وهذه الطريقة استخدمت بفضل الثورة التقنية التي

(١) أحمد الحضري، المصدر السابق، ص ١٥٩.

أدخلها استخدام الحاسوب في الأفلام السينمائية. وقد استخدمت بشكل فاعل ومهم في أفلام محمد رسول الله والمختار وسيدة الجنة.

الكروما Chroma: هي خلفية توضع في المشاهد لفصل عناصر المشهد عن الخلفية وتغييرها بخلفية أخرى، ويكون لون خلفية الكروما إما باللون الأخضر أو الأزرق «لتتوافق الخلفية ذات اللون الأزرق مع الصورة أي صورة الممثل»<sup>(١)</sup> داخل المشهد. فمثلاً، يمكن تصوير قطع من الديكور إلى جوار خلفية من القماش الأزرق أو الأخضر، وتقف شخصيتان بجوار بعض، فيمكن إضافة مدينة تاريخية خلفها التي تبرز بعمق المنظر الحقيقي وتفرغ خلفية الكروما بإبدالها بالصورة المطلوبة فيظهر المشهد قطعة واحدة وكأن أجزاءه المجمعة صورت بوقت واحد «إلا أن القسم الأعظم من النماذج الحديثة من برامج المونتاج وأجهزة المزج المرئي تستخدم طريقة مفتاح الألوان (الكروما كي Chroma key) أي تسمح بتفريغ أي لون يقع عليها»<sup>(٢)</sup>، ويفضل استخدام اللون الأخضر والأزرق في طريقة عمل الكروما، وذلك لأن هذه الألوان بعيدة عن لون بشرة الإنسان.



(١) Van den Bergh. F, Lalioti. V, Software Chroma Keying in an Immersive Virtual Environment, South Africa Computer Journal. 1999. p.7

(٢) ينظر: جاروسلاف فوندر، اخراج البرامج الفنية في التلفزيون، تعريب فؤاد صندوق، (تونس: منشورات اتحاد اذاعات الدول العربية، ١٩٨٥) ص ١٠٤-١٠٦.

## الفصل الثالث

### المبحث الأول: تقنيات الإعلان والخدع التي تصنع باستخدام برامج الكمبيوتر

الخطوات والمراحل الخاصة بتصميم بعض لقطات فلم سيدة الجنة وتحريكها، التي تتضمن واقعاً افتراضياً:

إن تكنولوجيا اليوم استطاعت أن تزوج بين أحلام الإنسان والواقع المادي باستخدام شركات الإنتاج السينمائية للتكنولوجيا الرقمية في صناعة الواقع الافتراضي فقد «دخلت تقنيات الحاسوب لتنفيذ الكثير من المشاهد في الأفلام ذات الموضوعات المختلفة، بل تدير عمل بعض العناصر اللغوية الفنية مثل آلة التصوير والإضاءة والمونتاج والمكان وحتى الشخصيات الدرامية»<sup>(١)</sup>.

وعادة ما يصنع الواقع الافتراضي بمجموعة من برامج الكمبيوتر مثل برامج ثنائية الأبعاد مثل برنامج (الفوتوشوب و Adobe After Effects) وبرامج ثلاثية الأبعاد مثل برامج (Maya، Cinema 5D، Studio Max 3D) وبرنامج (هاوديني) والفرق بينها أن برنامج الـ 3D باستطاعته أن ينتج مشاهد ثلاثية الأبعاد بقياسات ودقة عالية، إلا أن هذا البرنامج لا يملك خاصية برامج (Maya و Houdini) والتي هي برامج تحتوي على إمكانية الارتداد والإزاحة مثل سقوط حجر في بركة ماء. فبمقدور هذه البرامج أن «تولد حركة موجية ارتدادية لمسافة معينة تعتمد على السرعة كما في لقطة البداية من فلم سيدة الجنة، ودخول داعش إلى الأراضي العراقية».

(١) ماهر مجيد، التناسخ الاسطوري في السينما العالمية، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠١١)، ص ١٠٧.



وهذا ما لا يستطيع برنامج 3D الحصول عليه، على العكس من برامج الواقع الافتراضي وظيفتها في الحصول على أكبر قدر من المحاكاة للواقع، وحتى برامج الرسوم المتحركة (Animation) تعتمد جودتها على مقدار ما تقدمه من قدرة إقناعية للمشاهد في مقارنة أفعال شخصياتها لا أفعال البشر في الواقع.

ومن الملاحظ أنّ الشركات والاستوديوهات السينمائية العاملة بالتقنية الرقمية والتقنيات الإعلانية تعمل على إنتاج الفلم السينمائي التاريخي الذي يجوي خدع العالم الافتراضي على شكل مراحل، وأولى هذه المراحل الإنتاجية هي عملية إدخال المعلومات إلى الكمبيوتر وهناك عدة طرائق لإدخال المعلومات إلى المشهد المصنع وتتنوع هذه المراحل بحسب التقنية التي تستخدمها الشركات المصنعة للخدع السينمائية.

**١-الرسوم التخطيطية:** وتأتي هذه الخطوة بعد تحديد الفكرة ليقوم الرسامين برسم تصميمات متعددة لشخصيات الإعلان في عدّة مشاهد من خيال الفنان بما يتوافق مع سيناريو الإعلان.

**٢- التجسيد:** وهذه المرحلة هي مرحلة التجسيم، حيث تُرسم الشخصيات من ثلاث جهات «طول وعرض وارتفاع» وتحدّد الشكل والكتلة العامة لجسم الشخصيات مع تصميم الخلفيات المطلوبة طبقاً لفكرة الإعلان.

**٣- الإكساء:** توضع اللمسات المطلوبة لكل شخصية بما تحمله من مواصفات وخواص مثل انعكاسات الإضاءة والتجاعيد أو البروزات..

**هيكلية الشخصيات:** حيث يُصنع هيكل يشبه جسم الإنسان تماماً من رأس وأرجل و... ليتم التحكم بتلك الأشياء ويُربط هذا الهيكل بالمجسم الذي صُنع في الخطوة رقم ٢، وبذلك يتم التحكم بسهولة في أدق التفاصيل؛ ومنها تعبيرات الوجه والأذرع على سبيل المثال.<sup>(١)</sup>

**٥- مرحلة التحريك:** وهي أهم المراحل. وفي هذه المرحلة يقوم المحرك بتحريك أجزاء الهيكل، وهنا يتطلب الإحترافية لمحاكاة حركات الجسم بواقعية.

**٦- الإضاءة:** وفيها يتم إضاءة مشاهد الإعلان لإضفاء ميزة الواقعية عن طريق تفاعل الإضاءة مع خامات كل عنصر من عناصر الشخصيات المصممة<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد الظاهر، ريهام محمد- «أثر التكنولوجيا الرقمية على تطور الإعلان المرعي (السينمائي/

التلفزيوني) دراسة في إعلانات الرسوم المتحركة - ماجستير - المعهد العالي للسينما - .

(٢) لفرماو، مصطفى علي أمين - التأثير التقني والإبداعي لبرامج الكمبيوتر جرافيك في الرسوم المتحركة

- ماجستير - كلية الفنون الجميلة - جامعة حلوان - .

٧- **الكاميرا:** وهي روح الحركة للإعلان المتحرك وفي البرامج الـ 3D تتيح الكاميرا التحكم في الكادر بواقعية شديدة كالكاميرا السينمائية لمشاهد اللقطات الحية والتنقل داخل أرجاء المشهد الواحد واستعراض المدخلات في داخل المشهد وتوفر أيضاً استعراضاً لأبرز الإيجابيات والسلبيات داخله ليكون بأجمل صورة قبل الإخراج النهائي<sup>(١)</sup>.

٨- **مرحلة إخراج العمل بالشكل النهائية:** وهي آخر مرحلة من مراحل التصميم في برامج الرسوم المتحركة البرامج ثلاثية الأبعاد تحديداً، حيث تدمج الإضاءة والمؤثرات البصرية وحركات الكاميرا مع الشخصية والخلفيات وتستغرق هذه العملية عادة وقتاً كبيراً، خاصة إذا كان المشهد يحوي الكثير من العناصر والمؤثرات البصرية والإنعكاسات والظلال.

وتأتي المرحلتين الأخيرتين؛ وهما إضافة المؤثرات البصرية، وتؤدي العوامل الخاصة بالإبهار البصري اللوني والضوئي والتكويني، والحركة بأنهاطها المختلفة، والمؤثرات الصوتية، دوراً كبيراً في تصميم الإعلانات المصممة بأسلوب الرسوم المتحركة في ظلّ المتغيرات الكبيرة التي أحدثتها التطورات التكنولوجية في المجال، ثم إضافة الموسيقى والمؤثرات السمعية، ويتم تسجيل الموسيقى إما بموسيقى مؤلفة خصيصاً للإعلان أو موسيقى مألوفة تستخدم مؤلفة مع الإعلان مع مراعاة روح المشهد<sup>(٢)</sup>.

(١) المفتي، نهي سعيد - دور الوسائط المتعددة في تعميق الهوية العربية - ماجستير - كلية الفنون الجميلة - جامعة حلوان - ٢٠١٣.

(٢) لفرماو، مصطفى علي أمين - التأثير التقني والإبداعي لبرامج الكمبيوتر جرافيك في الرسوم المتحركة - ماجستير - كلية الفنون الجميلة - جامعة حلوان - .

## الفصل الثالث

### المبحث الثاني: مضامين فلم سيدة الجنة

وبعدّ فيلم سيدة الجنة أول فيلم سينمائي تاريخي يتناول قصة السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي محمد ﷺ، وتدور أحداثه في زمنين مختلفين يفصل بينهما ١٤٠٠ سنة تقريباً من خلال الطفل ليث في الموصل بالعراق والذي تتعرض أمّه للإعدام على يد جنود داعش، وفي محاولة للتخفيف عن الطفل تحكي له جدته عن السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي محمد التي كانت مثلاً للقوة في الأوقات العصيبة التي تعرض لها الإسلام عقب وفاة النبي.

تدور أحداث الفيلم عن طفل عراقي، تحكي له جدته قصة السيدة فاطمة ابنة النبي محمد ﷺ، في ظلّ صراعات يعيشها الطفل العراقي وعائلته بسبب الجماعات الدينية المتشددة.

الفيلم تدور أحداثه في ١٤٠ دقيقة، وهو من إخراج جون ستيفنسون وإيلي كينج، وإنتاج المملكة المتحدة، وتم تصويره في جورجيا.

كما بُنيت نماذج مشابهة لمكة المكرمة والمدينة المنورة في أكثر من شهرين، وتخطت الميزانية ١٥ مليون دولار.

فيلم سيدة الجنة تكلف ١٥ مليون دولار، وقال المجلس البريطاني لتصنيف الأفلام BBFC إنّه صنّف الفيلم لـ«فئة ١٥»، لاحتوائه على «عنف دموي، وتهديدات»<sup>(١)</sup> - لكن لا يوجد في الفيلم ما يتجاوز خطوط التصنيف، مضيفاً أنّ لصنّاع الأفلام الحرية في استكشاف الموضوعات والأحداث التاريخية أو المثيرة للجدل في أفلامهم.

(١) شذى حسين العاملي، تقويم واقع الإعلان التجاري التلفزيوني في العراق وسبل تطوره، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية الفنون الجميلة ١٩٩٦)، ص ٦٥.



### فريق العمل وبعض الممثلين:

- ادينيسي بلاك بدور بيبي
- غابرييل كارتاد بدور ليث
- لوكاس بوند بدور جمال
- ألباني كوروتوا بدور فاطمة لانراوي (أم ليث)
- أوسكار جارلاند بدور رائد عنصر من الحشد الشعبي
- آزاد بوتلة بدور عنصر من تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)
- راي فيرون بدور أبو بكر الصديق
- مارك أنتوني برايتون بدور عمر بن الخطاب
- أندرو هريسون بدور قنفذ بن عمير

- ماثيو برينر بدور مخيريق
- لاشا كانكافا بدور أبو عبدة بن الجراح
- كريس جرمان بدور بلال بن رباح
- ديمتري أندرياس بدور سلمان الفارسي
- ديفيد كاتسارافا بدور أبو سفيان بن حرب
- آنا ماتواشفيلي بدور هند بنت عتبة
- ياسمين مونزا بدور فضة النوية
- سامي كريم بدور خالد بن الوليد
- كريستوفر سويرف بدور حمزة بن عبد المطلب
- فريد معمّر فورتاس بدور العباس بن عبد المطلب
- ليفان ساجيناشفيلي بدور طلحة بن أبي طلحة العبدري
- كما رُسم النبي محمد والإمام علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء بتقنية صور منشأة بالحاسوب،

### كتابة السيناريو:

استغرقت المراحل الأولية وما قبل الإنتاج للفيلم من سنة ٢٠١٥م إلى ٢٠١٨م لمدة ثلاث سنوات. أعدت النسخة الأولى من السيناريو. إضافة إلى المصادر المكتوبة أخذت وجهات النظر للعلماء المعاصرين بعين الاعتبار «والسبب الذي أدى إلى اختيار فترة وجيزة من حياة النبي ﷺ» يعود إلى اتفاق الشيعة والسنة في رؤاهم حول هذا الموضوع.<sup>(١)</sup>

(١) شذى حسين العاملي، تقويم واقع الإعلان التجاري التلفزيوني في العراق وسبل تطوره، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية الفنون الجميلة ١٩٩٦)، ص ٦٥.

واجه الفيلم في مراحلہ المختلفة ردود أفعال سلبية وإيجابية ومتباينة في بعض الحالات. كما تعرض الفيلم لانتقادات عقائدية نظراً لمضمونه التاريخي والديني، وعلى الخصوص من قبل المجاميع السنية. ومن الطبيعي أيضاً أنه تلقى نقداً سينمائياً وفنياً صارماً من قبل النقاد. اعتبر الفيلم من أضخم إنتاج سينمائي في تاريخ السينما التاريخية، فقد بلغت تكاليف إنتاجه ما يقرب من ١٥ مليون دولار، وعمل فيه عدد كبير من التقنيين والفنيين الأجانب، على رأسهم «فيتوريو ستورارو»، وهو أحد أعظم مديري التصوير السينمائي في العالم، وهو مصور أهم أفلام المخرج الإيطالي «برناردو برتولوتشي» الشهيرة، مثل «التمثال» و«خطة العنكبوت» و«التانغو الأخير في باريس» و«١٩٠٠» و«الإمبراطور الأخير»، وقد حصل ثلاث مرات على أوسكار أفضل تصوير عن «الحمر» للمخرج «وارين بيتي» و«سفر الرؤية الآن» للمخرج «فرنسيس كوبولا» و«الإمبراطور الأخير» لـ«برناردو برتولوتشي»<sup>(١)</sup>.

إضافة إلى خبرة مدير التصوير الإيطالي في الفيلم، فقد أعدّ موسيقى الفيلم الموسيقار الهندي الشهير «ديليب كومار» الذي اعتنق الإسلام في منتصف الثمانينيات، كما قام طاقم عالمي بعمل المونتاج والديكور والمؤثرات الخاصة والملابس، وهو أمر نادر في السينما التاريخية المعروفة بتوافر الكثير من المواهب والخبرات السينمائية لديها، فقد كانت رغبة الجهات المنتجة يأتي في قالب عالمي يمكنه أن يخاطب المشاهدين في العالم، ويترك تأثيره عليهم باعتباره أول فيلم من الإنتاج الكبير يروي قصة حياة علي وزوجته الطاهرة «منذ فلم الرسالة الذي أخرجه المخرج الراحل مصطفى العقاد، وعلى نطاق يتجاوز كثيراً «الرسالة».

مع توافر جميع العناصر الفنية التي ضمنت مستوى متقدماً رفيعاً على صعيد الفن السينمائي، لا شك أننا أمام تحفة بصرية من الطراز الأول، حيث البراعة في الديكورات التي

(١) <https://www.bts-academy.com> - موقع أكاديمية

روعي فيها أن تحاكي الخدع السينمائية والتكنولوجيا، وما كان سائداً في مكة في تلك الفترة، بما في ذلك إقامة ديكور للكعبة على غرار الصورة المتخيلة لكعبة ذلك الزمان، وذلك قبل أن تطور وتكسى بالطريقة التي تعرف بها حالياً، وهي تظهر في الفيلم باعتبارها أثراً تاريخياً ودينياً قائماً منذ ما قبل نزول الرسالة المحمدية، حيث نرى كيف كان أهل قريش يعلقون على جدرانها بعض المعلقات والجداريات المشغولة التي تتدلى من أعلاها.

هناك أيضاً اهتمام كبير ملموس بالملابس التاريخية والأدوات والأثاث والمكياج واختيار أماكن التصوير، كما إنَّ هناك الكثير من الدقة والإتقان في تنفيذ المشاهد الصعبة المعقدة التي شاركت فيها أعداد كبيرة من الممثلين الثانويين. ورغم هذه الدقة والقوة التأثيرية للصورة مع جمال الموسيقى وقوتها، فإنَّ هناك كثيراً من الملاحظات على الفيلم الذي يبلغ زمن عرضه ساعة وأربعون دقيقة.

### حدائق الفاكه الغناء.. مكة كما لم تعرفها من قبل:

يثير الفيلم تساؤلات عديدة حول تصوير المخرج مكة المعروفة بقحطها الشديد وفقرها وجفافها على تلك الصورة التي تذكرنا بأفلام الرومان الشهيرة، أشجار وارقة وخضرة تنتشر في كل مكان وحدائق وفاكهة وصيبة وفتيات يشتركون جميعاً في غسل الكثير من ثمار التفاح في قناة تتدفق فيها المياه، من خلال صور ملونة مزركشة بهيجة وخلاصة، وكأننا نشاهد عملاً قوامه الخيال، وابتعد عن تصوير ما كان يتهدد قوافل تجارتهم وصرعاتهم القبلية وعلاقاتهم بالله وبتلك الآلهة الوسيطة أو الأصنام.

ويصور الفلم مرحلة مهمة من حياة السيده الجليلة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من انتقال الرسول لمكة وسفر أهل بيت النبي بحراسة الإمام علي وحمايته للقافلة إلى معركة أحد دفاع الإمام عن النبي ونزول سيف ذوالفقار، وينتقل الراوي إلى حديث الكساء، وتصويره وعرضه بطريقة لا توصف؛ أبكتنا!



(لَا تَبَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ)

وهذا المشهد يصوّر حديث الكساء بتقنية إعلانية وإبداعية جميلة وننتقل من حيث الكساء إلى مشهد أهم مشاهد الفلم وفاة النبي ﷺ وانشغال الإمام علي بتكفينه وانشغال الناس بالخلافة، وسلب حق الإمام علي إلى مشهد آخر، وهو مظلومية الزهراء (عليها السلام)، وصبر الإمام علي على المصيبة بسبب وصية الرسول.

## النتائج

إنّ استخدام تقنيات الـ VFX ساعد العاملين في مجال صناعة الأفلام على إيجاد الحلول الجذرية لمشاهد كان من الصعب تحقيقها مثل مشاهد حديث الكساء وأهل البيت ومعارك الإمام علي بشكل جمالي ودرامي يؤثر في مشاعر المشاهد ويحقق الإمتاع.

إنّ دمج كلّ من أنظمة التصوير الرقمي والإلكتروني ولّد لقطات خداعية غاية في الإتقان والمهارة لا يستطيع المصور السينمائي بكامرته التقليدية ومعداته الثقيلة أن يصل إلى المرونة الفائقة في الحركة والدقة.

حسن توظيف التكنولوجيا الحديثة ضرورة لرفع كفاءة الأفلام وضمان تحقيق الهدف. استخدام الإضاءة الافتراضية في الأفلام الرقمية ساعد في سهولة التحكم في تشكيل الإضاءة في المشهد وتجسيم المنظر وتوزيع مساقط الضوء بحسب شدتها ولونها وسهولة تجسيم المنظر.

إنّ استخدام تقنيات الإعلان في صناعة الأفلام ساعد على الاستغناء من المساحات الواسعة من الديكور والإكسسوار والأبنية الفخمة والاستوديوهات الكبيرة وأصبح بالإمكان تجسيد مختلف الأماكن في استوديوهات صغيرة لا تتعدى بضعة أمتار، وطبعاً ذلك بفضل إمكانية تقنيات الكرافيك.

الحفاظ على الهوية الدينية مع دمجها بالحدث تجعل المتلقي فاعلاً في تصور التاريخ الإسلامي وتجعله فاعلاً ومثاثراً ومتخيلاً.

## التوصيات

يوصي الباحث بعمل دراسة عن إسهام الصوت في بناء تقنيات الإعلان في المشاهد السينمائية.

ونؤكد ضرورة صناعة المحتوى الديني (العقائد، الفقه، الأخلاق، السيرة، القصص القرآنية..) بصورة الأفلام الخيالية، والاعتناء بها حتى تتصدر في شبك التذاكر العالمي، والإقبال على مثل هذا النوع من السينما لما له من دور في إيصال الرسالة وتشكيل الوعي لدى المشاهد، وهي ما جذب الانتباه بعد محتوى القصة.

ضرورة تدريس التكنولوجيات الحديثة والمتعددة بشكل عملي في كليات الفنون المختلفة.

تضافر جهود الوكالات الإعلانية الحكومية والعتبات المقدسة، بالتعاون مع الإستديوهات الخاصة، لزيادة إنتاج أفلام سير أهل البيت.

زيادة الوعي المجتمعي بالتكنولوجيا الرقمية والخدع السينمائية وتطبيقها على الإعلانات بشكل عام.

ضرورة الاعتناء باحتواء الكوادر الفنية المتخصصة بهذا المجال وتطوير مهاراتها في المؤسسات الإعلامية الدينية لا سيما العتبات المقدسة التي تعتبر المركز الذي تنصبّ عليه أنظار الجميع ويلقى على عاتقه نشر فكر وعلوم المعصومين عليه السلام بأكبر قدر ونوع ممكن.

## المراجع والرسائل العلمية

١ - عاطف، آية «استخدام تقنيات إخفاء المعلومات الرقمية في تأمين وتعزيز خصائص الوسائط الإلكترونية والمطبوعة» - رسالة ماجستير - كلية الفنون التطبيقية - جامعة حلوان - ٢٠١٩ - ص ١١٣.

Aya" Estkhdam Teknyat Ekhfaa Almaalomat Alrakamia Fe Taameen Wtaazeez Khasaaes, Atef Alwasaaet Aelektronia Wa Almatboaa"-Resalaa Magesteer-Kolit Alfonun Al tatbekia-.Gameat Helwan -2019-P113

٢ - صالح، شياء «تكنولوجيا الوسائط المتعددة وأثرها في تنمية المهارات البصرية لدى مصمم الإعلان» - ماجستير - كلية الفنون التطبيقية - جامعة حلوان - ٢٠١٢ ص ٥٧.

٣ - محمد، نيفين «إستراتيجية تصميمية لتطبيقات المحمول لتوجيه خبرات المستخدم» - رسالة دكتوراه - كلية الفنون التطبيقية - جامعة حلوان - ٢٠١٩.

٤ - السنباطي، راوية رياض - إعلان الرسوم المتحركة في التلفزيون وسبل تطويره - رسالة ماجستير - كلية الفنون الجميلة - جامعة حلوان - ١٩٩٥.

٥ - عبد الظاهر، ريهام محمد - «أثر التكنولوجيا الرقمية على تطور الإعلان المرعي (السينمائي/ التلفزيوني) دراسة في إعلانات الرسوم المتحركة - ماجستير - المعهد العالي للسينما - ٢٠١٦.

٦ - مهيب، علي سعد - «أساليب التحريك بالحاسب الإلكتروني وآثارها في فن الرسوم المتحركة» - دكتوراه - المعهد العالي للسينما - ٢٠٠١.

- ٧- الفرماو، مصطفى علي أمين - التأثير التقني والإبداعي لبرامج الكمبيوتر جرافيك في الرسوم المتحركة - ماجستير كلية الفنون الجميلة - جامعة حلوان - ١٩٩٩.
- ٨- المفتي، نهى سعيد - دور الوسائط المتعددة في تعميق الهوية العربية - ماجستير - كلية الفنون الجميلة - جامعة حلوان.

### الكتب العربية والمترجمة:

- ٩- النداء، روبن، «الإعلانات والتصميم، ابتكار الأفكار الإبداعية في وسائل الإعلام- الطبعة الثانية - ترجمة/ صفية مختار- مؤسسة هنداوي سي آي سي - ٢٠١٧ ص ٢٠.
- Ebtekar Al Afkar Al Ebdacia Fe Wasael Al ealam-«Roben»  
Alealanat Wa Altasmem،Landa
- ١٠- خضر، محمد، صالح، إنجي «التفكير النمطي والإبداعي»-مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث - الطبعة الأولى - ٥.
- Engy” Altafker AlnamatyWaleabdaey”-Markaz Tatweer  
Aldrasat،Mohamed/Salah،Khedr AloliaWALbehoos-Altabaa  
.Alola-P5-2011

### البحوث المنشورة:

- ١١- قدرى، أميرة «أساليب ابتكار الأفكار الإبداعية في إعلان التوعية»- بحث منشور-مجلة العمارة والفنون - مجلد - ٣ العدد التاسع - ٢٠١٨
- Amira”Asaleb Ebtecar Alafkar Alebdaeia Fe Ealan  
Altawaia”-Bahth ManshoMagalet،Adry AL Emara w AL Fe-

noun w AL Elom AL Insania (Journal of Architecture, Arts and Humanistic Science)- Mogalad3 -Aladad Altasea-2018-P113

١٢- مختار، محمد «استخدام إستراتيجية الجوريال الإعلانية لابتكار إعلانات متحركة مؤثرة»- بحث منشور -مجلة العمارة والفنون- المجلد الأول -العدد الرابع ٢٠١٦ ص-٢١٦.

Mohamed”Estekhdam Estrategit Algorila Alealania Lebt-ekar Ealanat Motahareka,Mokhtar Moaathera” Bahth Manshor-Magalet AL Emara w AL Fenoun w AL Elom AL Insania (Journal of Architecture, Arts and Humanistic Science) - Mogalad .Alawal-Aladad Alrabea-2016-P216

١٣- عمار، ياسر «استراتيجية ابتكارية للظلال كقيمة فنية مستحدثة في الإعلان» بحث منشور-مجلة العمارة والفنون- مجلد الثاني -العدد- ٢٠١٧-٦ ص. ٥٧٣

Yaser”Estrategia Ebtেকaria Lelzelal Kakema Fanya Mostah-datha Fe Alealan” - Bahth,Amar Manshor- Magalet AL Emara w AL Fenoun w AL Elom AL Insania(Journal of Architecture, Arts and Humanistic Science)- Al Mogalad Alawal- Aladad Al-sades-2017-P573

١٤- هنو، أحمد «توظيف تقنيات التحريك الفنية المختلفة في الإعلان التلفزيوني»-بحث منشور-.

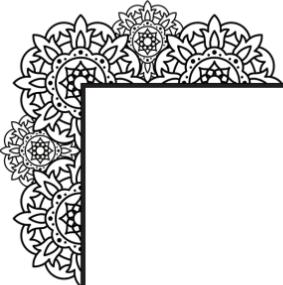
### مواقع الإنترنت:

- ١٥- هوامش الفيلم على موقع السينما. كوم. تاريخ الولوج ٣ أغسطس ٢٠١٥. نسخة محفوظة ٠١ مارس ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.
- ١٦- النقد الفني للفيلم على موقع السينما العربية. تاريخ الولوج ٣ أغسطس ٢٠١٥. نسخة محفوظة ٠٥ مارس ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.
- ١٧- ملخص قصة فيلم أميرة الروم على موقع السينما العربية. تاريخ الولوج ٣ يوليو ٢٠١٥. نسخة محفوظة ٠١ مارس ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.
- ١٨- القصة الكاملة للفيلم على موقع الفيلم. تاريخ الولوج ٣ يوليو ٢٠١٥. نسخة محفوظة ٠٦ أكتوبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.
- ١٩- موقع فيلم أميرة الروم، أبطال الفيلم. تاريخ الولوج ٣ أغسطس ٢٠١٥. نسخة محفوظة ٠٦ أكتوبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.
- Princess Of Rome نسخة محفوظة ٢١ سبتمبر ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.

<https://www.alukah.net/culture/0/103609/#ixzz6AZKemkwx>

10-http://bit.ly/2QDY7uv

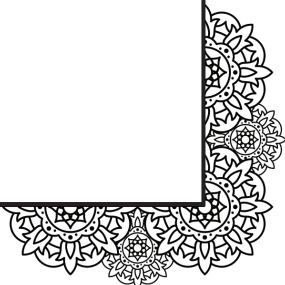
٢٠- ويكيبيديا الموسوعة



**مخاطر الاستلاب الثقافي الجديد**  
**قراءة في ضوء تمثّلات الانتماء في نهج البلاغة**

الباحث  
أ.د. علي مجيد البديري

جامعة البصرة / كلية الآداب



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

نتيجة لما يشهده العالم الراهن من تطورات واستحداثات كبيرة ومتنوعة جداً، في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، يعيش الإنسان المعاصر حياةً متغيرة، تتعدّد فيها الثقافات، وتفتح على مؤثراتٍ مختلفةٍ عبر قنوات التواصل المتعددة، وتشكّل في ظروفٍ متغيّرةٍ باستمرار، وهو ما جعل من الاختراق الثقافي لمجتمعاتنا المسلمة أمراً سهلاً، بدعوى الانفتاح والتواصل والتفاعل مع الحداثة ومتغيراتها. وكانت أبرز أهداف هذا الغزو القيم العقدية والأخلاقية، فأنتجت إنساناً مستلباً يقع تحت هيمنة ثقافات ضاغطة، وينقاد وراءها بتبعية عمياء.

تحاول هذه الدراسة المتواضعة أن تستضيء بنصوص من (نهج البلاغة) لأمر المؤمنين عليه السلام، اختصت بتأصيل الانتماء العقدي السليم إلى الدين الإسلامي وإثرائه، وسعت إلى تحقيق هوية الذات المؤمنة بارتكازها إلى قواعد راسخة في اليقين بالمبادئ العقدية الإلهية والقيم الإنسانية وفعاليتها في الحياة، وتتحصن بعدم التسليم لهيمنة الآخر فكراً وحضارةً مختلفة، والانتقال إلى فهم هذا الآخر والتعامل معه بحذرٍ، ووعيٍ كبيرين. وعلى الرغم من ارتباط كثير من خطب النهج وأقوال الإمام وحكمه بحوادث معينة عاشها عليه السلام، وأن مواقف الواضحة مثلت تحديات حياتية كثيرة ومختلفة، فإن بإمكان المؤمن المعاصر أن يفعلها في تحصيل الذات وكسر استعلاء الآخر المزيف، وتعرية أساليب هيمنته وسطوته، ويمكنه في الوقت نفسه أن يشدّد الصلة بالبعد الإنساني، ويفتح على الحياة.

في ضوء ذلك سنقرأ الواقع الراهن لمخاطر الاستلاب الجديد هذا، عبر التمثلات التي قدمتها نصوص النهج الشريف في بعدين: اختص الأول بمعاينة هذا الاستلاب وأدواته، ومديات تأثيره في المجتمع المعاصر، وانعكاس ذلك على نمط الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية ما بين الأفراد. واعتنى البعد الثاني بما يعزز هوية الانتفاء العقدي لقيم السماء، وامتداداتها الإنسانية الواسعة، وسبل التعاطي الأمثل مع الآخر المختلف، وحماية الذات وهويتها من الأفكار والممارسات المنحرفة.

### الاستلاب الثقافي وتأثيره في المجتمع الإسلامي المعاصر:

استعمل مصطلح الاستلاب لتوصيف أشدّ الظاهرات تبايناً وتنوعاً في ميادين الحياة المختلفة، في السياسة والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس والتاريخ فضلاً عن الفلسفة واللاهوت، وتنقّل هذا التوصيف بين حالات تتعلق بالعمل، والمال، والأمراض، والأزمات النفسية، والسلبية السياسية، وضعف الإيمان وغيرها. وورد المصطلح في الفلسفة واللاهوت في توصيف الغربة عن الله، والانقطاع عن السماء، والانفصال الفردي والاجتماعي، وانسحاق الفرد تحت هيمنة الأشياء، واستلابه إزاء الأفكار الغربية الوافدة، التي تحاول السيطرة على الآخر، وجعله تابعاً لها.<sup>(١)</sup>

تعددت مسببات الشعور بالاستلاب؛ إذ تدخل في ذلك جميع حالات الاضطراب النفسي التي تصيب الشخصية، وعلى ذلك يدخل الاغتراب مضمار السلوك المرضي على وفق هذه الرؤية. ولعلّ فيما يسميه علم النفس بـ(الحالات الذهانية) إجمالاً لتلك الاضطرابات ففيها (يكون الإنسان منفصلاً عن محيطه، وعاجزاً عن خلق التوافق مع الآخرين)<sup>(٢)</sup>، ويبدأ الشعور بالاستلاب عبر صراع نفسي حاد، سببه خروج الحضارة التي

(١) ينظر الاستلاب: فالح عبد الجبار، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١٨: ١٤.

(٢) علم النفس وتطبيقاته التربوية والاجتماعية: د. عبد علي الجسماني، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٤: ٧٦.

أسسها الإنسان بجهدده على نحو يتعارض مع أهوائه ويتناقض معها. ومن هنا مارست الحضارة في بعض وجوهها فعلاً استلاباً بحق الإنسان، وحملته على كبت غرائزه، ودفعت الأنا إلى أن تمارس فعلاً وقائياً، تجسّد في الهروب من الواقع، والشعور بالقلق، وهو ما يعني انفصلاً ما بين الإنسان ومحيطه.

ويعرّف علم الاجتماع الاستلاب بأنّه الحالة (السيكو اجتماعية) التي تسيطر على الفرد سيطرة تامة، تجعله غريباً وبعيداً عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي.<sup>(١)</sup> ويحدّد عدّة استعمالات للاستلاب، وهي انعدام قدرة الفرد على تغيير وضع اجتماعي معين يرفضه، أو أن يكون الفرد عائماً بلا هدف أو عقيدة توجه سلوكه، وغالباً ما يشعر بعدم وجود المقاييس المتعارف عليها في المجتمع والأخلاق، وبأنّه غريب عن مجتمعه وتوجهاته غير منتمٍ لأهدافه، وهو ما يقوده إلى الانعزال والانكفاء على ذاته.<sup>(٢)</sup>

وتحدد الرؤية الإسلامية اغتراب الضالّ عن الله تبارك وتعالى وانقطاعه عنه بأنّها تيه وضياح؛ فالإسلام يرى أنّ من الممكن أن يكون للوعي الزائف مكاناً خلف هذا الموقف الرافض للدين، والمغترب عن السماء، إذ لا نجد بحثاً أو سؤالاً خلف هذا التيه، بل نجد التقليد للآخر، واتباعه والتسليم لقناعاته، تحت ضغط الانبهار به والشعور بالدونية إزاءه، على نحو يجسد ما يسمى بـ (الشخصية التسويقية) التي ((تمتلك أنا كبير الحجم، دائم التغير، ولكن بلا ذات أو جوهر أو إحساس بالهوية)).<sup>(٣)</sup>، ويقضي الإسلام بشكل تامّ على مثل هذا الشعور بالاستلاب، وينبّه الإنسان على أنّه جزء من كون متسع، مترابط، وأنّ عليه البحث

(١) معجم علم الاجتماع: دينكن ميشيل، تر: د. إحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠: ٢٠.

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٢٢.

(٣) الإنسان بين الجوهر والمظهر: إريك فروم، تر: سعد زهران، مراجعة: لطفي فطيم، الكويت، ١٩٨٩: ١٥٨.

عن الأواصر التي تربطه به، وأن يسأل أسئلته الكبرى عن وجوده ومصيره، ويبحث عبر منهج موضوعي سليم عن عقيدة صحيحة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وبهذا الشكل يصافح الإسلام الإنسان، ويدعوه إلى استنطاق العقل، وعقد الصلة ما بين حياته: الحياة الدنيا والحياة الآخرة، ويوسع من ميدان العمل، ويريد منه نظرة أعمق إلى مصالحه ومنافعه، ويجعل من الخسارة العاجلة ربحاً حقيقياً في هذه النظرة العميقة، ومن الأرباح العاجلة خسارة حقيقية في نهاية المطاف، ويخفف من غلواء حب التملك، ويحل محلها الألفة مع الأشياء والكائنات، ويتخذ ذلك طريقاً إلى رضا الله جلّ وعلا؛ وبدون هذا الوعي بحقائق العلاقات يكون الوقوع تحت هيمنة الآخر المختلف المستغل، متأثراً بالغث والسمين من الأفكار والمعتقدات المنقطعة عن السماء. وبذلك يعدّ الإسلام الانقطاع عن الله تعالى سبب الارتباك والانحراف الذي يصيب علاقات الإنسان بمحيطه، بل إنّ علاقة الصدام والتنكر تمتدّ إلى ما بينه وبين الأجيال، حيث يرفض المغترب السلبي الموارث الحضارية، ويهدر جهود أجيال متعاقبة في التراث الإنساني الكبير، ويهملها، بل ويصبح شطب مقطع زمني من عمر الأمة أمراً سهلاً، بل محتوماً.<sup>(٢)</sup>

وتتضاعف خطورة الاستلاب في عالمنا الإسلامي الراهن بعدما تعددت قنوات النشاط الثقافي المغاير وتنوعت سبل تأثيرها في المجتمعات والثقافات المختلفة؛ فكثير منها حولت الكون إلى واقع افتراضي، وسعت إلى خلق علاقات مجردة من أية قيمة مسبقة ما بين البشر، وإلى ترسيخ قناعات وأفكار هي في محتواها وجوهرها لا تنسجم غالباً مع البيئة التي نفد عليها؛ الأمر الذي جعل من هذه المجتمعات عرضة لأفكار غريبة ووافدة، تؤثر بشكل كبير

(١) سورة العنكبوت الآية: ٦٩.

(٢) ينظر: حق الأمان في المجالات المختلفة: الشيخ محمد مهدي الآصفي، دار الحق/ دار الروضة/ دار الثقلين-بيروت، ١٩٨٩: ٢٠٨.

وفاعل في شرائح واسعة من المجتمع، ما زال أفراده في طور التكوين الفكري، لم ينالوا بعد حظاً وافراً من الثقافة يؤهلهم للتمييز ما بين الضارّ والنافع من هذه الأفكار، ونتج عن ذلك استلاب ديني وفكري ومعرفي في ظلّ عالم تتحكم فيه قوى استكبارية لها نفوذها الكبير في ثقافات العالم المختلفة، ولا تعني بمسارات الواقع المجتمعي وأبعاده الروحية والأخلاقية، مثلما تعني بما هو سياسي واقتصادي وما يخدم مصالحها الذاتية.

من جانب آخر فإنّ استجابة المجتمعات للثقافات الوافدة أمر تحدّد السياقات الثقافية وفواعلها. ومن الطبيعي أن تتسم البنيات المجتمعية بالتغير والتحول المستمر تبعاً للمتغيرات الخارجية السياسية والاقتصادية والثقافية؛ وهذا الحراك والتغير هو دليل عافية، ونتيجة حتمية لعلاقة المجتمع بالسياقات الخارجية المذكورة، ولكنه من وجه آخر يسفر عن محذورات وفجوات وأزمات حقيقية، تنتج عن تعامل المجتمع مع هذه المتغيرات، وهضمه وتمثله لها، وقبل ذلك في طريقة قراءته لهذه المتغيرات ومستوى تفاعله معها.

### نهج البلاغة وركائز الوعي بالحياة:

لقد بات معروفاً أنّ ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من خطب ووصايا ورسائل وحكم كثيرة، قد تخطى حدود هذه الأنواع الأدبية إلى كونه خطاباً شاملاً لجوانب الحياة وأبعادها المختلفة بشكل استثنائي، اعتنى ببناء الإنسان ونظم أمره، وبنائه داخلياً: عقدياً ونفسياً وسلوكياً، وانعكاس ذلك على علاقاته مع الآخرين، والتي من الممكن أن تكون نواة مولدة لمعنى جوهرى يصوغ علاقات المجتمعات مع بعضها البعض.

### من هذه النصوص التي تعدد ركائز الفهم والوعي قوله (عليه السلام):

(وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعَشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَاحِحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ)<sup>(١)</sup>.

(١) نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لجامعة الشريف الرضي: تحقيق: السيد هاشم الميلاني، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ٢٠١٠: خطبة (١٠٨).

تقوم ركائز المعرفة وأسس التعامل مع الواقع في هذا النصّ على رؤية الأشياء والأشخاص والحوادث كما هي في الواقع، بشكل موضوعي، ومن ثم الوعي بتفاصيل كلّ ما نراه ونسمعه، عبر تفعيل أدوات البصيرة والوعي والفهم، بطريقة لا تعطلها الأهواء والعواطف، وتجعل منها مجرد حواس خارجية تلتقط الظاهري من المحسوسات دون غيرها. ومن هنا نجد أنّ الميول القلبية تعطل هذه الحواس، فحينما ينطلق الفرد من انبهار مسبق بالآخر المختلف وبثقافته وقيمه المغايرة، فإنّ ذلك سيشكل حجاباً وغشاءً يعمي البصيرة ويحجبها عن إدراك حقائق الأمور، بل هي تمرض المشاعر وتتحكم في المواقف، فيصبح ناظراً بعين مريضة، ويسمع بأذن لا تعي ما تسمع ولا تميزه؛ ومن ثمّ فإنّ الشهوات ستعطل عمل العقل، وتमित هذه الشهوات قلبه وبصيرته. وهكذا، فإنّ ما يمكن أن يتوسله الفرد من طرق في تحقيق المعرفة والفهم، ومن ثمّ اتخاذ المواقف من الحالات المختلفة التي يعيشها في واقعه، ستكون معطلة وغير فاعلة، فيبين نصّ الإمام (عليه السلام) أهمية الفهم والوعي في المواقف، فهو يجعل من الأشياء مختلفة اختلافاً جوهرياً، لأنّ ذلك سيكون قائماً على مراقبة الواقع وتفكيك عناصره وتفسيرها وفهمها، ليكون الموقف المتخذ موقفاً سليماً وصحيحاً وفاعلاً في الحياة.

وإذا ما جمعنا بعض نصوص نهج البلاغة على نحو متوالٍ، سنجد تشخيصاً بالغ الدقة لحاجة الفرد في كلّ زمان ومكان، فركائز الوعي تحضر في بنية مترابطة في النصوص، مثلما يراد لها في الحياة. من ذلك نقرأ قوله (عليه السلام):

(إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعَبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ حَجَرَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ..... أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسُ حِمْلٍ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَخُلِعَتْ جُحُمُهَا فَتَفَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلِّلَ حِمْلٌ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأَعْطُوا أَرْمَتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ حَقٌّ

وَبَاطِلٌ وَلِكُلِّ أَهْلٍ فَلَيْتٌ أَمْرُ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَ وَلَيْتَ قُلُ الْحَقُّ فَلَرَبُّمَا وَلَعَلَّ وَلَقَلَّمَا أَذْبَرَ شَيْءٌ<sup>١٦</sup> فَأَقْبَلَ<sup>(١)</sup>.

**وقوله في وصف محورية القرآن الكريم في الحياة:**

(ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُظْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجًا لَا يَجْبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحْرًا لَا يَدْرِكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَا جَاءَ لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ وَفَرْقَانًا لَا يُخَمِّدُ بَرْهَانُهُ وَتَبَيَّنَا لَا تُهْدَمُ أَرْكَائُهُ وَشِفَاءٌ لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَعِزٌّ لَا تَهْزُمُ أَنْصَارُهُ وَحَقٌّ لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ).<sup>(٢)</sup>

**وقوله في ذم أتباع الشيطان والمنقادين لغوايته:**

(اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِمَرْهَمٍ مَلَكَاً وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَاءَ فَبَاصَّ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَّالَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ فَعَلَّ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ).<sup>(٣)</sup>

**وقوله ﷺ مختصراً سبل البصيرة ومحذراً من مسالك الشيطان:**

(وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ وَلَا تَدْخُلُوا بُطُونَكُمْ لَعَنَ الْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بَعِينَ  
مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمُعْصِيَةَ وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ) <sup>(٤)</sup>

ومع أنّ هذه النصوص قد توجّهت إلى الإنسان المؤمن لتضيء له مسالك الحياة الطيبة، إلّا أنّها لا تنسلخ عن شخص أمير المؤمنين (عليه السلام)، فتجربته ورؤيته النافذة حاضرة فيها، والنصوص بدورها لصيقة بالواقع وأبعاد الحياة، تمارس دوراً فاعلاً في توسيع الآفاق

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٦.

(٢) المصدر نفسه: الخطبة: ١٩٨.

(٣) المصدر نفسه: الخطوة ٧.

(٤) المصدر نفسه: الخطبة: ١٥١.

أمام الناس؛ ففيها ما يثري البصيرة بسبل التعامل مع حوادث مستقبلية يمكن أن يعيشها الإنسان في حياته.

إنَّ اتخاذ المواقف السليمة إزاء الأحداث والأفكار والأمور الحياتية المختلفة يركز على فهم يمكن الفرد المؤمن من أن يكون حذراً في منح أحقية لكل المواقف التي تحدث أمامه، فهو لا يتقبلها بشكل عفوي سريع ومنفعل، بل يخضعها إلى تأمل متأن وفهم عميق. ولذلك فالخطايا والشبهات يبعدها الفرد في مقابل استيعابه لتصريح العبر مما حدث ويحدث أمامه، متخذاً من تقوى الله جلّ وعلا حصناً من الوقوع في الزلل والذنوب، وسبيلاً إلى النجاة من شرك الشيطان.

ومن الطبيعي أن يرتبط مفهوم التقوى بمحور تحقّقه، وهو القرآن الكريم؛ ولذلك يصفه أمير المؤمنين عليه السلام بالمصباح والسراج والبحر والمنهاج والشعاع والفرقان والبيان والشفاء والعزّ والحق، وكلّها صفات كفيلة بأن تجعل من مثل هذه الوسيلة كافية وناجعة للإنسان، في كلّ أبعاد حياته، ولذلك تجد هذا النصّ يميز بين أتباع القرآن والبصيرة، وبين الذين اتخذوا الشيطان إماماً لهم، واتخذهم الشيطان بدوره شركاء، فهم ينظرون بعين الشيطان، وينطقون بلسانه، وهو يقودهم إلى مسالك ومدارج توصلهم إلى التهلكة في الدارين.

وبذلك يتّضح أنّ الوعي والفهم ضروريان في حياة الإنسان واتخاذ المواقف، عبر البصيرة التي تدرك جوهر الأشياء وفهمها؛ ولذلك فمحوريته في الحياة تكمن في أنّه يتداخل في نسيجها بمستوياتها المختلفة، ويمنح الفرد المؤمن سبل القراءة الواعية للواقع، وسلوك سبل النجاة المبسوطة أمامه. ولا شك في أنّ لهذه القراءة مقوماتها الإسلامية الواعية، فهي تركز إلى عقل راجح، وبصيرة متفتّحة، تستقي من القرآن الكريم، وأحاديث النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين، ومن سيرهم منهجاً بلامح ثابتة وخطوات واضحة.

### الهوية الإسلامية وسبل ترسيخ الانتماء:

تمتاز هوية المؤمن بكونها ذات بُعدين: بُعد روحي، وآخر ثقافي، ولذلك فهي من الهويات الراسخة والثابتة والقوية، وتعدّ مسألة خرقها أو زعزعتها ليست بالسهلة، وهو ما يفسر بقاء ركانها طوال هذه القرون الطويلة، وإلى ما يشاء الله؛ إلا أنّ سبل الغزو الثقافي الذي اجتاحت الثقافة العربية، وحاول أن يززع ثوابتها، قد تأثرت به مجتمعات إسلامية عدّة على نحو ومستوى معينين؛ وهو لا يعني زوال هذه الهوية أو سقوطها بل اتسمت في بعض تمثّلاتها باعتناق هجنة ثقافية غير متجانسة، نتيجة تقبل غير واعي للأفكار الوافدة والثقافات المختلفة التي انتجتها بيئات مختلفة عن بيئة الثقافة الإسلامية.

في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) تبيان للهوية الإسلامية الراسخة، التي لا تتغير ولا تتأثر بأي أفكار وضعية وافدة، ومناطق الانتماء لها هو باحترامها والثبات على قيمها، والتمهي مع جوهرها الإلهي.

يقول (عليه السلام) في خطبة له: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسَلَامًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ، وَثَوْرًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَبَصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبرَةً لِمَنْ اتَّعَطَّ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ. فَهُوَ أَبْلَجُ الْمُنَاجِجِ وَأَوْضَحُ الْوَلَائِجِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمُضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحُلْبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبُقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ. التَّصَدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالْدُّنْيَا مَضْمَارُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سُبُقَتُهُ.)<sup>(١)</sup>

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٠٦).

هنا يتجلى الإسلام بوصفه هوية متكاملة للمؤمن، تمنحه شعوراً بالانتماء والطمأنينة والسكينة، ولهذا الانتماء خصوصية؛ فالفرد فيه لا يشعر بأنه أسير كينونته الخاصة، بل هو جزءٌ من مجموع يرتبط معه بثوابت كثيرة، وبوحدة مصير وأهداف جلية، سواء أكانت أهدافاً دنيوية أم أخروية. ولهذا الانتماء فاعلية في حياة الإنسان المؤمن وقيم عليا، فهو يمثل كنه وجوده، ويتعلق بمآل أموره وحياته ومصيره في الحياة الأخرى، وهو بهذا يختلف تمام الاختلاف عن الهويات القلقة، والهويات المؤقتة التي ترتبط ببيئة وثقافة مختلفتين؛ فضلاً عن أنه انتماء مطلق، يرتبط بالحياة الأخرى، مما يمنحها امتداداً نادراً واستثنائياً لا نجده في الهويات الأخرى.

### تمثيلات الانتماء العقدي والإنساني:

إنَّ من أساليب الاستلاب الثقافي سعي أدوات التغريب ودعائه إلى تعميق النظرة النمطية السلبية عن الإسلام والثقافة الإسلامية من خلال أشكال العولمة السياسية والإعلامية والثقافية ومستوياتها. ويكون من خلالها التركيز على سلبيات الواقع الإسلامي والعربي، وإبرازها منسوبة إلى الدين نفسه، في محاولة لتزييف عقائده ومفاهيمه وقيمه وأحكامه وشرائعه، والدعوة بشكل غير مباشر إلى التعاطي معه كدينٍ ماضي، وهوية مغلقة، وثقافة يغمرها التطرف والعنف ونبد الآخرين والافتراق عنه. ويفتقر هذا الدين في ضوء هذه الرؤية إلى التطور وإلى الانسجام مع العصر ومستحدثاته، والحياة الراهنة، ومن ثم لا مكان لهذا الدين وغيره في عالم يسوده التقدم والازدهار في شتى مجالات الحياة. ويزعم دعاة التغريب أيضاً أنَّ هذا الأمر هو الذي يمنع العرب والمسلمين من بلوغ النهضة الحضارية الراهنة، وهو ما يماثل الواقع الأوروبي الذي لم يبلغ التطور والحضارة إلا بنبد الكنيسة وقيمتها، ونبد الدين ككل. وكذلك لا بدّ للعرب والمسلمين من أن يسيروا على

خطى الغرب، ويتماهاوا معهم كلياً.<sup>(١)</sup> ولا يخفى ما في هذه الرؤية من جناية كبيرة على التراث الإسلامي الفاعل في الحياة، فمنجز الحضارة الإسلامية دليل على كونها منتجة للثقافة بشكل متقدم وكبير لا مجرد مستهلكة لها. وفي الوقت نفسه، هي قادرة على تحقيق الاستمرار في تحقيق ذلك، وهو أمر ينسجم مع النوع الإنساني الذي هو بالفطرة المودعة فيه يسعى دؤوباً إلى سعادته الحقيقية، وهي استوائه على عرش حياته الروحية والجسمية معاً، حياة تشتمل على إعطاء النفس حظها من السلوك الديني والأخروي، وهذا هو الإسلام دين التوحيد. أما الانحرافات الواقعة في سير الإنسانية، فإنما هو من جهة الخطأ في التطبيق لا من جهة بطلان حكم الفطرة، وهو أمر بدهي. ففي كل الظواهر يكون التمييز ما بين النظري والإجرائي، والغاية التي يعقبها الصنع والإيجاد لا بد أن تقع يوماً، إن عاجلاً أو آجلاً.<sup>(٢)</sup>

في مقابل حالة الاستلاب التي يمكن وصفها بالعمى الثقافي الجديد، تقف الرؤية الإسلامية المرتكزة على مبدأ عقدي ومعرفي في بيان سبل الثبات أمام غزو ثقافي من هذا النوع، فيقدم أمير المؤمنين (عليه السلام) في كثير من خطبه تبياناً لسبل ترسيخ الانتماء العقدي، وتمثيلاً لعبادياً وسلوكياً له. فكل تفاصيل ملاحمه عملية. يقول (عليه السلام) في تبين الإيمان:

(الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجَهَادِ. وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشَّوْقِ وَالشَّفَقِ وَالزُّهْدِ وَالْتَرَقُّبِ؛ فَمَنْ إِشْتَقَّ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنْ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ، وَمَنْ

(١) ينظر: التغريب والعولمة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، الآثار والتداعيات وآليات المواجهة: نبيل علي صالح، ضمن كتاب: نحن والتغريب مجموعه مؤلفين، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف، ط ١، ٢٠٢١: ١٢٢.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠، ج ٤: ١٣١.

إِزْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارِعًا إِلَى الْخَيْرَاتِ. وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبَصُّرَةِ الْفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ، وَمَوْعِظَةِ الْعِبَرَةِ، وَسُنَّةِ الْأَوَّلِينَ؛ فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبَرَةَ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِبَرَةَ فَكَانَتْهَا كَانَتْ فِي الْأَوَّلِينَ. وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى غَايَةِ الْفَهْمِ، وَغُورِ الْعِلْمِ، وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ، وَرَسَاخَةِ الْجُلْمِ؛ فَمَنْ فَهَمَ عِلْمَ غُورِ الْعِلْمِ، وَمَنْ عِلْمَ غُورِ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ، وَمَنْ حَلَّمَ لَمْ يَفْرِطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيدًا. وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّدَقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وَشَتَاتِ الْفَاسِقِينَ؛ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْوَفَ الْكَافِرِينَ، وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ/ وَمَنْ شَتَّى الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ اللَّهُ غَضَبًا لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>.

يختصر هذا النصُّ لأمر المؤمنين عليهم السلام حقيقة الإيثار ويجدد دعائمه، مفصلاً القول فيها؛ فهي تمثل بمجملها جوهر الإيثار، وجوهر الإسلام. في دعامة الصبر، نجد العامل المشترك بين شعبه هو المراقبة والترقب: مراقبة النفس، وترقب الأجر والعاقبة الحسنة عبر الاشتياق إلى الجنة، وينتج عن مراقبة النفس اجتناب المحرمات، والزهد في الدنيا. فإذا تحقق ذلك هان بلاء الدنيا ومصائبها ومشاكلها وهمومها على النفس. أما في الترقب، فيكون الموت الذي سيقود إلى الخيرات نصب العين، لا كما تشيعه النظرة العدمية. وفي دعامة اليقين نجدها قائمة على المعرفة، فهي عمادها، وتمثلاتها في (تبصرة الفطنة، تأوُّل الحكمة، موعظة العبرة، سنة الأولين)؛ كل ذلك مرتبط بمحورية المعرفة. أما العدل، فلا يكاد يبتعد عن دعامة اليقين فهو أيضاً قائم على المعرفة والبعد الأخلاقي. أما الجهاد فيجسّد في وجه من وجوهه علاقة المؤمن بالآخر المختلف، فمن الجهاد جهاد التبيين عبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإشاعة الحق وتبيينه، وكشف الفسق والنفاق والفجور وتقييده والابتعاد عنه،

(١) نهج البلاغة: الحكمة رقم (٢٧).

ثم جهاد الصدق في كلّ المواطن والأحوال، وبدونه لا يتحقق الإخلاص النقي الصادق في العمل. وهكذا ففي جوهر دعامة الجهاد نجد نظماً وصياغة لطبيعة العلاقة مع الآخر المختلف، وكلّ هذه الشعب ستعلي في النهاية من شأن المؤمن، وتشد ظهره، وفي الوقت نفسه، يرغم أنف الكافر، ويقلل من شأنه وقيّمته، وسيقود الأمر في النهاية إلى رضا الله يوم القيامة.

استطاعت هذه الرؤية المجملّة أن تحتزل صورة الإيمان في جمل أربعة، فيها تفصيلات تحدد من خلالها الدعائم الأربعة للإيمان، وتختصر هوية الإسلام. ويمكن لهذه الصورة أن تقف على الضدّ في مواجهة العمى الثقافي الراهن الذي لا يرى في الآخر الغربي إلّا واقعاً مادياً متفوقاً ونامياً، ويشعر بدونيّة قبالتة، ويضع نفسه في نسق ضيق ومحدد قوامه الانبهار بهذا الآخر، ليكون في نهاية الأمر تابعاً لهذه الثقافة الوافدة.

لقد سعى التغريب إلى إحداث تأثير بالغ في الثقافة الإسلامية العربية وفي المجتمعات العربية بشكل عام بطرق تعتمد آلية التكرار والاستمرار في آنٍ واحد في ترسيخ الثقافات التي يريد إشاعتها في هذه المجتمعات، وهذا أمر لا شك أنه مدروس. فإحداث التغيير وإغراس ثقافات جديدة في مجتمع جديد يحتاج إلى وقت، ولكي يحدث تأثيراً وتغييراً ملحوظاً في السلوكيات وفي الأفكار والثقافات والممارسات المجتمعية. كما إنّه لم يخف عليه صعوبة تحقيق هذا الأمر، لأنّ مسألة تغيير تمثيلات راسخة لقيم وعقائد وأفكار وأخلاقيات ثابتة في مجتمع ما، لا بدّها من أن تخضع لعملية تفكيك نفسي ثقافي قبلاً، ومن ثم تتخذ في ضوء نتائجها الوسائل والسبل لتحقيق غزوها والتأثير فيها وتغييرها؛ وهذا ما عمدت إليه الثقافة الغربية في غزوها الممنهج للثقافة العربية. ولا يخفى أنّ هناك عمليات استجلاب ثقافي تعمل إلى جانب ذلك، وهي متنوعة في منطلقاتها وإجراءاتها؛ فمنها ما يعمل تحت تأثير الانبهار بهذا الآخر، فيكون تابعاً له؛ ومنها ما يكون واعياً في تحركه وانفتاحه على

الوافد، مرتكزاً على ثقافة إسلامية قائمة على أسس قوية ومتماسكة، مؤهلة لأن تواجه الثقافة الأجنبية دونها خشية من الوقوع في الاستلاب والتبعية والتقليد. فلا خلاف في أنّ الحديث في عالم اليوم عما يسمى باستقلالية الوعي والثقافة أمر مغاير للواقع وبعيد عنه، فلا يمكن في ضوء الانفتاح الهائل الذي تشهده المجتمعات والثقافات المختلفة على بعضها أن تحتفظ بوعياها المستقل أو ثقافتها الخالصة المستقلة، من دون وجود صدى لمؤثرات خارجية، وحتى لو سعت على المستوى النظري إلى ذلك، فإنّها على المستوى الواقعي والإجرائي يتشكل ما هو خلاف ذلك؛ إذ إنّ الأفراد في المجتمعات بلا شكّ ليسوا على مستوى واحد من الوعي والثقافة والقوة في مجابهة الدخيل من الثقافات والأفكار والقيم والأخلاق. وينتج عن هذا التفاوت في المستويات تفاعلٌ وتأثرٌ بمستوى ما مع هذا الوافد. من هنا نحن أمام حقيقة واقعية، وهي عدم وجود ثقافة صافية، ولا بدّ من أن نجد في كلّ ثقافة أصداء من ثقافات مختلفة.

وفي ضوء معطيات كلام الإمام (عليه السلام) التي كان الآخر حاضراً في ثناياها، بوصف الإيمان قائماً في أغلب شعب دعائمه على التعامل مع الآخرين، يمكن أن تتشكل في مجتمع الثقافة كفاءات للتعاطي مع حالات الاستلاب الحديثة؛ فواحدة من وسائل مجابهة الحداثة الغربية الوافدة وتغلغلها في المجتمعات الإسلامية هي ما أسماه البعض بالممانعة المتكيفة مع إكراهات الحداثة<sup>(١)</sup>، وهي لا تعني اتخاذ موقف رافض حادّ وشامل لكلّ معطيات الحداثة الثقافية، بل هي تتعامل معها بهدف تغذية نفسها بما تقبله من هذه المعطيات، وتعيد إنتاج نفسها من خلال هضم هذه المعطيات واستعمال أدوات الحداثة، وهو ما يعني التكيف أو إقامة مقتضى تخطيطي لا يستسلم ثقافياً لمنظومة الثقافة الغربية الحداثيّة، وقد مثلت ردّاً

(١) ينظر: العرب والحداثة، دراسة في مقالات الحداثيين: د. عبد الإله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة

فكرياً متكاملًا وإيجابياً في التعامل مع الثقافات الوافدة فسعت إلى بناء خطاب إسلامي منفتح ومتطلع إلى تأهيل المجتمع الإسلامي للمشاركة في بناء الحضارة الإنسانية وصناعة التاريخ، وهو مع تعامله مع هذه الحداثات الوافدة لم يتعد عن سياق الإسلام، ومشروعه الثقافي في مجابهة الفكر الغربي وغزوه الثقافي للإسلام. وفي ضوء ذلك، لا يعبر الدين عن حالة ماضية، أو إنه عبارة عن رؤية للحياة ومنهج للسلوك والعيش فيها قد مضى وقته وانتهى، كما تفهم وتروج الثقافة الغربية الراهنة، بل هو جزء من الحياة منذ بدايتها وحتى منتهاها لا ينفصل عنها ولا يختفي، وملازم لكل جزء منها، للدين نسقه النموذجي في فهم الحياة ووضع الرؤية الواضحة لها وللتعامل مع أحوالها وتبدلاتها.

إنَّ شرط التعامل مع الثقافات المختلفة والتفاعل معها والإفادة منها منوط بكون هذه الثقافات ثقافات طبيعية، فالملاك والمعيار في أن تكون طبيعية. فإن كانت كذلك وجب اتباعها والعمل على نقلها إلى مجتمعنا والإفادة منها، وقبلًا يجب القيام بعملية ما يمكن تسميتها بالغربة الثقافية<sup>(١)</sup>، لأجل فرز الثقافة الطبيعية من غيرها، والتعامل مع الثقافات الأجنبية الوافدة بوعي ودراسة وفهم قبل كل شيء. فلا بد أن تخضع هذه الثقافات إلى التهذيب والإصلاح، لكي تنسجم مع طبيعة الأخلاقيات الإنسانية السامية التي يجب أن تتسم بها الثقافة الطليعية ويفيد منها المجتمع الإسلامي.

لعلَّ من الممكن استنتاج ثلاث ركائز تمثل دعائم أساسية لفهم الأنا وعلاقتها بالآخر المختلف؛ الركيزة الأولى قرآنية، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>. والركيزة الثانية حديث للنبي ﷺ: (أيها الناس إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل

(١) ينظر: المصدر السابق: ٣٧٧.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

لمؤمن مال أخيه إلا من طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعن [بعدي] كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد؛ كلكم لآدم، وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى<sup>(١)</sup>. أما الركيزة الثالثة فقول أمير المؤمنين عليه السلام: (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ، وَتَعْرِضُ لَهُمْ الْعِلَلُ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ)<sup>(٢)</sup>.

المؤمن والآخر هنا جزآن مختلفان غير أنهما مرتبطان في معنى كلي واحد هو الإنسان؛ ليتبين أن كل إنسان مرتبط بأخيه الإنسان بأحد الصنفين أو بكليهما، وهي رابطة تفصح عن العلاقة بين بني آدم، وتوجب تحقيق العدالة والمساواة والعفو والصّفح فيما بينهم من دون تمييز. فليس هناك عامل تمييز غير التقوى، وما يمكن أن يتشكل من كيفية تنظم علاقة الأنا بالآخر يجب أن تقوم على الاعتقاد بعدم وجود اختلاف جوهري، أو شعور بالتفوق أو بالنقص، ليس هناك ما يمكن أن يشكل تمايزاً واختلافاً جوهرياً بين الأنا والآخر، إلا بمعيار الارتباط بالله تبارك وتعالى، وهو التقوى. فالغاية من التعدّد ليس الاختلاف، وإنّما التعارف والاتّلاف، وهو ما تقوم عليه الرؤية الإنسانية في جوهرها.

لقد وضع الإسلام سلسلة من القواعد الأخلاقية المشتركة بين جميع الناس تمهيداً لتطبيق القوانين الحقوقية، ويجب أن يتعلم الناس أن هناك -فضلاً عن الحقوق الضامنة

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر

المجلسي، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، ج ٧٣ : ٣٥٠.

(٢) نهج البلاغة: الرسائل (٥٣).

للتعايش السلمي الطبيعي بين الناس - حقوقاً للحفاظ على أرواحهم، أيضاً فما لم يدرك الناس أهمية القيم المتعالية، وضرورتها لن يعدوا أنفسهم أعضاء في أسرة بشرية واحدة. ومن هنا أكد الإسلام أهمية التآخي بين البشر، وأن جميع الناس عيال الله والعلاقة بينهم قائمة على الاحترام المتبادل والحب، وما لم يضبط الناس شهواتهم ونزواتهم لن تتحقق الحقوق العالمية للإنسان، ولا تقوم على أساس من الحقيقة والواقع.<sup>(١)</sup> وبذلك فإن كل ما قيل وكتب حول وعي الذات بخصوصيتها واختلافها مع الآخر واختلاف الرؤى حول العلاقة مع هذا الآخر بين الانفتاح والانغلاق بين الارتكاز على خطاب يؤكد التفوق الثقافي والحضاري، كلها لا يمكن أن تصمد أمام الخطاب الإسلامي الذي يركز كما قلنا إلى هذه الركائز الثلاث، على الرغم من تعدد الكيفيات في التعامل مع الآخر، وفي وعي الذات أولاً على كيفيات متعددة بتعدد الأجيال وتعاقبها خلال هذه السنوات من عمر الحضارة الإسلامية. على الرغم من ذلك تبقى الأسس، ويبقى الجوهر الذي وضعه القرآن والنبى ووصيه وآل بيته، هي الركائز الحقيقية الواضحة التي لا تقبل الضعف والاختلاف في حدودها واضحة والعلاقة كذلك فيها واضحة مع الآخر، هناك آخر متعدد يمكن أن تكون هناك كيفية متعددة للتعامل معه، ولكنها في جوهرها تركز على ثوابت إسلامية إلهية يلتزم بها المؤمن ويرتكز إليها في رؤيته وموقفه.

### يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لولده الإمام الحسن (عليه السلام):

(يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَاحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ،

(١) ينظر: العلامة الشيخ الجعفري والابتعاد عن الفلسفة التقليدية: عبد الله نصري، ضمن كتاب: نحن والغرب مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي: إعداد وتحرير: أ.د. عامر عبد زيد الوائلي، هاشم الميلاني، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية، ط ١، ٢٠١٧: ج ٢: ٤٠٥.

وَاسْتَقْبَحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبَحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ هُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قُلْ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ).<sup>(١)</sup>

في هذا النصّ التربوي الكبير منهج عمل في آلية التعامل مع الآخر، عماده جعل النفس ميزاناً يحتكم إليه المؤمن في معاملاته وأقواله. ويقتضي الإنصاف هنا أن يكون الانحياز للذات انحيازاً للآخر في الوقت نفسه. فليس هناك تفضيل للذات على حساب الآخر، فكما أنّ للذات حقوقاً، عليها واجبات تجاه الآخر. ومن الإنصاف أن يكون الفرد ناظراً لحياة الآخرين ووجوده وكيانه على أنّها ذات قيمة محترمة، وهو ما يضمن ألاّ يبغي طرف على الطرف الآخر، بل سيدافع عنه إن اقتضت الضرورة ذلك. ولعل المعنى النهائي الذي يريد النصّ أن ينتهي إليه هو تحقيق حالة التشارك في العيش، والارتباط مع الآخر بشكل يضمن تعهداً باحترام كلّ طرف منهما للآخر، ولا يعني جعل النفس معياراً أو مقياساً يحتكم إليه الفرد إعلاءً للذات أو تقديراً لها، بل على العكس من ذلك فهي على الرغم من كونها ميزاناً في هذا النصّ إلاّ أنّها في حقيقتها ذات معترفة بقصورها وتقصيرها ابتداءً، فهي لا تعرف كلّ شيء، ولا يبدر منها إلاّ الحسن، هي معرضة لأن تفعل القبيح، وتجهل الكثير؛ ولذلك يجب الانطلاق في العلاقة مع الآخر من معرفه تقصير الذات ونقصانها قبل كلّ شيء.

إنّ هذا المعنى الاسلامي العميق لا نجده في الثقافة الغربية الراهنة، بأيّ شكل من الأشكال، فهي ثقافة قائمة على الرؤية المادية، ويطغى عليها اللون الثقافي الواحد الذي يمجّد من مصلحة الذات، ويعلي من قيمتها بأنويّة عالية، لا يمكن أن يضاهيها أحد، (إنّ عالمنا المعاصر ينقسم بقدر كافٍ من الدقة إلى ديني وديني، والإسلام لا يعترف دائماً بهذا التقسيم، ويتطلع إلى أن يذوب فيه الدين والديني، وهو يكتشف الديني عبر الدين،

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٣١)

ولكنه يترك حيزاً كبيراً للغاية لحرية التصرف، والمسلم المسؤول<sup>(١)</sup>. ولذلك نجد في سياسات الدول هذا اليوم، وفي المجتمعات التي تنقاد إلى هذه السياسات وتؤمن بها، غياب مصلحة الآخر المختلف، وزيف الادعاءات باحترام كيانه وحقوقه ووجوده، ونشهد بغياً لا يقف عند حدود الاستلاب الثقافي وإنما يتجاوزه إلى المحو وإلغاء الوجود.

ولا تنفصل (المعرفة) عن (احترام الآخر) في المنهج الإسلامي. فحينما يجعل الإمام الذات أو النفس ميزاناً فإن هذه الذات يجب أن تتحلّى بالمعرفة وتمتاز بها، ويجب أن يكون المؤمن من أصحاب المعرفة الذين لا يستوون مع الجهلاء، وهو ما يعني أن فعله يحمل طابعاً تقديمياً في بناء الحياة.

(١) حوار الحضارات، المعنى، الأفكار، التقنيات: مجموعة من الباحثين، تحرير: سهيل فرج، أوليج كولوبوف، ترجمة: سهيل فرج، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٩: ١٣٨.

## الخاتمة

يمثل الاستلاب شكلاً من أشكال هيمنة الآخر الفكرية التي أفرزتها الأحوال والتطورات السياسية والاقتصادية في عالمنا الراهن، وهو في حقيقته يمثل انحرافاً أو انزياحاً عن الحالة السليمة للحوار ما بين الثقافات والحضارات المختلفة، وحالة التفاعل والتثاقف الصحية في ما بينها، ومسببات ذلك تعود إلى الطرفين: الباث والمستقبل؛ فالثقافة المصدرة قد تحكمها وتوجهها غاياتٌ ليست بريئة في تسويق ثقافتها إلى الثقافات الأخرى والتأثير فيها، في محاولة للهيمنة الفكرية عليها أولاً، ولكي تثمر تبعية اقتصادية وسياسية في نتائجها ومحصلاتها الأخيرة. أما ما يعود إلى المستقبل فقد تكون استجابته غير متوازنة، تنطلق من انبهار مُسبق بما لدى الآخر، ومن نظرة دونية للذات، ترى نفسها أقلّ شأنًا من الآخر، وأقلّ تحضراً وتمدناً وفكراً، فتسهم في استقبال هذا الوافد وقبوله كيفما اتفق، والتأثر به وتقليده، بل قد يكون هناك -في حالة متقدمة من هذه الاستجابة- استجلاب قصدي لهذه الثقافات، ومحاولة توطينها في بيئة الثقافة العربية الإسلامية.

انتهت قراءة البحث المتواضعة لمخاطر الاستلاب الثقافي الجديد في عالمنا الإسلامي الراهن في ضوء نصوص نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) إلى عدة أمور يمكن إجمالها بما يلي:

١. اجتمعت النصوص التي تنظم منهجاً هو في حقيقته منهج قرآني لحياة الإنسان في علاقته بربه وأخيه الآخر الذي يجمعه به الإيمان، وفي علاقته بالآخر المختلف كان محورها المعرفة، فلا تتحقق هذه العلاقات بوجهها الأكمل من غير أن تركز على المعرفة التي هي الأساس في تحقق الهوية الإسلامية والوعي بالحياة، ويمكن من خلال هذه الركائز إضاءة الكثير من الأمور الحياتية في عالمنا الراهن، بما يحقق تكاملاً ورصانة للهوية الإسلامية التي تمنح المؤمن شعوراً بالانتماء والطمأنينة والسكينة، وهي هوية ثابتة في مقابل الهويات القلقة والمؤقتة، التي يعجّ بها عالمنا الراهن.

٢. قدم النهج الشريف تمثلات للانتماء العقدي والإنساني في حياة المؤمن، فجاءت نصوص كثيرة انتخب منها البحث نماذج لتبيين ركائز هذا الانتماء، الذي كان قائماً على دعائم الصبر واليقين والعدل والجهاد. وشعب هذه الدعائم كلها تقوم على محورية المعرفة، ووجود الآخر لا ينفصل عن تحقيقاتها. فنجد أن مراقبة النفس وترقب العواقب والنتائج هي عماد عمل المسلم في علاقاته مع الآخر، وهو ما يمكن أن يشكل قاعدة انطلاق للفرد، وهو يعيش حالات من الثقاف مع الثقافات الأخرى.

٣. يتخذ التعامل مع الآخر أسلوب الممانعة المتكيفة، بمعنى أنه سيتعامل مع هذه الأدوات الوافدة والأفكار والمنظومة الثقافية الغربية الوافدة تعاملًا حذرًا قائمًا على المعرفة والفهم، ومرتكزاً على ثوابت إلهية إسلامية، وفي الوقت نفسه، يصنع رؤيته على وفق نسقه النموذجي في فهم الحياة ومنهاج السلوك، وبما يقيه من الوقوع في الاستلاب الثقافي.

٤. من مظهرات الانتماء الإنساني للهوية الإسلامية في نصوص نهج البلاغة جعل النفس معياراً وميزاناً للحفاظ على حقوق الآخرين، لا بمعنى إعلاء الذات أزاء الآخر، بل بمعنى جعلها مؤشراً للتمييز بين ما يكره الآخر وما يجب، فهي، أي الذات، لا تدعي في كل ذلك الكمال، فهي تجهل وتخطئ، ولكن هذا الجهل والخطأ يجب أن يكون دافعاً للمعرفة في سبيل تحقيق علاقة مثلى مع الآخر، يحترم فيها وجوده وحقوقه.

## مصادر البحث

### القرآن الكريم

١. الاستلاب: فالح عبد الجبار، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١٨.
٢. الإنسان بين الجوهر والمظهر: إريك فروم، تر: سعد زهران، مراجعة: لطفي فطيم، الكويت، ١٩٨٩.
٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الحجة، فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان.
٤. حقّ الأمان في المجالات المختلفة: الشيخ محمد مهدي الآصفي، دار الحقّ/ دار الروضة/ دار الثقلين-بيروت، ١٩٨٩.
٥. حوار الحضارات، المعنى، الأفكار، التقنيات: مجموعة من الباحثين، تحرير: سهيل فرج، أوليج كولوبوف، ترجمة: سهيل فرج، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩.
٦. العرب والحداثة، دراسة في مقالات الحداثيين: د. عبد الإله بلقزير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
٧. علم النفس وتطبيقاته التربوية والاجتماعية: د. عبد علي الجسماني، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٤.
٨. معجم علم الاجتماع: دينكن ميشيل، تر: د. إحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.
٩. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠.

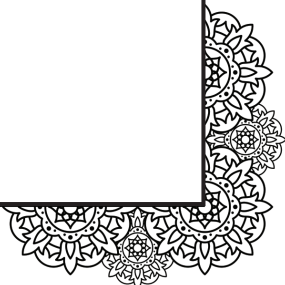
١٠. نحن والتغريب، مجموعه مؤلفين، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية،  
النجف، ط١، ٢٠٢١.
١١. نحن والغرب، مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي: إعداد وتحرير: أ.د. عامر  
عبد زيد الوائلي، هاشم الميلاني، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة  
العباسية، ط١، ٢٠١٧.
١٢. نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لجامعه الشريف الرضي: تحقيق: السيد  
هاشم الميلاني، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ٢٠١٠.



**الحوار الخطابي في نهج البلاغة  
الدقة في المصادقة أنموذجاً**

الباحث  
أ.د. علي نيكوکار

أستاذ في جامعة المصطفى العالمية  
الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم المقدسة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، حبيب قلوب العالمين، أبي القاسم مُحَمَّد وآل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين.

الحوارات الخطابية لأمر المؤمنين عليه السلام المنشورة في نهج البلاغة، قيم إنسانية نبيلة وفضائل نورانية خالدة، بل هي قيم إلهية نابعة من مناهل الآيات القرآنية، هي ينبوع عطاء وصفوه خالصة تقتدي بها البشرية كافة. هذه الفضائل تُوجّه الإنسان نحو السير في طريق التكامل، فإنّ لها دوراً مهماً في مختلف مراحل الحياة؛ وسلوك الإنسان بالأساس يعتمد على المحيط والمنهج الثقافي العائلي الذي تربي فيه، ويتأثر بسلوكيات الأصدقاء ومصاحبته، والصداقة ضرورة لا بدّ منها حيث تعتبر رابطة ودّية حميمة تقتضي التفاعل الأخوي والتعاون في أمور الحياة. وهذه الرابطة معرضة للخطر، لأنّها أحياناً تبثني على جلب منفعة لصديق أو دفع مضرة عنه، ويتضح أثرها مستقبلاً على سلوك الفرد.

وقد حذرنا أمير المؤمنين عليه السلام في حواراته الخطابية ومواعظه الإرشادية، بأنّ نجتنب مصادقة بعض الأفراد ومعاشرتهم ومشاورتهم والاختلاط بهم، خصوصاً الذين يحملون طباعاً وسجايا ينبذها المجتمع، حيث بيّنها عليه السلام وتعرض لبعضها، ثم يبيّن المساوئ والعيوب التي تنتجها والآثار المستقبلية التي تترتب عليها.

ومن هذه الخطابات خطابه الحواري الموجه إلى ولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وهو ينصحه بالابتعاد عن ثلثة تتصف بصفات، حيث خاطبه في مواضع كثيرة: منها تحذيره الخطابي باجتناّب بعض الأشخاص الذين يحملون بعض الصفات الرديئة، قائلاً: «يَا بُنَيَّ،

إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرَّكَ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَفْعُدُّ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ»<sup>(١)</sup>.

يتضح من هذا الحوار الخطابي وتحذيراته (عليه السلام) مدى عظمة هذه الوصية وأهميتها والآثار السلبية المترتبة عليها في المستقبل لمن يتصفون بهذه الصفات السيئة. والمعروف عند مَنْ يحذر من هذه الأمور وينصح بها الغير، مدى تجنبه لها وأهميتها عنده ومعرفته بآثارها، لذا يوصي بها المحبين والمقربين له، مَنْ أَجَلَ أَنْ لَا يَتَهَاوَنَ بِهَا. وخطابه (عليه السلام) ليس بالضرورة موجهاً إلى ولده (عليه السلام)، بل هو إفهام للآخرين وجذب لانتباههم إلى أمر خطير له أثر سلبي في الفرد والمجتمع، من قبيل المثل المعروف: (إِيَّاكَ أَغْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ)، حيث يحمل هذا الخطاب الحوارى المستعمل بقالب هذه الألفاظ البليغة على معاني خفية، ويراد منها مراد جدّي ومعنى تفهيمي موجه إلى المخاطبين كافة.

وهذا الحوار فائدته لا تعود على المخاطب فقط، بل هو عام، ويعكس صورة خطابية لجميع المخاطبين غير محصور بوقت. وهذا الأسلوب الحوارى الخطابي معروف في كلمات النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الإرشادية وآل بيته (عليهم السلام) حيث يوجهونها فيما بينهم ويتناقلونها؛ ليتعظ بها الآخرون، وتكون عبرة للأجيال.

بدأ (عليه السلام) أولاً بتجنب مصادقة الأحمق، ثم تلاه مصادقة البخيل ثم مصادقة الفاجر ثم مصادقة الكذاب؛ وهذا الترتيب الذي بيّنه لا أتصوره جاء اعتباطاً بدون ثمرة، وإنما خبرته وتجربته الفائقة ربّتها بهذا الترتيب، حيث بدأ موعظته لابنه (عليه السلام) باجتنابه الأشخاص الذين يتصفون بهذه الرذائل، وهو (عليه السلام) ليس بصدد تبين عظم ذنوبهم، أو في مقام بيان أيها أعظم من الأخرى، بل إنه (عليه السلام) حذّر من التقرب من أصحاب هذه الصفات النفسانية

(١) نهج البلاغة، الدكتور: صبحي الصالح، ص ٤٧٥، ح ٣٨.

الذميمة ومحادثتهم ومصاحبتههم ومصادقتهم، لما لذلك من أثر سلبي وانعكاسات معنوية على سلوك الفرد وشخصيته، لأنَّ كُلاًّ منهم له ديدنه الخاص، وله نوع سمة خاصة تؤثر في الإنسان الذي لا يحمل هذه الصفات مثل بعض البكتريا، فإنها تؤثر في جنسها بنسبة أكثر من غير جنسها. ولم يكتف بالتحذير والتنبيه إلى اجتناب هذه الأنواع، بل إنَّه ﷺ بيّن سوء عاقبة من يصاحب المتصفين بها، وبيّن آثارها وتأثيرها على نفسية الإنسان الذي لا يتصف بها، فهي عدوى تنتقل بدون أن يشعر بها؛ السالم يبقى يحملها بحسب بقاء رفقته وصداقته ومدى تأثيره فيه.

الرفقة أو الصداقة لا بُدَّ أن تكون وفق موازين ومعايير خاصّة، ولا بُدَّ للإنسان أن ينتخب الشخص الملائم، لذا علينا أن نتوجه ونتفهم النصح والإرشادات التي تصدر وتوعز من الآباء وأصحاب التجارب الذين يطلبون المصلحة والخير لأبنائهم، أو من الصديق الصالح ومن العالم باعتباره صاحب خبرة وتجربة في هذا المجال، لأنه مطلع على تراث النبي الأكرم ﷺ وتراث آل البيت ﷺ الزاخر بالنصح والإرشاد، ومهمتهم التنوير وتوضيح طريق الخير والصلاح للبشرية والأمة الإسلامية، وتنبيه الناس من مزالق الحياة الدنيا، حيث ينبهون إلى تجنب هذه الصفات التي يحملها البشر لأنهم إذا لم يحذرونا سوف تتفشى هذه الصفات عند الغير وتنتشر في المجتمع.

من أجل القضاء على هذه الرذائل يحذرننا أهل البيت ﷺ من ذلك، وبمرور الزمن سوف تنقل جذور هذه الصفات السلبية - قدر الإمكان وليس اجتثاثاً جذرياً مطلقاً - في المجتمع.

لقد ركز أمير المؤمنين ﷺ على اجتناب هذه الثلة حيث شبههم بالنار المباشرة، فإنَّها تحرق من اقتراب منها، يقول ﷺ: «إِيَّاكَ وَمُعَاشَرَةَ الْأَشْرَارِ، فَإِنَّهُمْ كَالنَّارِ مُبَاشَرَتُهُمْ

تُحْرِقُ»<sup>(١)</sup>. حيث وصف صحبتهم بوصف جميل فقال عليه السلام: «صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ تَكْسِبُ الشَّرَّ كَالرَّيْحِ إِذَا مَرَّتْ بِالنَّتَنِ حَمَلَتْ نَتْنًا»<sup>(٢)</sup>، فقد حدّد عليه السلام قواعد مهمة وجعلها معياراً يتّخذها الإنسان في تجنّب مصادقة هذا الصنف من الناس وتجنب التعامل معهم. وفي الوقت نفسه، وصف صُحْبَةَ الْأَخْيَارِ قائلًا: «صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ تَكْسِبُ الْخَيْرَ كَالرَّيْحِ إِذَا مَرَّتْ بِالطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا»<sup>(٣)</sup>.

واليوم مجتمعنا بحاجة إلى هذه الثقافة التي تنطوي تحتها إرشادات ونصائح آل البيت عليهم السلام، لأنّ بعض الصفات السيئة أضحت عند البعض عادة، وسوف يستشري أثرها في المجتمع، فلا بُدَّ من تحجيمها ومحاربتها. وسوف نتعرض للبحث في مبحثين، كما يلي:

(١) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص ٩٧.

(٢) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم وذُرر الكَلَم، ص ٢٩٣، ح ٩٨٢٦.

(٣) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٠٤.

## المبحث الأول المفاهيم الأساسية

قبل التعرض لجوانب البحث، علينا أن نبين بعض المفاهيم الأساسية المهمة التي نعتمد عليها، لما لها من أثر في فهم البحث، حيث نتعرض إلى كلمات علماء اللغة العربية وما تعنيه في العرف العربي العام، والوقوف على معناها الاصطلاحي عند أهل التخصص، وسوف نرتبها كما يلي:

### أولاً: الحوار لغةً واصطلاحاً:

#### الحوار لغةً:

عرّفه الفيروزآبادي (٧٢٩ - ٨١٧ هـ): «من المحاورة، وهي مراجعة المنطق والكلام والمخاطبة، وذلك مشتق من الحور: وهو الرجوع، ويأتي بمعنى النقصان، وتجاوزوا: تراجعوا الكلام بينهم، والتحاور: التجاوب، واستحارة: استنطقه»<sup>(١)</sup>.

#### الحوار اصطلاحاً:

عرّفه محمد راشد قائلًا: «نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حميد: «هو مناقشة بين طرفين أو أطراف بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي»<sup>(٣)</sup>.

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٥.

(٢) ديباس، محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، ص ١١.

(٣) ابن حميد، صالح بن عبد الله، معالم في منهج الدعوة، ص ٢١٢.

إذن الحوار هو كلام بين شخصين أو أكثر يتداول بينهم بطرق مختلفة، منها إظهار حجة ونصيحة أو إثبات حق أو دفع شبهة أو بيان أمر ما وغيره. وقد ورد الحوار في القرآن الكريم بهذه المعاني في مواضع ثلاثة، وهي:

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتُ بِاللَّهِ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: الأحمق لغة واصطلاحاً

#### الأحمق لغة:

قال الجوهري (٣٣٢ - ٣٩٣هـ): «قَلَّةُ الْعَقْلِ وَفَسَادُ فِيهِ. وَقَدْ حُمِقَ الرَّجُلُ بِالضَّمِّ حِمَاقَةً فَهُوَ أَحْمَقُ. وَحِمَقٌ أَيْضًا بِالْكَسْرِ - يَحْمُقُ حُمُقًا، فَهُوَ حَمِقٌ. وَامْرَأَةٌ حَمَقَاءُ، وَقَوْمٌ وَنِسْوَةٌ حُمُقٌ وَحَمَقَى وَحِمَاقَى»<sup>(٤)</sup>.

الزبيدي الحنفي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ) عرّفه قائلاً: «حَمِقٌ: أَي قَلِيلُ الْعَقْلِ، وَحَقِيقَةُ الْحُمُقِ هُوَ: وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مَعَ الْعِلْمِ بِقُبْحِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الكهف: الآية: ٣٤.

(٢) سورة الكهف: الآية: ٣٧.

(٣) سورة المجادلة: الآية: ١.

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٤، ص ١٤٦٥.

(٥) مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١، ص ٦٢٦٦.

وفي المعجم الوسيط: «حَمَقَ حَمَقًا وَحَمَاقَةً، أَي قَلَّ عَقْلُهُ، وَفَعَلَ فَعْلَ الْحَمَقَى، فَهُوَ أَحْمَقُ وَهُمْ حَمَقٌ، وَيُقَالُ حَمَقَتِ السُّوقُ كَسَدَتْ، وَحَمَقَتْ تِجَارَتُهُ بَارَتْ»<sup>(١)</sup>.

### الأحمق اصطلاحاً:

يقول الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ): «الأحمق، وهو الذي يضع الشيء في غير موضعه مع علمه بقبحه»<sup>(٢)</sup>. وقد تبعه ابن الأثير الشافعي (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) قائلاً: «حقيقة الحمق: وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه»<sup>(٣)</sup>.

وعرفه النووي الشافعي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) قائلاً: «حقيقة الأحمق: مَنْ يعمل ما يضرُّه مع علمه بقبحه»<sup>(٤)</sup>.

طبق كلمات أهل اللغة أَنَّ الأحمق يطلق على ناقص العقل وضعيف التصرف في المواقف التي تواجهه، فهو الشخص الذي يتصف بنقصان في عقله وضعف، ويضع الشيء في غير موضعه، عالماً بقبحه، ولكنه يضعه في غير محله. أما في العرف، عندما نطلق كلمة (أحمق) أوَّل شيء يتبادر إلى الذهن أَنَّهُ إنسان بليد وضعيف العقل، أو أَنَّهُ إنسان في عقله درجة من الفساد، وتصرفاته تصرفات الصبي، أي قريب من المجنون، إذا لم يصفه البعض بالمجنون. والصحيح ما سوف نقف عليه من مفهوم الأحمق في القرآن الكريم، وفي روايات آل البيت (عليه السلام)، ونقف وقفة إجلال وإكرام إلى مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطابه التحذيري باجتناب مصادقته ومصاحبته ذاكرًا السبب في ذلك.

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، ج ١، ص ٤١٣.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط، ج ٥، ص ١٧٠.

(٣) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٤٤٢.

(٤) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، ج ١٨، ص ١٣٦.

## ثالثاً: الفجور لغةً واصطلاحاً

## الفجور لغةً:

الطريحي (٩٧٩ - ١٠٨٥ هـ) تعرّض لمعنى (الفجور) في اللغة قائلاً: «مفردها (فجر)، وهو الميلان عن الحق؛ والفاجر: هو المنبعث بالمعاصي والمحارم. ويحمل الفجور هنا على البذاء والفحش في القول والبهت عند الخصومة؛ قال تعالى: ﴿لَيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾<sup>(١)</sup>، أي ليدوم على فجوره فيما يأتي من الزمان، ويقول: سوف أتوب وسوف أعمل صالحاً، وقيل يتمنى الخطيئة ويقول سوف أتوب، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾<sup>(٢)</sup>، أي مائلاً عن الحق، يقال فجر العبد فجوراً من باب قعد: زنى، وفجر الخالف فجوراً كذب ومال عن الصدق»<sup>(٣)</sup>.

## الفجور اصطلاحاً:

تعرض الجرجاني الحنفي (٧٤٠ - ٨١٦ هـ) لتعريفه قائلاً: «الفجور هو هيئة حاصلة للنفس، بها يباشر أموراً على خلاف الشرع المروءة»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة القيامة: الآية: ٥.

(٢) سورة نوح: الآية: ٢٧.

(٣) الطريحي، فخر الدين بن محمد علي، مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٣٤.

(٤) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، ج ١، ص ٥٣.

## المبحث الثاني الحذر من مصادقة هذه الأصناف

تعرّض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حوارهِ الخطابيّ لولده الإمام الحسن المجتبيّ (عليه السلام) على صفات بعض الأفراد. وقد حذر منهم وبين سبب اجتنابهم، وأشار إلى الدقّة في المصادقة واختيار الصديق، وسوف نرتبهم على أصناف كما رتبهم (عليه السلام)، كما يلي:

### الصنف الأول: التحذير من مصادقة الأحمق

حذّر أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطابه الحواريّ الموجّه إلى قرة عينه الإمام الحسن المجتبيّ (عليه السلام) من مصادقة الأحمق، قائلاً: «يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرَّكَ».

الحمق صفة مذمومة تطلق على الإنسان الذي يقوم بأفعال وأقوال في غير موضعها، لا ميزان لأقواله، ولا حدود لأفعاله، حيث يتصف بالعجلة والتسرع وعدم التأمّل والتفكير في كلامه، وسرعة في الإجابة وعدم التثبت بها وفي كثير من أمور حياته، ولا يميّز بين الخير والشرّ والنفع والضرر. وتجده أحياناً يريد أن ينفع صاحبه ولكن بتصرفه الأحمق يجلب له الضرر، والحمق مقابل العاقل؛ وقد وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلاً: «لِسَانَ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ»<sup>(١)</sup>.

قلب الأحمق وراء لسانه يعني أنّ الأحمق لا يتكلّم بالفكر والتأمّل، بل يتكلّم بما سمعه خيراً كان أو شراً، نفعاً كان أو ضرراً، لأنّ لم يجعل قلبه موضع التأمّل والفكر. أما العاقل تابع لقلبه، وتصرفاته نابعة منه، ويرجعه إلى المشاور إذا أبهم عليه أمر. أمّا الأحمق، فإنّ قلبه تابع لللسان، وتصرفاته نابعة عن عدم فهم وتروّ، ولا يرجع إلى مشاور إذا أبهم عليه أمر أو جهله.

(١) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، المناقب، ص ٣٧٧، ح ٣٩٥.

وأخلاق الأحمق أنّه ينظر إلى عيوب الناس وينكرها ولا يرتضيها، ولكنه يرتضيها لنفسه. أمّا العاقل فإنّه ينظر في عيب نفسه ومشغول بها، فتجده لا فرصة له في النظر إلى عيوب الآخرين؛ يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَاكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ»<sup>(١)</sup>.

ومن أخلاقه أنّه يتكل ويعتمد على آمنيات الهوى، فيعتمد على كلّ ما يهواه وما يتمناه وما تشوقه نفسه إليه. وبطبيعة الحال، إنّ الإنسان لا ينال ولا يملك كلّ ما يهواه ويتمناه، فهذه خصلة من خصال الحمقى؛ يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في حوار الخاطبي لابنه (عليه السلام): «وَأَيَّاكَ وَالْإِتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى»<sup>(٢)</sup>، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ<sup>(٣)</sup> النَّوْكَى<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>، حيث حذرنا (عليه السلام) من الاعتماد والاتكال على الأماني وخواطر الهوى والانشغال بها، فتجده يعيش في تخیلات وأوهام ينتظرها، كما يتوقع التاجر وصول بضاعته التي بعثها للمتاجرة وينتظر ربحها، فإنّ هذه الخصلة قبيحة. لذا أمير المؤمنين (عليه السلام) وصفها وأطلق عليها «بضاعة» ونسبها إلى الأحمق، كي يتجنبها العقلاء وأن لا يتخذها تجارة فإنّها خاسرة. العاقل لا يقبل تصرفات الحمقى وأفعاله، ولا يعتمد على أمانيه من هوى النفس، لأنّ ليس كلّ ما يتمناه الإنسان يملكه، وهناك بيت شعر جميل من قصيدة للشاعر أبي الطيب المتنبي، يقول:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ      تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَسْتَهِي السُّفْنُ

(١) الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين، ص ٤٧٠.

(٢) الاتكال: الاعتماد. المنى: جمع منية بضم فسكون، ما يخطر على البال من هوى النفس، أي ما يتمناه الشخص ويقنع نفسه باحتمال الوصول إليه.

(٣) البضائع: جمع بضاعة، وهي البعض من المال يبعث للتجارة.

(٤) النوكى: جمع أنوك، من النوك وهو الحمق.

(٥) الصدوق، محمد علي بن الحسين بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٤.

وفي موضع آخر حذرنا أمير المؤمنين عليه السلام من مصاحبته، وبيّن سبب عدم مصاحبته، قائلاً: «لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ <sup>(١)</sup> فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ، وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ» <sup>(٢)</sup>.

المبتلى بهذه الخصلة المذمومة يعتبر أفعاله وأقواله حسنة فيزيئها لمن يصحبه، ويتمنى أن يفعل مثل فعله، وليس بالضرورة أن يكون أحق مثله لأنّ الأحق لا يعلم من نفسه أنه أحق، وإنما معناه أن الأحق يحب صاحبه ويودّ أن يكون مثله، وهذا أمر طبيعي، فكلّ صديق يودّ أن يكون صديقه مثل طباعه وأخلاقه، وهو بلا شك يعتقد بصواب أفعاله ولا يشعر بعيبه لأنها مخفية عنه. فمصاحبة الحمقى لها تأثير في سلوكيات المصاحب وفساد أخلاقه، ولو بعد مدّة يظهر أثره، فلا بُدّ من تركه واجتنابه، ولو لم يتجنبه يوشك أن يتخلّق بأخلاقه. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَحْتَنِبْ مُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ، أَوْشَكَ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ» <sup>(٣)</sup>. فلا بُدّ من اجتناب الحمقى ومصاحبة أهل العقل.

ويصفه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «أَفْقَرُ الْفَقْرِ الْحُمَقُ» <sup>(٤)</sup>، الأحق أفقر الفقراء، لأنّ الفقر ليس عيباً ولا مذمة على الفقير المحتاج، فمن كان له عقل فهو غني عن الناس حتى لو كان فقيراً ومحتاجاً مادياً؛ أما فقره هو فقر نقصان العقل، لأنّه لا يستفيد من تجاربه ولا ينتفع بها وإن اتضحت له بعض عواقبها، بل إنّه لا يستفيد من تجارب الآخرين، ولا يتعظ بنصائحهم ولا يشاورهم فيما لا يفهم ولا يعقل، ولا يرجع في أموره إلى العالم ليخرج من ظلمات جهله.

وفي موضع آخر، يقول أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً ابنه الحسن عليه السلام: «يَا بُنَيَّ إِنْ أَعْنَى الْغَنَى الْعَقْلُ، وَأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمَقُ» <sup>(٥)</sup>، فالعقل هو المعيار والأساس.

(١) المائِق: الأحق أو الشديد الحمق.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن عبد الله، شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ١٩٨.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ١، ص ٦٩٥.

(٤) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ١١٣.

(٥) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح، ص ٤٧٥، ح ٣٨.

وبسبب خطر هذه الخصلة، تجد آل البيت (عليهم السلام)، يتناقلون وصايا آبائهم ويوصون أبناءهم بهذه الوصية، فالإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ينقل عن أبيه الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، بأنه كان يقول: «قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا): يَا بَنِي، انْظُرْ خَمْسَةً فَلَا تُصَاحِبْهُمْ، وَلَا تُحَادِثْهُمْ، وَلَا تُرَافِقْهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَاهُ، مَنْ هُمْ؟ [إِلَى أَنْ قَالَ] وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ»<sup>(١)</sup>، فالإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) ليس فقط يحذرننا من مصادقتهم ومصاحبتهم، بل من محادثتهم ومن مرافقتهم في طريق وسفر.

ونحن نعلم أَنَّ لكلِّ داءٍ دواءٌ يتداوى به، والظاهر الحمق داءٌ لا دواءَ له، بل صعوبة معالجته وإصلاحه. روي أَنَّ نبي الله عيسى (عليه السلام)، أتى بأحمق ليداويه، فقال: «أعياني مداواة الأحمق، ولم يعيني مداواة الأكْمه والأبرص»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ (عليه السلام) قَالَ: دَاوَيْتُ الْمَرْضَى فَشَفَيْتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَبْرَأْتُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَعَاجَلْتُ الْمَوْتَى فَأَحْيَيْتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَعَاجَلْتُ الْأَحْمَقَ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إِصْلَاحِهِ»<sup>(٣)</sup>. ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «الأدب عند الأحمق كالماء في أصول الحنظل، كُلُّهَا ازْدَادَ رِيًّا ازْدَادَ مَرَارَةً»<sup>(٤)</sup>.

وقد حذر مسكين الدارمي من الأحمق ووصفه بأبيات شعرية قائلاً:

اتَّقِ الْأَحْمَقَ أَنْ تَصَحَبَهُ	إِنَّمَا الْأَحْمَقُ كَالثَوْبِ الْخَلْقُ
كَلَّمَا رَفَعْتَ مِنْهُ جَانِباً	حَرَّكَتَهُ الرِّيحُ وَهَنًا فَاخْرَقَ
أَوْ كَصَدْعٍ فِي زَجَاجٍ فَاحْشٍ	هَلْ تَرَى صَدْعَ زُجَاجٍ يَتَفَقُّ

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٣٧٦، ح ٧.

(٢) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ١، ص ٦٧٨.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الاختصاص، ص ٢٢١.

(٤) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن عبد الله، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٣٣٠، ح ٧٨٠.

وإذا جالسته في مجلسٍ      أفسد المجلس منه بالخرق  
وإذا نهته<sup>(١)</sup> كي يرعوي      زاد جهلاً وتمادى في الحمق<sup>(٢)</sup>

### الصنف الثاني: التحذير من مصادقة البخل

لقد حذرنا أمير المؤمنين عليه السلام من مصادقة البخل، حيث قال في وصيته لابنه عليه السلام:  
«وَيَاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

البخل، هو الذي يتصف بصفة البخل، وهي من الصفات الأخلاقية المذمومة، وهو مرض نفسي وعار على الإنسان، ولباس ثوب ذلٍّ ومسكنة يرتديه البخل، حيث يتصف صاحبه بالأنانية وحب النفس، والإفراط في حب جمع الأموال، ويكره إنفاقها في أي مجال. وفي هذا المقطع الحواريّ من كلام مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام، حذرنا من هذه الصفة السيئة والعادة الرذيلة، ومن مصادقة من وقع في عظيم خطرهما، بل إنَّ الإمام الهادي عليه السلام يصفها بأنها أدم صفة أخلاقية، يقول عليه السلام: «الْبُخْلُ أَدَمُّ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٤)</sup>، والبخل في العرف هو إمساك شديد عن بذل المال أو نحوه من الأمور المادية؛ وهذا الإمساك ليس فقط إمساكاً عن الغير، بل إمساك ماله عن نفسه أيضاً، حيث يمتنع من صرفه على نفسه علاوة على غيره. وفي الوقت نفسه، تشاهده ينظر إلى ما في أيدي الناس بعنوان الاحتياج والعوز، ومن جانب آخر تجده دائماً يشكو من قلة المال.

هذه الأموال التي جمعها وحرص عليها طمعاً في جمعها كافية في توفير راحته وتأمين سعادته الدنيوية، ولكنه جعلها وباءً عليه ونقمة وشقاءً في الدنيا، فهو أقل الناس راحة،  
(١) النَّهْيَةُ: الكَفُّ. تقول: نهَيْتُ فلاناً: إذا زَجَرْتَهُ فَنَهَيْتَهُ، أي: كَفَفْتَهُ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٥٠.

(٢) ديوان مسكين الدارمي، ص ٧٧.

(٣) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح، ص ٤٧٥، ح ٣٨.

(٤) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، ج ١، ص ٩٤.

تجده يعيش في اضطراب وشؤم طويل، وفي حالة نفسية لم يذق فيها طعم الحياة والراحة، لذا حذرنا ﷺ من مصادقته وأكدَّ مجانبته والابتعاد عنه، حفظاً للكرامة وعدم التخلُّق بأخلاقه المذمومة، ولعله كي لا يصاب بهذا المرض الفتاك.

أمير المؤمنين ﷺ بيّن لنا سبب عدم مصادقته، حيث قال: «فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، لأنَّ الصديق يكون محلَّ اعتماد وثقة لصديقه، فإذا وقع في حرج أو شدة، لا بُدَّ أَنْ يقفَ صديقه بجانبه، سواء على مستوى المساعدة المالية أو موقف عملي إنساني بيديه لصديقه، فإذا كان الصديق بخيلاً سوف يعرض عنه ويتبعد، ويمتنع من تقديم العون والمساعدة، وصديقه يكون في وقت أحوج إليه لمساعدته.

والمؤسف أنَّ حال البخيل حال خازن المال والمحافظ عليه لورثته، تجده يبخل على نفسه بالقليل، ولكن بعد وفاته يسمح لورثته بالاستفادة من جميع هذه الأموال التي جمعها، وكأنَّها هو حافظ أمين لهذا المال يوصله لأهله. يقول أمير المؤمنين ﷺ: «الْبَخِيلُ يَبْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ دُنْيَاهُ وَيَسْمَحُ لَوَرَّاثِهِ بِكُلِّهَا»<sup>(٢)</sup>، وفي موضع آخر يقول ﷺ: «الْبَخِيلُ خَازِنٌ لَوَرَّثَتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

لم يكتفِ أمير المؤمنين ﷺ باجتناّب مصادقة البخيل ومؤاخاته، بل حتّى أيضاً على عدم مشاورته، وهذا ما ورد في عهده إلى مالك الأشتر مخاطباً إيَّاه قائلاً: «وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ»<sup>(٤)</sup>. فلا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يمتنع عن مشاورة البخيل، وعليه أَنْ يشارو أصحاب الفكر والصفات المحمودة، لأنَّه يحرف الفضل والإحسان للغير، ويغريه ويعده الفقر والاحتياج.

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي ﷺ، ج ٤، ص ١١.

(٢) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ج ١، ص ٢٩٢.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٣٢، ح ٣٢٢.

(٤) نهج البلاغة، السيد الشريف الرضي، ج ١، ص ٧٠١.

والبخل من الصفات التي لا تصيب المؤمن باعتبارها خلاف الإيمان، لأن الإيمان والبخل لا يجتمعان، وأن أحد أسباب البخل هو سوء الظن بالله تعالى وضعف الإيمان، إذا لم نقل أنه لا إيمان له، فلو كان البخيل يؤمن بالله واليوم الآخر ويحسن الظن بربه، لأنفق بعض ما عنده في سبيل الله تيقناً بأن الله تعالى سوف يعوضه خيراً منه وأكثر، وهذه أهم طريقة في علاج البخل، ولكنه بعيد من الله تعالى، وبعيد من الناس لا يشاركهم ماله، لذا فهو قريب من النار. يقول النبي الأكرم ﷺ: «والبخيلُ بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الجنة بعيدٌ من النَّاسِ، قريبٌ من النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

يحذرنّا أمير المؤمنين (عليه السلام) ويوصينا بالابتعاد عن آفة البخل، ويوصينا بالسخاء والكرم الذي هو نقيض البخل، وقد بين لنا السبب في ذلك، بأن البخيل لا يدخل الجنة ولا يشم ريحها، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يوصي أصحابه قائلاً: «أوصيكم بالخشية من الله في السر والعلانية، وإياكم والبخل وعليكم بالسخاء فإنه لا يدخل الجنة بخيل»<sup>(٢)</sup>.

أيضاً القرآن الكريم حدّثنا عن ثلّة من الناس، يتصفون بهذه الصفة المذمومة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾<sup>(٣)</sup>، هذه الآية الكريمة تبين حقيقة الواقع الذي يعيشه البخيل، وأنه يسعى دائماً إلى التكتّم على ما آتاه الله تعالى من الفضل الجسيم والخير والنعم الإلهية التي وهبها الله تعالى له، كي لا يطلع عليه أحد ويطلب منه شيئاً، أو أن لا يمتنع أحد عن بذل العطاء له، وهو في الوقت نفسه يبخل على نفسه، بل إنه أحياناً يأمر الناس بهذه الصفة السيئة، وتجده يحث الناس قولاً وفعلاً عليها، لأنّه اعتادها وأحبّها فيحبّها إلى الآخرين، أو أنّه يشمئز من صفة السخاء والكرم، فتجده ينفر من الكريم لأنّه يكشف بكرمه بخله.

(١) المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذى، ج ٦، ص ٨١.

(٢) الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، ج ٤، ص ١٧٠.

(٣) سورة النساء: الآية: ٣٧.

يعيش البخيل في هذه الدنيا معيشة الفقراء ظاهرها الضنك والعسر، ولكن في الآخرة يحاسبه الله تعالى حساب الأغنياء، باعتباره يملك المال ويكتنزه حاله حال الغني؛ لذا جزاؤه في الآخرة النار والعذاب الشديد، وهي عاقبة البخل، بسبب سوء ظنه بالله تعالى وعدم الإيمان به. فهو يتصور أنَّ العطاء والجود وبسط اليد لمساعدة الناس تجرّه إلى الفقر، وهذا التصور منبعه الخوف، فلو تجاوزه ووثق برزق الله تعالى وعطائه الممدود لأمسك عن هذه الصفة المذمومة.

علماً أنَّ هذه الصفة جامعة لعيوب كثيرة، حيث تستلزم الجهل وحبّ الدنيا المفرط، والحرص على ما في يديه، وجمع المال بأيّ طريقة من الطرق، وإن كانت غير مشروعة، وإبداء الحسد على ما في أيدي الناس، وعدم مساعدتهم ومواساتهم، والكذب بعدم إظهار نعم الله تعالى وما عنده، تجنباً لطلب المساعدة منه، وغيرها من الصفات المذمومة التي تكون مصاديق له وداخلة تحته؛ كلّ هذه الأمور خوفاً من نفاذ ماله. يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «البُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ»<sup>(١)</sup>، فهو يقود إلى كلّ سيئة ومعصية.

فمصادقته ومرافقته لها آثار سيئة وعواقب وخيمة تنعكس على سلوكيات من يرافقه، بل إنَّ آل البيت (عليهم السلام) يحذرون وينهون حتى عن محادثته.

### الصنف الثالث: التحذير من مصادقة الفاجر

حذّر أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطابه الحوارية الموجه إلى ولده الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) من إقامة أيّ علاقة صداقة مع صنف آخر من الناس وهو الفاجر، قائلاً: «يَا بُنَيَّ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافَةِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح، ص ٥٤٤، ح ٣٧٨.

(٢) التافه: القليل، الحقير، اليسير.

الفاجر: هو الفاسق الخارج عن الطريق الذي يميل إلى الفساد ويرتكب الذنوب والمعاصي القبيحة والشنيعة، التي يستنكرها العقل وينفر منها العاقل، ولكنه تجده محباً للمعصية ومداماً على فعل الخطيئة والمحرمات، ويسوف أفعاله وأعماله بالتوبة، ويميل عن الحق بأفعاله حتى يصبح الحقّ عنده باطلاً والباطل حقاً، يقول ابن قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ) في غريب الحديث: «الفاجر المائل عن الحق»<sup>(١)</sup>.

فهو منحط أخلاقياً، ومستهين بتعاليم الشريعة الإسلامية، ومتجراً على محارم الله تعالى، وهو بعيد كل البعد عن طاعته، يبيع دينه وآخرته بدنياه؛ يصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلاً: «المؤمن من وقى دينه بدنياه، الفاجر من وقى دينه بدنيه»<sup>(٢)</sup>. فالمؤمن يحمل التقوى التي تقيه من فعل المحارم وارتكاب الإثم، تجده يحمل صفة الورع عن محارم الله تعالى، بخلاف الفاجر فإنه لا يتورع عن فعل منكر ولا يبالي بالذنوب التي يرتكبها، فإنها بنظره ذباب صغير يقع على أنفه ويطير. وقد وصفه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بذلك قائلاً: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه»<sup>(٣)</sup>. وقد أوصانا أمير المؤمنين (عليه السلام) بعدم مصادقته، وعدم مؤاخاته، حيث يقول (عليه السلام) في موضع آخر: «لا تواخ الفاجر؛ فإنه يزيّن لك فعله، ويحبّ لو أنك مثله، ومدخله عليك ومخرجك من عنده شينٌ وعار»<sup>(٤)</sup>. وقد بين (عليه السلام) سبب عدم مؤاخاته ونبه إلى تأثيره في فساد الأخلاق، فلا بدّ من اجتنابه حيث يتمنى أن يكون صديقه مثله ليعينه على مفسده، ويستجيب لمقولته، وهذه الصداقة والمؤاخاة بمرور الزمن تؤثر سلباً في مصاحبته، حيث يستأنس بأفعاله ويتعلم من فجوره، ولا يأمن عليه بصحبة، فإنه يبيع صاحبه بأنفه الأمور

(١) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، غريب الحديث، ج ١، ص ٥٩.

(٢) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص ٦٨.

(٣) أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى، ج ٩، ص ٣٧، ح ٥١٠٠.

(٤) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن عبد الله، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٢٦٤.

وأحقرها. يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره»<sup>(١)</sup>، تجنبه وابتعد عنه ولا تصاحبه وتخالطه، وإذا خالطته فخالطه بخُلُقك، وكن أنت مؤثراً فيه؛ يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «خَالِطُ الْمُؤْمِنِ بِقَلْبِكَ، وَخَالِطُ الْفَاجِرِ بِخُلُقِكَ»<sup>(٢)</sup>. وقد نقل الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) أبياتاً شعرية عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول فيها:

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ      فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أُرْدَى حَلِيمًا حِينَ وَآخَاهُ  
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءُ      وَلِلشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ مَقَاسٌ وَأَشْبَاهُ  
كَحَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ إِذَا مَا النَّعْلُ حَاذَاهُ      وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ<sup>(٣)</sup>

فالصحبة لها أثر سلبي في سلوكيات الفرد وأخلاقه، ونتيجتها علاقة غير ممدوحة ولا صلاح فيها، بل إنها تجرّ إلى المفسدة.

### الصنف الرابع: التحذير من مصادقة الكذاب

الكَذِب هو إخبار عن شيء مزيف وغير واقعي، وإظهار أقوال مزخرفة مصفوفة مخالفة للحقيقة، وهو داء خبيث ومصدر لكل إثم وشرٍّ، وبداية طريق لكل معصية وخطيئة، بل هو رأس الخطايا. ومع الأسف الشديد، أصبحت ظاهرة الكَذِب متفشية في بعض المجتمعات الإسلامية، علماً أنّ عواقبه غير محمودة، وقد تكون أحياناً هذه الصفة سلوكاً ثابتاً عند البعض، بل هي سجية وطبع اعتادهما ولا تفارقانه؛ كأنما جُبِل عليها. تطفح هذه الظاهرة في سلوكياته وأخلاقه بين الناس، وتظهر شخصيته الوضيعة تحت فلتات لسانه، حتى تصبح ملاصقة له كثوب خرق يرتديه. وهذه العادة تذهب بمروءة الرجل وبهائه،

(١) المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٠.

(٢) ابن عبد البر المالكي، يوسف بن عبد الله، بهجة المجالس وأنس المجالس، ج ١، ص ١٤٠.

(٣) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج ٥، ص ١٦٤.

وتقلل ثقته بين الناس، ويصبح مهاناً بينهم، وهي منقصة له في رزقه، ومفسدة في دينه وتعظيم ذنوبه.

ممارسة الكذب عادة يعتادها الكاذب، ودواعيها الجهل وضعف الوازع الديني. وأحياناً يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه حينما يستشري فيه التخلف الثقافي والديني، والنبي الأكرم ﷺ وآل بيته عليهم السلام خصوصاً، مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، حذرنا من مصادقة من يتصف بهذه الصفة السيئة ويحمل هذه الرذيلة، حيث يقول عليه السلام: «إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرَّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبْعَدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ»<sup>(١)</sup>، ولم يكتفِ بالتحذير منه والابتعاد عنه فقط، بل بيّن الآثار المترتبة على من يصاحبه؛ فقد وصفه بوصف دقيق «كالسراب»، فالسراب نوع من الوهم البصري، يعتري نظر السائر أو الظمآن خصوصاً في الصحراء، حيث تجده يشاهد من بعيد شعاع يتوهّمه أو يظنّه ماءً، فيخطر بذهنه للوهلة الأولى، كأنّها واحة تحوي أشجاراً وظلاً وافراً وماء ينبع، ولكن، في الحقيقة، حينما يصلها لا يجد عندها غير أرض منبسطة واسعة، وكثبان من الرمال الجافة؛ سمّي هذا سراًباً لأنّه يسرب (يجري) كالماء.

وأمير المؤمنين عليه السلام وصفه بهذا الوصف، وطبّق عليه هذا المثل حيث ساواه بالسراب، لوجود خصوصية بين السراب والكذاب، وهي أنّ السراب يقرب عليك الأشياء البعيدة، ويبعد عنك الأشياء القريبة، والكذاب كذلك بكذبه يقرب لك الأمور ويجعلك تعيش الطمأنينة والأمل، وأحياناً يعكس لك الأمور فيبعد عنك الحقيقة ويجعلك تعيش حالة من الاضطراب والإحباط، ولعلّه يوصلك إلى درجة القنوط.

فبكذبه يدفع مضرة عن نفسه ويستجلب لها منفعة - بنظره - وربما كان الكذب أبعد لما يؤمل، وأقرب لما يخاف، وأحياناً تجده يستلذّ بعذب الكلام الذي يختلقه، يقربه لصديقه

(١) الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم وذُرر الكلم، ص ٣٠١، ح ١٠٠٩٢.

فيستحلي الكذب، وإن كان هو أبعد عن الواقع. ومن خصوصياته أنه ينسى الأكاذيب التي يختلقها، ولعله يلفق أموراً متناقضة، فيغدو كلامه منمّقاً مزخرفاً هو يُصدّق بعضه، فتجد كلامه يشوبه لغو واضح وظاهر للسامع. والمتعارف أنّ الكذب لا يدوم باعتبار أنّ أغلب الأمور والحوادث فيما بينها روابط وآثار متّصلة بعضها ببعض؛ فلو اختلّ بعضها ونقص، تتضح وتنكشف للواقع. فبعد فترة يصدق الحقّ وينكشف أمره، ويكون في معرض الإهانة والذم، فينكشف للبعض كذبه؛ والكذب عادة اعتادها الكذاب ونفسه تواقّة إليه، ويتسلّى بهذه العادة السيئة التي أصبحت عنده طبيعة من طبائع نفسه.

وضرره يعود على صاحبه قبل أن تنتقل عدواه إلى غيره؛ هذه الصفة المذمومة يصبح بعيداً عن الناس ومحروماً من هداية الله. ولو أراد الابتعاد عن هذه العادة السيئة فسوف يجد عسراً وحرَجاً في اقتلاعها والابتعاد عنها، لأنّ النفوس إذا طبعت عليها يصعب تركها إلا إذا عزم على أمر ووفق إلى توبة نصوحة، فالله تعالى يوفّقه.

وأمر المؤمنين ليس فقط يحذرنّا من مصادقته، بل من استشارته في أمورنا كافّة، حيث قال ﷺ: «لَا تَسْتَشِرِ الْكَذَّابَ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ، يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ»<sup>(١)</sup>.  
أمر المؤمنين ﷺ بيّن لنا لوحة فنية جميلة، وصورة واقعية يصف فيها شخصية الكذاب، حيث تعرض إلى طبيعته وسجيته، بعدما أوصانا باجتناّب مصاحبته، ثمّ أرشدنا في حال الاضطرار إلى مصادقته ومسايرته، فلا تصدقه بأيّ حال من الأحوال. ومن جانب آخر، لا تبح له بأنك تكذبه ولا تصدقه، حيث قال ﷺ: «اجْتَنِبْ مُصَاحَبَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنْ اضْطُرَرْتَ إِلَيْهِ فَلَا تُصَدِّقْهُ، وَلَا تُعَلِّمَهُ أَنَّكَ تُكَذِّبُهُ، فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ عَنْ وَدَّكَ وَلَا يَنْتَقِلُ عَنْ طَبْعِهِ»<sup>(٢)</sup>، لأنّه في هذه الحالة لا يغير طبعه، بل إنّ نجر جك من حبه، وتكون له عدواً.

(١) الليثيّ الواسطيّ، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص ٥٢٥.

(٢) الليثيّ الواسطيّ، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص ٨٥.

ولعلك أحياناً تجد هذه الصفة عند البعض وتشاهد ثقله في المجتمع وله محسوبية على رواد المساجد، ويهتم بأداء الصلاة والصيام والعبادات الأخرى، فالبعض يغترّ به. وعندما ينكشف أمره بالكذب وعدم الصدق في الحديث، يظهر انزعاجه من الدين وكأنها الدين هو من ينشأ ويربي مثل هذه الأفراد، ولم يتوجه إلى أن البعض سجيته عدم الصدق وعدم حفظ الأمانة وأموال الناس. أما الصلاة والصيام فعادة اعتادها وإنه يستوحش إذا تركها؛ يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «لَا تَغْتَرُّوا بِصَلَاتِهِمْ وَلَا بِصِيَامِهِمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا هَجَّ بِالصَّلَاةِ<sup>(١)</sup> وَالصَّوْمِ حَتَّى لَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ، وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ عِنْدَ صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ<sup>(٢)</sup>». وهذه الصلاة حالها حال النار التي لا تحرق ولا أثر لها، فالإنسان لا نختبره بصلاته وصيامه وعبادته واستغفاره وبسببته التي يحملها، لعلها أصبحت له عادة، بل لا بُدَّ أن نختبره عند صدق الحديث وأداء الأمانة، كما أوصانا (عليه السلام).

وطريق الصدق وأداء الأمانة هو طريق الأنبياء (عليهم السلام) وأولياء الله تعالى والصالحين، فهم يجتنبون الكذب والخيانة وخداع الناس، فالصدق ديدنهم؛ لذا أمرنا الله تعالى أن نكون مع الصادقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أمير المؤمنين (عليه السلام)، بحواره الخطابي، حذرنا من هذه العادة السيئة، كذلك الشريعة الإسلامية حرّمته ووعدت مرتكبه بالذلّ والعقاب الشديد، وكسب سخط الله عليه، والخروج من رحمته، لما له من آثار سيئة تنطوي عنها أضرار خطيرة ومساوئ كثيرة. وآل البيت (عليهم السلام) لم يكتفوا بالتحذير من مصادقة من يتصف بهذه الصفة، بل أوصوا باجتنابه وعدم ممارسة الكذب صغيره أو هزله، لأنّه سوف يجترأ على كبيره وجده. يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

(١) اللهج بالشيء: الحرص عليه.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ١٠٤، ح ٢.

(٣) سورة التوبة: الآية: ١١٩.

«لَا يَصْلَحُ مِنَ الْكَذِبِ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ، وَلَا أَنْ يَعِدَ أَحَدُكُمْ صَبِيَّهُ ثُمَّ لَا يَفِيَّ لَهُ. إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ». <sup>(١)</sup>

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يقول لولده: «اتَّقُوا الْكَذِبَ الصَّغِيرَ مِنْهُ وَالْكَبِيرَ، فِي كُلِّ جِدٍّ وَهَزْلٍ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذَبَ فِي الصَّغِيرِ اجْتَرَى عَلَى الْكَبِيرِ» <sup>(٢)</sup>.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا يَجِدُ عَبْدٌ طَعَمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ هَزْلَهُ وَجِدَّهُ» <sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام: «جَانِبُوا الْكَذِبَ؛ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ» <sup>(٤)</sup>، حيث بين عليه السلام أَنَّ الْكَذِبَ نَقِضُ الْإِيمَانِ وَلَا يَجْتَمِعَانِ، فَحَذَرْنَا مِنْهُ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَفْقَدُ صِفَةَ الْإِيمَانِ إِذَا كَذَبَ.

وفي موضع آخر بين عليه السلام عِلَّةَ الْكَذِبِ، قَائِلاً: «عِلَّةُ الْكَذِبِ أَقْبَحُ عِلَّةٍ» <sup>(٥)</sup>، وقال عليه السلام: «الْكَاذِبُ عَلَى شَرَفٍ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ» <sup>(٦)</sup>.

فهؤلاء الذين يحملون مثل هذه الصفات أحياناً ضئيلة جداً تجذب البعض منهم يتأثر ببعض الكلمات التي تنقدح في وجدانهم عن طريق سماعهم لنصيحة أو موعظة مؤثرة من مصلح أو عالم دين ينقل آية قرآنية من القرآن الكريم، أو حديثاً عن إمام معصوم عليه السلام تحذره بالابتعاد عن هذه الظاهرة السيئة واجتنابها لما لها من تأثير سلبي على سلوك الفرد وسقوط كرامته وانعدام الثقة به أمام الناس؛ وبذلك تسري في سلوكيات المجتمع، وتولد ضعف الثقة فيما بينهم، فالحل الوحيد هو اجتناب هذه الظاهرة السيئة والندم على ما فات. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «عَاقِبَةُ الْكَذِبِ النَّدَمُ» <sup>(٧)</sup>.

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، ص ٥٠٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٣٣٨، ح ٢.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤٠، ح ١١.

(٤) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح، ص ١١٨.

(٥) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢١٢.

(٦) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح، ص ١١٨.

(٧) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٦٦٧.

## نتيجة البحث

وصلنا إلى نتيجة مفادها أن خطابات أمير المؤمنين عليه السلام الحوارية وإرشاداته التحذيرية للمخاطبين متنوعة، وهي ثقافة بحد ذاتها. وقد أكد عليه السلام الدقة في المصادقة والصحة وأوصانا باجتنب البعض الذين يتصفون بصفات سيئة؛ لما لها من أثر على شخصية الفرد وسلوكه، ومن ثم تنعكس سلوكياته على المجتمع.

وإن الهدف الأساس من ثقافة الحوار تنوير الشباب المسلم والاعتاظ بها وممارستها عملياً في الواقع العملي - قدر الإمكان -، وهي حاجة ضرورية للمجتمع.

يجب علينا التمسك بكلمات أمير المؤمنين عليه السلام ونشر ثقافة آل البيت عليهم السلام، لأنهم يرشدون إلى ما فيه الخير والصلاح للإنسان والمجتمع.

وفي الختام أوصي الباحثين الكرام بقراءة نصوص خطابات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وحواراته، ومطالعتها بتركيز والتأمل فيها، لاستظهار ما فيها من قيم أخلاقية ونشرها لليافعين والشباب بإضافة قصص هادفة تخص محتوى الموضوع.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

## المصادر والمراجع<sup>(١)</sup>

### القرآن الكريم

- ١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، تحقيق: د. صبحي الصالح، بيروت، ط ١، ١٣٨٧هـ.
- ٢- نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، شرح الشيخ محمد عبده، قم المقدسة، ط ١، الناشر: دار الذخائر، ١٤١٢هـ.
- ٣- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن عبد الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دمشق، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٩م.
- ٤- ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، قم المشرفة، ط ٤، الناشر: مؤسسة إسماعيليان، ١٣٦٤ش.
- ٥- ابن حميد، صالح بن عبد الله، معالم في منهج الدعوة، جدة، ط ١، الناشر: دار الأندلس الخضراء، ١٩٩٩م.

---

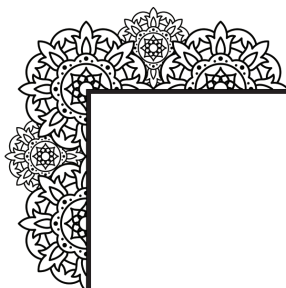
(١) منهجنا في تدوين وترتيب فهرس المصادر والمراجع، كما يلي:

- ألف) بدأنا بالقرآن الكريم؛ باعتباره من أجل الكتب، وانتخبنا طبعة طبق قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت ١٢٨هـ) برواية حفص بن سليمان الكوفي (٩٠ - ١٨٠هـ).
- ب) قدمنا كتاب نهج البلاغة على بقية الكتب.
- ج) رتبنا الفهرس طبق الحروف الأبجدية.
- د) لم نعر أهمية لـ (ال) التعريف في تسلسل المصادر.
- هـ) رتبنا عنوان الكتاب في فهرس المصادر، كما يلي: ذكر لقب المؤلف، اسمه، اسم الكتاب، اسم المحقق، مكان الطبع، رقم الطبعة، الناشر، تاريخ الطبع.

- ٦- الأمدّي، عبد الواحد بن محمد، غُررُ الحكم ودُررُ الكلّم، تصحيح: عبد الحسن الدهيني، بيروت، ط ١، الناشر: دار الهادي، ١٤١٣هـ.
- ٧- أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، الناشر: دار المأمون، ١٩٨٩م.
- ٨- الجُرْجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء تحت إشراف الناشر، بيروت، ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.
- ٩- الجَوْهَرِيّ، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، ط ٤، الناشر: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- ١٠- ديماس، محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، بيروت، ط ١، الناشر: دار ابن حزم، ١٩٩٩م.
- ١١- الدِّينَوَرِيّ، عبد الله بن مسلم، غريب الحديث، بيروت، ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
- ١٢- الرِّيشَهْرِيّ محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، قم المقدّسة، ط ٢، الناشر: دار الحديث، ١٤٢٥هـ.
- ١٣- الرِّيشَهْرِيّ محمد، ميزان الحكمة، تحقيق: دار الحديث، قم المقدّسة، ط ١، الناشر: دار الحديث، ١٤١٦هـ.
- ١٤- الزَّبيديّ، محمّد مرتضى بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
- ١٥- الزيات، أحمد، وآخرون، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مكتبة مشكاة الإسلامية، ٢٠٠٤م.

- ١٦- الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، قم المشرفة، ط ١، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧ هـ.
- ١٧- الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم المشرفة، ط ١، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، بدون تاريخ.
- ١٨- الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي.
- ١٩- الطريحي، فخر الدين بن محمد علي، مجمع البحرين، طهران، ط ٢، الناشر: مرتضوي، ١٣٦٢ ش.
- ٢٠- الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط، تحقيق: السيد محمد تقي الكشفي، طهران، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، ١٣٨٧ هـ ش.
- ٢١- القتال النيسابوري، محمد بن القتال، روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، قم المشرفة، الناشر: منشورات الشريف الرضي، بدون تاريخ.
- ٢٢- الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران، ط ٥، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ ش.
- ٢٣- الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني، قم المقدسة، ط ١، الناشر: دار الحديث، ١٤١٨ هـ.
- ٢٤- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بيروت، ط ٨، الناشر: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥ م.
- ٢٥- المباركفوري، محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذّي بشرح جامع الترمذي، بيروت، ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م.

- ٢٦- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، طهران، ط ١، الناشر: مؤسسة الطور للنشر، ١٤١١هـ.
- ٢٧- المفيد، محمد بن النعمان، الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، بيروت: ط ٢، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.
- ٢٨- الموفق الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد، المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، قم المشرفة، ط ٢، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ١٤١٤هـ.
- ٢٩- المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تحقيق: أحمد عبد السلام، بيروت، ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- ٣٠- النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، بيروت، الناشر: دار الكتاب، ١٩٨٧م.

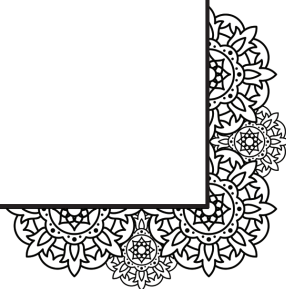


# الأساليب التربوية والاخلاقية في فكر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

الباحثة

م.د. علياء سعيد ابراهيم

جامعة الكوفة – كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة  
دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر



## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

بسم الله علام الغيوب، عليه توكلت، وعليه فليتوكل المتوكلون. اللهم صلّ على محمد حبيبك المصطفى وآله الأطهار، كما صليت وسلمت وباركت على إبراهيم خليلك المجتبى وآله الأبرار.

سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذه المرأة العظيمة في سيرتها التي دخلت التاريخ الإسلامى، وتركت فيه من الآثار ما جاوز كل تصور واحتمال. لقد آثرها الله سبحانه وتعالى بالخط الأوفى، فتصدّرت المكانة المرموقة منذ طفولتها، فكانت بحبها العميق لأبيها ورسوخ إيمانها بنبوته تمسح عنه عناءه من قومه وقسوتهم عليه، اذ شهدت كل ما حدث لأبيها (عليه السلام) من قومه من المحن والآلام فكانت خير العون والسند له.

السيدة الزهراء (عليها السلام) مجمع الكمالات، مثال الإنسان الكامل، وتجلّى اسم الله الأعظم في عالم الوجود، فاطمة (عليها السلام) مثال الكمال والجمال الذي خلع عليه الربّ الودود رداءً بشرياً، فلما تجلّى للبشرية، قال تعالى عن خلقه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، فهي (عليها السلام) فوق حدود وصفنا القاصر وأذهاننا المكدودة، لا يصفها حقّ وصفها إلا الذي أنجبها إذ يقول (عليه السلام) في وصفها: (لو كان الحُسن شخصاً، لكان فاطمة! بل هي أعظم!! إنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرافاً وكرماً).

لقد شاءت الإرادة الإلهية أن تحوز ذرية نبينا (عليه السلام) قصب السبق على ذراري الأنبياء والمرسلين، بل فاقت في الفضل والمنزلة الأنبياء والأوصياء والأولياء، وأضحت هادية للخواص والعوام من الأولين والآخرين. وكان لسيدتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) منزلة خاصة

في هذا الشأن، بحيث نالت عن جدارة واستحقاق لقب «سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»، وأضحت زوجة سيد الأوصياء وأماً لأئمة أهل البيت (عليه السلام).

وقد سطعت شخصيتها (عليه السلام) في برهة زمنية قصيرة لم يقدر لها أن تطول على نفوس البشر الغارقة في الظلام، لكن آثارها ما تزال باقية راسخة لا تزول إلا بزوال هذا الوجود. لذلك لزماً أن نتعرف على العظمة الوجودية لفاطمة الزهراء (عليها السلام) وأساليبها التربوية والأخلاقية التي اتبعتها لتكون أنموذجاً للسير على نهجها.

### وسنجيب في هذا البحث عن مجموعة من الأسئلة، ومنها:

ما هي الأساليب التي اتبعتها السيدة الزهراء (عليها السلام) بهدف إصلاح الفرد والمجتمع؟

هل الأساليب والأنماط مترابطة بعضها ببعضها الآخر أو لا؟

قُسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مطالب، وخاتمة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، حمل التمهيد عنوان «تحديد مصطلحات البحث (الأسلوب، التربية، الأخلاق، السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام))» إذ تعرفنا إلى أهم مفردات البحث، فضلاً عن ولادتها (عليها السلام) متى وأين، وتعرفنا إلى أبرز ألقابها ثم تطرقنا إلى وفاتها ووصيتها (عليها السلام).

أما المطلب الأول، فقد حمل عنوان «الارتباط بين الإنسان وخالقه في فكر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)» إذ تعرفنا إلى أبرز الأساليب التي أكدتها السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي يجب أن يتعلّمها الفرد من أجل صلاحه في حياة الدنيا والآخرة. أما المطلب الثاني فقد جاء عنوانه «العلاقة بين الإنسان ونفسه عند السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)»، إذ أشار إلى الطرق التي استخدمتها الزهراء في كيفية تعامل الفرد مع نفسه. أما المطلب الثالث فقد حمل عنوان «الاتصال بين الإنسان ونبيه (عليه السلام) وهل بيته (عليه السلام) في فكر الزهراء (عليها السلام)». إذ بين أهمية اتصال الفرد بأئمة أهل البيت (عليهم السلام). أما المطلب الرابع، فجاء بعنوان «آصرة تعامل الإنسان مع

الأفراد الآخرين عند السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، إذ وضع أهم الأساليب والطرق التي اتبعتها الزهراء مع الأفراد من أجل إقامة المودة والتعاون بينهم ولغرض إصلاح المجتمع. اعتمد البحث على مصادر متنوعة؛ من أبرزها الرسائل الجامعية منها، «الأساليب القيادية وعلاقتها بالسماة الدافعية والشخصية نحو العمل الإداري لمديري المدارس الثانوية في محافظة نينوى»، للمؤلف «العزاوي، أنور علي صالح عزيز»، وكذلك اعتمدنا على مجموعة من الكتب منها «الأصول من الكافي» للمؤلف الكليني، فضلاً عن «بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار»، الجزء ٤١، الجزء ٨٣، للمؤلف «محمد باقر المجلسي».

**التمهيد:**

تحديد مصطلحات البحث (الأسلوب، التربية، الأخلاق، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام).

**الأسلوب:**

في اللغة يرجع إلى السِّلْب الطريق أو الفن أو المذهب أو العمل تقول سلك أسلوبه أي طريقته،<sup>(١)</sup>.

ويعرف اصطلاحاً: عند الفلاسفة على كيفية تعبير المرء عن أفكاره، وعلى نوع الحركة التي يجعلها في هذه الأفكار<sup>(٢)</sup> كما يعرف الطريقة التي يؤثر فيها قائد الجماعة بأتباعه، ويعرف أيضاً الطريقة في سعي الفرد لتحقيق ما خاص به، وكذلك يعرف سلوكاً معيناً يصدر من القائد يؤدي إلى أن يحيط به الآخرون ويطيعونه<sup>(٣)</sup>.

**التربية:**

التربية في اللغة: ترجع إلى أصل ربى، وهو الزيادة والنماء والعلو، وربا الشيء يربو إذا زاد، وربا الرابية يربوها، والربوة المكان العالي المرتفع، ويقال رَبَّه وَرَبَّاهُ وَرَبَّهٗ<sup>(٤)</sup>. وجاء ذكر

(١) معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأعلام، (دار المشرق، بيروت، ط ٣٥، ١٩٩٦م)، ص ٣٤٣.

(٢) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، (ذوي القربى، قم، ١٣٨٥ ش)، الجزء ١، ص ٨٠.

(٣) العزاوي، أنور علي صالح عزيز، الأساليب القيادية وعلاقتها بالسمات الدافعية والشخصية نحو العمل الإداري لمديري المدارس الثانوية في محافظة نينوى، أطروحة دكتوراه، (كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٣م)، ص ٣٠.

(٤) ابن زكريا، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥ م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م)، الجزء ٢، ص ٤٨٣؛ الإصفهاني، الراغب (ت: ٤٢٥ هـ)، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دار القلم، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٢م)، ص ٣٣٦-٣٣٧.

الكلمة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾<sup>(١)</sup> وقوله أيضاً: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أما التربية اصطلاحاً، فلها تعاريف متنوعة، ومنها: هو السعي لغرض إيجاد التغيير المطلوب في الفرد والجماعة، وإيصالهم إلى التكامل التدريجي والتسلسلي والمتواصل في الحياة<sup>(٣)</sup>.

وتعرف أيضاً هو مساعدة الأفراد على تحقيق ذاتهم حتى يبلغوا أقصى وأعلى درجات الكمال في إطار المجتمعات التي يعيشون فيها<sup>(٤)</sup>.

### الأخلاق:

فالأخلاق لغة: ترجع إلى الفعل (خلق) والخلق أصله التقدير المستقيم، ويستخدم في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء<sup>(٥)</sup> كما ورد في كتابه العزيز ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾<sup>(٦)</sup>. وتستعمل في إيجاد الشيء من شيء. فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾<sup>(٧)</sup>. وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى، ولهذا قال في الفصل الذي بينه تعالى وبين غيره كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٨)</sup> وأما الذي يكون بالاستحالة

(١) سورة سبأ، الآية: ١٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

(٣) الخرسان، صالح عبد الرزاق الموسوي، تربية الطفل وإشرافاتها التكاملية، (منشورات شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٢٦.

(٤) عصفور، معاذ، التربية الإعلامية، (دار أمجد للنشر والطباعة، عمان، ٢٠١٤م)، ص ٩٧.

(٥) الإصفهاني، المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٦) سورة الانعام، الآية: ١.

(٧) سورة النساء، الآية: ١.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٧.

وقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال، كعيسى، اذ قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾<sup>(١)</sup>.

أما اصطلاحاً: هي مجموعة من السجايا والصفات التي يتصف بها الإنسان بنوعيتها المحمودة أو المذمومة، صالحة أو سيئة<sup>(٢)</sup>.

وتعرف أيضاً: أنها هيئة للنفس ثابتة، والتي تصدر عنها الأفعال بسهولة من دون الحاجة إلى تفكير، وإذا كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً تسمى خلقاً حسناً، وإذا كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال قبيحة تسمى الهيئة خلقاً سيئاً، وسميت هيئة ثابتة/ وذلك لكون كل ما يصدر منه بذل المال على الدور في حالة طارئة لا يقال خلقه سخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه، ومن تكلف الصمت عند الغضب لا يقال عليه خلقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فمن المحتمل شخص أخلاقه كريمة وسخية ولا يبدل ماله فربما ليس لديه المال أو لديه أسباب تمنع ذلك، ومن المحتمل شخص خلقه البخل، وهو يبدل ماله للشهرة والرياء والغرور<sup>(٣)</sup>.

### السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

ولدت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في العشرين من جمادى الثانية بعد البعثة بخمس سنين<sup>(٤)</sup>. وهي بنت محمد بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، وأمها

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٢) سلمان وليد عطا، الأسرة المسلمة ودورها في تربية أبنائها وتعليمهم العلم الشرعي، (بغداد، ٢٠١٣م)، ص ١٣.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م)، ص ١٠١.

(٤) دخيل، علي محمد علي، أعلام النساء، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١)، ص ٧٨.

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي<sup>(١)</sup>، ونشأت في كنف أبيها رسول الله ﷺ الذي غذاها من عطفه وعلمه وأضاف عليها من مكوناته النفسية، وعلمها القرآن الكريم مع إحاطتها علماً في جميع ما يتعلق بجميع الآيات وأحكامه مع أحكام الشريعة الإسلامية من العبادات والمعاملات<sup>(٢)</sup>.

وتزوجت ﷺ من الإمام علي بن أبي طالب ﷺ بمهر بسيط، إذ تقدم لخطبتها العديد من الرجال ذات المال والجاه إلا أنّ الرسول ﷺ لم يزوجهما إلا للإمام علي بن أبي طالب ﷺ، وهو تزويج ربّاني. وعن رسول ﷺ: يقول لعلي: (يا علي لقد عاتبني رجال من قریش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعنا وزوجت علياً؟ فقلت لهم والله ما أنا بمنعكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه، فهبط عليّ جبرائيل ﷺ فقال: يا محمد إنّ الله جلّ جلاله يقول: لو لم أخلق علياً لما كان لفاطمة ابتك كفاء على وجه الأرض، آدم فمن دون)<sup>(٣)</sup>.

وللسيدة فاطمة الزهراء ﷺ ألقاب عدة، وكل اسم يشير إلى صفة من صفاتها النادرة وبركاتها العطرة، وهي «فاطمة» إذ سميت به لأن الله سبحانه وتعالى كما ورد عن رسول الله ﷺ فطمها وشيعتها من النار<sup>(٤)</sup>، وكذلك اسمها «الزهراء»، ومعناه النور. وكذلك كانت كلما تقف في محرابها للعبادة يسطع منها نور يستنير به أهل السماوات والأرض<sup>(٥)</sup>، والبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودينياً وحسباً، و«الطاهرة» لطهارتها من كلّ دنس ولم تر

(١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٩٩٣م، الجزء ٢، ص ١٠٩، ص ١١٩.

(٢) القرشي، باقر شريف، حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء ﷺ، دراسة وتحليل، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١م)، ص ٦٨.

(٣) الشاكري، حسين، فاطمة الزهراء ﷺ، (مطبعة الهادي، قم، ١٤١٥هـ)، ص ٨٧.

(٤) الحسنی، نبیل، هذه فاطمة صلوات الله عليها: وهي قلبي وروحي التي بين جنبي (النبي المصطفى ﷺ)، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، ٢٠١٣م، ص ٢٠.

(٥) الشيرازي، ناصر مكارم، الزهراء خير نساء العالمين، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م)، ص ١١.

حمرة ولا نفاساً<sup>(١)</sup> كما سميت «الصديقة»، والطاهرة والمباركة والزكية والراضية والمرضية والمحدثة وأم الأئمة والتقية وبهجة الفؤاد والعفيفة والقائمة في الليل وعقيلة الرسالة<sup>(٢)</sup> والحرّة والسيدة والعذراء ومريم الكبرى، ولها أسماء في السماء النورية والسمّاء والحانية<sup>(٣)</sup>.  
أما بالنسبة إلى أبنائها: هم الحسن (٣-٥٠هـ)، الحسين (٤-٦١هـ)<sup>(٤)</sup> وكذلك محسن الذي سقط، وهو في عدة شهور، ومن بناتها السيدة زينب (٥-٦٣هـ)<sup>(٥)</sup>، والسيدة زينب الصغرى ولقبها أم كلثوم (٦-٦٢هـ)<sup>(٦)</sup>.

وبعد أن تحملت ﷺ مرارة العيش وصبرت على كلّ المحن والمصائب، لأجل إعلاء كلمة الإسلام ونشر الدين الإسلامي، توفيت ﷺ في عمر الثامنة عشر سنة وأشهر في سنة ١١هـ<sup>(٧)</sup>، ولها ثلاث وفيات؛ الأولى قيل بعد أربعين يوماً، أما الوفاة الثانية فكانت بعد (١) الدباغ، محمد رضا عباس محمد، سيرة الزهراء ﷺ بأسلوب قصصي ميسر، (دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ٣١، ص ٣٣.  
(٢) محلاتي، ذبيح الله، رياحين الشريعة، (دار الكتب الإسلامية، بيروت، ١٣٨٥ش)، الجزء ١، ص ١٣-١٧؛ الشيرازي، المصدر السابق، ص ١٠ - ١١.  
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م)، الجزء ٤٣، ص ١٦-١٧.  
(٤) فوزي، محمد، رجال حول أهل البيت، (دار الصفوة، بيروت، ١٩٩٣م)، الجزء ١، ص ١٦١، ص ٢٢٧.  
(٥) الخطيب، علي بن الحسين الهاشمي، عقيلة بني هاشم، (بيروت، مؤسسة المفيد، ط ٢، ١٩٩٠م)، ص ٥؛ عبد الله، مهدي، زينب في التاريخ، (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢م)، ص ١٣٤.

(٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٩٩٣م)، الجزء ٣، ص ٥٠٠؛ محمد، عبد الزهراء عثمان، الزهراء ﷺ فاطمة بنت محمد ﷺ، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ١٢١.  
(٧) الأنصاري، محمد علي، أهل البيت ﷺ إمامتهم حياتهم، (مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٣٨٢ش)، ص ١٦٨؛ الخوينتي، إسماعيل الأنصاري الزنجاني، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ﷺ، (دليل ما، قم، ١٣٨٥ش)، المجلد ٥، ص ٣٨٥.

سبعين يوماً، أما الوفاة الثالثة ففيل بعد تسعين يوماً<sup>(١)</sup>.

### المطلب الأول / الارتباط بين الإنسان وخالقه في فكر فاطمة الزهراء (عليها السلام)

امتلكت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) جملة من المناهج المتنوعة والنصائح والإرشادات العالية التي تفيض بالإيمان وتمتلئ بالعطاء الخير الذي يتسع لجوانب الحياة كافة، والتي يجب أن تقوم على أساسها: كالأخلاق والتربية والآداب وغير ذلك، مما ينبغي ويفترض على الإنسان المسلم أن يطبقه ويتحلى به حتى يكون منسجماً مع مبادئ الإسلام بالعمل قبل القول<sup>(٢)</sup>.

وعلى أساس ذلك، يحث أهل البيت (عليهم السلام) الإنسان على توثيق العلاقة بين الفرد وخالقه، وتكون هذه العلاقة من خلال الصلاة والصوم والدعاء والإخلاص للفرد في جميع أمور الحياة، إلى غير ذلك من أمور الإسلام الأخرى التي أكدها في كتابة العزيز وسنة نبيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وإن أبواب الارتباط بين الفرد وخالقه متعددة، ومنها: الإخلاص، وهي صدق العبد في توجهه إلى الله تعالى اعتقاداً وعملاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٤)</sup> إذ ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله): (ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم:

(١) العظيمي، محمد علي الشاه عبد، الإيقاد في وفاة النبي والزهراء والأئمة أجمعين، (مطبعة الزهراء، بغداد، د.ت)، ص ١١.

(٢) الحسنی، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، (دار القلم، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م)، القسم الثاني، ص ٤٣٣.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٤) سورة البينة، الآية: ٥.

إخلاص العمل لله، والنصيحة لائمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطه من ورائهم<sup>(١)</sup>.

كما تؤكد الزهراء عليها السلام الإخلاص لله سبحانه في القيام بالأعمال مع النية بالقربة لله تعالى، إذ جاء عنها: (من أصدق إلى الله خالص عبادته أهبط عزّ وجلّ أفضل مصلحته)<sup>(٢)</sup>. أي إنّ الزهراء عليها السلام تؤكد الإخلاص لله في جميع الأمور؛ لأن فيها نجاح الأمور، وتنوير البصائر والقلوب، ونجاح الفرد في الدنيا والآخرة.

ومن أبواب الارتباط بين الخلق والمخلوق هو الدعاء، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض)<sup>(٣)</sup>.

وسارت على نهجه ابنته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، إذ ورد عنها: (فأكثر من تلاوة القرآن، والدعاء فإنّها ساعة يحتاج الميت فيها إلى أنس الإحياء)<sup>(٤)</sup>.

(الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاءه)<sup>(٥)</sup>.

والباب الآخر لارتباط الفرد برّبّه هو الاستغفار، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (من كثرت همومه فعليه بالاستغفار) وأيضاً عنه عليه السلام (ادفعوا البلياء بالاستغفار)<sup>(٦)</sup>، أي إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يحثّ جميع الناس على الاستغفار إلى الله تعالى، على الرغم مما يقومون به من أعمال غير جيدة، والباري عزّ وجلّ يغفر الذنوب لخلقهم لمجرد عودة الناس إليه وطلب منه الرحمة والمغفرة.

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: أخلاقي، عقائدي، اجتماعي، سياسي، اقتصادي، أدبي، (دار الحديث، قم، ٢٠٠٠م)، المجلد ٣، ص ٢٢٩١.

(٢) الريشهري، المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٨٨٢.

(٣) المجلسي، المصدر السابق...، الجزء ٩٣، ص ٣٤١ - ٤٣٢.

(٤) المجلسي، المصدر السابق...، الجزء ٧٩، ص ٢٧.

(٥) عاشور، علي، فاطمة بنت محمد قدوة للنساء، (دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٢م)، ص ١٩١.

(٦) الريشهري، المصدر السابق، المجلد ٧، ص ٣٠١٦ - ٣٠١٧.

ويؤكد وصيه وخليفته من بعده ذلك، وهو الإمام علي (عليه السلام) إذ أكد الاستغفار والتسبيح وهي باب من أبواب الله سبحانه وتعالى كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، بقوله: (عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار)<sup>(٣)</sup> (ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة، ولا ليفتح لعبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة)<sup>(٤)</sup>.

وسارت على نهج الرسول ﷺ ابنته الزهراء (عليها السلام) وأكدت (عليها السلام) في مواضع عديدة الاستغفار، إذ قالت: (ربّ أستغفرك لما جهلت فاغفر لي، قد أبرز الدعاء للحاجة إليك فلا تؤيسني يا كريم ذا الآلاء والإحسان والتجاوز)<sup>(٥)</sup>.

وجاء في أهمية تسبيحها والاستغفار بعده وقولها (عليها السلام): (اللهم انفعنا بالعلم وزينا بالحلم واملنا بالعافية وأكرمنا بالتقوى؛ إنّ وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٣) الرضي، محمد بن الحسين بن موسى الشريف (ت: ٤٠٦هـ)، نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين، تحقيق: قيس بهجت العطار (دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء المقدسة، ١٤٣٧هـ)، ص ٧٢٠.

(٤) الريشهري، المصدر السابق، المجلد ٧، ص ٣٠١٨.

(٥) الخويني، إسماعيل الأنصاري الزنجاني، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء، (مطبعة نكارش، قم المقدسة، ١٣٩٢ ش)، مجلد ٢٢، ص ٢٩٠.

(٦) المجلسي، المصدر السابق...، الجزء ٨٣، ص ٥١؛ الخويني، المصدر السابق، مجلد ٢٢، ص ٢٠٤.

### المطلب الثاني: العلاقة بين الإنسان ونفسه عند فاطمة الزهراء (عليها السلام)

اتبعت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) نهج القرآن الكريم وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) في إعطاء مجموعة من الوصايا التربوية والحضارية من أجل مساعدة الإنسان المسلم للسيطرة على نفسه، وكبح جماحها، وغرس القيم الأخلاقية عند البشر، ومن أجل استئصال كل جذور الشر في نفوس البشر<sup>(١)</sup>.

وقد جاء عن أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان)<sup>(٢)</sup>.

وسارت الصديقة (عليها السلام) على نهج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حث الإنسان المسلم على الارتقاء إلى مراحل إيمانية عالية إذ قالت: (جعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق، والصلاة تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين)<sup>(٣)</sup>.

تبتغي الزهراء (عليها السلام) أن يصل إيمان الفرد إلى حقيقة اليقين المتضمن بعدم الشرك بالله وأداء الصلاة والصوم والحج.

ومن الأساليب التربوية التي ينبغي للفرد اتباعها، هو العمل الخالص لله والابتعاد عن الرياء لغرض إيصال الفرد إلى أعلى مراتب الكمال، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾<sup>(٤)</sup>، ومنها قول فاطمة الزهراء (عليها السلام): (اللهم

(١) الذهبي، عباس، الإمام الرضا: سيرة وتاريخ، (مطبعة ستارة، قم، ١٤٢٢هـ)، ص ١٢٩.

(٢) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٣٨٥-٤٦٠هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، (دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ)، ص ٤٤٨.

(٣) المجلسي، محمد باقر، الزهراء (عليها السلام) وخطبة فدك: شرح الخطبة الفدكية، (دار كلستان كوتر للنشر، طهران، ٢٠٠٣م)، ص ٦٢-٦٣.

(٤) سورة طه، الآية: ٧٥.

انزع العجب والرياء والكبر والبغي والحسد والضعف والشك والوهن والضرّ والأسقام والخذلان والمكر والخديعة والبلية والفساد من سمعي وبصري وجميع جوارحي، وخذ بناصيتي إلى ما تحبّ وترضى يا أرحم الراحمين<sup>(١)</sup>.

فيجب على المرء أن يقوم بكلّ الأعمال لوجه الله تعالى وليس للمفاخرة بين الناس.

علاوة على أنّها كانت صابرة على الوضع المعاشي التي كانت تعيشه. وعن جابر بن عبد الله الأنصاري إذ قال رأى رسول الله ﷺ فاطمة عليها كساء من أجلّة الإبل، وهي تطحن بيدها وترضع ولدها. فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: (يابنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه)<sup>(٢)</sup>، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) المجلسي، بحار الأنوار...، الجزء ٨٣، ص ٦٨.

(٢) ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن علي ابن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي الجيش السروي المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، أمير المؤمنين، تحقيق: السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني، (مطبعة شريعت، قم المقدسة، ١٣٩٠ ش)، الجزء ٣، ص ١٢٠.

(٣) سورة الضحى، الآية: ٥.

### المطلب الثالث: الاتصال بين الإنسان ونبيه ﷺ وأهل بيته ﷺ في فكر الزهراء ﷺ

خلق الله سبحانه وتعالى الأنبياء وأئمة أهل البيت ﷺ وجعلهم إحدى الوسائل في التقرب والوصول إلى الله تعالى وحث جميع البشر بالافتداء بهم والسير على نهجهم باعتبارهم القدوة والأسوة الحسنة لهم، فمن خلاهم يرسم للجميع الأفراد طريق الخير للدنيا والآخرة، وهم الشفعاء عند الباري عز وجل<sup>(١)</sup>.

وتؤكد لنا السيدة فاطمة الزهراء ﷺ الدوام على الصلاة على النبي وأهل بيته تقديراً لما بذلوه من جهود عظيمة ومشرفة من أجل بناء الأمة وإصلاحها وتحملوا أعباء الدنيا من أجل إصلاح الأمة وإنقاذها من الجهل والظلم. وقد أكد القرآن الكريم فضل الصلاة على النبي في ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، وكذلك قول رسول الله ﷺ في تأكيده أهمية الصلاة عليه: (الصلاة عليّ نورٌ على الصراط)، وقوله ﷺ: (حيثما كنتم فصلّوا عليّ، فإنّ صلاتكم تبلغني)، وقوله ﷺ: (قولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)<sup>(٣)</sup>.

وقولها ﷺ في فضل التسليم عليهم عن يزيد بن عبد الملك النوفلي، عن أبيه، عن جدّه قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فبدأتني بالسلام، قال: وقالت: قال أبي، وهو ذا حيّ: من سلّم عليّ وعليك ثلاثة أيام فله الجنة، قلت له: ذا في حياته وحياتك أو بعد موته وموتك؟ قالت: في حياتنا وبعد وفاتنا<sup>(٤)</sup>.

(١) الذهبي، عباس، المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٣) الريشهري، محمد، المصدر السابق، المجلد ٥، ص ٢١٩٨.

(٤) الأصفهاني، جواد القيومي، صحيفة الزهراء ﷺ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المقدسة (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٣٧٥ ش)، ص ٢٧٦.

وروي عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) أنها قالت في فضل والداها وزوجها وأهل البيت (عليهم السلام): (أبوا هذه الأمة: محمد وعلي، يقيمان أودهم، وينقذانهم من العذاب الدائم، إن أطاعوهما، ويبيحانهم النعيم الدائم، إن وافقوهما)<sup>(١)</sup>.

وأيضاً قالت (عليها السلام): (اللهم صلِّ محمد وال محمد، وصلِّ على أبنينا آدم وأمنا حواء)، فضلاً عن ذلك: (اللهم صلِّ على محمد وال محمد، وعلى جميع ملائكتك وأنبيائك ورسلك)<sup>(٢)</sup>.

#### المطلب الرابع: أصرة تعامل الإنسان مع الآخرين عند فاطمة الزهراء (عليها السلام)

يروم الإسلام من الفرد أن يتحلَّى بالأخلاق العالية واتباع الأنبياء وأهل البيت (عليهم السلام) وأن يخرج الفرد من الأنانية والحقْد والحسد. فقد جاء ذكر الحسد في القرآن الكريم، ونهى القرآن عنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>. وسار على ذلك رسول الله ووصيه (عليهما السلام) بأقوال عدَّة، إذ قال (عليهما السلام): (صحة الجسد من قلة الحسد)<sup>(٤)</sup> وقول آخر له (عليهما السلام): (الحسد شرُّ الأمراض) (الحسد لا يجلب إلَّا مضرَّةً وغيظاً، يوهن قلبك ويمرض جسمك)<sup>(٥)</sup>.

وذلك كلُّه من أجل إقامة علاقات جميلة وجيدة بين أفراد المجتمع وتأسيس الاحترام المتبادل بين أبنائه؛ وبالنتيجة، بناء مجتمع صالح. ولأئمة أهل البيت (عليهم السلام) دور في العمل على ذلك، ومنهم السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

(١) البحراني، هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن، (مطبعة اسماعيليان، قم، ١٣٧٥ ش)، مجلد ٣، ص ٢٤٥.

(٢) الخوينتي، المصدر السابق، المجلد ٢٢، ص ٢٨٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٤) الرضي، المصدر السابق، ص ٧٥٧.

(٥) الريشهري، المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٨٣٧.

وفي هذا الجانب تؤكد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أموراً عدة: منها البرّ بالوالدين وصلة الرحم والتي لها أثر عظيم في الفرد، وينبغي للأبناء الاعتناء بوالديهم وعدم عقوبتهما ما داما على قيد الحياة، وكذلك بعد وفاتهما من خلال الدعاء لهما، والتصدق عنهما، بغض النظر عن عقيدتهم والتأكيد في ذلك ما اكده تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وكذلك قول رسوله الكريم عليه السلام عندما جاء إليه رجل لكي يطلب منه وصايا عدة من أجل خير الدنيا والآخرة فقال له عليه السلام: (لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار إلا وقلبك مطمئن بالإيمان؛ ووالديك فأطعهما وبرّهما حين كانا أو ميتين، وإن أمرك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، فإنّ ذلك من الإيمان)<sup>(٢)</sup>، وسارت على نهجه ابنته سيدة نساء العالمين إذ قالت: (الأمر بالمعروف مصلحة للعامة، والبرّ بالوالدين وقاية من السخطة، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنهاة للعدو)<sup>(٣)</sup>.

لذلك يؤكد النبي عليه السلام ووصيه عليه السلام وابنته مسألة الوالدين لما لهما من منزلة عظيمة عنده وعلى الأولاد الانتباه إلى ذلك.

بالإضافة إلى ذلك، في هذا الجانب، تحث السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام على العطاء والكرم والسخاء والبرّ بالفقراء لما له من أثر نفسي ومعنوي في نفوس الآخرين، وهي باب من أبواب الرحمة والموادة بين البشر. وكانت مع زوجها ولديها من المعنيين بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾<sup>(٤)</sup>. ومن جوانب ذلك البرّ والإحسان، أنّها كانت تستقي الماء بقرية فتحملها

(١) سورة ال عمران، الآية: ٩٢.

(٢) الكليني، ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (ت: ٣٢٨/٣٢٩هـ)، الاصول من الكافي، مطبعة حيدري، طهران، ط ٧، ١٣٨٣ ش)، الجزء ٢، ص ١٥٨.

(٣) المجلسي، الزهراء عليها السلام، ص ٦٩.

(٤) سورة الدهر، الآيتان: ٨-٩.

لضعفاء جيرانها من الذين لا يتمكنون من الحصول على الماء، فضلاً عن أنها كانت تطحن الحب من الحنطة والشعير لفقراء جيرانها الذين يعجزون عن الطحن<sup>(١)</sup>.

ومن أخلاق فاطمة الزهراء (عليها السلام) التنمية البر بالفقراء ومساعدتهم. ووصل بها الحال أن تعطي ثوبها في ليلة زفافها، لفتاة من المهاجرين عندما علمت أن الفتاة لم تجد ثوباً جديداً تلبسه، لذلك خلعت (عليها السلام) ثوبها ومنحتها إياه<sup>(٢)</sup>.

لهذا نشاهد أنها تجردت من كل نزعة مادية، وآثرت رضا الله تعالى والتقرب إليه على كل شيء من أجل الاقتداء بها والسير على نهجها.

وتحت (عليها السلام) على الألفة والموودة بين الأفراد وأن يلاقي الفرد أخاه المؤمن بوجه بشوش، إذ قالت: (البشرى في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة، والبشرى في وجه المعاند يقي صاحبه عذاب النار)<sup>(٣)</sup>.

ومن باب الكرم والسخاء للسيدة فاطمة (عليها السلام) أنها أعطت عقدتها لإعرابي جائع جاء إلى والديها كما جاء في الرواية الآتية: (عن جابر بن عبد الله الانصاري، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر... فينماهم كذلك إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب... فأقبل على رسول الله ﷺ يستحثه الخبر فقال الشيخ: يا نبي الله أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني... فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب، فقطعت من عنقها ونبذته إلى الإعرابي فقالت: خذه وبعه؛ فعسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه. فأخذ الإعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله والنبي ﷺ جالس بين أصحابه، فقال: يا رسول الله أعطتني فاطمة هذا العقد، فقالت:

(١) القرشي، باقر شريف، المصدر لسابق، ص ٩٣.

(٢) القرشي، باقر شريف، المصدر السابق، ص ٦٤.

(٣) المجلسي، بحار الانوار... الجزء ٧٢.

بِعُهُ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَصْنَعَ لَكَ.... فقام عمار بن ياسر، فقال: يا رسول الله أتأذن لي بشراء هذا العقد؟ قال: اشتره يا عمار... وعاد الإعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله: أشبعت واكتسيت؟ قال الإعرابي: نعم، واستغنيت، بأبي أنت وأمي..... فعمد عمار إلى العقد،... وكان له عبد اسمه (سهم) ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخير، فدفع العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله ﷺ وأنت له. فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله ﷺ وأخبره بقول عمار. فقال النبي: انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها. فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله ﷺ فأخذت فاطمة ﷺ العقد واعتقت المملوك، فضحك الغلام (العبد).- فقالت: ما يضحكك يا غلام؟ فقال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً، وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع إلى ربّه).<sup>(١)</sup>

أي إن الزهراء ﷺ تساعد الناس ولا سيما الفقراء، وتنظر بعين اللطف والاحترام والود، ولا فرق بين فرد وآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح.

فضلاً عن ذلك كانت سيدة النساء ﷺ متواضعة وخلوقة مع جميع البشر، حتى مع خادمتها الفضة، إذ قسمت العمل معها وجعلته يوماً بيوم وكان رسول الله ﷺ قد جلبها لها بعد أن كثرت الفتوح والمغانم وارتفع الفقر، وقد جاء عن الإمام الباقر ﷺ: (أن فاطمة سألت من رسول الله ﷺ خادماً إلى أن قال: ثم غزا رسول الله ﷺ ساحل البحر، فأصاب سبياً فقسمه، فأمسك امرأتين أحدهما شابة، والأخرى امرأة قد دخلت في السن ليست بشابة، فبعث إلى فاطمة، وأخذ بيد المرأة فوضعها في يد فاطمة وقال: «يا فاطمة، هذه لك ولا تضربيهما، فإنني رأيتها تصلي، وإن جبرئيل نهاني أن أضرب المصلين»، وجعل رسول الله ﷺ يوصيها بها، فلما رأت فاطمة ما يوصيها بها التفتت إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول

(١) المجلسي، بحار الانوار...، الجزء ٤٣، ص ٥٥ - ٤٩.

الله عليَّ يوم وعليها يوم، ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء<sup>(١)</sup> وقال: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»<sup>(٢)</sup> و﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

يتضح لنا من هذه الأقوال أنّ التواضع صفة مهمة للإنسان وفيها كرامة له، وعلى الإنسان مثل ما يجب أن يعامله الناس يجب عليه أن يعاملهم، وهذه الأخلاق العالية السامية مقتبسة من أخلاق رسول الله ﷺ الذي امتاز بمكارم أخلاق امتازت عن الأنبياء.

(١) الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي، أخطب خوارزم (ت: ٥٦٨هـ)، تحقيق: محمد السماوي، (منشورات مكتبة المفيد، قم، ١٣٦٧ ش)، الجزء ١، ص ٦٩؛ التستري، نور الله الحسيني المرعشي (ت: ١٠١٩هـ)، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، تعليق: شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي (د.م، د.ت)، الجزء ١٠، ص ٢٧٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

## الخاتمة

بعد إتمام البحث، توصلنا إلى مجموعة من النتائج الآتية:

إنّ الكلمات تعجز عن تصوير هذه الشخصية المؤمنة العظيمة بما قدّمته من أدوار، وعلى الصعد كافة.

اتّسم منهج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التربوي بالتنوع والتجدّد والاستمرارية والاعتدالية المتوازنة بما احتوته من معطيات حيوية ذات أهداف تربوية تصلح لكلّ زمان ومكان؛ كونها نابعة من منظومتها الفكرية من صميم التعاليم السماوية والسنة النبوية، فمنهجها التربوي اتفق تماماً مع منهج والديها.

الأسلوب الذي أوضحته الزهراء عليها السلام هو المنهج الإسلامي في التربية بأطروحاتها السامية وأهدافه النبيلة بين ظهرانيه لتكمل سيرة أبيها في تبصرة المجتمع وإنقاذه من الوقوع في هاوية الانحرافات الفكرية والسلوكية، والعمل على ترسيخ القيم المحمودّة التي أكدها الشارع المقدس من خلال تبيانها في الذكر الحكيم.

إنّ دراسة أساليب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي دراسة أساليب الأنبياء والأوصياء الذين أعرضوا عن الدنيا.

المنهج الذي اتبعته السيدة الزهراء عليها السلام منهج الدين الإسلامي الحنيف، ذلك المنهج المتفرد والكامل في أطروحاته ووسائله، فكانت عليها السلام تنظر إلى الإنسان كمنظومة متكاملة عقلية وروحية وجسدية، ولم يقتصر اهتمامها على جانب منه دون آخر فهو كلّ متكامل ومترابط.

التعرف على الطرق التي انتهجتها الزهراء عليها السلام لغرض الارتقاء بالفرد عموماً، والمسلم خصوصاً، إلى سلّم الكمال المفيد للعالم والآخرة، وذلك من خلال الوقوف على الأدوار

التربوية التي أدتها والأساليب، ومحاولة استيعابها ودراستها بوصفها النموذج الحي للتربية الصحيحة.

إنّ دراسة أساليب الزهراء عليها السلام يعني دراسة أساليب الرسول صلى الله عليه وآله والتي تعدّ مدرسة في مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات والأفعال.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: الكتب:

١. ابن زكريا، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥ م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م).
٢. ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن علي ابن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي الجيش السروي المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب (عليه السلام) - أمير المؤمنين، تحقيق: السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني، (مطبعة شريعت، قم المقدسة، ١٣٩٠ش).
٣. الأصفهاني، جواد القيومي، صحيفة الزهراء (عليها السلام)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٣٧٥ش).
٤. الإصفهاني، الراغب (ت: ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دار القلم، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٢م).
٥. الأنصاري، محمد علي، أهل البيت (عليهم السلام) - إمامتهم، حياتهم، (مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٣٨٢ش).
٦. البحراني، هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن، (مطبعة إسماعيليان، قم، ١٣٧٥ش).
٧. التستري، نور الله الحسيني المرعشي (ت: ١٠١٩هـ)، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، تعليق: شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي (د.م، د.ت).

٨. الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م).
٩. الحسن، نبيل، هذه فاطمة صلوات الله عليها: وهي قلبي وروحي التي بين جنبي (النبى المصطفى ﷺ)، (مؤسسة الأعللى للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٣م).
١٠. الحسن، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثنى عشر، (دار القلم، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م).
١١. الخرسان، صالح عبد الرزاق الموسوى، تربية الطفل وإشراقاتها التكاملىة، (منشورات شركة الأعللى للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢م).
١٢. الخطيب، على بن الحسن الهاشمى، عقيلة بنى هاشم، (بيروت، مؤسسة المفيد، ط ٢، ١٩٩٠م).
١٣. الخوارزمى، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكى، أخطب خوارزم (ت: ٥٦٨هـ)، تحقيق: محمد السماوى، (منشورات مكتبة المفيد، قم، ١٣٦٧ ش).
١٤. الخوينى، إسماعيل الأنصارى الزنجانى، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ؓ، (مطبعة نكارش، قم المقدسة، ١٣٩٢ ش).
١٥. الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ؓ، (دليل ما، قم، ١٣٨٥ ش).
١٦. الدباغ، محمد رضا عباس محمد، سيرة الزهراء ؓ بأسلوب قصصى مىسر، (دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م).
١٧. دخيل، على محمد على، إعلام النساء، (دار الهادى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١).
١٨. الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سىر إعلام النبلاء، تحقيق: شعىب الأرنبوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٩٩٣م).
١٩. الذهبى، عباس، الإمام الرضا: سيرة وتارىخ، (مطبعة ستارة، قم، ١٤٢٢هـ).

٢٠. الرضي، حمد بن الحسين بن موسى الشريف (ت: ٤٠٦هـ)، نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين، تحقيق: قيس بهجت العطار، (دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء المقدسة، ١٤٣٧هـ).
٢١. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: أخلاقي، عقائدي، اجتماعي، سياسي، اقتصادي، أدبي، (دار الحديث، قم، ٢٠٠٠م).
٢٢. سلمان وليد عطا، الأسرة المسلمة ودورها في تربية أبنائها وتعليمهم العلم الشرعي، (بغداد، ٢٠١٣م).
٢٣. الشاكري، حسين، فاطمة الزهراء عليها السلام، (مطبعة الهادي، قم، ١٤١٥هـ).
٢٤. الشيرازي، ناصر مكارم، الزهراء خير نساء العالمين، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م).
٢٥. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، (ذوي القربى، قم، ١٣٨٥ ش).
٢٦. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٣٨٥ - ٤٦٠هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، (دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ).
٢٧. عاشور، علي، فاطمة بنت محمد قدوة للنساء، (دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٢م).
٢٨. عبد الله، مهدي، زينب في التاريخ، (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢م).
٢٩. عصفور، معاذ، التربية الإعلامية، (دار أجد للنشر والطباعة، عمان، ٢٠١٤م).
٣٠. العظيمي، محمد علي الشاه عبد، الإيقاد في وفاة النبي والزهراء والأئمة أجمعين، (مطبعة الزهراء، بغداد، د.ت).
٣١. فوزي، محمد، رجال حول أهل البيت، (دار الصفوة، بيروت، ١٩٩٣م).

٣٢. القرشي، باقر شريف، حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١م).
٣٣. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت: ٣٢٨/٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، (مطبعة حيدري، طهران، ط ٧، ١٣٨٣ ش).
٣٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م).
٣٥. الزهراء عليها السلام وخطبة فدك: شرح الخطبة الفدكية، (دار كلستان كوثر للنشر، طهران، ٢٠٠٣م).
٣٦. محلاتي، ذبيح الله، رياحين الشريعة، (دار الكتب الإسلامية، بيروت، ١٣٨٥ ش).
٣٧. محمد، عبد الزهراء عثمان، الزهراء عليها السلام فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م).
٣٨. معلوف، لويس، المنجد في اللغة والاعلام، (دار المشرق، بيروت، ط ٣٥، ١٩٩٦م).

#### ثانياً: الرسائل الجامعية:

٣٩. العزاوي، أنور علي صالح عزيز، الأساليب القيادية وعلاقتها بالسّمات الدافعية والشخصية نحو العمل الإداري لمديري المدارس الثانوية في محافظة نينوى، أطروحة دكتوراه، (كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٣م).



## بناء الشخصية الإسلامية

في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

إلى كميل بن زياد

- قراءة تربوية موجزة -

الباحث

د. الشيخ عماد الكاظمي

العتبة الكاظمية المقدسة

مركز الكاظمية لإحياء التراث



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله الأئمة الهداة المعصومين ..

إنَّ بناء الشخصية الإنسانية عامة يحتاج إلى منهج قائم على أسس تربوية رصينة من جهة، ومن ثم تطبيقه من جهة أخرى؛ حتى يمكننا أن نجعله نظامًا لبناء شخصية الإنسان، لأنَّ الإنسان هو أشرف الموجودات، وبناء الشخصية الإسلامية خاصة يحتاج إلى ذلك أيضًا. وقد تكفَّلت الشريعة الإسلامية المقدسة بنظامها الإلهي من بناء شخصية الإنسان المسلم بناءً رصينًا، يمكنه من خلاله أن يكون قدوة للآخرين، حيث الدستور القرآني الراسخ الذي ضمن للمسلمين وصولهم إلى تكاملهم وصلاحهم وهدايتهم، وتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>. فالقرآن الكريم بمنهجه الإلهي له القدرة على الهداية، وهي لا تتحقق إلا من خلال التمسك بتعاليم الشريعة المقدسة، أي بالنظام الذي يحقق للإنسان سعادته. وقال تعالى مخاطبًا البشرية كلّها في بيان ما يتعلق بالمنهج الإلهي في التعامل مع المسلمين وتحقيق سعادتهم في رسالتهم المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى في بيان أحد مناهج بناء الشخصية، وهو الاستغفار والتغلب على الشيطان بالمجاهدة، والعودة

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٥٧. فالآية المباركة تؤكد الأهداف الأربعة الأساسية السامية لهذا المنهج وهي

(١- الموعظة. ٢- الشفاء. ٣- الهداية. ٤- الرحمة)، والتأمل في هذه الأهداف يؤكد عظمة هذا المنهج في بناء الإنسان والمجتمع.

إلى الله الذي فطره: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى في إحدى فقرات نظامه الإسلامي في بناء الشخصية من الناحية العقدية والتربوية والاجتماعية: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾<sup>(٢)</sup>. ولعل ما ورد في القرآن الكريم من آيات الحكمة<sup>(٣)</sup>، وآيات صفات عباد الرحمن<sup>(٤)</sup>، وآيات وصاياه العشر<sup>(٥)</sup> يؤكد بكل وضوح بيان أسس المنهج الإسلامي في بناء الشخصية وأهميته.

إنَّ تعاليم الشريعة المقدسة لها كمال القدرة على بناء الشخصية الإسلامية من خلال نظامه القائم على مصدرَي التشريع الأساسيين وهما (القرآن الكريم والسنة). وفي هذه الصفحات الموجزة أحاول بيان ذلك على وفق منهج الثقلين (القرآن والعترة) اللذين خلَّفهما النبي محمد ﷺ في الأمة، ليكونا أماناً من الضلال والانحراف.

وقد اتخذت وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) المشهورة في تقسيم الناس على أصناف ثلاثة لتلميذه البار كميل بن زياد النخعي (عليه السلام) مثلاً لذلك، حاولت من خلالها بيان طبقات المجتمع عامة وتقسيماته، وبيان ما يتعلق بكل طبقة منه وآثارها في بناء الشخصية الإسلامية. وقد اقتضى البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومباحث ثلاثة فخاتمة؛ فكان المبحث الأول قد تناول الطبقة الاجتماعية الأولى وهم (العلماء الربانيون) ومقامهم في بناء

(١) سورة نوح: الآيات ١٠-١٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٣) ينظر: سورة الإسراء: الآيات ٢٣-٣٩.

(٤) ينظر: سورة الفرقان: الآيات ٦٣-٧٦.

(٥) سورة الأنعام: الآيات ١٥١-١٥٣.

قاعدة القدوة والأسوة في المجتمع. والمبحث الثاني تناول الطبقة الاجتماعية الثانية وهم (طلبة العلم) وآثارهم في بناء مجتمع صالح. والمبحث الثالث تناول الطبقة الثالثة وهم (الجهلة) وآثارهم السلبية في المجتمع.

إنَّ هذه الصفحات هي محاولة تربوية لبيان مقام الشريعة الإسلامية وفضلها في التربية وبناء الإنسان، وتأكيد ضرورة أن يفخر المسلمون وخصوصًا شبابنا بهذا الدين المبارك الذي يحقق لهم النظام الأمثل للسعادة والصلاح.

نسأله تعالى التوفيق والتسديد في ذلك، مع الدعاء للإخوة القائمين على هذا المؤتمر العلمي بالنجاح والقبول .. إنه سميع مجيب.

### تمهيد: معالم الشخصية الإسلامية ومميزاتها

إنَّ البحث في المناهج التربوية الإسلامية والاطلاع على ما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة من آيات وروايات يؤكد سلامة ذلك المنهج من التفكير في المصلحة الشخصية الذاتية للمشروع، وأنه يعتني اعتناءً كبيراً بذلك على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، ويبحث عن أفضل السبل لتربيتهم وإعدادهم وصلاحهم، والحفاظ على فطرتهم من أي انحراف عقدي أو تربوي.

وإنَّ مصطلح الشخصية يراد به: (جملة الخصائص الجسمية والوجدانية والنوعية والعقلية التي تحدد هوية الفرد وتميِّزه عن غيره)<sup>(١)</sup>. وإنَّ هذا التعريف العام للشخصية القائم على مجموعة الخصائص هو الذي يحدّد نوعية تلك الشخصية عند تسخيرها لقوة خصائصها المختلفة. ونحن في هذه الصفحات نبحث عن الشخصية المتكاملة التي هي قادرة على تكيف ذاتها<sup>(٢)</sup>، بحيث تكون جميع استجاباتها الجزئية متفقة مع أهدافها العامة. فالشخصية الإسلامية هي التي تتكيف مع الأهداف العامة التي تضعها الشريعة الإسلامية المقدسة، التي ألهمها الله تعالى معرفة النافع من الضار، وأثرهما في بناء الشخصية بناءً كاملاً؛ قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾<sup>(٣)</sup>، فالفلاح والخيبة قائمان على مدى تعامل الإنسان المؤمن مع تلك الخصائص النفسية على وفق تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، ليستطيع بذلك أن يبني لنفسه شخصية معينة ذات معالم إسلامية تنظّم أهدافها، وسبيل الوصول إليها، يمكن أن نطلق عليها عنوان (الشخصية الإسلامية). وهذا ما سنبيّنه في صفحات هذا البحث.

(١) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢، د.ط) ص ٦٩٢.

(٢) للتفصيل ينظر: المصدر نفسه ص ٦٩٢-٦٩٣.

(٣) سورة الشمس: الآيات ٧-١٠.

وللشخصية الإسلامية مميزات عن غيرها من الشخصيات الأخرى، حيث يمكن بيان أهم مميزاتاها -بعد كونها مؤمنة بالله تعالى الخالق- بما يأتي:

١- الإيجابية: وهو الاهتمام بالقضايا العامة من دون التفكير بالمصلحة الشخصية، ومصاديق ذلك على مراتب متعددة حسب المقام؛ فمرة يكون الاهتمام منصباً على قضية ما بحيث يكون المسلم المؤمن في دور الناصح والمرشد الموجّه لها؛ وهذا لا يمكن أن يتحقق إن لم تكن تلك الطاقة الروحية الإيجابية التي تتمتع بها الشخصية الإسلامية، التي تقوم ببث روح الأمل في الآخرين.

٢- الحركية: وتعني أن الشخصية الإسلامية ليست جامدة عاكفة في المسجد أو البيت، وإنّما هي شعلّة من نور يهدي العباد بسلوكه المرسوم من الله تعالى، وهو مصداق الإسلام والداعية لأفكار الإسلام وأهدافه النيرة التي لا يعترها الباطل من أمامها أو من خلفها، وهي في حالة الاستجابة للنظام الإسلامي القائم على البناء النفسي والاجتماعي.

٣- التغييرية: فتغيير الأمة نتيجة حتمية لتكوين شخصيات إسلامية؛ لأنّ الشخصية الإسلامية إسلام متحرك أولاً؛ ولأنّه عنصر الإشعاع بفكرته ومبدئه ثانياً؛ فهو لا يكتفي أن يكون إنساناً صالحاً، وإنّما هو مُغيّرٌ لأبناء أمته.

٤- القيادية: فإنّ الشخصية الإسلامية دائماً وأبداً لا تخضع لكافرٍ، أو لتأثيرٍ مجتمعٍ، أو محيطٍ، أو بيئةٍ، أو عادةٍ، أو وراثيةٍ تتعارض مع النظام الإسلامي، ولا تتخاذل في الميدان، بل عمل على هداية الناس وقيادتهم إلى الحياة الحرة الكريمة وإلى نعيم الآخرة<sup>(١)</sup>.

(١) الشخصية الإسلامية مقوماتها معالمها نتائجها، حسن محمد الشيخ علي، (مكتبة سيد الشهداء عليه السلام) العامة في كربلاء، مط الغري الحديثة، النجف، ١٣٨٦ هـ، د.ط. ص ٤٦؛ بناء الشخصية الإسلامية قراءة في المشروع الحضاري والإنساني للإمام زين العابدين عليه السلام، الدكتور وسيم عبود عطية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ٢٠١٨م، العدد ٤٦، ج ١ ص ٦٢٦-٦٢٩.

وهذا كله يمكن أن نراه وجوداً حقيقياً في الدعوة الإلهية لعباده ومدى استجابتهم إليه، حيث قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد أشار السيد الشهيد محمد باقر الصدر إلى أهمية وجود الشخصية الإسلامية وأثرها في بناء الأمة، وتغيير عقائدها القائمة على المادية والذاتية إلى حركة وتغيير، وبيان صلاح النظام الإسلامي في هذا البناء، فقال: (إنَّ هذه الرسالة المنقذة هي رسالة الإسلام الخالدة التي استمدَّت نظامها الاجتماعي - المختلف عن كُلِّ ما عرضناه من أنظمة -<sup>(٢)</sup> من قاعدة فكرية جديدة للحياة والكون. وقد أوجَدَ الإسلام بتلك القاعدة الفكرية النظرة الصحيحة للإنسان إلى حياته، فجعله يؤمن بأنَّ حياته منبثقة عن مبدأ مطلق الكمال، وأنَّ إعداد الإنسان إلى عالم لا عناء ولا شقاء فيه، ونصب له مقياساً خلقياً جديداً في كُلِّ خطواته وأدواره، وهو رضا الله تعالى. فليس كُلُّ ما تفرضه المصلحة الشخصية فهو جائز، وكلُّ ما يؤدي إلى خسارة شخصية فهو محرَّم غير مستساغ، بل الهدف الذي رسمه الإسلام للإنسان في حياته هو الرضا الإلهي، والمقياس الخُلقي الذي تُوزَنُ به جميع الأعمال إنما هو مقدار ما يحصل بها من هذا الهدف المقدس والإنسان المستقيم هو الإنسان الذي يحقق هذا الهدف، والشخصية الإسلامية الكاملة هي الشخصية التي سارت في شتَّى أشواطها على هدى هذا الهدف، وضوء هذا المقياس، وضمن إطاره العام)<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه الصفحات العلوية الموجزة، وقع الاختيار على جزء من وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد<sup>(٤)</sup>، وبيان آثارها التربوية في بناء الشخصية من خلال الجوانب

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٢) ويقصد بها الأنظمة الوضعية العالمية المتصارعة آنذاك كالماركسية والاشتراكية والرأسمالية.

(٣) المدرسة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر، (دار التعارف، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص ٦٦-٦٧.

(٤) كميل بن زياد بن نهبك النخعي الكوفي؛ ولد عام ١٢هـ في اليمن. كان شريفاً مطاعاً في قومه، ومن أصحاب الإمام علي عليه السلام وخيار شيعته والمقرَّبين منه. عدَّه الشيخ المفيد من السابقين المقرَّبين =

الحياتية المختلفة، التي تؤسس إلى المنهج الإسلامي لإيجاد القدوة القادرة على التأثير في الآخرين، حيث يقول (عليه السلام): (يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَّةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ؛ النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَّجٌ رَعَاةٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ. يَا كُمَيْلُ: الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ....)<sup>(١)</sup>.

إنَّ هذه الفقرة من وصيته (عليه السلام) في بيان ما يتعلق بمقام العلم وآثاره ومنزلة المشتغلين بتحصيله، وفضله على سواه مما يعدُّ نعمة في الظاهر، وتشغل الناس كثيرًا في طلبه وزيادته مثل المال، والذي جعله الإمام قسيماً للعلم في هذه الوصية، كما في فقراتها اللاحقة.

وإنَّ هذا التقسيم منه (عليه السلام) يظهر مدى حكمته في معرفة حقائق الناس، وعظمة ما اختاره في وصيته بذلك، والابتداء ببيانته. قال ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) في شرحه لنهج البلاغة: (قوله (عليه السلام) ثلاثة قسمة صحيحة؛ وذلك لأنَّ البشر باعتبار الأمور الإلهية إمَّا عالم على الحقيقة يعرف الله تعالى، وإمَّا شارع في ذلك فهو بعدُ في السفر إلى الله يطلبه بالتعلم والاستفادة من العالم، وإمَّا لا ذا ولا ذاك وهو العامي الساقط الذي لا يعبأ الله، وصدق (عليه السلام) في أنَّهم همج رعا ع أتباع كل ناعق، ألا تراهم ينتقلون من التقليد لشخص

= من أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ذكر السابقين المقربين، ومن ثقاته. قال فيه الحافظ الذهبي: شريف مطاع من كبار شيعة علي (رضي الله عنه)، ونقل عن الإمام علي (عليه السلام) من الآثار الخالدة في التراث الإسلامي ومنه الدعاء المشهور بـ(دعاء كميل)، وبعض الوصايا والأحاديث. قتله الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٨٢هـ، ودفن في ظهر النجف ومقبرته اليوم مزار مشهور. ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م، د.م.) ج ٢ ص ٨٧٧، معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي، (ط ٥، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، د.مط، د.م.) ج ١٥ ص ١٣٢. وعن سوء فعلة الحجاج اللعين في كيفية قتله للعبد الصالح كميل بن يزيد ينظر: تاريخ الإسلام ج ٢ ص ٧٦٤.

(١) نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت) ج ٣ ص ١٨٦.

إلى تقليد الآخر لأدنى خيال، وأضعف وَهْم<sup>(١)</sup>.

وهذا التقسيم الثلاثي لتعامل الناس مع العلم بصورة عامة يؤكد مدى أهمية العلم في بناء الشخصية من جهة، وتأثر الناس بهذا الرافد الإلهي من جهة أخرى، حيث بيّن الإمام الصفات التي يتضمّنُها كُلُّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة وآثارها على صاحبها، وسوف نبين ذلك في المباحث الثلاثة الآتية.

---

(١) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطّ دار إحياء الكتب العربية، ط ٢، ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م، د.م) ج ١٨ ص ٣٤٦.

## المبحث الأول الطبقة العليا: العالم. (عالم رباني)

إنَّ هذه الطبقة الأولى من المجتمع، والتي هي على مرتبة عالية منه؛ حيث كان العلم سبيلها، والعمل لله تعالى منهجها، فاقترا (العلم بالعمل) كان له أثر كبير في بناء (الشخصية القدوة)، التي لها دور كبير في بناء الأمة وأبنائها، وتعريفهم المنهج الإلهي لصلاحهم. فالعالم الذي جعله الإمام في هذه المنزلة ليس مطلقاً، وإنَّما (الرباني)، وهذه الصفة تؤكد مدى العلاقة بين العلم الإلهي والعمل على وفق المنهج الإسلامي الذي وضعت أسسه الشريعة المقدسة. وقال الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م) في شرحه للنهج: (العالم الرباني هو المتأله العارف بالله)<sup>(١)</sup>، وقد ورد عن المفسرين في بيان المراد من (العالم الرباني) أقوال منها: أئمة حكماء علماء<sup>(٢)</sup>، وأئمة علماء فقهاء، أو حكماء أتقياء، أو معلمو الناس، أو مدبرو أمر الناس في الولاية بالإصلاح<sup>(٣)</sup>.

ثم قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م) في بيان معنى الكلمة وأصلها: ((وفي أصل «رباني» قولان: أحدهما: الربان، وهو الذي يربّ أمر الناس بتدبيره له وإصلاحه إيَّاه، يقال ربّ أمره يربّه ربابة، وهو ربان: إذا دبّره وأصلحه.... فيكون العالم ربانياً؛ لأنّه بالعلم يدبّر الأمر ويصلحه. الثاني: إنّه مضاف إلى علم الربّ تعالى، وهو على الدين الذي أمر به، إلّا أنّه غير في الإضافة؛ ليدلّ على هذا المعنى، كما قيل: بحراني، وكما قيل للعظيم الرقبة:

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٨٦.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨ م) ج ٦ ص ٥٤٠-٥٤١.

(٣) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الكشاف)، محمود بن عمر الزمخشري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ) ج ١ ص ٣٧٨.

رقباني، وللعظيم اللحية: لحياني. وكما قيل لصاحب القصب: قصباني، فكذلك صاحب علم الدين الذي أمر به الربُّ ربَّاني. وأنه الشديد التمسك بدين الله وطاعته<sup>(١)</sup>.

إنَّ ما تقدم من معانٍ أوردتها الشيخ الطوسي كلّها تدلُّ على عظمة هذه الصفة ورفعتهما، وأثرها الكبير في بناء النفس وتربيتها من جهة، وبناء المجتمع من جهة ثانية، وأنها تعد قدوة للآخرين من جهة ثالثة. وفي جميع ذلك بيان لأثر المنهج الإلهي في بناء الشخصية وإيجاد مجتمع يعتمد العلم أساساً لتكامله، ووضع مناهجه التربوية عامة.

ومما قاله الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م) في بيان علاقة (الربَّاني) بالتربية الذاتية والمجتمعية وآثار ذلك في البناء الإنساني عامة: (الربُّ في الأصل: التربية. وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدِّ التمام، يقال رَبَّه، وربَّاه وربَّه .... والربَّانيُّ قيل: منسوب إلى الربَّان .... وقيل: هو منسوب إلى الربِّ الذي هو المصدر، وهو الذي يربُّ العلم كالحكيم. وقيل: منسوب إليه. ومعناه، يربُّ نفسه بالعلم، وكلاهما في التحقيق متلازمان؛ لأنَّ من ربَّ نفسه بالعلم فقد ربَّ العلم، ومن ربَّ العلم فقد ربَّ نفسه به. وقيل: هو منسوب إلى الربِّ. أي: الله تعالى، فالربَّانيُّ كقولهم: إلهيُّ، وزيادة النون فيه كزيادته في قولهم: لحياني، وجسماني. قال عليُّ «رضي الله عنه»: (أنا ربَّانيُّ هذه الأمة) والجمع ربَّانيُّون<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م): (رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ أَيُّ مَالِكِهِ وَلَهُ .... قال ابن الأثير هو منسوب إلى الربِّ بزيادة الألف والنون للمبالغة، قال: وقيل: هو من الربِّ بمعنى التربية كانوا يُربُّون المتعلِّمين بصغار العلوم قبل كبارها، و«الربَّانيُّ» العالم الرَّاسخُ

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ) ج ٢ ص ٥١١.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمة، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م) ص ١٩١ (رب).

في العلم والدين، أو الذي يَطْلُبُ بِعِلْمِهِ وَجَهَ اللَّهِ، وقيل: العالمُ المُعَلِّمُ. وقيل: الرَّبَّانِيُّ العالي الدَّرَجَةِ في العِلْمِ<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ الطريحي (١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م): (الرَّبَّانِي شديد التمسك بدين الله تعالى وطاعته. وقيل: هو من الربِّ بمعنى التربية. كانوا يربُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها)<sup>(٢)</sup>.

فهذه الطبقة أو هذا الصنف من الناس هم الذين يكونون واسطة الخير والصلاح بين الله تعالى وعباده، وهم الأمة التي يدعو القرآن إليها لأجل صلاح المجتمع وسعادته، حيث قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فكلُّ ذلك لم يتحقق لشخصية العلماء إلا من خلال المنهج الإلهي في تربية الإنسان تربية قائمة على بناء الشخصية بناءً يحقق سعادتها في الدارين.

والقرآن الكريم قد أكد منزلة العلماء العاملين وفضلهم ومقامهم عند الله تعالى، وبيان الدرجات الرفيعة التي وصلوا إليها بسبب ذلك، وفيه حثٌّ على الاقتداء بهم وبمنهجهم الذي تمسكوا بهم فكان لهم هذا المقام الرفيع. قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>، فالعلم من آثاره هو الوصول إلى درجات رفيعة في العقيدة الحقَّة القائمة على التوحيد والعدل في الآية المباركة فقرنهم بالملائكة. قال الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) في بيان هذا التفضيل في تفسيره: (وتضمَّنت الآية الإبانة عن فضل العلم والعلماء؛ لأنَّه تعالى قرن العلماء بالملائكة، وشهادتهم بشهادة الملائكة، وخصَّهم بالذكر كأنَّه لم يعتدَّ بغيرهم. والمراد بهذا

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، (مط الميرية بولاق، مصر، ط ١، ١٣٠١هـ) مادة (ربب).

(٢) مجمع البحرين، فخر الدين، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٩م، د.ط) ج ٢ ص ٦٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٨.

العلم التوحيد وما يتعلق به من علوم الدين لأنَّ الشهادة وقعت عليه<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>، فالآية ظاهرة الدلالة في بيان الآثار العملية على الشخصية والوصول بها إلى مراتب عظيمة عند الله تعالى، ومقام أولئك في المجتمع. قال السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م) في تفسيره: (استئناف يوضح أنَّ الاعتبار بهذه الآيات إِنَّمَا يُؤَثِّرُ أثره ويورث الإيثار بالله حقيقة والخشية منه بتمام معنى الكلمة في العلماء دون الجهال، وقد مرَّ أنَّ الإنذار إِنَّمَا ينجح فيهم حيث قال: ﴿الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾<sup>(٣)</sup> فهذه الآية كالموضحة لمعنى تلك، تبين أنَّ الخشية حق الخشية إِنَّمَا توجد في العلماء، والمراد بالعلماء العلماء بالله، وهم الذين يعرفون الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة تامة، تطمئنُّ بها قلوبهم، وتزيل وصمة الشك والقلق عن نفوسهم، وتظهر آثارها في أعمالهم فيصدق فعلهم قولهم، والمراد بالخشية حينئذ حق الخشية، ويتبعها خشوع في باطنهم، وخضوع في ظاهرهم، هذا ما يستدعيه السياق في معنى الآية<sup>(٤)</sup>، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في بيان المراد بالخشية في الآية المباركة: (يَعْنِي بِالْعُلَمَاءِ مَنْ صَدَّقَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ فِعْلُهُ قَوْلَهُ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ)<sup>(٥)</sup>.

ولأجل ما تقدم نرى أنَّ الروايات الشريفة المتعددة التي تحثُّ على طلب العلم من جهة، وأنَّ يكون مقروناً بالعمل من جهة أخرى كثيرة، وفيها آثار متعددة على سلوك الإنسان، والتحذير من افتراقهما، وبيان تلك الآثار السلبية على الفرد والأمة، ومن تلك الروايات:

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ج ٢ ص ٢٥٨.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٣) سورة فاطر: الآية ١٨.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م) ج ١٧ ص ٤٣.

(٥) الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: على أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ، د. ط) ج ١ ص ٣٦ باب (صفة العلماء)، الحديث ٢.

١- روي عن النبي محمد ﷺ: (أَلَا وَإِنَّ الْعَالِمَ مَنْ يَعْمَلُ بِالْعِلْمِ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعَمَلِ) <sup>(١)</sup>.

فالرواية الشريفة تؤكد أن حقيقة العالم على وفق منهج النبي الأكرم هو العامل بعلمه، فالعلم لا بد أن تكون غايته العمل به وإن كان قليلاً، وإن ابتداء الرواية بحرف الاستفتاح (ألا) <sup>(٢)</sup> فيه دلالة على تأكيد بيان حقيقة العالم، وما يجب أن يكون من قدوة في المجتمع من خلال عمله الذي يصدق علمه، وهي أبلغ رسالة أثراً وتأثيراً وإقناعاً.

٢- روي عن النبي محمد ﷺ في بيان صفات العلم وأهله: (وَأَمَّا الْعِلْمُ، فَيَتَشَعَّبُ مِنْهُ الْغِنَى وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا، وَالْجُودُ وَإِنْ كَانَ بَخِيلًا، وَالْمُهَابَةُ وَإِنْ كَانَ هَيِّنًا، وَالسَّلَامَةُ وَإِنْ كَانَ سَقِيمًا، وَالْقُرْبُ وَإِنْ كَانَ قَصِيًّا، وَالْحَيَاءُ وَإِنْ كَانَ صَلْفًا، وَالرَّفْعَةُ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا، وَالشَّرَفُ وَإِنْ كَانَ رَذَلًا، وَالْحِكْمَةُ وَالْحِطْوَةُ، فَهَذَا مَا يَتَشَعَّبُ لِلْعَاقِلِ بِعِلْمِهِ، فَطُوبَى لِمَنْ عَقِلَ وَعَلِمَ) <sup>(٣)</sup>.

٣- روي عن النبي محمد ﷺ: (كُلُّ عِلْمٍ بِلَا عَمَلٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِهِ) <sup>(٤)</sup>.

إن هذا التحذير في الرواية الشريفة يجعل العالم أمام اختبار حقيقي في مدى التزامه بتعاليم الشريعة المقدسة ووصاياها، والتي أكدت في روايات كثيرة على أهمية أن يكون

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق، صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، (ط ١، مط شريعت، ١٤٢٦ هـ، قم) ص ٢٩٣.

(٢) الحرف (ألا) يقع على خمسة أوجه: أحدها: أن يكون للتنبيه؛ فيدل على تحقق ما بعده، وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من (أ) و(لا)، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق. ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري: تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، (دار الفكر، دمشق، ط ٦، ١٩٨٥ م) ج ١ ص ٩٥-٩٦.

(٣) تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن شعبة الخرائي، تقديم حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٧، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م) ص ٢٠.

(٤) منية المرید في آداب المفید والمستفید، زين الدين بن علي الشهيد الثاني، تحقيق: رضا المختاري، (مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٠٩ هـ) ص ٣٥.

العلم مقروناً بالعمل، وفي ذلك من الآثار في الدنيا والآخرة، وهذه منهج إسلامي مهم في بناء شخصية الإنسان، ومنهم العلماء.

٤- روي عن الإمام علي (عليه السلام): (ثَمَرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ لِلْحَيَاةِ)<sup>(١)</sup>.

إنَّ الرواية العلوية صريحة في بيان أهداف العلم وساحته في العمل، وهو لأجل الحياة الكريمة التي تحقق السعادة والصلاح والخير للناس. فإنَّ كانت الرواية تقصد أصل العمل وساحته وهي الحياة الدنيا، ففي ذلك بناء تربوي للمجتمع؛ وإنَّ كانت الحياة الأخرى فهي لا تتحقق إلا بالعمل كذلك. وقد ورد عنه (عليه السلام) أنَّ من ثمار العلم العبادة، وإخلاص العمل والخوف وغيرها، وكلها بعدئذٍ لها أثر كبير في الناحية العملية، وتربية النفس، وبناء المجتمع، وأنَّ يكون العالم بما يظهره من آثار علمه قدوة للآخرين؛ وفي ذلك نظرة تكاملية للعلم.

٥- روي عن الإمام علي (عليه السلام): (أَشَدُّ النَّاسِ نَدَمًا عِنْدَ الْمَوْتِ الْعُلَمَاءُ غَيْرُ الْعَامِلِينَ)<sup>(٢)</sup>.

الرواية ظاهرة المعاني التي تحذّر العلماء من افتراقهم عن العمل، أو عدم المبالاة في ذلك، فالعلم سيكون حجة عليهم يوم القيامة، وستكون آثاره الندامة حيث لا ينفع الندم يومذاك. فعلى العالم أن يكون عاملاً ليحقق الغاية من جهاده في طلب العلم، والصبر والمشقة في ذلك.

إنَّ جميع ما تقدّم من الآيات المباركة والروايات الشريفة وأقوال المفسرين تؤكد المعنى الحقيقي لقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنَّ يكون العالم (ربّانيّاً)، وتوافق ما ورد من معانٍ متعددة للربّانيّ، وآثار ذلك في البناء الإنساني، وواقع الأمم حقيقة يؤكد دور العلماء العاملين

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد التميمي الآمدي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (مط ستار، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م) ص ١٨٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص ١٠٨.

وآثارهم في خدمة البشرية. وقد أكدنا وفصلنا ببيان هذه الطبقة لأهميتها الكبيرة في الأمة من حيث أنها إمّا قدوة صالحة تدعو إلى الصلاح بما تقوم به، فتتبعها الأمة في ذلك، وإمّا ما يقابل ذلك - لا سمح الله - وتركيزه عليه السلام على العلم مع العمل ثابت في كثير من أقواله المباركة، فضلاً عن سيرته المشهورة.

## المبحث الثاني الطبقة الوسطى: المتعلم. (مُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ)

إنَّ هذه الطبقة الثانية من المجتمع والتي هي في المرتبة الوسطى منه على وفق التقسيم الثلاثي للإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهي طبقة مهمة كذلك؛ حيث كان العلم سبيلها، والنجاة من الجهل وآثاره في تلويت الفطرة الإنسانية، فاقتران (العلم بالنجاة) كان له أثر كبير في بناء هذه الشخصية من أبناء المجتمع، الذين تعرّفوا على هذه الحقيقة القائمة على أنَّ السعادة والصلاح والنجاة من الهلكة لا يكون إلا بالعلم، وأنَّ العلم سبيل مقدّس للنفس الإنسانية قد أكدّه العقل والشرع، ومخالفة ما يقابله من الجهل وآثاره. ومما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله في بيان صدق ذلك وأثره، أنّه قد سأله رجل عن أفضل الأعمال فقال: (الْعِلْمُ بِاللَّهِ، وَالْفِقْهُ فِي دِينِهِ. وَكَرَّرَهُمَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْأَلُكَ عَنِ الْعَمَلِ فَتُخْبِرُنِي عَنِ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُكَ مَعَهُ قَلِيلُ الْعَمَلِ، وَإِنَّ الْجَهْلَ لَا يَنْفَعُكَ مَعَهُ كَثِيرُ الْعَمَلِ)<sup>(١)</sup>.

لهذا نرى أنَّ الإمام عليه السلام يؤكد بدقة متناهية بيان أهداف هذه الطبقة وهو العلم الذي يؤدي بهم إلى النجاة، ويكون سبباً في إخراجهم من ضياعهم وانحراف فطرتهم، وليس مطلق العلم. فهناك موضوعات في العلم المقصود لهذه الطبقة مما يجب أن يكون المتعلم الباحث عن النجاة على بينة منه، فنصوص الشريعة قد حذّرت من بعض تلك العلوم، وبيّنت النافع منها، ويمكن بيانها بالآتي:

١- علوم لا تضرُّ صاحبها إن جهلها.

مثل علم الأنساب وعلم التاريخ العام للشعوب، وبعض العلوم الإنسانية أو العلمية التخصصية المعهودة. فالجهل بهذه العلوم ليس فيه من الآثار على بناء الشخصية وتربيتها،

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، (ط٢، مط دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ) ج ٥ ص ٢١٠٦.

لأنها إما معلومات عامة لا علاقة لها بالعمل، أو تخصصية في مجالها المعين؛ وهذا النوع من العلم قد أشارت إليه بعض الروايات الواردة عن النبي والأئمة (عليهم السلام)، حيث يمكن إفادة ذلك من نصوصها الشريفة، فالشريعة المقدسة حريصة في نظامها المعرفي على أن ينشغل الناس عامة في علوم لها أثر في نجاتهم وسعادتهم لا مطلق العلوم. فمثلاً روي عن الإمام علي (عليه السلام): (وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحْقُقُ تَعَلُّمُهُ) (١). وروي عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوا بِرَجُلٍ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: عَلَامَةٌ. فَقَالَ: وَمَا الْعَلَامَةُ؟ فَقَالُوا لَهُ: أَعْلَمَ النَّاسُ بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ وَوَفَائِعِهَا، وَأَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْأَشْعَارِ وَالْعَرَبِيَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ذَاكَ عِلْمٌ لَا يَضُرُّ مَنْ جَهَلَهُ، وَلَا يَنْفَعُ مَنْ عِلِمَهُ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ) (٢).

## ٢- علوم تؤدي إلى ضلال صاحبها وانحرافه عن الشريعة المقدسة. (٣)

وتضله عن سبيل هدايته ونجاتها فتكون سبباً ضاراً لا نافعاً في بناء الشخصية وتربيتها، حيث تظهر آثارها عند ولوج صاحبها فيها وإتقانها، ومما حذرت منه الشريعة مثل الكهانة

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٥.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٢، باب (صفة العلم وفضله وفضل العلماء)، الحديث ١.

ومما ورد في تعليق الشيخ علي أكبر الغفاري (رحمته الله) على الحديث في تحديده للعلوم الثلاثة النافعة للإنسان: (فالعلم في نظر الشارع الأقدس حيث يذكر العلم ويقول: طلب العلم فريضة على كل مسلم، هو العلم بإحدى هذه الثلاثة. إمّا معرفة آية محكمة من القرآن ترشده، أو معرفة فريضة من فرائض القرآن وهي الأحكام التي لا مندوحة عن معرفتها والعمل بها، أو سُنَّةٌ صالحة قائمة على أصولها «كالسنن النبوية»، يكون العمل بها سبباً لتزكية المرء وأدبه في الدين والدنيا. وأمّا باقي المعارف فإنما هو فضل، وصاحبه في الشرع فاضل لا عالم). المصدر نفسه. وقد فصل الشيخ المازندراني بيان ما يتعلق بالحديث، وأنواع العلوم وأهميتها في شرحه للحديث. للتفصيل ينظر: شرح أصول الكافي، الشيخ محمد صالح، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م) ج ٢ ص ٢١-٢٤. (٣) والانحراف المقصود أعم من الحرمة والكراهة في تقسيمات التكليف الشرعية الخمسة المعهودة.

والتنجيم والسحر وغيرها<sup>(١)</sup>، ففي الحديث عن الإمام علي (عليه السلام): (أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَتَعَلَّمُ النَّجُومَ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ<sup>(٢)</sup>). وَالْمُنْجُمُ<sup>(٣)</sup> كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ<sup>(٤)</sup>)، فإنَّ هذا التحذير من هذه العلوم توجب على الإنسان المؤمن أن يكون على حذر من تعلّمها وتعليمها والدعوة إليها، حيث الآثار الكبيرة التي تترتب على صاحبها من انحراف عن الإيمان إلى الكفر، فضلاً عن أن ارتكاب المحرمات والمكروهات له أثر في سلوك الإنسان وتربيته وضلاله، وهذا ما نراه من تحذير الشريعة المقدسة من ارتكابه، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (رُبَّ عِلْمٍ أَدَّى إِلَى مَضَلَّتِكَ)<sup>(٥)</sup>.

فالإمام علي (عليه السلام) في بيانه لهذه الطبقة قد خصّص العلم المطلوب والذي يجب البحث عنه وتعلمه؛ لما فيه من آثار لنجاة صاحبه، وهذا يحتاج - حقيقة - إلى الرجوع إلى أهل الخبرة في معرفة ذلك، وإن كانت الروايات الشريفة المتعددة عن النبي والأئمة (عليهم السلام) قد أشارت إلى ذلك إجمالاً من جهة، وتفصيلاً من جهة أخرى. ومن تلك الروايات التي لا بأس ببيانها والاطلاع عليها، والتي أراها تضع الخطوط العامة لأهمية العلوم التي علينا أن نتعلّمها

(١) للتفصيل في معرفة تلك الروايات وبيان ما يتعلق بها من آثار مختلفة ينظر: ميزان الحكمة ج ٣ ص ١٢٧٨-١٢٦٩، ج ٧ ص ٣٢٤٤-٣٢٤٧.

(٢) ومما ورد في حكمها وتعريفها: (الكهانة حرام. وهي: الإخبار عن المغيبات بزعم أنه يخبره بها بعض الجنّ، أمّا إذا كان اعتماداً على بعض الأمارات الخفية فالظاهر أنه لا بأس به إذا اعتقد صحته أو اطمأن به، وكما تحرم الكهانة يحرم التكسب بها، والرجوع إلى الكاهن، وتصديقه فيما يقوله). منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط ١٩، ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م) ج ٢ ص ١٢.

(٣) ومما ورد في حكمه وتعريفه: (التنجيم حرام. وهو الإخبار عن الحوادث، مثل: الرخص والغلاء والحرّ والبرد ونحوها، استناداً إلى الحركات الفلكية والطوارئ الطارئة على الكواكب من الاتصال بينها، أو الانفصال، أو الاقتران أو نحو ذلك، باعتقاد تأثيرها في الحادث على وجه الاستقلال، أو الاشتراك مع الله تعالى ....). المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢-١٣.

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٧٩ ج ١ ص ١٢٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢١٥.

ونعمل بها لتكون ظاهرة في سلوكنا؛ فمجرد العلم لا يؤدي إلى النجاة والصلاح ما لم يعمل به.

١- روي عن الإمام علي (عليه السلام): (خَيْرُ الْعِلْمِ مَا أَصْلَحَتْ بِهِ رَشَادَكَ، وَشَرُّهُ مَا أَفْسَدَتْ بِهِ مَعَادَكَ)<sup>(١)</sup>.

إنَّ الإمام (عليه السلام) يرشدنا إلى هذين المتقابلين من فضائل الأخلاق ورذائلها، وغاية كُلِّ منهما. فالإنسان عامة، والمؤمن خاصة، هو الباحث عن سعادته ونجاحه ونجاته، وهذا لا يكون إلا من خلال التفكير والتأمل بحقيقة وفلسفة وجوده في هذه الحياة ورسالته، فالأخلاق غاية عظيمة، وبها يتفاضل الناس بها في الدنيا، ويكون لهم مقام وفضل بين أقرانهم. والشرعية الإسلامية المقدسة في منظومتها التربوية والأخلاقية لا تقتصر على الدنيا فحسب، بل على الحياة الحقيقية وهي الآخرة التي قال تعالى فيها: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالسالك بالعلم سبيل النجاة عليه مراعاة هذين الأمرين في تعلمه (ما يصلح به رشاده وهدايه واستقامته في الدنيا، وما يصلح له عقيدته وما فيها من آثار عليه في الآخرة).

٢- روي عن الإمام علي (عليه السلام): (رَأْسُ الْعِلْمِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْأَخْلَاقِ، وَإِظْهَارُ مَحْمُودِهَا، وَقَمْعُ مَذْمُومِهَا)<sup>(٣)</sup>.

إنَّ في الحديث الشريف دلالة صريحة على أهمية أن يكون للعلم دور رئيس في تربية الإنسان، وإظهار مكامن فطرته القائمة على فضائل الأخلاق في الجانبين النظري والعملي، ليكون العلم بذلك هو السبيل إلى صلاح النفس من جهة، وإصلاح الآخرين من جهة أخرى؛ وهي مسؤولية كبيرة تقع على العلماء وطلبة العلم الذين هم قادة المجتمع ومربُّوهم،

(١) المصدر نفسه ص ١٩٧.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢١٣.

والقدوة إلى مكارم الأخلاق. فإظهار المحمود من فضائل الأخلاق، وقمع المذموم من رذائل الأخلاق قولاً وعملاً يؤدي إلى بناء شخصية مستقيمة في صلاحها وإصلاحها؛ فضلاً عن وصولها إلى مقامات عظيمة عند الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

٣- روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): (اعْلَمْ أَنَّهُ لَا عِلْمَ كَطَلَبِ السَّلَامَةِ، وَلَا سَلَامَةَ كَسَلَامَةِ الْقَلْبِ)<sup>(٢)</sup>.

إن إرشاد الأئمة (عليهم السلام) إلى ما ينفع الناس عموماً، وما ينفعهم في مجال تربيتهن التربية العقدية أو الأخلاقية أو غيرها خصوصاً إنما ينبثق من أصل أهداف الرسالة الإسلامية المقدسة القائمة على الهداية والرحمة، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَضَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وهم (عليهم السلام) عدل القرآن وترجمانه. فالعلم الذي يجب الانشغال به والعمل على حصوله هو الذي تظهر آثاره في البناء الإنساني، لأن الإنسان أشرف الموجودات، وقد كرمه الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>. فينبغي للذي كرمه الخالق أن يكون له منهج يحافظ على تكريمه. وهذه الرواية تؤكد أهمية العلم وشرفه في الحفاظ على تكريم الإنسان بالحفاظ على سلامة القلب من الانحرافات العقدية والتربوية ليكون أهلاً للكرامة في الآخرة، كما قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٢) تحف العقول ص ٢٠٥.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٢.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٥) سورة الشعراء: الآيات ٨٧-٨٩.

٤- روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (حَدِيثٌ فِي حَلَالٍ وَحَرَامٍ تَأْخُذُهُ مِنْ صَادِقٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ) <sup>(١)</sup>.

إن الرواية الشريفة تؤكد أهمية علم الفقه حيث معرفة الأحكام الشرعية التكليفية، ليكون المؤمن على بينة من عباداته وغيرها. ففي هذا العلم نجاة الإنسان من ارتكاب ما يخالف تعاليم الشريعة المقدسة، والرواية تؤكد فضل الحديث الواحد الذي يتعلمه على الذهب والفضة، وفي ذلك كمال العناية منهم عليهم السلام في الحث على العلم والتعلم ونشر العلم بين أبناء المجتمع. ولا يخفى ما في ذلك من أثر في بناء شخصية إسلامية متمسكة بتعاليم النظام الإسلامي، حيث يكون جميع ما يصدر عنها موافقاً للمشرع؛ وهذا يدل على مدى مراقبة العبد للمولى وفيه كمال العبودية والإخلاص فيها، ويكون بذلك مصداقاً لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ <sup>(٢)</sup>. ومما لا خلاف فيه أن المؤمن العابد لله، هو الذي يكون مصدر عطاء للآخرين، حيث امتثاله لتعاليم الله تعالى، وهذا من أعظم سبل النجاة.

إن هذه الطبقة الوسطى في المجتمع تعدُّ قدوة في بناء الشخصية للآخرين من خلال علمها وعملها والسعي والانشغال بذلك؛ لذلك كانت من الطبقات المدوحة من الإمام عليه السلام في تقسيمه الثلاثي للناس، وعلمنا أن نحث المجتمع على اتخاذ هذا الطريق سبيلاً إلى ما تقدم من مقامات العاملين في ذلك، حيث النجاة بالعلم من الأمراض التي تلوث الفطرة الإنسانية، ويحافظ على مكارم الأخلاق، وينجو به من أنواع الانحرافات ويسلم قلبه منها، وتكون أعماله موافقة لأحكام تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، كما تقدم في الروايات الشريفة الأربع.

(١) ميزان الحكمة ج ٥ ص ٢١٠٧.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥.

وإنَّ هاتين الطبقتين هما اللذان يعدَّان قدوة الأمة، والمأمول عليهما العمل على صلاح الناس وهدايتهم، وهم خير الناس كلَّهم، وبهم تكون الحياة حقيقة وسعيدة؛ وقد أشار إليهم ﷺ بقوله: (لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: عَالِمٍ مُطَاعٍ، أَوْ مُسْتَمِعٍ وَاعٍ)<sup>(١)</sup>.

---

(١) الكافي ج ١ ص ٣٣ باب (صفة العلم وفضله وفضل العلماء) الحديث ٧.

## المبحث الثالث الطبقة الدنيا: الجاهل.

(هَمَجٌ رَعَا أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَصِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ)

إن هذه الطبقة الثالثة من الجهلة في المجتمع هي المرتبة الدنيا منه على وفق التقسيم الثلاثي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي طبقة كثيرة في المجتمع؛ لذلك عبّر الحديث عنها بصيغة الجمع، وهي كذلك في الواقع. والجهل من الأمراض العقدية والتربوية والاجتماعية، وفيه آثار سلبية كبيرة على مستوى الفرد والمجتمع.

وفي بيان معنى الجهل وتقسيماته، قال الراغب الأصفهاني بقوله: (الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم هذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضياً للأفعال الخارجة عن النظام، كما جعل العلم معنى مقتضياً للأفعال الجارية على النظام. والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه. والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً، كمن يترك الصلاة متعمداً، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فجعل فعل (الهزو) جهلاً، وقال عز وجل: ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾<sup>(٢)</sup> (٣).

إن هذا التقسيم من الراغب الأصفهاني إشارة إلى تقسيم الجهل إلى البسيط والمركب؛ فالبسيط هو جهل الإنسان بشيء وهو يعلم بجهله، والمركب هو جهله بالشيء مع اعتقاده

(١) سورة البقرة: الآية ٦٧.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ١٠٧ (جهل).

بالعلم، فلا يعلم أنّه لا يعلم، وهو أقبح من الأول<sup>(١)</sup>، والصفات التي يذكرها الإمام علي عليه السلام في بيان ما يتعلق بهذه الطبقة يشمل القسمين من الجهل، وإن كان ما يصدر عن الثاني أشدّ ضرراً وانحرافاً على الشخصية الإسلامية في جوانب متعددة؛ لذلك تم وصفهم بـ(الهمج الرعاع)، ثم ذكر أربع حالات لهم في واقعهم.

وفي معنى (الهمج)، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م): ((هو البعوض، ويقال لرذال الناس الهمج تشبيهاً)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: (والهمج جمع همجة، وهي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمر وأعينها .... ويقال لرذالة الناس همج .... وفي حديث علي «رضي الله عنه» وسائر الناس همج رعاع شبه علي عليه السلام رعاع الناس بالبعوض، والهمج رذال الناس. ويقال لأشابه الناس الذين لا عقول لهم ولا مروءة همج هامج، وقوم همج لا خير فيه)<sup>(٣)</sup>.

وفي معنى (الرعاع) قال ابن فارس: (وهم سفلة الناس)<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن منظور: (والرعاع الأحداث، ورعاع الناس سقاطهم وسفلتهم .... وفي حديث علي «رضي الله عنه» وسائر الناس همج رعاع)<sup>(٥)</sup>.

وقال الشيخ محمد عبده في شرحه للنهج: (والهمج محرّكة: الحمقى من الناس. والرعاع كسحاب: الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس. والناعق: مجاز عن الداعي إلى باطل أو حق)<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر، (دار التعارف، بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، د.ط) ص ١٩-٢٠.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد، اعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والأنسة فاطمة

محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، د.ط)، باب (همج).

(٣) لسان العرب مادة (همج).

(٤) معجم مقاييس اللغة (رعع).

(٥) لسان العرب مادة (رعع).

(٦) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٨٦.

ومما تقدّم، فإنّ هذا الوصف (همج رعاع) لهذه الطبقة هو كناية عن رذالتهم وعدم أهمية مقامهم في المجتمع والاعتناء بوجودهم؛ لأنهم كانوا أداة لغيرهم في توجيههم لمصالحهم الشخصية الدنيئة؛ وسبب ذلك أمر أساسي مهم وهو (العلم)، إذ لم يلجؤوا إلى ما يخرجهم من الظلمات إلى النور فيكونوا إما علماء أو متعلمين. ولكن -مع كلّ ذلك- فإنّهم يمثّلون جانباً كبيراً من جوانب شخصية الأمة، ويجب التعامل معهم بحذر، وعدم فسح المجال لفرض شخصيتهم السلبية، وهم السبب الرئيس في نكبات الأمم بقتل أنبيائها وأئمتها ومصلحيها على مدى التاريخ؛ والشواهد في ذلك كثيرة جداً. لذلك، مما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في الوقوف بوجههم بحزم وشدة وعدم توانٍ بعد نصحتهم، ودعوتهم إلى الرشاد وعدم نفعهم بذلك، قوله: (لَا يُرَدُّ الْجَهْلُ إِلَّا حَدَّ الْحُسَامِ)<sup>(١)</sup>.

ولعلّ هذا النصّ العليّ المبارك للطبقة الثالثة من المجتمع يعدّ مادة علمية للباحثين في الدراسات النفسية والاجتماعية، وخصوصاً فيما يتعلق بالدراسات المتخصصة بالعقل الجمعي والفردى وآثارهما على الشخصية، والتغيرات المجتمعية بسبب ذلك.

ولو تتبعنا النصوص القرآنية لرأينا أنّ الله تعالى قد ذمّ الجاهل، وحذّر من صفاته وأتباعه، ودعا إلى تهذيب النفس من هذه الصفة المذمومة التي هي من الأمراض الخطيرة للإنسان؛ فمثلاً قال تعالى في مقام الإعراض عنهم وعدم التأثير بجمعهم أو دعواتهم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالآية المباركة تؤكد أنّ التعامل مع الناس يجب أن يكون على وفق أسس معينة، لا مطلقاً حيث هناك منّ يجهل تلك الأسس ويحاول فرضها على الآخرين بعادات وتقاليد متعددة، قال الشيخ الطوسي: (أمر الله تعالى نبيه أن يأخذ مع الناس بالعفو، وهو التساهل فيما بينه وبينهم .... وقوله ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ يعني بالمعروف وهو كلّ ما حسن في العقل فعله أو في الشرع، ولم يكن منكراً ولا قبيحاً عند العقلاء. وقوله

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٤٣٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أمر بالإعراض عن الجاهل السفیه، الذي إن كلمه سفه عليه وآذاه بكلامه، وأمره إذا أقام عليهم الحجة وبيّن بطلان ما هم عليه من الكفر والمعاصي أن يعرض عنهم ولا يجاوبهم في مكروه يسمعه، صيانة لنفسه عنهم<sup>(١)</sup>، وإن هذا الإعراض بسبب جهلهم وعنادهم تجاه دعوة الشريعة المقدسة والتمسك بتعاليمها.

وقال تعالى في بيان صفات المؤمنين الممثلين لتعاليم الشريعة المقدسة عند بيان صفاتهم المتعددة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أي فلا نطلب معاشره أولئك الجاهلين؛ لما اتصفوا بصفات ذميمة ومنها اللغو، فنحن لا نريد أن نكون مثلهم بل نقابلهم بالإعراض<sup>(٣)</sup>.

والصفات الأربع التي ذكرها الإمام (عليه السلام) في الحديث كمثل لشخصية الإنسان الجاهل هي الآتي:

#### ١- أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ.

إن هذه الصفة الأولى لهم هي تشبيههم بالبهايم الفاقدة للعقل بخلقتها الإلهية، بل إن عدم استثمار الإنسان لنعمة العقل في التفكير وإدراك الحقائق يعدّ شراً منها، فكانوا كمثل البهايم التي تستجيب لناعقها فقط، أينما يوجهها تستجب له. وقد أشار القرآن إلى هذه الصفة المذمومة عند بعض الناس، فقال تعالى في وصف الذين كفروا بعد النصيحة الإلهية لهم باتباع ما أنزل الله إليهم، وعدم اتباع الآباء على كفرهم: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الدَّيْلِ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فالبهايم إذا زجرها صاحبها فإنها تسمع الصوت ولا تدري ما يريد، وكذلك الكفار إذا قرأت عليهم

(١) التبيان في تفسير القرآن ج ٥ ص ٦٢

(٢) سورة القصص: الآية ٥٥.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ج ١٦ ص ٥٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧١.

وعرضت عليهم الإيمان لا يعلمون مثل البهائم<sup>(١)</sup>، قال الزمخشري: (ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينطق أو: ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينطق. والمعنى: ومثل داعيهم إلى الإيمان - في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت، من غير إلقاء أذهان ولا استبصار - كمثل الناقق بالبهائم، التي لا تسمع إلا دعاء الناقق ونداء الذي هو تصويت بها وزجر لها، ولا تفقه شيئاً آخر، ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون .... وقيل معناه: ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم، كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل؟)<sup>(٢)</sup>، وفي ذلك ذم كبير لهم، حيث تقليدهم الأعمى لغيرهم، وتلويت تلك الفطرة السليمة، وبناء شخصية غير قادرة على الوعي والإدراك لكلّ داع لها، والانحراف عن الصراط المستقيم.

## ٢- يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ.

إنّ هذه الصفة الثانية القائمة بالإمالة مع كلّ ريح وعدم القدرة على مواجهتها كناية عن الضعف من جهة حيث أنّ هذه الشخصية لا تمتلك أدنى قوة معنوية يمكنها التصدي أو مواجهة هذه الريح، وهذه تكون بسبب عوامل متعددة؛ من أهمّها أنّ هذا الإنسان لا توجد له مقومات شخصية ذات مبدأ معيّن، وأهداف معلومة، مؤمن بها عن عقيدة راسخة، تمكّنه من التصدي لكلّ ريح من رياح التيارات العقدية أو الاجتماعية وغيرهما، بالاستماع لما يصدر عنها، ومعرفة الصالح من غيرها، وما يؤثر في عقيدته بانحراف من غيره، وإنما يبحث عن اللهو واللعب وتحقيق لذاته؛ لذلك فهو يضيّع العمر بذلك. ففي كلّ مرحلة من مراحل عمره هو في جهة معينة، فيكون - من ثم - أداة بأيدي الآخرين، أو أداة لتنفيذ

(١) ينظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تحقيق وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، (دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ط ٣، ١٤٠٤هـ) ج ١ ص ٦٥.

(٢) تفسير الكشف ج ١ ص ٢١٤.

عقائد الآخرين، وهناك شواهد تاريخية كثيرة. وهذه الصفة المجتمعية من الصفات الخطرة التي يمكنها أن تكون وسيلة للوقوف بوجه الإصلاح والخير وبناء الأمة، ومواجهة الأنبياء والمصلحين لنجاة الأمة من خلال اتباع طغاة العصر مثلاً. ولعل ما صدر من موقف تجاه سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) خير مثال على ذلك. فبعد ولاء أهل الكوفة له ومكاتبهم ودعوتهم إياه للنصرة والقتال معه، كان انقلابهم عليه ومواجهتهم له في كربلاء وارتكابهم تلك الجريمة العظمى. ولذا كان يقول لهم بما يؤكد ما تقدم للأسف: (تَبَّأَ لَكُمْ أَيَّتْهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأَ، وَبُؤْسًا لَكُمْ وَتَعْسًا حِينَ اسْتَصْرَحْتُمُونَا وَلِهَيْنَ، فَأَصْرَحْنَاكُمْ مُؤَجِبِينَ، فَشَحَذْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا كَانَ فِي أَيْدِينَا، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارًا أَضْرَمْنَاها عَلَى عَدُوِّكُمْ وَعَدُوَّنَا، فَأَصْبَحْتُمْ إِبَّأَ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ، وَيَدَا لِأَعْدَائِكُمْ)<sup>(١)</sup>.

٣- لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ.

إن هذه الصفة الثالثة التي تتصف بها هذه الطبقة من المجتمع، وهي عدم الرجوع إلى العلماء، أو التعلم لأجل النجاة، فكان الجهل سبباً لظلمات أنفسهم وعقولهم عن نور الإيمان والعلم، وبناء شخصية تصبو نحو الكمال، ذات عقيدة رصينة تنجيها من أن تكون أداة لكل ناعق. فالعلم نور يهتدي به الإنسان، ولذا عبّر الإمام عنه بالاستضاءة به، وكما روي عنه (عليه السلام): (الْعِلْمُ مُصْبِحُ الْعَقْلِ)<sup>(٢)</sup>، وقال (عليه السلام): (الْعِلْمُ مُحْيِي النُّفُوسِ، وَمُئَيِّرُ الْعَقْلِ، وَمُمِيتُ الْجَهْلِ)<sup>(٣)</sup>، فمن فقد هذا السبيل فإنما فقد نور الإدراك ومعرفة الحقائق، وأولى تلك الحقائق نور الإيمان والعقيدة الذي له أثر في بناء الإنسان، فيكون كما قال تعالى: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا

(١) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م) ج ٤٥

ص ٨٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٥٠.

(٣) المصدر والصفحة نفسها.

كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(١)</sup>، ووجود هذه الطبقة في المجتمع يعد سبباً من أسباب هلاكه وانحرافه، ولعل ما واجهه الإمام علي عليه السلام من جهات مجتمعية خلال حكمه في السنوات الأربع أكبر دليل على أثر هذه الطبقة في إيجاد رأي عام، بل معارضة واقعية لرسالة الله تعالى في الأرض، فكانت من نتائجها جمع أولئك (الهمج الرعاع) في حروب طاحنة ثلاث (الجمل وصفين والخورج) على مَنْ شهد الجميع بشهادة خاتم النبيين محمد ﷺ بحقه أنه مع الحق والحق معه يدور معه حيثما دار!! وأنه رجل يحبّه الله ورسوله!! وأنه كمنزلة هارون من موسى!! وأنه نفسه!! وأنه أعلمهم!! وأنه أقضاهم!! وأنه .. وأنه!!

٤- وَلَمْ يَلْجِئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

إن هذه الصفة الرابعة التي أشار إليها الإمام عليه السلام في بيانه صفات هذه الطبقة من المجتمع تؤكد أنهم لا يريدون أن يحسنوا من أحوالهم في بناء شخصيتهم، فكما إنهم لم يتعلموا ما يحتاجون إليهم في استقامة شخصيتهم، ولم يحاولوا التعلم، فإنهم كذلك لم يحاولوا اللجوء إلى أي قوة موثوقة تعينهم على ذلك. فالركن الوثيق هو القوة التي يمكن الإعانة بها على معرفة مواجهة الأمور عند الصعاب، وإليه أشار الراغب الأصفهاني في تعريف (الركن) بقوله: (رُكْنُ الشَّيْءِ جَانِبُهُ الَّذِي يَسْكُنُ إِلَيْهِ، وَيُسْتَعَارُ لِلْقُوَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>، والقوة يمكن أن تكون مادية أو معنوية، فهؤلاء لم يستعينوا بأي قوة توجب لهم الاطمئنان ومعرفة ما ينفعهم، أو إنهم بسبب جهلهم التجؤوا إلى ركن ولكنهم لم يكن وثيقاً. فالركن الذي يشير إليه عليه السلام يجب أن يكون (وثيقاً)، ولا يمكن للإنسان الجاهل أن يميّز الركن الوثيق عن غيره؛ ولذا سيكون من (الهمج الرعاع)، ويمكن أن يكون أداة إفساد بيد غيره في تحقيق مآربه، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة،

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

(٢) سورة هود: الآية ٨٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٢١٠ (ركن).

وما يقوم به أصحاب العقائد الفاسدة في تضليل الناس هو من أهمّتها، وتحشيدهم في الوقوف بوجه الحقّ وأهله من مواردها، ولعلّ من أبرز مصاديقها في زمن الإمام علي (عليه السلام) ما جرى من أحداث بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) في انحراف الأمة عن خليفة الله ورسوله إلى غيره، وما كان من تلك الأعداد الكبيرة من الهمج الرعاع الذين حُشدوا لقتاله في يومي (الجمل وصفين) حيث استطاع أصحاب تلك الدعوات إغراء الناس بعناوين معينة؛ اعتماداً على جهلهم.

وما لا شكّ فيه أنّ الركون إلى النظام الإلهي في تعاليم الشريعة المقدسة هو من أوثق الأركان التي توجب النجاة واطمئنان النفس. وقد بيّن النظام الإسلامي الركن الوثيق الذي له القوة المطلقة في بناء شخصية الفرد والمجتمع عند الرجوع إليه، والتمسك بطاعته منهجاً وعملاً؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، فتحديد موارد الطاعة في هذه الأركان الثلاثة (الله تعالى، والرسول، وأولي الأمر) إنّما هو منهج للتربية العقدية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، لتكون نتيجة الركون إليها الوصول إلى الخير والأمان، فضلاً عمّا أكّده نصوص السنة الشريفة في بيان الركن الوثيق للأمة في بيان منهج عقيدتها؛ ومن أهمّها التي لا غبار فيها أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) في بيان الركن الذي ينجيهم من كلّ انحراف، ومنها على سبيل المثال حديث الثقلين، والسفينة، والنجوم، والغدير، والدار وغيرها.

إنّ هذه الصفات الأربع التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) لهذه الطبقة الثالثة من المجتمع هي أساس انحرافهم وجعلهم من (الهمج الرعاع)؛ ومنها تتفرع صفات أخرى يمكن أن تكون من موانع بناء الشخصية للفرد والمجتمع؛ لذلك كانت روايات النبي والأئمة (عليهم السلام) تحذّر من هذه الصفة (الجهل) بشدّة من جهة، وتدعو إلى (العلم) بشدّة من جهة أخرى، لما في الأولى

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

من آثار إيجابية كبيرة، تقابلها في الأخرى آثار سلبية كبيرة تؤدي إلى ضياع وتضييع، بل إلى انحراف كبير، وله آثار كبيرة، ومنها:

١ - ارتكاب المعاصي: روي عن النبي محمد ﷺ: (إِنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللَّهَ، وَإِنْ كَانَ جَمِيلَ الْمُنْظَرِ، عَظِيمَ الْخَطَرِ)<sup>(١)</sup>.

فالرواية الشريفة تؤكد تلك حقيقة الجاهل، حيث جهله بالخالق المنعم الحقيقي الذي يجب أداء حق نعمه على العبد، وأولى خطوات ذلك معرفته وطاعته وعبادته والامتثال لتعاليمه، ولكنَّ الجاهل حقيقة هو الذي جهل هذا الأمر البديهي عن التأمل والتفكير بحقيقة الوجود، ثمَّ الحديث يحذر من الاغترار بمظاهر الشخص المادية التي يكون عليها فهي لا تظهر حقيقة شخصيته، وعدم الاغترار بذلك، لأنَّ جهله أدَّى به إلى انحراف شخصيته العقدية وابتعادها عن الله تعالى. وهذا الأمر له خطر كبير في التأثير في أبناء المجتمع حيث الغرور بمظاهر أو مناصب أو شهادات علمية من دون مراعاة ما يتعلق بالعبودية. فالإنسان المؤمن هو الذي يعبد الله تعالى لأنَّه أهل للعبادة، ويتجنَّب معصيته ويتعد عن عبادة لذاته وشهوته كما ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: (الْجَاهِلُ عَبْدُ شَهْوَتِهِ)<sup>(٢)</sup>.

٢ - سوء المعاشرة: روي عن النبي محمد ﷺ في بيان صفات الجاهل: (إِنْ صَحِبْتَهُ عَنَّاكَ، وَإِنْ اعْتَرَلْتَهُ شَتَمَكَ، وَإِنْ أَعْطَاكَ مِنْ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَعْطَيْتَهُ كَفَرَكَ، وَإِنْ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ خَائِنَكَ..<sup>(٣)</sup>

إنَّ هذه الصفات الخمس وغيرها مما ورد في الحديث الشريف تؤكد الخصال الذميمة التي تبرز في شخصية الجاهل، وفيها آثار كبيرة في المجتمع عند معاشرته. والتأمل فيها يُظهر

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ١٦٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٤.

(٣) تحف العقول ص ٢١.

مدى الإساءة التي تصدر عنهم تجاه الآخرين، وضرورة الابتعاد عنهم والتحذير منهم من جهة، ومواجهة هذه الأمراض من جهة أخرى خوف انتشارها في المجتمع.

٣- الكفر: روي عن الإمام علي (عليه السلام): (لَوْ أَنَّ الْعِبَادَ حِينَ جَهَلُوا وَقَفُوا، وَلَمْ يَكْفُرُوا، وَلَمْ يَضِلُّوا)<sup>(١)</sup>.

إن الرواية تظهر بكل وضوح آثار الجهل على العقيدة، وانحراف الإنسان عن الإيمان، وضياعه في ظلمات الكفر والضلالة، وما يترتب عليهما من سلوك مخالف للأخلاق والدين، والابتعاد عن نور الفطرة الإنسانية وتلوّثها، فالجهل في الرواية يظهر مدى آثار الجاهل وخطورته في المجتمع حيث الكفر والضلال، والابتعاد عن العقيدة التي يجب أن يكون عليها، وتؤثر في وجوده الشخصي ووجود الآخرين، وما في ذلك من بناء للشخصية الإسلامية.

٤- الغرور: روي عن الإمام علي (عليه السلام): (تَرَوُةُ الْجَاهِلِ فِي مَالِهِ وَأَمَلِهِ)<sup>(٢)</sup>.

إن هذه الصفة التي تتصف بها شخصية الجاهل صفة طبيعية؛ لجهلها أن الغرور بلدات الدنيا والركون إليها في بناء النفس إنما هو ركون إلى أوهام، أو ركون إلى قوى لا يمكنها أن تؤدي رسالتها، فالمال وإن كانت له قوة مادية معينة لكنّها زائل لا يدوم، فزواله هو زوال لصاحبه كما قال الإمام علي (عليه السلام): (وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ .... هَلَكُ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ)<sup>(٣)</sup>، بل المال له قوة على تدمير الإنسان إن لم يحسن أداء التعامل معه على وفق نظام معيّن - فقد روي عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في التحذير من الغرور به: (إِنَّ الدِّينَارَ وَالْدَّرْهَمَ

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٣١٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص ١٨٣.

(٣) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٨٦.

أَهْلَكَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهُمَا مُهْلِكََاكُمْ<sup>(١)</sup>، والهلاك المعنوي الذي يصيب الإنسان ويجرفه عن فضائل النفس هو شرّ بكثير من الهلاك المادي.

٥- الظلم: روي عن الإمام علي (عليه السلام): (رَأْسُ الْجَهْلِ الْجَوْرُ)<sup>(٢)</sup>.

إنَّ صدور الظلم والاعتداء على الآخرين من الإنسان الجاهل أمر طبيعي؛ لأنه بعيد عن منابع الخير والبر، والتعاليم التي تحدّد له معالم الخير والشر، وتعرّفه النظام الذي يجب عليه اتّباعه، والذي يضمن حقوق الجميع من التعدي، والنظام الإسلامي يحرم ذلك لأجل تحقيق العدالة ونشر الفضيلة في المجتمع، ولتأمل في قوله تعالى وهو يؤكّد النهي عن الاعتداء: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وغيرهما من الأمثلة الكثيرة التي تحاول أن تجعل الشخصية الإسلامية ذات أبعاد إنسانية، ولها أثر كبير في تحقيق الخير والفضيلة في المجتمع، بينما الجاهل مخدوع بما يملك من قوة مادية أو معنوية يراها سلاحه الذي يحصن به نفسه، وقد حذر الإمام علي (عليه السلام) من هذا الغرور بقوله: (الْجَاهِلُ مَنْ انْخَدَعَ لَهُوَاهُ وَغُرُورِهِ)<sup>(٥)</sup>.

إنَّ كُلَّ ما تقدم من بيان موجز عن هذه الطبقات الثلاث التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته العظيمة لتلميذه كميل بن زياد تؤكد فضل الشريعة الإسلامية المقدسة ومقامها في بناء الشخصية للفرد والمجتمع، والحفاظ على الفطرة الإنسانية من تلويثها وانحرافها، وقد تبين لنا بإيجاز أهمية هذا النظام ومنظومته التربوية في تحقيق السعادة للبشرية كلها، من خلال العلم والتعلم والدعوة إليهما بالعمل الصالح.

(١) الكافي ج ١ ص ٣١٦، باب (حب الدنيا والحرص عليها) الحديث ٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢١٣.

(٣) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٠.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٤.

## خاتمة ووصايا

١- إنَّ تقسيم الإمام علي (عليه السلام) المجتمع على وفق هذه الطبقات فيه دلالة على أهمية معرفة منازل الناس وبيان صفة كُلِّ منزلة؛ ليحصل من خلال ذلك معرفة الفاضل من المفضول، وحسن التعامل مع كُلِّ طبقة على وفق الحكمة في ذلك.

٢- إنَّ هذا التقسيم الثلاثي الذي أشار إليه الإمام يعدُّ سابقة منه (عليه السلام) في دراسة المجتمعات دراسة اجتماعية واقعية، وبيان ما يتعلق بكُلِّ طائفة منها بما لا يمكن الاختلاف فيه، حيث العلم فضيلة يدرك كُلُّ عاقل فضله ومقامه.

٣- إنَّ تأكيد الإمام (عليه السلام) على أنَّ يكون العالم عاملاً هو تأكيد لمنهج الشريعة الإسلامية المقدسة الداعي إلى العمل المقترن بالعلم، وعدم الاعتماد على أحد منهما من دون الآخر، حيث لا يمكن أداء الرسالة والأمن من الانحراف بأحدهما، وهي رسالة إصلاحية واضحة لمن يغتر بعلمه من دون عمل.

٤- إنَّ البحث قد أظهر فضيلة العلم وآثار العلم في بناء الشخصية الإسلامية، وأهمية هذا المنهج للإنسان المؤمن الباحث عن كماله. وهذا يوجب على المؤمنين والمؤسسات التعليمية والتربوية بذل جهود كبيرة من أجل ترسيخ ذلك في المجتمع؛ لبناء جيلٍ واعٍ لرسالته وأهدافها.

٥- لقد تبين في المبحث الثالث خطورة صفة الجهل في ضياع الفرد والأمة، وانحرافها عقدياً وتربوياً واجتماعياً، وآثاره الكبيرة في إيجاد مجتمع ضائع وسط الدعوات المختلفة التي تؤثر فيه، وهو يجري كُلِّ يوم خلف إحداها؛ وفي ذلك آثار سلبية كبيرة في سلوك الفرد والمجتمع.

٦- يوصى الباحث بضرورة أن تتضمن المناهج التعليمية للمدارس منذ المرحلة الابتدائية هذه الأحاديث التي لها دور كبير في بناء الجيل بناءً على وفق منهج إسلامي يؤثر في بناء شخصيته، وهذه الدعوة طالما ذكرناها في المؤتمرات والبحوث، ولكن -للأسف- من دون جدوى.

٧- يوصى الباحث بأهمية أن تكون هناك مؤسسات تربوية مجتمعية تُعنى بدراسة المجتمع ومشاكله، ووضع الحلول الناجعة على وفق تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، التي ضمنت للإنسان هدايته وصلاحه إن تمسك بها؛ لنؤكد لأبنائنا عظمة المنهج الإسلامي في التربية، والذي هو ضعيف -للأسف- في المجتمع.

٨- يوصى الباحث بضرورة أن يتم تفعيل تلك الوصايا العظيمة الواردة في نهج البلاغة مجتمعياً، من خلال ندوات خاصة، أو بحوث تخصصية، أو مسابقات للكتابة أو التحليل أو الحفظ، بما يرسخ في المجتمع تلك المفاهيم والمواضيع العظيمة التي تضمنها هذا السّفر العلوي الخالد.

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

### المؤلفات:

١. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١٠هـ/ ١٦٩٩م)، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قیماز الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، (دار المغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م، د.م).
٣. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ).
٤. تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن شعبة الحراني (ت ق ٤)، تقديم حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٧، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).
٥. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت ق ٣)، تحقيق وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، (دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ط ٣، ١٤٠٤هـ).
٦. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، (ط ١، مط شريعت، ١٤٢٦هـ، قم).

٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٩٢م)، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م).

٨. الشخصية الإسلامية مقوماتها معالمها نتائجها، حسن محمد الشيخ علي، (مكتبة سيد الشهداء عليه السلام العامة في كربلاء، مط الغري الحديثة، النجف، ١٣٨٦هـ، د.ط).

٩. شرح أصول الكافي، الشيخ محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م)، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م).

١٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مط دار إحياء الكتب العربية، ط ٢، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م، د.م).

١١. غرر الحكم ودرر الكلم، القاضي عبد الواحد التميمي الأمدي (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (مط ستار، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م).

١٢. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ / ٩٤١م)، تصحيح وتعليق: على أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ، د.ط).

١٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الكشاف)، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ).

١٤. المدرسة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
١٥. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م)، ضبط: هشيم طعيمة، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م).
١٦. المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)، (دار التعارف، بيروت، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، د.ط).
١٧. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م)، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
١٨. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط ١، ١٣٠١هـ).
١٩. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م)، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٩م، د.ط).
٢٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢١. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م)، (ط ٥، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، د.مط، د.م).
٢٢. المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢، د.ط).
٢٣. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م)، اعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، د.ط).

٢٤. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ / ١٣٦٠م): تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، (دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م).

٢٥. منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٩، ١٩٤٣هـ - ٢٠١٣م).

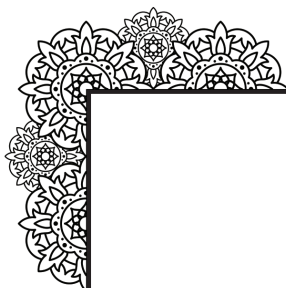
٢٦. منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين بن علي الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ / ١٥٥٨م)، تحقيق: رضا المختاري، (ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٩هـ).

٢٧. ميزان الحكمة، محمد الريشهري (ت ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)، تحقيق: دار الحديث، (ط٢، مط دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ).

٢٨. نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م)، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت).

### الدوريات:

٢٩. بناء الشخصية الإسلامية قراءة في المشروع الحضاري والإنساني للإمام زين العابدين (عليه السلام)، الدكتور وسيم عبود عطية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ٢٠١٨م، العدد ٤٦، ج ١.

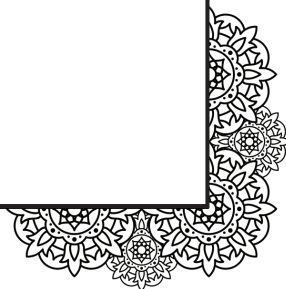


**الأسس العامة للتربية والتعلم**  
**من شذا نصوص ووصايا أمير المؤمنين عليه السلام**  
**برؤية فسيولوجية (علم وظائف الأعضاء)**

الباحث

الأستاذ الدكتور عمار جاسم مسلم

جامعة البصرة - كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة وأهمية البحث

التربية والتعلم هي بذرة بناء الفرد والأسرة والنهوض بالمجتمعات ونشوء الحضارات عبر التاريخ. وهي عملية مترابطة ومتسلسلة تبدأ بالأسرة والمدرسة والجامعات والمؤسسات التعليمية، للحد من الجهل والأمية واكتساب المعارف والمهارات والوعي. وإن تحسين السلوك والأخلاق يُعد سبباً في امتلاك التوافق والاطمئنان النفسي، فهو أحد قواعد التعلم ورفع القدرات العقلية، وعندها يكون الفرد أو الأسرة أو المجتمع قادراً على تحطّي الأزمات وإيجاد الحلول الواقعية؛ فضلاً عن أنّ التربية والتعلم يحدّان من العدائية ويقوّضان خطاب الكراهية ويخفّضان نسب الجريمة المنظمة، ويحدّان من نسب الفقر؛ أي إنّ إصلاح الفرد والأسرة يعني إصلاح المجتمع؛ لذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «بالعلم تكون الحياة»<sup>(١)</sup>. فالتربية هي اكتساب المعرفة والثقافات، وإمكانية وضع الحلول للمشاكل وتهذيب النفس، وتفعيل دور الضمير وتحسين السلوك الأخلاقي والإيمان؛ في حين التعلم هو اكتساب الخبرات والمعلومات والمهارات والمعارف ولا يمكن الفصل بينهما؛ إذ يجب رعاية قطاع التعليم وإعطاء الفرص المتكافئة بشكل متساو يوفر فرصة الحياة الكريمة مع السعي إلى تعظيم الموارد للأجيال القادمة دون التسبب في ضياعها وتبديدها؛ وهو ما يحقق التنمية البشرية المستدامة، فهو يوقظ العمليات العقلية عبر تنشيط وظائف الدماغ، وعندها يخلق الوعي بالحفاظ على البيئة ومواردها وتنميتها مما يضمن استمرارها إلى الأجيال. فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا كنز أنفع من العلم»<sup>(٢)</sup>.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، التحقيق: مير سيد جلال الدين المحدث، جامعة طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٠ هـ. ق. - ١٨٥، ١٦٢٦، ٤٢٢٠.

(٢) الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثالثة - ٨ / ١٩ / ٤.

ومن هنا جاء الخطاب الأول الذي نزل من السماء إلى الرسول الكريم ﷺ يخصّ الحثّ على التعلم بسورة العلق<sup>(١)</sup> ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وهي تشير إلى أنّ تغيير جوهر الإنسان واستمرار حياته يكمن بالاعتماد على التربية والتعلم. وقد وردت نصوص عديدة وروايات عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في أهمية التربية والتعلم وآثارها على الفرد والمجتمع. وقد تناول الباحث بعضاً منها، وقام بتحليلها من زوايا مختلفة. فلا بدّ من غرس القيم الأخلاقية والتربوية منذ الطفولة لكي نحصن أبناءنا من الأفكار التي تحيط بنا، وحتى نضمن ثماراً تليق بمجتمعاتنا الإسلامية بتبني أفرادها الإيثار والتضحية والتعاون وحبّ الآخرين.

### مشكلة البحث:

من أجل اكتساب المعرفة والعلوم، يجب أن نضع مقدمات لنضمن امتلاك القيم التربوية واكتساب المعارف والعلوم، وأنّ كثيراً من مناهجنا وطرق تدريس طلبتنا ربما تعتمد على طرق إما قديمة أو عشوائية أو مستمدة من أفكار المؤسسات التعليمية الغربية، (كثير منها) لا يتوافق مع قيمنا الأخلاقية وعاداتنا وعقائدنا.

من هنا تكمن مشكلة البحث والحاجة إليه في مجتمعاتنا العربية التي أصبحت مستنقعاً للجهل والأمية وتعاطي المخدرات، وجزءاً من الجريمة المنظمة والعنف، وتبني الكثير منهم خطاب الكراهية، فضلاً عن العصبية والعشائرية، دون معرفة آثارها الآنية والمستقبلية، والمساهمة بشكل عفوي أو متعمد في تمزيق وحدة البلد وموارده. كما إنّ كثيراً من أبناء المجتمعات العربية متأثر بالحضارات الغربية وفلسفتها وقيمها الأخلاقية والتعليمية والتي أعدت بشكل ينسجم مع عقائدها، وهو يقابل بالترحيب مع كلّ ما يصل إليه عن طريق الفضائيات أو برمجيات التواصل المختلفة دون تأني، أو بوضع معايير للتأكد، أو عرضها

(١) سورة العلق: الآيات: ١-٥.

على العقائد الإسلامية ومواعظ ووصايا الرسول ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ، بل يجعل من نفسه حقلاً لتلك الأفكار.

يرى الباحث أهمية البحث والحاجة إليه في يومنا الحاضر لبيان أهمية التربية والتعليم لتحقيق التنمية المستدامة والتي تعدّ أحد الأسباب الرئيسة لمحاربة الفقر وتحسين قطاع الصحة، والمحافظة على مصادر الطاقة وتمنيتها، وتورثها إلى الأجيال، وتنمية الاقتصاد والعيش بحياة كريمة.

لذا تبنى الباحث فكرة تحليل بعض النصوص الواردة عن أمير المؤمنين ﷺ، والتي تبين كيفية اكتساب العلوم التي يضع لها قواعد التربية، والتحلي بالأخلاق، وتقديم بعض الأسس التي يمكن أن تبنى عليها عملية التعلم. كما إنَّ الباحث حلل تلك الوصايا بتأثيراتها الوظيفية «الفسولوجية» على جسم المتعلم وما هي الجوانب الإيجابية التي تساعده في اكتساب العلوم. ومن هنا، حدد الباحث المشكلة بالسؤال الآتي:

سؤال البحث: ما هي الأرضية والمقدمات التي يجب توافرها حتى تساعد على التعلم واكتساب العلوم وحفظها وتدبيرها؟ وما النصوص الواردة عن أمير المؤمنين ﷺ التي تعزز هذه المقدمات للتعلم؟

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

١. بيان النصوص الواردة عن أمير المؤمنين ﷺ والتي تهدف إلى وضع القواعد والأسس للتربية والتعلم العام برؤيا فسيولوجية.
٢. تسليط نافذة من الضوء على جانب من علوم أمير المؤمنين ﷺ.

٣. إعطاء التفسيرات العلمية المعززة بالدراسات والأبحاث لنصوصه عليه السلام قيد الدراسة التي وقف عليها البحث.
٤. نشر الثقافة الإسلامية برؤية أمير المؤمنين عليه السلام في رعاية قطاع التربية والتعليم، وهو جزء من التنمية البشرية المستدامة.

## المحور الأول

### القواعد والأسس بمنظور أمير المؤمنين والتي تسبق التعلم العام

#### المطلب الأول: الأخلاق طريق التعلم:

أهمية التربية والتعليم تكمن باكتساب الفرد والمجتمع السلوك والأخلاق، مما يقلل مستوى الجريمة المنظمة وانتشار المخدرات والأفكار المنحرفة، بل يسمح بالتنمية البشرية المستدامة من خلال خلق الوعي للأفراد والمجتمع.

فالأخلاق تهيم النفس والعقل للتعلم؛ فهناك أمثال كثيرة توضح امتلاك العلم والحكمة بسبب التحلي بالأخلاق الحميدة، ومنها ما أود الإشارة إليه هو احترام المتعلم لأستاذه.. ففي قصة (الاسكندر المقدوني) الذي كان يحتفي بالوقوف والسلام والترحيب لمعلمه أكثر ما يقوم به لأبيه؛ فعندما سُئل عن سبب ذلك قال: «إنَّ أبي سبب حياتي الفانية، ومعلمي سبب حياتي الباقية»، واليوم في مؤسساتنا العلمية نجد البعض من خريجيننا في الأسبوع الأول من حصولهم على الشهادات العليا، يبدأ بالسعي إلى إزالة أستاذه عن طريقه من التدريس والإشراف واللجان... ويروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام): لا تجعل ذرب لسانك على من أنطقك، ولا بلاغة قولك على من سددك<sup>(١)</sup>، وعنه (عليه السلام): تواضعوا لمن تتعلمون منه العلم ولمن تعلمونه<sup>(٢)</sup>.

وهنا نطرق هذا السؤال: هل التعلم للعلوم الكسبية يعتمد على عدد ساعات المطالعة والمباحثة وتوظيف التقنيات؟ فالإجابة عن هذا التساؤل يأتي من خلال ما روي عن أمير

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ. ق الصفحة ٤٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره - ٤٥٤٣.

المؤمنين (عليه السلام): «ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في تخوم الأرض فيخرج لكم، ولكن العلم مجبول في قلوبكم، تأدبوا بآداب الروحانيين يظهر لكم»<sup>(١)</sup>.

وإنّ ما تقدم لا يلغي قواعد التعلم، ومنها الاستعداد والميول والتكرار والمراجعة والمحادثة، ولكنّ هذه القواعد لا تنفع مع ما ذكر وما سوف أذكره والذي يجب على المتعلم الالتزام به ويمتلكه، كما ورد في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من لم يتورع في تعلمه ابتلاه الله بأحد ثلاثة أشياء... يبتليه بخدمة السلطان»<sup>(٢)</sup>؛ أي العلم لا ينمو ولا يستقر في قلب صاحب الأخلاق الذميمة. فإنّ الحقيقة الإنسانية هي الخط الفاصل بين الظلام والنور بين الإنغماس في مستنقع الجهل والرذيلة وبين الوصول إلى أعلى المراتب. وعلى مرور التاريخ، نجد أنّ تمزق أية حضارة أو امبراطورية وضياعها، كان سببها انتشار الجهل وانعدام الرعاية في قطاع التعليم، وانتشار الفقر والشعوذة والأفكار المنحرفة، مما يسبب فقدان الموارد وانتشار الأمراض وضياع الحضارات.

### المطلب الثاني: النحل والتعلم

واحد من أهم قواعد التعلم هو أن يوفق طالب العلم باختيار العلوم التي يدرسها، وتكون فيها نجاة لنفسه ولعمامة الناس، لأنّها تضيء بنورها الطريق له وللعمامة، بل تنعكس ثمارها على سلوك المجتمع وأفكاره، فهي سبب تغذيتهم الروحية ولتحقيق ذلك لا بدّ من السفر، أو قطع المسافات للوصول إلى غاياته، ويجب عليه اختيار الأستاذ أو المعلم الذي ينهل منه العلوم والتربية والأخلاق، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «خذوا من كلّ علم أحسنه، فإنّ النحل يأكل من كلّ زهر أزينه، فيتولد منه جوهران نفيسان: أحدهما فيه

(١) موسوعة العقائد الإسلامية - محمد الريشهري - ج ٢ - سنة ٢٠١٧، الصفحة ٢٢

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام): العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار أحياء التراث - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.ق.، ج ٣٧، ص ١٥٦.

شفاء للناس، والآخر يستضاء به»<sup>(١)</sup>. النصّ يحثّ طالب العلم بالتشبه بالنحلة التي لا يتجاوز حجمها ٤ سنتيمتر، وتمتلك حواس عالية الدقة، وتتحرك ٢٠ كم تزور وتتغذى على آلاف الأزهار، ولا تمتصّ إلا الرحيق الطيب بطعمه ورائحته، ليكون غذاء وشفاء للناس، وكذلك ليستضيؤون به. فالمراد هنا السفر وقطع المسافات من أجل التعلم، وأن يحسن اختيار العلوم التي يدرسها، والعالم الذي يستضيء بنور علمه وأخلاقه. والأهم من ذلك أنّ النحلة أهم عمل بايولوجي تقوم به هو أثناء تنقلها بين الزهور تقوم بنقل اللقاح، والذي يكون نتاجه الثمار التي يتغذى عليها الناس. وهذا ما يجب على طالب العلم أن ينهل من العلوم والعالم ما ينعكس ثماره على المجتمع بمحاربة الأفكار المنحرفة والتي تسعى إلى تفكيك الأسرة وضياع الهوية والعقيدة الإسلامية. فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «علم لا ينفع كدواء لا ينجع»<sup>(٢)</sup>، كما ورد عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لا تجلسوا عند كل عالم يدعوكم إلاّ عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس: من الشكّ إلى اليقين، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن العداوة إلى النصيحة، ومن الرغبة إلى الزهد»<sup>(٣)</sup>.

فالأمر يكمن بسعي الطالب وبحثه عن العالم الذي يمتلك العلم والقيم الأخلاقية والتربوية واختيار نوع العلم الذي تنعكس آثار ثماره على الطالب ومجتمعه وبيئته.

### المطلب الثالث: الدماغ يلتهم خلاياه:

يعد النوم ضرورياً للبقاء على قيد الحياة، وأحد الحاجات البدنية المهمة التي لا تقلّ عن أهمية الطعام والشراب. ومن أهم الدلائل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي - مصدر سبق ذكره. - ٥٠٨٢، ٥٢٦٧، ٥٢٢٤ - ٥٢٢٥، ٥٠٢٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي، المصدر السابق - ٥٣٠١، ٥٣١٩.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢ - الصفحة ٥٢.

لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالتَّوَمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا»<sup>(١)</sup>، وإنَّ سبب تحديد الليل للنوم كونه يحتاج إلى نشاط هرمون من منطقة الوطاء بالدماغ وهو (الميلاتونين) الذي ينشط بانخفاض الإضاءة، وفي النوم يتم التخلص من حركات التعب والألم والنواتج السميّة من مخلفات العمل والطاقة الجسميّة التي تحدث في اليقظة. وهذا ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حاجة الجسم إلى النوم بقوله: «النوم راحة من ألم»<sup>(٢)</sup>. فكثير من الذين يدمنون على السهر لأي سبب يفقدون القدرة على التخلص من مادة «بيتا أميلويد» التي يتم إزالتها عند النوم؛ وكذلك فقدان التغذية العصبية وعدم إزالة النفايات السامة في الدماغ، وعندها تقوم الخلايا النجمية بالتهام نقاط الاشتباك العصبي، وهذا ما يطلق عليه «الدماغ يلتهم خلاياه»، وهو يسبب الإرهاق والقلق وعدم التركيز والتوتر، وهو الذي يصيب الشباب بعد الإدمان على السهر فضلاً عن تغير نشاط هرمونات الدماغ من هرمونات ذات المزاج السعيد إلى هرمونات التوتر والقلق كالكورتيزول فضلاً عن انخفاض المناعة، كما يكون سبباً لاضطراب في نسبة السكر بالدم، فتصنف الحالة على أنّها مرحلة ما قبل السكري؛ وهذا سبب كثرة حدوث إصابات السكري لدى المراهقين والشباب بكثرة نتيجة إدمانهم على السهر، وينعكس سلباً على عمليات الحفظ والتعلم والدوافع والميول نحو المذاكرة، فضلاً عن نقص عوامل التغذية العصبية وعدم إزالة نفايات العمل العصبي، في حين النوم الكافي يعزز الذاكرة بإعادة المعلومات التي اكتسبت في الاستيقاظ من الذاكرة الإجرائية إلى الذاكرة الطويلة.

#### المطلب الرابع: الخلايا المرآتية والطاقة الإيجابية والتعلم:

اكتشفت خلايا في الدماغ تنشط بالوقت نفسه الذي يؤدي فيه المعلم مهارته التعليمية،

(١) سورة الفرقان: الآية: ٤٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره، ١٤٦١.

أو يتحدث بموضوع يصحبه مشاعر فرح أو حزن. فالدماغ «يعكس» ما يراه في القشرة الأمامية الحركية لدينا. فعندما نشاهد موقفاً يحيط به الحزن سرعان ما يتبنا الحزن، وكذلك الفرح أو حركة معينة، وهو ناتج من نشاط هذه الخلايا «المرآتية». ومن هنا انطلقت مرحلة جديدة في عمليات التعلم في جميع العلوم، بل تؤثر الخلايا المرآتية في العواطف والمشاعر التي هي أساس التقارب والتنافر بين أبناء البشر.. فالخلايا «المرآتية» لها علاقة بالمشاعر والعواطف التي تظهر على محيا الإنسان عبر حركة العضلات التي تتغير بين العواطف السلبية والإيجابية. ولهذا جاء التحذير والنهي عن مصاحبة الكذاب والأحمق والحاسد. فمرافقتهم تؤدي إلى اكتساب بعض طباعهم، لذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «من صاحب جاهلاً نقص عقله»<sup>(١)</sup>، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «من لم يجتنب مصادقة الأحمق أو شك أن يتخلق بأخلاقه»<sup>(٢)</sup>، في حين تتغير الطباع ويكتسب الطاقة الإيجابية بمرافقة الأخيار، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء»<sup>(٣)</sup> في حين يحث أمير المؤمنين على مجالسة العلماء ومرافقتهم فيقول (عليه السلام): «جَالِسِ الْعُلَمَاءَ يَزِدُّكَ عِلْمًا، وَيَحْسُنُ أَدَبُكَ، وَتَرْكُ نَفْسِكَ»<sup>(٤)</sup>. وعنه (عليه السلام): «جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة، والنظر إلى العالم أحب إلى الله من اعتكاف سنة في البيت الحرام»<sup>(٥)</sup>. لذا وجب علينا حسن الاختيار من الأصدقاء لنا ولأبنائنا، والحث على مرافقة العلماء والجلوس إليهم لاكتساب الطاقة الإيجابية.

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - مصدر سبق ذكره - ج ٣ - الصفحة ٢٠٥٣.

(٢) أمالي الصدوق مصدر سبق ذكره - ٢٢٢ / ١.

(٣) البحار الأنوار: المجلسي، مصدر سبق ذكره: ٧٨ / ٩٢ / ١٠٠ وص ٨٢ / ٧٨.

(٤) غرر الحكم: عبد الواحد الأمدي - مصدر سبق ذكره: ٤٧٢٢، ٤٧١٧، ٤٧٨٦، ٤٧٨٧.

(٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: مصدر سبق ذكره - ج ١ - الصفحة ٢٠٥.

### المطلب الخامس: العطور والتعلم

العطور هي خليط من المركبات العطرية التي تُدمج لتكوين رائحة محددة ومميزة، ويمكن تصنيعها من مصادر طبيعية مثل الزهور والنباتات والفواكه، بالإضافة إلى المركبات الاصطناعية التي تُصنع في المختبر، وتُستعمل لخلق أجواء ممتعة أو إثارة المشاعر والمزاج النفسي؛ وإنّ الخلايا الشميّة التي تتفاعل مع جزيئات الروائح وتفك شفرة جزيئات الغاز المتقلبة عبر الخلايا الشمية للعصب الشمي إلى الدماغ وإلى الجهاز الحوفي، وهو مركز العاطفة لعقلنا ويلعب دورًا حاسمًا في معالجة العواطف والذكريات والحالات المزاجية.

فالعطور تسبب تنبيهات عصبية، وهي رسائل كيميائية في الدماغ تنظم وظائف مختلفة، بما في ذلك المزاج والذاكرة والشهية، ويمكن أن تحفز بعض الروائح إطلاق الناقلات العصبية مثل السيروتونين والدوبامين والأندورفين، مما يساهم في الشعور بالسعادة والاسترخاء أو حتى الإثارة. وهذه الطريقة يكون التأثير العصبي للعطور على إثارة استجابات عاطفية قوية واستعادة ذكريات حية من حياتنا، أي إنّ لها علاقة باسترجاع الذاكرة والتفكير والتعلم، وهذا ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يوصي بالطيب بقوله «من تطيب بطيب أول النهار وهو صائم لم يفقد عقله»<sup>(١)</sup>. وعنه (عليه السلام) «من تطيب أول النهار لم يزل عقله معه إلى الليل»<sup>(٢)</sup>. وهما وصيتان تصبان في الموضوع نفسه، وهو أنّ الطيب ينشط العمليات العقلية. وفي إحدى البحوث التي أشارت إلى «تأثير العطور على النشاطات الفسيولوجية النفسية من خلال الاستجابة للنشاط الكهربائي للدماغ البشري» والتي نشرت في إحدى المجلات العالمية واسمها PMC في سنة ٢٠١٦ من قبل (هيلموت فيرنشتاين)، وتوصلت الدراسة في التغيرات في الموجات الأساسية لموجات الكهربائية للدماغ وهي (موجات غاما Gamma وموجات بيتا Beta وموجات الفا Alpha وموجات ثيتا

(١) الفقيه: الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة - ٢ / ٨٦ / ١٨٠٤

(٢) الكافي: لأبي جعفر محمد بن إسحاق مصدر سبق ذكره ٦ / ٥١٠ / ٧ / ٥١١ / ١٤

Theta وموجات دلنا Delta) أنّ تركيز العطور ونوعها يؤديان دوراً كبيراً في التغيرات الإيجابية والسلبية في موجات الدماغ على الانتباه والإدراك (العمليات العقلية)، والحال نفسه في إحدى الدراسات التي قامت بتجربة عمدت إلى تعريض الطلاب لعطور مختلفة؛ فالبيئة الخارجية تؤثر في البيئة الداخلية (طلاب الجامعة)؛ استنتجت اختلاف المزاج من خلال عدة مقاييس وتأثير إيجابي مختلف على الذاكرة والتعلم لديهم باختلاف العطور.

### المطلب السادس: الخصومة والتعلم:

إنّ الخصومة وما تفرزه من الكراهية والأحقاد تشغل الفرد في العدائية والتهيو إلى فرص التحدي والتصارع. وقد تصل إلى الانتقام. وقد نهى عنها أمير المؤمنين (عليه السلام): «أقبح الشيم العدوان»<sup>(١)</sup>. ومن آثار المعادة والخصومة يزيد من نشاط هرمون الإجهاد والتوتر الكورتيزول الذي يسبب ارتفاعاً غير طبيعي في الضغط الدموي، ويؤثر في إيقاع النوم بشكل سلبي، مما يسبب التعب. وأخيراً يؤثر في وظائف الدماغ، ومنها انخفاض مستوى التركيز بسبب تأثيره في الذاكرة ويخفض مستوى التفكير والانتباه، ويؤثر سلباً في التعلم؛ ولذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «رأس الجهل معادة الناس»<sup>(٢)</sup>، وما تتركه المعادة من تعب وعناء وهو ما يصفه (عليه السلام): «كثرة العداوة عناء للقلوب»<sup>(٣)</sup>، وإنّ القلب جزء من مركز الحكمة والتعلم والذاكرة، وإنّ عناءها سوف يؤثر سلباً في المتعلم. فعلى طالب العلم إصلاح شأنه بالابتعاد عن الخصومة والتفكير في كيفية قهر أعدائه، وترقب الوقت لتغلب عليهم، فإنّ ذلك يشغل عقله وقلبه عن التعلم، فيروى عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إياكم والخصومة،

(١) عيون الحكم والمواعظ - علي بن محمد الليثي الواسطي - الصفحة ١١٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره، ٢٩٣٦، ٤٥٧٦، ٥٢٣٨، ٥٢٤٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره، ٥٩١:٤.

فإنّها تشغل القلب، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن»<sup>(١)</sup>، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «الخصومة تمحق الدين وتحبط العمل وتورث الشك»<sup>(٢)</sup>، فلا خصومة مع إيمان، فكيف يحدث التعلم مع الخصومة؟! وبالمقابل الألفة وإشاعة المودة هي اكتساب إلى المشاعر الإيجابية والتي تكون سبباً في توليد الطاقة الإيجابية، والتي تسهم في نشاط هرمونات المزاج؛ ومنها الدوبامين والبيتا أندورفين... والتي تساعد على الهدوء النفسي والأتزان ورفع كفاءة الوظائف العقلية، مما يسهم في عملية التعلم.

### المطلب السابع: التغذية القسرية والتعلم

إنّ التغذية لها الكثير من ردود الفعل الإيجابية على أعضاء الجسم وأجهزته والعكس صحيح؛ ففي الطعام فساد البدن وصلاحه، وإنّ كثيراً من الآباء يعملون على إجبار أطفالهم وأبنائهم على نوع الغذاء، وكذلك على كميته وبطريقة قسرية؛ وهذا له آثار في وظائف الدماغ وشخصية الطفل والأبناء، وتنعكس على عملية التعلم. ويمكن أن أستشهد بقول الإمام الصادق عليه السلام الذي أوصى به عنوان البصري بقوله: «إياك أن تأكل ما لا تشتهي، فإنّه يورث الحماقة والبله...»<sup>(٣)</sup>. والسبب يعود لفقدان شروط الميول والدوافع نحوها ويسبب ضعف العمليات العقلية والفكرية. وفي هذا الصدد، هناك دراسات مختلفة عن تأثير التغذية القسرية، ومنها ما كانت حول التغذية القسرية للسجناء والأسرى. ولقد لخص الباحث الدراسات... مما يؤدي إلى عواقب تضرّ بالصحة، ومنها:

النفور من الطعام أو يكره جميع أنواع الأطعمة التي تقدم إليه.

(١) الأمالي: ابن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق مؤسسة الأعلامى - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠ هـ.ق - ٣٤٠ / ٤ ص ٢.

(٢) التوحيد: الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني - ٤٥٨ / ٢١.

(٣) مشكاة الأنوار، ص ٥٦٤، ح ١٩٠١.

إن إجبار الآخرين على تناول الطعام يقتل الشهية لديهم وعدم تشجيع الوظائف اللاشعورية بالتوازن كالأحاساس بين الشبع والجوع.

ربما يزيد الإطعام القسري من الوزن بشكل لا يتلاءم مع العمر الزمني، وهو يسبب مشاكل صحية.

الإطعام القسري يسبب آثاراً نفسية، جزء منها الكره، والحزن، والغضب لحظة مناشدة الطفل للطعام لتصوراته واستذكاره للأسلوب القهري للتغذية.

عدم إعطاء الفرصة لتشجيع أحقية الاختيار بما يلائم نفسه وذوقه.

#### المطلب الثامن: الشبع والجوع والتعلم:

لا يمكن الاستغناء عن الغذاء لاستمرار الحياة وصلاح البدن، لكن الإفراط فيه يسبب العديد من المشكلات، ومنها ما يؤثر في عملية التفكير وعمليات التعلم على مختلف المستويات العمرية ونوع العمل وطبيعته، فكثيراً ما نسمع من نصائح منذ الصغر تحث على القراءة فجراً أو عند الصباح الباكر وأنت جائع دون معرفة السبب العلمي لها، وربما يرى الباحث سبب يعود إلى ما يأتي:

أولاً: إن التعلم على الشبع أو امتلاء المعدة سيكون جزءاً كبيراً من أقسام الدماغ مشغولاً في عمليات الهضم والامتصاص ونقل الغذاء وطرح الفضلات؛ وهذا يحتاج ما لا يقل عن ٣٦ ساعة، فضلاً عن انشغال الجهاز الدوري وعضلة القلب.

ثانياً: أما فراغ المعدة ونقاوتها أثناء التدريب والتعلم لها تأثيرات إيجابية على التعلم والذاكرة والعمليات العقلية والمعرفية من خلال:

أنّ الجوع ينشط من إنتاج بروتين في الخلايا العصبية يسمى عامل التغذية BDNF والذي يقوم بإصلاح الخلايا العصبية، كما يسهم بتعزيز نمو الخلايا العصبية والدبقية.

زيادة بروتين بـ BAG3 والذي يمنع تلف الخلايا العصبية عن طريق مساهمته في رفع كفاءة التنظيف الخلوي الذاتي للخلايا العصبية selective autophagy .

يعزز زيادة تصنيع المتقدرات (بيوت الطاقة) لزيادة إنتاج الطاقة في الدماغ، يزيد من القدرات العقلية كالانتباه والتذكر والإدراك، والذي له دور كبير في التعلم والذاكرة.

الاعتماد على الدهون وتحويله إلى كيتونات واستخدامه في الخلايا العصبية.

زيادة البروتينات تمنع تلف الخلايا العصبية عن طريق مساهمته في رفع كفاءة التنظيف الخلوي الذاتي للخلايا العصبية.

وجود علاقة عكسية بين مستوى الإنسولين والذاكرة؛ أي كلما انخفض مستوى الإنسولين في الدم، وقلت السعرات الحرارية، كان هناك المزيد من التحسن في الذاكرة؛ أي كلما انخفض مستوى الإنسولين في الدم، وقلت السعرات الحرارية، كان هناك المزيد من التحسن في الذاكرة.

ولذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «من اقتصر في أكله كثرت صحته وصلحت فكرته»<sup>(١)</sup>. وعنه (عليه السلام): «لا تجتمع الفطنة والبطنة»<sup>(٢)</sup>. وعنه (عليه السلام) يقول: «من قلّ أكله صفا فكره»<sup>(٣)</sup>، ويرى الباحث رغم أهمية الغذاء وحاجته للسلامة الصحية للجسم البشري وأداء وظائفه، ولكن الجوع ضرورة لزيادة العمليات العقلية وزيادة التعلم.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره، ٢٦٣٩، ٨٨٠٣.  
 (٢) مستدرك الوسائل: الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي. مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، - في مدينة قم. سنة ١٤٠٨ هجرية - مستدرك الوسائل - مصدر السابق، ١٦/ ٢١٣ / ١٩٧٣١.  
 (٣) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره، ٦٨١٩، ٨٤٠٩، ٨٤٦٢.

وأخيراً، قال أمير المؤمنين عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام: عجب لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله، فيجنب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يرديه»<sup>(١)</sup>.

### المطلب التاسع: الرياضة والمرونة العصبية والتعلم:

إن ممارسة الرياضة بشكل منتظم ومستمر وبشدة متوسطة، يسبب التغيرات الوظيفية الإيجابية بعموم أعضاء الجسم وأجهزته، وتمنح الفرد رفع القدرات العقلية، ومنها الذاكرة والتفكير، وإلى نمو الخلايا العصبية والتخلص من نفايات العمل الوظيفي للجهاز العصبي وزيادة تدفق الدم المحمل بالأوكسجين. وبمجمّل ذلك يسبب زيادة في المرونة العصبية، وهي «قدرة الدماغ على التكيف، من خلال التغيرات الفيزيولوجية في الدماغ، والتي تحدث نتيجة التفاعلات مع البيئة» وهي على نوعين: أولهما، يمثل زيادة في الهيكل العصبي المتمثل بالمسارات العصبية الجديدة. الثاني، يمثل التحسن في المشابك العصبية.

والمرونة العصبية لا تعتمد على سنّ معينة على الرغم من أنّ آثارها تكون أوضح وأكبر في الطفولة والشباب كما يمكن تغيير المسارات الخاطئة وتصحيحها مع تغير المناهج والتجارب والمحيط الخارجي. والمرونة العصبية تعزز القدرات التعليمية للأفراد من خلال التواصل بين أقسام الدماغ الذي ينعكس على ارتفاع مستوى الذاكرة. ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «بالتعب الشديد تدرك الدرجات الرفيعة والراحة الدائمة»<sup>(٢)</sup> وهي إشارة إلى أنّ التكيف الجسمي لا يحدث إلا لوصول الجسم إلى التعب، وهو يسبب الإخلال بالبيئة الداخلية التي تستجيب بتطور الأجهزة الوظيفية، ومنها الجهاز العصبي والهرموني والعضلي والدوران والتنفس وغيرها، والتي تسبب رفع الكفاءة الوظيفية والبدنية والتي

(١) البحار: ١ / ٢١٨ / ٤٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره، ٤٤، ٤٦٩٠، ٤٦٩٤، ٤٣٤٥، ٣٣٨٧، ٤٦٩٥.

تنعكس إيجابياً إلى تطوير المرونة العصبية وإلى اليقظة، وهو القائل عليه السلام: «لا تنجع الرياضة إلا في نفس يقظة»<sup>(١)</sup>.

### المطلب العاشر: النوم والتعلم:

لا توجد في الروايات والنصوص الواردة عن الأئمة الاطهار عليهم السلام تحديداً لعدد ساعات النوم، كما لا يوجد حثّ على كثرة النوم كونه من ضمن الحاجات والإنسان يميل إليها بطريقة لا ارادية مع حلول الظلام لوجود عدد من الهرمونات التي تسيطر عليه. ولكنّ هناك نهياً عن كثرة النوم؛ إذ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أنقص النوم لعزائم اليوم»<sup>(٢)</sup>. ففي النص السابق هناك إشارة إلى أنّ النوم يزيل التعب والضغوطات في ساعات الاستيقاظ، فهو حاجة، بقوله عليه السلام: «بئس الغريم النوم، يفني قصير العمر، ويفوت كثير الأجر»<sup>(٣)</sup> بل هناك نصوص على تقليل ساعات النوم؛ فيقول الإمام الكاظم عليه السلام: «إنّ الله جلّ وعزّ يبغض العبد النوام الفارغ»<sup>(٤)</sup>. وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام: «قال الله عزّ وجلّ: «إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً» وإنّ في كثرة آفات، وإن كان على سبيل ما ذكرناه، وكثرة النوم يتولد من كثرة الشرب، وكثرة الشرب يتولد من كثرة الشبع، وهما يثقلان النفس عن الطاعة، ويقسيان القلب عن التفكير والخشوع»<sup>(٥)</sup>.

والنوم هو أحد أنواع الراحة وأحد أسبابها، فإنّ الجسم البشري يحتاج إلى الراحة بعد العمل للتخلص من آثار النواتج الأيضية ومخلفات الطاقة، بل كلّ عضو له راحته

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره، ٢٤٩٧، ١٠٨٩٩.

(٢) نهج البلاغة: مصدر سبق ذكره، الحكمة ٤٤٠، الخطبة ٢٤١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره، ٤٤١٦، ٨٨٢٧.

(٤) الكافي: لأبي جعفر محمد بن إسحاق مصدر سبق ذكره - ٥ / ٨٤ / ٢ وح ٣ و ١.

(٥) مصباح الشريعة: المنسوب الى الامام الصادق:، نشر مكتبة الصادق، الطبعة الثالثة. سنة ١٣٦٦ - ص ٢٩.

الخاصة، ومنها الجهاز العصبي المتمثل بوظائف الدماغ، كما من صفات طالب العلم هو قلة الكلام إلا عند الحاجة. فيقول الإمام الصادق (عليه السلام): «النطق راحة للروح، والسكوت راحة للعقل»<sup>(١)</sup>، وإنّ أحد وسائل الحصول على الراحة والتخلص من أعباء التعب، هو النوم والذي يعتبر إحدى الظواهر الفسيولوجية التي لا يمكن الاستغناء عنها، فهي تأتي بعد أهمية الهواء والطعام والشراب، فهي تحافظ على الإيقاع الطبيعي للسلامة الصحية للإنسان، وهو يؤثر في الجوانب الوظيفية والبدنية والنفسية والعقلية، أي يعزز نمط الحياة وسلامة الفرد. فالنوم الكافي يكسب الطاقة الإيجابية وتجديد مصادر الطاقة وتحسين الكفاءة العقلية وارتفاع الوظائف المعرفية والسلوكية، فيرى الباحث أنّ النوم غير الكافي يسبب اضطراباً بالصحة النفسية ويفقد الفرد الانتباه والتركيز والادراك، وتنخفض لديه القدرة على التعلم، بل ينسحب إلى ظهور علامات التوتر والاكتئاب والفشل في اتخاذ القرارات؛ وهذا ما يحدث عند السهر لفترات طويلة مسبباً فقد عدد من الخلايا الدبقية/ وهي جزء من الخلايا العصبية وبالمقابل إنّ النوم عن الحد الطبيعي هو أحد أسباب السمّة والكسل وضعف القدرات العقلية؛ لذا يجب تحديد الساعات التي تكون كافية وهي لا تزيد عن ٤ إلى ٥ ساعات يومياً.

### المطلب الحادي عشر: شرب الماء والتعلم:

على الرغم من أهمية الماء لوظائف الإنسان وبقائه على قيد الحياة التي لا تخفى على أحد، بل سدّ حاجة الجسم ويمنع الجفاف الذي يسبب ضعف في القدرات الإدراكية، ولكن بالمقابل لا يصحّ الإفراط في تناول الماء بدون سبب، فإنّ ذلك يسبب مردودات سلبية من الناحية الصحية على الإنسان. ومنذ فترة طويلة وما زال أغلب الأطباء ينصحون الناس ويحثونهم على الإكثار من تناول الماء لعدم وجود أضرار جانبية يسببها للجسم مستندين إلى

(١) الأمازي: ابن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، مصدر سبق ذكره، ٢٦٤

صحة الإنسان، وآليات التحكم في أجهزته التي وهبها الله إليه في السيطرة في حالة الزيادة أو النقصان لكمية الماء المتناولة، وهي أقسام الدماغ المتمثلة (تحت المهاد) أو (الوطاء) أو (الهيبوثلامس) هو المسؤول عن السيطرة على كمية الماء في الجسم والتي تصل إلى ٤٢ لتراً عن طريق هرمون (الفازوبريسين) قابض الأوعية الدموية ومن خلال وظيفة الكليتين وآليات التعرق.

ولكن الإفراط في تناول الماء يؤثر على ارتفاع مستوى البلغم والرطوبات، (وهذا موضوع يخصّ الأخلاط الأربعة، وهو كان يعتمد عليه في تحديد مزاج الفرد وشخصيته عند اليونان والرومان... والبلغم هو في الدماغ وهو يسبب الأمراض والإرهاق وظهور التعب والكسل، والرطوبة هي مزاج مرتبط بكثرة الماء والبلغم)

وبزيادة كثرة شرب الماء وتناول الطعام؟ سوف يسبب النسيان. ومن هنا حث الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) «من أقل من شرب الماء صح بدنه»<sup>(١)</sup> ووفقاً لما ذكرته مجلة (ذا هيلث سايت) و(إي بي ام) فإن الإفراط في شرب الماء يحدث زيادة في كمية الماء والسوائل في الجسم، الأمر الذي يزيد من صعوبة وظيفة الكلى وأداء مهامها والاحتفاظ بالسوائل، مما يؤدي إلى تراكم الماء في مجرى الدم.

ولعلّ الأخطر ما كشفته دراسة جديدة أفادت بأن الإفراط في شرب الماء يسبب اضطراباً بوظائف المخ، وفقاً لما نقله موقع "Diet & Weight Management"، وأوضحت الدراسة أنّ هذا يحدث عندما يكون هناك الكثير من الماء في الخلايا بما في ذلك خلايا الدماغ، مما يؤدي إلى أعراض كالارتباك والنعاس والصداع وانخفاض مستوى التركيز، وهو يؤثر في الحفظ والتعلم. ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) «لو أنهم أقلوا من شرب

(١) المحاسن: البرقي منشورات المكتبة الحيدرية - النجف سنة ١٣٨٤ هجرية - ١٩٦٤ - ج ٢، ص ٣٩٨،

الماء لاستقامت أبدانهم»<sup>(١)</sup>. كما يروى عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: «لا يشرب أحدكم الماء حتى يشتهيها فإذا اشتهاه فليقل منه»<sup>(٢)</sup>، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا تمتنوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثر عليه الماء»<sup>(٣)</sup>، أي لا تشربوا الماء دون حاجة فإن في ذلك إيذاء لأعضاء الجسم، ومنها عضلة القلب التي تؤثر في جميع أعضاء الجسم في اضطرابها.

وهنا يرى الباحث أن هذه المواعظ بالإقلال من الماء لصحة البدن تتوافق مع رسالة أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الأشعث على البصرة: «كَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ!! أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُودًا، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرْقُ جُلُودًا، وَالنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ (النبات الذي لا يسقى إلا بهاء المطر) أَقْوَى وَقُودًا، وَأَبْطَأُ حُمُودًا.»<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الثاني عشر: الصبر في طلب العلم:

الصبر الذي يعدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الإيمان فإنه من الخصال الكريمة، والعلم يعدّ من بين أشرف النعم وله مكانة عظيمة في جميع الأديان، وهو من أركان نهضة الأمم وأسبابها، يقترن اكتسابه بالصبر وتحمل المتاعب والمشاق التي يجب أن يوطن نفسه عليها المتعلم. ومن بين ما تحدث فيه القرآن الكريم في الصبر وتحمل المشاق من أجل التعلم هو قصة الخضر

(١) مكارم الأخلاق: لأبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.ق. - الصفحة ١٥٧.

(٢) وسائل الشيعة: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ١٤١٤ هـ - ج ٢٥ - الصفحة ٢٣٨.

(٣) مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي، المصدر السابق، ١، ص ٣٢٠.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، مصدر سبق ذكره، ج ١٦ - الصفحة ٢٨٩.

ونبي الله موسى ﷺ، وكذلك ما ذكر في السورة المباركة (الزمر) بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي زماننا الحالي، يرمي كثير من طلبة العلوم ومن جميع المراحل الدراسية، أسباب عدم قدرتهم على الحفظ والتعلم وانخفاض مستواهم العلمي إلى ما يمرون به من ظروف اجتماعية واقتصادية، وربما تكون واقعية أو غير واقعية. والواجب أن يكون ذلك حافزاً للمضي في التعلم وتحمل تلك الظروف. ويعظ أمير المؤمنين ﷺ المتعلمين بقوله: «من لم يصبر على مضض التعلم بقي في ذل الجهل»<sup>(٢)</sup>، وعنه ﷺ: «لا يدرك العلم براحة الجسم»<sup>(٣)</sup>، وعنه ﷺ: «لن يحرز العلم إلا من يطيل درسه»<sup>(٤)</sup>.

ويرى الباحث أنّ أحد أسباب التعلم هو الاستمرار والانتظام في التعلم، والتوقف يفقدك تعلم الموضوعات الجديدة لأنّ العالم يحدّث معلوماته بشكل مستمر وبصورة سريعة، بل في ثورة من المعلومات / فهو ليس بيئة ثابتة، وإنّ الانقطاع يسبب فقداناً للمعلومات.

### المطلب الثالث عشر: زمن الوحدة التعليمية ومستوى الاستيعاب:

إنّ بعض الكليات تحدّد زمن محاضراتها النظرية إلى ١٢٠ دقيقة، وبعض المدارس الإعدادية تقوم بدمج محاضرتين معاً أي تصل إلى ٩٠ دقيقة، وإنّ أغلب الأبحاث في مجال التعلم العام تحدّد زمن الوحدة التعليمية بين (٤٥ - ٦٠) دقيقة والبعض يحددها (٣٠ دقيقة)، ويعتبرون ذلك هو الزمن الأفضل لاستيعاب المتعلم، ويسمح له بخزن المعلومات

(١) سورة الزمر: الآية: ٩.

(٢) عوالي اللثالي: ابن أبي جهور الأحسائي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي / تحقيق: الحاج آقا مجتبی العراقي. الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م - ١ / ٢٨٥ / ١٣٥.

(٣) غرر الحكم: ١٠٦٨٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره، ٧٤٢٢، ١٠٥٥٢، ٨٩١٦.

في الذاكرة الطويلة الأمد. وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه يقول: «إنَّ النفس حمضة والأذن مجاجة، فلا تجب فهمك بالإلحاح على قلبك، فإنَّ لكلَّ عضو من البدن استراحة»<sup>(١)</sup>، ويرى الباحث من خلال موعظة أمير المؤمنين عدّة أمور منها:

أنَّ التعلم لا يمكن أن يكون من خلال الإلحاح -أي بالطريقة القسرية أو بزيادة زمن التعليم- فلكلَّ جهاز وعضو قدرة معينة وقابلية لأداء وظائفه. وكما أنَّ هناك قدرة للجسم على تحمّل الجهد البدني لمستوى معين، بالمقابل هناك أجهزة وأعضاء مسؤولة عن التفكير والوظائف الفكرية والذاكرة والعمليات العقلية، ومنها الانتباه والتركيز والإدراك، لها قابلية وقدرة خلال مدة زمنية محددة. فكما أنَّ العضلات تؤدي واجبها بصورة مستمرة وبطريقة صحيحة وتنمو مع توافر الراحة والتخلص من الفضلات التي رافقت العمل العضلي، كذلك الخلايا المسؤولة عن التعلم تحتاج إلى الراحة وإعادة نشاطها مرة أخرى. فإعطاء الراحة يجعل خلايا التي كانت نشطة أثناء التعلم تأخذ قسطاً من الراحة، كذلك تعمل خلايا أخرى ليس لها علاقة بالدرس السابق.

#### المطلب الرابع عشر: السؤال طريق التعلم

كثير من الطلاب يخشون طرح التساؤلات لأسباب كثيرة منها الخجل أو الخوف، أو ربما تنمر الطلاب عليهم، وبعض الأحيان الأستاذ لا يسمح أو لا يعطي فرصة للسؤال، غير أنَّ السؤال هو الطريق إلى فكِّ العبارات وإخراج مخزون العلوم وإيضاح المبهم من أجل فهم الأشياء، فتبين الآية القرآنية أهمية السؤال في سورة (النحل ٤٣) «وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»<sup>(٢)</sup>، كما جاء في الحديث الشريف

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور: لجلال الدين عبد الرحمن، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ - ٨ / ٣٤٣.

(٢) سورة النحل: الآية: ٤٣.

لرسول الله ﷺ: «السؤال نصف العلم»<sup>(١)</sup>. وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): القلوب أقفال مفايحها السؤال<sup>(٢)</sup>، وعليه أحد أسباب التعلم هو حث المتعلمين وتشجيعهم على طرح الأسئلة عند قاعة الدرس، فهو المكان المناسب لذلك.

ما هو سبب حث المتعلمين على السؤال؟

يرى الباحث أنّ السؤال معرفة مدى استيعاب المتعلمين للموضوع، وهو سبب ومحفز للتفكير ومنبه للذهن أي التساؤلات وسبب لتنشيط الدوائر العصبية ووظائف الدماغ، والتي تزيد من المرونة العصبية للسائل والمستمع، ولذا ورد عن رسول الله ﷺ: «العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فاسألوا يرحمكم الله فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع والسامع والمحِبُّ لهم»<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الخامس عشر: درجات الحفظ والتعلم:

الحفظ هو خلاف النسيان، وإنّ المتعلمين مختلفون بقابلية الحفظ، وهو يعود إلى أمور عديدة، بعضها يخصّ قسم المستقبلات الحسية، ومنها يخصّ أقسام الدماغ ومقدرة وظائفه وسرعتها، ومنها ما يخصّ التجارب والبرامج والتي مرّ فيها في الطفولة. والأمر يتعلق بالذاكرة والانتباه وتكرار المعلومة والمسابك العصبية، وعددها ونوع تكرار المنبه. وقد ورد عن رسول الله ﷺ يشير إلى اختلاف الناس بدرجات الحفظ، إذ كان يوصي أصحابه عدة وصايا فقال بعضهم: «... قد حفظنا جلّ ما قلت، ولم نحفظ كلّ، وهؤلاء الذين حفظوا أخيارنا وأفاضلنا. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «صدقتم ليس كلّ الناس يستون في الحفظ....»<sup>(٤)</sup>

(١) ميزان الحكمة: محمد الريشهري. دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، قم ١٤٢٢ - ج ٤ ص ٣٣٠.

غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق - ٢٩٢٦٠، ٢٩٢٦٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، مصدر سبق ذكره، ١٤٢٦.

(٣) كنز العمال: علاء الدين حسام الدين الهندي والمشهور بالمتقي الهندي. مصدر سبق ذكره، ٢٨٦٦٢.

(٤) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: مصدر سبق ذكره - ج ٣١ - الصفحة ٤١٢.

وهذا لا بد أن يحدث حتى تنقسم الناس إلى فئات ومستويات وأعمال مختلفة وإلا أصبح مشكلاً لو كنا متساوين في درجة الحفظ.

### المطلب السادس عشر: كيف يتم حفظ العلوم بالذاكرة:

تعدّ عملية حفظ المعلومات من أهمّ التحديات التي تواجه المتعلم والقائمين على عملية التعليم؛ وهناك فرضيات ونظريات حول الحفظ منها (الحفظ يعتمد على التشفير والخزن والاستدعاء) بهذه الطريقة تعمل الذاكرة. إنّ سماع المحاضرات والاطلاع على المصادر وتكرار المادة الدراسية والمباحثة هي أحد أسباب التمكن من حفظ المعلومات، بل وجدت طرق مختلفة لتسهيل عملية الحفظ منها الاعتماد على أكثر من حاسة. مثلاً الاعتماد على الصوت في المذاكرة أو استخدام الرسوم والخرائط الذهنية وتوفير البيئة المناسبة من الهدوء والإضاءة والتكرار للمعلومة.. بل أجريت دراسات حول مدى تأثير تكرار المعلومات ولا سيما عند تكرارها كتابة، فإنّ ذلك يزيد من سرعة تشفيرها وتخزينها واستدعائها. وأوضحت التجربة التي أجريت باستخدام التصوير بالرنين المغناطيسي للدماغ أنّ تكرار المعلومات يؤدي إلى تغييرات في تركيب الدماغ، بتشكيل مسارات عصبية جديدة تربط بين المناطق المختلفة في الدماغ المسؤولة عن التخزين والتذكر. هذا يعني أنّ الدماغ يعمل على تعزيز الروابط العصبية المتعلقة بالمعلومات المكررة مما يزيد من فرص استرجاعها.

ولذا روى عن رسول الله ﷺ: «قيدوا العلم بالكتابة»<sup>(١)</sup>. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «اكتبوا فإنكم لا تحفظون إلا بالكتابة»<sup>(٢)</sup>. وهو يبين أنّ النسيان أكثر فعالية من الحفظ ربما لأهميته في حياة الإنسان.

(١) كنز العمال: علاء الدين حسام الدين الهندي والمشهور بالمتقي الهندي. الناشر بيت الأفكار. سنة ٢٠٠٥ - ٢٩٣٣٢.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: مصدر سبق ذكره، ٢ / ١٥٣ / ٤٦.

وعلى الرغم من أهمية نعمة الحفظ وآثارها على الإنسان، لكن تبقى نعمة النسيان هي أفضل، وهذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان، فإنّه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة»<sup>(١)</sup>.

### المطلب السابع عشر: في أي عمر يبدأ التعليم؟

الكثير يعتقد التعلم يبدأ في سنّ رياض الأطفال أو سنّ المدرسة؛ وهذا خطأ شائع، بل التعلم منذ اختيار الزوجة، كما له علاقة بيوم انعقاد النطفة، فضلاً عن أنّ طبيعة الغذاء الذي تكونت وحوته تلك الأصلاب والأرحام. وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام: «كسب الحرام يبين في الذرية»<sup>(٢)</sup>. وبالمقابل ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم وراثه كريمة»<sup>(٣)</sup>. ثم تأتي المرحلة الثانية، وهي التعلم عندما يكون الطفل جنيناً في بطن أمه، ثم في مرحلة الرضاعة، فإنّ طبيعة الغذاء الذي يتناوله الأبوان وطريقة كسبه ونوعيته، لهما تأثير كبير في سلوك الطفل وشخصيته، والتي سوف تنعكس على قدراته العقلية والتعلم. ولذا هناك الكثير من النصوص الواردة حول أهمية تغذية الرضع إذ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «انظروا من ترضع أولادكم فإنّ الولد يشبّ عليه»<sup>(٤)</sup>. فهذا اللبن سيكون جزءاً من شخصيته وبناءه الفيزيائي والكيميائي، وهذا في قوله عليه السلام «توقوا على أولادكم لبن البغي من النساء، والمجنونة، فإنّ اللبن يعدي»<sup>(٥)</sup>. ويرى الباحث أنّ ذلك يرجع إلى ما ينقله من موروثات جنينية واحتوائه على الخلايا الجذعية مما يسبب نقل الصفات المورثة. ومن هنا جاء التأكيد

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: مصدر سبق ذكره، ٣ / ٨٠.

(٢) الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، -مصدر سبق ذكره. ١٢٥ / ٤.

(٣) شرح نهج البلاغة: بن أبي حديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، مصدر سبق ذكره ١٨ / ٩٣.

(٤) الكافي: لأبي جعفر محمد بن إسحاق المصدر السابق - ٦ / ٤٤ / ١٠.

(٥) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: مصدر سبق ذكره، ١٠٣ / ٣٢٣ / ٩ وص ٣٢٤ / ٢٠ وص ٣٢٣.

على حليب الأم إذ يقول رسول الله ﷺ: « ليس للصبي لبن خير من لبن أمه»<sup>(١)</sup>، وبينت العديد من الدراسات الحديثة أنّ التعلم، وهو في رحم أمه، فهناك برامج متعددة للطفل... كون الطفل في الأسبوع ٢٦ يميز الإضاءة، وفي الأسبوع ٢٠ يسمع صوت ولغة أمه، وفي الأسبوع ٣٢ يكون لديه قدرة على تذوق السائل المحيط به في الرحم؛ وفي الشهر السابع قادر على تمييز الروائح. ولهذا جاءت فكرة إعداد برامج تعليمية له وهو في رحم أمه.

### المطلب الثامن عشر: التعلم بعمر ما قبل المدرسة:

إنّ التعلم يتوافق مع جميع مراحل العمر ولكن بتفاوت، فالأفضلية تكون لسنّ الطفولة، وإنّ كثيراً من الدول المتقدمة تضع برامج تتوافق مع رياض الأطفال، وما قبل المدرسة، وتحتوي على تجارب مختلفة.

والسبب يعود بعد ما تعرفوا على نوع من الخلايا تسمى الخلايا الدبقية تشكل ٨٠٪ من خلايا العصبية في الدماغ التي واجبها تشكيل مسارات عصبية مع أي معرفة جديدة، إن كانت حركية أو معرفية، إذ كلّما تغيرت البرامج وتحدثت، تغيرت المسارات العصبية؛ والعكس صحيح. إنّ عدم الاهتمام بالتعليم المبكر يسبب فقدان هذه الخلايا الدبقية وتلفها وتفكيكها وفقدانها، مما يقلل من العلاقة وسرعة الوظائف بين أقسام الدماغ؛ ولهذا يبين أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقي فيها من شيء إلا قبله»<sup>(٢)</sup>. وهناك دراسات تؤيد أنّ الذاكرة نتاج خلاياها تتوقف بعد سن ١٣ سنة، وهذه الدراسة أحدثت جدلاً كبيراً، وإنّ للموضوع علاقة بخلايا الحصين، وإنّ التجربة قام بها مجموعة من علماء أمريكيان وإسبان على تحليل عينات من أدمغتهم وأدمغة بالغين.

(١) عيون الاخبار الامام الرضا عليه السلام المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف - ٢ / ٣٤ / ٦٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: بن أبي حديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، مصدر سبق ذكره - ج ١٦ -

### المطلب التاسع عشر: أفضل ساعات التعلم:

هناك دراسات متعددة في هذا المجال؛ فمنهم من يذكر أنّ أفضل أوقات الدراسة من الساعة الواحدة إلى الرابعة صباحاً، ومنهم من يشجع المذاكرة المسائية، أو النهارية؛ ومنهم لا يتفق على وجود ساعة أكثر إنتاجية من غيرها في التعلم والحفظ<sup>(١)</sup>.

وما ورد من الروايات والنصوص لا يوجد نهي عن الدراسة في ساعة معينة في اليوم؛ وهذا يعني أنّ الفرصة متاحة في جميع ساعات اليوم للمذاكرة، ولكن هناك حثّ على الدراسة في ساعات الصباح الباكر عند الفجر.

ويذكر الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (ﷺ): «إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ الْحَاجَةَ فَلْيَكْرِ إِلَيْهَا فَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَارِكَ لِي لِمَتِّي فِي بُكُورِهَا»<sup>(٢)</sup>، وهل توجد حاجة هي أقدس من المضي والمسير إلى طلب العلم. فإنّ كلا الروايتين تحثّ على المذاكرة في الصباح الباكر، ويرى الباحث سبب ذلك يعود إلى أنّ التعلم يحتاج إلى اليقظة والتركيز والانتباه، بل إلى جميع العمليات العقلية والذاكرة البصرية، وهذا يكون أفضل أوقاته مع الصباح الباكر. فالسؤال الذي يطرح ما هي أفضلية ساعات الفجر على باقي ساعات اليوم في التعلم؟

الجواب: لأنّ أفضل إيقاع بدني ووظيفي وعقلي وانفعالي يكون صباحاً، وهو بسبب الراحة التي اتخذها من النوم الكافي والتي سمحت بالتخلص من النواتج الأيضية والأفكار والعمليات الذهنية المختلفة لليوم السابق، كما إنّ الجهاز العصبي والدوران والهضمي والجهاز الهرموني عند الفجر غير مشغولة بواحدة من أهم العمليات الوظيفية الحيوية وهي الهضم والامتصاص وطرح الفضلات والخزن أي تكون المعدة منقاة، وهذا يزيد من نشاط عوامل التغذية العصبية التي ترتبط بزيادة مظاهر الانتباه التي تعدّ أحد عوامل التعلم.

(١) [https://www-magneticmemorymethod-com.translate.google.com/best-time-to-study/?\\_x\\_tr\\_sl=en&\\_x\\_tr\\_tl=ar&\\_x\\_tr\\_hl=ar&\\_x\\_tr\\_pto=sc](https://www-magneticmemorymethod-com.translate.google.com/best-time-to-study/?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc)

(٢) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي، منشورات مدينة العلم - آية الله العظمى الخوئي - قم - إيران - ج ٣٩٢ (سنة ١٤٢٣ هجري) - ج ١٧ - الصفحة ٥٠

### المطلب العشرون: غاية التعلم:

على الرغم من أهمية التعلم والحثّ عليه وعلى اختيار العلم والعلم، لكنّ الأهمّ من ذلك ما هي الغاية والهدف من التعلم للتعلم؟ فكما إنّ طالب العلم تستغفر له الملائكة وهو خارج لطلب العلم بالوقت نفسه عندما تكون غايته لغير وجه الله للرياء والمال، أو للوجاهة فسوف لن يصل إلى مبتغاه، بل نهايته ربما الفشل، بل الهلاك كما ورد عن رسول الله ﷺ: «من تعلم العلم رياء وسمعة يريد به الدنيا نزع الله بركته، وضيق عليه معيشته، ووكله الله إلى نفسه، ومن وكله الله إلى نفسه فقد هلك»<sup>(١)</sup>.

وقد نهى أمير المؤمنين عن أربعة خصال لطالب العلم بقوله (عليه السلام): «خذوا من العلم ما بدا لكم، وإياكم أن تطلبوه لخصال أربع: لتباهوا به العلماء، أو تماروا به السفهاء، أو تراؤوا به في المجالس، أو تصرفوا وجوه الناس إليكم للترؤس»<sup>(٢)</sup>.

فيرى الباحث كثرة المواعظ حول غاية التعلم وآثارها وثمارها على الفرد والمجتمع، ولذا حظيت بعدد كبير من النصوص. فمن أراد التعلم لوجه الله وطاعته تلقى الحكمة والمعرفة في قلبه ويحظى بالألطف الإلهية.

(١) مكارم الأخلاق: مصدر سبق ذكره، ٢ / ٣٦٤ / ٢٦٦١ وص ٣٤٨ / ٢٦٦٠.

(٢) ارشاد القلوب: حسن الديلمي. تحقيق هاشم الميلاني. الناشر دار الاسوة ايران - ١ / ٢٣٠.

## المحور الثاني: الخاتمة

### المطلب الأول: الاستنتاجات: أهم ما استنتجه الباحث ما يأتي:

تناولت النصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام قيد الدراسة التغيرات الفسيولوجية في الوسط الداخلي على المتعلم.

حددت النصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام قواعد عامة تسهل عملية اكتساب العلوم من قبل طلبة العلم.

بينت النصوص عن أمير المؤمنين عليه السلام آثار كل من الجوع والشبع والنوم والرياضة البدنية والجانب الأخلاقي والطاقة الإيجابية والعمليات العقلية والعطور... على وظائف الدماغ والتعلم.

قلّة المصادر التي تهتم بالكتابات العلمية لوصايا أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه.

لا يوجد اهتمام إعلامي من خلال القنوات المرئية، والمسموعة، وقنوات التواصل، للكشف عن الإرث الزاخر لعلوم أمير المؤمنين عليه السلام وارتباطها بالنظريات العلمية.

هناك كثير من العلوم المرتبطة بوصايا أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه تحتاج إلى مشاركة العقول بتخصصات مختلفة من أجل معرفة ما وراء الكلمات، ومنها علم الفسيولوجي الذي تناوله الباحث في بحثه.

### المطلب الثاني: التوصيات: أهم ما يوصي به الباحث ما يأتي:

إقامة مراكز بحثية علمية بتخصصات مختلفة لدراسة علوم أمير المؤمنين عليه السلام وتبسيط الضوء عليها.

لا بدّ من بيان القواعد العامة التي ذكرت من قبل أمير المؤمنين عليه السلام وجعلها أساساً ومنهجاً للتعليم للمراحل المختلفة وبيان أقيامها التربوية والعلمية.

التوجه نحو أصحاب التخصصات العلمية وحثّهم في الكتابة على خطب أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه ووصاياه من وجهة تخصصاتهم النفسية والاجتماعية والكيميائية والفسولوجية.

## المصادر والمراجع العربية والأجنبية

### المصادر الدينية:

#### القرآن الكريم

١. الأمالي: ابن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠ هـ.ق.
٢. الاحتجاج: الطبرسي، أبو منصور. النجف، العراق سنة ١٣٥٤ هـ.
٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.ق.
٤. إرشاد القلوب: حسن الديلمي. تحقيق هاشم الميلائي. الناشر دار الأسوة، إيران.
٥. تفسيرات علمية للرسالة الذهبية للإمام الرضا عليه السلام في التغذية والثقافة الصحية: عمار جاسم. الرافد للمطبوعات بغداد سنة ٢٠١٧.
٦. التوحيد: الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني.
٧. جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي، منشورات مدينة العلم - آية الله العظمى الخوئي - قم - إيران - ج ٢٣ - الصفحة ٣٩٢ (سنة ١٤٢٣ هجري).
٨. الدر المنثور في التفسير المأثور: لجلال الدين عبد الرحمن، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى. سنة ١٤٠٣ هـ.
٩. شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ.ق.
١٠. عيون الأخبار، الإمام الرضا عليه السلام المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

١١. عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي الجزء. تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي الطبعة: الأولى، مطبعة دار الحديث الناشر: دار الحديث.
١٢. عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي/ تحقيق: الحاج آقا مجتبی العراقي. الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.
١٣. غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، التحقيق: مير سيد جلال الدين المحدث، جامعة طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٠ هـ.ق.
١٤. الفقيه: الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة.
١٥. كنز العمال: علاء الدين حسام الدين الهندي والمشهور بالمتقي الهندي. الناشر بيت الأفكار. سنة ٢٠٠٥.
١٦. الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ.ق.
١٧. مكارم الأخلاق: لأبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.ق.
١٨. مستدرک الوسائل: الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - في مدينة قم، سنة ١٤٠٨ هجرية.
١٩. موسوعة العقائد الإسلامية في الكتاب والسنة - محمد الريشهري سنة ٢٠١٧.
٢٠. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: لأبي الفضل علي الطبرسي، المكتبة الحيدرية، النجف - الطبعة الثانية. سنة ١٣٨٥.
٢١. مصباح الشريعة: المنسوب إلى الامام الصادق:، نشر مكتبة الصادق، الطبعة الثالثة. سنة ١٣٦٦.
٢٢. ميزان الحكمة: محمد الريشهري. دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع قم ١٤٢٢.

٢٣. المحاسن: البرقي، منشورات المكتبة الحيدرية - النجف سنة ١٣٨٤ هجرية - ١٩٦٤.
٢٤. وسائل الشيعة: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ١٤١٤ هـ.
٢٥. موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام): الشيخ هادي النجفي، سنة ١٤٢٣ - ٢٠٠٢ م.

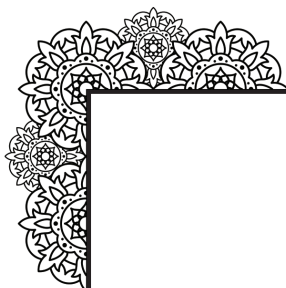
### المصادر العلمية العربية:

٢٦. أحمد محمد بدح وأحمد سليمان مزاهرة وزين حسن بدران: الثقافة الصحية، ط ١. دار المسيرة للنشر. سنة ٢٠١٥.
٢٧. صباح ناصر العلوجي: علم وظائف الاعضاء. دار الفكر للنشر والتوزيع. سنة ٢٠١٤.
٢٨. عبد الرحمن محمد عيسوي: علم النفس البيئي. مصر. منشأة المعارف الاسكندرية. سنة ٢٠١٤.
٢٩. عبده عبد الرحمن محمد: النباتات الطبية والعطرية واستخداماتها الطبية، سنة النشر: ٢٠٠٥ م / ١٤٢٦ هـ.
٣٠. عادل فتوح: تربية النحل ودودة الحرير، جامعة دمشق، ١٩٨٢.
٣١. غايتون وهول: ترجمة صادق الهلالي، المرجع في الفيزيولوجيا الطبية. منظمة الصحة العالمية، سنة ١٩٩٧.
٣٢. كاثرين آسري وروبورت بلومين وآخرون: الجينات والتعلم. مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، سنة ٢٠١٧.
٣٣. محمد سليم صالح وعبد الرحيم عشير: علم حياة الإنسان. مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، سنة ١٩٨٢.

٣٤. محسن حسن عداي وفؤاد شمعون حنا: علم الفلسفة، الجزء الأول، دار الكتب، الموصل، سنة ١٩٨٧.
٣٥. منى خليل عبد القادر: التغذية العلاجية، استاذة التغذية. جامعة حلوان. الطبعة ٣. القاهرة - مجموعة النيل سنة ٢٠٠٤.
٣٦. ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق. الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت. سنة النشر: ١٩٩٣م / ١٤١٣هـ
٣٧. يوسف وهب، محمد جابر: موسوعة الإيقاع الحيوي، ج١، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٥.

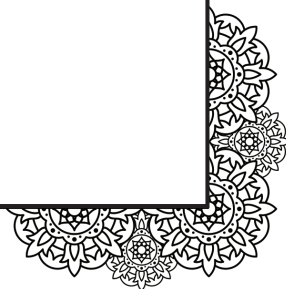
#### المصادر الأجنبية:

- <https://outwittrade.com/study-tips-techniques>
- [https://www-umn-ac-id.translate.goog/en/5-best-times-to-study/?\\_x\\_tr\\_sl=en&\\_x\\_tr\\_tl=ar&\\_x\\_tr\\_hl=ar&\\_x\\_tr\\_pto=sc](https://www-umn-ac-id.translate.goog/en/5-best-times-to-study/?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc)
- [https://www-magneticmemorymethod-com.translate.goog/best-time-to-study/?\\_x\\_tr\\_sl=en&\\_x\\_tr\\_tl=ar&\\_x\\_tr\\_hl=ar&\\_x\\_tr\\_pto=sc](https://www-magneticmemorymethod-com.translate.goog/best-time-to-study/?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc)
- [https://www-edulyte-com.translate.goog/blog/what-is-the-best-time-to-study/?\\_x\\_tr\\_sl=en&\\_x\\_tr\\_tl=ar&\\_x\\_tr\\_hl=ar&\\_x\\_tr\\_pto=sc](https://www-edulyte-com.translate.goog/blog/what-is-the-best-time-to-study/?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc)



**الحبّ بين الأزواج**  
**في ميزان عليّ وفاطمة عليهما السلام**

الباحثة  
أ. غزوة حسن يونس



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الباحث

في مجتمع يعيش كل هذا التخبُّط بين الأصالة والحداثة، بين الموروث والمتجدد، في مجتمع أضاع البوصلة لكثرة الاتجاهات الفكرية المضللة، والتي تقدّم بلباس مخملي مزين ومحبب يلامس النزعات الإنسانية المختلفة..

في مجتمع يسكب عليه السكر ويجرّك رويداً رويداً في بحر متلاطم الأفكار ليزوب دون أن يشعر بذوبانه، لا بدّ من وقفة أو وقفات لأصحاب الفكر الرزين والمنطقي، ليغوصوا في عمق المعاني النائية ويبحثوا عن سفينة الخلاص أو المسارات الصحيحة التي توصل إلى برّ الأمان؛ ومن أفضل من آل بيت المصطفى ﷺ ليكونوا سفن النجاة هذه ومعايير الخلاص؟!

ومن أهم المسارات التي تعتمد في الأبحاث التي تهدف إلى دراسة تحديات العصر ومقابلتها مع المنظور الإسلامي هو مسار التصالح مع الدين والذات والعصر.

التصالح الذي يجعلنا نعي ونفهم أنّ التشريعات الإلهية هي كلّ متكامل مترابط تخدم بعضها بعضاً، فلا يمكن قبول تشريع والالتفاف حول الآخر بحجج اجتماعية من صنع أدمغتنا القاصرة.

ونعي أنفسنا بكلّ نقاط قوّتها وضعفها، فنجعل من قراراتنا تجاهها ميزاناً لا يقسو عليها، ولا يطلق لها العنان العبثي.

ونعي العصر الذي نعيش فيه بكلّ تعقيداته، وتطوراتهِ وفوضويّته، والتي تتطلّب تحديثات مناسبة دون الخروج عن فطرة الإنسان وفلسفة الدين ومنطق العقل.

ولهذا أحببت أن أتناول في بحثي المتواضع هذا موضوع الحبّ بين الأزواج، وترجمته في السيرة المباركة للإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام ضمن محور المجتمع والأسرة وتحت مظلة: علي وفاطمة عليهما السلام وساطة فيض بين الحقّ والخلق.

فكلّ الروايات المتواترة عن أئمة أهل البيت تؤكّد أنّ الإمام عليّ والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام عاشا في حياتهما الزوجية أقدس وأطهر المشاعر المفعمة بالحبّ والمودة والرحمة وسائر المكارم الأخلاقية التي لا يحيطها كتاب فكيف عسى البحث أن يسعها.

فتعالوا نستلهم من سيرتهما الزاخرة كيف عاشا الحبّ قبل الزواج وبعده، لنفهم معنى الحبّ الحقيقيّ وكيف نضمن استمراريّته ونحافظ عليه، في عصر نحن أحوج ما يكون إلى هذا الفهم لبناء أسر سليمة معافاة، خاصّة بعد أن تغيّر شكل الحب ولونه وتنكّر عنّا وحتى عن الشعراء..

### اشكالية البحث:

هل الحبّ شيء قهري خارج عن إرادة الإنسان أم إنّهُ يمكن التحكم به؟

لماذا ينجح الحبّ حيناً ويفشل أخرى في الحفاظ على رباط الزوجيّة؟

أزمة التعارف المفتوحة بين الشباب بحجّة البحث عن الحبّ أو عن الشريك الكفء،

في مقابل التشريعات السماوية والنموذج القدوة (زواج النورين)، ما مدى مشروعيتها؟

## تمهيد للبحث

### العلاقة بين الدين والحب:

الحب أصل من أصول الإسلام، وصفة من صفات المولى جلّ وعلا، فالله يحب أوليائه وهم يحبونه كما ورد في القرآن الكريم (يحبهم ويحبونه)، وهو من أوثق عرى الإيمان كما يقول الرسول الأكرم ﷺ: أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: وهل الدين إلا الحب؟<sup>(١)</sup>

وعن الإمام الباقر عليه السلام: الدين هو الحب والحب هو الدين<sup>(٢)</sup>.

عن رسول الله ﷺ: لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم.

فكان السلام هو مقدمة الحب والحب مقدمة الإيمان، والإيمان مقدمة الفوز بالجنة..

لكن أي حب هذا الذي يوصلنا إلى أبواب الجنان؟ وهل أي حب هو كذلك؟

عن رسول الله ﷺ: المتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة؛ وعن أمير المؤمنين عليه السلام: غاية الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والتبادل في الله.

فمعيار الحب الصائب إذن الذي يوصلنا إلى أبواب الجنان هو ارتباطه بالحب في الله جلّ وعلا.

والقرآن الكريم يصف المؤمنين الذين هم في حزبه وأنصاره بقوله تعالى: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله.<sup>(٣)</sup>

(١) الخصال / ٢١ / ٧٤.

(٢) نور الثقلين: ٥ / ٢٨٥ / ٤٩.

(٣) سورة المجادلة الآية: ٢٢.

أي إنّه لا يجتمع حبّ الله وولايته مع حبّ وموالاة الكفّار، حتّى وإن كانوا أشدّ الناس قرابة (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم).  
 وكان من دعاء نبيّ الله داود: اللهم إني أسألك حبّك، وحبّ من يحبّك، وحبّ كلّ عمل يقربني إلى حبّك.

### وبالانتقال لخصوصية الحبّ بين الأزواج:

يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة الروم، الآية: ٢١.

إذن فالتصوّر القرآني للعلاقة بين الزوجين يعترف بوجود هذا المعنى بينهما: أي معنى الحبّ الذي تشتمل عليه كلمة المودة، بل إنّه لا يكتفي به، بل يرفده بمعانٍ أخرى أشمل وأثبت لتكون قاعدة متينة لبناء العلاقة بين الزوجين كما سيأتي تفصيله لاحقاً.  
 وفي المعاجم، تصالح أهل اللغة على أنّ المودة تعني المحبة، وتعني أيضاً إظهارها، والتعبير عنها قولاً وفعلًا مما يضمن تعميق الشعور والتفاعل معه واستمراريته.

### تعريف الحبّ:

هو مجموعة متنوّعة من المشاعر الإيجابية والحالات العاطفية والعقلية، قويّة التأثير يشعر بها الشخص اتجاه شخص آخر من جنس مختلف تبدأ بالانجذاب والميل وتتطوّر صعوداً إلى الشعور بالسعادة والتفاؤل والأنس والراحة وغيرها...

### أهمية الحبّ في حياة الإنسان

أحد أهمّ الأسباب التي يبنى عليها البشر علاقاتهم الإنسانية هو الحبّ، بما هو انشداد

وانجذاب نحو الآخر وبما هو حاجة فطرية وتكاملية، وحاجة إنسانية مناعية (فالحب يشكل مصدراً لتقوية مناعة الفرد من الكثير من العوارض الجسدية والمعنوية) حتى كأنه يصبح حاجة وجودية للفرد يبني على أساسها علاقاته بالعالم الخارجي وخططه للحاضر والمستقبل معا.<sup>(١)</sup>

يقول عالم الأعصاب إريك هاسيلتاين الذي سجل العديد من الاكتشافات المتعلقة بالدمغ البشري أنّ وقوع الإنسان في الحب يؤدي إلى تغييرات كبيرة في الدماغ، فتتغير الطريقة التي يعمل بها الدماغ نحو الإيجابية ويساعدها على البقاء بصحة جيدة.

وفي تقرير لموقع أميركي (Brightside) ورد التالي: إنّ مجرد النظر إلى صورة الشخص العزيز يزيد من قدرة التحمل ويقلل الألم بنسبة ٤٠٪ في الحالات المتوسطة إلى ١٥٪ في الحالات الشديدة.

تقول الدكتورة لوسي فانسون المتخصصة في طب الأعصاب والبيولوجيا والباحثة في المركز الفرنسي:

عند وقوع شخص في الحب، فإنّ شدة المشاعر لديه تكون مشابهة لتأثير المخدر لأنّه في كلتا الحالتين يتمّ تفعيل نظام المكافأة في الدماغ، وتبدأ بعض الغدد بإفراز مجموعة من الهرمونات التي تجعله يشعر بالسعادة والخفة وتحسين المزاج ويغيب معها أيّ أثر للاكتئاب. وهذه الهرمونات هي: الدوبامين (المسؤول عن الانسجام العاطفي) والأدرينالين والسيروتين، التوستسترون والإستروجين، وتقول الدكتورة إنّ هذا الكوكثيل السحري لا يستمرّ إفرازه مدى الحياة، بل يتوقف بعد فترة تتراوح بين ثمانية عشر شهراً إلى ثلاث سنوات بحسب اختلاف الأشخاص<sup>(٢)</sup>. ولما كان المفترض بالزيجات الناجحة أن تستمرّ

مدى الحياة كيف يمكن التعويض عن هذا التراجع في إفراز هرمونات السعادة؟؟

(١) دنيا المرأة/ السيد محمد حسين فضل الله / ص .

(٢) مجلة اليوم السابع/ مقالة بعنوان الحب لا يدوم... ٢٠١٢.

### هناك طريقتان أساسيتان للتعويض:

الطريقة الأولى هرمون الأوكسيتوسين، أحد أكثر الجزئيات المدهشة في العالم والمعروف عند العلماء بهرمون الحبّ لأنّه يعتني بالقلب أو هرمون الارتباط لأنّه الأطول عمراً. ينشط إفراز هذا الهرمون في الدماغ في حالات العناق والملازمة والودّ والمعاشرة الطيّبة، ويمنح شعوراً بالدفء والأمان والهدوء، يعزّز الشعور بالسعادة والرضا، ويقلّل من التوتر والقلق المنتظم، يخفض ضغط الدم، يعزز احترام الذات، يساعد على مكافحة الشعور بالاكتئاب، وله خاصية مقاومة الآلام وخاصة الصداع؛ (إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون).

وبمطابقة هذه الحقائق العلميّة مع آية المودّة في القرآن الكريم، نكتشف إعجازاً علمياً لأنّ الحبّ الذي لا تصاحبه المعاشرة الطيبة والتطبيق العملي للمودة والرحمة قولاً وفعلاً لا يمكن أن يستمر طويلاً. ولما كان المفترض من الزواج هو الاستمرارية جاءت توصية القرآن الكريم بإفشاء الودّ والرحمة ما يعطي شعوراً بالسكينة والأمان المسؤول عنه هرمون الأوكسيتوسين طويل الأمد.

الطريقة الثانية: باستحضار المشاعر أي نقل العلاقة الزوجية من حالة اللاوعي التي نمارس طقوسها بنوع من التعود والتلقائية إلى حالة الوعي الذي يجعلنا نستحضر مزاياها وأوقاتها المميزة ونتفاعل معها شعورياً، ونعبر عن هذا الشعور بوصفه نوعاً من المكافأة الذاتية.

### كيف يتولّد الحبّ: يتولّد الحبّ بفعل عناصر خمسة:

الفطرة التي فطر الله بني آدم عليها وجعل في نفس كلّ جنس ميلاً إلى الجنس الآخر. عوامل الجذب والإعجاب: وتختلف هذه العوامل من شخص لآخر بحسب شخصيته؛ وأهمّها: الشكل الخارجي، الجمال، الابتسامة، الصوت، روح الدعابة، طريقة التفكير، قوة

الشخصية، الحضور والكاريزما، المشاركة في الأوقات المميزة وغيرها؛ وكلما كانت عوامل الجذب متعددة ومتنوعة كان الانجذاب والميل أقوى.

إرادة الخالق: إذ يستفاد من بعض الروايات والآيات القرآنية أن الله سبحانه وتعالى هو من يقذف في قلوبنا هذا الحب أحياناً مثلاً:

حديث الرسول الأكرم عن السيدة خديجة: ولقد رزقني الله حبها، فالحب إذن رزق من السماء.

- الآية القرآنية: وجعلنا بينهم مودة ورحمة (جعلناه جعلاً)

- حديث الإمام الصادق عليه السلام: الأرواح جند مجنونة، فما تعارف منها في الميثاق ائتلف، وما تناكر منها في الميثاق اختلف.<sup>(١)</sup>

التشابه والانسجام العاطفي والروحي؛ ويتعلق ذلك بمستوى التكامل الإنساني عند الطرفين واستجابتهما له.

تلبية الاحتياجات العاطفي؛ وهذه الحاجة موجودة عند كل إنسان، إلا أنها تشتد وتقوى عند الأشخاص الذين يعانون من نقص عاطفي في أسرهم، فنجدهم جاهزين للدخول في علاقة حب عند أول عامل جذب دون وعي ونضج عاطفي كامل. وغالباً ما يكون هؤلاء الأشخاص متوهمين بالحب..

### مبادئ أو علامات النضج العاطفي:

المبدأ الأول: فهم حقيقة الشعور: لا بد للإنسان المقبل على الحب من فهم حقيقة شعوره وحقيقة شعور الطرف المقابل، هل هو حب حقيقي أم احتياج للحب سببه النقص العاطفي أو الغريزة؟ عادة يساء فهم النقص أو الجوع العاطفي على أنه حب، ولكنه ليس كذلك؛ والجوع العاطفي يستنزف الآخرين ويتركهم فارغين.

(١) مستدرك سفينة البحار / الشيخ علي النمازي الشاهرودي / ج ٤ / ص ٢١٥.

**المبدأ الثاني:** التعقل في الحب لا بدّ للمحبّ حباً حقيقياً أن لا يخرج عن دائرة التعقل والمنطق الحاكم في أمور الحياة ككلّ، فالمجتمع القويم لا يحتاج علاقات عاطفية مجنونة غير محسوبة العواقب ولا تتوّج بالرباط الشرعي المقدّس.

**المبدأ الثالث:** المحافظة على استمراريّته: وهذا المبدأ غاية في الأهميّة لأنّ المحافظة على استمراريّة علاقة الحبّ أهم من الحبّ نفسه، فكم من علاقة حبّ ساءت أحوالها وكان مصيرها بعد فترة من الزمن الفشل بسبب عدم قدرة الطرفين على المحافظة عليها. فعلاقة الحبّ أشبه ما يكون بالنار الموقدة، تحتاج إلى التغذية المستمرّة المتوازنة بالكلمة الطيبة والموقف الجميل والمبادرات اللطيفة لتستمر متوقّدة، ولتؤمّن الدفء اللازم؛ فلا تحرقنا بلهيبها ولا تخمد تحت الجمر بفعل الإهمال واللامبالاة حتّى الانطفاء..

**المبدأ الرابع:** فيما يتعلّق بعوامل الجذب: ربما أغلبنا يعتقد أنّ حالة الإعجاب والانجذاب الأولى والتي تتحوّل شيئاً فشيئاً إلى شعور بالحبّ هي حالة قهريّة وليست اختياريّة، وهو اعتقاد صحيح بنسبة معيّنة؛ ولكن ما يجب التركيز عليه هو الاستعدادات والقابليات الشخصية.. وهذه الاستعدادات تتعلّق بالتربية الأسريّة والتربية الذاتيّة للفرد. ففي داخل كلّ منا اتجاهات فطريّة نحو الكمالات الحقيقيّة كالجمال والإنسانيّة وغيرها، واتجاهات مكتسبة نحو كمالات أخرى من صنع أنفسنا أو التربية والبيئة..

والإنسان عادة ينجذب نحو الكمالات التي يعتقدها؛ فلو كان يعتقد أنّ امتلاك المال هو الكمال سينجذب نحو الشخص الغني، ولو اعتقد بأنّ القوة البدنيّة كمال أو الجمال الخارجي أو غيره سينجذب نحو الشخص الذي يمتلك هذا الكمال وتصبح أسباب الحبّ عنده مرتبطة فيه أيضاً.

لذا يعهد إلى الأهل والفرد معاً مسألة التربية على الكمالات الحقيقيّة ليرقى بأسباب حبّه نحو الكمال.

## الفصل الأول علي وفاطمة مصداق المودة والرحمة والحب في الله

### الإمام علي والسيدة فاطمة عليهما السلام قبل الخطبة:

كانت السيدة فاطمة عليها السلام قد بلغت من العمر تسع سنوات ولكنها كانت تتمتع بالكمال الجسماني والنضج الفكري والرشد العقلي المبكر الذي لا يوصف. وقد وهب الله لها العقل الكامل والذهن المتوقد والذكاء الذي لا يوصف، ولها أوفر نصيب من الحسن والجمال والملاحة؛ يقول الرسول الأكرم ﷺ: لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، فإن فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً وخلقة ووراثه. فمواهبها كثيرة وفضائلها الموروثة والمكتسبة تمتاز عن كل أنثى. وأما ثقافتها الدينية فحدثت ولا حرج، حتى لقبت بسيدة نساء العالمين؛ إذ لم يشهد التاريخ امرأة حازت الثقافة والعلم والأدب والجمال بهذا المستوى مع أنها لم تدخل مدرسة ولم تتخرج سوى من مدرسة النبوة وكلية الوحي والرسالة.<sup>(١)</sup>

وعلي عليه السلام وليد الكعبة، خصّه الله بهذه الكرامة وتفرّد بها على مدى التاريخ وهو ابن عم الرسول الذي تربى في حجره وفي كنف الرسالة والوحي، وكان أول المؤمنين به.

ويصف الإمام علي عليه السلام فترة تربيته في كنف الرسول بالقول: «وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره، ويكتنفي في فراشه، كان يمضغ الشيء ثم يلقمني به.. إلى أن قال: ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل.. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشتم ريح النبوة»<sup>(٢)</sup>.

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد/ السيد محمد كاظم قزويني/ مؤسسة النور للمطبوعات/ ص ١١٠

(٢) علي من المهد إلى اللحد/ السيد محمد كاظم القزويني/ مؤسسة النور للمطبوعات/ ص ١٩.

وقد أفردت هذه المطالعة في بداية الفصل في وصف الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام للفت الانتباه إلى مسألة غاية في الأهمية، حيث أنهما تربيا معاً في كنف الرسول وفي نفس البيت، وأحاطهما الرسول بكلّ عنايته. وكان عمر الإمام أربعاً وعشرين سنة عندما تقدّم لخطبة السيدة فاطمة؛ ومع ذلك، فإنّه لم يذكر فاطمة طيلة حياته لأحد، ولم يتحدث إليها بكلمة عن رغبته في الارتباط بها. هو أسد الله الغالب الذي لا يضاهيه أحد شجاعة وقوة وبسالة في الميدان.

من هنا، نطلق معاً في تشريح هذه العلاقة لنفهم ما هي العناصر التي توافرت لها ومكّنتها من بلوغ أعلى مراتب النجاح لتصبح النموذج القدوة الأكمل في تاريخ البشرية دون أي مرحلة تمهيدية للتعارف بينهما؟

### العنصر الأول: الحبّ في الله والبغض في الله:

بالعودة إلى هذا المبدأ الذي توسعنا فيه في بداية البحث نذكر الحديث الآتي: سئل الإمام الصادق عليه السلام عن العشق الذي يستولي على ذرات وجود العاشق ويملكه، فقال: قلوب خلت من ذكر الله فأذاقها حبّ غيره..

نستنتج من الحديث الشريف أنّ الحبّ بين الأزواج غير مستثنى من قاعدة الحبّ في الله، بل يجب أن يبنى على هذا الأساس وينطلق منه، والإمام علي والسيدة الزهراء عليهما السلام هما خير من اعتنق دين الحبّ في الله. ونستنتج أيضاً أنّ العشق بعيد عن هذه القاعدة مذموم ومحقوت.

### العنصر الثاني: مقامهما الرفيع

الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء هما في أرفع الكمالات الإنسانية خلقاً وخلقاً ودينياً ووعياً وحكمةً، وكلّ منهما يعلم مرتبة الآخر بحكم القرابة والسكن والاطلاع والعلم

الإلهي الذي قذفه الله في قلبيهما؛ ومن ثم، لا حاجة للتواصل والتعارف وإجراء النقاشات قبل الزواج، ولا خوف من عدم نجاح زواجهما. وبهذا الاعتبار، ما يصحّ لهما لا يصحّ لغيرهما، كما سيأتي التفصيل لاحقاً.

**العنصر الثالث:** أمر الله (جلّ وعلا) بتزويجهما وولاية الرسول الأكرم ﷺ على هذا

الزواج

كان الرسول ﷺ (الذي له الولاية العامة على جميع المسلمين والمسلمات) كلّما تقدّم شخص لخطبة السيّدة فاطمة الزهراء ﷺ يقول: إني أنتظر أمر الله فيها، لأنّ في فاطمة سرّاً لا يعلمه إلا الله، كما كان في عليّ سرّ لا يعلمه إلا الله. وفي هذا الانتظار دلالة واضحة على أهميّة التفكير والتدبّر في أمور الزواج قبل الإقدام عليه..

إلى أن جاءه الأمر الإلهي: زوّج النور من النور، فزوّجهما بمباركة الأرض والسماء، وإن كان الزفاف الذي أقيم في الأرض متواضعاً (ولهذا التواضع أسبابه التي ستأتي لاحقاً) فقد حفظ الله لسيّدة النساء منزلتها وأقيمت في السماء الرابعة حفلة قران فريدة بمزاياها، وصفها الرسول الأكرم ﷺ بقوله: إنّ الله لما زوّج عليّاً وفاطمة، أمر الملائكة المقرّبين أن يحدّقوا بالعرش، وأمر الطيور أن تغنيّ فغنّت، وأمر شجرة طوبى أن تنثر عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدرّ الأبيض والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر..<sup>(١)</sup>

أما مباركة الرسول ﷺ فقد جاءت على الشكل الآتي: إنّ الرسول الأكرم بعد أن أوصلهما إلى بيت الزوجيّة أخذ بيد فاطمة ﷺ ووضعها في يد عليّ ﷺ، وقال ﷺ: يا عليّ نعم الزوج فاطمة؛ ويا فاطمة نعم البعل عليّ، وأردف ﷺ: يا عليّ هذه فاطمة وديعة الله ووديعة رسوله عندك، فاحفظ الله واحفظني في وديعتي.. ثمّ دعا وقال: اللهم اجمع شملهما وألف بين قلبيهما واجعلهما وذريتهما من ورثة جنّة النعيم، وارزقهما ذريّة طاهرة طيّبة مباركة، واجعل

(١) فاطمة الزهراء من المهدي غلى اللحد/ السيد محمد كاظم القزويني / مؤسسة النور للمطبوعات ص ١١٧.

في ذريّتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما رُضيت..<sup>(١)</sup>.

وكان النبيّ الأعظم يتفقّد بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام باستمرار، ويغدق عليهما من أخلاقه وعلمه ولطفه وحنانه. ومما قاله لابنته فاطمة عليها السلام في إحدى المرات: يا بنيّة إنّ الله عزّ وجلّ أطّلع إلى الأرض فاختر من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك يا بنية نعم الزوج زوجك، فلا تعصي له أمراً. ثم توجّه إلى عليّ عليه السلام فقال له اللفظ بزواجك فإنّها بضعة منّي يؤلمني ما يؤلمها ويسرّني ما يسرّها...<sup>(٢)</sup>

ودعونا نتوقف قليلاً عند عبارة اللطف بها، لنقول: إنّ اللطف الإلهي يوصف بوصفان: لطف محصّل ولطف مقرب. فأما اللطف المحصّل، فهو تقديم مقدّمات الهداية من إرسال الأنبياء والكتب السماوية وغيرها وهو محصّل للجميع. وأما اللطف المقرب فهو سوق الأحداث والظروف المناسبة لكلّ شخص مما يترك أثراً فيه ويسوقه نحو الهداية.

وهذا المعنى فإنّ اللطف بين الزوجين قسمان: قسم يتعلّق بمقدّمات الزواج الذي يجب أن يبنى على الشعور بالعدالة والإنصاف... وقسم يتعلّق بالسلوك اليومي وردود الفعل التي يجب أن تدور دوماً في فلك المودّة والرحمة.

وبالتأكيد هذه العناية والإحاطة من رسول ربّ العالمين هذا الزواج لها كلّ الأثر بالتوفيق والفلاح..

#### العنصر الرابع: الزواج المتكافئ:

في حديث للرسول الأكرم عليه السلام: لولا أنّ الله تعالى خلق أمير المؤمنين، لم يكن لفاطمة كفاء على وجه الأرض آدم فمن دونه.<sup>(٣)</sup>

(١) الزهراء أمّ أبيها / الشيخ محمد حسن يربك / دار النجباء / ص ٨٦.

(٢) بحار الأنوار / العلامة المجلسي / ج ٤٣ ص ١٣٣.

(٣) بحار الأنوار / العلامة المجلسي ج ٤٣ ص ١٠٧.

وفي هذا الحديث تأكيد على أهمية لحاظ التكافؤ بين الزوجين لأنه باب للتوافق الفكري والروحي والعاطفي والإيماني يؤدي إلى تماسك وثبات العلاقة.

#### العنصر الخامس: النضج العاطفي

النضج العاطفي الذي امتلكه كل من الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام والذي سبق أن ذكرنا علاماته، وقد تجلّت مكتملة عندهما، وهما اللذان تربيا وترعرعا في كنف رسول الرحمة للعالمين. وقد شكّل أسلوب تربيته للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ثورة غير مباشرة على تقاليد وأعراف عصره. ففي الوقت الذي كانت بعض المولودات الإناث يدفنّ أحياء نرى الرسول الأكرم يقف لابنته فاطمة إذا دخلت عليه، ويقبّل يدها ويجلسها في حجره..

أما الإمام علي عليه السلام فقد بلغ من العناية به أنه كان يمزغ الطعام ويلقمه إياه (على سبيل المثال لا الحصر). وهكذا لا يراود أحد منّا أن شعورهما اتجاها بعضهما البعض فيه شيء من الحاجة إلى الحبّ، بل هو كمال الحبّ الطاهر الذي جسّده في كلّ حركة وموقف من حياتهما الزوجية.

#### العنصر السادس: مصداق المودة والرحمة

بين الحبّ الذي ذكره الرسول الأكرم ﷺ حين قال: وإني والله رزقت حبّها، وبين المودة والرحمة المذكورتين في القرآن الكريم حبل متين لا يمكن الفكّ منه..

فالمودة والرحمة هما التطبيق العملي للحبّ حتّى أنّها يمكن أن يكونا سبباً في الحبّ إن لم يكن موجوداً من قبل.

فأمّا الرّحمة فهي مجموع الخلقيات الرفيعة التي يؤدّيها الزوجان اتجاه بعضهما البعض من تعاون وتغاضٍ وتفهمٍ ومساندة...

وبالانتقال إلى الآية القرآنيّة ١٠٧ من سورة الأنبياء: وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين.. نستخلص الآتي: مقتضيات الحكمة الإلهيّة تجاه البشر أن يعين الله تعالى الإنسان في مسيرته المليئة بالمنعطفات لبلوغ هدفه التكاملي نحوه، وهذا هو المدلول الواضح لقوله تعالى: (الرحمن الرحيم)، فالرحمة الإلهية شاملة لجميع البشر.<sup>(١)</sup> ولقوله تعالى: وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين. (سورة الأنبياء آية ١٠٧)

فالرحمة إذن في أصل معناها ليست مخصوصة بالمؤمن الطائع الملتزم، بل هي شاملة للطائع والعاصي وبهذا المعنى نفسه، الرحمة مطلوبة بين الأزواج في إشارة صريحة إلى ضرورة تطبيق الرحمة بين الأزواج في حال الخطأ، وعدم المسارعة إلى العقاب أو الجفاء أو القسوة أو غيرها من ردود الفعل السليبة.

وأما المودة، فهي مجموع المشاعر الإيجابية التي يكتّنها الزوجان لبعضهما البعض ويعبّران عنها بأساليب شتى قولاً وفعلاً.

في تفسير آية المودة: قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى: المودة هي الحبّ الظاهر أثره في مقام العمل.

وأما اجتماع المودة والرحمة، فهو شعور السكينة والسعادة والرضا والتي هي غاية الارتباط الزوجي ومنتهاى أمله.

فهياً بنا نبحت تحت سقف بيت النبوة والإمامة مجتمعين، هذا البيت الاستثنائي في كلّ ما فيه لنستلهم من أنفاسهم ونفحاتهم مصاديق المودة والرحمة، ولأنّ للبيوت حرمتها، وبيت فاطمة أولى بالخصوصيّة، نجد أنّ عدد الروايات الواردة إلينا عن هذه العلاقة

(١) تفسير الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء / شبكة المعارف الاسلاميّة.

شحيحة، لكنّها كافية وملهمة لمن أراد الإفادة. وفيما يلي نعرض ما جادت به أيدي المحققين من روايات بهذا الشأن..

يحدّثنا التاريخ بأن السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام عاشت مع زوجها كأجل ما تكون الزوجة حبّاً ووفاء وطاعة ورعاية، وبأنّ الإمام عاش معها بروحه وجهاده. لم يكن البيت تقليديّاً في روحيّته وإن كان تقليديّاً في أثائه ومساحته. لقد جعلت السيّدة فاطمة من بيتها حضناً ومهداً للرسالة، ومنزلاً إسلامياً يفيض بالخشوع والرحمة، وتتألق فيه القيم الإسلامية، جعلته بيتاً للطهارة وللحقّ والعدل، بحيث استطاع عليّ أن يجد فيه الراحة والسعادة والانطلاقة والانفتاح. كان يدخل البيت فيرى الإسلام يحيط به من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، فصار يتنفس الإسلام في المسجد مع الرسول ﷺ وفي البيت مع ابنة الرسول ﷺ. وأمّا من جهة عليّ، الركن الآخر للبيت، فقد كان الزوج المسلم الذي لا يجحد عن الحقّ، أعطى فاطمة عليها السلام من عقله وقلبه وروحه واستقامته وعبادته وزهده، فصارت تنفس الإسلام في بيتها من خلال عليّ عليه السلام فتكامل البيت بهما. وكانت ابتهالاتهما لله وعبادتهما لله وسجودهما بين يديه وتنهّداتهما في المحبة له، تبرز ببعضها البعض وتتصاعد نحو الخالق متماسكة متعانقة.<sup>(١)</sup> حتى قيل: اعتاد الإمام عليه السلام أن يقبل يد زوجته وكان حديثهما غاية في التأدّب، وكانا لا يديران ظهراهما لبعضهما أثناء الحديث..

### ومصاديق المودة والرحمة في حياتهما الزوجيّة:

#### التعبير عن الحبّ:

أولى الروايات التي شدّنتني إليها ما ورد من أشعار نظمها الإمام عليّ عليه السلام بحقّ فاطمة الزهراء عليها السلام تعبيراً لها عن حبّه الطاهر المقدّس ومّا قال:

(١) الزهراء القدوة/ السيد محمد حسين فضل الله/ دار الملاك ص ٨٨-٨٩.

ومحترس من نفسه خوف ذلة      تكون عليه حجة هي ما هيا  
فقلص برديه وأفضى بقلبه      إلى البر والتقوى فنال الأمانيا<sup>(١)</sup>

وقال في رثائها عليها السلام:

حبيب بات يأسرني الحبيب      ما لسواه في قلبي نصيب  
حبيب غاب عن عيني وجسمي      وعن فليبي حبيبي لا يغيب<sup>(٢)</sup>

**الرواية الثانية:** وفي الحب أيضا سمو معنوي وروحي وارتقاء فوق الماديات

ففي حديث للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت للإمام علي عليه السلام: يا أبا الحسن إنني لأستحيي من ربي أن أكلف نفسك ما لا تقدر..<sup>(٣)</sup>

الله ما أروع هذه الجملة التي حملت في طياتها الكثير من الحب لله ولعلي عليه السلام.

وكذا يكون الحبيب متفهماً مقدراً لظرف الحبيب، لا يرهقه بالطلب، ولا يشعره بالنقص والعجز.. والأروع من ذلك أنها تفعل ذلك ليس فقط من أجل المحبوب، بل خجلاً من الله (خجلاً وليس خوفاً)، الله الحاضر أمامها تستشعر مرضاته في كل سلوك تسلكه مع عليّ وتجعل منها ميزاناً بينهما..

وقد تجلّى هذا المظهر من الحب منذ اليوم الأول للخطبة، حيث ارتضت بأقلّ الجهاز والأثاث، والزفاف المتواضع، بل أنّها ارتقت فوق ذلك بكثير بخصوص المهر عندما قالت لوالدها الرسول الأكرم ﷺ: يا رسول الله إنّ بنات الناس يتزوّجن بالدراهم فما الفرق بيني وبينهن؟ أسألك أن تردّها وتدعو الله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمتك.. فنزل

(١) ديوان الإمام علي / مطبعة الغري الحديثة - النجف / ص ٩١-٩٢.

(٢) المصدر السابق نفسه / ص ١٤.

(٣) الزهراء أم أبيها / الشيخ محمد حسن يزبك / دار النجباء ص ٥٣.

جبريل ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من أمة أبيها. (١)

وبهذا تكون قد جعلت من زواجها المبارك باباً لمزيد من الرحمة لعصاة أمة والدها، ومزيد من الزهد في الماديات والسمو الروحي والمعنوي.

**الرواية الثالثة:** تتعلّق بتقاسم مسؤوليّة البيت: كان عليّ وفاطمة عليهما السلام يتحسّسان مسؤوليّة البيت فاقسمها. وفي أحاديثنا أنّ الزهراء تقاضت مع عليّ عند الرسول ﷺ -تقاضي المحبة- حتى يقسم العمل بينهما، فصار الاتفاق على أنّ الزهراء تطحن وتعجن وتخبز، وأنّ أمير المؤمنين يكنس البيت ويستقي الماء ويحتطب. (٢)

وفي ذلك درس للرجال والنساء معاً: أمّا درس الرجال فأن يتعلّموا من عليّ عليه السلام أن لا يتكبّروا على خدمة المنزل؛ فعليّ عليه السلام كان يكنس البيت ويستقي ويحتطب وهو سيّد الرجال، كان لا يرى بأساً في ذلك، فالبيت بيته والزوجة زوجته، وهي إنسان كما هو إنسان، والرجل مهما كان عظيماً لا يكبر على خدمة عياله وأهله، ومن هم في دائرة مسؤوليّته. ثمّ إنّ وحدة الشعور ووحدة الحالة النفسية بينهما تلزم الاعتقاد بأن لا عيب يمكن أن يصيب الرجل في عمل يرتضيه لزوجته..

والدرس نفسه يجب أن تتعلّمه المرأة، فلا تعتبر عمل البيت احتقاراً لها كما هي العقليّة التي تولّدت مؤخّراً عند النساء المسلمات. فالزهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين كانت تطحن وتخبز وغيره..

ونحن وإن قلنا مراراً أنّ الله لم يفرض على المرأة العمل في البيت بالمعنى الشرعي للإلزام، لكنّ الله أراد للإنسان عندما يعيش في أيّ موقع يتطلّب المشاركة أن يندفع طبعياً

(١) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد / السيد محمد كاظم القزويني / مؤسسة النور للمطبوعات / ص ١٢٢.

(٢) الزهراء القدوة / السيد محمد حسين فضل الله / دار الملاك / ص ٩٢-٩٣.

بحسب طاقته ويفجّرهما.. والإنسان الذي يقف في موقع المسؤولية ويهمل ما أحبه الله، وإن لم يلزمه به، هو إنسان لا يعيش الإحساس بموقعه الإنساني تجاه الآخر. فالله سبحانه وتعالى لم يرد للمرأة أن تكون سلبية أمام العمل البيتي، بل أراد لها أن تكون إنسانة العطاء بحبّ لتقدّم من قلبها ومن طاقتها وجهدها بوعي منها واختيار، هذا المعنى أكّده الرسول الأكرم ﷺ لابنته السيّدة فاطمة الزهراء ﷺ حين أتته مع زوجها الإمام علي ﷺ تسأله خادماً كيفها ضرّ ما هي فيه من عناء العمل فأجابها: يا فاطمة إنّي لا أريد أن ينفكّ عنك أجرك إلى الجارية، وإنّي أخاف أن يخاصمك عليّ بن أبي طالب ﷺ يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ إذا طلب حقّه منك<sup>(١)</sup>.. ثم علّمها التسيّحة المشهورة (تسيّحة الزهراء).

### الرواية الرابعة: الحبّ لا يجتمع مع الرذائل

يذكر الإمام أمير المؤمنين ﷺ في لحظات عمر الزهراء ﷺ الأخيرة حين أرادت أن توصيه فقالت: يا ابن عمّ ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني..

فقال ﷺ: معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً منه..<sup>(٢)</sup>

وفي هذين السطرين كمّ هائل من الدروس المستفادة حول علاقة الزوجين ببعضهما، ففيهما أهميّة الصدق وأثره على بناء الثقة بينهما، وفيهما الوفاء والإخلاص، وفيهما التوافق والتراضي، وفيهما إثارة الإمام عليّ لزوجته على نفسه، وأهمّ ما فيها ترسيخ فكرة انبثاق كلّ ذلك من العلاقة بالله: أنت أعلم بالله.. وأشدّ خوفاً منه، ففاطمة ﷺ لم تكذب يوماً، ولم تحن يوماً، ولم تخالف يوماً، ليس فقط لأنّ عليّاً ﷺ يستحقّ هذه المعاملة، بل لمعرفة الله أولاً، واهتمامها بتزكية نفسها فيما يرضي الله ويبعدها عن غضبه؛ فالزواج عهد أخلاقيّ أيضاً..

(١) مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢٠.

(٢) الزهراء أم أبيها / الشيخ محمد حسن يزبك / دار النجباء؟ ص ٨٨.

### الرواية الخامسة: الحب في أروع تجلياته

جاء في الحديث على لسان الإمام علي (عليه السلام)، وهو الأكثر تعبيراً عن الحالة الشعورية التي عاشها تجاه السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام): فوالله ما أغضبته قط، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان.<sup>(١)</sup>

**وفي هذا الحديث تحديداً تفصيلات عدة:** فوالله ما أغضبته ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله إليه عز وجل.. فالإمام علي (عليه السلام) (صاحب القوامة الزوجية) وأمير المؤمنين بصفته إماماً معصوماً مفروض الطاعة، وهو الذي لن يطلب منها ما يخالف رغبتها أصلاً، ومع ذلك، فإنه ثبت لنا عدة قواعد:

أولاً: إنَّ مقام الحب للطرف الآخر يستوجب مراعاة شعوره وعدم إيذائه شعورياً (ما أغضبته ولا أغضبني). ومن غير المقبول والمنطقي أن يسلك المحب طرقاً تؤدي إلى إزعاج أو إغضاب أو استثارة أي شعور سلبي عند المحبوب.

وثانياً: إنَّ الطاعة المطلوبة من الزوجة لا تتحقق بالإكراه والجبر، وإنَّها يفترض أن تكون مقدمات اللطف التي تحدثنا عنها من إنصاف وعدالة وإحسان والحالة الشعورية التي يعيشونها معاً من حب وأنس كافية لتحقيق الطاعة والتراضي دون الحاجة للإكراه والجبر. ولهذا لم يستعمل الإمام علي (عليه السلام) الإكراه يوماً، وفي الوقت نفسه، لم تعص الزهراء (عليها السلام) له أمراً. وفي حال اختلاف الرأي، فإنَّ زبدة المودة بين الأزواج تستوجب حل الخلاف بأي أسلوب كان مع المحافظة على القاعدة الزوجية الأساس وهي المودة والرحمة.

ثالثاً: إنَّ مجرد النظر إليها (أي إلى السيدة فاطمة (عليها السلام)) يكشف عنه (عليها السلام) الغموم والأحزان؛ ولهذا تفسيره العلمي الذي سبق ذكره، فالنظر إلى المحبوب يسبب ارتفاع الهرمونات التي

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي/ ج ٤٣ ص ١٣٤.

تعدّل المزاج وتشعر بالسعادة. وتفسيره النفسي الأهم: فحين يقول الباري عزّ وجلّ: خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ولم يقل من أبدانكم مثلاً أو أرواحكم فكأن الزوج بضعة من نفس زوجه، يفهم ما يشعر به، يشاركه الشعور، فيعمد لاحتوائه بحسب حالته النفسيّة.

وهذا ما كانت تمثله السيدة فاطمة عليها السلام للإمام علي عليه السلام، وهي التي امتلكت صدرًا يحتوي العالم منذ تفتحت على يدي والدها إلى يومنا هذا، فكيف بعليّ نظير الروح والقلب وأي حبّ أروع من ذلك الحبّ..

ومع كلّ هذا الحبّ الذي عاشه معاً، لم يتعلّق قلب أحدهما بالدينا، ولم يعيش أحدهما شعور التملك للآخر، فيثنيه عن واجبه في الدعوة والرسالة، ولم تزعزع علاقتهما المباركة لا حالة الفقر، ولا حالة الحرب، ولا الفتن المتكالية عليهما. فهذه فاطمة عليها السلام تبسم لعلمها بأنّها أوّل الملتحقين بالرفيق الأعلى بعد استشهاد والدها النبيّ صلى الله عليه وآله رغم حداثة زواجها وصغر أبنائها؛ وهذا علي يقول فزت وربّ الكعبة لحظة تعرّضه للضربة على رأسه، وحتى في أصعب المواقف وأكثرها إيلا ما للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أعني حادثة الهجوم على دارها وحرق الباب وإسقاط جنينها؛ لم تناد عليّاً لنجدتها لأنّها كانت تعلم بأنّ الإمام مأمور بالصبر حقناً للدماء وحفاظاً على الدولة الإسلامية التي أسّسها رسول الله، ولأنّ الحكمة تستوجب عدم قيامه في تلك اللحظة، فإذا بالزهراء تكون عوناً له على الصبر والالتزام بوصيّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله رغم كلّ الأذى الذي لحق بها لم توجّه إليه كلمة لوم واحدة على الأقلّ.

### خلاصة القول أن المودة والرحمة تتحقّقان في عدّة مستويات:

**المستوى الأول:** يتمثّل بامتلاك الشعور والتعبير عنه بالكلمة الطيبة والتقربّ والأنس والمشاركة والاهتمام... وفي هذا المجال يحثّ الرسول الأكرم على التعبير عن الحبّ أكثر من مجرد امتلاكه فيقول: قول الرجل للمرأة أحبّك لا يذهب من قلبها أبداً..

**المستوى الثاني:** يتحقق بالتفهم والتقبل الذي يستوجب الغضّ حيناً، والتجاهل أحياناً، والعفو والتسامح والصفح أخرى..

المستوى الثالث: يتمثل بالسعي لإصلاح الخلل الموجود وتقديم الدعم النفسي والمادي للطرف الآخر لتجاوز الخلل ومعالجته. ويمكن أن يرافق هذا المستوى الدعاء بظهر الغيب لأجله..

## خلاصة البحث: دروس وعبر

ربطاً بالإشكاليات المطروحة واستلهاماً من النموذج القدوة الذي قدّمه الإمام عليّ والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام في زواجهما نستخلص الآتي:

في الواقع نحن بحاجة إلى ثورة توعوية للشباب المقبل على الزواج والمتزوجين على السواء في المفاهيم الآتية:

١. قدسيّة الأسرة وأوليّتها على سائر شؤون الحياة؛ فكثير من شباب اليوم لم يعد يعتبر أنّ تأسيس أسرة ناجحة هائلة مستقرّة تؤمّن له السكينة ولأطفاله الأمان وحسن التربية، لم يعد يعتبر ذلك هدفاً رئيساً في الحياة بحجج الانغماس في العمل أو الدراسة أو بسبب الوضع المادي ومستوى الرفاهية المطلوبة، أو التهرب من المسؤوليّات، أو عدم وجود الكفاء وغيرها من الأسباب؛ ومؤشر ارتفاع العنوسة في مجتمعاتنا العربيّة خير دليل على ذلك.

٢. قدسيّة الحب بما هو شعور إيجابي طاهر تجاه الطرف الآخر ينطوي على الكثير من المعاني السامية، كما سبق التفصيل، وتحت مظلة الحبّ في الله.

٣. إيلاء مبدأ التكافؤ الأهمية اللازمة، وفي أكثر من جانب من جوانب الشخصية، وعدم الانجرار وراء عوامل الجذب الماديّة البحتة، وذلك لضمان نجاح واستقرار العلاقة لاحقاً.

٤. السعي لتهديب النفس والكشف عن الكمالات الحقيقية التي تؤمّن القاعدة الثابتة الأولى للبناء عليها.

٥. امتلاك النضج العاطفي الذي يمكننا من فهم حقيقة مشاعرنا ومشاعر الآخرين تجاهنا وعدم الانسياق خلف الحاجة أو الغريزة..

٦. تحديد المعايير الحاكمة للعلاقة طبقاً للمعايير الدينية والأخلاقية التي شرعها الله وطبقها الرسول الأكرم ﷺ وآل بيته الأطهار (عليه السلام). فغالباً ما نسمع بين الأزواج بعبارة تقديم التنازلات، التعود، تقبل النصيب، حتى وإن كانت العلاقة غير منصفة، كأن يكون أحد الطرفين انفعالياً عصبياً يخرج عن المنطق والعقل حال الغضب..

برأيي إن هذا النوع من التقبل لحفظ العلاقة، فيه الكثير من الظلم لكلا الطرفين أو لأحدهما؛ فالمعايير لا يمكن أن تكون شخصيةً أنانيةً. وبدلاً من الطلب من الطرف المخطئ تعديل سلوكه وإصلاحه ومعالجة آثار سلوكه السلبية، ترانا نطلب من الطرف الضحية التقبل والتعود..

-إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم- سورة النور الآية ٥

فقبول التوبة مشروط بإصلاح الأثر.

وكلنا يعي كم من العلاقات العاطفية التي رافقها سلوكيات مؤذية نفسياً خدت وانطفأت بسبب تغليب الأنانية والمصلحة الذاتية وعدم امتلاك الروادع الأخلاقية التي تمنع المحب من ظلم المحبوب. ولهذا قال الرسول الأكرم ﷺ: من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إذ لا حياة صحيّة للحب بدون الأخلاق..

وهذه الأفكار يجب إيلاؤها أهمية قصوى في الجانب الثقافي عند الشباب فربما تدخل المناهج التعليمية مثلاً، أو تقدّم على شكل مقرر تثقيفي للمقبلين على الزواج.

وهذا نكون قد أجبنا عن الإشكاليتين رقم ١ و ٢ المطروحتين عن ماهية الحب وحقيقته، وكيف يُحافظ عليه، وتبقى الإشكالية الأخيرة:

أزمة التعارف المفتوحة بين الشباب اليوم على وسائل التواصل بحجة البحث عن الحب أو الشريك ومدى مشروعيتها:

في الوقت الذي ذكرنا فيه أنّ الإمام علي والسيدة الزهراء عليهما السلام لم يحتاجا حواراً واحداً على الأقل قبل الزواج للتفاهم والنقاش، وكان زواجهما النموذج الأكمل للاقتداء به، نجد الواقع الحالي يفرز لنا ثقافة دخيلة ومنتشرة في مجتمعاتنا وهي ثقافة التعارف المفتوحة على شبكات التواصل الاجتماعي بحجة البحث عن النصف الآخر. وها هي عمليّات التواصل تتمّ بدون ضوابط محدّدة، بل يسوّغ كلّ واحد من الطرفين لنفسه قرار تمديد فترة التعارف إلى شهور وسنين ليكتشف مدى انسجامه العاطفي والفكري مع الطرف الآخر..

وإذا تصالحنا على أنّ هذا النوع من التعارف هدفه حقّاً إيجاد الشريك المناسب لأنّ الواقع ينبئ بغير ذلك - فإننا نسجّل ملاحظات عدّة على هذا النوع من التعارف ثم نقترح الحلّ أو المسار الملائم للتعارف الجاد وإيجاد الشريك الكفء..

إنّ عوامل الجذب غالباً ما تظهر سريعاً وتكون نقطة الانطلاق لاستكمال التعارف، وهي لا تحتاج وقتاً طويلاً لتظهر.

المرحلة الأولى من التعارف تكون عبارة عن جمع معلومات: العمر، الدراسة، العمل، الوضع المادي .. وهذه الأمور متاحة على أرض الواقع ولا تحتاج وقتاً طويلاً. أما على شبكات التواصل، فهي معلومات افتراضية غير موثوقة ومنعزلة عن بيئة الشخص (وكأننا يعي أهمية البيئة وانعكاسها على تربية الفرد)، ولا تتحقق الثقة فيها بالوقت بل يمكن أن تستمر المعلومات الخاطئة المحصلة شهوراً طويلة..

المرحلة الثانية من التعارف تتعمّق أكثر لفهم الشخصية: طريقة التفكير، الاهتمامات، الطباع، الالتزام الديني والخلقي، الوضع المادي، الاتجاهات الإنسانية والسياسية والحزبية ومدى الانسجام الروحي والعاطفي.. وهذه المرحلة تتطلب تواصلاً مباشراً من خلال الحوار والنقاش وبعض الاختبارات.. وهذه المرحلة ضوابط عدّة:

إذا لم تكن الفتاة راشدة (أي لا تتميز القبيح من الحسن)، وكان إدراكها العقلي غير مكتمل، فواجب أن يكون هذا التواصل بعلم وإذن من وليّ أمرها.

أن تكون الحوارات رصينة، جادة محتشمة.

مراعاة عدم الخلوة وعدم التطرّق لأحاديث تؤجج المشاعر والشهوات، وعدم إمعان النظر.

مراعاة الصديق من الطرفين؛ فالصديق أنجى. ولو حصل أنّه أضّر بالعلاقة فيكون تعجّل الضرر لا أكثر لأنّ الحقائق لا يمكن إخفاؤها مدى العمر، وستتكشف حتماً ويلحق الضرر بالعلاقة بعد سنين مهدورة من العمر..

عدم إطالة هذه الفترة، بل يفترض في حال التوافق وعقد النية تسخير الظروف لصالح إتمام الزواج وعدم التأخير لأسباب غير جوهرية.. وفي حال عدم التوافق فإنّ طول الوقت لن يبذل شيئاً من أسباب عدم التوافق وسيكون مستنزفاً للطرفين..

خلاصة الأمر أنّه إذا بدأ المسار صحيحاً ومستقيماً بالتعارف يصل إلى الهدف بسرعة، ولا يحتاج هذه المهل الطويلة التي يقترحونها. وكلّ الذين يعلّلون توانيهم عن عقد النية بالوقت هم ليسوا جادّين كفاية.

في نهاية البحث أعتقد أنّنا بحاجة إلى إحداث تغيير جذري في ثقافة المجتمع تجاه فكرة الحبّ، حيث لم تعد هذه الكلمة في واقع المجتمع الحالي تعبّر عن الحبّ الفطري النقيّ الذي أودعه الله فينا كاستعداد بشريّ، والنابع من الحبّ في الله، المؤطر بالحياء والرزانة، والمستظلّ برباط الزوجيّة المقدّس.

بل تحوّل إلى شريعة غاب شعوري، يأكل فيها القويّ الضعيف باسم الحبّ، ويقف على أرض الخديعة والزيف، يمتهن الاستغلال، تحكمه الأنانية والمصالح الذاتية، ويشعل

الغرائز ويدعو إلى الفساد الأخلاقي وكل ذلك باسم الحبّ والحبّ بريء منه..

نحن الذين غرّبنا الحبّ عن ديارنا وجعلناه ممقوتاً، نختبئ خلف أصابعنا بحجج الترفع عنه ونستغلّ كلّ حرف فيه لأننا التي لا تشبع، وكم نحن بحاجة لمثل حبّ فاطمة لعليّ ومثل حبّ عليّ لفاطمة عليها السلام لنستقيم ويستقيم المجتمع..

تمّ بعون الله.

## فهرس المصادر

١. الزهراء من المهد إلى اللحد، السيّد محمد كاظم القزويني.
٢. علي من المهد إلى اللحد، السيّد محمد كاظم القزويني.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي.
٤. الزهراء القدوة، السيّد محمد حسين فضل الله.
٥. الزهراء أم أبيها، الشيخ محمد حسن يزبك.
٦. وأنا اخترتكما، السيد محمد موسى.
٧. شبكة المعارف الإسلامية الإلكترونية.
٨. موقع ويكيبيديا الإلكتروني.



# فن القيادة والمعارضة السلمية

في تراث السيدة الزهراء عليها السلام

الباحث

م. م فارس عبد الرضا عباس النعماني



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

شكل تصدي الزهراء (عليها السلام) لقيادة جبهة المعارضة بوجه الانقلاب الذي وقع بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله) علامة فارقة بين جميع المشاريع المناهضة لمظاهر الانحراف التي تعرضت لها رسالات السماء، فلم يحدثنا التاريخ أنّ مشروعاً بحجم مشروع التصدي لانقلاب يوم السقيفة قاده امرأة قبل هذا اليوم، فضلاً عن أنّ براعة الزهراء وحنكتها السياسية قد ظهرت لنا من خلال تصديها المبارك لهذه المهمة والكيفية التي قادت بها جبهة المعارضة حتى أصبحت منهاجاً سار عليه أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم في مواجهة خصومهم وإلى يومنا هذا.

قُسِمَ البحث إلى أربعة مباحث؛ تناول الأول منها الشخصيات التي عارضت انقلاب السقيفة، وأهم الأسباب التي جعلت منها غير قادرة على التصدي لقيادة جبهة المعارضة، فيما تعرض المبحث الثاني للإعداد الإلهي الذي حظيت بها الزهراء (عليها السلام) والمؤهلات التي جعلت منها الشخصية الوحيدة القادرة على التصدي لهذه المهمة. وتطرق المبحث الثالث لأهم الأساليب التي اعتمدتها الزهراء (عليها السلام) في مواجهة خصومها. وحاول المبحث الرابع تقييم تجربة الزهراء (عليها السلام) في قيادة جبهة المعارضة من خلال تبيان النتائج التي ترتبت على هذه التجربة المباركة، ثم اختتم البحث بالنتائج التي توصلنا إليها.

## المبحث الأول أسماء في سماء المعارضة

مع دنو أجل النبي الأكرم وظهور العلامات التي أشارت له بذلك «إني أوشك أن أدعى فأجيب»<sup>(١)</sup>، كانت السماء تُعدّ العدة لأمرٍ عظيم توقف عليه تبليغ الرسالة بأكملها، ولأهمية التبليغ ووقعه الخطير على قلوب المنافقين، جاءت الرسائل إلى النبي ﷺ تحمل في طياتها الأمر والتحذير والتطمين في آن واحد ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

استجاب النبي ﷺ لأمر ربه «فوضع على نفسه أوزار المسير، ونهض في رمضاء الهجير، فخطب فأسمع، ونادى فأبلغ ٠٠٠ وقال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه؛ اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»<sup>(٣)</sup>، وبهذا أكمل الدين، وتمّت النعمة يوم غدیر خم بتنصيب علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة للمسلمين، ولتختتم الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

وما إن رحل النبي حتى وقع المحذور الذي أشار إليه القرآن ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. فمع الساعات الأولى لرزية النبي ظهر تحرّكان؛ الأول قادته قريش وعلى رأسها عمر بن الخطاب وأبو بكر، والثاني قادته الأنصار، وكلاهما رأى أنّ الخلافة بعد النبي يجب أن تكون فيه. فقريش تذرّعت بأنّها أولى بالأمر كونها عشيرة النبي ومن هاجر معه، فضلاً عن سابقتها في

(١) الصدوق، كمال الدين، ص ٢٣٥.

(٢) المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) المشهدي، المزار، ص ٢٧٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

الإسلام<sup>(١)</sup>، بينما رأى الأنصار أنهم أحق بالخلافة كونهم آووا النبي ونصروه حين حاربته وخذلته عشيرته<sup>(٢)</sup>، في الوقت الذي كان أهل بيت النبي ولحمته وأولى الناس به مشغولين بما أصابهم من خطب بفقد النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>، ويبدو أن قوة قريش وتلويحها بالسلاح -فضلاً عن انقسام الأنصار على أنفسهم- جعل الكفة تميل لها، ومكنها مما أرادت بتنصيب أبي بكر خليفة لرسول الله بانقلاب مشؤوم عُرف بالتاريخ بيوم سقيفة بني ساعدة<sup>(٤)</sup>.

وقبال هذا ظهر تيار رافض للانقلاب الخطير الذي وقع، وكان لا بد أن يتمخض عنه تشكيل جبهة معارضة تقف على رأسها شخصية تمتلك من القوة والتأثير ما يوازي قوة المشروع المقابل وتأثيره والمتصددين له، علماً أن سماء المعارضة لمعت فيها أسماء كبيرة، كان أبرزها اسم علي عليه السلام فضلاً عن العباس بن عبد المطلب من الهاشميين، والزبير بن العوام من القرشيين، وسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار... وغيرهم من الصحابة الأجلاء من عامة المسلمين<sup>(٥)</sup>.

ولكن هل كان بإمكان هذه الشخصيات التي ذكرناها أن تتصدى لقيادة المعارضة وتؤدي الدور على أتم وجه؟ أم أن البعض أحاطت به ظروف حالت بينه وبين ذلك، والبعض الآخر ظهر الضعف في موقفه فجعله غير مؤهل للعب هذا الدور، أم إن القيام بهذا الدور احتاج إلى شخصية أخرى من غير الذين ذكرناهم للتصدي لهذه المهمة؟

لو دققنا النظر في سجل المعارضة لوجدنا اسم علي عليه السلام تقدم كل هذه الأسماء بفارق كبير من حيث الأفضلية والقوة والتأثير، إلا أن السؤال الذي يتبادر للذهن: هل الظروف

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٦.

(٢) المصدر والجزء نفسه، ص ١٢ - ١٣.

(٣) المصدر والجزء نفسه، ص ١٩.

(٤) ينظر: المصدر والجزء نفسه، ص ١٦ - ١٨.

(٥) ينظر: الصدوق، الخصال، ص ٤٦١ - ٤٦٥.

التي أحاطت بعلي جعلت بمقدوره التصدي لهذه المهمة؟ والجواب على ذلك يحتاج العودة قليلاً إلى الفترة التي سبقت رحيل رسول الله ﷺ وما وقع فيها من أحداث، وكيف تعامل النبي معها، بدءاً بمحاولة اغتياله حين تأمر جماعة من المنافقين على قتله بعد رجوعه من حجة الوداع، وفي العقبة تحديداً، من خلال تنفير راحلته كي يسقط منها في بطن الوادي<sup>(١)</sup>، ثم امتناع بعض الصحابة وتباطئهم كأبي بكر وعمر بن الخطاب عن الالتحاق بجيش أسامة الذي أمر النبي بتجهيزه قبيل وفاته لحرب الروم<sup>(٢)</sup>، وما جرى بعدها في حادثة لد<sup>(٣)</sup> النبي حين كان يغشى عليه في بين الحين والآخر في مرضه الذي توفي فيه رغم نهيه عن ذلك، كما أكد ذلك الطبري بقوله: «حدثنا سفيان... عن عائشة قالت لدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه فقال لا تلدوني»<sup>(٤)</sup>، ثم محاولة إبعاد الإمام علي عليه السلام عن النبي في أيامه الأخيرة كما ذكر الطبري «...عن الأرقم بن شرحبيل، قال سألت ابن عباس أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لا، قلت فكيف كان ذلك؟ قال رسول الله ابعثوا إلى علي فادعوه؛ فقالت عائشة لو بعثت إلى أبي بكر؛ وقالت حفصة لو بعثت إلى عمر؛ فاجتمعوا عنده جميعاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انصرفوا فإن تك لي حاجة أبعث إليكم فانصرفوا»<sup>(٥)</sup>. وأخيراً الحيلولة دون أن يكتب النبي كاتبه الذي قال عنه: «لن تضلوا بعده أبداً»<sup>(٦)</sup>، بحجة أن النبي غلبه الوجع<sup>(٧)</sup>. وقد أجاد ابن عباس بوصف هذه الحادثة حين قال: «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم»<sup>(٨)</sup>.

(١) للمزيد ينظر: الطبري الشيعي، المسترشد، ص ٥٩٤.

(٢) الجاحظ، العثمانية، ص ١٦٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٤٧٤.

(٣) اللد: يعني «صب الدواء في أحد شقي الفم». ينظر: الفيض الكاشاني، الوافي، ج ٢٦، ص ٥٣٢.

(٤) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٣٧ - ٤٣٨.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٣٩.

(٦) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ١، ص ٣٣٦.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) البخاري، صحيح البخاري، ج ٧، ص ٩٠.

لقد تعامل النبي بحكمة بالغة مع كل هذه الحوادث، فغلب مصلحة الدين على كل مصلحة في وقت كان الروم على الحدود يتربصون بالمسلمين الدوائر<sup>(١)</sup>، ومدّعي النبوة قد ظهوروا في الجزيرة العربية<sup>(٢)</sup>. وهذا ما جعله يتجنب القيام بأي إجراء من شأنه يحدث فتنة داخلية يتمنى وقوعها المنافقين وأعدوا لها العدة، وهو الأعم بما انطوت عليه سرائرهم. وقد أشار إلى هذا بقوله: «أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم»<sup>(٣)</sup>، لذا نجده اكتفى بإظهار الرفض والامتناع والاستياء مما حدث معولاً على وعي المسلمين وفهمهم في تمييز حقيقة الأمور وإدراكها. فنراه يرد على طلب بعض الصحابة بالقصاص ممن حاولوا قتله في حادثة العقبة قائلاً: «أكره أن يقول الناس: إنَّ محمداً لما انقطعت الحرب بينه وبين المشركين، وضع يده في قتل أصحابه»<sup>(٤)</sup>، وتارة يُصّر على تجهيز جيش أسامة ويلعن من تخلف عنه إشارة إلى المتخلفين<sup>(٥)</sup>، وتارة أخرى ينظر بعين الشك والارتياب إلى من قام بلده فيأمر بلد كل من حضر لله في غيبوته<sup>(٦)</sup>، وأخيراً نجده ممتعضاً موبخاً طارداً لمن حوله ممن عصى أمره وحال دون حضور علي عنده ودون كتابة الكتاب (الوصية)<sup>(٧)</sup>.

هكذا تعامل النبي الأكرم مع هذه الحوادث خشية على الدين وتجنباً لوقوع الفتن، فهل كان لعلي عليه السلام أن يحيد عن نهج رسول الله وهو القائل: «ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه»<sup>(٨)</sup>، علماً أن كل الحوادث التي وقعت قبيل وفاة النبي ﷺ وبعدها كان المستهدف منها علياً لا غيره.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٤٧٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج ١، ص ٦١.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤١.

(٤) الطبري الشيعي، المسترشد، ص ٥٩٤.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٤٣٢.

(٦) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٣٧-٤٣٨.

(٧) ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ج ٥، ص ٧٦؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٣٩.

(٨) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٥٧.

ثم هناك سؤال آخر، هل كان الأولى أن يتصدى علياً بنفسه لقيادة جبهة المعارضة، وهو الطرف الرئيس في النزاع وصاحب الحق المغتصب؟ ألم يقل قائلهم عندها أن علياً سعى لطلب السلطان وغلب مصلحته الشخصية على مصلحة الدين، وتسبب بفرقة المسلمين؟ وهناك الكثير من الناس «سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ»، ولعل ما جرى فيها بعد وبحوادث مختلفة شاهد على ذلك، كتحميل علي عليه السلام ما لا يتحمله في حادثة مقتل عثمان بن عفان أو في حرب الجمل؛ أم كان الأفضل أن يتصدى غيره لهذه المهمة ويطالب له بحقه المسلوب؟ وبهذا تتم الحجة البالغة وتدرأ الفتنة التي كانت تقع لو أن علياً تصدى بنفسه لها.

ولنفترض أن علياً عليه السلام قد تصدى بنفسه لقيادة المعارضة، ألم يكن بتصديه هذا قد أعان على نفسه، وأهدى الفرصة لخصومه وعلى طبق من ذهب لتحقيق ما كان يسعون إليه فيقع ما حذر منه رسول الله حين خاطبه قائلاً: «يا علي إن القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك، وعصوني فيك. فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر، ألا وإنهم سيغدرون بك لا محالة، فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك، فإن الأمة ستغدر بك بعدي»<sup>(١)</sup>، وهذا ما أكدته علي حين خاطب بعض أصحابه الخُلص ممن رأوا بخيار القوة السبيل الأمثل في التصدي لبيعة أبي بكر فقال لهم: «لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال، كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ولبيوني، وقالوا لي: بايع وإلا قتلناك، فلم أجد حيلة إلا أن أدفع القوم عن نفسي»<sup>(٢)</sup>، أما كان الأجدر به أن يصبر واضعاً مصلحة الإسلام نصب عينيه وهو القائل: «والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله»<sup>(٣)</sup>، وبهذا يكون قد شابه هارون في محتته مع بني إسرائيل ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الصدوق، الخصال، ص ٤٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢٤.

(٤) سورة طه، الآية: ٩٤.

على أن عدم التصديّ لقيادة المعارضة لم يمنع عليّاً من إبداء موقفه الرافض لكلّ ما وقع من أحداث ومبررات صبره عليها. وهذا ما نقرأه في خطبه وفي أكثر من مناسبة؛ منها حين خاطب أبا بكر قائلاً «إنّ لنا في هذا الأمر حقّاً فاستبددتم به علينا»<sup>(١)</sup>، وحين علق على حادثة اختيار عثمان بن عفان قائلاً: «ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا؛ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»<sup>(٢)</sup>. وعندما آلت إليه الأمور «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، أخوتيم، وإنّه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرحي...، وطفقت أرثني بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء...، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت، وفي العين قذى، وفي الحلق شجى»<sup>(٣)</sup>.

ولنترك عليّاً، وقد أثقلت ظهره أعباء الوصية، وغلّت يديه قيود الصبر، ولنذهب إلى شيخ الهاشميين حيث العباس بن عبد المطلب، فقد كان أحد المعارضين لانقلاب السقيفة وما نتج عنه. ولكن هل كانت معارضة عمّ النبي ﷺ تؤهله للنهوض بأعباء التصدي لقيادة المعارضة؟ وهل كان له من القوة والتأثير والمهابة في قلوب الخصوم ما يمكنه من ذلك؟ ولعلّ عليّاً عليه السلام أجاب عن هذين السؤالين يوم الهجوم على الدار حين استنجد صارخاً: «وا جعفره ولا جعفر لي اليوم واحمزتاه ولا حمزة»<sup>(٤)</sup>، فلو كان في الهاشميين ذلك اليوم كحمزة وجعفر لما تجرأ القوم وهجموا على بيته، فضلاً عن اقتياده للمسجد، بل لحسبوا ألف حساب قبل أن يقدموا على هذا الانقلاب، ولو كان حماسة العباس في نصرته علي والصديقة فاطمة

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٩٨.

(٣) الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ١٥١؛ المفيد، الإرشاد، ج ١، ص ٢٨٨.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ١١١.

كحماسته لحادثة ميزابه<sup>(١)</sup> لما آلت الأمور لما آلت إليه<sup>(٢)</sup>، ولا فكر القوم أصلاً بمساومته بمغانم ومناصب<sup>(٣)</sup>، لكن على ما يبدو أنّ علم الرجل بأن لا حظّ له في الخلافة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ جعله يتعامل ببرود مع القضية.

ثم لنترك بني هاشم ونذهب حيث قريش، وبالتحديد الزبير بن العوام صاحب السيف الذي طالما كشف الكرب عن وجه رسول الله ﷺ؛ نعم كان الزبير ممن عارض وبشدة السقيفة وما آلت إليه<sup>(٤)</sup>، إلا أنّ معارضته سرعان ما تلاشت وانتهت مع خروجه مستلاً سيفه على أثر تهديد ابن الخطاب لمن كان في بيت علي بالخروج، ولا نعلم أنّ سيفه سقط من يده عندما تعثر أو أنه تجاذب مع القوم وأخذوا السيف من يده، لكن ما نعلمه يقيناً أنّ معارضة الزبير انتهت مع أخذه للمسجد مقيداً حيث بايع الخليفة قهراً<sup>(٥)</sup>.

ولم تبق في جبهة المعارضة سوى ثلة مؤمنة من خيرة صحابة رسول الله كسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد وعمار بن ياسر وغيرهم<sup>(٦)</sup>، والملاحظ على الكثير من هذه الأسماء وبعيداً عن قلوبها المفعمّة بالإيمان وسابقتها في الدين والجهاد، أنّهم لم يكونوا من سادة العرب وعلية القوم؛ وهذا ما جعل قادة الانقلاب لا يعيروا لهم تلك الأهمية. ولعلّ عليّاً رضي الله عنه إلى هذا الأمر حين أبدى بعضهم رأيه بالتصدّي بالقوة للقوم فأجابهم علي: «لو فعلتم ذلك ما كنتم إلّا حرباً لهم ولا كنتم إلّا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد»<sup>(٧)</sup>.

(١) كان للعباس ميزاب يصب في الطريق فاقتلعه عمر بن الخطاب، فغضب لذلك العباس غضباً شديداً، ينظر: الكوراني، جواهر التاريخ، ج ٥، ص ٣٣٢.

(٢) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٠، ص ٢٥٤.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٤.

(٤) ابن أبي شيبه، المصنف، ج ٨، ص ٥٧٢.

(٥) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٤٨.

(٦) ينظر: الصدوق، الخصال، ص ٤٦١.

(٧) المصدر نفسه.

وعلى العموم، فإنّ موقفهم شابه -وإلى حد كبير- موقف الإمام علي (عليه السلام)، ورغم هذا فإنّ بعضهم -وكما ذكرنا- رأى التصديّ بالقوة هو الحلّ الأمثل، وهذا ما رفضه علي (عليه السلام) كون تصديّهم لهذه المهمة بالقوة تعني تصديّهم بنفسه، وهذا ما كان يبحث عنه خصومه<sup>(١)</sup>. لذا أشار عليهم باعتماد أسلوب آخر للرفض أجمله بقوله: «ولكن اتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم ولا تجعلوه في الشبهة من أمره ليكون ذلك أعظم للحجّة عليه وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربّه وقد عصى نبيّه وخالف أمره<sup>(٢)</sup>».

وهكذا أصبح من الواجب البحث عن شخصية مؤهلة من حيث القوة والتأثير والقدسية للتصدي لهذه المهمة فضلاً عن امتلاكها فضاءً من الحرية يمكنها التحرك من خلاله بأريحية للوقوف بوجه السلطة الانقلابية قياساً بالظروف التي أحاطت بعلي (عليه السلام) وقيدت حركته. وهنا لم يبق كفو لهذه المهمة إلا الزهراء (عليها السلام)؛ ولعلّ علياً (عليه السلام) هو من دفع بهذا الاتجاه لعلمه بصعوبة المهمة من جانب، والمؤهلات التي تمتلكها الزهراء من جانب آخر، وإلا كيف نقرأ رجوعه (عليها السلام) هو والزيير إلى الزهراء وطلبها المشورة منها في كيفية التعامل مع الانقلاب الذي وقع؟ ألم يكن في هذا الأمر محاولة للفت الأنظار لأهلية الزهراء وقدرتها على التصديّ لهذه المهمة<sup>(٣)</sup>؟

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٨، ص ٥٧٢.

## المبحث الثاني

### فاطمة والإعداد للقيادة ومؤهلات التصدي

لم يحدث التاريخ عن امرأة أولاها الله عز وجلّ عناية خاصة بقدر ما أولى الزهراء (عليها السلام)، بدءاً من تكون نطفتها<sup>(١)</sup> مروراً بجميع مراحل حياتها<sup>(٢)</sup> وحتى شهادتها (عليها السلام)<sup>(٣)</sup>. والظاهر أنّ هذه العناية جاءت من أمرين؛ الأول: كونها مثّلت حلقة الوصل بين النبوة والإمامة؛ وهذا ما نستدلّ عليه بقول النبي (صلى الله عليه وآله) في بيان فضلها: «إنّ الله قد أعطى فاطمة في الدنيا... أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلي، وعليّ بعلمها ولولا علي ما كان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاهما الحسن والحسين وما للعالمين مثلها سيدا شباب أسباط الأنبياء، وسيدا شباب أهل الجنة»<sup>(٤)</sup>، والأمر الثاني: الإعداد لما سوف تضطلع به من دور رئيس في التصديّ للانقلاب الذي وقع بعد وفاة أبيها.

استندت فاطمة (عليها السلام) في ترعّمها حركة المعارضة على المكانة والقداسة التي حظيت بها دون سائر المسلمين والتي أهلتها للقيام بهذا الدور. فبيان فضلها وعظيم قدرها ومقامها المنيع في الدين شهد به القرآن بسور وآيات كُثر يطول المقام في ذكرها، وما سورتا الكوثر والدهر<sup>(٥)</sup> وآيات المودة والمباهلة والتطهير إلا شهود على ذلك<sup>(٦)</sup>. ثم جاء تأكيد النبي الأكرم بأحاديث ومواقف دلّت بمجملها على عظيم فضلها وعلوّ شأنها وحرمتها عند الله ورسوله. وهذا ما ظهر بجملة من الروايات منها ما أورده المجلسي «خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد أخذ

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢، ص ٤١١.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٢٤.

(٣) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٥١.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٥٨.

(٥) الرازي، تفسير الرازي، ج ٣٠، ص ٢٤٤، ج ٣٢، ص ١٢٤.

(٦) الناصر، محنة الزهراء، ص ٢٣ - ٢٤.

بيد فاطمة وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن أذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله<sup>(١)</sup>، وإلى بيان فضلها أشار عليه السلام «أفضل نساء العالمين خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»<sup>(٢)</sup>، ثم إنه عليه السلام أردف هذا الحديث بأحاديث دلت على أفضلية فاطمة عليها السلام على سائر نساء العالمين منها ما بشرته به الملائكة «... وأن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم سيدة نساء أهل الجنة»<sup>(٣)</sup>، وخطابه لها وهو على فراش الموت قائلاً: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين»<sup>(٤)</sup>، كما بين أنها أحب أهل بيته إليه بقوله: «أحب أهلي إلي فاطمة»<sup>(٥)</sup>. وأشار إلى انتساب ذريتها إليه بقوله: «لكل بني أثنى عصبه ينتمون إلي إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم»<sup>(٦)</sup>، فضلاً عن العديد من الأحاديث التي دلت على طهارتها وصدقها وخصالها الأخرى<sup>(٧)</sup>.

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطى مصاديق لكل ما أورده من فضائل بحق فاطمة عليها السلام، فنراه يقوم لها إجلالاً إذا أقبلت عليه ويقبلها ويجلسها مجلسه<sup>(٨)</sup>، ويقف على بابها ويطلب الأذن بالدخول إذا جاء يزورها وبرفته أحد، فلا يدخل حتى تأذن له<sup>(٩)</sup>، ونرى بيتها آخر بيت يودّعه إذا

(١) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٥٤.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٢، ص ٥٩٤.

(٣) النسائي، فضائل الصحابة، ص ٧٦.

(٤) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٥٦.

(٥) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٤٠٣.

(٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٤.

(٧) ينظر: الناصر، محنة فاطمة، ص ٢٣-٢٦.

(٨) القندوزي، يتابع المودة، ج ٢، ص ٥٥.

(٩) أحمد بن عبد الله الطبري، ذخائر العقبى، ص ٤٣.

رحل وأول من يدخله إذا عاد من السفر<sup>(١)</sup>. وإشارة إلى حرمة ذلك البيت وتحذيراً من مغبة انتهاكها، نلحظه - وبظاهرة لافتة للنظر - يقف على بابها فجراً ولشهور عدّة نادياً: «الصلاة الصلاة! إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»<sup>(٢)</sup>. ولتأكيد أكثر أنّها بضعة منه وامتداده الطبيعي نجده يُرسلها لفك وثاق أبو لبابة من أسطوانة المسجد التي ربط نفسه إليها وأقسم أن لا يفكّ وثاقه إلاّ النبي إذا قبل الله توبته في قصة معروفة<sup>(٣)</sup>. وهكذا بقي النبي ﷺ يعطي المصاديق واحداً تلو الآخر وبحوادث متعددة كالذي حصل في قصة المائدة، وقصة حديث الكساء، وحادثة المباهلة<sup>(٤)</sup>.

وأمام هذا الاهتمام الإلهي والعناية النبوية بالصديقة الطاهرة بات الجميع يرى في فاطمة شخص النبي وامتداده الطبيعي حتى أنّ عائشة أشارت بأكثر من مناسبة إلى هذا المعنى كقولها حين سُئِلَتْ عن فاطمة عليها السلام: «ما رأيت أحداً أشبه سمّاً ودلاً»<sup>(٥)</sup> وهدياً برسول الله في قيامها وعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم<sup>(٦)</sup>. وفي رواية أخرى أنّها قالت: «ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله»<sup>(٧)</sup>.

وبعيداً عن هالة القداسة التي ذكرناها، فإنّ الحياة التي عاشتها الصديقة عليها السلام والتجارب التي مرّت بها منذ طفولتها وإلى شهادتها تضافرت هي الأخرى في بناء شخصيتها. فمنذ

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٢٦٢؛ الكوراني، الحق المبين، ص ٢٣٣.

(٢) الطبري، المنتخب، ص ٨٣.

(٣) للمزيد ينظر: الصالح، سبل الهداية والرشاد، ج ٥، ص ٨-٩.

(٤) ينظر: المفيد، تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٢١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٣، ص ٢٠٢؛

المحقق الحلي، المعتبر، ج ١، ص ٢٢، السيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٢.

(٥) الدل: الوقار والسكينة وقيل حسن المنظر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٢٨٣.

(٦) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٦١.

(٧) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٥٤.

صغرها شاطرت أباهما وأمها المحن والظروف الصعبة والأذى الكبير الذي لحق بهما في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة<sup>(١)</sup> وبعدها في المدينة المنورة فضلاً عن صبرها على الأذى؛ ومنه ما كانت تلاقيه من بعض أزواج النبي<sup>(٢)</sup>، وتقاسمها مع علي<sup>(٣)</sup> جشوبة العيش وصعوبة الحياة<sup>(٤)</sup>، كما أشار علي<sup>(٥)</sup> إلى ذلك بقوله: «وإنها استقت بالقربة حتى أثار في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يدها، وكسحت البيت حتى غبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد»<sup>(٦)</sup>. ولعل تجارب الحياة الصعبة التي عاشتها الزهراء ما هي إلا امتحان وابتلاء وجب عليها أن تتجاوزه فتصبح مؤهلة لاجتياز امتحان أصعب حتمت فيه الظروف أن تتصدى له دون الآخرين، وهذا ما نقرأه بإحدى الزيارات الواردة بحقها «السلام عليك يا ممتحنة، امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك، فوجدك لما امتحنك صابرة»<sup>(٧)</sup>، وبخطاب النبي<sup>(٨)</sup> لها قبل وفاته «يا بنية إنه ليس من نساء المسلمين امرأة أعظم رزية منك فلا تكوني أدنى من امرأة صبرا»<sup>(٩)</sup>.

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٦٤.

(٢) الصدوق، الخصال، ص ٤٠٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الصدوق، علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٥) المشهدي، المزار، ص ٧٩.

(٦) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٤١٨.

## المبحث الثالث

### صور من فن القيادة والمعارضة السلمية للزهاء

جاءت المرحلة الأهم من حياة الزهاء عليه السلام حين انبرت للوقوف بوجه الانقلاب الخطير الذي وقع متكئة في ذلك على حجيتها ومقامها الرفيع الذي كان ما زال حاضراً وبقوة في إذهان ونفوس المسلمين<sup>(١)</sup>، ويبدو أن الوضع العام الذي ساد تلك الفترة ولجوء السلطة لخيار القوة مع مناوئتها حتم على الزهاء عليه السلام اعتماد مبدأ السلمية في المعارضة خشية وقوع الفتنة والاقتتال الداخلي. فلو كان خيار القوة هو الأنجع لكان علي عليه السلام الأولى بالتصدي لهذه المهمة<sup>(٢)</sup>، كما حتم اعتماد مبدأ السلمية هو الآخر على الزهاء تنوع صور الرفض وأساليبه بشكل يضمن نجاح المهمة ويفوت الفرصة على خصومها في اعتماد خيار القوة. ومع كل هذا حرصت عليه السلام على أن تتحمل تبعات التصدي بمفردها وإن كلفها هذا الأمر حياتها. وبهذا نجحت في درء الخطر عن كل المعارضين، وعن علي عليه السلام على وجه الخصوص<sup>(٣)</sup>؟ وظهر فن القيادة لدى الزهاء عليه السلام بأروع صورته بتنوع أساليب الرفض التي اعتمدتها في مشروعها المناهض؛ ولعل أهم تلك الأساليب:

#### أ - المطالبة بفدك:

لم تكن فدك بنظر القوم تلك الأرض الزراعية التي أنحلها الرسول بحياته لفاطمة وجعلها تحت صرفها، فقام الخليفة بسحبها من يد فاطمة بحجة أن النبي لا يورث، بقدر ما هي محاولة لتجريد آل بيت عليهم السلام من كل مقومات القوة التي يمكن أن يستندوا إليها في مشروعهم السياسي في التصدي للانحراف الذي وقع، مضافاً إليه دافع الحسد والضغينة

(١) السند، مقامات فاطمة الزهاء عليها السلام، ص ١٢٠.

(٢) ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٠؛ الصدوق، الخصال، ص ٤٦١.

(٣) الخرسان، المحسن السبط، ص ٥٤٠.

وروح الانتقام التي ملأت قلوب القوم إزاء علي عليه السلام والتي كشفوا عنها بعد رحيل النبي مباشرة، كما أكد ذلك الإمام الباقر عليه السلام بقوله: «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله بات آل محمد بأطول ليلة، حتى ظنّوا أن لا سماء تظللهم ولا أرض تقلهم»<sup>(١)</sup>.

وبالمقابل، لم تكن مطالبة الزهراء عليها السلام بإرجاع فذك كونها نحلة أنحلها إياها أبيها واستعانت بها على معيشة أهل بيتها وقضاء حوائج المحتاجين، بقدر ما هي بوابة انطلقت من خلالها بمشروعها الإصلاحية والمناهضة للمشروع المقابل. فمن خلال المطالبة بفذك أظهرت عليها السلام زيف إدعاءات القوم وجهلهم بالدين ومخالفتهم له. وهذا ما نقرأه في خطبتها الفدكية «أفي الكتاب يا ابن أبي قحافة أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئا فريا»<sup>(٢)</sup>، ومن خلال الحجج والبراهين التي قدمتها عليها السلام أثبتت للجميع بعدم أهلية أبي بكر لتولي الخلافة: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»<sup>(٣)</sup>. وهنا فطن القوم لخطورة ما أقدمت عليه الزهراء حين طالبت بفذك، لذا رفضوا كل الحجج والبراهين الساطعة التي قدمتها في إثبات صحة ما ذهبت إليه رغم قناعتهم التامة بصدقها عليها السلام، فتصدقها بما ذهبت إليه بخصوص فذك يجعلهم ملزمين بتصدقها بكل ما تطلبه في المستقبل وخصوصاً أحقية علي عليه السلام بالخلافة، ولم يكن لهم آنذاك أن يرفضوا طلبها<sup>(٤)</sup>.

وهكذا استطاعت الزهراء أن تجعل المطالبة بفذك وأحقية أهل البيت بالخلافة أمرين متلازمين، فتحولت فذك إلى قضية رأي عام أرقت الخلفاء وعلى مرّ العصور ما بين خليفة يقوم بإرجاعها لبني فاطمة عليها السلام محاولاً كسب ودّهم وتحجيم خطرهم وبين خليفة ينتزعها

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤٤٥.

(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٦، ص ٢٥٧.

(٣) يونس، آية: ٣٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢٨٤.

منهم خشية على سلطانه أسوة له بأبي بكر؛ وبهذا نجحت ﷺ في جعل الجميع يرى بفدك قضية خلافة اغتُصبت من أهلها؛ وهذا ما ظهر واضحاً باشتراط الإمام الكاظم ﷺ على هارون العباسي حين أراد أن يُرجع له فدكاً بأن يرجعها بحدودها. وحين سأله الرشيد عن حدودها قام الإمام برسم تلك الحدود قائلاً: «أما الحد الأول فعدن، ٠٠٠ والحد الثاني سمرقند... والحد الثالث إفريقية... والرابع سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينية»<sup>(١)</sup>، فكانت ردّة فعل الرشيد أن قال للإمام: «فلم يبق لنا شيء، فتحول إلى مجلسي» إشارة إليه بأنك مطلبك الخلافة<sup>(٢)</sup>.

### بد احتجاجاتها ﷺ:

جاء التنوع بأساليب الرفض التي اعتمدتها الزهراء متناغماً مع مقتضيات الحاجة، فاغتصاب القوم للخلافة وتسويقهم الأمر للمسلمين على أنه استحقاق جاء من صحة للنبي وفضل وسابقة في الدين فضلاً عن كونهم من قريش، احتاج من الزهراء أن تتصدى لهذا الطرح بطرحٍ مماثل يقوم على أساس المناظرة وإبطال الدعاوي الباطلة بحجج دامغة. وهذا ما قامت به، وظهر من خلال خطب واحتجاجات كانت لها مع القوم كخطبتها الكبرى -أو ما تسمى بالفدكية- التي ألقته بمسجد النبي وبحضور أبي بكر وجمهور المسلمين، ومن ثم خطبتها الصغرى مع نساء المهاجرين والأنصار، وأخيراً احتجاجها مع أبي بكر وعمر بن الخطاب حين أتياها طالبين المغفرة والرضا منها.

وقفت الزهراء في مجمل خطبها عند محطات مهمة، كانت أولها التطرق للشرائع والأحكام السماوية وبيان العلة منها «فجعل الله الإيثار تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة: تنزيهاً لكم عن الكبر... وطاعتنا: نظاماً للملّة، وإمامتنا: أماناً للفرقة والجهاد: عزاً

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٤٣٥.

(٢) المصدر نفسه.

للإسلام،... وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية<sup>(١)</sup>، وكأنّها أرادت تأكيد حقيقة ثابتة مفادها أنّ أهل البيت هم حملة دين الله وتراجمة وحيه والامتداد الحقيقي للنبي والثقل الثاني، كما عبر عنهم النبي. وهنا أصبح لزماً على المسلمين اتّباعهم ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، لا اتباع القائل: «وليتّ عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني»<sup>(٣)</sup>، ولا اتباع من جاء بعده والذي كان يكثر من قول «كلّ الناس أفتقه من عمر حتى النساء في البيوت»<sup>(٤)</sup>.

والمحطة الثانية التي توقفت عندها هي بيان فضل النبي ﷺ على الأمة «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم...، فبلغ الرسالة... داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة... وكنتم على شفا حفرة من النار... تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ»<sup>(٥)</sup>، ولعلّها أرادت أن تقول من هذا التذكير: كان المتوقع من هذه الأمة أن تفي لنبينا وتثمن جهوده؛ ولعلّ أبسط صور الوفاء له أن تحفظ حرمة في أهل بيته ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(٦)</sup>، لا أن تظلمهم وتغتصب حقهم.

وكان التعريف بنفسها وبالإمام علي عليه السلام وبيان فضله وجهاده وقربها من النبي محطة أخرى توقفت عندها في خطبها كقولها «إني فاطمة وأبي محمد...» وبإشارة أخرى: «فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبي دون نساءكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم»<sup>(٧)</sup>، وقولها في بيان

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٣٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٤) السرخسي، المبسوط، ج ١٠، ص ١٥٣.

(٥) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٣٦.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٧) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٣٤.

فضل علي عليه السلام: «... أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين - طائفة منهم - قذف أخاه في هواتها فلا ينكفي حتى يطأ جناحها بأخصه... قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله... لا تأخذه في الله لومة لائم»<sup>(١)</sup>. وما جاء بخطبتها الصغرى من بيان لجهاد علي عليه السلام: «وما نعموا من أبي حسن، نعموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>، ونستدل من هذا كله أنها فندت وأبطلت حجج قريش في تنصيب أبي بكر بذريعة القرب والسبق في الإسلام. فلو اعتمدت هذه المقاييس فعلاً في تنصيب الخليفة، لكان علي عليه السلام أولى الناس بالأمر، فهو أخو النبي وابن عمه وزوج بنته الوحيدة ووالد سبطيه، فضلاً عن سبقه في الإسلام وبلائه وجهاده العظيم بين يدي النبي.

وكانت لها محطة أخرى توقفت عندها مع أبي بكر وجاء فيها: «يا ابن أبي قحافة! أفي كتاب الله ترث أباك ولا إرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً»<sup>(٣)</sup>. وفي وقفة أخرى خاطبته بقولها: «أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟! إذ يقول: «وورث سليمان داود»، وقال: فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: «فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب»... أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟»<sup>(٤)</sup>. وهنا أسقطت كل ما كان في يديه مما جعله يلجأ إلى محاولة كسب رضاها وامتصاص غضبها، ثم التنصل من تحمل كامل المسؤولية، وذلك بقوله: «صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك. هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما

(١) المصدر والجزء نفسه، ص ١٣٦.

(٢) الصدوق، معاني الأخبار، ص ٣٥٥.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٣٨.

(٤) للمزيد ينظر: المصدر والجزء نفسه، ص ١٣٨ - ١٣٩.

تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر ولا مستبدّ، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود»<sup>(١)</sup>.

ولعلّ خطابها مع عموم المسلمين والأنصار على وجه الخصوص، كان من أهمّ المحطات التي توقفت عندها. وهنا مرّ خطابها معهم بأربع مراحل؛ الأولى في خطبتها الكبرى حين حمل خطابها عبثاً واستفهاماً عن خذلانهم لها ولالإمام علي عليه السلام، بخلاف ما كان مرجوّاً منهم في نصره أهل البيت والوقوف بوجه خصومهم: «إيها بني قيلة - الأوس والخزرج - أهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع... توافيكم الدعوة فلا تحيبون، وتأتىكم الصرخة فلا تغيثون وأنتم موصوفون بالكفاح...، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت»<sup>(٢)</sup>. ثم انتقلت إلى المرحلة الثانية بذهابها بصحبة علي عليه السلام إلى دور الأنصار لطلب النصره منهم، مع علمها المسبق بعدم الاستجابة لها لدلالات دلّت عليه الأحداث التي وقعت بعد وفاة النبي، إلّا أنها أرادت إتمام الحجّة عليهم بغضّ النظر عن حجم التجاوب معها، ديدنها بذلك ديدن الأنبياء والرسل في تبليغ رسالاتهم. وقد حدث المتوقع! فقد كان جواب الأنصار لها: «يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به»<sup>(٣)</sup>، وهنا نسأل: أيّ بيعة في أعناقهم كانت أسبق وأقدم؟ بيعة علي يوم غدیر خم، أم بيعة أبي بكر يوم السقيفة؟! وبعد أن أتمت حجتها عليهم، انتقلت عليه السلام للمرحلة الثالثة والمتمثلة بإعلان موقفها منهم، وهذا ما ظهر جلياً بخطابها إلى نسوة المدينة اللاتي آتين لعيادتها فأجابتهن حين سألهن عن حالها: «أصبحت والله: عائفة لديناكن، قالية - مبغضة - لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وسئمتهم بعد أن سبرتهم - اختبرتهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر والجزء نفسه، ص ١٤٤.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٤٠.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٩.

(٤) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٤٧.

وجاءت المرحلة الرابعة والأخيرة، والتي سبقت اعتزالها الناس، وفيها وضعت الزهراء أمام أنظار كل من خذها وتقاعس عن نصره الحق ما سيؤول إليه مصيرهم جراء ما اقترفوه: «أما لعمري لقد لقحت، فنظرة ريشما تنتج، ثم احتلبوا ملاء القعب دماً عبيطاً وزعافاً مبيداً... وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين: يدع فيكم زهيداً، وجمعكم حصيداً... أنلزمكموها وأنتم لها كارهون»<sup>(١)</sup>. وبهذا شابهت ﷺ الأنبياء والرسل في مشروعها الإصلاحي ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي إتمام الحجة ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ومن ثم الإخبار بعاقبة الأمور ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

### ج - إظهار الغضب وعدم الرضا:

نوهنا سابقاً أنّ النبي أحاط الزهراء بهالة من القداسة، وحباها مكانة خاصة، ميزتها عن سائر المسلمين. ولعلّ أهم مصاديق هذه القداسة ما أشار إليه حول اقتران رضا الله ورسوله وغضبهما برضا فاطمة ﷺ وغضبها، فخاطبها قائلاً: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لِرِضَاكِ وَيَغْضَبُ لِعُصْبِكَ»<sup>(٥)</sup>، وقوله أيضاً: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُوْذِنِي مَا آذَاهَا»<sup>(٦)</sup>، والكثير من نظائر هذين الحديثين<sup>(٧)</sup>. فأصبح المسلمون يرون بالزهراء مرآة عاكسة لرضا الله ورسوله

(١) المصدر والجزء نفسه، ص ١٤٩.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٥٧.

(٤) نفس السورة، الآية: ٩٣.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٢٦٥.

(٦) ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٤١؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٢٦٥.

(٧) للمزيد ينظر: النسائي، السنن الكبرى، ج ٥، ص ١٤٧؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١، ص ١٠٨؛

البيهقي، السنن الكبرى، ج ١٠، ص ٢٠١؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٢٦٥.

وغضبهما، فبات هذا السلاح من أمضى الأسلحة التي امتلكتها فاطمة (عليها السلام)، مما أقص مضاجع خصومها. لذا حاولوا -وبشتى الوسائل- السعي لكسب رضاها<sup>(١)</sup>. بالمقابل، ما انفكت (عليها السلام) من العمل على سحب بساط الشرعية من تحت أقدام خصومها وبيان عظيم ما اقترفوه من جرم فادح بحقها وحق علي، فضلاً عن تخاذل وتواطؤ من تواطأ معهم من المهاجرين والأنصار، وذلك من خلال إظهار غضبها وعدم رضاها عليهم.

ظهر غضب الزهراء وعدم رضاها في مواطن عدة؛ منها في خطبتها الكبرى حين خاطبت أبا بكر مطالبة إياه بفدك: «يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا إرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً»، وكذلك بقولها: «دونكها مخطومة مرحولة»<sup>(٢)</sup> تلقاك يوم حشر، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة<sup>(٣)</sup>، ثم بدا غضبها على أبي بكر وعمر واضحاً بخاطبتها مع الإمام علي حين أبلغها بطلب الشيخين الأذن لها بعيادتها. والله لا آذن لها ولا أكلّمها كلمة من رأسي حتى ألقى أبي فأشكوها إليه بما صنعاه وارتكباه مني»<sup>(٤)</sup>، ثم إنهما وبعد أن أخبرها الإمام بأنه قد ضمن لها ما أرادا، تعمّدت إظهار غضبها الشديد عليهما من خلال أشاحت وجهها عنهما وعدم ردّ السلام عليهما<sup>(٥)</sup>.

وحاول أبو بكر جاهداً أن ينال رضا الزهراء ومغفرتها «يا بنت رسول الله إنّما أتيناك ابتغاء مرضاتك واجتناب سخطك؛ نسألك أن تغفري لنا وتصفح عيّا كان منا إليك»<sup>(٦)</sup>، إلّا أنّ محاولاته باءت بالفشل، بل حصل العكس حين وجهت خاطبتها له ولعمر قائلة:

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٩.

(٢) مخطومة: هو ما يتم إدخاله في أنف الجمل فيقّاد منه، أما المرحولة: شيء شبيه بسرج الفرس يوضع على الناقة. ينظر: الاحتجاج، الطبرسي، ج ١، ص ١٣٩، هامش رقم ١.

(٣) المصدر نفسه والجزء نفسه، ص ١٣٩.

(٤) الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ١٨٦.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر والجزء نفسه، ص ١٨٧.

«أنشدكما بالله هل سمعتما النبي... يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها؛ من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي، كان كمن آذاها بعد موتي»، فقالوا: «اللهم نعم»، حينها قالت: «الحمد لله»، ليأتي الرد الصاعق حين التفتت لمن كان حاضراً معها قائلة: «اللهم إني أشهدك فاشهدوا يا من حضرنى أنهما قد آذايا في حياتي وعند موتي، والله لا أكلمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي فأشكوكما بما صنعتما بي واركتبما مني». وهذا ما جعل أبا بكر يدعو على نفسه بالويل والثبور قائلاً: «ليت أمني لم تلدني»، خلاف عمر بن الخطاب الذي تعامل مع الموقف بالغضاضة والقسوة التي عُرف بها<sup>(١)</sup>.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنَّها عليها السلام -وبخطوة لافتة للانتباه- أرادت تأكيد عدم رضاها وغضبها على من ظلمها حتى بعد مماتها. وهذا ما نقرأه بوصيتها لعلي عليه السلام حين خاطبته قائلة: «أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، وأخذوا حقِّي، فإنَّهم أعدائي وأعداء رسول الله... وأن لا يصلي عليّ أحد منهم، ولا من أتباعهم»<sup>(٢)</sup>، ومن أوصت الزهراء بعدم حضور جنازتها عائشة بنت أبي بكر كما أشار إلى ذلك البيهقي<sup>(٣)</sup>.

كما أظهرت الزهراء غضبها وعدم رضاها على المهاجرين والأنصار لتخاذلهم عن نصره الدين ووقوفهم مع الظالمين. وهنا نكتفي بما أبدته من موقف حين أتت نساء المدينة لعيادتها في أيامها الأخيرة وسألنها عن حالها فأجبتهن قائلة: «أصبحت والله عائفة لديناكن، قالية -أي مبغضة- لرجالكن، لفظتهم بعد إذ عجمتهم -اختبرتهم-، وسئمتهم بعد إذ سبرتهم -جربتهم واحداً واحداً-،.. ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله<sup>(٤)</sup>، وتأكيداً لموقفها

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٥١.

(٣) السنن الكبرى، ج ٤، ص ٣٥.

(٤) الصدوق، الأمالي، ص ٣٤٧.

إزاء خصومها، وكلّ من خذلها نراها عليه توصي علي عليه السلام بأن يُعفي أثر قبرها ولا يظهره ليبقى هذا الأمر شاهداً على عظيم ما وقع عليها من ظلم، ومؤكداً غضبها وعدم رضاها على من ظلمها<sup>(١)</sup>.

#### د حوارها مع علي وما ترتب عليه:

بعد أن فرغت الزهراء من خطبتها الكبرى في المسجد عادة إلى بيتها، وهنا جرت محاورة بينها وبين الإمام علي الذي كان ينتظر عودتها، وقد حمل ظاهر كلامها الذي وجهته للإمام لوم وعتب شديد<sup>(٢)</sup>، في حين أنّها وقبل عودتها للمنزل وبخطبتها بمسجد النبي أطرت على شخصه وأمام الجميع أشد الإطراء<sup>(٣)</sup>، وكذا فعلت في خطبتها أمام نسوة المدينة اللاتي أتين يعدنها فيما بعد<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن إشارتها لشجاعته وإقدامه في المحاورة نفسها التي جرت بينها وبينه عليه السلام، فهل وقع تناقض في كلامها وحاشاها من ذلك؟ أم إنّها أرادت ومن خلال اللوم الذي وجهته للإمام عليه السلام أن تبعث برسائل عديدة منها تأكيد حقائق تطرقت إليها في خطبتها الكبرى كغضب أبي بكر لحقّها، والكشف عن المواقف التي تمخضت عنها المواجهة والمناظرة التي جرت بينها وبين الخليفة في المسجد، ومن ثم استبيان موقف الإمام من هذا كله وإظهاره للملأ. فمن خلال هذه المحاورة أظهرت للعيان موقف أبي بكر المتزمت من مطالبته بحقّها، وهذا ما أكدته بقولها: «لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألد في كلامي»<sup>(٥)</sup>، ثم بينت تحاذل الأنصار والمهاجرين عن نصرتها بقولها: «حتى حبستني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها»<sup>(٦)</sup>.

(١) الطوسي، الأمالي، ج ١، ص ١٠٧.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٤٥.

(٣) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٣-١٤.

(٤) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٤٧-١٤٨.

(٥) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٤٥.

(٦) المصدر والجزء نفسه.

ثم وكأَنَّها أرادت أن تستنطق الإمام وتدفعه لإبداء موقفه مما حصل حين خاطبته بقولها: «أضرعت خدك يوم أضعت خدك افترست الذئاب، وافترشت التراب، ما كفت قائلًا، ولا أغنيت طائلاً»<sup>(١)</sup>، ومن ثم دعاؤها بالويل وبث شكواها إلى أبيها وإلى الله، وما إن سكنت ﷺ حتى طرق مسامعها كلام الإمام مبدياً موقفه مما حصل بدءاً بدعائه بالويل على عدوها وعدوه «بل الويل لسانتك»، وتبيان منزلتها وفضلها بقوله: «نهني عن وجدك يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة»، ثم بيان موقفه غصب الخلافة وفدك بقوله: «فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري»<sup>(٢)</sup> مؤكداً أنه لم يضعف عن طلب حقه والانتصار لها إلا أن خوفه على الدين أمله عليه أن يصبر، وهذا ما أشار الإمام الصادق ﷺ حين سأل عن سبب سكوت أمير المؤمنين عن الطلب بحقه فأجاب: «تخوف أن يردوا ولا يشهدوا أن محمداً رسول الله»<sup>(٣)</sup>، وخلاصة القول ما كان لكل هذه الحقائق والمواقف أن تتكشف وتتأكد وأن تظهر للملأ، وبهذا الوضوح لولا العتب واللوم اللذان وجهتهما الزهراء لعلي ﷺ من خلال المحاورة التي دارت بينهما.

### هـ- إظهار الظلامة:

كان إظهار المظلومية أحد الوسائل الناجعة التي اعتمدتها الزهراء في مشروعهما السلمي والمناهض للسلطة الانقلابية، وبما أن رضاها وغضبها أقترنا برضا الله ورسوله، فقد عملت على إظهار ما وقع عليها من ظلم وجور من خلال بثّ مظلوميتها وشكواها لله «شكواي إلى ربي»<sup>(٤)</sup>، ومن ثم للنبي ﷺ وبأكثر من حادثة كالذي وقع يوم الهجوم على الدار حين

(١) المصدر والجزء، نفسه، ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) الطوسي، الأمالي، ص ٣٢٠.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٤٦.

(٤) الصدوق، الأمالي، ص ٦٨٣.

نادت: «يا رسول الله ما لقينا من أبي بكر وعمر بعدك»<sup>(١)</sup>، فما أن سمع الكثير ممن اجتمع أمام الدار شكواها حتى انسحبوا وهم يبكون، في حين أصرَّ عمر بن الخطاب وجماعة معه على موقفهم<sup>(٢)</sup>.

ومن صور إظهار الظلامة الأخرى ذهابها لقبر أبيها نادبةً إياه مظهرة ما وقع عليها وأهل بيتها من ظلم، وهذا ما نقرأه بندبتها إياه قرب القبر الشريف<sup>(٣)</sup>:

قد كان بعدك أنباء وهنبشة <sup>(٤)</sup>	لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
تجهمتنا <sup>(٥)</sup> رجال واستخف بنا	بعد النبي وكلّ الخير مغتصب
سيعلم المتولي ظلم حامتنا	يوم القيامة أنى سوف ينقلب
فقد لقينا الذي لم يلقه أحد	من البرية لا عجم ولا عرب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت	لنا العيون بتهمال له سكب

وقد تركت هذه الندبة أبلغ الأثر في قلوب الناس وحركت عواطفهم حتى قيل إنه لم يُرَ باكٍ ولا باكية أكثر من ذلك اليوم<sup>(٦)</sup>، واستمرت عليها السلام بالتردد على قبر أبيها والشكاية عنده<sup>(٧)</sup>:

(١) الطبري الشيعي، المسترشد، ص ٣٧٨.

(٢) الطبري الشيعي، المسترشد، ص ٣٧٨.

(٣) المفيد، الأمالي، ص ٤١.

(٤) الهنبشة: الشديد من الأمور. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ١٨٩.

(٥) التجهم: تلقي الناس بوجه كره. ينظر: المصدر نفسه، ج ١٢، ص ١١١.

(٦) التبريزي، اللمعة البيضاء، ص ٧٠٧.

(٧) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٢٠٨.

قل للمغيب تحت أطباق الثرى	إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صُبَّتْ عليّ مصائب لو أنّها	صُبَّتْ على الأيام صرن لياليا
قد كنت ذات حمى بطلّ محمد	لا أخش من ضميم وكان جماليا
فاليوم أخشع للذليل واتقي	ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي	ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا

وهكذا فإنّ الحزن والبكاء الدائم الذي عُرِفَتْ به الزهراء وتعهدها المستمر لقبر أبيها وندبها إياه وبث الشكاية عنده كان كفيلاً بكشف حقيقة خصومها أمام الملأ، وبات يُنبئ بإمكانية حدوث انقلاب في الرأي العام، لذا حاول خصومها خنق صوتها الحزين للحدّ من خطورته. وهذا ما نستدلّ عليه بطلبهم من علي (عليه السلام) أن تتوقف عن البكاء مبررين طلبهم بحجة واهية، وهي أن بكاءها أثر سلباً في حياتهم. وأمام رفض الزهراء لطلبهم نرى الإمام (عليه السلام) يبني لها بيت الأحزان في البقيع، فكانت تخرج إليه يومياً تبث فيه أحزانها إلى أن فارقت روحها الدنيا<sup>(١)</sup>.

(١) المجلسي، بحار الانوار، ج ٣٩، ص ٥٤.

## المبحث الرابع تجربة المعارضة ومحاولة تقييمها

يصعب على أي باحث أن يضع تقييماً شاملاً لتجربة السيدة الزهراء في تصديها لقيادة المعارضة، فمقامها العظيم، والعبء الثقيل الذي تحملته في تصديها لهذه المهمة، فضلاً عن حجم الظلم الذي لحق بها، بقيت جوانب مهمة منه في طي الكتمان، وهذا ما نقرأه في تأبين الإمام علي (عليه السلام) لها حين خاطب قبر النبي قائلاً: «وستنبئك ابتك بتظافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً»<sup>(١)</sup>، ولكن يمكننا تقييم بعض جوانب هذه التجربة من خلال الوقوف على بعض النتائج الآنية والبعيدة المدى التي ترتبت على هذه النهضة المباركة.

لقد استطاعت الزهراء طيلة فترة تصديها للمعارضة من حفظ مقام الإمامة والمتمثل بحياة الإمام علي (عليه السلام) من أن يلحق به الأذى بدءاً بتصديها لقيادة جبهة المعارضة بدلاً عنه كونه المستهدف الأول من كل ما وقع، ونهاية بدفاعها عن حياتها مباشرة حين اقتيد للمسجد ووضع أمام خيارين لا ثالث لهما؛ أما البيعة أو القتل، فكان ما كان منها حين قصدت المسجد على ما بها من جراح وآلام واستنقذت الإمام من أيدي السلطة<sup>(٢)</sup> كما إنَّ تحمل الزهراء بمفردها تبعات التصدي لقيادة المعارضة جعل من تجربتها تجربة فريدة إذا ما قورنت ببقية تجارب المعارضة وعلى مرّ العصور.

كذلك أعطت الزهراء في تصديها لقيادة جبهة المعارضة زخماً كبيراً ما كان له أن يتحقق لو تصدى غيرها لهذه المهمة. وقد ظهرت آثار هذا الزخم بموقف الإمام علي (عليه السلام) القوي والرافض لبيعة أبي بكر وتواني الأخير في أخذها من الإمام. ونلاحظه أيضاً بجواب الخليفة

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤٥٩.

(٢) الفيض الكاشاني، الوافي، ج ٢، ص ١٧٨.

على طلب عمر بن الخطاب من أخذ البيع بالقوة من علي عليه السلام حين قال «لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه»<sup>(١)</sup>.

إلا أن هذا الزخم سرعان ما تلاشى بشهادتها عليها السلام فبدا الضعف واضحاً على جبهة المعارضة وعلى علي عليه السلام بوجه الخصوص، وهذا ما استدلل به الطبري بقوله: «وكان لعلي وجه من الناس حياة فاطمة فلما توفيت انصرفت وجوه الناس عن علي»<sup>(٢)</sup>. وفي استدلال آخر للطبري قال: «فمكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم توفيت. قال معمر: قال رجل للزهري: أفلم يبايعه علي ستة أشهر قال لا، ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي؛ فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر»<sup>(٣)</sup>، فكانت فاطمة بحق ركن علي الذي اتكأ عليه بعد رسول الله فما إن توفيت حتى هُدَّ رُكناه<sup>(٤)</sup>.

كما إن نجاح الزهراء في قيادة جبهة المعارضة أجبر خصومها -وبأكثر من مناسبة- على الاعتراف بالظلم الذي ألحقوه بها وبزوجها، وبالكيفية التي تم بها الانقلاب، والأسباب التي دفعتهم لغضب الخلافة. وهذا ما نلمسه بمحاولة أبي بكر استرضاء الزهراء في أكثر من حادثة وطلب المغفرة منها<sup>(٥)</sup>، وبإظهاره الندم وهو على فراش الموت، قائلاً: «وددت لم أكشف بيت فاطمة وتركته»<sup>(٦)</sup>، ومن ثم وصف عمر بن الخطاببيعة أبي بكر بالفلتة التي

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٠.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤٧.

(٣) المصدر والجزء نفسه، ص ٤٤٨.

(٤) ابن الأثير، غريب الحديث والأثر؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٢٨٧.

(٥) الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ١٨٦.

(٦) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ٦١٩؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ١٠٩.

وقى الله شرّها<sup>(١)</sup>، وكذلك حين وضع عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس سبب غضب قريش الخلافة من علي عليه السلام قائلاً «كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة»<sup>(٢)</sup>.

كما وتحقق استشراف الزهراء لما سوف يؤول إليه مستقبل الأمة بعد أن خذلت قيادتها الحقيقية واستبدلتها بمن هي ليست أهلاً لذلك، فمن يقف على تاريخ المسلمين وعلى مرّ العصور، وإلى يومنا هذا يجد أنّ الخطوب والرزايا والفتن التي مني بها المسلمون، وما ترتب عليها من تسلط الظالمين وإهراق للدماء وإزهاق للأنفس واستنزاف للطاقات، كان سببه ذلك الانقلاب الخطير الذي حذرت من نتائجه الزهراء عليها السلام<sup>(٣)</sup>.

ولعلّ أهمّ النتائج التي يكمن من خلالها الوصول لتقييم هذه التجربة، هو أنّ الأساليب التي اعتمدتها الزهراء في مواجهة خصومها أصبحت منهاجاً ثابتاً التزم به أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن شيعتهم في مواجهة أعدائهم، فبات المتصفح لتاريخ المعارضة في تراث أهل البيت وشيعتهم يرى فيه صوراً مستنسخة من تجربة الزهراء عليها السلام. فمشاركة السيدة زينب عليها السلام الإمام الحسين عليه السلام نهضته المباركة، ومن ثمّ تصديها مباشرة لإكمال ما بدأه الحسين عليه السلام مع وجود الإمام السجاد عليه السلام، فضلاً عن دفاعها المستميت عن حياته لا سيما في مجلس عبيد بن زياد في الكوفة، أعاد بنا الذاكرة إلى خمسين سنة مضت حيث الزهراء وعلي والأحداث التي أعقبت الانقلاب<sup>(٤)</sup>.

كما ظهر تأثر أهل البيت بتجربة الزهراء واضحاً من خلال اعتماد أسلوب الخطاب والاحتجاج لبيان أحقيتهم وتفنيد حجج أعدائهم، فخطب الإمام الحسين بدءاً بخروجه

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٦٦.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٨٩.

(٣) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٠، ص ٢٩٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٥٩.

(٤) المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١١٦.

من مكة وحتى يوم استشهاده في كربلاء واحتجاجاته التي بين فيها أسباب نهضته المباركة<sup>(١)</sup>، ومن ثم خطب السيدة زينب والإمام السجاد طيلة فترة السبي، فضلاً عن سائر احتجاجات أئمة أهل البيت على خصومهم، وفي حقب زمنية متعاقبة ما هي إلا ثمرة مباركة للغرس الذي غرسته الزهراء (عليها السلام) وأعطى أكله بعد حين<sup>(٢)</sup>.

وسار أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم على خطى الزهراء أيضاً في إظهار رفضهم وبيان ما وقع عليهم من ظلم من خلال إظهار الحزن والبكاء، وهذا ما نستدل عليه في سيرة الإمام السجاد وأهل بيته بعد واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>، وبوصية الإمام الباقر (عليه السلام) لولده الإمام الصادق (عليه السلام) «أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيام منى»<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن الكيفية التي تعامل بها باقي الأئمة (عليهم السلام) مع ظلامه سيد الشهداء وكيف حثوا على أحياء مراسيم عاشوراء من خلال بيان فضل البكاء والجزع وإقامة مجالس العزاء وغيرها من مراسيم الحزن على الحسين (عليه السلام)<sup>(٥)</sup>.

(١) المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٣٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٦.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٧-٣٩.

(٣) المشهدي، المزار، ص ٢٩٨.

(٤) الفيض الكاشاني، الوافي، ج ١٧، ص ١٩٧.

(٥) المفيد، الأمالي، ص ١٩٠-١٩١.

## الخلاصة:

بعد هذا العرض والتحليل، توصلنا إلى ما يأتي:

لم يكن بمقدور جميع الأسماء التي ضمتها جبهة المعارضة التصدي لقيادة هذا المشروع، فالبعض حالت الظروف المحيطة به دون التصدي، والآخر انتابه الضعف فجعله غير مؤهل لذلك.

حتم الوضع العام الذي عاشه المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ وما نتج عنه أن تصدى الزهراء (عليها السلام) لقيادة المعارضة؛ ولعلّ الإمام علي (عليه السلام) هو من دفع بهذا الاتجاه.

سبق تصدّي الزهراء (عليها السلام) لقيادة هذه المهمة إعداد إلهي وعناية خاصة أحاطت بشخصها فضلاً عن التجارب الصعبة التي مرّت بها مما جعلها مهيئة للنهوض بهذا الدور.

إنّ اعتماد الزهراء مبدأ السلمية في مشروعها المناهض للانقلاب، وتحملها أعباء التصدي بمفردها، ضيع الفرصة على خصومها في الاحتكام للقوة التي كانوا يسعون من خلالها إلى تصفية خصومهم.

أظهر فن القيادة عند الزهراء (عليها السلام) والبراعة في التصدي بتنوع أساليب الرفض التي اعتمدتها في مواجهة خصومها.

بالرغم من أنّ الفترة القصيرة التي تصدّت فيها الزهراء (عليها السلام) لتجربة المعارضة، إلّا أنّها كانت من أنجح تجارب المعارضة في التاريخ الإسلامي، وعلى مدى العصور، قياساً بالنتائج الآنية والبعيدة المدى التي ترتبت عليها. وهذا ما جعلها أنموذجاً اعتمده أهل البيت وشيعتهم في مواجهة أعدائهم.

## مصادر البحث ومراجعته

القرآن الكريم

! ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ).  
النهاية في غريب الحديث والأثر، (قم: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع،  
١٣٦٤هـ).

! البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة الجعفي (ت ٢٥٦هـ)

صحيح البخاري، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م).

! البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).

جمل من أنساب الأشراف، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ).

السنن الكبرى، (بيروت: دار الفكر، د ت).

! الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ).

سنن الترمذي (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣م).

! الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت ٢٥٥هـ).

العثمانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجليل، د ت).

! ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

الإصابة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م).

! ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٦هـ).

شرح نهج البلاغة، (بيروت: دار الأمير للنشر، ١٤٢٨م).

! الحلي، نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦هـ).

المعتبر، (قم: مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام، د.ت).

! ابن حمدون حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ).

تذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦م).

! ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ).

مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية،

د.ت).

! الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت ٧٤٨هـ).

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة،

١٩٦٣م).

! الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن البكري الشافعي (ت ٦٠٤هـ).

التفسير الكبير، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م).

! سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف بن الأمير حسام الدين قزغلي (ت ٦٥٤هـ).

تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

! السرخسي، أحمد بن أبي سهل الخزر جي (ت ٤٨٣هـ).

المبسوط، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٨٦م).

- ! السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن الشافعي (ت ٩١١هـ).
- الدر المشور في التفسير بالمأثور، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د ت).
- ! الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٦م).
- نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبده، (قم: دار الذخائر، ١٤١٢هـ).
- ! ابن شهر آشوب، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي (ت ٥٨٨ / ١١٩٢م).
- مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (النجف، المكتبة الحيدرية، ١٩٥٦م).
- ! ابن أبي شيبة الكوفي، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي (ت ٢٣٥هـ).
- المصنف، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٩م).
- ! الصالح، محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ).
- سبيل الهدى والرشاد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م).
- ! الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ).
- الأمالي، (قم: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ).
- الخصال، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣هـ).
- علل الشرائع، (النجف: منشورات المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥هـ).
- كمال الدين وتمام النعمة، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥هـ).
- معاني الأخبار، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٧٩هـ).

- ! الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ).
- المعجم الكبير، (السعودية: دار الحرمين للطباعة والنشر، ١٩٩٥م).
- ! الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٤٨هـ).
- الاحتجاج، (النجف: دار النعمان للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ).
- ! الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ).
- ذخائر العقبي، (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٣٥٦هـ).
- ! الطبري الشيعي، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م).
- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، (قم: مؤسسة الثقافة الإسلامية، د.ت).
- ! الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م).
- تاريخ الأمم والملوك، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٣م).
- المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، د.ت).
- ! الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م).
- الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، (قم: دار الثقافة، ١٤١٤هـ).
- ! ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٣٨٠هـ).
- بلاغات النساء، (قم: مكتبة بصيرتي، د.ت).

! ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ).

تاريخ مدينة دمشق، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ).

! ابن الفثال النيسابوري، محمد بن الفثال (ت ٥٠٨هـ).

روضة الواعظين، تحقيق: محسن المجيدي ومجتبى الفرجي، (بيروت: مؤسسة الأعلمي،

د ت).

! الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت ١٠٩١هـ).

الوافي، (أصفهان: مكتبة الامام أمير المؤمنين للنشر، ١٤٠٦هـ).

! ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦هـ).

الإمامة والسياسة، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٩٠م).

! ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

البداية والنهاية، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م).

! الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ).

الأصول من الكافي، (طهران: دار الكتب الإسلامية، د ت).

! المجلسي، أبو عبد الله محمد بن باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ).

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،

١٨٨٣م).

! مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).

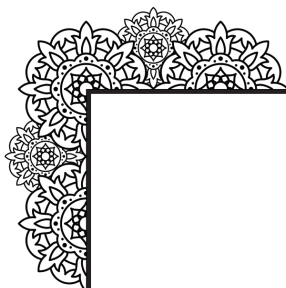
صحيح مسلم (بيروت: دار الفكر، د ت).

- ! المشهدي، محمد بن جعفر (ت: ق ٦هـ).
- المزار، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ).
- ! المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ).
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر، ١٩٩٣م).
- الأمالي، (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م).
- فضيل أمير المؤمنين عليه السلام، (بيروت: دار المفيد للطباعة، ١٩٩٣م).
- ! ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري الأفريقي (ت ٧١١هـ).
- لسان العرب، (قم: نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ).
- ! النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).
- السنن الكبرى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م).
- فضائل الصحابة (بيروت: دار الفكر، ١٣٤٨هـ).
- ! الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ).
- مجمع الزوائد ونبع الفوائد، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
- ! اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي (ت ٢٨٤هـ).
- تاريخ اليعقوبي، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت).

## المراجع:

- ! التبريزي، محمد علي بن أحمد القراجه داغي (ت ١٣١٠هـ).
- اللمعة البيضاء، (قم: مؤسسة الهادي، ١٤١٨هـ).
- ! الخرسان، محمد مهدي السيد حسن الموسوي.
- المحسن السبط مولود أم سقط، (النجف: مكتبة الروضة الحيدرية، ١٤٢٧هـ).
- ! الخوئي، أبو القاسم الموسوي.
- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، (قم: مركز نشر آثار الشيعة، ١٤١٣هـ).
- ! السند، محمد.
- مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب والسنة، (قم: دار الغدير، ٢٠٠٣م).
- ! القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ت ١٢٩٣).
- ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد علي جمال أشرف، (إيران: دار الأسوة، ١٤١٦هـ).
- ! الكوراني، علي العاملي.
- الحق المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام، (قم: دار الهدى، ٢٠٠٣م).
- جواهر التاريخ السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام، (دار الهدى للطباعة، ١٤٢٦هـ).
- ! الناصر، عبد الله.
- محنة فاطمة بعد وفاة الرسول (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٤م).





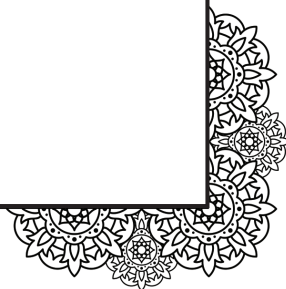
## شذرات تربويّة

من وصيّة الإمام علي لابنه الحسن عليهما السلام

دراسة في استراتيجيّات الخطاب

الباحثة

د. فاطمة مهدي البزال



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله الذي هدانا وشرّفنا بقوم كانوا الحجب الدامغة، والأصول اليانعة؛ مؤنسي النفس، ورافعي النقص، وواهي الأنس لمن تمسك بالعروة الوثقى، وانتهج الطريقة المثلى، باتباع الحق، وقول الصدق، أزاحوا عن أعيننا العمى، فكانوا مصابيح الدجى، ومنبع الإيمان، والقائلين من غدر الزمان، بهم تُزال الحُجُب التي تقف أمام عين القلب النّاظرة إلى سرهم، فتزداد قُرباً، وبهم يُزال ما ران على القلب، فيزداد وهجاً. مُتجلبين رداء الوقار، مُتدثرين عباءة الفخار بأنّ الله بولايتهم على الخلائق ليُخرجهم من الدّيجور، إلى الرحمة والنور، فجعل ولايتهم ميزاناً تُقاس به الأعمال؛ فمن أحبهم واهتدى إلى سحر بيانهم نجا، ومن أبغضهم ومال عنهم ضلّ وغوى.

والحمد لله على عظيم نعمه، أن جعلنا نفى بحبهم، فهم القرآن النّاطق، والعقل الفاتق، تقف العلوم عند سواحلهم، ولم ندرك من العلم حرفاً، مستودع أسرار الله، وخزنة علمه، وحافظو رسالته، ودرعه الحصين، وبابه المكين الذي منه يؤتى. فهم النّجوم السّواطع، والسّيوف القواطع، ذوو عزم وإرادة وبصيرة، تجري الحكمة على ألسنتهم، والدّماء على أسنتهم، تسليماً لله ورضاً، أئمة الهدى، وقادة الورى في الدنيا والأخرى.

والإمام علي عليه السلام أمير المؤمنين، وسيد الغرّ المحجلين، اجتمعت فيه صفات الكمال، ومحاسن الشّرف، ومحمود الخصال والخلال، فانتسب إلى أطيّب الأعراق - بني هاشم - وهو الفصيح الذي شرّع للفصاحة نُظمها، وأودع البلاغة نواميسها، قاس عليه المتأخرون، ولم يبلغه المتقدّمون، بل وقفوا عند ساحله اللّجّي يغترفون ما استطاعوا من علمه الزّاهر،

ولألائه الوافر، ومواهبه السيئة، وحكمه الجليّة؛ العالم بطرق السّماء، ومعارج الأنبياء، خليفة سيد الأوصياء وزوج ابنته الزهراء؛ من سرّه المكنون أضاءت مصابيح الدّجى متهلّلة، وفاحت الأكوان مُستبشرة بأئمة الهدى الذين فرض الله طاعتهم، وجعلهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهم الرّحمة والأمان، أئمة الرّشاد، في الحاضر والباد. وهم العروة الوثقى، وباب الله الذي منه يؤتى.

من هنا، فإنّ الكلام عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أُسِيل في سبيله خبرٌ كثير، تناهى إليه العلماء والفقهاء والبلغاء والفصحاء، كلّ منهم يُعمل أدواته وآلياته العقلية والمنطقية والأدبية، يحاولون الحفر في جذوره والكشف عن مكنونه ولما يبلغوا الفتح بعد. فكلامه (عليه السلام) يُشكّل منظومة مفاهيميّة وأخلاقيّة وتربويّة وسياسيّة واقتصاديّة وفلسفيّة وأدبيّة وعلميّة شاملة، يستطيع كلّ عالم مقاربتها من خلال تخصّصه. وإنني إذ أقفُ على خفرٍ عند ساحله، فلعلمي بتقصيري عن الإحاطة بما يستوجب مني التّمام وعدم النّقصان. قد نحاول تلمّس بعض الأفكار والتّعبير عنها بما تيسّر أمام هذا الخضمّ الواسع والبحر الزّاهر، والعلم الباهر لسيد المتّقين عسى أن نحيط بالقليل، يكون رصيّدًا ليوم النّفير. وقد كان هذا البحث الموسوم بعنوان «وصيّة الإمام علي لابنه الحسن (عليه السلام): دراسة في استراتيجيات الخطاب». محاولة الإضاءة على بعض من جواهره الفريدة، ووصاياه الحميدة، التي تملكّت الفؤاد، وشغلت الفكر واستبطنت الرّشاد.

سأتبع في بحثي منهج «تحليل الخطاب»، الذي يقع داخل تجاذب دائرتين أو تقاطعهما: دائرة اللسانيات ودائرة العلوم الإنسانيّة، وهذا المنهج ليس منعزلاً عن غيره من المناهج ويأتي على رأس المناهج المتّصلة به «الأسلوبيّة»، فالخطاب «كلام له أسلوبه المندرج داخل دائرة الأسلوب، ولا يمكنه أن يشتغل بمعزلٍ عن فهم محدّد للغة ولوظائفها»<sup>(١)</sup>.

(١) علي زيتون، عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلاميّة، بيروت، معهد المعارف الحكمية، ٢٠٠٧، ص ٥.

### وخطاب المسؤول لا بدّ وأن يكون له بُعدان:

**البُعد الأوّل:** هو الرؤية إلى العالم، ولا بدّ من أن تكون مميّزة بمكوّناتها: ثقافة وقناعات، وهمومًا، واهتمامات.

**البُعد الثّاني:** هو لغة ذلك الخطاب التي تكون بمعجمها، وتراكيبها، ومجازها، ورموزها، وشيفراتها الثقافية محدّدة ومحكومة بتلك الرؤية. بناءً عليه، فإنّ بحثي قام على مبحثين بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة.

المبحث الأوّل: المهاد النظري: تناولت فيه النقاط الآتية: مفهوم الخطاب، مفهوم الاستراتيجيات الخطابيّة، أهميّة الوصايا التبرويّة ورسالة الإمام علي لابنه الحسن عليه السلام.

المبحث الثّاني: دراسة إجرائيّة اخترت منها: الاستراتيجية التوجيهيّة والاستراتيجية الإقناعيّة؛ وذلك للمساحة المتّاحة ضمن هذا البحث والتي لا تتّسع لذكر باقي الاستراتيجيات الخطابيّة.

## المبحث الأول المهاد النظري

### أولاً: مفهوم الخطاب:

لا بدّ من امتلاك معرفة بمفهوم الخطاب، وهذا يستوجب علينا العودة إلى المرحلة التأسيسية التي اتخذت من العلمية منطلقاً ودليلاً فكانت الحركة النقدية الحديثة التي قامت على نشاطين أساسيين:

النشاط الأول للعالم السويسري «فرديناند دي سوسير» الذي حاول «الانتقال بالدراسات اللغوية السائدة حتى زمانه من دراسات مخترقة بالحقول المتعددة الأخرى إلى دراسات علمية»<sup>(١)</sup>. فقد تناول ثنائية (اللغة / الكلام). و(الكلام) عند سوسير ثانوي وعرضي إذا ما قيس بالطرف الأول من الثنائية (اللغة) التي «عدت أساسية وجوهرية»<sup>(٢)</sup>.

النشاط الثاني: كان نشاط حركة الشكليين الروس (الأبوزاز) التي سعت أيضاً للانتقال بالدراسات الأدبية إلى مستوى العلم. «و حين تصوير أدبية الأدب (موضوع) علم جديد للأدب، يعني أنّ الدراسات الأدبية قد شقت مساراً جديداً عند حركة الأبوزاز»<sup>(٣)</sup>، خصوصاً أنّ تلك الأدبية ليست إلا (الخطاب) الأدبي. وهذا ما لاحظته سعيد يقطين من «أنّ مختلف الأدبيات الحديثة تسلك الطريق نفسها، وإن بأدوات وأسئلة متعددة ومختلفة، منتقاة من الحديث عن الأدب، أو العمل الأدبي، إلى الأدبية، فالخطاب»<sup>(٤)</sup>. وهذا يعني أنّ

(١) سعيد الغانمي، البنيوية، في كتاب معرفة الآخر، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط ٢، ١٩٩٦م، ص ١٩.

(٢) فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ونجيد نصر، لبنان، دار نعمان للثقافة، ١٩٨٤، ص ٣٢.

(٣) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط ٣، ١٩٩٧م، ص ١٤.

(٤) م. ن، ص ١٥.

حركة الأبويّاز قد نحت بالدراسات النقدية منحى مغايراً لما انتجته ألسنيّة سوسير، ممّا أدّى إلى تطوّر المواقف وصولاً إلى مصطلح (الخطاب).

ولقد مهّدت الوضعية الثقافية النّقدية في الغرب الطّريق أمام بنفست (الألسني الفرنسي) ليقبّل المنطق الألسني قائلاً: «إنّ الجملة لا تشكّل في صلب ملفوظ أكبر سوى وحدة صغرى للخطاب»<sup>(١)</sup>. لذلك نجد أننا أمام لسانيتين مختلفتين: لسانيات الجملة التي تستدعي تفسيراً دلاليّاً سيميائيكياً تتكفّل أنظمة اللغة بإنتاج دلّالته، ولسانيات الخطاب المتعلقة بموقفٍ يوجّه دلالة الخطاب ممّا يجعل النظام اللغوي على الحياد فيما يتعلّق بإنتاج الدلالة. وهذا يعني أنّ المقصود بالخطاب إنّما يُستخلص «بناءً على موقف وظرف وسياق»<sup>(٢)</sup>.

من هنا نجد أنّ عدّة عوامل تساهم في تحديد دلالة الكلام التواصلية وهي: «مقام المتكلم وصفاته، وإمكاناته، مقام المخاطب وصفاته وإمكاناته، زمان القول، مكانه، الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية والنفسية»<sup>(٣)</sup>. ويعني ذلك أنّنا أمام مصطلحين: الجملة بدلالاتها اللغوية السيميائية / والملفوظ بدلالته التداولية البراغماتية التي تتحدّد خارج اللغة إلى حدّ كبير. والمتكلم حين يوظّف ما يحيط بخطابه، إنّما يريد لخطابه أن يكون أكثر فاعليّة في تحقيق مقاصده. وهو الذي يؤدي واحداً من دورين: «دور المثقف الباني، المهيم لمشروع إنساني، عبر التّعامل مع العقل، أو دور المؤثر الضّارب على وتر العواطف المعدّ لمشروع، ذي مآرب خاصّة بالمتكلم»<sup>(٤)</sup>.

يمكننا القول إنّ بعد جهود متوالية، استطاع البحث النّقدي أن يكشف أشياء أخرى  
(1) Benvenistee, problem de linguistique generale, parie, gallemard. 1966, p 242.

(٢) نبيل أيوب، التعبير منهجيته وتقنياته، بيروت، دار المكتبة الأهلية، ط ٢، ٢٠٠١، ص ١٠.

(٣) علي زيتون، م.س، ص ١٣.

(٤) م.ن، ص ١٤.

تحيط بالأدب ولا تنفك عنه. فبعد أن كانت أدبيّة الأدب التي نادى بها الشّكليون الرّوس (الأبويّاز) من خلال جاكسون، تنظر إلى النّصّ على أنّه وجود موضوعي مستقلّ عن قائله وظروف قائله، تدرّجت التّقلات النّوعيّة في مجال النّظر النّقدي تبعاً لتحوّل المنظومات المفاهيميّة من مرحلة إلى أخرى، من أطروحة ريتشارز في التّعامل مع القول الأدبي بوصفه عملاً، إلى رولان بارت الذي حوّل التّصوّر من العمل الأدبي إلى النّصّ، وصولاً إلى فوكو الذي نقل النّظر من الأدب إلى الخطاب مؤسساً بذلك وعياً نظريّاً في نقد الخطابات الثّقافيّة والأنساق الأدبيّة<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: في مفهوم الاستراتيجية:

في البداية، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ لفظة استراتيجية من الألفاظ الوافدة على اللغة العربيّة، منتمة باستعمالها إلى الحقل العسكري، وهي عبارة عن خطط مجهزة للوصول إلى هدف معيّن. وقد اتّسعت دلالتها لتعمّ مختلف نواحي الحياة. ويشير مفهومها من منظور لسانيات الخطاب إلى أنها: «مجموع عمليات المعالجة الموجهة إلى هدف، والجارية عن وعي عند إنتاج النص وتلقّيه»<sup>(٢)</sup>. ويخلص الشهري إلى تعريف الاستراتيجية الخطابية بأنّها: «عبارة عن المسلك المناسب الذي يتّخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي لتحقيق أهدافه من خلال استعمال الأدوات اللغوية، وغير اللغويّة، وفقاً لما يقتضيه سياق التّلفظ ويستحسنه المرسل»<sup>(٣)</sup>.

أمّا من حيث العوامل المؤثرة في التّصنيف، يرصد المشتغلون على تصنيف الاستراتيجيات عاملين مؤثّرين<sup>(٤)</sup> وهما: المقاصد والسلطة. أمّا المقاصد فتمثّل لبّ العملية التّواصلية،

(١) عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٥، ص ١٣.

(٢) رضوان عبد الكريم، لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب، ٢٠١٥، ص ١٧.

(٣) عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ليبيا، دار الكتاب الجديد، ط١، ص ٦٢.

(٤) ينظر الشهري، ص ١٨٠.

لأنّ غاية قصد المرسل هي إفهام المرسل إليه، ويشترط في المرسل الكفاءة اللغوية في فهم مستويات اللغة، ومدى معرفته العلاقة بين الدال والمدلول، والقواعد التركيبية، وسياقات الاستعمالات. والعامل الآخر (السلطة)، ويبرز هذا العامل في تصنيف استراتيجية على أخرى، فامتلاك السلطة لدى المرسل من الضرورات، ليجسدها في الخطاب، إذ تعتمد على اللغة والأفعال اللغوية أكثر من اعتمادها على القوة المادية.

وقد حدّد الشهري ثلاثة معايير لتصنيف استراتيجيات الخطاب<sup>(١)</sup> وهي:

#### ١- معيار العلاقة بين طرفي الخطاب:

وهو من أهمّ معايير تصنيف الاستراتيجية، وبه تصنّف بعض الاستراتيجيات ذات المستويات المتقاربة والمتخادمة بين المرسل والمرسل إليه، ومنها (الاستراتيجية التضامنية)؛ ولها أدوات لغوية كثيرة كالإشارات اللغوية التي تقرّب البعيد أو تقترب منه. وتحت هذا المعيار تندرج استراتيجية أخرى تتجسّد من خلال آليات صريحة تسهم في توجيه المرسل للمرسل إليه عبر الأمر والنهي والتحذير والإغراء، وهي (الاستراتيجية التوجيهية).

#### ٢- معيار لغوي، يتمثل بشكل الخطاب.

قد يستخدم المرسل شكلاً ما بقصد تبطين مقاصده ومعانيه، ويرمي من خلاله إلى أمور يتدخل سياق الخطاب في كشفها وتحديدّها، ويمكن تسميتها (الاستراتيجية التلميحية).

#### ٣- معيار الهدف

يُعدّ الهدف الإقناعي واحداً من أهمّ الأهداف التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها وعليه صنّفت (استراتيجية الإقناع). فالمرسل يستخدم وسائل وآليات لغوية مختلفة؛ منها ما

(١) ينظر م.ن، ص ٨٨.

يحاكي العواطف، ومنها ما يتعامل مع عقل المرسل إليه، مثل الآليات الحجاجية، موظفاً لها عمليات شبه منطقية متمثلة باللغة الطبيعية.

ثالثاً: أهمية الوصايا التربوية:

الوصية من أقدم العهود الإلهية بالنسبة إلى الأنبياء ﷺ، ومنهم بالنسبة إلى أمهم. وهي تقوم على تواصل الأجيال من خلال انتقال الأمور المعنوية والمادية من السابقين إلى اللاحقين، ومن ثم فهي ضرورية «لحفظ كيان المجتمع عقائدياً وتربوياً وأخلاقياً واقتصادياً، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بالتواصي الذي ينبغي للإنسان من الخسران<sup>(١)</sup>». قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾<sup>(٢)</sup>.

خلق الله تعالى الإنسان، وميّزه بالعقل عن سائر المخلوقات، وشمله بالفيوضات الإلهية بعد أن أخرجه من ظلام العدم إلى نور الحقيقة المتجلية ببهاء الله وقدرته وعظمته، هداه السبيل، وأرسل له الأنبياء مبشرين ومُنذرين، وجمع فيه القوى المتناقضة: من القوى الشهوانية والعقلانية والغضبية، لذلك كان لا بدّ من توجيهه وتبيان معالم الطريق وآثارها قبل الخوض في غمراتها والتخبط في عثراتها. والله رؤوفٌ رحيم، لم يوكل أمر الإنسان لنفسه، بل أظهر له كلّ جميل وكلّ أثر دنيوي وأخروي، لحثّه على تزكية نفسه وتخليصها من الأدران، جلاءً للقلوب، وإعماراً للعقول، لتكون مستعدة للانطلاق في الأرض وإعمارها. من هنا جاءت أهمية التربية لأنّها السبيل لتزكية النفس والوصول بها إلى سعادة الدارين. ومن هذا المنطلق حثّ الأنبياء والأئمة الأطهار ﷺ على إيلاء التربية أهمية كبرى في وصاياهم وأعمالهم بما في ذلك التربية الفردية والخلقية والاجتماعية والعقائدية، ولم يتركوا أيّ منحنى من مناحي الحياة إلاّ وعبروا عنه بأفضل ما يكون.

(١) وصايا العرفاء، السيد حسين نجيب محمد، ط٢، بيروت، دار المحجة البيضاء، ص ٧.

(٢) سورة العصر: الآيات ١-٣.

من هنا نرى أنّ الوصيّة بعدها الإيماني والعقائدي والأخلاقي مهمة جداً. وهذا يتطلب وجود حالة لدى الموصي إليه يُقابل بها ما قدّمه الموصي من العطف والمحبة والحرص عليه، بحيث يكون الموصي إليه مُستعدّاً لتنفيذ هذه الوصيّة، لأنّ الموصي قرّبه وأدناه وأراد أن يُشركه في خلاصة تجاربه الحياتيّة، ولأنّه حريص على الوصول بالموصي إليه إلى مراتب متقدّمة في الحياة، وبذلك لن يكون بإمكان الموصي إليه إلا أن يتقبّل الوصيّة مع يقينه التّام بأهميّتها وليكون مستعدّاً لاستجلاء مكنوناتها.

#### رابعاً: وصية الإمام علي لابنه الحسن عليه السلام

يُعدّ نهج البلاغة من الكتب القيّمة والثريّة التي حارت العقول في الوقوف عند كنهه لما يحتويه من البلاغة والفصاحة والقيم والمواعظ والحكم، وكلّ ما يمتّ للاستراتيجيات العسكريّة والعقدية والفقهية والتربويّة بصلة. وقد جمعه الشريف الرضي وسبقه إليه آخرون، وتولّى شرح مضامينه العديد من العلماء على مرّ العصور. ويضمّ بين دفتيه خلاصة ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام من خطب ووصايا ورسائل وحكم، كانت الشاهد على أحداث زمانه، بالإضافة إلى أن أقواله عليه السلام خرجت من دائرة العصر لتكون مستقبلية باستشراف ما سيكون، ولتكون صالحة لكلّ زمان ومكان. من هنا وقع اختيارنا على وصيّة الإمام علي لابنه الحسن عليه السلام لأتمّها وصيّة شاملة، لم تكن لتخصّ الإمام الحسن عليه السلام وحده مع غلبة ضمير المخاطب فيها فضلاً عن ضمير المتكلم؛ فهو من أهل الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهو الإمام الثاني من أئمة أهل البيت عليه السلام، سبط المصطفى وابن المرتضى والزهراء عليه السلام. من هنا فإنّ نصّ الرسالة خرج من الإطار الزمني والتوجّه الآني ليرسم الطّريق المؤدية للخلاص باتّباع خطى ثابتة وعزم راسخ لا يلين، مُبيّناً العثرات ومُحيلاً إلى المنجيات عبر تربية أخلاقية واجتماعية وعقائدية تُمثّل اللّبنات الأساسيّة لبناء أيّ مجتمع سليم خالٍ من النقص والعيوب. وهي وصيّة مشحونة بالدلالات والمضامين

العالية، أوجزها الأمير عليه السلام وهذا ما يجعلها ضمن دائرة الاهتمام والبحث لاستجلاء مكنوناتها وفرائدها الثرة، بالإضافة إلى كونها موزعة لتشمل أمور الدنيا والأخرى: من تبيان أهمية الوصية إلى باب التقوى ومصير الإنسان، والاعتبار من الماضين وكيفية التعامل مع الناس بدءاً من البيت وصولاً إلى المجتمع.

فما هي الاستراتيجيات الخطابية التي اتبعتها الإمام علي عليه السلام في وصيته؟ وما هي أبعاد الرؤية إلى العالم التي اكتنفها ثقافة وقناعات، وهموم، واهتمامات أمير المؤمنين عليه السلام؟ وكيف عبّرت لغة الخطاب عن تلك الرؤية؟

## المبحث الثاني

### ١- الاستراتيجية التوجيهية:

تعدّ الاستراتيجية التوجيهية من الاستراتيجيات المباشرة، حيث يتطابق فيها قصد المرسل مع دلالة الخطاب الحرفي، ويهتم المرسل فيها بتبليغ قصده، وتحقيق هدف خطابه، وهو توجيه المتلقي إلى ما يعود عليه بالنفع، أو يُبعد عنه الضرر<sup>(١)</sup>.

فالأفعال التوجيهية تعبر عن توجه المرسل إلى أن ينفذ المرسل إليه بعض التوجيهات في المستقبل. وقد صنّف (باخ) أفعال التوجيه إلى عدّة أصناف<sup>(٢)</sup> وهي: الطلبات، الأسئلة، المتطلبات، التحريات، أفعال النصّح.

يعدّ التوجيه فعلاً لغوياً من جهة، ووظيفة من وظائفها من جهة أخرى، وقد لا تكفي اللغة لأداء وظيفة التوجيه ممّا يستوجب الاستعانة ببعض العناصر التي تجعل التوجيه أكثر فاعلية ومنها:

- سلطة المرسل: وهي القوة التي يمتلكها المرسل من خلال مستواه الاجتماعي أو الثقافي أو الديني. هذه السلطة تحوّل المرسل إعطاء توجيهات وأوامر للمرسل إليه.

- الفائدة المرجوة أو المصلحة التي تكون وراء الأفعال التوجيهية، فإذا كانت عائدة على المرسل بالنفع فإنّها تأخذ طابع الإلزام والوجوب، وإن كانت عائدة على المرسل إليه فإنّ الحكم هو النّدب. ومن أهمّ الوسائل المستخدمة في الاستراتيجية التوجيهية: الأمر، النهي، التّحذير، ذكر العواقب، الإغراء وغيرها.

(١) الشهري، م.س، استراتيجيات الخطاب، ص ٢٢٢.

(2) Kent Bach: linguistique communication and speech acts, Ibid p 47-49

إذا كان الخطاب فعل رؤية المتكلم إلى العالم: بكلّ أشياءه وأحداثه الثقافية والتاريخية، فإنّ المتكلم لا يمكنه أن يغيب عن خطابه، فكيف إذا كان المتكلم هو الإمام علي (عليه السلام) بكلّ ما يمثله من قوّة إيمانية وعقائدية وسياسية؟ وكيف إذا كان المخاطب هو ابنه الإمام الحسن (عليه السلام)؟ فالخطاب وسيلة تواصلية وظيفتها التأثير في المتلقّي، واستجلاء حضور المتكلم في خطابه لا يهدف إلى التعرف إلى شخصية المتكلم لذاتها «ولكن من أجل اختيار انسجامها مع القصدية الأساسية التي ينبري الخطاب لإشاعتها من جهة، واكتناه مدى فعل حضورها في إذكاء تلك القصدية وتقوية فعلها من جهة ثانية»<sup>(١)</sup>. ومن الأهمية بمكان أن يضع المتكلم المتلقّي في حساباته ليحاور مستواه الفكري والثقافي مُطلَعًا على مشاكله واهتماماته وقضاياه، خاصة إذا كان المتكلم قائداً. عندها ستكون توجيهاً شاملة، وإن كانت تتّصف بالخصوصية، إلّا أنّها تغدو صالحة لكلّ زمان ومكان. وقد اتّخذت هذه الخصوصية كونها صادرة عن شخصية وازنة خبرت الحياة بكلّ تفاصيلها، واجتمعت لها من الخبرة والدراية ما يمكن أن يؤسس معها لمفهوم جديد قوامه التوجيه السليم لما فيه مصلحة الفرد والجماعة مع ضمان الاستقرار في المجتمع في حال طبّق الخطاب بما يحويه من توجيهاً تربوية وسلوكية واجتماعية.

ومن أجل تحقيق القصدية من الخطاب، نلحظ استخدام أفعال الأمر والنهي والتحذير من خلال الاستراتيجية التوجيهية.

### أ- الأمر:

تفاوتت تعريفات الأمر، وشروط إجرائه على أصله، أو خروجه عن معناه ليؤدي دلالات أخرى تبعاً لمقاصد المرسل. يعرف العلوي الأمر بأنه «صيغة تستدعي الفعل، أو

(١) علي زيتون، م.س، ص ٥٥.

قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء<sup>(١)</sup>. وعلى الرغم من إجماع العلماء الأوائل على تعريف الأمر بأنه: «استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه»<sup>(٢)</sup>، بصيغة افعال، إلا أنهم يختلفون في دلالة صيغته عليه؛ إذ ليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحّد لتعيين دلالته بل «لا بدّ أن تعضده مرتبة المرسل إليه، لأنّها هي التي تحوّل دلالة الصياغة من الأمر إلى غير ذلك»<sup>(٣)</sup>. وتعدّ وجهة المنفعة هي التي تمنح التوجيه حكماً معيّناً، فللتوجيه وجوه كثيرة منها النّدب والتأديب والإرشاد، وهي «معانٍ متقاربة، وتمتاز بأنّ النّدب توجيه إلى ما يُرجى به ثواب الآخرة، والتأديب توجيه إلى ما يهذب الأخلاق ويُصلح العادات، والإرشاد للتّنبية على المصلحة الدنيوية»<sup>(٤)</sup>.

### ففي وصيته يشدّد الإمام علي عليه السلام على مبدأ التقوى مخاطباً ابنه الحسن عليه السلام:

«فإني أوصيك بتقوى الله، ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله... أحي قلبك بالموعظة، وأمتّه بالزّهادة، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلّله بذكر الموت، وقوّره بالفناء، وحذّره صولة الدّهر، وفُحّش تقلّب اللّيلالي والأيام، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين»<sup>(٥)</sup>.

فقد جعل القرآن التّمايز الأكبر بين البشر على أساس التقوى وعدّها معياراً لمعرفة القيم الإنسانيّة، فالتّقوى خير الزّاد. يقول تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ﴾

(١) يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، تدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، ص ٥٣٠.

(٢) ابو مظفر السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول، تح: محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٩٥.

(٣) الشهري، م.س، ص ٣٤٢.

(٤) علي حسب الله، أصول التشريع الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٧هـ، ص ١٨٦.

(٥) نهج البلاغة، الشريف الرضي، بيروت، دار المعارف، ص ٥٤٩.

يَا أُوْلَى الْأَلْبَابِ»<sup>(١)</sup>. ومن وصيّة الرسول للإمام علي عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ بِالْإِيمَانِ مَنْ كَانَ النَّاسُ يَسْمُونَهُ وَضِيعًا إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا، وَوَضَعَ بِالْكَفْرِ مَنْ كَانَ النَّاسُ يَسْمُونَهُ شَرِيفًا إِذَا كَانَ كَافِرًا. فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى»<sup>(٢)</sup>.

بالعودة لنصّ الوصية، نلاحظ حضور المتكلم «إني أوصيك بتقوى الله»، فقد بدأ بلهجة وإيقاع فيه من الرأفة والحنان أكثر مما فيه من الأمر والإلزام، وقد أنبأنا من خلال خطابه بشخصيّة الأب الرحيم العطوف الذي يريد أن ينقل خلاصة تجاربه في الحياة لابنه، وأول درس هو لزوم التقوى والحرص على تبيان أسسها وقواعدها، مُفصّلاً فيها، لأنّها اللبنة الأولى للتربية الفردية المؤسسة لعلاقة الإنسان مع خالقه، مع ما يستوجب ذلك من حسن التعامل مع النفس ومجاهدتها، والنظر إلى القلب وإزالة ما ران عليه من الصدأ الموجب طلب العفو والرضا من الله سبحانه. فالتقوى هي معيار الفضيلة وهي الملكة التي تمنع الإنسان من ارتكاب المعاصي والذنوب. إنّ استخدام المصدر المشتق من الفعل (تقوى / لزوم / عمارة / الاعتصام) أعطى صفة الاستمرارية والوجوب، فقد يتحقق معنى الأمر بصيغ مختلفة وأدوات متباينة منها: صيغة «افعل»، لام الأمر، الأفعال الاقتضائية، المصادر الدالة على الإلزام وغيرها. فأن يبدأ المتكلم بالتقوى، هذا يعني أنّها الباب الأوّل للتربية وتزكية النفس، فإذا استطاع الإنسان ترويض نفسه والتغلب على شهواته، يستطيع بعدها أن يتغلب على أية مشكلة كانت، سلوكيّة أم غير ذلك. لذلك كانت الانطلاقة منها، والتي تفرّعت بدورها إلى الدّوال التي تُعين على تحقيقها. فالاعتصام بحبل الله هو فرع من فروع التقوى يحفظ الإنسان ويقوي علاقته بربه ممّا يمنعه من السقوط والخسران المبين، لأنّ حبل الله أقوى وأوثق للعباد من غيره، هو السبب الواصل بين الأرض والسماء، وهو الحبل

(١) سورة البقرة، الآية : ١٩٧.

(٢) الكليني، الكافي، ج ٢، طهران، دار الكتب الإسلامية، سنة ٢٠٠٠، ص ٣٢٨.

الموصل إلى النّجاة لا إلى التفرقة. يقول تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup>. ونلاحظ الاهتمام بذكر القلب حاضرًا وبالضمائر التي تحيل إليه وذلك لأنّه الأساس، وهنا يستحضر الأمير عليه السلام فعل الأمر فإحياء القلب يكون بالموعظة التي تنفع الإنسان وتفتح البصيرة، وإماتته تكون بالزهد حتى لا يكون أسير الشّهوات. من خلال هذا التضادّ (أحي قلبك/ أمته)، يرسم الإمام علي عليه السلام خارطة القلب مُبَيِّنًا الآليات المنطقيّة التي تحقّق التوازن فتجعل من العقل والقلب أداتين لتحقيق الهدف للوصول إلى التّقوى. أمّا اليقين فهو صفة يحتاج من يريد بلوغه الاستمراريّة والممارسة المتأتمّة من جهد كبير. كما يأمر الإمام عليه السلام بتنوير القلب بالحكمة، وإذلاله بالموت.

إنّ تكرار كلمة القلب يؤشّر إلى أهمية القلب في توجيه أفعال الإنسان، إن خيرًا، وإن شرًّا. ولثقتّه بأنّ القلب قادر على تغيير مصير الإنسان. فإذا كان القلب خاشعًا، ذاكراً الله في كلّ أحواله، خاليًا من الرّياء، والحقّد، مُبتعدًا عن الذنوب، هاربًا من الهوى وما يزيّنه للإنسان من حبّ الشّهوات، فإنّه لا شكّ سيكون نقيًا موصلاً صاحبه إلى سعادة الدارين. ويتّضح الانسجام والتماسك في هذه الفقرة وتوالد الأفكار الفرعيّة التي تدعم الفكرة الأولى «التّقوى»: من خلال استخدام الروابط ولا سيما واو العطف، بالإضافة لتخصيص فعل مناسب لكلّ دلالة، فالإحياء بالموعظة، والإماتة لا تكون إلا بالزهد.

ونلاحظ استخدام فعل الأمر في جانبٍ آخر من جوانب التربية، وهي التربية الوظيفيّة، وما لها من علاقة بارتباط الفرد بمجتمعه ويأتي على رأسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في قوله عليه السلام:

«وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجُهدك»<sup>(٢)</sup>. تُعدُّ هذه الشّعيرة من أهمّ شعائر الإسلام، وقد وجّه إليها الإمام عليه السلام عنايته لما لها من أهميّة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٤٩.

في تحصين المجتمع من الفساد. وهذا يتطلب آلية عملية وتخطيطاً دقيقاً للوصول إلى الهدف المرجو. وجاء فعل الأمر «وأمر» ليدلّ على وجوب الأمر بالمعروف كونه من فروع الدين به تظهر شرائعه وتعلو أحكامه. أمّا النتيجة المترتبة عليه، فقد تبدّت عبر جواب الطلب «تكن من أهله». ويُقابل الأمر بالمعروف / النهي عن المنكر، في ثنائية ضدية لم تقف عند حدّ النهي، بل تجاوزته إلى ضرورة مُحاربة المنكر بالتدرج، وبالشدة إن تطلّب الأمر ذلك، لخطورته على الفرد والمجتمع «وبأين من فعله بجهدك». إن حضور المخاطب عبر «الكاف» والضمير المُستتر «أنت» العائد للإمام الحسن (عليه السلام)، يُدلل على أهمية هذه الفريضة، مع التنبيه إلى ضرورة الالتزام بها كونه (عليه السلام) سيكون مهياً لقيادة المجتمع والأمة فيما بعد، من هنا ينبغي التمرّس بها لتكون من الملكات الراسخة والمساهمة في بناء مجتمع سليم.

ويأتي الجهاد في المرتبة الثانية بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحين يكون المجتمع محصناً أخلاقياً وعقائدياً، يصبح الجهاد في سبيل الحق واجباً، ويصبح الخوض في غمراته أمراً محبباً بعد الاطمئنان للجبهة الداخلية. والجهاد في سبيل الله فرض كفائي يسقط عن بعض المسلمين إذا كان العدد كافياً لمواجهة العدو. ولا يقتصر على الجهاد بالنفس فقط، بل تحطّاه إلى كلّ وسيلة يتحقّق من خلالها الدفاع عن الدين والسلامة في الدنيا وإعلاء كلمة الحق، وهذا يتطلب منظومة عملية تُشرك الجميع في هذا الأجر والثواب، ومنها الجهاد بالأموال والكلمة مع ما أعدّه الله للمجاهدين من أجر وإن اختلفت أساليب الجهاد. ففي قوله (عليه السلام): «وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده وخُص الغمرات للحقّ حيث كان ولا تأخذك في الله لومة لائم»<sup>(١)</sup>.

يخضّر فعل الأمر مرتين لضرورة الالتزام بهذه الفريضة ولزوم الجهاد في سبيل الله لأنّه تجارة رابحة، فالمجاهد يتعامل مع الله الذي ضمن له النّجاة «يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم

(١) نهج البلاغة، ص ٥٤٩.

وأنفسكم». بالإضافة إلى استخدام النهي «ولا تأخذك»، وقد جاءت بمعنى النصح وعدم التأثر بلومة لائم من الذين يلومون الآخرين وينسون أنفسهم. وقد كرّر الإمام (عليه السلام) ضمير المخاطب ليؤكد دور الابن في الجهاد، لما له من أهمية في المجتمع، والحاجة الدائمة للاستعداد والتهيؤ لمواجهة الأعداء في كل الظروف. يتدرّج أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته مُحاولاً جعلها وثيقة للحياة، لا يطلع عليه ذو لبٍّ إلّا ووجد فيها منهاجاً يرسم معالم الطريق الموصل إلى الله تعالى. فبالإضافة إلى ما بيّنه من مستلزمات إحياء القلب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهمية الجهاد، يُشدّد على فضيلة أخرى لا يتمّ ما سبق إلّا بلزومها، والتّمرّس بها، ألا وهي الصّبر والتوكّل على الله في كلّ الأمور. يقول (عليه السلام) مخاطباً ابنه الحسن (عليه السلام): «وعود نفسك التّصبر على المكروه ونعم الخلق التّصبر، وألجئ نفسك في الأمور كلّها إلى إهلك، فإنّك تُلجئها إلى كهف حريز، ومانع عزيز، وأخلص في المسألة لرّبك فإنّ بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة»<sup>(١)</sup>.

«الأصل في التّوكل، إظهار العجز والإعياء، والتّوكل على الله هو انقطاع العبد إليه في جميع ما يأمله من المخلوقين»<sup>(٢)</sup>. أن يعود الإنسان نفسه على التّصبر، يعني أنّه بلغ مرحلة مهمّة من تزكية النّفس والتّسليم المطلق لله عزّ وجلّ. وهذا يعني أنّ عقبة كؤوداً ستكون أمامه ومرافقة له، وهذا ديدن الأنبياء والمصلحين الذين حاربوا على مدى الزّمن، لأنّهم أرادوا إعلاء كلمة لا إله إلّا الله. وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الصبر ثلاثة، صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية»<sup>(٣)</sup>.

من هنا، أولى الإمام عناية لتوجيه ابنه ولزوم التّعود على التّصبر، وأردف ذلك بجملة

(١) م.ن، ص ٥٥٠.

(٢) مجمع البحرين، ج ٤، ص ٥٤٦ (وك ل).

(٣) أصول الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٩١.

تجعل التَّصَبُّرَ ممدوحًا، دالًّا على الخُلُقِ الرفيع الذي يشمل من يتحلَّى به (ونعم الخُلُقُ التَّصَبُّرُ). فالأمر خرج عن معناه في كثير من المواضع كون الوصية تمثِّل توجيهًا تربويًا وأخلاقيًا، وكون فعل الأمر كان يُستتبع دائمًا بالنتيجة المترتبة عنه، أو بتفصيل المسببات الداعية لهذا الأمر. فالأمر عليه السلام لم يكتنف كلامه الغموض، بل عمد إلى تعليل كلِّ طلبٍ بغية التَّربُّغ فيه مع ما يمتلكه من عطفٍ أبويٍّ عند إرسال الخطاب. وكلُّ عملٍ سيكون ناقصًا ما لم يتمَّ فيه التَّوَكُّل على الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>. ومن آثار التَّوَكُّل الكفاية والرِّزْق؛ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تَوَكَّل على الله كفاه مؤنَّته ورزقه من حيث لا يحتسب»<sup>(٢)</sup>. وأيضًا الشعور بالعزَّة والكرامة والغنى؛ عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الغنى والعزَّ يجولان فإذا ظفرا بموضع التَّوَكُّل أو طنا»<sup>(٣)</sup>.

إنَّ فُرادة الإمام علي عليه السلام وبلاغته وتخيُّره الألفاظ التي تلبس المعنى تجعلنا نقف بذهول أمام عظمتِهِ. إنَّ استخدام الفعل «ألجئ» يدلُّ على الكثير الاطمئنان والتَّسليم تجاه من نريد اللجوء إليه، فكيف إذا كان هو الخالق الذي تفضَّل علينا وأخرجنا من ظلام العدم إلى نور الوجود؟ واللجوء في كلِّ الأمور إلى الله إنَّما يعني التَّسليم المطلق لإرادته، والاطمئنان إلى رعايته وحسن تدبيره الأمور للبشر، فإذا توصَّل الإنسان إلى هذه الدرجة من التَّسليم والرَّضا هانت عنده كلُّ الأمور وإن كانت عظيمة. ولم يكتفِ الإمام بالتوجيه للجوء لله تعالى، بل أضاف مُرغَبًا بأن يَبْنَ مدَى قوة الحصن الذي نلجأ إليه «كهف حريز، ومانع عزيز»، لا يُحَيِّب من التجأ إليه أو احتَمَى به. ويستتبع ذلك بطلب الإخلاص في المسألة «وأخلص»، فالله أعلم بالنوايا وهو أعلم بالمخلصين. من هنا، فإنَّ الإمام عليه السلام يسعى لترسيخ مبدأ اليقين بقُدرة الله تعالى على حلِّ المشاكل ورفع الهموم عن الإنسان إذا رأى

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٢.

(٢) ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٦٨٣.

(٣) بحار الأنوار، م. س، ج ٦٨، ص ١٢٦.

صبره ويقينه بقدرته واستعانت به.

نستطيع القول، إنّ فعل الأمر في هذه الوصيّة كان له حضور بارز، وهو من الآليات المتّبعة في الاستراتيجية التوجيهيّة على نطاق واسع. الهدف منه بلوغ مصلحة المرسل إليه، مُحمّلاً بكثير من الحرص في انتقاء المفردات المعبرة يسوقها مع الأدلّة المحفّزة على الالتزام بالأفعال المشار إليها. وهذه الأفعال بحدّ ذاتها تمثّل قيماً تربويّة هادفة إلى إصلاح الفرد وتنمية علاقته بمجتمعه وربّه.

### بد النّهي:

يشهد أكثر من عالم على التقارب وعدم الاختلاف بين الأمر والنّهي، فكلاهما يصدران عن صاحب المرتبة الأعلى إلى من هو في مرتبة دونه ومنهم المبرد بقوله: «واعلم أنّ الطلب من النّهي بمنزلة من الأمر، يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر»<sup>(١)</sup>. وللنّهي صيغة أصليّة يتلفّظ بها المرسل في خطابه إذ «للنّهي حرف واحد وهو لا الجازمة في قولك: «لا تفعل» على أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشّرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلاّ أفاد الترك فحسب»<sup>(٢)</sup>. لذلك نجد أنّ «النّهي طبقات بناء على السّياق التّداوي وذلك بمعرفة خصائص المرسل إليه من الضعف والقوّة، وكذلك الأمر المنهي عنه»<sup>(٣)</sup>.

جاء استخدام النّهي من قبل الإمام علي عليه السلام ليُكمل رسم الطّريق منوّعاً في الأساليب بين صيغة «لا تفعل» من جهة، والتّحذير عبر استخدام «إياك» من جهة أخرى، تبعاً للوصيّة والتّربية التي يُراد التنشئة عليها. لذلك نرى أنّه عندما تعلّق الأمر ببعض السّلوّكيات الفرديّة، والمعاملات الاجتماعيّة كالطّمع والظلم واللجاج وحقّ الأخ والأهل

(١) المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ج ٢، ص ١٣٤.

(٢) السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٧ م، ص ٣٢٠.

(٣) الشهري، م. س، ص ٣٥١.

فقد استُخدمت صيغة النهي للمُخاطَب لحثّه ونهيّه عن هذه الأفعال.

يقول ﷺ مخاطباً ابنه: «لا تظلم كما لا تحب أن تُظلم»<sup>(١)</sup>.

الظلم صفة مذمومة، وقد نزه الله تعالى نفسه عنه بقوله «وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»<sup>(٢)</sup>. والظلم يُقابله العدل. وهو من الحقوق المُتعلّقة بالنّاس والتي لا تسقط بمرور الزّمن، ولا تموت بموت القضية، بل تُلازم الإنسان حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ، فيأخذ كلّ ذي حقّ حقّه في ظلّ محكمة العدل الإلهية. لذلك أولى الأمير هذا الأمر أهمية قصوى في وصيّته، فشدد على أن يجعل الإنسان نفسه ميزاناً بينه وبين غيره. والوصية عندما تخرج من رجلٍ خبر الظلم ومرارته منذ بداية الدّعوة الإسلامية، وما رافقها من طغيان المشركين وأذيتهم، إلى وفاة الرّسول ﷺ، وما تبعها من أحداث تمثّلت بانحراف الأمّة عن مسارها بعد حادثة السّقيفة، إلى استشهاد الزّهراء ﷺ غاضبة على من غصب حقّها. هذه المظلومية نجد تجلياتها في نهج البلاغة بكثرة. فكما لا يتقبّل الإنسان وقوع الظلم عليه، وجب بالمقابل أن يتعد عن هذه الآفة لتحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع. ورُوي عن الرّسول ﷺ أنّه قال: «اتّقوا دعوة المظلوم، فإنّها تصعد إلى السّماء»<sup>(٣)</sup>.

بالمقابل، فقد ركّزت تعاليم الدّين الحنيف على تمكين العلاقات بين أبناء البشر من خلال التّعاون والتّشارك والاحترام والمحبة. هذه المبادئ كفيلة بتكريس الروابط المجتمعية والتي تُسهم في ارتقاء المجتمع الإنساني إلى أعلى المستويات، ومن ثمّ تحقيق أسمى القيم الاجتماعية التي تحكم علاقات النّاس بعضهم ببعض. وفي هذه الوصية يُقدّم الإمام ﷺ لابنه الحسن ﷺ نموذجاً عن كيفية انتظام العلاقات والتّعامل مع الآخرين وبخاصّة

(١) نهج البلاغة، م.س، ص ٥٥٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٥١.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣ م. ج ٩٠، ص ٣٥٨.

## التَّعَامُلُ مَعَ الْأَخِ.

وقد تَكَرَّرَت صِغَةُ النَّهْيِ عِنْدَ الْإِشَارَةِ إِلَى التَّعَامُلِ مَعَ الْأَخِ وَالْأَهْلِ، هَادِفَةً إِلَى تَزْوِيدِ الْمُتَلَقِّي بِأَسَسِ التَّرْبِيَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَنْظُمُ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ، أَوْ بَيْنَ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ. فَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضْعَتَ حَقَّهُ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَلَّتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ.»<sup>(١)</sup>.

تَكَرَّرَ لَفْظَةُ الْأَخِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى ضَمَائِرِ الْغَائِبِ الَّتِي تَحِيلُ عَلَيْهِ سِوَاءَ أَكَانَتْ مُتَّصِلَةً أَمْ مُسْتَرَةً. فَالْأَخُوَّةُ تَنْتَفِي بِتَضْيِيعِ حَقِّ الْأَخِ، وَيَأْتِي دَوْرُ نَوْنِ التَّوَكِيدِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْفِعْلِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ لِتَأْكِيدِ عَدَمِ قَطِيعَتِهِ، أَوْ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ (لَا تُضِيعَنَّ/ لَا يَكُونَنَّ/ لَا تَكُونَنَّ). وَيَلْعَبُ التَّضَادُّ دَوْرًا فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى (قَطِيعَتُكَ/ صَلَّتُهُ/ الْإِسَاءَةُ/ الْإِحْسَانُ). هِيَ رِسَالَةُ تَرْبِيَّةٍ تَحْتَ الْمُخَاطَبِ عَلَى تَمَتُّينِ أَوْ أَصَرِ الصِّلَةِ مَعَ الْأَخِ وَعَدَمِ قَطِيعَتِهِ تَحْتَ أَيِّ ظَرْفٍ مِنَ الظُّرُوفِ، لِأَنَّ ذَلِكَ سَيَسْهُمُ فِي الْقَضَاءِ عَلَى النَّسِيحِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَيُهْدِدُ الْعِلَاقَاتِ الَّتِي تَقُومُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ فِي حَالِ عَدَمِ التَّزَامِ الْمَخَاطَبِ بِهَا تُبْهِ عَنْهُ.

وَحِينَ يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِالطَّمْعِ، فَإِنَّ الْأَلْيَاتِ اللَّغَوِيَّةَ تَخْتَلِفُ، مِنْ اسْتِخْدَامِ النَّهْيِ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنَ الْقِيَامِ بِالْفِعْلِ. يَقُولُ ﷺ: «وَيْيَاكَ أَنْ تَوْجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمْعِ، فَتَوْرَدَ مِنْهَا هَلَكَةٌ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مَدْرَكٌ قِسْمِكَ وَأَخَذَ سَهْمِكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مَعَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) نهج البلاغة، ص ٥٦٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٦٥.

يقسّم الإمام (عليه السلام) كلامه على ثلاثة أقسام: تحذير، فأمر، فنتيجة. بدأ بالتحذير من الطّمع ومخاطره، إذ إنّ النتيجة الحتميّة له هي إيراد الإنسان الطّماع موارد الهلكة مُستخدمًا فعل المضارع الدالّ على الديمومة والاستمراريّة (فتوردك). كما إنّ لاستخدام الضمير المنفصل (إِيَّاكَ) متبوعًا بفعل، دلالة على المبالغة في التحذير من الطّمع الذي يحطّ من قيمة الإنسان وكرامته، مُشبّهًا موارد الطّمع بالمطايا والدّواب الجاحمة التي أرخيت أعتّتها، إذا ركبها الإنسان فقد زمامه واختياره، وأشرف على الوقوع في الهلكة. وقد استعار (عليه السلام) لفظ المناهل لموارد الهلاك، فالمنهل هو مورد الشّراب الذي يتدفّق فيأنس عنده الإنسان ويروي عطشه. أمّا المُفارقة هنا، فإنّ المنبع الذي تقوده إليه مطايا الطّمع فضلًا عن أنّه خالٍ من الماء، فهو يؤدّي إلى الهلكة أيضًا. فالطّماع سيسقط سقوطًا مُدوياً ولن يتمكّن من الوصول إلى طود النّجاة.

ثمّ يأتي الإمام (عليه السلام) بفعل الأمر «فافعل»، فيحثّ ابنه على قوّة الارتباط بالله، بحيث تكون العلاقة مباشرة معه من غير وسيط، لأنّه صاحب الفضل والعطاء، وصاحب النّعمة والإحسان عليه، أمره بالسّعي وتكفّل برزقه. أمّا النتيجة التي خلص إليها: فإنّ الرزق مقسوم ولن يخرج الإنسان من هذه الدّنيا قبل أن يستوفي رزقه. وعليه فإنّ العيش مقدّرٌ على الإنسان وعليه أن يأخذ نصيبه وسهمه من الرّزق بالعمل والسّعي الدّؤوب.

ويستخدم الإمام (عليه السلام) التحذير مرفقًا بالفعل في مواضع عديدة، لتأكيد النّهي والتحذير من بعض الأفعال التي تؤثر سلبًا في العلاقات الإنسانيّة. فالإمام (عليه السلام) يولي أهمية كبرى لها، ويضع الأسس المتينة للحفاظ على النّسيج المجتمعي بوصفه خبيراً في استنباط العلل المُضمرة في النّفس البشريّة وجنوحها نحو المعاصي والدّنوب، واضعًا العلاج المناسب الذي يُخلّص الإنسان من هذه الآفات الخطيرة، عبر الكشف عنها ووضعها تحت عدسة المجهر، لتشرّيحها بدقّة ومعرفة مخاطرها، وعزلها بغية معالجتها حتى لا تؤثر في بقيّة الملكات

النفسيّة. يقول ﷺ: «وإياك أن تجمع بك مطيّة اللّجاج... إياك أن تذكر في الكلام ما يكون مضحكاً، وإن حكيت ذلك عن غيرك»<sup>(١)</sup>.

يتكرّر الضمير المنفصل «إياك» مرّتين مع ذكر الفعل المنهي عنه، ونلاحظ استخدام «مطيّة» في غير موضع من كلام الأمير، فتارة يعبرّ عنها بصيغة الجمع وأخرى بصيغة المفرد، وهي في كلتا الحالتين تُعبّر عن الوسيلة الموصلة الإنسان إلى هدف معيّن، وبحسب السياقات التي وردت في نهج البلاغة فإنّ لها معنى سلبياً دائماً (مطايا الطّمع / اتّخذهم إبليس مطايا ضلال / مطيّة اللّجاج). فأن يحذّر الإمام ﷺ من جموح النّفس إلى الخصومات والعداوات، فلعلمه بالنتيجة المترتبة عنها، من زرع الضّغينة والبغضاء في القلوب، وتغليب العصبية التي نهى عنها الإسلام، فعندما يصرّ الإنسان على كلامه الباطل ولا يُقيم وزناً للمنطق والعقل مع وجود الحجب والبراهين المبطلّة صحّة كلامه، فإنّه ينجح نحو خصومة الآخرين في المجتمع، وهذا مدعاة لإفساد الخلق، وإبعاد الآخرين عنه.

ويأتي التحذير أيضاً مشفوعاً بنهي لتأكيد احترام الإنسان ذاته والمحافظة على كرامته، وعدم إراقة ماء وجهه بالمزاح ورمي الكلام من دون التّفكّر به، أو عرضه على العقل. فالكلام المضحك هو صناعة أهل الهزل والمجون، لا يخلو من سخرية وغيبة بهدف التّهريج وإضحاك الآخرين بغضّ النظر عن الطريقة، والتي غالباً ما ترتكز على السخرية وإيجاد المفارقات بين النّاس كوسيلة لإضحاكهم. «إياك أن تذكر.. مضحكاً...». فإذا كان الكلام المضحك مُستهجنًا فكيف إذا كان الابتداء بالكلام عن النّاس؟

هذه التّوجيهات التّربويّة التي هدف الإمام ﷺ إلى غرسها في المتلقّي، وإن كانت موجّهة للإمام الحسن ﷺ، باستخدام ضمير المُخاطب، إلّا أنّها تمثّل دستوراً في الحياة، وفي كيفية التّعامل مع الآخرين، بأدبٍ واحترام، مع حفظهم في حضورهم وغياهم.

(١) نهج البلاغة، ص ٥٦٢ / ٥٦٥.

## ٢. الاستراتيجية الإقناعية:

كانت استراتيجية الإقناع واضحة في القرآن الكريم وأقوال الرسول ﷺ فضلاً عن كثير من الخطابات التي سبقت تلك الفترة. وقد «تبلورت في كثير من العلوم، مثل علوم الفقه وأصوله وعلم الكلام والعلوم اللغوية»<sup>(١)</sup>. وقد بلورها ابن خلدون في مقدمته الشهيرة عند حديثه عن علم أصول الفقه، بوصفه آلية الإقناع المثلى معتبراً أنه «معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم... ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد، من الحدود والآداب، في الاستدلال، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه»<sup>(٢)</sup>.

يسعى المرسل في خطابه إلى تحقيق هدفٍ معيّن. فهو لم يستخدم آلياته المنطقية وسواها عبثاً، إذ يضع كلّ ما تملكه من ثقافة ورؤية مستقبلية وخبرة لغوية في إنتاج خطابٍ وإِِع ومسؤول، يستطيع به إقناع المرسل والتأثير فيه فكرياً، سلوكياً، تربوياً، مبتعداً عن الإكراه متوسلاً الإقناع بالحجج الدامغة والبراهين الواضحة.

من الآليات اللغوية المستخدمة في الاستراتيجية الإقناعية: الاستفهام، القسم، أفعال الكلام، ومن الآليات البلاغية: الاستعارة والتشبيه والتكرار، ومن الآليات شبه المنطقية: السلام الحجاجية، والروابط الحجاجية، وأساليب التوكيد المختلفة.

## مسوغات استعمال استراتيجية الإقناع<sup>(٣)</sup>:

- تمتّعها بالديمومة والاستمرارية، كونها لا تُخضع المتلقي للضغط والإكراه، وإنّها تتأتّى من حصول الاقتناع لديه، لذلك يُعدُّ تأثيرها أقوى فيه.

(١) الشهري، م.س، ص ٤٤٧.

(٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، ط ٢، ٢٠٠٠م، ص ٤٢٨.

(٣) ينظر الشهري، ص ٤٤٥.

- اعتماد الحجاج الذي ينمي الخطاب، ويولّد الأفكار بغية التأثير في المُتلقّي وتوجيه سلوكه.

- احترام ثقافة المُتلقّي، ودفعه للعمل بالشيء بعد حصول الاقتناع به.

- أهميّة هذه الاستراتيجية لما تحقّقه من نتائج تربويّة، عبر استخدام الحجج والبراهين والمنطق، والتي لا تدع مجالاً للشكّ عند المُتلقّي بصوابيّة دعوة المُرسِل.

تكتنز هذه الوصيّة بالكثير من الاستراتيجيات، ومنها الاستراتيجية الإقناعيّة التي تدفع المُخاطب إلى التسليم والانقياد لقوّة الحجّة والبرهان، مُنساقاً عبر سحر البيان، وطواعيّة اللغة المُعبّرة عن أدقّ التفاصيل، كيف لا؟ وقد استطاع الإمام (عليه السلام) التصرّف في اللغة وصبّها في قوالب عبّرت عن شخصيّة الفريدة، فمنحته قيادها فكان كلامه فوق كلام البشر. ولم يكن الخطاب العلوي موجّهاً إلى متلقٍ خاص، وإن كان ظاهره يشي بذلك، إلا أنّه كان يمتلك مقومات الوقوف بوجه الزّمن ويتجاوزه، مُتعالياً على الزّمان والمكان ليغدو خطاباً (كونياً). وفي كلامه الحجاجي وظّف (عليه السلام) الآليات اللغويّة بما فيها من تعليل واستخدام لأسلوب الشّرط والتوكيد، والروابط الحجاجيّة، بالإضافة إلى الصّيع الصّرفيّة والآليات البلاغيّة. ولأنّ مجال بحثنا ضيّق فإنّنا سنختار نماذج قد تجتمع فيها عدة آليات في الوقت عينه لتكون دراسة النموذج كاملة وغير مُجزّأة:

ففي قوله (عليه السلام): «اعلم أنّ مالك الموت هو مالك الحياة، وأنّ الخالق هو المُميت، وأنّ المُقني هو المُعيد، وأنّ المُبتلي هو المُعافي، وأنّ الدّنيا لم تكن لتستقرّ إلا على ما جعلها الله عليه من النّعماء، والابتلاء، والجزاء في المعاد. فإنّ أشكل عليك شيء من ذلك، فاحمله على جهالتك به، فإنّك أوّل ما خلقت خلقت جاهلاً ثمّ علمت. فاعتصم بالذي خلقتك ورزقك وسوّاك، وليكن له تعبّدك، وإليه رغبتك»<sup>(١)</sup>.

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٣.

تؤدّي الثنائيات الضديّة دورًا بارزًا في هذا المقطع (الموت/ الحياة، الخالق/ المميت، المُقني/ المُعيد، المُبتلي/ المُعافي، النعماء/ الابتلاء، جاهلاً/ علمت، الدّنيا/ المعاد. فالله تعالى وحده من يمتلك هذه الصّفات التي تُدّل على عظمته وكبريائه وجبروته، بيده ملكوت كلّ شيء، وإليه يرجع الأمر كلّ. ولمزيد من الإقناع يوظّف الحرف المُشَبّه بالفعل «أنّ» أربع مرّات للدّلالة على قدرة الله تعالى على الإحاطة بكلّ الأمور: الدّنيويّة والأخرويّة، ويُردّفه بتكرار ضمير الشّأن «هو» لمزيد من التأكيد. وقد ساق هذه المقدّمة ليبيّن حال الدّنيا مع ما فيها من مفارقات عجيبة، فهي دار النّعماء والابتلاء، وهي المؤثّر على مصير الإنسان يوم الجزاء. في هذه التركيبة المؤلفة من تأكيد ونفي واستثناء «وأنّ الدّنيا لم تكن لتستقرّ إلّا على ما جعلها الله عليه» تسليماً لقضاء الله، وأنّه لم يخلق الدّنيا عبثاً بل لهدف، فجعلها دار ممرّ يمهد للآخرة أي دار المقرّ، وأنّ الدّنيا بُنيت على النّعماء والابتلاء، فالله تعالى أدرى بمصلحة العبد، وهو الذي يُجاذبه إمّا في الآخرة أو غيرها، لأمر هو الأعلم بها ولا يُطلع عليها أحداً. بعد ذلك ينتقل إلى الأسلوب المباشر واستخدام ضمير المُخاطب متوجّهاً إلى ابنه عبر جملة شرطية «إن أشكل/ فاحمله»، ليبيّن أنّ الإنسان مهما بلغ من العلم إلّا أنّه لا يستطيع الوصول إلى العلم المُطلق بكلّ حقائق الأمور، ومن خلق جاهلاً حقيق أن يكون جهله مدّة عمره أكثر من علمه، لينهي المقطع بصيغة الأمر (فاعتصم/ وليكن) وهما خلاصة الوصيّة الموصلة إلى الاعتصام بالله وعبادته لأنّه أهلّ لذلك لما أفاض على الإنسان من فيوضات الرّحمة والنّعم والإحسان.

نلاحظ ممّا سبق اعتماد الإمام علي عليه السلام على التّدرج في الأساليب المنطقيّة للوصول إلى الهدف. فبعد تبيان صفات الخالق الجامع الأضداد، عبر الطّباق والتّوازي والتّكرار، بيّن أحوال الدّنيا مُرجعاً كلّ أمورها لله، يتصرّف بها حسب مشيئته وما يراه من مصلحة العبد، وأنّ الإنسان لم يبلغ من العلم إلّا قليلاً، وذلك عبر استخدام أسلوب الشّرط، وبعد التأكيد من تهيه المُتلقي ذهنياً ونفسياً لقبول النصيحة، يستخدم الأسلوب المباشر في الخطاب لأنّ

الهدف هو تمتين العلاقة مع الله والتسليم المطلق له، ولا يكون ذلك إلا بالانقطاع التام إليه وعبادته كما يستحق العبادة. وبذلك يكون قد وضع أسس التربية الاعتقادية التي تقوي العلاقة مع الله تعالى، لا عن طريق الرّهبة أو الرّغبة بل لأنّه مُستحقّ لذلك.

وعندما أراد البرهان على وحدانيّة الله قال ﷺ: «واعلم يا بنيّ، أنّه لو كان لربّك شريك لأتتكَ رسله، ولرأيت آثار مُلكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه، لا يُضادّه أحد، ولا يزول أبدًا، ولم يزل، أوّل قبل الأشياء بلا أوّلِيّة، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية... فإذا عرفت ذلك، فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعل في صغر خطره، وقلة قدرته، وكثرة عجزه، وعظيم حاجته إلى ربّه في طلب طاعته... فإنّه لم يأمرك إلا بحسّن ولم ينهك إلا عن قبيح»<sup>(١)</sup>.

من الأدلّة على وحدانيّة الله تعالى، نفى وجود شريك معه، لأنّ الشّراكة توجب العجز والنقص، والله تعالى مُنزّه عن النقص والعجز. ولإثبات ذلك عمد الأمير ﷺ إلى استخدام أسلوب الشّرط، مُتصدّرًا بأداة شرط غير جازمة «لو» وهي حرف امتناع لامتناع، مع جواب الشرط المقترن باللام ثلاث مرّات متتالية. فامتناع وجود شريك نفى إمكانيّة إرساله الرسل، بالإضافة لانعدام وجود آثار تدلّ عليه أو تُظهر صفاته وأفعاله. ونلاحظ دقّة اختيار الأفعال وما ينسجم معها من نتائج (لأتتكَ / لرأيت / لعرفت). فمعرفة الله هي معرفة فطريّة وفكريّة وعقليّة، بعث الأنبياء، وأبدع في خلقه، وكلّ ما في الوجود يدلّ عليه، فلم تقتصر معرفته على بابٍ واحد، بل تعدّدت السُّبل الموصلة إليه والدّالة عليه. ثمّ يستدرك عبر الرابطة «لكن» ليؤكد وحدانيّته بعد نفى الشّراكة عنه، مبيّنًا صفاته التي لا تخصّ غيره سبحانه، وهو السّرمديّ الذي لا بداية للملكه ولا نهاية. وقد عبّر الإمام ﷺ عن ذلك بجملتين متوازنتين متضادّتين (أوّل قبل الأشياء بلا أوّلِيّة - آخر بعد الأشياء بلا نهاية). فهو الكمال المطلق الذي يعجز القلب والبصر عن الإحاطة ببروبيّته. بعد هذه

المُقدّمات يصل إلى الهدف المُتحصّل من معرفة الله تعالى ألا وهو التزام طاعة الله والأمن من عقوبته عبر استخدام الأمر «فافعل كما ينبغي لمثلِكَ أن يفعله»، مستخدماً التقابل الذي يبيّن عجز الإنسان وحاجته إلى الله في كلّ أموره (قلّة مقدرته - كثرة عجزه). وكما أثبت (عليه السلام) صفة الوجدانيّة لله في بداية المقطع، أنهى بجملتين متقابلتين تثبتان صفة الرّحمة الإلهيّة، فقد تولّى الله الإنسان برعايته وعنايته، فكانت أوامره ونواهيّه تصبّ في مصلحة الفرد (لم يأمرك إلا بحسن - لم ينهك إلا عن قبيح).

من هنا، نستطيع القول، إنّ أسلوب الشرط أدّى دوراً في سوق الحجج والبراهين الدّالة على وحدانيّة الله، يعضده في ذلك التّقابل بين الجمل الذي يبيّن أنّ وجود الله قبل الأشياء وبعدها، بالإضافة للتأكيد عبر استخدام النفي والاستثناء عند الوصول للنتيجة الدّالة على اتّساع الرّحمة الإلهيّة لأنّ الله تعالى أخبر بمصلحة الإنسان فاختار له الأحسن ونهاه عن كلّ قبيح.

فضلاً عنّا سبق، فإنّ المُخاطب يعمد أحياناً إلى وصف الحال نفسه في وضعيتين تنتميان إلى سياقين متقابلين، ويمكن أن تكون الحجج نقلاً لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه. يقول الإمام عليّ مخاطباً ابنه الحسن (عليه السلام): «اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، وكره له ما تكره لها، وأحسن كما تحبّ أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من النّاس بما ترضاه لهم من نفسك. ولا تقل ما لا تُحبّ أن يُقال لك»<sup>(١)</sup>.

يتسيّد فعل الأمر على المشهد في خطاب مباشر من خلال الموازنة بين ما يجب الإنسان لنفسه وما يجب عليه أن يكون من محبّته للنّاس، فكفتا الميزان يجب أن تكونا متوازنتين بين حبّ الإنسان نفسه وحبّه الآخرين، بحيث تتوضّح هذه العلاقة لتكون مرآة عاكسة

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٥.

أحوال النفس البشريّة بما فيها من صفاء ونقاء إذا ما طبّقت هذه القاعدة. لذلك تتوزّع الضمائر بين المخاطب المفرد العائد للإمام الحسن (عليه السلام) وبين ضمير الغائب العائد للغير. إنّ تكرار الأفعال تارة بصيغة الأمر وأخرى بصيغة المضارع يفصل بينهما الاسم الموصول «ما»، بالإضافة إلى التّقابل بين الجمل قد أضفى على الخطاب مسحة فلسفيّة ومنطقيّة. وهذه التعليقات بلا شكّ تقع في صلب التربية الاجتماعيّة والفرديّة.

وفي إطار التّغريب بالدّعاء والتّوبة وما لهما من دور في تربيّة الفرد خُلقيّاً يقول (عليه السلام): «واعلم أنّ الذي بيده خزائن السّماوات والأرض قد أذن لك في الدّعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرّك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك»<sup>(١)</sup>.

الدّعاء سلاح المؤمن، وهو الطريق الأقرب للارتباط بالله تعالى؛ ومن أعظم النّعم أن أبقى الله تعالى بابه مفتوحاً أمام عباده يتقرّبون إليه بالدّعاء سرّاً وجهراً، ويتضرّعون له خوفاً وخشيّة، وهو إلى ذلك وعدهم بالإجابة، لأنّه أقرب إليهم من حبل الوريد، وحثّهم على الدّعاء، لأنّه سبيل الرّشاد؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقرن الدّعاء بالعبادة وجعله جزءاً لا يتجزأ منها، وتوعّد المُستكبرين والمُعْتدين الذين يستهينون بأداء حقوق الله بالعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. وجعل الدّعاء مُقدّساً، به تسمو الرّوح نحو الدّرجات العلا والمراتب الرّفيعة التي يُحصّلها الإنسان بالتزام رياضاته الرّوحيّة ليلبغ مدارج الكمال.

(١) م.ن، ص ٥٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٨٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية: ٥٥.

(٤) سورة غافر: الآية: ٦٠.

فالله تعالى ليس بحاجة لدعائنا ولا تضره معصيتنا، ولكنه تكرم علينا بفضلته وجوده، وأبقى لنا باب الدعاء مفتوحاً رأفة ورحمة وتفضلاً. ويقول تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾<sup>(١)</sup>. ويكون الاضطرار عندما يقطع الإنسان أمله من كل شيء ويتوجه بقلبه وروحه إلى واجب الوجود الذي يخضع كل شيء لسلطانه وعظمته.

إلى جانب ذلك فقد ورد عن رسول الله ﷺ حثه على الدعاء، فقال: «الدعاء مع العباد، ولا يهلك مع الدعاء أحد»<sup>(٢)</sup>. فقد قرن الدعاء بالعبادة، وجعله جزءاً لا يتجزأ منها كونه يمثل الارتباط الواعي بالله تعالى، وحاجة الإنسان ليلجأ إليه في كل أموره لأنه الميسر والمسهل لها.

إن الإذن بالدعاء يعني أن أملاً كبيراً قد أعطي للإنسان ليكون على علاقة متينة مع ربه مع ما ضمنه الله له من الإجابة «وتكفل لك بالإجابة». فربط بين السبب والنتيجة عبر لام التعليل مرتين (تسأله ليعطيك / تسترحه ليرحمك)، إذ بدأ الإمام (عليه السلام) خطابه بالترغيب بالدعاء مُستخدماً «قد» قبل الفعل الماضي ليؤكد هذه الكرامة التي خصَّ الله عبده بها وهي الإذن بالدعاء. بعد الترغيب، عمد إلى إزالة اليأس والخبية من قلب الداعي. فيقول (عليه السلام): «ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه. ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعالجك بالنقمة، ولم يعيرك بالإنابة، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يُشدِّد عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشك في الجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشرة، وفتح لك باب العتاب».

(١) سورة النمل: الآية: ٦٢.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، تحق: السيد ابراهيم الميانجي ومحمد الباقر البهبودي، ط ٢، ١٩٨٣م، ج ٩٠، ص ٣٠٠.

كان لتكرار الأفعال المنفيّة المسبوقه بـ «لم» دور في تبيان العطف الإلهي ورحمته للبشر (لم يجعل / لم يلجئك / لم يمنعك / لم يعاجلك / لم يعيرك / لم يفضحك / لم يُشدد / لم يناقشك / لم يؤيسك)، هذه الأفعال انقلب معناها بفعل النفي لتغدو أفعالاً محفزة الإنسان على اللجوء لله في كلّ أموره لأنّه لا يُعامل العبد بعمله، ولم يوكله إلى غيره، بل ستر عليه وفتح له باب التّوبة. وفي هذا نفي للعقوبة. ولزيد من التّغيب، يستخدم الرابطة «بل» ليستعرض التسهيلات المُقدّمة والنتائج المترتبة عن ترك الذّنب (حسنة) إلى جانب المفاضلة المغرية بين احتساب السيئات والحسنات. وفي هذا إثبات للمغفرة. وبعمليّة بسيطة فإنّ ناتج الحسنات أكبر بكثير من ناتج السيئات إذا ما لجأ الإنسان إلى التوبة وطلب الغفران من الله تعالى.

نلاحظ تشكّل الخطاب بين ضميرين: الغائب المستتر الذي يحيل إلى الله عزّ وجلّ، وضمير المخاطب المتمثل بأغلبه بكاف الخطاب. فالعلاقة هنا بين طرفين: الخالق والمخلوق، وبقدر ما يكون المخلوق مسلماً أمره للخالق مُتسلّحاً بالدّعاء، تكون النتائج باهرة؛ لذلك يُكمل الإمام (عليه السلام) في تبيان آثار الدّعاء فيقول: «وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره، من زيادة الأعمار، وصحّة الأبدان، وسعة الأرزاق، ثمّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدّعاء أبواب نعمته، واستمطرت شأبيب رحمته».

إنّ التّغيب بالدّعاء لم يقتصر فقط على النتائج الأخرويّة والتّمهيد لها، بل شمل الآثار المترتبة على الدّعاء في دار الدّنيا أيضاً. فالإمام علي (عليه السلام) بنظرته الثّاقبة لم يكن ليهمل هذا الجانب لعلمه بتعلق قلب الإنسان بالدّنيا، فإذا بنا نلمس آثار الدّعاء (من زيادة الأعمار / صحّة الأبدان / سعة الأرزاق). يلي ذلك استخدام الرابطة «ثم» والتي تدلّ على التّرتيب مع تراخٍ في المهلة الزّمنيّة ليستعرض كرم الله ورحمته، بأن جعل الدّعاء باباً لكلّ نعمة ولكلّ رحمة، وجاء الظرف «متى» ليدلّ على أنّ باب الله مفتوح لعباده على الدّوام. ولا بدّ من

أن نشير إلى صيغة الفعلين «استفتحت/ استمطرت»، وهما على وزن استفعل الذي يفيد المشاركة، ليدلّ على أنّ الأمر بيد الإنسان، إن أراد شموله بالرحمة والنعمة فعليه بالدعاء.

إذن استوفى الإمام علي (عليه السلام) كلامه عن التّغيب بالدّعاء وآثاره الدنيويّة والأخرويّة بما رصد لها من آليات بلاغية ولغوية لحثّ المتلقّي على الدّعاء والتّوبة، إلّا أنّه لم يغفل عن تبيان أسباب عدم الاستجابة في بعض الأمور، وذلك لعدم تيّس المخاطب. فساق من أجل ذلك بعض الحجج التي تزيد من أمل الإنسان بتحقيق الإجابة. فقال (عليه السلام): «فلا يُقنطنك إبطاء إجابته، فإنّ العطيّة على قدر النّيّة. وربّما أخّرت عنك الإجابة، ليكون ذلك أعظم لأجر السّائل، وربّما سألت الشيء فلا تؤتاه، وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صُرف عنك لما هو خير».

نهي فتأكّد فتعليل؛ النهي عن القنوط واليأس «فلا يُقنطنك»، والتأكيد على سلامة النّيّة والثقة بالله ثقة مطلقة مهما كانت النتائج. فالإبطاء في الإجابة كما يبيّن أمير المتّقين، إمّا أنها تتعلّق بتقصير في طلب وعدم صفاء نيّته «العطيّة على قدر النّيّة»، وإمّا لها علاقة بالمشيئة الإلهيّة. وهنا يأتي دور التعليل لبيّن العلة من وراء التأخير «ليكون ذلك أعظم لأجر السائل». أمّا في حال سأل الإنسان ربّه ولم يؤت طلبه فهذا يجعلنا أمام احتمالين، وكلاهما يصبّ في مصلحة الإنسان؛ الأوّل تعويضه بما هو خير، والثاني صرف عنه لما هو خير.

إذن بهذا العرض بيّن الإمام (عليه السلام) أهميّة الدّعاء وفصلّ في الموارد التي تتأخّر فيها الإجابة كي لا يقع الإنسان في القنوط واليأس. وقد ساق لذلك الحجج والبراهين الدّامغة التي لا تترك في نفس المتلقّي أدنى شكّ من رعاية الله لعباده ورأفته ورحمته لهم.

## الخاتمة

في ختام بحثنا، وفي رحاب وصيّة الإمام علي لابنه الحسن عليه السلام نشير إلى أنّ خطاب الأمير في وصيّته لا يمكن أن تنهض به دراسة محدودة، فالإمام شخصية ثقافية نموذجية له تجربته الفريدة، وهو القائد النموذجي الذي لم يترك أي منحي من مناحي الحياة إلا وسلط الضوء عليه، ليكون الناس على بينة من أمرهم. من هنا، فإنّ خطاب الإمام علي عليه السلام في وصيّته قد: وضعنا أمام قائد نموذجي برساليته وثقافته وإمكاناته العقلية والنفسية والأخلاقية، وأب رحيم عطوف حاول إيصال خبراته وتجاربته لتكون الدرب سالكة لمن وصلهم خطابه. فهو وإن كان موجّها لابنه، إلا أنّه أخذ طابع الشمولية ليكون درساً قيماً وأخلاقياً وتربوياً.

مثّل الخطاب عبر هذه الوصيّة فعل بناء وإعداد لإنسان المستقبل، عبر رؤية نافذة مستشرقة الآتي، ليكون الإنسان على دراية بيكيفية تزكية نفسه، ومحافظته على الروابط الاجتماعية وتمتين العلاقة مع الله تعالى.

يعدّ أيضاً خطاباً مُنتجاً للثقافة، عبر فهم المشكلات التي يُعاني منها الإنسان، والتحديات التي تواجهه، حيث إنّهُ عليه السلام فنّد كلّ المسائل التي تناوّلها، مرغّباً بكلّ جميل، ومحذراً من كلّ أمر سيء، مستخدماً الأمر والنهي تارة، والإقناع طوراً آخر.

لم يكن خطاباً متعالياً وإن استخدم فيه الأمر والنهي، فلقد احترم ثقافة المتلقي وتعامل معه بوصفه شريكاً وعقلاً وكائنًا بشرياً يقع على عاتقه إكمال المشروع التوجيهي والتربوي.

استخدم الإمام عليه السلام في خطابه لغة فيها من السحر والبيان ما يُغني العقول ويسلب الفؤاد، فقد تخرّ ألفاظه بعناية لتكون موافقة لمقتضى الحال، بأفضل ما يكون من المعاني والألفاظ.

الخطاب غني وبحره زاخر لمن أراد الاغتراف منه. فكان للاستراتيجية التوجيهية دور في توجيه المرسل إليه، وكذلك الاستراتيجية الإقناعية التي بنى عليها أدلته وبراهينه بدقّة للوصول إلى النتائج وإقناع المتلقي بها.

لا بدّ من رفق هذه الدراسة ببحث متّمس تتناول فيه الاستراتيجيات المتبقية كالتضامنية والتلميحية، والتي كانت تؤشر لنا إلّا أن المساحة المفردة لهذا البحث لم تكن تسمح بالإشارة إليها.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ١ - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، ط٢، ٢٠٠٠م.
- ٢ - أيوب، نبيل، التعبير منهجيته وتقنياته، بيروت، دار المكتبة الأهلية، ٢٠٠١م.
- ٣ - حسب الله، علي، أصول التشريع الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٧، ١٤١٧هـ.
- ٤ - دي سوسير فرديناند، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ونجيد نصر، لبنان، دار نعمان للثقافة، ١٩٨٤م.
- ٥ - زيتون علي، عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلامية، بيروت، معهد المعارف الحكمية، ٢٠٠٧م.
- ٦ - السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٧م.
- ٧ - السمعاني، أبو مظفر، قواطع الأدلة في الأصول، تح: محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.
- ٨ - السيد حسين نجيب محمد، وصايا العرفاء، بيروت، دار المحجة البيضاء.
- ٩ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، بيروت، دار المعارف.
- ١٠ - الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، ليبيا، دار الكتاب الجديد.
- ١١ - عبد الكريم، رضوان، لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب، ٢٠١٥م.

١٢- العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز، تدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٣- الغانمي سعيد، البنيويّة، في كتاب معرفة الآخر، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م

١٤- الغذامي عبد الله، النقد الثقافي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م.

١٥- فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ٢٠٠٩م.

١٦- الكليني، الكافي، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، سنة ٢٠٠٠م.

١٧- المجلسي، بحار الأنوار، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

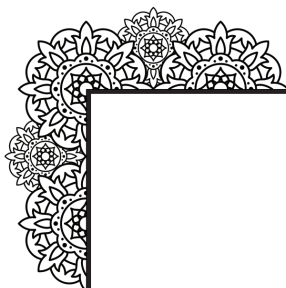
١٨- المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.

١٩- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م.

20-Benvenistee, problem de linguistique generale, parie, gal-lemard. 1966

21-Kent Bach: linguistique communication and speech acts, Ibid. 20

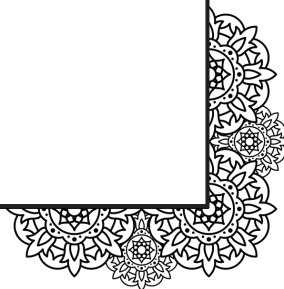




**بناء الفرد في نهج البلاغة**  
**عبر تذكيره بيوم القيامة ومصاحباته المختلفة**  
**- دراسة دلالية -**

الباحث  
م د قحطان هادي حسن الجليحاي

جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية  
قسم اللغة العربية



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

وبعد: فإنّ كتاب نهج البلاغة معين لا ينضب لمختلف الدراسات اللغوية؛ ومنها عنوان هذا البحث: (بناء الفرد في نهج البلاغة عبر تذكيره بيوم القيامة ومصاحباته المختلفة - دراسة دلالية). وفكرة البحث تقوم على أنّ مبدأ الوعظ والإرشاد في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن على نمط واحد من القول، فمرة يرغب الناس بثوابه تعالى، وأخرى يخوفهم من عذابه وعقابه تقدّست أسماؤه، وتارة يبين النعم والمنن التي تكرّم بها على الإنسان، تلك التي يستحق القليل منها الشكر والثناء عليه، لا إله إلا هو، فكيف وهي كثيرة يستحيل عدّها. وقد قسم الباحث البحث إلى تمهيد: يختصر فكرة إصلاح الفرد في نظر الإمام علي (عليه السلام)، باستعمال الكلام الموجه إليه مع مراعاة الميول النفسية له، من رغبة ورهبة وغيرهما.

في حين جاء المبحث الأول يرصد ثلاث قطع وعظية إرشادية انتقاها الباحث لتكون عينات تتناسب مع التقسيمات التي وضعها الباحث، والاقتصار على هذه العينة إنّما كان ليتناسب وحجم البحث والدراسة.

أمّا المبحث الثاني، فكان خاصاً بالدلالة المعجمية للألفاظ الواردة في كلّ نصّ، ومن ثمّ الدلالة التركيبية أو النحوية التي تكشف المعنى العام للنصّ. ومع كثرة الشروح لهذا السفر النفيس، إلّا أنّ الباحث لم يرجع إليها كثيراً في بيان الدلالة التركيبية، كي لا يكون البحث عبارة عن نقل من تلك الشروحات، بل اعتمد على ما أفرزته الدلالة المعجمية مع مراعاة سياق الحال الذي قيل فيه النصّ اللغوي.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

### التمهيد: بناء الفرد المسلم في نظر الإمام علي (عليه السلام):

لا شك أن بناء الفرد في فلسفة الإمام علي (عليه السلام) مبني على الأساس الذي أراده الحق سبحانه وتعالى، وهو أن يكون الإنسان عامة، والمسلم خاصة، طائعاً لله سبحانه وتعالى، ملتزماً بأوامره ونواهيه تعالى شأنه. وجاء ذلك واضحاً صريحاً في قوله عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: (لينقادوا ويخضعوا لي، وانقيادهم وخضوعهم هو استمرارهم على مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ)<sup>(٢)</sup>، وقصد به العلم والعمل الصالح الموصل إلى عبادة الله حق عبادة<sup>(٣)</sup>. فالعبادة الحقّة هي بناء للفرد؛ لأنها تعني التخلّق بالمنظومة الأخلاقية للإسلام، وهي كفيلة ببناء الفرد والمجتمع بناءً يضمن له خير الدنيا والآخرة، وذلك غاية ما يطمح إليه كلّ إنسان.

والعبادة في فكر الإمام علي (عليه السلام) تتحقّق بسبب ثلاثة دوافع فكرية جمعها الإمام بقوله: (إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَنِلَتْ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَنِلَتْ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَنِلَتْ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ)<sup>(٤)</sup>. ومن الحديث الشريف يمكن أن نقسّم أصناف العبادة في فكر الإمام علي (عليه السلام) إلى ثلاثة أصناف:

**الأول:** بناء الفرد عبر ترغيبه بما أعدّ الله للطائعين من خير الدنيا والآخرة (عبادة التجار).

**الثاني:** بناء الفرد عبر تذكيره بعذاب الله وعقابه للعاصين (عبادة العبيد).

**الثالث:** بناء الفرد بعد إيمانه بأنّ الله المنعم المتفضل الذي يستحق الشكر والثناء على تلك النعم (عبادة الأحرار).

(١) سورة الذاريات: الآية: ٥٦.

(٢) تفسير السمعاني: ٥/ ٢٦٤.

(٣) ينظر مفردات الراغب الاصفهاني: ٣/ ١٢٠٦.

(٤) نهج البلاغة (ت: الشيخ فارس الحسون): ٧٢٩.

وليس بالضرورة أن تكون هذه الأصناف الثلاثة تمثل ثلاثة أشكال من الناس، فالفرد نفسه قد يمثل الأشكال المذكورة آنفاً، فساعة الخوف ترى منه عبادة الخائف من عقاب الله، ولحظة الرغبة يدعو طمعاً في إحسانه، وهكذا الحال للقسم الأخير.

فأحاديث الإمام ربما كانت موجهة للفرد نفسه في حالاته الاجتماعية المختلفة.

## المبحث الأول

في هذا المبحث يدرج الباحث بعضاً من المواضع التي ذكر فيها الإمام علي (عليه السلام) مصاديق لما جاء في حديثه الشريف، كترغيب الناس بثواب العمل الصالح، والجنان التي أعدّها الله لهم، ليطمعوا بها، ويعملوا للفوز بنعيمها، والقرآن الكريم كان يراعي ذلك الأمر في عشرات من آياته، كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، والبشارة هنا بكل ما ذكره الحق سبحانه من باب الترغيب على الإيمان والعمل الصالح<sup>(١)</sup>، ومثله ما جاء في السنة المطهرة نذكر منه، على سبيل المثال، ما روي عنه (عليه السلام) أنه قال: (مَنْ غَدَا أَوْ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ غَيْرَهُ لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا، أَوْ يُعَلِّمَهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَجَعَ غَانِمًا)<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون الوعظ عبر الترهيب والتهويل من نار جهنم وعذابها، فكل إنسان تولد معه غريزة الخوف مع غرائز آخر بدرجات تختلف من فرد إلى آخر. وقد راعى القرآن الكريم هذه المسألة أيضاً، فجاءت كثير من آياته تحرك هذه الغريزة كدواء للرجوع إلى الطريق الحق، وعلاج لمن غفل عن الحساب أو نسي العقاب يوم القيامة. قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فقل في معنى الآية: (تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيكونون كما كانوا)<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر تفسير البيضاوي: ٥٩/١.

(٢) الموطأ لمالك بن أنس: ٢/٢٢٣.

(٣) سورة النساء: الآية: ٥٦.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٢/١٣٦١.

وربما كان التذكير عبر مبدأ الشكر والتفضل، انطلاقاً من نظرية إنسانية يتعامل بها المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان، وهي أنّ الفرد في هذا المجتمع يشكر من قدم إليه معروفاً، صغيراً كان أم كبيراً.

فإذا كان المنعم هو الله بشتى أشكال النعم الظاهرة والباطنة التي نشعر بها والتي لا نشعر، وهي كثيرة، فسيكون الشكر أعظم والجزاء أكبر. قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على معنى: (أي: أنعمه لا تحصوها لا تطيقوا الإتيان على جميعها بالعدّ لكثرتها)<sup>(١)</sup>. وقد حثّ رسول الله ﷺ على شكر النعم التي أنعم الله علينا بها لاستدامتها، ف (عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَسَلَّمَفَرَأَى فِي بَيْتِي كِسْرَةً مُلْقَاةً فَمَشَى إِلَيْهَا فَشَمَّهَا، ثُمَّ أَكَلَهَا فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ فَإِنَّهَا قَلٌّ مَا نَفَرْتُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

وبعد مراجعة كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، وجد الباحث أنّ مصاديق الأقسام الثلاثة في الكتاب كثيرة، ومن العسير الوقوف على جميعها بما يتناسب وخطة البحث؛ لذلك اختار الباحث ثلاثة نصوص من كلامه (عليه السلام)، وكلّ نصّ يمثل قسماً من أقسام العبادة التي مرّ ذكرها. ومن ثمّ وقف الباحث على تلك النصوص بالبحث والشرح كما هو مبين في خطّة المذكورة آنفاً، وهذه النصوص هي:

قال الإمام علي (عليه السلام) في وصف الجنة التي وعد الله عباده الطائعين: (فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفْتَ نَفْسَكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَائِهَا، وَرَزَخَرِفِ مَنَاطِرِهَا، وَلَذَهَلْتَ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارِ غُيَيْتِ عُرْوُفِهَا فِي كُثْبَانِ الْمُسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ

(١) زاد المسير: ١٤/٢.

(٢) شعب الإيمان: /٣٠٧.

تِلْكَ النَّارُ مُخْتَلِفَةٌ فِي غُلْفِ أَكْثَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنِيَّةٍ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نَزَاهَا فِي أَفْنِيَّةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام في تفصيل النار وحال أهلها الذين كفروا بالله وعصوا أوامره: (وَأَمَّا أَهْلُ الْمُعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ سَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَائِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقْطَعَاتِ النَّيِّرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٌ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَلَجِبٌ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُورُهَا. لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُفْضَى)<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام ذاكراً بعضاً من نعم الله ومننه علينا التي لم يخص بها الحق سبحانه وتعالى واحداً دون الآخر، بل هي من النعم التي يحظى بها كل إنسان -إلا ما شذَّ لحكمة منه- كي يستعين بها على إتمام مهمته في الأرض بعد توحيده جلّ وعلا:

(جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِيَتَعَيَّ مَا عَنَاهَا، وَأَبْصَاراً لِيَتَجَلَّوْا عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلَاءَ جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلَاطِمَةً لِإِحْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا، وَمُدَدِ عُمْرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِإِرْزَاقِهَا، فِي مُجَلَّلَاتٍ نَعْمِهِ، وَمُوجِبَاتٍ مِنْنِهِ، وَحَوَاجِزٍ عَافِيَّتِهِ. وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَفَ لَكُمْ عِبَرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ)<sup>(٣)</sup>.

وما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا التقسيم هو تقسيم لغرض الدراسة، بمعنى أنّ الإمام عليه السلام لم يخصص لكل قسم نصيبه من الكلام، فربما تجد الخطبة الواحدة مشتملة على الضروب كلّها، فهو يذكر بنعم الله تعالى علينا، ويحذر من النار والعذاب، ويرغب بالجنة والثواب.

(١) نهج البلاغة (ت الشيخ فارس الحسون): ٣٢٧.

(٢) نهج البلاغة (ت الشيخ فارس الحسون): ٢١٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٩.

## المبحث الثاني

لا يمكن لدراسة مختصرة كهذه الدراسة أن تحيط بالدلالة اللغوية والتركيبية لأي موضوع من موضوعات نهج البلاغة؛ لأنّ معظم الألفاظ التي يستعملها الإمام (عليه السلام) تحتاج إلى مراجعة المعجمات اللغوية للوقوف على دلالاتها المعجمية، ثم بمجموع تلك الدلالات لمجموع ألفاظ التركيب، أو النصّ تتضح الدلالة التركيبية محفوفة بسياقاتها اللفظية والمعنوية؛ لذلك ارتأى الباحث أن يختار لكل قسم من الأقسام التي مرّ ذكرها في التمهيد أنموذجاً واحداً يمثل الدراسة الدلالية لهذا البحث.

### الأنموذج الأول: بناء الفرد المسلم عبر الترغيب.

يقول الإمام علي (عليه السلام): في وصف الجنة التي وعد الله عباده الطائعين المخلصين له عبادته: (فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفْتَ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا، وَلَكَدِهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارِ عُيَيْتٍ عُرُوقُهَا فِي كُتُبَانِ الْمُسْلِكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيْقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا) وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلْفِ أَكْهَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنِيَّةٍ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نَزَالِهَا فِي أَفْنِيَّةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْحُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ<sup>(١)</sup>.

### الدلالة المعجمية:

**رميت:** فعل أسند إلى تاء الفاعل من الفعل: (رَمَى يَرْمِي رَمَاةً وَرَمِيًّا وَرِمَاءً. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: خَرَجْتُ أَتَرَمَّى، إِذَا خَرَجْتَ تَرْمِي فِي الْأَغْرَاضِ. وَيُقَالُ أَرَمَيْتُ الْحَجَرَ مِنْ يَدِي إِرْمَاءً)<sup>(٢)</sup>.

(١) نهج البلاغة (ت الشيخ فارس الحسون): ٣٢٨.

(٢) مقاييس اللغة: ٤٣٦/٢ (رمى).

**عزفت:** العزف هو: (صَرَفُ النفس عن الشيء فَتَدَعُهُ. والعزوف: الذي لا يكاد يثبت على خَلَّةٍ خليلٍ واحدٍ)<sup>(١)</sup>.

**بدائع:** مفردُها بديع: صفة مشبهة تدلّ على الثبوت من بدعَ وبدُعَ، ومعناها: أصيل لا نظير له هذا من البدائع: وهو ممّا بلغ الغاية في بابه<sup>(٢)</sup>.

**زخارف:** جمع زخرف والزُّخْرُف: (الزينة، وبيت مُزَخَّرَفٌ، وتَزَخَّرَفَ الرجل: تزيّن، والزَّخْرُفُ: الذهب، والزَّخَارِفُ: ما يُزَخَّرَفُ من السفن)<sup>(٣)</sup>.

**ذهلت:** فعل يقال: ذَهَلَ بكسر الهاء عَنِ الشَّيْءِ يَذْهَلُ ذَهَالًا، وَذَهَلَ أَيْضًا بفتح الهاء يَذْهَلُ، إِذَا سَلَ عَنْهُ وَنَسِيَهُ، فَهُوَ ذَاهِلٌ. والذاهل عَنِ الشَّيْءِ: السَّالِي عَنْهُ النَّاسِي لَهُ<sup>(٤)</sup>.

**اصطفاف:** من (الصف) كما قال ابن فارس: (صَفَّ): الصَّادُ وَالْفَاءُ يَدُلُّ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ اسْتِوَاءٌ فِي الشَّيْءِ وَتَسَاوٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي الْمَقَرِّ. مِنْ ذَلِكَ الصَّفُّ، يُقَالُ وَقَفَا صَفًّا، إِذَا وَقَفَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى جَنْبِ صَاحِبِهِ. وَاصْطَفَّ الْقَوْمُ وَتَصَافَوْا. وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ الصَّفْصَفُ، وَهُوَ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ، فَيُقَالُ لِلْمَوْقِفِ فِي الْحَرْبِ إِذَا اصْطَفَّ الْقَوْمُ: مَصَفٌّ<sup>(٥)</sup>.

**كثبان:** يقال: (كثبت الشيء أكثبه كثبًا، إذا جمعته. وانكثب الرملُ، أي اجتمع. وكلُّ ما انصبَّ في شيء فقد انكثب فيه. ومنه سُمِّي الكثيبُ من الرمل، لأنه انصبَّ في مكانٍ فاجتمع فيه، والجمع الكُثبانُ)<sup>(٦)</sup>.

(١) العين: ٣٥٩/١ (عزف).

(٢) ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ١٧٢ (بدع).

(٣) العين: ٣٣٨/٤ (زخرف).

(٤) ينظر جمهرة اللغة: ٢/ ٧٠٢ (ذهل).

(٥) ينظر مقاييس اللغة: ٣/ ٢٧٥ (صف).

(٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١/ ٢٠٩ (كثب).

**المسك:** نوع من أنواع الطيبِ فارسيٌّ معرَّب، وكانت العرب تسمّيه المشموم.<sup>(١)</sup>

**كبايس اللؤلؤ:** الكبايس جمع كبيسة، (وهو العذق التام بشماريخه ورطبه)<sup>(٢)</sup>

**عساليجه:** جمع (عسلج) وهو: (الغصن الناعم. وفي (المحكم): العسلج (والعسلوج، بضمهما) والعسلج: الغصن لستته. وقيل: هو كل قضيبي حديث. والعسلج والعسلوج: (ما لأن واخضر من القضان) أي قضبان الشجر والكرم أول ما تنبت. ويقال: عساليج الشجر: عروقها)<sup>(٣)</sup>.

### الدلالة التركيبية:

يحمل نص الإمام علي عليه السلام مجموعة من التراكيب التي يتألف منها النص اللغوي؛ ولفهم هذا النص لا بد من فهم كل تركيب فيه. ويستعين الباحث بنتائج الخطوة السابقة (الدلالة المعجمية) التي ستكون أشبه بالجزئيات التي تتألف لتوضيح الكل؛ لأن:

النص = مجموعة تراكيب.

التركيب = مجموعة ألفاظ.

فلا بد من الإحاطة بمجموع الدلالات التي تمثلها تلك التراكيب اللغوية النحوية كي يتسنى لنا فهم الدلالة العامة للنص كاملاً، وهو من ثم يمثل الصورة التي يرسمها الإمام علي عليه السلام للجنة التي وعد الله عباده المخلصين الطائعين، أو للنار التي حذر منها الحق سبحانه عباده العاصين.

(١) ينظر لسان العرب: ٤٨٧/١٠ (مسك).

(٢) المصدر نفسه: ١٩١/٦ (كبس).

(٣) تاج العروس: ١٠٣/٦ (عسلج).

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصْرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا: بمعنى: أنك لو تخيلت وتصورت الوصف الذي يوصف لك من الجنة، وإنما عبر بـ (ببصر قلبك)؛ لأننا لا يمكن أن نشاهد هذا المنظر والوصف في الدنيا، بوصفه عالم الآخرة الذي نرسمه عبر الوصف والتشبيه؛ لأننا لم ندخله بعد فكيف نصفه لغيرنا، لكن الإمام (عليه السلام) يصفه كأنها هو ماثل أمامه، فلا عجب فهو القائل: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً) <sup>(١)</sup> فكانه يصف شيئاً أمام عينيه لا يغيب عنها.

لَعَزَفْتَ نَفْسَكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَائِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَظَرِهَا: لانصرفت نفسك إلى كل ما بلغ الكمال والغاية القصوى في الدنيا من كل ما عرفت من شهواتها، ولذاتها،

وَلَذَهَلْتَ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارِ غَيْبَتِ عُرُوقِهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا: أي لتحيرت فكري من: شكل الأشجار على صف واحد مميز وقد غابت عروقها وسيقانها في أرض من المسك والطيب بدل التراب الذي يكون عادة موضعاً للإنبات.

وَفِي تَعْلِيلِ كِبَائِسِ اللَّوْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلْفِ أَكْمَامِهَا: ثم يصف (عليه السلام) ثمر هذه الأشجار بأنه لؤلؤ على شكل عذق، ويمكن أن يكون الثمر كأنه لؤلؤ، وليس اللؤلؤ نفسه؛ لأنه ما يراد من الشجر هو الثمر لا اللؤلؤ نفسه.

تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكْلَفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةٍ مُجْتَنِيهَا: المعروف أن بعض الأشجار يعانى عند قطاف ثمارها كالنخل والسدر وغيرهما؛ أما أشجار الجنة فيختلف جني ثمارها! فهي تأتيك على تمنيك لأكلها أو قطافها! يالروعة.

وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ٢٣٥.

(٢) سورة الإنسان: الآية: ١٤.

أي: (لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد، أو أنه إذا قام ارتفعت، وإذا قعد نزلت)<sup>(١)</sup>  
 أي إنّ هناك تواصلًا بين هذه الاشجار وبين فكر أهل الجنة، فمتى ما تمتّى أحدهم أو  
 اشتهى ثمرتها جاءته من غير عناء في قطف أو مشقة، وهذا أقصى ما يعبر به عن الترف.  
 وَيَطَافُ عَلَى نُرَاهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ: ويدار على  
 أهلها في القصور ذات المساحة الواسعة بأجود أنواع العسل، والخمور التي أحلها الله تعالى  
 لهم.

فهم على ما وصف الإمام عليه السلام مخدمون مكرمون بنعم الله وعطائه<sup>(٢)</sup>.

### الأنموذج الثاني: بناء الفرد عبر التهيب

قال عليه الصلاة والسلام: وَأَمَّا أَهْلُ الْمُعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ،  
 وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطَرَانِ، وَمَقَطَّعَاتِ النَّيِّرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ  
 حَرُّهُ، وَبَابٌ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَلَجِبٌ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا  
 يَظُنُّ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفَصَّمُ كُبُوهَا. لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَنِي، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ  
 فَيُقْضَى<sup>(٣)</sup>.

### الدلالة المعجمية:

**المعصية:** تشتق هذه الكلمة من الجذر اللغوي: (عَصَوَى). قال ابن فارس: (الْعَيْنُ  
 وَالصَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، إِلَّا أَنَّهُمَا مُتَبَايِنَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى التَّجَمُّعِ،  
 وَيَدُلُّ الْآخَرُ عَلَى الْفُرْقَةِ).

(١) تفسير الماوردي: ٦/ ١٦٩.

(٢) ينظر بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١٢ / ١١١.

(٣) نهج البلاغة (ت الشيخ فارس الحسون): ٢١٧.

فَالْأَوَّلُ الْعَصَا، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاشْتِهَالِ يَدِ مُمَسِّكِهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ قِيسَ ذَلِكَ فَقِيلَ لِلْجَمَاعَةِ عَصَا. يُقَالُ: الْعَصَا: جَمَاعَةُ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ خَالَفَهُمْ فَقَدْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ. وَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقُتِلَ قِيلَ لَهُ: هُوَ قَتِيلُ الْعَصَا<sup>(١)</sup>، والمعصية مخالفة الأمر.<sup>(٢)</sup>

غل: قال ابن فارس: (الغَيْنُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَحْلُلِ شَيْءٍ، وَتَبَاتِ شَيْءٍ، كَالشَّيْءِ يُعْرَضُ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْعَرَبِ: غَلَّتْ الشَّيْءُ فِي الشَّيْءِ، إِذَا أَثْبَتَهُ فِيهِ، كَأَنَّهُ غَرَزَتْهُ.<sup>(٣)</sup>)  
الناصية: قصاصٌ من الشعر في مُقَدِّمِ الرأس<sup>(٤)</sup>.

السراييل: جمع سربال وهو القميص<sup>(٥)</sup>.

القطران: عصارة شجر الأرز والأهبل تطبخ ثم تطلّى بها الإبل وفي التنزيل العزيز ﴿سَرَايِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ﴾<sup>(٦)</sup> لَأَنَّهُ شَدِيدُ الْاشْتِعَالِ وَمَادَّةُ سَوْدَاءِ سَائِلَةٍ لِرَجَّةِ تَسْتَخْرِجِ مِنَ الْخَشَبِ وَالْفَحْمِ وَنَحْوَهُمَا بِالتَّقْطِيرِ الْجافِ<sup>(٧)</sup>.

كَلْب: الكلب نفتح الكاف واللام الشر والأذى. يقال: دفعت عنك كَلْبَ فلانٍ، أي شرّه وأذاه. والكَلْبُ أيضاً: شبيه بالجنون<sup>(٨)</sup>.

لَجَب: اللَّجَب: الصياح، والجلبة، ويطلق أيضاً على: اِرْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ واختلاطها.<sup>(٩)</sup>

(١) مقاييس اللغة: ٤/ ٤٣٤ (عصوي).

(٢) ينظر تهذيب اللغة: ١٥/ ٢٠٩ (أمر).

(٣) مقاييس اللغة: ٤/ ٣٧٥ (غل).

(٤) ينظر العين: ٧/ ١٥٩ (نصو).

(٥) ينظر لسان العرب: ١١/ ٣٣٥ (سربل).

(٦) سورة إبراهيم: من الآية: ٥٠.

(٧) المعجم الوسيط: ٢/ ٧٤٤ (قطرن).

(٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١/ ٢١٤ (كلب).

(٩) ينظر المحكم والمحيط الأعظم: ٧/ ٤٤٢ (لجب).

**القصيف:** صَوْتُ هَائِلٍ يُشْبِه صَوْتَ الرعد<sup>(١)</sup>.

**الظعن:** قال ابن فارس: ((ظَعَنَ) الظَّاءُ وَالْعَيْنُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الشُّخُوصِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. تَقُولُ: ظَعَنُ ظَعْنًا وَظَعْنًا، إِذَا شَخَصَ<sup>(٢)</sup>.

وهذا المعنى نقرأه في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

**تفصم:** (الفصم: كَسْرُ الحَلْقَةِ والخلخال)<sup>(٤)</sup>

**كبولها:** الكبل هو القيد الضخم القوي<sup>(٥)</sup>.

### الدلالة التركيبية:

وَأَمَّا أَهْلُ الْمُعْصِيَةِ فَانْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ: (أَمَّا) حرف يدل على التفصيل<sup>(٦)</sup>، بمعنى: أَنَّ الإِمَامَ عَلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَدَدِ تَفْصِيلِ أَحْوَالِ أَهْلِ الْمَخَالِفَةِ لِأَوَامِرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ: أَنْزَلُوا شَرَّ دَارٍ، وَقَدْ ثَبَتَ بِالْقِيُودِ أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ، وَجَمَعَ مَقْدَمَ الرَّأْسِ مِنْهُمْ إِلَى أَقْدَامِهِمْ، فَلَا يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ؛ وَهِيَ دَلَالَةٌ عَلَى الذَّلِّ وَالْإِهَانَةِ؛ وَنَظِيرُهُ قَوْلُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث والاثار: ٤ / ٧٤ (قصف).

(٢) مقاييس اللغة: ٣ / ٤٦٥ (ظعن).

(٣) سورة النحل: الآية: ٨٠.

(٤) العين: ٧ / ١٣٨ (فصم).

(٥) ينظر: ١٠ / ١٤٥ (كبل).

(٦) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني: ١ / ٥٢٢.

(٧) سورة الرحمن: الآية: ٤١.

وَأَلْبَسَهُمْ سَرَائِيلَ الْقَطْرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النَّيِّرَانِ: يكشف لنا نصّ الإمام (عليه السلام) أنّهم ليسوا عراةً، إنما يلبسون ثياباً من القطران التي هي سريعة الاشتعال، فيكون لباسهم من مقطعات النيران، أي إنّ هذه النار لا تخمد؛ لأنّ في أجسامهم ما يغذيها ويزيدها اشتعالاً وهي القطران التي يلبسونها.

فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٌ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ: ولو سأل سائل ما دلالة انطباق الباب على أهله، وهم على كلّ حال ماكثون في العذاب؟ ربما يكون ذلك مدعاة لعذاب أكبر إذ إنّ انفتاح الباب ربما بعث في نفوسهم المعذبة شيئاً من الأمل حين يرون ولو من بعيد مكاناً يخلو من العذاب.

فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَجَبٌّ، وَهَبٌّ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ: وهم -أهل النار- معذبون في نار لها أذى وشرّ، وهي على خلاف النار المعروفة، فلها صوت عالٍ أشبه بقصف الرعد القوي، وهو ما يزيدها رعباً، وهي شبيهة بشيء مجنون ليس لها حال معروف، لاختلاف طباعها الحارقة.

لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادِي أَسِيرُهَا: النار - أعاذنا الله وإياكم منها - دار مقام للعاصين، كما إنّ الجنة دار مقام للطائعين، فلا خروج منها، ولا بقاء إلّا فيها.

وَلَا تُفَصَّمُ كُبُوهَا: لا تكسر قيودها لشدتها وقوتها، وكأنّها أراد الأمام (عليه السلام) أن يبين أن ينطبق أحياناً على سجون الدنيا وقيودها، وفداء الأسرى بالمال وغيره، لا يكون في سجن النار أبداً، فلا كسر للقيود، ولا هروب لسجين، ولا فداء له.

لَا مُدَّةٌ لِلدَّارِ فَفَنَنِي، وَلَا أَجَلٌ لِلْقَوْمِ فَيَقْضَى: الماكث فيها باقٍ إلى أبد الآبدين، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة التوبة: الآية: ٦٨.

### النموذج الثالث: بناء الفرد عبر بيان النعم وشكرها.

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاءً لَتَعِي مَا عَنَّا، وَأَبْصَاراً لَتَجْلُو عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلَاءَ جَامِعَةً  
لأَعْضَائِهَا، مُلَائِمَةً لِأَخْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا، وَمُدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْزَاقِهَا،  
وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي مَجْلَلَاتِ نِعَمِهِ، وَمَوْجِبَاتِ مَنِّهِ، وَحَوَاجِزِ عَافِيَّتِهِ. وَقَدَّرَ لَكُمْ  
أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَفَ لَكُمْ عِبْرًا مِنْ أَثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ،  
وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ<sup>(١)</sup>.

### الدلالة المعجمية:

**لتعي:** الفعل مشتق من: (وَعَى يَعِي وَعِيًا: أَي حَفِظَ حَدِيثًا وَنَحْوَهُ)<sup>(٢)</sup>.

**عناها:** يقال: (عناني هذا الأمر يعنيني عناية فأنا معني به، وقد اعتنيت بأمره. قَالَ:  
وَمَعْنَى كُلِّ شَيْءٍ مُحْتَتَّ وَحَالَهُ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا أَمْرُهُ)<sup>(٣)</sup>.

**لتجلو:** (جَلَا الْأَمْرَ، وَجَلَّاهُ، وَجَلَّى عَنْهُ: كَشَفَهُ وَأَظْهَرَهُ. وَقَدْ انْجَلَى، وَتَجَلَّى، وَأَمْرٌ جَلِيٌّ:  
وَاضِحٌ)<sup>(٤)</sup>.

**عشاها:** قال الراغب: إِنَّ الْعَشْوَ: ظُلْمَةٌ تَعْتَرِضُ الْعَيْنَ.<sup>(٥)</sup> وقيل هو: سُوءُ الْبَصَرِ بِاللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ يَكُونُ فِي النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْإِبِلِ وَالطَّيْرِ<sup>(٦)</sup>، أما الجوهرية فقد خصه: هُوَ بَمَنْ لَا  
يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ وَيُبْصِرُ بِالنَّهَارِ<sup>(٧)</sup>.

(١) نهج البلاغة (ت الشيخ فارس الحسون): ١٢٩ ز

(٢) العين: ٢/ ٢٧٢ (وعى).

(٣) تهذيب اللغة: ٣/ ١٣ (عنى).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم: ٧/ ٥٤٨ (جلو).

(٥) ينظر المفردات في غريب القرآن: ١/ ٥٦٨ (عشا).

(٦) ينظر المحكم والمحيط الأعظم: ٢/ ٢٨٥ (عشا).

(٧) ينظر صحاح اللغة وتاج العربية: / ٢٤٢٧ (عشا).

**أشلاء:** من الشلو، وشلو الإنسان، وهو جسده بعد بلاه، والجمع أشلاء<sup>(١)</sup>.

**أعضائها:** العُضْوُ والعِضْوُ: الواحدُ مِنْ أَعْضَاءِ الشَّاةِ وَغَيْرِهَا، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ عَظْمٍ وَافِرٍ بِلَحْمِهِ، وَجَمَعُهَا أَعْضَاءٌ.<sup>(٢)</sup>

**انحنائها:** الانحناء هو انعطاف الشيء وميلانه إلى جهة ما<sup>(٣)</sup>

**أرفاقها:** منفعتها<sup>(٤)</sup>

**رائدة:** الرائد الطالب<sup>(٥)</sup>

**مجللات:** هذا اللفظ مشتق من الفعل (جلل) يقال: جلله: غطاه، وتجلل بثوبه: تغطى به. وحصان مجلل. وسحاب مجلل مجلل أي راعد مطبق بالمطر.<sup>(٦)</sup>

**مننه:** جمع منة وهي النعمة الثقيلة العظيمة<sup>(٧)</sup>

**خلاقهم:** (الْخَلَّاقُ النَّصِيبُ مِنَ الْحُطِّ الصَّالِحِ، وَهَذَا رَجُلٌ لَيْسَتْ لَهُ خَلَاقٌ أَيْ: لَيْسَ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الْخَيْرِ وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا صَلَاحٌ فِي الدِّينِ)<sup>(٨)</sup>.

**خناقهم:** هو من الخناق وهو: الحبل الذي يُخَنَّقُ به<sup>(٩)</sup>

(١) ينظر مجمل اللغة: ٤١٠ / ١ (شلو).

(٢) ينظر لسان العرب: ٦٨ / ١ (عضا).

(٣) ينظر شمس العلوم: ١٦٠٥ / ٣ (الانحناء).

(٤) ينظر المصدر نفسه: ٣٥٨٣ / ٤ (الإرفاق).

(٥) ينظر لسان العرب: ١٨٧ / ٣ (رود).

(٦) ينظر أساس البلاغة: ١٤٥ / ١ (جلي).

(٧) ينظر المفردات في غريب القرآن: ٧٧٧ / ١ (منن).

(٨) تهذيب اللغة: ١٧ / ٧ (خلق).

(٩) ينظر العين: ١٣٥ / ٤ (خنق).

**الدلالة التركيبية:** يذكر الإمام علي عليه السلام في هذه الخطبة بعض من نعم الله على الإنسان التي تستلزم منه أن يشكرها طاعة وامثالاً لأوامره سبحانه وتعالى، ولا يكفر بها عصياناً له جلّ وعلا.

فمن نعمه تبارك وتعالى أن جعل للإنسان السمع ليفهم ما يدور حوله قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup> على معنى: ما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل فحرياً بكم شكر المنعم وعبادته، والقيام بحقوقه،<sup>(٢)</sup> وَأَبْصَاراً لِيَتَجَلَّوْا عَنْ عَشَاهَا: ومن وافر نعمه أيضاً البصر الذي تبصرون به الأشياء من حولكم.

وَأَشْلَاءَ جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلَائِمَةً لِإِحْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا: أي إن هذه الأجسام على الهيئة التي ترونها، هي من نعمه تبارك وتعالى ولا سيما أنها جمعت هذه الأعضاء بحيث كانت ملائمة لحاجات الإنسان المختلفة.

وَمُدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا: ومن عظيم نعمه أن أعمار هذه الأعضاء متناسقة مع بعضها، فلا يكون عمر أحدها أكثر من الآخر فتختل هيئة الإنسان في حياته، وهي قائمة بمصالحها في منفعتها وهي منفعتكم، وكل تلك الأفعال بإرادة القلب وحث منه، والإمام عليه السلام يجعل القلب مركز التحكم كما في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

فِي مُجَلَّلَاتِ نِعَمِهِ، وَمَوْجِبَاتِ مَنَنِهِ، وَحَوَاجِزِ عَافِيَّتِهِ: فأنت أيها الإنسان مغطى بنعم الله

(١) سورة النحل: الآية: ٧٨.

(٢) ينظر تفسير الكشاف: ٢/ ٢٤.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ٢٥.

وعطاياه، وقد خصّك بعافية تجعلك تشعر به النعم وتحجز ما يحول بينك وبين ما تحبّ وهو السقم والمرض، وها كله يوجب شكر النعمة بحسن الطاعة.

وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ: ويستمر الإمام (عليه السلام) بكرّ ضروب النعم أن جعل لكلّ واحد عمراً لا يعرف أمدّه حتى لا ينقطع أمله بالحياة إذا ما عرف ساعة موته.

وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبْرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ: العبرة بمن سبق ومعرفة حاله نعمة من النعم التي توجب الشكر، فلم تكن محجوبة عنكم، ولا غائبة عن أذهانكم، فتعتبروا بها وتشكروه عليها.

مَنْ مُسْتَمْتَعٍ خَلْقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحٍ خَنَاقِهِمْ: فتفكرون في نصيبهم الذي أخذوه من الدنيا، ونصيبهم من الأجل الذي أحكم خناقه عليهم ففضى على حياتهم.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

١. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي بن كاظم الشوشتری أو التستري، الناشر: مكتبة الأمين، قم - إيران، (د.ط)، (د.ت).
٣. تاج العروس: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (د.ط)، (د.ط).
٤. تفسير السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي، ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٥. تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، (د.ط)، (د.ت).
٦. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٧. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٨. الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: د فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٩. الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): لأبي الفضل بن شادان بن جبريل القمي (ت ٦٠٠هـ)، مكتبة الأمين، قم - إيران، (د.ط)، (د.ت).
١٠. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
١١. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٣. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت).

١٤. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

١٥. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

١٦. مجمل اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٧. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هندائي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٨. معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٩. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، (د.ط)، (د.ت).

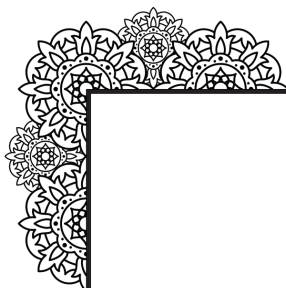
٢٠. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

٢١. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (د.ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٢. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٣. نهج البلاغة تحقيق الشيخ فارس الحسون، ناشر: دار الهدى - بغداد، (د.ط)، (د.ت)

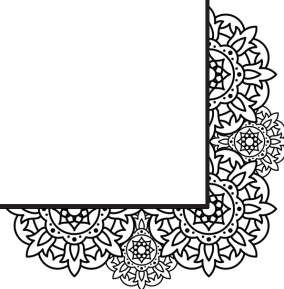




فاطمة الزهراء عليها السلام  
والمعارضة السلمية في فكر المستشرقين

الباحث  
د. كريم جهاد الحساني

العراق - النجف الأشرف  
مركز الصادقين عليهم السلام للبحوث والدراسات والتحقيق  
التابع للعتبة العباسية المقدسة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، صلوات الله وسلامه عليهم...  
وبعد..

يوصف الاستشراق من المناهج العلمية التي أصبح لها كيانه ومنهجها الخاص، وتشعبت مدارسها وأغراضها. ولذا أصبح من الحق على الباحث العناية بتحديد مفاهيمها وأفكار تلك الأقلام، إذ مارس الاستشراق الدور الخطير في حياة السيرة الإسلامية، عبر قرون طويلة، وحمل في طياته نتائج سلبية وإيجابية على الواقع العلمي وجب التوقف عند محتواه. وكان من تلك البحوث الإستشراقية دراسة عدد من الشخصيات الإسلامية في الصدر الأول، والتي مارست دوراً في تاريخ المسلمين، وأُخذَ من هذه البحوث منهجاً سار عليه المهتمون في الشؤون الإسلامية.

وموضوع بحثنا هو الدراسات التي كُتبت عن رائدة البيت النبوي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وبالاخص المشهد السياسي بعد رحيل رسول الإنسانية (صلى الله عليه وآله) من خلال المنظر الاستشراقي. فالمستشرقون ينظرون إليها بمنظار يختلف عما عهدناه وآمنّا به، وسلمنا بصحته. ومن حقنا - بل من واجبنا - التعرف على ما يقوله القوم عن قادتنا وأئمتنا وأسوتنا، حتى نتمكن بعد ذلك من بيان بعض المخالفات التي وردت في أفكارهم الناظرة بوجه واحد دون النظر إلى الأوجه الأخرى التي يجب على الباحث الاطلاع عليها.

فالتعرف على الاتجاهات الإستشراقية حول هذه الشخصية العظيمة أمر مهم، لأنه في الحقيقة يُجسّد الرؤيا الغربية لبيت نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله)، فكان السبب الذي دعاني

إلى الخوض في فكرة هذا الموضوع. ولذلك طرحنا تلك الآراء ودرسناها دراسة تحليلية للوصول إلى الحقيقة التاريخية التي لا بدّ للباحث منها، فجاء البحث على مبحثين هما:

المبحث الأول: حمل عنوان:

(الزهاء عليه السلام والمشهد السياسي بعد رحيل النبي ﷺ)، تناولنا فيه عدّة مطالب مهمة هما:

فاطمة عليها السلام الناشطة السياسية.

فاطمة عليها السلام المعارضة السياسية.

أما المبحث الثاني: فكان عنوانه: (الحراك السياسي حول الخلافة)، وحمل في طياته عدة مطالب، هي:

طرق مواجهة الانتقال السياسي.

احتواء المعارضة - الدعوة لطلب النصرة.

ثورة الدموع - المطالبة بفدك.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في إكمال هذه الدراسة على أكمل وجه دون تعصبٍ أو ميل عاطفي على حساب الأمانة العلمية والتاريخية الملقاة على عاتق الباحث الأمين.

## المبحث الأول

### الزهاء عليه السلام والمشهد السياسي بعد رحيل النبي محمد صلى الله عليه وسلم

إنَّ الأحداث الرهيبة التي جرت في العصر الإسلامي الأول من الانقلابات بعد رحيل الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم هي التي امتُحنَ بها المسلمون إمتحاناً عسيراً، وأصبحت مصدر الفتنة الكبرى، وفُرقت الكلمة فيما بينهم على امتداد تاريخهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الانقلاب قبل وقوعه، وحذّر من مَغَبَّتِهِ، وأنّه سوف يكون البذرة الأولى لشقّ وحدة المسلمين، بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

والانقلاب هنا إشارة إلى ذلك الارتداد، أي: كفرتم، ويُقال لمن كان على شيء ثم رجع عنه: قد انقلب على عقبيه، ومنه قيل للكافر بعد إسلامه: مُرْتَدٌّ<sup>(٢)</sup>، وفي الآية أيضاً استعارة، والمراد بها الرجوع عن دينه، والتقاعس عن اتّباع طريقه، فَشَبَّه سبحانه الرجوع في الارتياب بالرجوع على الأعقاب<sup>(٣)</sup>.

هذا الارتداد الذي أشارت إليه الآية الكريمة قد وَقَعَ مَرَّتَيْنِ، مرةً في حياة النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك يوم وقعة أحد لما أُرْجِفَ بأنّه صلى الله عليه وسلم قد قُتِلَ، فارتدَّ بعضهم، وانهزم البعض الآخر... كما هو المعروف من هذه الواقعة، ومرةً أُخرى وقع الارتداد بعد رحيله. وفي هذا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تفسير غريب القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ، ص ١١٣.

(٣) الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت ٤٠٦هـ)، تلخيص البيان في مجازات القرآن، حققه وقدم له: محمد عبد الغني حسن، (ط ٢، دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ)، ص ١٢٥.

المقام يقول ابن القيم الجوزية: «إنَّ وقعة أحد كانت مُقدِّمةً وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله ﷺ، فنبأهم الله ووبَّخهم على انقلابهم على أعقابهم، إن مات رسول الله أو قُتل»<sup>(١)</sup>.

لقد بدأت البذرة الأولى لشق وحدة المسلمين بعد التحاق النبي الأعظم بالرفيق الأعلى مباشرةً، واجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، ولحاق المهاجرين بهم، والنبيُّ بعدُ لم يُدفن، ثم اختيار أبي بكر خليفةً لرسول الله ﷺ وفق آليّة شرحتها المؤرخون، فاستُبعد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليه السلام عن الحياة السياسية، إذ يرى - الإمام علي عليه السلام - وأهل بيته وشيعته بأنّه أحقُّ بالخلافة من غيره، من خلال ترشيحه لهذا المنصب من قِبَل النبي ﷺ في مؤتمر الغدير الذي أخذ فيه النبي ﷺ البيعة علناً له مُحاطباً الحاضرين من المسلمين: أُلستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. فقال: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا المضمار يعتمدُ الألماني (هاينس هالم Heinz Halm)<sup>(٣)</sup> على قول الشيعة بأنّ هذا: «نصٌّ صريح وواضح تعيين علي، إماماً وخليفةً»<sup>(٤)</sup>. ويؤيد البريطاني (برنارد لويس

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، حققه وأخرجه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرئؤوط، (ط ٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ)، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٢) للإطلاع بما ورد من حديث الغدير بألفاظٍ متعددة عن طرقٍ متعددة ينظر: حنبل، أحمد (ت ٢٤١هـ)، مسند أحمد، (دار صادر، بيروت)، ج ٢، ص ٩٦١؛ الحسكاني، عبيد الله (ت ٤٥٠هـ)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (ط ١، طهران ١٤١١هـ) ج ١، ص ١٩٠ و ٢٤٥-٢٤٧؛ الهيثمي، علي (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٤هـ)، كتاب المناقب - باب قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» - رقم الحديث (١٤٦٠)، ج ٩، ص ١٢٨.

(٣) ولد هاينس عام ١٩٤٢م في مدينة أندرناخ على نهر الراين في ألمانيا، بدأ في عام ١٩٦٢م دراسة كلٍّ من العلوم الإسلامية والسامية والعصور الوسطى في جامعة توبنغن، من أعماله: الإسلام الشيعي من الدين إلى الثورة، والفاطيون وتقاليدهم في التعليم، والإسلام ماضي وحاضر. ينظر: هالم، هاينس، الغنوصية في الإسلام، ترجمة: رائد الباش، (ط ١، منشورات الجيل، ١٤٢٣هـ)، المقدمة.

(٤) هالم، هاينس، الشيعة، ترجمة: محمود كيبو، (ط ١، بيت الوراق، بغداد، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)، ص ٢١.

Bernard Lewis<sup>(١)</sup> القول بحصول أزمة في الوسط الإسلامي بعد وفاة النبي ﷺ إلا أنه يُنكر استخلافه حاكماً للدولة الإسلامية قبل رحيله، بقوله: «حدثت أول أزمة في الإسلام بعد وفاة النبي في عام ٦٣٢م... ولم يترك أية أوامر صريحة بمن يخلفه كزعيم للجماعة الإسلامية وحاكم للدولة الإسلامية الوليدة، ولم يكن أمام المسلمين ما يرشدتهم سوى التجربة السياسية الهزيلة ما قبل الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

لكن، وفي استعراضٍ للمستشرقة الفرنسية مدام (ديولافوا Dulafwa)<sup>(٣)</sup> عن عقيدة الشيعة في أحقية الإمام علي عليه السلام لخلافة المسلمين، وإنَّ نبي الإسلام قد اختار لخلافته قُبيلاً انتقله إلى الملاء الأعلى ابن عمه وصهره علي بن أبي طالب عليه السلام، إلا أنَّ المسلمين لم يحترموا ولم يُنفذوا وصية النبي ﷺ بعد انتقاله إلى جوار ربّه واغتصبوا بذلك حقَّ علي، ومن هنا وقع الخلاف وتضخّم الحقد بين أبناء المسلمين، عندها أخذت (مدام ديولافوا) تسأل قائلة: «يا ترى مع مَنْ الحق؟ أمع الطائفة الأولى أم الثانية وعقيدة أيّ منهما هي الصادقة؟ ينبغي لنا أن نتجرّد من العاطفة ونحكّم عقلنا في هذا الأمر»<sup>(٤)</sup>.

(١) ولد من أسرة يهودية في لندن سنة ١٩١٦م، درس اللغات والتاريخ منذ سن مبكرة، تخرج سنة ١٩٣٦م من كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن وحصل على الدكتوراه بعد ثلاث سنوات، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليصبح محاضراً بجامعة برستون، له: أصول الإسماعيلية، العرب في التاريخ، وغيرها. ينظر: موقع <https://www.nytimes.com>

(٢) لويس، برناد (ت ١٤٣٩هـ)، الحشاشون، تعريب: محمد العزب موسى، (ط ٢)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ص ٤١.

(٣) جان ديولافوا، ولدت في فرنسا سنة ١٨٥١هـ، رّحالة وأديبة ومؤرخة مولعة في التاريخ، صحبت زوجها ديولافوا مارسيل في رحلاته إلى مصر والجزائر والمغرب وسوريا ولبنان والعراق وإيران، وردت إلى العراق سنة ١٨٨١م في ولاية تقّي الدين باشا، توفيت سنة ١٩١٦م. مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين، (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ)، ص ٣٧٦.

(٤) ديولافوا، جان (ت ١٣٣٤هـ)، رحلة مدام جان ديولافوا، ترجمة: د. مصطفى جواد، (دار منشورات البصري، بغداد، ١٣٧٧هـ)، ص ١٢٩.

عندها أجابت بكلّ صراحة وجرأة في ردّ هذه الشبهة مُستعينةً بما ذكره القرآن الكريم في العناية والخصوصية التي خصّ بها آل محمد ﷺ وأنّ شخص الإمام علي عليه السلام أولى بالفضيلة من أيّ شخصية غريبة أخرى، قائلةً: «والواقع إننا لا نحتاج إلى الاستعانة بأصول الفلسفة أو علوم ما وراء الطبيعة للإجابة عمّا تقدّم، بل سرعان ما يظهر أنّ الحق كان مع علي وأولاده، وأول دليل على هذا هو ما ذكره القرآن الكريم من العناية بأفراد عائلة النبيّ وما خصّهم به من حقوق في أموال المسلمين والغنائم الحربية التي يجب صرفها للمحافظة على أعقابه والترفيه عنهم... على هذا الأساس كيف يمكن أن يُرّجح النبي شخصاً غير علي الذي كان من المقرّين إليه وابن عمه وصهره... كيف يمكن أن يُفضّل عليه شخصاً غريباً؟»<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من محاولة بعض المستشرقين التقليل من أهميّة حقيقة الغدير، إلّا أنّنا نلاحظ الباحث الفرنسي (ماسينيون Massignon)<sup>(٢)</sup> يميل إلى إبراز رأيهِ بشأن هذه الخلافة بشكل مختصر وصريح في معرض بحثه عن الصّحابيّ الجليل سلمان الفارسي كما يذكر لنا ذلك عبد الرحمن بدوي؛ إذ أنّه يرى - ماسينيون - فيها بيعاً علنية ثابتة للإمام علي عليه السلام لم يستطع أهل السنة إزاءها أن يعترفوا بصحّتها ويقولوا بها مع التقليل ما أهميتها<sup>(٣)</sup>.

(١) رحلة مدام ديولافوا، ص ١٣٠.

(٢) ولد سنة ١٨٨٣ م، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، تعلم العربية والفارسية والتركية والألمانية والانكليزية، وعني بالآثار القديمة وأدّت مشاركته في التنقيب عنها بالعراق إلى اكتشاف قصر الأخيضر. توفي سنة ١٩٦٢ م، من أعماله: تاريخ الاصطلاحات الفلسفية، وأخبار الحلاج، وغيرهما. ينظر: بدر، علي، ماسينيون في بغداد، (منشورات الجمل، ألمانيا، ١٤٢٥ هـ)، ص ٣١-٩٩؛ الزركلي، خير الدين (ت ١٤١٠ هـ)، الاعلام، (ط ٥ دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠ هـ)، ج ٥، ص ٢٤٧.

(٣) بدوي، عبد الرحمن (ت ١٤٢٢ هـ)، شخصيات قلقة في الإسلام، (ط ٢، دار النهضة، القاهرة ١٣٨٣ هـ)، ص ٣٥.

هذا الإنشقاق الذي يعود كما يراه الفرنسي (دومينيك Dominique) <sup>(١)</sup> من جراء فصل الخلافة عن الأسرة النبوية، بقولهم: «تعود أهم أسباب الشقاق في ذلك العصر إلى إبعاد علي، ابن عم النبي وصهره، الذي لم يزل يُناصره ويشدّ أزره منذ بداية الإسلام» <sup>(٢)</sup>.

وراح (هنري ماسيه Henri Masse) <sup>(٣)</sup> يرسم لنا خريطة أسباب الأحداث السياسية الحقيقية بعد وفاة الرسول محمد ﷺ من الصراع، بقوله: «اندلعت أزمة سياسية حول موضوع خلافة محمد، وتصارع المدنيون والمكيون على السلطة» <sup>(٤)</sup>. إلا أن الباحث - ماسيه - رغم تجنّبه التصريح بالأسباب الحقيقية التي نشبت بعد وفاة النبي ﷺ حول خلافته إلا أنه اعترف بأحقية الإمام علي (عليه السلام) وأبنائه بأنهم الأصحاب الشرعيين لتسليم السلطة، بقوله: «وقاعدة المذهب الشيعي في السياسة هي الشرعية: إنَّ علياً أبعد بغير حق عن الخلافة وكذلك أعقابه» <sup>(٥)</sup>.

كلّ هذا المشهد السياسي لم تكن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعيدة عما آلت إليه التهاورات السياسية آنذاك والتي كانت نتيجة إبعاد زوجها علي (عليه السلام) عن سلّم خلافة أبيها في حكم

(١) دومينيك سورديل، ولدت في باريس عام ١٩٢١م، عُرفت بكثرة تأليفاتها وتحقيقاتها، منها: حوليات الآثار السورية عام ١٩٥٢م، ولها: مفهوم الإمامة في مطلع القرن الحادي عشر في رأي الشيخ المفيد. ينظر: مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص ٤٥٦.

(٢) سورديل، دومينيك، الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، (ط ١، دار الحقيقة، بيروت ١٤٠٠هـ)، ج ١، ص ٣٢.

(٣) ولد سنة ١٨٨٦م، حصل على دبلوم في العربية والفارسية والتركية، أصبح أستاذاً في المدرسة الوطنية للغات الشرقية، توفي سنة ١٩٦٩م، من أعماله: تحقيق كتاب «تاريخ مصر» لمحمد بن الميّر، وغيرها. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٥٣٦ - ٥٣٧.

(٤) ماسيه، هنري (ت ١٣٨٧هـ)، الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، علق عليه: د. مصطفى الرفاعي ومحمد جواد مغنية، منشورات عويدات، بيروت، ١٤٠٨هـ)، ص ٩٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

المسلمين، وهو ما أكّده الكندي (فيناي Vinay)<sup>(١)</sup> من أن فاطمة كان لها أهمية سياسية في الوضع المضطرب في خلافة محمد<sup>(٢)</sup>.

### فاطمة عليها السلام الناشطة والمعارضة السياسية:

رُبَّمَا يُفْهَم من العنوان الاستشراقي الذي وضعناه، أَنَّ السيدة فاطمة عليها السلام كانت من النساء اللواتي خِصْنَ غِمار السياسة في الإسلام، والسياسة كما هو معروف فنّ الكذب، فكيف تكون ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسط هذا الفن؟ إِنَّ السياسة الإسلامية تباين السياسة العالمية - اليوم - وتختلف في أصولها وفروعها، فالسياسة الإسلامية هي غير السياسة التي غايتها القدرة على إدارة دَفَّة الحُكْم وتسيير الناس، والأخذ بزمام الأمور مهما كَلَّفَهَا ذلك من إهدار الكرامات، وإراقة الدماء، وكبتٍ للحُرِّيات، وإبتزاز الأموال... وظُلْمٍ وإجحاف، ونحو ذلك؛ وإنَّما هي السياسة التي نادى بها القرآن الكريم في مضمون قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ولذا فهي تسعى لتنظيم أمور دُنْيَا الناس على أحسن وأرفه وجه من خلال بناء أُسُس العدل الكامل... والكرامة الإنسانية... والعفو والصمود والقوة؛ وهي من أُسُس الدين التي يجب على كُلِّ فردٍ من المسلمين السعي لتطبيقها على العالم كُلِّه. ففي الشريعة الإسلامية نصوصٌ كثيرةٌ تدُلُّ على أَنَّ السياسة جزءٌ لا يتجزأ من الإسلام، منها ما وردَ في كلام الإمام علي الرضا عليه السلام: «الإمام عالم لا يجهل...»

(١) فيناي كتيا (ختيا)، ولد في كندا، حصل على الماجستير في التاريخ وفلسفة الدين وبعدها حصل على الدكتوراه من جامعة ماك ماستر بإطروحته الموسومة: (فاطمة كحافز للمُعَانَاة والتنازع في الفكر الإسلامي). ينظر: موقع <http://vinaykhetia.com/cv/Academic CV>

(2) Fatima as a Motif of Contention and Suffering in Islamic

Sources. Thesis In The Department of Religion.p.41- 42 بتصرف

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

مُضطلعٌ بالإمامة، عالمٌ بالسياسة»<sup>(١)</sup>. وفي آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثمَّ فَوَّضَ إلى النبي أمر الدين والأمة ليسوس عبادَه»<sup>(٢)</sup>. وفي كتاب الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر، قوله: «فاصطَفَ لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة»<sup>(٣)</sup>، وقال في كتابٍ له إلى معاوية بن أبي سفيان: «ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية»<sup>(٤)</sup>.

هذه الكلمات من الأحاديث والمخاطبات تُعطينا فكرة وافية عن الرصيد الفكري السياسي الضخم الذي تركه الإسلام للمسلمين وللعالم أجمع، وهي منظار لتاريخ النبي الأعظم ﷺ، وتاريخ الأئمة عليهم السلام من أهل بيته من نسل ابنته فاطمة عليها السلام.

ولهذا فإنَّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام عندما خرجت تُطالب ببعض الحقوق من خليفة المسلمين آنذاك - كما سنلاحظ ذلك - ما هي إلاَّ مطالبُ السياسة الشرعية التي تعتقد وتجزم بها جزماً قاطعاً، لا مطالب السياسة الدنيوية من الحكم وغيره، كما عبَّر عنه السيد محمد باقر الصدر رحمه الله بتعليقه له، قائلاً: «عندما نطلق عبارة السياسة لا نعني مفهومها الرائج في إذهان الناس هذا اليوم والمُرَكَّز على الالتواء والافتراء، وإنما المقصود بها مفهومها الحقيقي الذي لا إلتواء فيه. فالمُعْنَى في دراسة خطوات النزاع وتطوراتهِ والأشكال التي اتخذها لا يُفهم منه ما يُفهم من قضية مُطالبة بأرض، بل يتجَلَّى له منها مفهوم أوسع من ذلك ينطوي على

(١) الصدوق، أبي جعفر (ت ٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة في قم، (ط ١)، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ، المجلس السابع والتسعون، ص ٧٧٨.

(٢) الكليني، أبي جعفر (ت ٣٣٩هـ)، الأصول من الكافي، تحقيق وتصحيح: علي أكبر الغفاري، (ط ٥)، حيدري، طهران، ١٣٨٨هـ، كتاب الحجة - باب التفويض إلى رسول الله، ج ١، ص ٢٦٦.

(٣) النعمان، محمد (ت ٣٦٣هـ)، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ)، ج ١، ص ٣٦١؛ النوري، حسين (ت ١٣٢٠هـ)، مستدرک الوسائل ومستنبط السائل، تحقيق: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (ط ٢)، قم ١٤٠٨هـ، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - باب ما ينبغي للموالي العمل به، ج ١٣، ص ١٥٣.

(٤) ابن أبي الحديد، محمد (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط ١)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ١٣٧٨هـ، ج ٣، ص ١١.

غرض طموح يبعث إلى الثورة ويهدف إلى استرداد عرش مسلوب وتاج ضائع ومجدٍ عظيم وتعديل أمة انقلبت على أعقابها»<sup>(١)</sup>. وأما المستشرقون<sup>(٢)</sup> فهم عادةً ينظرون إلى كلِّ الجهود المطالبة بسدِّ الحكم، وما يتعلّق به يدخل ضمن نطاق السياسة بمختلف أشكالها، وتبرز خطاباتهم مُعَنَوَنَة بهذه العناوين المعاصرة، فمصاديق مفردات الفكر الاستشراقي للواقع السياسي بعد رحيل النبي الأعظم ﷺ هي من منظور رؤيتهم، لا من منظور إسلامي. ولهذا استغربت المستشرقة الباحثة الأمريكية (لندا والبرج) عن الصور الفاطمية التي قدّمها البعض من أنّها امرأة ضعيفة ومستسلمة للأمر الواقع! بل إنّ في صورتها الحقيقية هي تلك المرأة الناشطة السياسية، بقولها: «وتتكون بهذا لدينا صورةٌ عن امرأةٍ ناشطةٍ سياسياً، امرأةٌ قادرة على إلهام الآخرين على القيام بالشيء ذاته. ولذلك، ومما يُثير الاستغراب في ضوء هذه المُعطيات، ارتباط واحدٍ من الصور الشائعة عن فاطمة بصورة المرأة الضعيفة، والمريضة، والضحية المستسلمة!». وتعدّ قضية فاطمة إحدى القضايا الأخرى البارزة في مسيرة فاطمة السياسية<sup>(٣)</sup>. ويتفق معها هذا الرأي زملاؤها المستشرقون، ومنهم الكندي تود لاوسن، الذي يقول: «ونحن نرى بشخصية فاطمة امرأة نشطة سياسياً، شخصٌ يُمكن أن يُلهم الآخرين بسهولة لاتخاذ إجراءات مُماثلة»<sup>(٤)</sup>.

(١) الصدر، محمد باقر (ت ١٤٤٠هـ)، فلك في التاريخ، تحقيق: عبد الجبار شرارة، (ط ١)، مركز الغدير (١٤١٥هـ)، ص ٦٣.

(٢) للاطلاع ينظر: سعيد، إدوارد (ت ١٤٢٣هـ)، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د. محمد عناني، (ط ١)، القاهرة، ١٤٢٦هـ، ص ٥٤ - ٦٢.

(٣) الأعلام بين الشيعة، ٢٠١.

(4) The Authority of the Feminine and Fatima's Place in an Early Work by the Bab. p.152

## المبحث الثاني الحراك السياسي حول الخلافة

يتفق المستشرقون - كما أسلفنا سابقاً - بأنَّ هناك حراكاً سياسياً حاداً، حصل بين الأسرة النبوية العلوية والمهاجرين والأنصار بعد وفاة النبي ﷺ حول مَنْ يخلفه على المسلمين، وإدعى كلُّ منهم أحقيته بالخلافة، ويتحدّث هنا المستشرق (كارل بروكلمان Carl Brockelmann)<sup>(١)</sup> عن طبيعة الخلاف في بيعة السقيفة والأحقية بالخلافة، قائلاً: «وما كاد الرسول يلحق بالرفيق الأعلى حتى أحدثت الأخطار بالرسالة التي وقف عليها حياته، أعني توحيد بلاد العرب دينياً وسياسياً... والحقُّ أنَّ جميع الأحقاد السياسية التي كان النبي قد كتبها بنفوذه الأدبي لم تلبث أن ذرّت قِرْنها، فمن ناحية كان عددُ المنافقين لا يزال في المدينة كبيراً جداً، ومن ناحية ثانية كان الأنصار العريقون في المدينة يتوقون إلى التحرُّر من سلطان الأغلبية المُمَثَّلة في المهاجرين...، ثم إنَّ عليّاً، ابنَ عمِّ النبي وزوج ابنته، إدعى لنفسه الحقَّ في خلافته كرئيس دولة، بوصفه أقرب رَجاً إليه، ولكنّه كان، كسعد بن عبادَة سيد الأنصار،.... لا يملك من القوَّة أو من النفوذ ما يساعده على تحقيق طلبته»<sup>(٢)</sup>.

(١) مستشرق الماني، ولد في سنة ١٨٦٨م، حصل على الدكتوراه الأولى سنة ١٨٩٠م، انتخب بروكلمان في مجاميع: برلين وليبزيغ وبودابست وبون ودمشق، وغيرها، توفي سنة ١٩٥٦م عن عمر يناهز ٨٧ سنة؛ من مؤلفاته: العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري، وغيرهما. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٩٨.

(٢) بروكلمان، كارل (ت ١٣٧٥هـ)، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، (ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٣هـ)، ص ٨٣.

أما الفرنسي (سيديو Sedillot)<sup>(١)</sup> فإنه يرى بصلاح الأمة لخلافة نبي الإسلام بمبدأ الوراثة المُتمثل بزواج إبنته الامام علي عليه السلام، وكان من الممكن لو التزم المسلمون به لتجنبوا الوقوع في الفتنة التي أغرقت البلاد، بقوله: «وما كانت الحوادث التي تواترت بعد ذلك لتحقيق أمل أولئك الحراس الذين أوجبوا ذلك القتل، فاشتعلت الفتنة في كل ناحية،... جمع زوج فاطمة في شخصه حقوق الوراثة وحقوق الانتخاب، ووجب على كل واحد أن ينحني أمام صاحب هذا المجد العظيم الخالص»<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت الزهراء عليها السلام تُمثّل مع زوجها الإمام علي عليه السلام وريثة الأسرة النبوية، فهي على خطى أبيها النبي صلى الله عليه وآله في تحمّل مسؤولية الدفاع عن مبادئ الإسلام وقيمته العليا. ولما كانت المساحة السياسية في فكر أهل البيت عليه السلام هي مساحة واسعة تضم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومواجهة الحُكّام والأنظمة، فلقد لعبت فاطمة الزهراء عليها السلام دوراً بارزاً ومهماً بحسب المصادر التاريخية كما يقول المستشرق فيناي: «في النصوص التاريخية فاطمة لعبت دوراً في النزاع، امرأة جدلية في مركز أنتج من قوة تبعت وفاة محمد»<sup>(٣)</sup>.

إذ وجدت نفسها طرفاً في بعض الأحداث كما تقول الإيطالية (فاغليري Vaglieri)<sup>(٤)</sup>

(١) لويس بيير سيديو، ولد في باريس سنة ١٨٠٨م، درس على أبيه اللغات الشرقية والرياضيات، واهتم بأبحاث أبيه في تاريخ الفلك والرياضيات عن الشرقيين، توفي سنة ١٨٧٥م، من أعماله: مقدمة لوحات أولج الفلكية، وأبحاث في تاريخ الفلك عند العرب، ورسالة للحسن بن الهيثم، وغيرها. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٣٤٥-٢٤٧.

(٢) سيديو، لويس (ت ١٢٩٢هـ)، تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، (ط ١)، دار طبية للطباعة والنشر، مصر، ١٤٣٤هـ، ص ١٢٩.

(٣) Ibid.p.90.

(٤) لورا فيشيا فاغليري، ولدت سنة ١٨٩٣م، حصلت على الدكتوراه في آداب اللغة العربية من جامعة روما سنة ١٩١٥م، وعملت بعدها على تدريس اللغة العربية بالمعهد الشرقي بنابولي، وأصبحت مديرة القسم حتى وفاتها سنة ١٩٨٩م، لها عدة مؤلفات منها: الإسلام، ومطالعات عربية، والمسلمون في سردينا، وغيرها. ينظر: حمدان، عبد الحميد صالح، طبقات المستشرقين، (د.مط)، منشورات مكتبة مدبولي، مصر، د.ت، ص ١٦٧.

التي أعقبت وفاة أبيها<sup>(١)</sup>، فهي ترى أحقية زوجها الإمام علي عليه السلام بالخلافة دون غيره، فاجتهدت من أجل بيان الحق المُنْتَصَب في هذا الحراك، وهو ما سجّله لها الفرنسي (جين كالمارد Jane Kalmard)<sup>(٢)</sup> بتخصيص أعمال لها كانت ذات أهمية سياسية، منها دفاعها عن قضية الخلافة، ومعارضتها الشديدة للخليفة المنتخب والذي أوردته - والقول لكالمارد- أغلب مصادر المسلمين من كلا الفريقين تقريباً، وإن كان في إصدارات مختلفة<sup>(٣)</sup>.

وذهبت الدكتورة (دنيس صوفي Soufi Denise L.)<sup>(٤)</sup> إلى القول بأن الأحاديث تؤكد دخول فاطمة عليها السلام في النزاع الذي حصل بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهذه الأحاديث مع ميلها وتحيزها- حسب قولها- إلا أنها لا تخلو من الحقيقة؛ والدليل على ذلك أن أهل السنة لم يتمكنوا من تطهير تاريخهم مما يشينه، فلا ريب أن فاطمة عليها السلام نازعت أبا بكر، واعترضت عليه لتصديده للخلافة وضبطه لأموال الرسول، وقد ماتت وهي واجدة عليه، بل لا يبعد أن يكون إخفاء موتها مدّة وإخفاء مراسم تشييعها ودفنها يُعدّ وسيلة للغمز من الخليفة. ومن الواضح أن أهل السنة أهملوا هذه الكوّة [النافذة] الصغيرة من حياة فاطمة أو التقليل من شأنها، بينما ركّز عليها الشيعة، وأكّدوا عليها كثيراً<sup>(٥)</sup>.

بتصرّف The Encyclopaedia of Islam. Volume II.p.844 (1).

(٢) ولد في باريس سنة ١٩٣١م، خدم لسنوات في البحرية الفرنسية، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة طهران سنة ١٩٦٧م في أطروحته حول طقوس الاحتفال بكر بلاء في بلاد فارس، عمل في التدريس في كلية الدراسات العليا، وفي جامعة السوربون، توفي سنة ٢٠١٧م. موسوعة المستشرقين، ص ٧٧.

(3) Calmard, Jean. Fatimah: In myth, folklore, and popular devotion. Encyclopaedia Iranica. ( Encyclopaedia Iranica Foundation, 2018). p.2. بتصرّف.

(٤) دنيس لويس صوفي، ولدت سنة ١٩٦٩م، وحصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة برنستين سنة ١٩٩٧م لها اهتمامات واسعة في الشؤون الإسلامية، من أعمالها أطروحتها: فاطمة في الفكر المسلم الكلاسيكي.

(5) Soufi L. Denise. The Image of Fatima in Classical Muslim Thought. A dissertation Presented To The Faculty of Princeton university in candidacy for The Degree of Doctor of Philosophy. Recommended for Acceptance by The Department of near eastern Studies. (June, 1997). p.206.

وقد اتَّجهت فاطمة عليها السلام نتيجة هذا المشهد بإتجاهاتٍ عدّة، أهمّها:

#### أولاً: احتواء المعارضة:

غدا منزل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مركزاً لتجمّع المعارضين الذين رفضوابيعة الخليفة الجديد أبي بكر ممّن طالبوا بتعيين زوجها الإمام علي عليه السلام خليفةً للمسلمين، إذ يصف الفرنسي ماسينيون هؤلاء الثلة بالفرسان أصحاب التمرد النقي ضدّ السلطة السياسية، بقوله: «وكان من المتمردين الشيعة أمثال: أبو ذر وحجر بن عدي، الذين لم يكونوا أمراء بل كانوا مُناوئين بسطاء تحولوا إلى فرسان للدفاع عن الفقراء والمستضعفين ضدّ السلطة السياسية ومن معها، الذين حاولوا إضعاف هذا الصوت والوقوف بالصدّ من تأسيس الخلافة الفاطمية. فقد كان أصل تمرّد هؤلاء نقيّاً ومشابهاً لترنيمة التمجيد المريمي<sup>(١)</sup>، لما تعرضت له فاطمة من اعتداءٍ عليها وهي بضعة الرسول<sup>(٢)</sup>».

وهذا يُفصح عند المستشرق الإنكليزي (وليم موير William Muir)<sup>(٣)</sup> عن مركزية فاطمة عليها السلام في توجيه الرأي العام الإسلامي المعارض للانقلاب<sup>(٤)</sup>، فقد ورد: «أنّ عليّاً عليه السلام والزبير كانا يدخلان على فاطمة عليها السلام، فيُشاورانها ويرتجعان في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى جاء إلى فاطمة عليها السلام، فقال: والله ما من أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما

(١) ترنيمة التمجيد، أو النشيد المريمي، هي إحدى الترانيم الموجودة في الكتاب المقدس المنسوبة إلى مريم عليها السلام والتي تُستعمل في الصلوات والأدعية في جل الكنائس.

(2) Opera Minora. L'oratoire de Marie A L'aqca, Vu Sous Le Voile de Deuil .de Fatima.1956.p.597

(٣) ولد في جلاسجو الانكليزية سنة ١٨١٩م، عُني بالتاريخ الإسلامي، لكنّه كان شديد التعصب للمسيحية، تولّى إدارة جامعة أدنبرة في اسكتلنده من عام ١٨٨٥م. توفي في أدنبرة سنة ١٩٠٥م، من آثاره: حياة محمد وتاريخ الإسلام، وحوليات الخلافة. ينظر: حمدان، طبقات المستشرقين، ص ٢٠٣.

(4) Muir, William. The Life of Mahomet. Volme Iv. (London: Smith, Elder and co, 65, cornhill, 1861).p.291 بتصرّف

من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بما نعي إن اجتمع هؤلاء نفر عندك، أن أمر بتحريق البيت عليهم<sup>(١)</sup>. وبسبب فاعلية ذلك الحضور والتواجد الفاطمي أصدرت السلطة أوامرها بأن يُخرجوا من البيت بالقوة، ويُقاتلوهم إن هم رفضوا البيعة كما يؤكده الألمانى (مادلونك Madelung)<sup>(٢)</sup> من خلال المصادر التاريخية، بقوله: «تذكر المصادر أن القوة استعملت ضد الزبير فقط، فإنه مع جمع آخر من المهاجرين تجمعوا في بيت فاطمة، فهددهم عمر إن لم يخرجوا للبيعة فإنه سوف يحرق البيت، فخرج الزبير مُصلتاً سيفه لكنّه عثر ووقع السيف من يده فقيده أصحاب عمر. وتوجد شواهد<sup>(٣)</sup> على أن بيت فاطمة قد كُشف<sup>(٤)</sup>».

(١) ينظر: الصنعاني، عبد الرزاق (ت ٢١١هـ)، المصنّف، تحقيق وتخريج وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، (د. مط، د. ت، منشورات المجلس العلمي)، ج ٥، ص ٤٤٢؛ ابن أبي شيبة، عبد الله (ت ٢٣٤هـ)، المصنّف في الأحاديث والآثار، تحقيق: سعيد محمد اللحام، (ط ١)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ، ج ٨، ص ٥٧٢؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ج ١، ص ٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٢٧؛ المتقي الهندي، علاء الدين (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه وصححه: بكرى حيانى وصفوة السقا (ط ١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ، كتاب الخلافة - مسند عمر - رقم الحديث (١٤١٣٨)، ج ٥، ص ٦٥١.

(٢) ويلفرد فرديناند ماديلونغ، ولد سنة ١٩٣٠م، حصل على الدكتوراه في عام ١٩٥٧م، شغل منصب أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة شيكاغو، الحركات الدينية، خلفاء الرسول، المدارس والمذاهب الإسلامية، وغيرهما. ينظر: موقع ولفرد مادلنج [wikipedia.org/wiki](http://wikipedia.org/wiki)

(٣) البلاذري، أحمد (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (دار المعارف، مصر، ١٣٧٨هـ)، ج ١، ص ٥٨٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٥-٨٦؛ الجوهري، أبي بكر (ت ٣٢٣هـ)، السقيفة وفدك، تقديم وجمع وتحقيق: محمد هادي الأميني، (ط ٢)، شركة الكتبي، بيروت، ١٤١٣هـ، ص ٧٣؛ ابن عبد ربه، أحمد (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد قميحة، (ط ١)، المجلس العلمي: بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ، ج ٥، ص ١٣.

(٤) مادلونك، ويلفرد، خلافة محمد، عرض ونقد: هاشم الميلاني، (ط ١)، دار الكفيل، كربلاء، ١٤٣٦هـ، ص ٥٩.

لذا يجزم ماسينيون بأنه قد تمّ توثيق هذه المشاهد من قبل المستشرقين، رغم تشكيك البعض في صحتها، بقوله: «وفي حقيقة الأمر أكاد أجزم أن جميع المستشرقين وثّقوا المشهد الذي تحدّى فيه عمر لفاطمة... رغم الشكوك الكثيرة التي تحاول أن تنفي هذه الرواية»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: التحرك والدعوة لطلب النصرة:

إنّ من أوضح الأدلّة على دور المرأة في بيان حقوقها السياسية في الإسلام ما صرّح به القرآن الكريم في آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآيات الولاية الشاملة للرجال والنساء، والتي استدّل بها المفكر الإسلامي السيد محمد باقر الصدر رحمته الله على أنّ كلّ مؤمن ومؤمنة مؤهلّ للولاية السياسية، وأنّ الرجال والنساء سواء فيها، بقوله: «وتمارس الأمة دورها في الخلافة في الإطار التشريعي للقاعدتين القرآنيتين التاليتين: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٣)</sup> فإنّ النصّ الأول: يعطي للأمة صلاحية ممارسة أمورها عن طريق الشورى، ما لم يرد نصّ خاصّ على خلاف ذلك. والنصّ الثاني: يتحدث عن الولاية، وأنّ كلّ مؤمن وليّ الآخرين، ويريد بالولاية تولي أمورهم، بقرينة تفريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه، والنصّ ظاهر في سريان الولاية بين كلّ المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية»<sup>(٤)</sup>.

لذا فقد شكّلت السيدة فاطمة عليها السلام عند بعض المستشرقين<sup>(٥)</sup> ذلك الوجود العقدي والسياسي إلى جنب زوجها الإمام علي عليه السلام ومُساندته في تحركه وموقفه السياسي المعارض،

(1) Opera Minora. L'oratoire de Marie A L'aqca, Vu Sous Le Voile de Deuil .de Fatima.1956.p.596

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٤) الصدر، محمد باقر (ت ١٤٤٠ هـ)، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء - سلسلة الإسلام يقود الحياة -،

(ط ٢، دار التعارف، بيروت، ١٣٩٩ هـ)، ص ٥١ - ٥٢.

(5) The New Encyclopaedia Britannica. Volume 4. p.679.

لتذكير الأمة الإسلامية بالحق الطبيعي لآل البيت (عليهم السلام) والموقع الحقيقي لهم في الكيان الإسلامي. فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية، أن الإمام علياً (عليه السلام) خرج يحمل فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) على دابة ليلاً في مجالس الأنصار وبيوتهم تسألهم النصر، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول الإمام علي (عليه السلام): أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم<sup>(١)</sup>.

وتعرج الإيطالية فاغليري على هذه الرواية، قائلة: «وإذا كان ما ورد صحيحاً فإن فاطمة قد لعبت دوراً سياسياً في هذه الفترة...، وقد يكون في هذه الروايات بعض المبالغة أو بعض التفاصيل الزائدة، إلا أنه لا بد من أصل لها، وهذه الرواية توضح الدور السياسي الوحيد الذي قامت به فاطمة»<sup>(٢)</sup>.

وقد استطاعوا (عليهم السلام) أن يكسبوا من خلال تلك الحملة الإعلامية والتذكيرية ثلة من المناصرين التي أثرت فيهم تلك الحقيقة الفاطمية، ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب معاوية بن أبي سفيان في أيام خروجه على إمام زمانه وخليفة المسلمين الإمام علي (عليه السلام)، إذ ورد فيه تعبيره له بهذا الموقف، قائلاً: «... وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار، ويداك في يدي ابنك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت إليهم بابنك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يُجيبك منهم إلا أربعة أو خمسة»<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: ابن قتيبة، عبد الله (ت ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، (مؤسسة الحلبي: القاهرة، مصر، ١٣٨٧هـ)، ج ١٩؛ الجوهري، السقيفة وفدك، ص ٦٣ - ٦٤؛ شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ١٣ - ١٤.

(٢) بتصرف The Encyclopaedia of Islam. Volume II. p.844

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٧.

## ثالثاً: ثورة الدموع:

التحرّك العاطفي وإثارة الشجون نوعٌ من أنواع المطالبة بالحقوق الشرعية؛ وهذا الدور مارسته السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لتأجيج العاطفة في المجتمع لعلّه يفيق من غفلته، فقد تبنّته بشخصيتها الطاهرة بكثرة بكائها الذي استمرّ لفترة سنة كاملة حسب رأي الفرنسي (لويس غارديه Louis (Garde<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>)، وإن كانت تبكي لخسارتها والأمة الإسلامية لقائدهم العظيم النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وما آلت إليه هذه الأمة من نكبة عظيمة، إلا أنّ الزهراء (عليها السلام) كانت ترمي بأهدافٍ عالية المضامين نفعها يعودُ إلى الأمة نفسها.

فالقضية ليست مجرد بكاءٍ وألم، فقد أثّرت ببكائها تأثيراً بالغاً في المجتمع، وكادت أن توقظه من سباته وغفلته، لولا أنّ البعض من المسلمين ثقلَ عليه بُكاؤها؛ لأنّ منزلها مجاورٌ إلى جامع الرسول (صلى الله عليه وآله) فطلبوا من الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أن تجعل لبكائها وقتاً خاصّاً؛ لأنّهم لا يهجعون ولا يستريحون. فكلّمها أمير المؤمنين (عليه السلام) فأجابته إلى ذلك، فكانت في نهارها تخرج خارج المدينة وتصحب معها ولديها الحسن والحسين (عليهما السلام) فتجلس تحت شجرة من أراكٍ فتستظل تحتها، وتبكي أباه طيلة النهار، فإذا أوشكت الشمس أن تغرب، تقدّمها الحسان مع أبيهما ورجعوا قافلين إلى الدار التي حَيّمَ عليها الحزن والأسى، وعمد القوم إلى تلك الشجرة فقطعوها، فكانت تبكي في حرّ الشمس، فقام الإمام (عليه السلام) فبنى لها بيتاً أسماه (بيت الأحزان) ظلّ رمزاً لأسأها على مرّ العصور<sup>(٣)</sup>.

(١) مستشرق فرنسي، درس الفلسفة المقارنة بالكلية الدولية للفلسفة بمدينة تولوز، متخصص في مجال دراسات الفكر الإسلامي، ألّفى عدة محاضرات في روما والجزائر والقاهرة وبيروت وغيرها، توفي في باريس سنة ١٩٨٦ م، من مؤلفاته: التفكير الديني عند ابن سينا، والتجارب الصوفية في البلاد المسيحية، ورجال الإسلام، وغيرها. ينظر: حمدان، طبقات المستشرقين، ص ١١٠.

(٢) غارديه، لويس، الإسلام أمة النبي، ترجمة وتعليق وتعقيب: لويس صليبيا، طبع ضمن كتاب الإسلام في قراءة الاستشراق المسيحي - دراسة نصوص مترجمة، (دار ومكتبة بيبلون، جبيل، لبنان ١٤٣٦ هـ)، ص ٤٥٩.

(٣) ينظر: القرشي، باقر (ت ١٤٣٣ هـ)، موسوعة أهل البيت (عليهم السلام): فاطمة الزهراء (عليها السلام)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، (ط ١، دار المعروف، قم، ١٤٣٠ هـ) ج ٩، ص ٣٦٣؛ الاربلي، علي (ت ٦٩٣ هـ)، كشف الغمة في معرفة الاثمة، (ط ٢، دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٥ هـ)، ج ٢، ص ٩٠.

وهنا يصوغ لنا الألماني (كونسلمان Gerhard)<sup>(١)</sup> الطريقة الإعتراضية الترتيبية المنظمة التي تُدلل على عمق الألم، بقوله: «كانت فاطمة قد قرّرت الكفاح من أجل حقوق زوجها، فكان يصدر عن بيتها لأيام عديدة نحيبٌ، على شكلٍ اعتراضٍ رتيبٍ على ظلم المؤمنين»<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: المطالبة بفدك:

إنّجّمت أنظارُ المستشرقين الذين أولوجوا في الكتابة عن بعض المضامين المهمة من حياة السيدة فاطمة (عليها السلام) إلى موضوعٍ في غاية الأهمية، وليس من الممكن تجاهله، وهو مُطالبتها بعد وفاة أبيها من سُلطة خلافة المسلمين أبي بكر بأرض (فدك)، إذ يُصوّر لنا الفرنسي (هنري لامنس Henri Lammens)<sup>(٣)</sup> النزاع الذي حصل في تقسيم إرث نبي الإسلام بعد وفاته، قائلاً: «...حصل نزاع لتقسيم أملاك وعقارات والدها - فاطمة - الذي يبدو أنّه مات بدون وصية، ومن بين العديد من أملاك محمد طالبت بوجه خاص بواحة فدك»<sup>(٤)</sup>.

هذا التوجه من فاطمة (عليها السلام) في مُطالبتها بفدك اعتبره الكندي فيناي البداية والشرارة الأولى لإنطلاق المعارضة عند فاطمة (عليها السلام)، بقوله: «هي - فدك - بداية تأسيس نزعة قوية (١) باحث ومن أشهر الصحفيين الألمان، عملَ لوقت طويل محققاً بالتلفزيون الألماني، ومن خلال عمله هذا صار على دراية كبيرة بالتطورات السياسية في منطقة الشرق الأوسط وخاصة في المنطقة العربية، له مؤلفات كثيرة منها: العرب والقدس، وأغنياء الشرق، والحرب غير المقدسة (لبنان)، والنيل، وغيرها. ينظر: كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمه، (ط١، مدبولي، القاهرة ١٤١٢هـ)، مقدمة.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣) ولد سنة ١٨٦٢م، وغادر لبنان وهو في عمر الخامسة عشر، وبدأ حياة الرهبنة سنة ١٨٧٨م في دير اليسوعيين في لبنان، تنقل شرقاً وغرباً لدراسة علم اللاهوت، وقام برحلات عديدة في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر، توفي سنة ١٩٣٧م، من آثاره: مهد الإسلام، ومكة عشية الهجرة، والمعابد قبل الإسلام، وغيرها. ينظر: العقيقي، نجيب (ت ١٤٠٢هـ)، المستشرقون، (ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٣٨٤هـ)، ج ٣، ص ٢٩٣-٢٩٥.

(٤) Lammens, Fatima, the Encyclopedia of Islam, vol.3.p.87.

جداً للمُعارضة»<sup>(١)</sup>. وأدّى - كما تذكر الإيطالية فاغليري - إلى نشوء الخلاف بين فاطمة والخليفة أبي بكر، وكان عواقب هذا الخلاف استمر لأكثر من قرنين<sup>(٢)</sup>.

### تأميم فدك:

من الإجراءات القاسية التي اعتبرتها فاطمة عليها السلام في حقّها من قبل السلطة المتمثلة بخليفة المسلمين أبي بكر حيازة فدك وتأميمها، بعد أن عمدت السلطة إلى طرد عمّالها الذين يشتغلون في أرضها بطريقة مُباغتة ودون سابق إنذار<sup>(٣)</sup>، ثم مصادرة الموقع لبيت المال؛ باعتبار أنّها تدخل ضمن إرث النبي صلى الله عليه وآله، وما يعود له بعد وفاته يرجع إلى بيت مال المسلمين، علماً أنّ فدكاً ليست من موارث النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّه أعطاهَا هبةً في حياته لإبنته كما أسلفنا سابقاً، وما خلّفه من إرث لا يعدو كما يُشير إليه الكونت (هنري دي كاستري Henry de Castre)<sup>(٤)</sup> عن بيت بنائه، وبِضْع نياقٍ آلت إلى بيت المال<sup>(٥)</sup>.

لذا فإنّ المستشرقين متفقون على أنّ ردّة فعل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سريعة جداً في المطالبة بحقّها من فدك، إذ بادرت إلى خليفة المسلمين أبي بكر مُطالبةً منه إرجاعها إليها،

(1) Fatima as a Motif of Contention and Suffering in Islamic Sources.p.31

(2) The Encyclopaedia of Islam. Volume II.p.844

(٣) ينظر: المفيد، الاختصاص، ص ١٨٣؛ الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، الاحتجاج، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخراسان، (مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٦م)، ج ١، ص ١١٩.

(٤) ولد سنة ١٨٥٠م، كاتب مسيحي فرنسي، ويُعدّ من أكثر المستشرقين إنصافاً للإسلام، عاش زمناً طويلاً في الجزائر، إذ كان مُقدّماً في الجيش الفرنسي بالجزائر، ومن هنا جاء اهتمامه بالإسلام. توفي سنة ١٩٢٧م. من مؤلفاته: الأشراف السعديون، ورحلة هولندي إلى المغرب، وغيرها. ينظر: موقع <https://creativity507.wordpress.com>

(٥) كاستري، هنري (ت ١٣٤٥هـ)، الإسلام خواطر وسوانح، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، (مطبعة الشعب، مصر، ١٣٢٩هـ)، ص ٢٩.

فدبّ الخلاف بين الطرفين كما تقول الباحثة فاغليري بادعاء فاطمة الزهراء عليها السلام بأنه إرث لها، وأبو بكر يدّعي بأنه كما كان في وقت النبي باعتبارها ليست من الصدقات<sup>(١)</sup>.

وتحدّث المستشرق (دوايت رونلدسن Dwight Ronaldsen)<sup>(٢)</sup> عن فذك وميراث فاطمة عليها السلام بقوله: «ولم يمض على وفاة الرسول زمن طويل حتى جاءت فاطمة ومعها علي إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها»<sup>(٣)</sup>. أما المستشرق (شلايفر Schleifer)<sup>(٤)</sup> فإنه يذكر: «عند وفاة محمد ابنته فاطمة طالبت بخير وفذك وينبغي أن يعطي لها ميراث والدها، لكن أبا بكر رفض إعطاءها هذه البساتين وذكرها بكلمات لمحمد، قال فيها: لا يجوز لأي أحد أن يرثني وأترك ما ورائي ليعود للفقراء»<sup>(٥)</sup>. وقد أكّدت ابنة النبي فاطمة عليها السلام كما جاء في متابعات آرثر بوهلر لهذا الحدث عندما ذهبت إلى أبي بكر لاستعادة فذك بأنّ محمداً قد أعطاهما إيّاها<sup>(٦)</sup>.

أما الألمانيّ كونسلمان فيشير إلى أنّ فاطمة عليها السلام دافعت عن حقّها في فذك بعد استبعاد وكيلها في الأرض من قبل الخليفة الأول، إلى أن يقول: «إلا أنّ أبا بكر لم يخش هذا، فهو

بتصرّف The Encyclopaedia of Islam. Volume II.p.725 (1).

(٢) هو دوايت نيوتن رونلدسن، مستشرق بريطاني، ولد سنة ١٨٨٤م، نال شهادة الماجستير في اللاهوت سنة ١٩٢٧م وخلال هذه الفترة اختير من قبل الكنيسة كمبشر إلى إيران، واستقر في مشهد حتى سنة ١٩٤٠م، توفي في مدينة لكيلان سنة ١٩٧٦م. ينظر: مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص ٣٤٢.

(٣) رونلدسن، دوايت (ت ١٣٩٥هـ)، عقيدة الشيعة، ترجمة: ع. م، (ط ١)، مؤسسة المفيد، بيروت، ١٤١٠هـ، ص ٣٦.

(٤) مستشرق أمريكي، ولد في نيويورك سنة ١٩٣٥م، حصل على بكالوريوس علوم سياسية من جامعة بنسلفانيا سنة ١٩٥٦م، وشهادة الماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٨٠م، خبير بارز في الشرق الأوسط، زميل أقدم في المعهد الملكي آل البيت للفكر الإسلامي في الأردن. ينظر: [https://en.wikipedia.org/wiki/Abdallah\\_Schleifer](https://en.wikipedia.org/wiki/Abdallah_Schleifer)

(5) Schleifer, Fadak, The Encyclopaedia of Islam. Volume.3.p.87

(6) Muhammad in History, Thought, and Culture. An Encyclopedia of the prophet of God. Volume 1.p.186

أيضاً يتذكر جُملاً قالها الرسول اكتسبت الآن فجأة قيمة التعاليم، ونصَّ أحد هذه التعاليم على التالي: بعد موت رسول الله يكون ما يملك مُلكاً للفقراء، وللتوزيع العادل لنصيب الفقراء يكون الخليفة هو المختص، وكان الخليفة هو أبو بكر، واستناداً لهذا التوكيل الذي يعرفه هو وحده فقط، قام الخليفة أبو بكر بنزع مُلكية أراضي واحتي فدك وخيبر الخصبة، والتي كانت مُلكاً للنبي وصارت مُلكاً لفاطمة<sup>(١)</sup>.

ويرى - فيناني - المراقب للروايات المبكرة حول قضية فدك، أنَّ التشكُّل التاريخي للصراعات الأولى بين فاطمة وأبي بكر في المصادر المبكرة عند المسلمين، جاء من خلال رواية أم هاني التي ذكرها ابن سعد في طبقاته، والذي أوردَ بالتفصيل الخصومة حول ملكية فدك، برواية أم هاني واعتبرها مصدراً ثقةً لقرباتها من النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، ثم يستعرض لنا - فيناني - الرواية عن ابن سعد بعد أن يؤكد أنَّ فاطمة جاءت وتحمل معها سلسلة من الاسئلة الاستتاجية، والرواية هي: أخبرنا عفان بن مسلم أخبرنا حماد بن سلمة حدثني الكلبي عن أبي صالح عن أم هاني: أنَّ فاطمة قالت لأبي بكر: مَنْ يرثك إذا متَّ؟! قال: ولدي وأهلي.

قالت: فما لك ورثت النبي دوننا؟

فقال: يا بنت رسول الله إني ما ورثت أباك أرضاً ولا ذهباً ولا فضة ولا غلاماً ولا مالا.

قالت: فستهم الله الذي جعله لنا وصافيتنا التي بيدك؟

فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إنها طعمة أطعمنيها الله فإذا متَّ كان بين

المسلمين<sup>(٣)</sup>.

(١) سطوع نجم الشيعة، ص ١٨.

(2) Fatima as a Motif of Contention and Suffering in Islamic Sources. p.16.

(٣) ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، (دار صادر، بيروت، د.ت)، ج ٢، ص ٣١٤. أيضاً رواها ابن حنبل، مسند أحمد، ج ١، ص ١٠؛ البلاذري، أحمد (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، فهرسة: صلاح الدين المنجد، (مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٣٧٥هـ)، ج ١، ص ٣٥؛ السيوطي، عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، مسند فاطمة الزهراء ﷺ وما وردَ في فضلها: حققه وخرَّج أحاديثه: فوز أحمد زمزلي، (ط ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ)، ص ٧١-٧٢.

### ويستنتج المستشرق فيناي من خلال فكره التحليلي لهذه الرواية الآتي:

أولاً: فاطمة هي التي بدأت بالسؤال لأبي بكر في حقها بالإرث حالها حال أولاد أبي بكر؛ باعتبار أن محمداً النبي هو نفسه محمد الأب، ويبدو عقلاً أن فاطمة كانت تمثل في السؤال حتى توضح رغبتها في الحصول على جوابٍ معيّن، بأنّها من الممكن أن ترث أبها. ثانياً: توضح الرواية رغبة فاطمة في الحصول على نفس حقوق أولاد أبي بكر.

ثالثاً: إفتراض فاطمة على كون محمد نبياً، إلا أن قوانين الإرث يجب أن تطبق على الجميع.

رابعاً: الإستثناءات الواردة في القرآن الكريم حول النبي مثل جواز زواجه بأكثر من أربعة نساء<sup>(١)</sup>، ولم يذكر إستثناء الإرث، وبشكل أدقّ هذا الإستثناء القرآني كان يُمثل قلب الخلاف حول فدك.

خامساً: فاطمة كانت تحتفظ بامتيازها وشرفها كونها بنت النبي، لكنّ هذا الإمتياز حرّمها من الحصول على حقّها في الإرث.

سادساً: كلمات فاطمة: (التي بيدك) تعبير على فرض اغتصاب السلطة - أي: سلطة فاطمة في الإرث - وهو نوع من التمييز<sup>(٢)</sup>.

(١) يُشير المستشرق فيناي في هامش كتابه إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ سورة الاحزاب، الآية: ٥٠.

(2) Fatima as a Motif of Contention and Suffering in Islamic Sources

ثم إنَّ المؤرخين ذكروا أنَّ أبا بكر طلبَ منها الشهود على ذلك، فجاءت بالإمام علي عليه السلام، والسيدة أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ حاضنته وأم أسامة بن زيد التي قال في حقها النبي ﷺ: «إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>. وبعد أن أدلوا بشهادتهم، لم يقبل أبو بكر تلك الشهادة، بقوله: «قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا يجوز إلا شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، وأم أيمن امرأة وشهادتها لوحدها لا تكفي، يجب أن تشهد معها امرأة أخرى، أو اثنتي برجل بدلاً عنها»<sup>(٢)</sup>. لذا اعتبر أبو بكر كما استتجت الإيطالية فاغليري هذا الدليل غير مُلائم، مُعترفاً بأنَّه يجب أن يكون هناك دخل لعائلة النبي، ولكن ليس من فدك<sup>(٣)</sup>.

ثم إنَّ السيدة فاطمة عليها السلام بعد أن رُدَّت تلك الشهادة عضدتها بشهادة ولديها الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وبذلك يصبح العدد أربع شهود، كما جاء في رواية يعقوبي<sup>(٤)</sup> والمسعودي<sup>(٥)</sup>. وهنا يُعلّق الباحث فيناي على هذا المشهد، بقوله: «وبحسب هذه الرواية إنَّ أبا بكر لم يرفض شهادة فاطمة فقط؛ بل اعترض على شهادة كلِّ أهل بيت النبي، ممَّا أدَّى إلى نشوب صراعٍ سياسي بين الهاشميين من جهة وبين أبي بكر وأنصاره من جهة أخرى»<sup>(٦)</sup>.

### الخطبة الفدكية:

يوصف الخطاب التاريخي الذي ألقته السيدة فاطمة عليها السلام في بهو جامع أبيها على المسلمين بعد مُصادرة حقها في فدك، من الخطابات النسائية البالغة الأهمية في تاريخ المسلمين، والذي

(١) ينظر: الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر - باب المستضعف -، ج ٢، ص ٤٠٥.

(٢) ينظر: ابن شبة، عمر (ت ٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهم محمد شلتوت، (مطبعة قدس، قم، ١٤١٠هـ)، ج ١، ص ١٩٩؛ فتوح البلدان، ج ١، ص ٣٥؛ الحلبي، نور الدين (ت ٩٧٥هـ)، السيرة الحلبية، (دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٤٠٠هـ)، ج ٣، ص ٥١١.

(3) The Encyclopaedia of Islam. Volume II. p.726.

(٤) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٣٣٠.

(٥) المسعودي، علي (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط ٢، دار الهجرة، قم، ١٤٠٤هـ)، ج ٣، ص ٢٣٧.

(6) Fatima as a Motif of Contention and Suffering in Islamic Sources. p.28.

وضعت فيه النقاط على الحروف في مسألة إرثها من النبي ﷺ. كما أعربت فيه عن الأخطار الهائلة التي ستُعانيها الأمة في مسيرتها. ولشهرة هذه الخطبة الروائية فقد عُني بها جملة من علماء أبناء الجمهور، وأوردوها كلاً أو بعضاً في كتبهم المعتبرة<sup>(١)</sup>.

ولم تغفل هذه الخطبة عن فكر عدد من المستشرقين الذي أشادوا فيها إلى شجاعة مُلقِيها، كما يظهر ذلك من كلام الأمريكي (جورج وارنر George Warner)<sup>(٢)</sup>، حين قال: «إنَّ الخطبة التي تُعطيها فاطمة بعد وفاة والدها هي بالتأكيد، مهمة شجاعة وفعّالة في حد ذاتها»<sup>(٣)</sup>. كما وصف خطبتها، بأنها كانت شديدة اللهجة، والتوبيخ للمسلمين وكانت قاسية جداً، وتخلّلتها الكثير من الأقوال القرآنية لدعم حُجَّتِها<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: ابن طيفور، أبو الفضل (ت ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، (مطبعة شريعت، قم ١٣٧٨هـ)، ص ٢٣؛ الجوهري، السقيفة وفدك، ص ١٠٠-١٠٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢١١-١١٣؛ ابن الأثير، محمد (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي، (ط ٤)، مؤسسة اسماعيليان، قم، ١٤٠٦هـ، ج ٤، ص ٢٧٣، مادة: (لَمَّة)؛ أيضاً كتابه: منال الطالب في شرح طوال الغرائب، تحقيق: محمد محمود الطناحي، (ط ١)، مركز البحث العلمي لإحياء التراث الإسلامي: مكة المكرمة، السعودية، ١٣٩٩هـ، ج ٢، ص ٥٠١-٥٠٧؛ ابن منظور، محمد (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، (د. مط، قم، ١٤٠٥هـ)، ج ١٢، ص ٥٤٨، مادة: (لَمَّة)، وفيه قال: «في حديث فاطمة، رضوان الله عليها، أنها خرجت في لَمَّة من نساءها تتوطأ ذَيْلُها إلى أبي بكر فعاتبته، أي في جماعة من نساءها». كحالة، عمر رضا، أعلام النساء، (ط ٢)، مطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٨هـ، ص ١١٧-١١٩.

(٢) جورج وليام وارنر، ولد في واشنطن سنة ١٩٢٧م، محامي وسياسي، شغل منصب وزير البحرية الأمريكي سنة ١٩٧٢م، حصل على شهادة القانون من جامعة جورج واشنطن سنة ١٩٥٣م، حصل على عضوية مجلس الشيوخ الأمريكي من ولاية فرجينيا سنة ١٩٧٩م.

ينظر: موقع [https://en.wikipedia.org/wiki/John\\_Warne](https://en.wikipedia.org/wiki/John_Warne)

(3) Warner, George. Tragedy, History, and the Sacred: The Hujjah Fatimat al- Zahra'. Magazine Journal of Shi'a Islamic Studies. (University of Cambridge, UK. Spring 2011. Vol. IV. No.2.. p.150

(4) Ibid. pp.135- 137 بتصرف

وأشارَ الكندي فيناي إلى مجيء فاطمة عليها السلام والمشاهد والأفعال والتصرفات التي قامت بها من حين خروجها من البيت ووصولها إلى المسجد، فهي تهدف بوضوح إلى إقناع الآخرين بجديتها المطالبة بفدك، ثم يُصرّح برأيه حول دلالات هذه الخطبة، قائلاً: «توضح هذه الخطبة مجابهة فاطمة لأبي بكر بأن فاطمة تُمثّل امرأة ذكية مع طموحات سياسية واضحة، إذ تَصعُ نفسها في دور قائد الجيش عن طريق حث الآخرين للإلتزام بالأخلاقيات التي يحملها الرجال»<sup>(١)</sup>.

يُلاحظ بعد إستعراض المستشرق فيناي لهذا المشهد من الخطبة، بأن الآيات القرآنية التي ذُكرت دليل واضح على أن أولاد الأنبياء ورثوا من آبائهم، ويؤكد بقوله: «وهذا الإرث هو إشارة إلى المواد وليس العلم فقط»<sup>(٢)</sup>.

كما يفهم الباحث فيناي من ردّ أبي بكر بحديث النبي ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، ثلاث احتمالات:

الأول: إمّا أن يكون النبي قد أخطأ في إخباره لأبي بكر بهذه المعلومة.

الثاني: أو أن يكون أبو بكر أساء فهم قول النبي.

ثالثاً: أو أن يكون أبو بكر ابتدعَ هذا الحديث ليحرم أسرة النبي من الإرث<sup>(٣)</sup>.

وأخيراً تستخلص الإيطالية فاغليري من قضية فدك بأنها مهمّة من وجهة نظر الشرع، فقد ثبتت من الزمن المبكر للإسلام، إذ كان هناك اختلاف بين الملكية الخاصة والعامة، وإدراكك للواجبات والحقوق التي تتعلّق بكلٍ منهما<sup>(٤)</sup>.

(1) Fatima as a Motif of Contention and Suffering in Islamic Sources.p.58

(2) Fatima as a Motif of Contention and Suffering in Islamic Sources.p.29

(3) Ibid.p.29 . بتصرّف .

(4) Fadak, The Encyclopaedia of Islam. Volume II.p.727

### خامساً: سلاح الغضب والاعتصام:

ثم -وبعد أن خطبت الزهراء عليها السلام تلك الخطبة في المطالبة بحقوقها، فلم تلقَ إذناً صاغيةً من قِبَل السلطة الحاكمة- اتخذت سلاحاً آخر للتعبير عن المعارضة، واختارت سلاح الصِّمْتِ والاعتصام مُعلنةً غَضَبَهَا على أبي بكر أمام الملاء، بقولها: «والله لا أكلمك بكلمة ما حييت»<sup>(١)</sup>، وأكدَّ البخاري<sup>(٢)</sup> ومسلم<sup>(٣)</sup> خبر غضبها في صحيحيهما، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها (ميراثها) فوجدت فاطمة عليها السلام على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت<sup>(٤)</sup>.

(١) قال أبو عثمان الجاحظ: «...، فلما منعها ميراثها وبخسها حقها واعتلَّ عليها وجلح أمرها وعابنت التّهضم وأيست في التورّع ووجدت نشوة الضعف وقلة الناصر، قالت: والله لأدعون الله عليك. والله لا كلمتك أبداً».

الجاحظ، عمرو (ت ٢٥٥هـ)، الرسائل السياسية، قدّم له وبوّبها: علي بو ملحم، (مطبعة دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٥هـ)، ص ٤٦٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي - باب غزوة خيبر - رقم الحديث (٧٠٤)، ج ٥، ص ٢٥٢. وفيه رواه مرفوعاً إلى عائشة، قائلاً: عن عائشة، إنّ فاطمة بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول ﷺ بما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته، فلم تكلمه حتى توفيت.

(٣) النيسابوري، مسلم (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تعليق وإشراف: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط ١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ)، كتاب الجهاد والسير - باب قول النبي لا نورث ما تركناه صدقة - رقم الحديث (١٧٥٨)، ج ٣، ص ١٣٧٩.

(٤) ينظر: الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ج ٥، ص ٤٧٢، حديث رقم (٩٧٧٤)، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣١٥؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ج ١، ص ٦؛ الجوهري، السقيفة وفدك، ص ١٠١ - ١٠٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢١٤؛ السيوطي، مسند فاطمة الزهراء عليها السلام، ص ٦٨.

لذا فالمستشرق مادولنك يُشير إلى حيرة وتعجب فاطمة عليها السلام بعد إقصائها من قبل أبي بكر، فعَمَدَت إلى الهجر، بقوله: «وقد تحيرت وتعجبت فاطمة بنتُ النبي من ادعاء أبي بكر هذا، فإنَّها لم تتمكَّن من اتِّخاذ موقفٍ صريحٍ اعتراضاً على هذا الحُكم، ولكن على ما روت عائشة: «فهجرتُ فاطمة فلم تُكلِّمهُ في ذلك حتى ماتت، فدفنها عليٌّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر»<sup>(١)</sup>.

ويذهبُ الانكليزيّ ولیم مویر إلى أنَّ فاطمة عليها السلام فشلت في تقديم أيِّ دليلٍ على قصد والدها أن يَهَبَ هذه الملكية إليها، والخليفة تَمَسَّكَ بكُلِّ ما أُوتِيَ من قوة، فإنَّ الأمر يجب أن يُحجز لأغراض الطبقة أو المنزلة التي خصَّصها محمد في فترة حياته. فتأثرت فاطمةُ تأثراً شديداً إزاء هذا الرفض، بحيث أنَّها لم توافق على الاتِّصال بأبي بكر خلال البقية القصيرة من حياتها<sup>(٢)</sup>.

وفي مُتابعة روايات هجران وغضب السيدة فاطمة عليها السلام لخليفة المسلمين أبي بكر ومُستشاره عمر بن الخطاب، اعتمدت الباحثة فاغليري على كتاب الإمامة والسياسة لابن قُتَيْبَة في شرح الواقعة، قائلة: «وقد رفضت فاطمة السماح لأبي بكر وعمر بدخول بيتها عندما عادا إليها مرةً ثانية، ولمَّا سمَحَ لهما عليٌّ بالدخول أشاحت فاطمة بوجهها حتى لا تنظر إليهما»<sup>(٣)</sup>.

لذا يصف هنا الكندي فيناي غضب فاطمة عليها السلام، قائلاً: «يبدو بأن لا شيء استطاع تغيير إرضاء قلب فاطمة على غضبها الشديد على أبي بكر وعمر»<sup>(٤)</sup>.

(١) خلافة محمد، ص ٩٠ - ٩١.

بتصرّف (2) The Life of Mahomet. Volume IV. p.291.

(3) The Encyclopaedia of Islam. Volume II. p.844.

(4) Fatima as a Motif of Contention and Suffering in Islamic Sources. p.34.

إنَّ هذا الحراك السياسي الذي قاده السيدة فاطمة عليها السلام، للمطالبة بفدك قد حوّلها من صورتها التقليدية الضعيفة في وسط الظلم إلى البطل الثوري الذي قاتل من أجل الحقوق السياسية والقانونية، وهذا هو التصوير المبكر الذي سجّله المستشرق (راشيل فيدر Rachel Feder)<sup>(١)</sup> في مقالها من وجهة نظر المفكر السيد محمد باقر الصدر<sup>(٢)</sup> لمطالبة فاطمة بفدك،

يُمثّل واحدة من أولى الجهود لإعادة تفسير الأدبيات الشيعية إلى ناشطة<sup>(٣)</sup>.

ولهذا استغربت المستشرقة الباحثة الأمريكية (لندا والبرج landa walburj)<sup>(٤)</sup> من الصور الفاطمية التي قدّمها البعض عن أنّها امرأة ضعيفة ومستسلمة للأمر الواقع! بل إنّ في صورتها الحقيقية هي تلك المرأة الناشطة السياسية، بقولها: «وتتكون بهذا لدينا صورة عن امرأة ناشطة سياسياً، امرأة قادرة على إلهام الآخرين على القيام بالشيء ذاته. ولذلك،

(١) الدكتورة راشيل كانتز فيدر، باحثة في مركز موشيه ديان للدراسات الشرق أوسطية والإفريقية، ومحاضرة في عدد من برامج الدرجات الدولية بجامعة تل أبيب.

(٢) أشار السيد محمد باقر الصدر (قد) إلى أنّ ثورة الزهراء عليها السلام انطلقتها من خلال قضية فدك، قوله: «إننا نحسّ إذا درسنا الواقع التاريخي لمشكلة فدك ومنازعاتها، فإنّها مطبوعة بطابع تلك الثورة، وتبين بجلاء أنّ هذه المنازعات كانت في واقعها ثورة على السياسة العليا وألوانها التي بدت للزهراء عليها السلام بعيدة عما تألّفه من ضروب الحكم». فدك في التاريخ، ص ٥٩.

(3) Feder, Rachel. Fatima's Revolutionary Image in Fadak fi al-Ta'rikh: The Inception of Muhammad Baqir al-Sadr's Activism. ( British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 41, Issue 1, 2014).p. 79-96

(٤) باحثة واستاذة زائرة في جامعة لاهور للعلوم الإدارية في الباكستان، لها مجموعة أعمال منها: من دون نسيان الإمام: الإسلام الشيعي في مجتمع محلي أمريكي.

ينظر: والبرج، لندا، الأعلام عند الشيعة - دراسة في مؤسسة ومرجعية التقليد-، ترجمة: د. هناء خليف غني، بحث منشور للمستشرق ماثيو بيرس بعنوان: «إحياء ذكرى فاطمة: طرائق جديدة لإضفاء صفة الشرعية على السلطة الأنثوية في الخطاب الشيعي المعاصر»، (د. مط، بيروت، ١٤٣٨ هـ)، المقدمة.

ومما يُثير الإستغراب في ضوء هذه المعطيات ارتباط واحدةٍ من الصور الشائعة عن فاطمة بصورة المرأة الضعيفة، والمريضة، والصّحية المُستسلمة! وتُعدّ قضية فذلك إحدى القضايا الأخرى البارزة في مسيرة فاطمة السياسية<sup>(١)</sup>.

ويتفق معها بهذا الرأي زملاؤها المستشرقون ومنهم الكندي (تود لاوسن Todd Lawson)<sup>(٢)</sup>، الذي يقول: «ونحن نرى بشخصية فاطمة امرأة نشطة سياسياً، شخصٌ يُمكن أن يُلهم الآخرين بسهولة لإِتخاذ إجراءات مُماثلة»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠١.

(٢) مستشرق كندي، حاصل على شهادة البكالوريوس سنة ١٩٧٦م من جامعة كولومبيا، وأكمل دراساته العليا في جامعة ماكجيل فحصل على الدكتوراه سنة ١٩٨٧م، وهو الآن أستاذ مشارك في جامعة تورنتو الكندية في قسم الحضارات القريبة والوسطى، له عدد من الدراسات والبحوث.

ينظر: موقع <http://toddlawson.ca/cv>

(3) Lawson, Todd. The Authority of the Feminine and Fatima's Place in an Early Work by the Bab. (Online Journal of Baha'I Studies. Volume 1.2007). p.152.

## الخاتمة (نتائج البحث)

وأخيراً وبعد أن وصلنا في رحلتنا وجولتنا المتشعبة في سفينة المستشرقين، سوف نحط رحالنا الآن لنرسم نتائج ما خطته أناملهم، من أفكارٍ أخرجناها من جعبتهم عن إنموذج لشخصية نسائية إسلامية عظيمة، لطالما قورنت سيرتها التقوية عندهم بسيرة السيدة مريم العذراء (عليها السلام) ومقامها ألا وهي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وما توالى عليها المشهد السياسي آنذاك، ومما تقدم من معلوماتٍ واردة في هذه الدراسة، وما توصل إليه البحث من إستنتاجاتٍ يمكن إدراجها في النقاط الآتية:

أولاً: أشاد عدد من المستشرقين بالشخصية العظيمة والفذة للسيدة فاطمة (عليها السلام)، إذ اتفقت أقوالهم على أنها إنموذج رائع للشخصية النسائية التي عرفها العالم العربي والإسلامي، وحظيت عندهم بصفاتها واحدة من أكثر النساء المسلمات قداسةً.

ثانياً: يكاد يتفق المستشرقون، أن الأحداث التي وقعت بعد رحيل النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في مسألة الخلافة، قد ولدت شرخاً كبيراً في السياسة الإسلامية، إذ تعددت الصرخات التي تدعي أحقيتها في هذا الأمر، وكل أصبح يدلو بدلو في سقيفة بني ساعدة.

ثالثاً: تعامل المستشرقون مع السيدة فاطمة (عليها السلام) نتيجة للحراك السياسي الذي نتج بعد وفاة أبيها النبي (صلى الله عليه وآله)، على أنها أول ناشطة، وأول معارضة سياسية في الإسلام؛ لما آلت إليها السياسة من إبعاد زوجها الإمام علي (عليه السلام) كما تعتقد عن سدة الخلافة.

رابعاً: يرى المستشرقون، أن السيدة فاطمة (عليها السلام) وجدت نفسها طرفاً في تلك الأحداث السياسية، لذا اتجهت باتجاهاتٍ متعددة، لبيان موقفها الحقيقي، فكان أهمها احتواء رجال المعارضة الذين رفضوا البيعة لغير زوجها علي (عليه السلام) في منزلها، وكذا خروجها مع زوجها وابنيها الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) لدعوة المسلمين إلى النصر.

خامساً: يتفق المستشرقون جميعاً على أنّ خلافاً وَقَعَ في التاريخ الإسلامي، بين فاطمة عليها السلام وخليفة المسلمين أبي بكر، نتيجة مُطالبتها بحَقّها من أرض فدك التي وهبها لها النبي ﷺ أيام حياته، بعد مُصادرتها من قِبل السلطة وإدخالها في ديوان المسلمين، وتشهدُ عندهم بذلك الحُطبة الفدكية التي نصَّ عليها رواة المسلمين، والتي تُعتبر الإعلام الفاطمي الذي حولها من امرأة ضعيفة - كما يسوغ ذلك عند البعض -، إلى البطلة الثورية المُطالبة بالحقوق السياسية والقانونية.

## قائمة مصادر البحث

القرآن الكريم.

### أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- ابن أبي الحديد، أبو حامد بن هبة الله محمد (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م).
- ١- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط ١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م).
- ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م).
- ٢- المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: سعيد محمد اللحام، (ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م).
- ٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي، (ط ٤، مؤسسة اسماعيليان، قم، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
- ٤- الكامل في التاريخ، (دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م).
- ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م).
- ٥- منال الطالب في شرح طوال الغرائب، تحقيق: محمد محمود الطناحي، (ط ١، مركز البحث العلمي لإحياء التراث الاسلامي: مكة المكرمة، السعودية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
- ابن سعد، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م).
- ٦- الطبقات الكبرى، (دار صادر، بيروت، د.ت).

- ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥ م).  
 ٧- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهد محمد شلتوت، (مطبعة قدس، قم، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م).  
 ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٤ م).  
 ٨- بلاغات النساء، (مطبعة شريعت، قم، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩ م).  
 ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩ م).  
 ٩- العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (ط ١، المجلس العلمي: بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م).  
 ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م).  
 ١٠- الامامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، (مؤسسة الحلبي: القاهرة، مصر، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م).  
 ١١- تفسير غريب القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، (المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م).  
 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠ م).  
 ١٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، حققه وأخرجه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، (ط ٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩١ م).  
 ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١٢ م).  
 ١٦- لسان العرب، (د. مط، قم، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م).  
 الاربلي، علي بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣ م).

١٩- كشف الغمة في معرفة الأئمة، (ط٢، دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

٢٠- صحيح البخاري، شرح وتحقيق: قاسم الشماخي الرفاعي، (دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت).  
بدر، علي.

٢١- ماسينيون في بغداد، (منشورات الجمل، ألمانيا، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

بدوي، عبد الرحمن (ت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٢٢- شخصيات قلقة في الإسلام، (ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٢٣- أنساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (دار المعارف، مصر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٧٧م).

٢٤- فتوح البلدان، فهرسة: د. صلاح الدين المنجد، (مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

الجوهري، أبي بكر أحمد بن عبد العزيز (ت ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م).

٢٦- السقيفة وفدك، تقديم وجمع وتحقيق: د. محمد هادي الأميني، (ط ٢، شركة الكتبي للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).

٢٧- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (ط ١، طهران، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).

حمدان، عبد الحميد صالح.

٢٨- طبقات المستشرقين، (د.مط، منشورات مكتبة مدبولي، مصر، د.ت)

حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م).

٣٠- مسند أحمد، (دار صادر - بيروت، د.ت).

الزركلي، خير الدين (ت ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

٣٣- الأعلام، (ط ٥ دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

سعيد، إدوارد (ت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

٣٥- الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د. محمد عناني، (ط ١، القاهرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

٣٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (دار المعرفة، بيروت، د.ت).

٣٧- مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام) وما ورد في فضلها، حققه وخرّج أحاديثه: فواز أحمد زمرلي، (ط ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م).

٣٨- تلخيص البيان في مجازات القرآن، حققه وقدم له: محمد عبد الغني حسن، (ط ٢، دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

الصدر، محمد باقر بن حيدر (ت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

- ٣٩- خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء - سلسلة الإسلام يقود الحياة - (ط ٢، دار التعارف، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
- ٤٠- فذك في التاريخ، تحقيق: د. عبد الجبار شرارة، (ط ١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م).
- ٤١- الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة في قم، (ط ١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م).
- ٤٢- المصنّف، تحقيق وتخرّيج وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، (د. مط، د. ت، منشورات المجلس العلمي).
- العقيقي، نجيب (ت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
- ٤٥- المستشرقون، (ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).
- القاضي النعمان، النعمان بن محمد المغربي (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م).
- ٤٦- دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).
- القرشي، باقر بن شريف (ت ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م).
- ٤٧- موسوعة أهل البيت (عليه السلام) - فاطمة الزهراء (عليها السلام) - ، تحقيق: مهدي باقر القرشي ، (ط ١، دار المعروف، قم، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).
- كحالة، عمر رضا.

- ٤٨- أعلام النساء، (ط ٢، مطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م).
- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٣٩هـ / ٩٥٠م).
- ٤٩- الأصول من الكافي، تحقيق وتصحيح: علي أكبر الغفاري، (ط ٥، حيدري، طهران، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).
- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م).
- ٥٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه وصححه: بكري حياني وصفوة السقا (ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- مراد، يحيى.
- ٥١- معجم أسماء المستشرقين، (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م).
- ٥٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط ٢، دار الهجرة، قم، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- المفيد، محمد بن محمد العكبري (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م).
- ٥٣- الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري و السيد محمود الزرندي، (ط ٢، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- النعمان، محمد (ت ٣٦٣هـ).
- دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر، (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ).
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م).

٥٤- صحيح مسلم، تعليق وإشراف: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ / ١٩٩٥م).

الهيثمى، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م).

٥٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

اليقوبى، أحمد بن أبي يعقوب العباسي (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م).

٥٦- تاريخ اليعقوبى، (ط ٢، شريعت، منشورات دار الاعتصام، قم، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

### ثانياً: المصادر المترجمة:

ايرا، لا بيدس.

٥٨- تاريخ المجتمعات الإسلامية، ترجمة: فاضل جتكر، (ط ١، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

بروكلمان، كارل (ت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م).

٥٩- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، (ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م).

ديولافوا، جان (ت ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م).

٦٠- رحلة مدام جان ديولافوا، ترجمة: د. مصطفى جواد، (دار منشورات البصري، بغداد، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م).

رونلدسن، دوايت (ت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٦م).

٦١- عقيدة الشيعة، ترجمة: ع. م.، (ط ١، مؤسسة المفيد، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

سيديو، لويس (ت ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م).

٦٣- تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعير، (ط ١، دار طيبة للطباعة والنشر، مصر، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).

غارديه، لويس.

٦٤- الإسلام أمة النبي، ترجمة وتعليق وتعقيب: د. لويس صليبا، طبع ضمن كتاب الإسلام في قراءة الاستشراق المسيحي - دراسة نصوص مترجمة، (دار ومكتبة بيلون، جبيل، لبنان ١٤٣٦هـ - ٢٠١٣م).

كاستري، هنري (ت ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م).

٦٥- الإسلام خواطر وسوانح، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، (مطبعة الشعب، مصر، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م).

كبريلي، فرانسيسكو (ت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

٦٦- محمد والفتوحات الإسلامية، تعريب وتقديم وتعليق: د. عبد الجبار ناجي، (ط ١، دار المحجة البيضاء، بيروت ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

كونسلمان، جرهارد.

٦٧- سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمه، (ط ١، مدبولي، القاهرة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

لويس، برناد (ت ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م).

٦٨- الحشاشون، تعريب: محمد العزب موسى، (ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م).

مادولنك، ويلفرد.

٦٩- خلافة محمد، عرض ونقد: هاشم الميلاني، (ط ١، دار الكفيل، كربلاء، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

ماسيه، هنري (ت ١٣٨٧هـ/١٩٦٩م).

٧٠- الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، علق عليه: د. مصطفى الراجحي و محمد جواد مغنية (منشورات عويدات، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

هالم، هاينس.

٧١- الغنوصية في الإسلام، ترجمة: رائد الباش، (ط ١، منشورات الجيل، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

٧٢- الشيعة، ترجمة: محمود كيبيو، (ط ١، بيت الوراق، بغداد، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).  
والبرج، لندا.

٧٣- الأعلام عند الشيعة - دراسة في مؤسسة ومرجعية التقليد-، ترجمة: د. هناء خليف غني، بحث منشور للمستشرق ماثيو بيرس بعنوان: «إحياء ذكرى فاطمة: طرائق جديدة لإضفاء صفة الشرعية على السلطة الأنتوية في الخطاب الشيعي المعاصر»، (د. مط، بيروت، ١٤٣٨هـ).

## رابعاً: المصادر الأجنبية:

74-Fatima as a Motif of Contention and Suffering in Islamic  
.Sources

Thesis In The Department of Religion

75-The Encyclopaedia of Islam.( LEIDEN — NEW YORK,  
(E.J. BRILL,1993

76-Calmard,Jean.Fatimah: In myth, folklore, and popular  
.devotion

Encyclopaedia Iranica. ( Encyclopaedia Iranica Founda-  
(tion2018

77-Soufi L. Denise. The Image of Fatima in Classical Mus-  
lim Thought. A dissertation Presented To The Faculty of Princ-  
eton university in candidacy for The Degree of Doctor of Phi-  
losophy. Recommended for Acceptance by The Department of  
(near eastern Studies. (June,1997

78-Opera Minora. L'oratoire de Marie A L'aqca, Vu Sous Le  
.Voile de Deuil de Fatima.1956

:79-Muir, William. The Life of Mahomet. Volme Iv. (London  
(Smith, Elder and co, 65, cornhill,1861

80-Virolleaud, Charles. La Iegende de Fatima, fille de Ma-  
(homet. (Journal des Savants, Annee 1945

81-Fttzpatrick, Coeli. Muhammad in History, Thought, and

Culture. An Encyclopedia of the prophet of God. ( ABC-CLIO. .(USA.2014

82-Warner, George. Tragedy, History, and the Sacred: The Hujjah Fatimat al- Zahra'. Magazine Journal of Shi'a Islamic Studies. (University of cambidge, UK. Spring 2011. Vol. IV. .No.2

83-Lawson, Todd. The Authority of the Feminine and Fatima's Place in an Early Work by the Bab.(Online Journal of .(Baha'I Studies. Volume 1.2007

#### خامساً: مواقع الانترنت:

<https://www.nytimes.com>

<http://vinaykhetia.com/cv/> Academic CV

[https://en.wikipedia.org/wiki/Ira\\_M.\\_Lapidus](https://en.wikipedia.org/wiki/Ira_M._Lapidus)

[https://en.wikipedia.org/wiki/Ira\\_M.\\_Lapidus](https://en.wikipedia.org/wiki/Ira_M._Lapidus) ولفرد مادلنج

[https://en.wikipedia.org/wiki/Ira\\_M.\\_Lapidus](https://en.wikipedia.org/wiki/Ira_M._Lapidus) فرانسيكو غابريلي

<http://victoria.academia.edu/ArthurBuehle>

[https://www.youtube.com/watch?v=oHc1uuxm\\_Rs](https://www.youtube.com/watch?v=oHc1uuxm_Rs)

<https://creativity507.wordpress.com>

[https://en.wikipedia.org/wiki/Abdallah\\_Schleife](https://en.wikipedia.org/wiki/Abdallah_Schleife)

[https://en.wikipedia.org/wiki/John\\_Warne](https://en.wikipedia.org/wiki/John_Warne)

<https://dayan.org/author/rachel-kantz-feder>

<http://toddlawson.ca/cv>



رؤية الإمام علي عليه السلام

لحقوق الإنسان في نهج البلاغة

الباحث

الشيخ محسن مظاهر



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

منذ بداية الزمن وعلى مرّ العصور، يؤمن كلّ فرد أو جماعة بغضّ النظر عن معتقداتهم أو آرائهم المختلفة، بأنّهم يمتلكون الحقّ والحقيقة. وبسبب هذا الاعتقاد، تنشب الصراعات، وتُراق الدماء، وتُهدر الأرواح، حتّى أن البعض وصل إلى القول بأنّه لا توجد حقيقة مطلقة، بل إنّ الحقّ نسبيّ ويختلف من شخص إلى آخر بناءً على معايير وقيمه. هذا الاعتقاد أدّى إلى ارتباك في فهم معنى الحقّ والحقيقة وإمكانية الوصول إليهما.

عند الحديث عن الإمام علي (عليه السلام) ومواقفه البارزة في مجال حقوق الإنسان، يجب أن نضع ذلك في سياق الرؤية الشاملة لحقوق الإنسان في الإسلام. فقد كانت مواقف الإمام (عليه السلام) تجسيداً حقيقياً لهذه الرؤية، حيث دافع عنها بكلّ قوة في أقواله وأفعاله حتّى آخر لحظة في حياته. ومع تغير الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي، زاد تمسكه بهذه الحقوق وحمايتها، خاصة بعد توليه الخلافة. وقد ظهر هذا بوضوح من خلال ممارسته اليومية للسلطة وتربيته للمسلمين على مبادئ الإسلام، وفي مقدمتها حقوق الإنسان.

يوجد بين أيدينا العديد من البحوث، والكثير من المؤلفات حول حقوق الإنسان؛ ومنهم حقوق الإنسان عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث كُتبت عن حياته وفضائله ومواقفه وأقواله، وكذلك الأحداث والوقائع التي شهدتها المجتمع الإسلامي في زمانه (عليه السلام)، لكنّ الحاجة ما تزال قائمة في هذا المجال، لأنّ كلّ باحث ومتتبع يأخذ من أنواره (عليه السلام) على قدر استعداد ووجهة نظره، ومن زاوية معينة من حياته، وكم ترك الأول للآخر.

نحن في هذا البحث سلطنا الضوء على رؤية الإمام علي عليه السلام لحقوق الإنسان في نهج البلاغة، فقسمناه إلى مقدمة، ومبحثين، والنتائج. وتناول المبحث الأول مفهوم الحق؛ في المطلب الأول مفهوم الحق لغة، ثم في المطلب الثاني مفهوم الحق في الاصطلاح الإسلامي، وفي المطلب الثالث مفهوم الحق في نهج البلاغة. وبحثنا في المبحث الثاني أنواع الحقوق؛ في مطلبه الأول الحقوق الشخصية، وفي المطلب الثاني الحقوق الاجتماعية والسياسية، ثم الحقوق الدينية في المطلب الثالث.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وخدمة للدين الحنيف ومذهب أهل البيت عليهم السلام، إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

## المبحث الأول مفهوم الحق

الحق هو مفهوم يعبر عن الاستحقاق أو المطالبة بشيء معين، سواء كان ذلك في سياق القانون أو الأخلاق أو الدين أو حتى الأعراف الاجتماعية.

### المطلب الأول: الحق في اللغة

الحق نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحِقا، وليس له بناء أدنى عدد وفي حديث التلبية لبيك حقاً حقاً، أي غير باطل، وهو مصدر مؤكّد لغيره، أي أنه أكّد به معنى ألزم طاعتك الذي دلّ عليه لبيك، كما تقول: هذا عبد الله حقاً، فتؤكّد به وتكرّره لزيادة التأكيد<sup>(١)</sup>.

وعرّفه الجرجاني بقوله: الحق في اللغة هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره. وفي اصطلاح أهل المعاني هو الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك ويقابله الباطل. وأما الصدق فقد شاع في الأقوال خاصة ويقابله الكذب، وقد يفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع، وفي الصدق من جانب الحكم. فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع ومعنى حقيته مطابقة الواقع إيّاه<sup>(٢)</sup>.

ويقول الراغب: أصل الحق المطابقة والموافقة، كمطابقة رجل الباب في حقه لدورانه على استقامة، والحق يقال على أوجه:

الأول: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ): ٤٩/١٠، دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٢) التعريفات، جرجاني (٨١٦هـ): ٤٠، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٣) سورة يونس: الآية: ٣٠.

الثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كله حق، نحو قولنا: الموت حق، والبعث حق، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا إِلَى قَوْلِهِ... مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>.

الثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق، قال الله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>.

الرابع: للفعل والقول بحسب ما يجب وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حق وقولك حق، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾<sup>(٣)</sup>، و﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾<sup>(٤)</sup>، يصح أن يكون المراد به الله تعالى، ويصح أن يراد به الحكم الذي هو بحسب مقتضى الحكمة. ويقال: أحققت كذا، أي: أثبتته حقاً، أو حكمت بكونه حقاً<sup>(٥)</sup>.

### المطلب الثاني: الحق في الاصطلاح الإسلامي

أما في الاصطلاح الإسلامي هو مصلحة ثابتة للشخص على سبيل الاختصاص والاستثثار يقررها الشارع الحكيم<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة يونس: الآية: ٥.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢١٣.

(٣) سورة يونس: الآية: ٣٣.

(٤) سورة السجدة: الآية: ١٣.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): ٢٤٦، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، ١٤١٢هـ.

(٦) المدخل للفقه الإسلامي، مذكور: ٣٣٨، دار القومية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

الحقّ في الفقه الشيعي يُعرف على أنّه استحقاق أمر معين وفقاً للشرعة الإسلامية أو مطالبة شرعية تترتب على أساس الأحكام الإلهية. الحقّ يمكن أن يكون للأفراد أو الجماعات، وقد يرتبط بمجالات متعددة مثل الحقوق الشخصية، الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية.

كما يقول السيد الخوئي: (والحقّ بحسب الاصطلاح يُراد به الحكم القابل للإسقاط، كما إنّ الحكم أيضاً له في اللغة معنى عام، وفي الاصطلاح المقابل للحقّ يراد به الحكم غير القابل للإسقاط. ومرجع الحقّ الاصطلاحي إلى عدم جواز مزاحمة من عليه الحقّ لمن له الحقّ في فعل متعلّق الحقّ، سواء كان من عليه الحقّ شخصاً خاصاً كمن عليه الخيار في البيع فإنّ من عليه حقّ الفسخ لا يجوز أن يزاحم من له الحقّ في الفسخ، أو لم يكن شخصاً خاصاً كما في حقّ التحجير، فإنّه لا يجوز لسائر المكلفين مزاحمة من له حقّ التحجير في عمارة مورد التحجير. فيكون في مورد الحقّ طرفان: من له الحقّ ومن عليه الحقّ، ولا يجوز لمن عليه الحقّ أن يزاحم من له الحقّ في متعلّق الحقّ. ومتعلّق الحقّ يكون فعلاً من الأفعال دائماً كالعمارة في حقّ التحجير والفسخ في حقّ الخيار، فالصحيح أنّ الحقّ لا يغير الحكم بل هو حكم شرعي اختاره بيد من له الحقّ إسقاطاً وإبقاءً، والحاصل أنّ الحقّ بالنسبة إلى من له الحقّ حكم تكليفي إلزامي أو ترخيصي أو وضعي جوازي أو لزومي)<sup>(١)</sup>.

والفقهاء من المذاهب كافة بحثوا موضوع الحقّ في باب الحكم والقضاء، وبعض الفقهاء قسّم الحقّ إلى ثلاثة أقسام: حقّ الله، وحقّ آدمي، وحقّ الله تعالى يتعلّق به حقّ آدمي. فحقّ الله تعالى كالزنا واللواط والخمر لا يقضى بها على الغائب، لأنّ القضاء على الغائب احتياط، وحقوق الله لا يحتاط لها، لأنّها مبنية على الإسقاط والتخفيف بخلاف

(١) التنقيح في شرح المكاسب (موسوعة الإمام الخوئي)، الخوئي (١٤١٣هـ): ٣٦/٣٠، مؤسسة الإمام الخوئي، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، ١٤٢٥هـ.

حقوق الأدمي، وذلك كالدين ونحوه، فإنه يقضى به على الغائب كما سبق، وحق الله المتعلق بآدمي كالسرقة، فإنه يقضى فيها على الغائب بالغرم دون القطع<sup>(١)</sup>.

أما الراوندي، فيربط بين الحقوق والشهادات ويقول: (إن الحقوق ضربان: حق الله، وحق الأدمي، فأما حق الأدمي فإنه ينقسم في باب الشهادة ثلاثة أقسام: أحدها لا تثبت إلا بشاهدين ذكرين كالقصاص، والثاني ما يثبت بشاهدين، وشاهد وامرأتين، وشاهد ويمين، وهو كل ما كان مالا أو المقصود منه المال، والثالث ما يثبت بشاهدين، وشاهد وامرأتين، أو أربعة نسوة، وهو الولادة والاستهلال والعيوب تحت الثياب.

وأما حقوق الله فجميعها لا مدخل للنساء ولا للشاهد مع اليمين فيها، وهي ثلاثة أضرب: ما لا يثبت إلا بأربعة وهو الزنا واللواط إذا كانا بالأحياء، فإن كانا بالأَمْوات فيكفي في ذلك شاهدان، وإتيان البهائم، والثاني ما لا يثبت إلا بشاهدين، وهو السرقة وحدّ الخمر، والثالث ما اختلف فيه، وهو الإقرار بالزنا، قال قوم لا يثبت إلا بأربعة كالزنا، وقال آخرون يثبت بشاهدين كسائر الإقرارات، وهو أقوى<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث: الحق في نهج البلاغة

أما الحق عند أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه النبي ﷺ: (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيفما دار)<sup>(٣)</sup>، تكلم عن الحق كثيراً وعن إمكانية معرفته وحدّد معناه ومميزاته

(١) إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، البيهقي (٦١٠هـ): ٥٣٤، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٦هـ.

(٢) فقه القرآن، الراوندي (٥٧٣هـ): ٤٢٩/١، تحقيق السيد أحمد الحسيني، منشورات مكتبة آية الله المرعشي، الطبعة الثانية، قم، ١٤٠٥هـ.

(٣) الفصول المختارة، الشيخ المفيد (٤١٣هـ): ١٣٥، تحقيق: السيد علي مير شريف، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٤هـ. إعلام الوري، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ): ١ / ٣١٦، مؤسسة آل البيت عليهم السلام للنشر، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٧هـ. الاحتجاج، الطبرسي (٥٨٨هـ): ١ / ٣٦٤، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، نشر المرتضى، الطبعة الأولى، =

عن الباطل وتكلم عن أهل الباطل وصفاتهم وترك الحق وآثاره، فدائرة الحق عند أمير المؤمنين (عليه السلام) أوسع مما أوردها الفقهاء، فالحقوق عنده (عليه السلام) هي الركن القانوني في نظام العلاقات الاجتماعية، والإنسان المسلم مسؤول عن حقوق الآخرين كحق الوالدين، حق الزوجة، حق الابن، حق الجار، حق المعلم...، فيجب على الإنسان أن يؤدي هذه الحقوق، وكما أن للآخرين حقوقاً عليه، فإن له حقوقاً عليهم، ونتيجة لهذه الحقوق المتبادلة يقوم نظام العلاقات الاجتماعية بين الأفراد<sup>(١)</sup>.

وفي نهج البلاغة عنه (عليه السلام) في خطبة له يصف فيها الحق يقول: (الحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيّقها في التناصف)<sup>(٢)</sup>.

وكأنه (عليه السلام) يؤكد أن معنى الحق قد يختلف فيه، لسعة هذا المعنى واختلافه من جهة إلى جهة، إلا أنه يبين أن له معنى ثابتاً وأن الله عز وجل خلق الإنسان وأعطاه القدرة على معرفة الحق والباطل والتمييز بينهما.

= مشهد، ١٤٠٣ هـ. ربيع الأبرار، الزمخشري (٥٨٣ هـ): ١ / ٨٢٨، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٢ هـ. فرائد السمطين، الجويني (٧٢٢ هـ): ١ / ١٧٧، مؤسسة المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ. يرى بعض العلماء أن هذا الحديث ومثله بتعابير مختلفة قطعية وثابتة ومتواترة (ينظر الحر العاملي في إثبات الهداة: ٣١٨/٢) ومورد اتفاق الفريقين، كذلك ذكر أن نصوص هذه الأحاديث لها أعلى درجات الاعتبار والتواتر والقطع، ومورد قبول علماء الحديث عند الشيعة وأهل السنة. كما لم يعترض أحد من الرواة على سند هذا الحديث واعتبر ابن أبي الحديد أن سند الحديث صحيح وقطعي (ينظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/٢٩٧ و ١٨/٧٢)، كما توجد روايات تحمل نفس مضمون «علي مع الحق» في بعض الصحاح الستة (ينظر سنن الترمذي: ٥/٦٣٣) وغيرها من مؤلفات أهل السنة التي تبلغ ما يقارب ١٣٠ مورداً (ينظر حق با علي است، فقيه إيماني: ٤٩ - ٥٨).

(١) الحقوق والحريات من منظار علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالمقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، محسن باقر الفزويني: ٢٤، منشور في مجلة أهل البيت (عليه السلام)، ٣: ٢٢-٥٣.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٢١٦، خطبها (عليه السلام) بصفتين.

وعنه عليه السلام: (ثم نفخ فيها من روحه فتمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها وفكرٍ يتصرف بها وجوارح يستخدمها، وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل...) <sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام: (قد انجابت السرائر لأهل البصائر، ووضحت حجة الحق لخاطبتها -أي: لأهلها) <sup>(٢)</sup>.

فحجية الحق إنّما تتضح لأهل البصائر وتنكشف لهم السرائر، ولكن بشرط هو أن يطلب الحق. فالخاطب هو السائر عليها، فمن لم يسر باتجاه الحق وعلى الطريق الموصل إلى الحق الذي هو محجته فلن يصل إليه، وإنّما سيصل إلى ما يسير إليه، وإلى ما يوصله إلى الطريق الذي يسلكه إن حقاً فحق وإن باطلاً فباطل؛ لذلك فمن ينفرد من الحق ويهرب منه لن يستطيع أن يعرفه أو أن يعرف أهله.

وعنه عليه السلام: (فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الأجرب، والباري من ذي السقم) <sup>(٣)</sup>.

ثم إنّ الله عزّ وجلّ عندما أعطى الإنسان إمكانية وقدرة لمعرفة الحق من الباطل، فلا بدّ أن يوضح له طريق الحق الموصل إلى السعادة والبقاء الذي إليه يسعى الإنسان، وطريق الباطل الموصل إلى الشقاء والفناء الذي منه يفرّ الإنسان. وإلى هذا المعنى يشير كلامه المروي عنه عليه السلام في نهج البلاغة: (عباد الله! الله! الله! في أعزّ الأنفس عليكم وأحبّها إليكم، فإنّ الله قد أوضح لكم سبيل الحق، وأثار طريقه، فشقوة لازمة أو سعادة دائمة، فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء) <sup>(٤)</sup>.

فالله أوضح سبيل الحق إلى السعادة وهي بالتزود لأيام البقاء في أيام الفناء، وأثار طريق الحق بحيث يستطيع الإنسان أن يميز بين الشقوة والسعادة وبين الفناء والبقاء. فبناء على

(١) نهج البلاغة، خطبة ١، في صفة خلق آدم عليه السلام.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ١٠٨.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ١٤٧.

(٤) نهج البلاغة، خطبة ١٥٧.

الحديث السابق تعرف معنى الحق وهو الثابت الباقي كما هو معنى الحق في اللغة، وما يفنى هو الباطل الفانى، وعليه يدور معنى الحق والباطل مدار البقاء والاستمرار والخلود، أو الفناء والزوال والبطلان.

إن الحق لا يدور مدار آراء الناس ومعتقداتهم حتى يستطيع الإنسان أن ينسب إلى الآخر الذي يخالفه اسم الباطل، فليس الشخص نفسه هو ميزان الحق، بل الحق ثابت، وهو واحد بالنسبة إلى جميع البشر؛ لأن الفانى فانٍ بالنسبة لجميع البشر، والباقي باقٍ بالنسبة إليهم جميعاً؛ فلا يختلف الحق من شخص إلى آخر، فهو موجود وعلينا أن نتعرف عليه كما هو السابق، لا كما نفهمه.

## المبحث الثاني أنواع الحقوق

تؤدي حقوق الإنسان دوراً محورياً في تعزيز الكرامة والحرية والعدالة لجميع الأفراد في المجتمع، فهي مجموعة من المبادئ والمعايير التي تضمن حماية الأفراد من التمييز والظلم وتكفل لهم فرصاً متساوية للتمتع بحياة كريمة. يمكن تقسيم هذه الحقوق إلى فئات رئيسة تشمل الحقوق الشخصية، والحقوق الاجتماعية والسياسية، والحقوق الدينية؛ ولكل فئة منها أهمية خاصة في بناء مجتمع عادل ومتوازن، حيث تتكامل هذه الحقوق لتشكيل إطاراً شاملاً يحمي حقوق الأفراد في مختلف جوانب حياتهم.

### المطلب الأول: الحقوق الشخصية

شُرعت الحقوق الشخصية لحماية الفرد وضمان كرامته وحرّيته ضمن المجتمع. فهي تشمل مجموعة من الحقوق التي تتعلق بحياة الإنسان اليومية وتؤثر مباشرة في وجوده وسلامته وخصوصيته. تعدّ الحقوق الشخصية من أهم الحقوق التي يجب احترامها والحفاظ عليها، حيث تضمن لكل فرد حقّه في الحياة والحرية والأمان، وتمنحه الخصوصية التي يحتاجها لحياته الخاصة.

### ومن الحقوق الشخصية:

#### الحق في الحياة:

هذا الحق في مفهومنا الحديث يعني أن يصبح الإنسان آمناً على حياته من أي تهديد، ويقابله في القرآن قوله تعالى: (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس

جميعاً<sup>(١)</sup>. أمّا أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد كان يوصي ولاته بحماية حقّ الحياة، بقوله: (إياك والدماء وسفكها بغير حقّها... فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام... ولا عذر لك عند الله وعندي في قتل العمد)<sup>(٢)</sup>.

وفي جميع حروبه، لم يكن يبدأ بقتال؛ وكان يوصي جنوده قائلاً: (لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم.. ولا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً ولا تجهزوا على جريح)<sup>(٣)</sup>، ولكنّ أبرز ما يوضح حرصه على حماية هذا الحقّ تجلّي في موقفه من ابن ملجم قاتله. لقد كان فيه من المصادقية ما ربما عجزت عن تفصيله جميع متون القانون وشروحه؛ فقد أمر أن لا يقتل ابن ملجم قبل ثبوت جرمه القتل بوفاة الإمام (عليه السلام): (إن أبق فأنا ولي دمي)<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا السياق، وحرصاً منه على حمايته وعدم مسّه بدون وجه حقّ، حمّل وصيته للإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) ما يلي: (يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين! ألا لا تقتلن بي إلّا قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور)<sup>(٥)</sup>.

### الحقّ في الحرّية والأمان الشخصي

مفهوم الحرّية في الفكر الإسلامي كما يقوله الراغب الأصفهاني: (والحرُّ خلافُ العَبْدِ... والحرّية ضربان؛ الأول: من لم يُجْر عليه حكمُ الشيء؛ نحو (الحرُّ بالحرّ)، والثاني: مَنْ لم تتملكه الصفات الذميمة من الحرص والشّر على المقتنيات الدنيوية، وإلى العبودية

(١) سورة المائدة: الآية: ٣٢.

(٢) نهج البلاغة، كتاب له (عليه السلام) كتبه لمالك بن الحارث الأشتر.

(٣) نهج البلاغة، من وصية له (عليه السلام) لعسكره قبل لقاء العدوّ بصقّين.

(٤) نهج البلاغة، من كلام له (عليه السلام) قاله قبل موته على سبيل الوصية.

(٥) نهج البلاغة، من وصية له (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه ابن ملجم لعنه الله.

التي تُضادُّ ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: (تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ)<sup>(١)</sup>.

واستخلص الشيخ السبحاني من الأحاديث والروايات هذا المعنى للحرية: (الحرية تعني أن يكون الجوُّ الاجتماعي بنحوٍ يستطيع كلُّ فردٍ من أفراد المجتمع من إخراج مواهبه وقابليَّاته إلى منصَّة الظهور دون أن يمنعه مانع، أو يحجزه حاجز يقف دون ظهور المواهب ويمنع من نموِّ الاستعدادات. وقد جاء الأنبياء والمرسلون لمثل هذه المهمة الكبرى، فهم جاءوا ليرفعوا جميع الموانع والحواجز من بين أيدي البشرية، ويخلقوا بيئة حرَّة لا مكان فيها للسدود والقيود حتى يستطيع كلُّ فرد أن يصل إلى كماله المنشود ويُنمِّي مواهبه)<sup>(٢)</sup>.

أما مفهوم حقِّ الإنسان بالحرية الشخصية فإنَّه يظهر في الرؤية التي يقدمها أمير المؤمنين في نهج البلاغة على درجة كبيرة من الأهمية في عددٍ من المواقف التي يعبر عنها كلامه بصراحة ووضوح، وأبرزها كانت مواقفه من معارضيهِ من الخوارج ومن محاربيه كما في صفين.

ويروى أنَّه ﷺ كان جالساً في أصحابه، إذ مرَّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال ﷺ: (إنَّ أبصار هذه الفحول طوامح، وإنَّ ذلك سبب هبائها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنَّها هي امرأة كامرأته، فقال رجلٌ من الخوارج: قاتله الله كافراً، ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه، فقال ﷺ: رويداً إنَّها هو سبَّ سبِّ، أو عفو عن ذنب)<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري أبواب الجهاد، باب الحراسة في الغزو: ٦ / ٦٠، وفي الرقاق باب ما يتقَّى من فتنة المال: ١١ / ٢٥٣، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٢ هـ. وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد: ٢ / ١٣٨٦، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، مصر، (ب تا). وينظر شرح السنة: ١٤ / ٢٦٢، والفتح الكبير: ٣١ / ٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ): ٢٢٤، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، ١٤١٢ هـ.

(٣) مفاهيم القرآن، الشيخ السبحاني: ٢ / ٤٠١، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٣١ هـ.

(٤) نهج البلاغة، باب المختار من حكم أمير المؤمنين ﷺ، رقم ٤٢٠. ومقتضاه جواز السبِّ والشتم بعنوان الاقتصاص، ولكنَّ الحديث مرسل. ينظر فقه الحدود والتعزيرات، الموسوي الأردبيلي (١٤٣٨ هـ): ٢ / ٤٢٤.

وهكذا يتأكد من مجريات الأمور في عهده ومن كلامه أنه كان يعتبر لمعارضيه حقوقاً لا تسمح له أحكام الشرع بتجاوزها، وضمن هذا المنطق كان موقفه من جيش معاوية صفيين بعد أن منع جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) من ورود الماء، وعندما أجلى الإمام جيش معاوية عن الماء بالقوة سمح لهم بوروده.

وقيل له: إن رجلاً من قبله يتسللون من المدينة إلى معاوية فكتب إلى عامله على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري، يقول (عليه السلام): (فقد بلغني أن رجلاً من قبلك يتسللون إلى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم...) (١)، وقد كان باستطاعته (عليه السلام) منعهم، لكنه رفض مبدأ التجسس على الناس لما فيه من حدّ لحرّيتهم الشخصية.

وكتب (عليه السلام) لواليه على مصر هذا الكلام: (إن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها) (٢)، ومن هذا المنطلق جاء كلام الإمام (عليه السلام) إلى واليه: (ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ فإن الساعي غاش، وإن تشبه بالناصحين) (٣).

### الحق في الملكية الفردية:

أما حق الملكية الفردية يُعرف بأنه حق الفرد في تملك الأموال والممتلكات والتصرف فيها بما يراه مناسباً، ضمن حدود الشريعة الإسلامية، وهذا الحق يعني الملكية الشخصية يشمل ملكية المنازل والأراضي والأموال ومقابله الملكية العامة التي تخص المجتمع بأسره كالثروات والموارد الطبيعية.

فكان لرؤية الإمام فيه ما يمنح له الحماية والالتزام، ولكن لهذا الحق حدوداً أو قيوداً تظهر بوضوح كلما تعرضت حقوق الناس الاقتصادية للخطر أو تعرض المجتمع لمواجهة

(١) نهج البلاغة، من كتاب له (عليه السلام) إلى سهل بن حنيف الأنصاري.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٥٣، عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشتر حين ولّاه مصر.

(٣) المصدر السابق.

تناقضات الفقر والغنى كما يبدو من قوله ﷺ: (إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلَّا بما مُتَّع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك)<sup>(١)</sup>.

كما يقول ﷺ: (أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين، وتطمع وأنت متمرِّغٌ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة...) <sup>(٢)</sup>، ومَّا يجدر أن نشير إليه أنَّ حماية حقِّ الملكية الفردية كغيره من الحقوق تشمل جميع فئات المجتمع لا فرق في ذلك بين مسلم وغير مسلم؛ وفي هذا يقول الامام ﷺ: (ولا تمسِّنَّ مال أحد من الناس مصلًّا ولا معاهد)<sup>(٣)</sup>.

إنَّ حماية هذا الحقِّ واجبٌ مفروضٌ على الجميع في نظره. ولتوضيح ذلك، نورد كلاماً قاله عندما بلغه نبأ غزو جيش معاوية للأنبار واعتداءات هذا الجيش على ممتلكات الناس من مسلمين ومعاهدين حيث يقول ﷺ: (ولقد بلغني أنَّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقُلْبها وقلائدها ورعشها ما تمتنع منه إلَّا بالاسترجاع والاسترحام)<sup>(٤)</sup>. ثم نراه يستغرب عدم قيام الناس بواجب التصدي لهذا الاعتداء متابعاً القول: (ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم ولا أريق لهم دم)<sup>(٥)</sup>.

فحقُّ الملكية في تعاليم الإمام علي ﷺ يتسم بعمق إنساني وأخلاقي، ويعكس الرؤية الإسلامية التي تجمع بين العدالة الاجتماعية وحماية حقوق الفرد في التملك. والإمام ﷺ قدَّم العديد من التعاليم والممارسات التي تسلط الضوء على أهمية حقِّ الملكية في الإسلام.

(١) نهج البلاغة، باب المختار من حكم أمير المؤمنين ﷺ، رقم ٣١٢. والظاهر أنَّ جوع الفقير إنَّما يكون بما يمنعه الغني من القوت، أو ما هو وسيلة إليه، ورهب الأغنياء بقوله: (والله سائلهم عن ذلك)، وهو صغرى ضمير تقدير كبراه: (وكلَّ من سأل الله فينبغي أن يحذّر سؤاله). ينظر شرح نهج البلاغة، ابن ميثم (٦٧٩هـ): ٤٠٥/٥.

(٢) نهج البلاغة، من كتاب له ﷺ إلى زياد بن أبيه.

(٣) نهج البلاغة، من كتاب له ﷺ إلى عماله على الخراج.

(٤) نهج البلاغة، خطبة ٢٦.

(٥) المصدر السابق.

### المطلب الثاني: الحقوق الاجتماعية والسياسية

من الممكن أن تعمل الحكومات المختلفة في سبيل تأمين الحوائج المادية للحياة بصورة واحدة، ولكنها لا تتساوى في رضا الناس عنها، إذ يفي بعضها بقضاء الحوائج النفسية والروحية للمجتمع بينما لا تفي بها الحكومة الأخرى. ومما يرتبط به رضا الناس هو نوعية نظر الحكومة إلى الأمة وإلى نفسها، فهل تنظر إليهم على أنهم عبيد ومماليك وهي المالكة المختارة؟! أم على أنهم ذوو حقوق في جميع الأمور، وإنما هي نائبة عنهم ومؤتمنة من قبل الله عليهم وكفيلة برعاية حقوقهم؟ ففي الصورة الأولى إن كل ما عملته من عمل لهم هو من نوع العمل الذي يقوم به صاحب حيوان لحماية حيوانه عن الآفات والعاهات! بينما عملها في الصورة الثانية هو من نوع الخدمات التي يقوم بها أمين صالح لما هو في أمانته ومعهود بصلاحه.

إن اعتراف الحكومة بحقوق الناس، وحذرهما من كل عمل يشعرهم بنفي حقوقهم، هما من الشروط الأولية لرضا الناس عنها واعتمادهم عليها. وهكذا قال الإمام (عليه السلام) والآن نستعرض هنا نماذج من نصوص الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة في باب الحقوق والعدالة الاجتماعية.

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة ٢٠٩: (أما بعد، فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيّقها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له)<sup>(١)</sup>.

فالكلام في هذا المقطع حول الحقّ والعدالة والوظيفة والتكليف من قبل الله تعالى، ولكن لا بصورة أن الله أعطى لبعض الأفراد من الناس حقوقاً ثم لم يجعلهم مسؤولين سوى أمام أنفسهم فحسب! وأنّه حرم آخرين من هذه الحقوق، وإنما جعلهم مسؤولين

(١) نهج البلاغة، من خطبة له (عليه السلام) خطبها بصفين.

أمام أنفسهم وأمام ذوي تلك الحقوق إلى منتهى حدود المسؤولية! ممّا ينفي كلّ معنى للعدل والظلم بين الحاكم والمحكوم عليه.

ويقول عليه السلام فيها أيضاً: (وليس امرؤ - وإن عظمت في الحقّ منزلته وتقدّمت في الدين فضيلته - بفوق أن يعان على ما حمّله الله من حقّه، ولا امرؤ - وإن صغرته النفوس وأقحمتها العيون - بدون أن يعين على ذلك أو يُعان عليه، فلا تكلموني بما تكلم به الجبابة، ولا تتحفظوا منّي بما يتحفظ عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي استقبالا في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنّه من استثقل الحقّ أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورة بعدل)<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: الحقوق الدينية

الحقوق الدينية في نهج البلاغة تتجلى في عدّة محاور تؤكد احترام التعددية الدينية وحرية الاعتقاد، والعيش المشترك بسلام بين أتباع مختلف الأديان. من أهم هذه المحاور أنّ الإمام علي يؤكّد حرية الفرد في اختيار دينه ومعتقداته دون إكراه أو تضيق، وهذا يتضح في قوله عليه السلام: (الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)<sup>(٢)</sup>، وهذا يعكس احترامه لكلّ إنسان بغضّ النظر عن دينه. كما دعا عليه السلام إلى العدل والمساواة بين جميع الناس، بما في ذلك أتباع الأديان المختلفة.

وكان الإمام علي عليه السلام يدعو إلى التسامح الديني والتعايش السلمي بين مختلف الأديان والتعامل برحمة وإنسانية مع الجميع، بما في ذلك أتباع الأديان الأخرى، مشدداً على القيم الأخلاقية والإنسانية المشتركة. وكان يحثّ على تجنب العنف والكراهية والظلم بين الناس بسبب اختلافاتهم الدينية.

(١) المصدر السابق.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٥٣، عهد الإمام علي عليه السلام لملك الأشتر حين ولّاه مصر.

والمشمولون بهذا الحق هم المعاهدون من أهل الذمة، فهؤلاء هم أيضاً من رعايا الدولة الإسلامية، ولا يختلفون عن المسلمين في الحقوق الاقتصادية والحقوق الشخصية، لكنهم يختلفون معهم في بعض الحقوق السياسية.

وقد نظم الحكم الإسلامي علاقة إيجابية بين المجتمع الإسلامي وبين أهل الذمة حيث لم يشهد التاريخ لها مثيلاً في التسامح الديني. وكان أهل الذمة يحظون برعاية أمير المؤمنين (عليه السلام) في فترة حكمه، كما ذكرنا فيما مرّ في المطلب الأول من المبحث الثاني عند ذكر الحق في الملكية الفردية أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يوصي عماله على الخراج: (ولا تمسّ مال أحد من الناس، مُصلّ ولا معاهد، إلّا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعدى به على أهل الإسلام)<sup>(١)</sup>.

فالمعاهد الملتزم بقوانين الدولة الإسلامية هو بحكم المسلم في ضمان حقوقه وممتلكاته وصيانتها. أمّا حقّهم الديني في ممارسة طقوسهم، فكانوا يجرونها وفق تعاليمهم الدينية، كما في قرب الأسناد عن جعفر عن أبيه (عليه السلام): (أنّ عليّاً (عليه السلام) كان يستحلف النصارى واليهود في بيعهم وكنائسهم، والمجوس في بيوت نيرانهم)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): (أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) استحلف يهودياً بالتوراة التي أنزلت على موسى (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>، فحقوق أهل الذمة مُصانة طالما كانوا ملتزمين بالقوانين الإسلامية؛ أمّا إذا أخلّوا بها فإنّ عقابهم سيكون أشدّ من عقاب المسلمين، سيّما في الأمور التي تمسّ الجانب الأخلاقي من المجتمع الإسلامي، وذلك لأنّ الدولة الإسلامية، أحسنت إليهم ومنحتهم حقّ الرعاية.

(١) نهج البلاغة، من كتاب له (عليه السلام) إلى عماله على الخراج.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي (١١٠٤هـ): ٢٧/٢٩٨، باب كراهة التغليب في اليمين من أبواب آداب القاضي، ح ٢.

(٣) الكافي، الكليني (٣٢٩هـ): ٧/٤٥١، كتاب الايمان والنذور والكفارات، باب استحلاف أهل الكتاب، ح ٣.

وهنا يجب التنويه إلى أنَّ الحقوق الدينية لا تعني الحرية الدينية بشكل مطلق، فالمسلم الذي اختار الإسلام عقيدةً ونظاماً لا يحقُّ له تغيير دينه إلى دين آخر دون أن يواجه عواقب ذلك، حيث يُعامل مُرتدّاً ويُخضع لعقوبات صارمة. فهذه العقوبات تأتي نتيجة تجاوزه حقوق المجتمع وظلمه لنفسه بتغيير عقيدته بعد الاقتناع بها.

وقد قال الإمام عليه السلام لرجل مسلم تنصّر ثم عاد إلى الإسلام: (قد قبلتُ منك رجوعك هذه المرّة، فإياك أن تعود إلى ارتدادك، فلا تعد فإثّك إن رجعت لم أقبل منك رجوعاً بعده)<sup>(١)</sup>، مما يعني أنَّ الإنسان حرٌّ في اختيار عقيدته قبل الإسلام، ولكنّ بمجرد أن يصبح مسلماً، يلتزم بتعاليم الإسلام.

(١) الوافي، الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ): ٤٨٥ / ١٥، أبواب الحدود والتعزيرات، باب حدّ المرتد، ح ١٠.

## النتائج

إلى هنا وقد تمّ البحث بمبحثيه بحمد الله؛ وتوصلت إلى النتائج الآتية:

يتمتّز مفهوم حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) بحقوق الأمة، فلا يمكن أن تُحترم حقوق الإنسان وتُصان إلّا في مجتمع الحقّ والحرية والعدل الاجتماعي. ومن هنا، فإنّ السلطة لم تكن أبداً في نظره (عليه السلام) غاية في حدّ ذاتها، ولم يَسعَ إليها في يوم من الأيام، بل كان من أزهّد الناس فيها.

إنّ نموذج الإمام علي (عليه السلام) في الدفاع عن حقوق الإنسان يتجاوز المجتمع الإسلامي ليشمل المجتمع البشري كلّ.

إنّ الدارس لمواقف الإمام علي (عليه السلام) من قضايا حقوق الإنسان، يلمس بسهولة بأنّ جُلّ أقواله والقيم التي آمنَ بها وعَلَّمها المسلمين، كانت تخدم حقوق الإنسان وحرّيته، وتناهض كلّ سلطة تحاول أن تظلم الإنسان وتغتصب حقوقه، وخصوصاً حقوقه السياسية والاجتماعية.

يعكس حقّ الملكية في تعاليم الإمام علي (عليه السلام) رؤية شاملة تسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وحماية حقوق الأفراد في التملك، مع تأكيد أهمية التوازن بين الحقوق والواجبات والمسؤولية الاجتماعية.

يتّضح أنّ نهج البلاغة يقدم رؤية متقدمة لحقوق الإنسان في المجال الديني، ويدعو إلى التعايش السلمي والاحترام المتبادل بين أتباع مختلف الأديان.

وربما هناك جوانب أخرى مررت بها سريعاً في أثناء هذه الدراسة المتواضعة.

وختاماً أسأل الله أن يغفر لي ما فيه من الخطأ والزلل وأستغفر الله من ذلك وأسأله علماً نافعاً صالحاً خالصاً مقبلاً، إنّه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلّم والحمد لله ربّ العالمين.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

١. نهج البلاغة
٢. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٥هـ.
٣. الاحتجاج على أهل اللجاج، أحمد بن علي الطبرسي (٥٨٨هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، نشر المرتضى، الطبعة الأولى، مشهد، ١٤٠٣هـ.
٤. إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، قطب الدين البيهقي (٦١٠هـ)، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٦هـ.
٥. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، دار المرتضى، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٦هـ.
٦. إعلام الوري لأعلام الهدى، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) للنشر، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٧هـ.
٧. التعريفات، علي بن محمد جرجاني (٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٨. التنقيح في شرح المكاسب (موسوعة الإمام الخوئي)، السيد أبو القاسم الخوئي (١٤١٣هـ)، مؤسسة الإمام الخوئي، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، ١٤٢٥هـ.
٩. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ.

١٠. حق با علي است، مهدي فقيه إيماني، انتشارات بوستان كتاب، الطبعة الحادي عشر، قم، ١٤٣٤هـ.
١١. الحقوق والحريات من منظار علي بن أبي طالب عليه السلام بالمقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، محسن باقر القزويني، منشور في مجلة أهل البيت عليهم السلام، ٣: ٢٢-٥٣.
١٢. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جاز الله الزنجشيري (٥٨٣هـ)، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٣. سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ)، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، مصر، (ب تا).
١٤. شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٥. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم، ميثم بن علي (٦٧٩هـ)، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الأولى، طهران، ١٤٠٤هـ.
١٦. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ.
١٧. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٢هـ.
١٨. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقق: يوسف النبهاني، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٣هـ.

١٩. فرائد السمطين، إبراهيم بن محمد بن حموي الجويني (٧٢٢هـ)، مؤسسة المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
٢٠. الفصول المختارة من العيون والمحاسن، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (٤٢٣هـ)، تحقيق: السيد علي مير شريف، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢١. فقه الحدود والتعزيرات، السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي (١٤٣٨هـ)، مؤسسة نشر جامعة المفيد، الطبعة الأولى، قم، ١٤٢٧هـ.
٢٢. فقه القرآن، قطب الدين الراوندي (٥٧٣هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، منشورات مكتبة آية الله المرعشي، الطبعة الثانية، قم، ١٤٠٥هـ.
٢٣. لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ)، نشر دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٤. المدخل للفقه الإسلامي، محمد سلام مذكور، دار القومية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
٢٥. مفاهيم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٣١هـ.
٢٦. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، ١٤١٢هـ.
٢٧. الوافي، محمد محسن بن الشاه مرتضى الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، تحقيق: مكتبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، نشر عطر عترت، الطبعة الأولى، قم، ١٤٣٠هـ.
٢٨. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ)، تحقيق: محمد رضا حسيني جلال، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٦هـ.





# الإنسان المتكامل بين المعرفة والسلوك

في حديث أمير المؤمنين عليه السلام

الباحث

السيد محمد حسن المولى

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه الأكرم الأمين محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وأخصّ فيهم قائد الغر المحجلين، سيد الوصيين، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، صلوات الله وسلامه عليه.

إنّ نهج البلاغة وبيان أمير المؤمنين أضحى في وقتنا هذا مصدراً أساسياً بعد القرآن الكريم في تشريع القوانين المعرفية ووضع المبادئ الإنسانية التي ترقى بالإنسان وتضع القيم البشرية في أفضل مواضعها. فذلك الإمام الذي بقيت حكمه ووصاياه نبراساً يقتبس منه ونوراً يستضاء به، قد وضع جلّ الاهتمام في قضية الإنسان من جميع نواحيها، فقد وضعت مناهج علمية وعملية من أحاديث أمير المؤمنين في السياسة الإنسانية والاقتصاد البشري، والنظم الإنسانية، ثم إنّه كان يركز بشكل كبير على التكامل الإنساني، فكان عليه السلام مما يطمح إليه في دولته هو صنع إنسان متكامل.

ولأجل هذا الهدف، قد عنوت بحثي بهذا العنوان الذي يحمل العديد من المضامين المهمة، وقد رأيت أنّ هناك تكاملاً وتمازجاً بين المعرفة والإنسان، فهما كفتا ميزان إذا ملئت واحدة ارتفعت الأخرى، أي إنّ المعرفة إذا ازدادت، ازداد في الوقت ذاته التكامل الإنساني، فينعكس ذلك فوراً على السلوك. ومن هذه القاعدة قد توزع هذا البحث إلى ثلاثة مباحث: تضمنت في مبحثها الأول ماهية الإنسان، والآراء التي قيلت في (من هو الإنسان)، وأبعاد تلك الأفكار المشوهة عن الإنسان في أنّه كتلة متحركة قادرة على النطق والتفكير، فإنّ من تبنى هذه المبادئ فإنّه لا يسيء فقط لكيانه كونه إنساناً، إنّما كان يجرّ خلفه الكثير من الأفراد الذين يروق لهم هذا المبدأ ويسيروا وفق نطاق ضيق، ثم أتطرق إلى كيفية التكامل الإنساني

الذي أقصد به التكامل المعرفي، فإنّ الإنسان لن يستطيع أن يكون متكاملًا كلياً، إنّما يستطيع ذلك من خلال جزئية معينة، وأفضل منحى للتكامل البشري هو الارتقاء المعرفي، فإنّ المعرفة هي باب من أبواب التكامل الإنساني الذي سيغير الكثير من المجريات الحياتية نحو الإيجاب كالسلوك والتصرفات.

وأسأل الله العليّ القدير أن يأخذ بيدي ليكون بحثي هذا موضوعياً، وسأكون معاهداً الله أمام القارئ العزيز أن لا أجعل قناعتي تقودني إلى نتيجة هذا البحث، إنّما أعتمد على نتائجه بموضوعيته ومصادره، وأرجو من الله القبول.

## المبحث الاول الإنسان المتكامل حقوقه وشروطه

### المطلب الاول: ماهية الإنسان وتكامله.

في بداية الكلام عن الشيء لا بدّ أولاً من معرفة الشيء حتى نتيقن من أنّ الذي يطرح هو أكثر واقعية وموضوعية. إنّ الإنسان الذي نبحث عن تكامله لا بدّ من بيان تعريف له أولاً، وأن نبحث عن الآراء التي قيلت في مفهوم الإنسان. فلا بدّ من طرح هذا التساؤل (من هو الإنسان؟) هل هو (دمية يحرك خيوطها المجتمع)، كما قال دوركايم صاحب النظرية الاجتماعية، أو إنّ الإنسان (أسير غرائزه الجنسية) كما قال فرويد صاحب النظرية النفسية، أو كما يقول ماركس صاحب نظرية «المادية التاريخية»، التي تقول: (على الناس أن يدركوا أنّ الإنسان مكون من عنصرين: مادي وروحي، وبالتالي ينبغي النظر إليه نظرة متكاملة، أي النظر إليه بعناصر المادية وعناصره الروحية معاً)<sup>(١)</sup>.

إنّ كلّ ما ذكره الفلاسفة والمفكرون هو مجرد نظريات لم تثبت صحتها؛ وقد تتعارض وتتضارب تلك النظريات في ما بينها بين حين وآخر، فإنّ دوركايم لم أعرف واقعاً في أيّ ظرف وضع هذه النظرية، ولكن ما رأيته هو أنّها أحدثت صدى كبيراً في مسألة تعريف الإنسان اجتماعياً، فيظن أصحاب هذا الفكر الدوركايمي أنّ الإنسان مقيد بقيود المجتمع، وأنّ كلّ تحركاته وتصرفاته هي نتاج تأثيرات مجتمعية. وهذا خلاف العقل البشري، لأنّ العقل لا يتقبل أن تكون تصرفات الإنسان ناتجة من ردود أفعال. ثم لو نظرنا بواقعية أكثر لوجدنا أنّ الناس بطبيعة الحال يختلفون في تصرفاتهم وردود أفعالهم، ولو كانوا كلّهم يعملون في المحاكاة وتقليد ردود الأفعال لكانت التصرفات كلّها متشابهة، فحينها يصدمك

(١) الشؤون الفكرية: لم يشر الباحث إلى مصدر هذه المقولة التي نسبها إلى ماركس، ولم نعثر على مصدر لها، بل هي تناقض بوضوح متبنياته الفكرية المعروفة التي لا تعترف بغير المادة.

مشتبهاً في أحد ما سيكون ردّه هو أن يعتذر منك، ولكن هل الكل سيعتذر ويتعامل معك هكذا كما في المرة الأولى..؟

الناس تختلف تصرفاتهم وفقاً لزمكانية الظروف التي عاشوا فيها؛ وهذا ما يجعل دوركايم يطلق هذه النظرية التي نراها مخالفة للعقل وللطبيعة البشرية، وكذا خالفها القرآن الكريم فجاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾<sup>(١)</sup>. لو كان الأمر وفق نظرية دوركايم لكان الإيمان والكفر تبعاً للمشهور في المجتمع، بيد أنّ الحقيقة التي وضعها القرآن هو أنّ الإنسان ذو إرادة لا يمكن أن يؤثر في إرادته أي شيء، فلا يمكن أن يكون الإنسان دمية يقودها أمر ما كما قال دوركايم فنسلب الإرادة من الإنسان بذلك.

وأما ما قاله فرويد في أنّ الإنسان هو أسير غرائزه الجنسية، فهو حينئذ حصر إطاره الفكري بالاعتقاد بأنّ الإنسان أسير الغرائز والشهوات. في الحقيقة يرى البعض من الفلاسفة وعلماء النفس<sup>(٢)</sup> أنّ هذه النظرية تأخذ بعين الاعتبار كلّ الجوانب. فما نظرت إلى أنّ الإنسان له جانب عاطفي وجانب عقلي، وأحياناً تطغى المتطلبات العاطفية فتسود العاطفة على العقل، حينئذ ينقاد الإنسان وراء الغرائز، ولن يدوم هذا الانقياد أكثر من ساعة واحدة. وهناك ثلاثة وعشرون ساعة يكون فيها الإنسان واعياً ومدركاً للأمر. طالما عمد الفلاسفة إلى إيجاد المشكلات وترك حلّها، فإنّ من يقرأ كلام فرويد هذا لن يقاوم غرائزه طالما هو يرى الفلاسفة والمفكرين يسلمون بأنّ هذه النقاط السلبية هي طبيعة من طبائع المجتمع البشري ولا ضرر إذا كان الإنسان تحت تأثير غريزته في كلّ ساعات حياته وطيلة عمره. وهذا مخالف لما جاء به أهل البيت (عليه السلام) من وصايا في مجاهدة النفس وتأديب الغرائز؛ فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (أيّها الناس تولّوا من أنفسكم تأديبها واعدلوا بها عن

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) مهمة فرويد؛ تحليل الشخصية وتأثيره: أريك فروم. ص ٦٣.

ضراوة عاداتها<sup>(١)</sup>. فالإسلام دين يرى أنَّ مقاومة السلبات هي ضرورة قائمة على مدى تأثير جانب الوعي والإدراك عند الأفراد، لذا نجد أهل البيت يحذرون من الأمور التي تجعل الإنسان ينحدر إلى المستوى الذي يقلل من هدر ذاته حتى وإن كان تعريفاً، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (فرحم الله رجلاً نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه)<sup>(٢)</sup>.

الفكر الماركسي امتاز بعض الشيء عن غيره في أنَّه لا ينظر من جانب واحد<sup>(٣)</sup>، فالمتبع لذلك يجد أنَّه في أغلب النظريات الماركسية تنظر من زاويتين مختلفتين في كل الأمور، وهذا ما يجعل الرأي أكثر مقبولة، فتعدد الرؤى والنظر بعدة جوانب يجعل الصواب في إحداهن غالباً، فالفكر الماركسي كان ينظر للإنسان اقتصادياً على أنَّه في حين من أحيان حياته يبحث ويجري وراء المنافع الاقتصادية، وفي الحين الآخر تجده سويلاً لا يهمله أمره اقتصادياً إنَّما يجري وراء أغراض أخرى.

قد عُرف مصطلح فرنسي مشهور وهو: (همين) والمصطلح الثاني لاتيني وهو (هومانوس)، وهو مشتق من هومو الإنسان. وقد أصبح لفظ الإنسان المصطلح المتفق عليه لفظاً وكتابةً، مع الإنسانية، وكان ذلك في القرن الثامن عشر الميلادي<sup>(٤)</sup>. وبعضهم قال إنَّما سمي الإنسان إنساناً لكثرة نسيانه، فكما ورد عن ابن عباس على لسان ابن منظور: (إنَّما سُمي الإنسان إنساناً، لأنه عُهد إليه فني)<sup>(٥)</sup>. وهذان المعنيان لم يسيئا إلى مفهوم الإنسان ولكنهما لم يركزا أيضاً على قيمته الجوهرية، ونستطيع أن نجزم أنَّ ما من كلام بعد القرآن الكريم أعطى حقَّ الإنسان أكثر من أمير المؤمنين الذي قال كلمته التي تطرح عظمة هذا

(١) نهج البلاغة، قصار الكلمات ٣٥٩.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٧٦.

(٣) الشؤون الفكرية: سبق أن أشرنا في هامش سابق إلى رأي الباحث في هذا الخصوص، فراجع.

(٤) Edited (٤) "human", www.en.oxforddictionaries.com, Retrieved 2018-3-2.

(٥) تأويل المعاني والدلالات، الإنسان حكمة الروح والجسد علي محمد عبد الله -، ص ٩.

الكائن فيقول (عليه السلام): (أترعم أنك جرم صغير.... وفيك أنطوى العالم الأكبر)<sup>(١)</sup>. إن إمام المتقين كان يرى الإنسان كياناً عظيماً قادراً على اختراق أغلب الأبعاد المعرفية والحجب الكمالية، وينظر إلى أن الإنسان لا يجب أن يكون إلا إنساناً بالصورة المناسبة والجيدة. وقد وضع لذلك معايير عالمية إنسانية في نهج البلاغة؛ فمن يريد أن يرى إلى أي درجة هو ملتزم بمبادئه كونه إنساناً فلينظر إلى المعايير التي وضعها أمير المؤمنين وليسقطها على تصرفاته وتعاملاته ويرى درجة التوافق بين المبدأ والعمل.

إن ما نقصده في أن يكون الإنسان متكاملًا هو لا يعني أن يكون متكاملًا في جلّ نواحيه لأنّ هذه الصفة الله تبارك وتعالى لم يعطها إلا للمعصومين من خلقه، ولكن نقصد أن الإنسان كما قال عنه أمير المؤمنين فيه انطوى العالم الأكبر؛ لذا ليس من الصعب عليه أن يبلغ مرحلة يكون متكاملًا فيها من خلال المعايير الإنسانية والأخلاقية التي وضعها أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، وإن الإمام (عليه السلام) قد وضع قصارى الجهود في إعطاء معنى الإنسانية حقّه الكامل كما يقول أحد الكتاب (قد اتسع قلب الإمام علي حتى أصبح بحجم آمال الإنسان وآلامه، لأنّ ذلك القلب الدافئ لم يسع لتلك الآمال والآلام في زمنه فحسب، بل كان قلبه دائماً وأبداً المحراب العظيم الذي نلوذ به ونلجأ إليه)<sup>(٢)</sup>. والطريق الأنسب والأفضل الذي أشار إليه نهج البلاغة ليكون الإنسان سوياً وفق هذه المعايير هو أن يتكامل معرفياً. فالتكامل المعرفي هو السبيل الوحيد لجعل الإنسان متزناً وسوياً في سلوكه.

### المطلب الثاني: حقوق الإنسان في نهج البلاغة.

الكلام عن حقوق الإنسان في نهج البلاغة يحتاج إلى تأمل واطلاع موسع، لأنّه في النتيجة يضع أهمية كبيرة ويطرح استطراداً يوضح من خلاله المعايير الأساسية التي ركّز

(١) التفسير الصافي - الفيض الكاشاني - ج ١ - ص ٩٢.

(٢) الإمام علي في الفكر المسيحي - ص ٢٣١.

عليها أمير المؤمنين وجعلها مباني تعتمد في معرفة الإنسان السليم وبنائه، وإنَّ حقوق الإنسان في نهج البلاغة جاءت في أوجه عديدة لكي تشرع للناس حقوقاً حيناً، وتذكر بالحقوق التي نصَّ عليها القرآن حيناً آخر. ومن أبرز تلك الحقوق هي..

حقّ الحياة: إنَّ الكلام عن حقّ الإنسان في الحياة يعكس لنا فوراً صورة في الذهن تجسّد اثنين من المعاني، الأولى هي أن يهنأ الإنسان بحياة كريمة؛ وهذا حقّ من حقوق الإنسانية. أما الصورة الثانية التي يجسدها لنا المعنى، هي أن يعيش الإنسان دون أيّ خطر يهدد كونه باقياً على قيد الحياة، وكذلك هو حقّ مشروع قد أقرّ به القرآن الكريم قبل كلّ شيء. فقال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup> لا يستطيع أن ينكر أحد تلك الفوضى التي مرّ بها الإسلام في بداية الدعوة المحمدية، والظروف التي كانت محيطة في تلك الحقبة من القتل وسفك الدماء حتى صارت قيمة الإنسان هيّنة جداً، رغم أنّ الإسلام بذل الغالي والنفيس في سبيل أن يجعل حياة الإنسان هي أول حقوق الإنسان، وبسبب توالي الحروب والفتن استمر هذا الاستخفاف في أرواح الآخرين إلى بداية عهد أمير المؤمنين، بيد أنّ المعالجات الفعلية التي وضعها أمير المؤمنين لضمان حياة الآخرين، هي من جعلت براعم الأمل تظهر من جديد. فقد كان يحثّ من خلال تصريحاته على ضرورة ضمان حياة الآخرين فقال (عليه السلام): «يَاكَ والدماء وسفكها بغير حقّها... فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام... ولا عذر لك عند الله وعندي بقتل العمد»<sup>(٢)</sup>. فكان المبدأ الأول في مبادئ الإنسانية لأمر المؤمنين (عليه السلام) هو حقّ الحياة فكان لا يرضى (عليه السلام) بسفك الدماء بغير حقّ أبداً وحتى حينما جرح (عليه السلام) كان يوصي ولديه بأن لا يقتلا غير القاتل وأن لا يمثّلا، فكان يقول وهو يحتضر (انظروا إذا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يُمثّل بالرجل.. فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «يَاكُم والمثلة ولو

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٢) نهج البلاغة - ص - ٥٣٧ - طبعة دار الاندلس ١٩٦٥.

بالكلب العقور»<sup>(١)</sup>، كان عليه السلام حريصاً كل الحرص على حياة جميع الناس بغض النظر عن دينهم ومعتقدهم، فكان لا يحب القتال أبداً. وقد بان ذلك من خلال ما ورد عنه من وصايا لجنوده فكان يقول: (لا تقاتلوهم حتى يبدوؤوكم.. ولا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً ولا تجهزوا على جريح)<sup>(٢)</sup>.

حق التعلم: إن كورتشاك لم يقل عبثاً أن (الذي يخطط للأيام يهتم بزراعة القمح والذي يخطط لسنوات يزرع الأشجار والذي يخطط للأجيال يربي أناساً). فإن حقوق الإنسان كثيرة ومتعددة كما أشرنا إلا أن أهم حقوق الإنسان هو حق التعلم، وهو الأساس الذي عليه تنشأ العقول والمجتمعات الإنسانية حتى أدرج حق التعلم عام ١٩٦٠ في اتفاقية اليونسكو لمكافحة التمييز في التعليم. وأما أمير المؤمنين فكان ينظر إلى التعلم على أنه حق مشروع من حقوق الإنسان، فكان في حديث له، وهو يتكلم عن حقوق الولد على الوالد، يقول: (.. ويحسن أدبه، ويعلمه القرآن)<sup>(٣)</sup>. فإن أمير المؤمنين ينظر إلى التعليم على أنه حق مشروع للإنسان، ويتطلب مساحة وبنية تحتية أسرية تربوية، ليأخذ بعد ذلك منحاه في المجتمع.

حق الرأي: حق التعبير عن الرأي من الحقوق المنصوص عليها عالمياً، فهي كما يقال الحق السياسي لإيصال أفكار الشخص عبر الحديث<sup>(٤)</sup>، ويُعترف بحق حرية التعبير حقاً أساسياً من حقوق الإنسان بموجب المادة رقم ١٩ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ويُعترف به في القانون الدولي لحقوق الإنسان في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. إن هذه الحرية نادراً ما نجد قوانينها مفعلة في البلدان حتى وإن كانت تدعو

(١) نهج البلاغة - ص ٥١٢.

(٢) نهج البلاغة - ص ٤٥٣.

(٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٩ - ص ٣٦٥.

(٤) Universal Declaration of Human Rights نسخة محفوظة ٢٤ فبراير ٢٠١٨ على موقع واي باك مشين.

باسم حرية التعبير والمساواة إلا أنّ غريزة الحكّام تدعوهم دوماً للانتقام وكسر المبادئ والحقوق، فإنّ من نماذج تقييد الرأي في المجتمعات المتحررة هو فيلم حياة برايان Life of Brian للمجموعة الكوميدية البريطانية Monty Python في سنة ١٩٧٩، وفيه يروي الفيلم وبصورة ساخرة قصة حياة شخص اسمه برايان. ويعتبر الفيلم من الأفلام الكوميدية الكلاسيكية، وقد اختير عام ٢٠٠٠ من قبل المجلة الفنية البريطانية Total Film أحسن فيلم كوميدي بريطاني في التاريخ. والفيلم ينتقد -وبصورة ساخرة- التطرف الديني؛ إلا أنّ هذا الفلم قد عوقب من عمل به وتوقف عن العرض وخضع المنفذون له للحساب. في واقع الأمر لم أر شخصاً أو دولة أعطت حقّاً كاملاً ومعقولاً لحرية التعبير عن الرأي أكثر من دولة وشخص أمير المؤمنين، فكان ينظر إلى الإنسان على أنّه مخلوق صاحب مزاج وكرامة، يحقّ له التعبير عما يدور بداخله من أفكار وانتقادات ورؤى؛ وفي الوقت نفسه، كانت هناك رقابة على الحريات حتى لا يؤدي التعبير عن الرأي إلى حدوث فتنة أو مشاكل واضطرابات بين أبناء المجتمع. فيعتقد أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّ التعبير السلبي عن الرأي هو غالباً ما يأتي من ردّ فعل ما حتى قال: (إنّما هو سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب)<sup>(١)</sup>.

حق الاعتقاد: إنّ الحقوق المشروعة للإنسان كثيرة وعديدة؛ ومن أهمّها حق الاعتقاد. فإنّ الناس هم أحرار فيما يعتقدون ويعبدون، شرط أن لا يؤثر ذلك في معتقدات الآخرين، وهذا كان مبدأ الإسلام ومنطلقه، فقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وكذلك كان مبدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) ومنهجه الذي اتخذه في دولته، فكان لا يميز بين المسلم وغير المسلم في العطاء، كما يروي أهل التاريخ أنّه كان ينظر إلى للجميع على حد سواء بنظرة الإنسانية، دون أيّ تمايز وتفریق؛ وفي رسالته إلى مالك خير دليل، بقوله: فهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

(١) نهج البلاغة - ص ٦٥١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

### المطلب الثالث: أدوات التكامل الإنساني.

إنّ الإنسان بطبيعة حاله إذا أراد أن يفعل أمراً ما، فحتماً لن يعدو عن السؤال بشروط ذلك الأمر وأدواته. كذلك نحن في رحلة التكامل، لا بدّ من أن نسأل أنفسنا: ما هي الأدوات التي من الممكن أن تجعلنا متكاملين وكيف نكتسب التكامل أولاً؟

في الواقع إنّ تكامل الإنسان يقع في دائرة المعرفة، فكلّما اتّسعت تلك الدائرة ازداد تكامل الإنسان حتى ينعكس ذلك على سلوكه فيكون إنساناً نموذجياً متكاملاً. وهناك عناصر داخلية تدفعه ليكون متكاملاً، ومنها..

الفطرة: من الدوافع التي يراها أمير المؤمنين مهمة في الكمال البشري هي الفطرة الطيبة التي فطر الله الإنسان عليها. فهي غالباً ما تدعوه إلى الفضائل وتنفره من الرذائل؛ وهذا ما يجعلها أقرب ما يكون إلى أن تكون جهاز إنذار وتنبيه ذاتي. وهذا العنصر مغفول عنه في العلم الحديث، فإنّ فطرة الإنسان هي قلبه، فالقلب السليم هو غالباً ما ينفر من المضرات بالإنسان كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾<sup>(١)</sup>، فإنّ الفجور والتقوى كلاهما في داخل الإنسان والمتحكم بهما هو القلب فيقول أمير المؤمنين: (أعجب ما في الإنسان قلبه؛ له موارد من الحكمة وأضداد من خلافها)<sup>(٢)</sup>. فهذا هو قلب الإنسان وفطرته يحمل مضادين؛ الحكمة وخلاف الحكمة، ليأتي بعد ذلك دور العقل.

العقل: الفطرة والدوافع النفسية تحتاج إلى من يديرها ويتحكم بها، ولا يوجد في الإنسان أفضل من العقل في إدارة تلك الدوافع، حتى أنّ هذا الإنسان ينظر إليه من خلال عقله فيقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إذا شاب العاقل شبّ عقله، إذا شاب الجاهل شبّ

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) علل الشرائع - ج ١ - ص ١٠٩.

جهله<sup>(١)</sup>. وفي حديث آخر قال عليه السلام: فضيلة الإنسان عقله. الإمام عليه السلام كان ينظر إلى العقل على أنه العصب المحرك والعنصر الأساسي في أدوات التكامل البشري.

### الروح الجمعية:

إنَّ ممَّا يعجب له البعض هو أنَّ أمير المؤمنين كان شخصاً جمعياً ويمتلك روح المبادرة الجماعية والعمل المجتمعي، فكان الخليفة الوحيد في عهده يقاتل مع جنوده دون أن يكتفي بالإدارة والتوجيه، وما ورد بحقه يكشف لنا كم كان أمير المؤمنين شخصاً اجتماعياً، فهو يرى ضرورة في العمل مع المجتمع؛ وكذا يراها صفة من الصفات المكملة للشخصية الإنسانية التي تطمح نحو الكمال دوماً.

### الوجدان الروحي:

تطرق الإسلام في مفاهيمه الأخلاقية ومناهجه التربوية على كل من الميول النفسية (العواطف)، وعلى الاستجابات النفسية من غضب، وفرح، خوف، ورجاء وودّ وحبّ وكرم ونبل وعفة... ووصفها وصفاً دقيقاً<sup>(٢)</sup>. فإنَّ الإمام علياً عليه السلام كان يرى أنَّ الوجدان الروحي هو عنصر لا يمكن الاستغناء عنه من هذه العناصر، فهو الرابط بين روح الإنسان وبين السماء منذ ولادته، فيرى الإمام عليه السلام الحرية هي بأن يطلق الوجدان الحقيقي نحو السماء ويترك زمامه ليعرج إلى سماء العبادة والمعرفة.

وإنَّ تأثير هذا الوجدان هو إيجابي إلى حدّ كبير في حياة الإنسان، فهو حينما يكون منتصباً فإنَّه يبعث في الإنسان الشعور بالسعادة والفرح وإثارة الحماس، والشعور بالرضا عن النفس، كما يعطي أداء نفسياً أفضل بكثير من العادة، وحتى في الجوانب الجسدية هو يعطي شعوراً إيجابياً مما يجعل زيادة في المناعة وحماية من الأمراض.

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٠٥٦.

(٢) كشف اصطلاحات الفنون نسخة محفوظة ١٥ ديسمبر ٢٠١٩ على موقع واي باك مشين.

ونحن نستطيع أن نبلغ مرحلة الكمال في تصرفاتنا إذا ما عززنا في أنفسنا هذه العناصر وجعلناها سبيلنا في بلوغ هذه المرحلة.

## المبحث الثاني المعرفة وآثارها ببناء الإنسان

إنّ الإنسان السليم لا يكون سوياً كما أسلفنا إلّا بتوافر تلك العناصر الداخلية فيه التي تدفعه إلى أن يقف أمام مفهوم عظيم كمفهوم المعرفة، فإنّ هذا المصطلح العظيم من شأنه أن يرفع الإنسان أو يضعه.

يعود أصل مصطلح إبستيمولوجيا والذي يعني نظرية المعرفة إلى كلمتي (إبستيمي) والتي تعني المعرفة باللغة اليونانية القديمة (ولوجيا) التي تعني الخطاب المنطقي<sup>(١)</sup>. سبق ظهور المصطلح باللغة الإنجليزية ظهوره باللغة الألمانية بعنوان Wissenschaftslehre (والذي يعني نظرية العلوم)، وقدّم هذا المصطلح الفلاسفة يوهان فيشته وبرنارد بولزانو في أواخر القرن الثامن عشر. ظهرت كلمة إبستيمولوجيا للمرة الأولى في عام ١٨٤٧، وذلك خلال استعراض في مجلة إلكتريك من نيويورك. استُخدمت الكلمة لأول مرة ترجمة لمصطلح ويسينشافتلير في رواية فلسفية للمؤلف الألماني جان بول.

وقد يذهب الكثير باعتقاده على أن المعرفة هي كانت في السابق نظرية فلسفية فنظر معظم الفلاسفة التاريخيين البارزين في الاستفسارات حول ما نعرفه وكيف نعرفه. من بين الفلاسفة اليونانيين القدماء، ميز أفلاطون بين التحري عن ما نعرفه والتحري عن ما هو موجود، ولا سيما في أعماله الجمهورية والثييتس ومينو. وكما ظهرت العديد من شواغل نظرية المعرفة المهمة في أعمال أرسطو<sup>(٢)</sup>.

(١) «Epistemology». Oxford English Dictionary (الطبعة الثالثة - Oxford). University Press. 2014

(٢) «Epistemology». Encyclopedia Britannica. مؤرشف من الأصل في ١٧ أغسطس ٢٠٢١. اطلع عليه بتاريخ ٢٢ يونيو ٢٠٢٠.

والفلاسفة يختلفون في اعتقادهم بالتكامل المعرفي، فانقسموا إلى مدرستين وفريقين، في محاولتهم، فذهب الاعتقاديون أو أتباع مذهب التيقن إلى الاعتقاد أن بوسع الإنسان أن يعرف، أي أنه يمتلك ملكة معرفية تختلف وتدرج من شخص لآخر. أما أتباع مذهب الشك فقد أنكروا على الإنسان إمكان المعرفة، ولكلا المذهبين أنماط ودرجات مختلفة في هذه المسألة، فينقسم الشك إلى شك مطلق وشك منهجي.

يعبر غورغياس حالة الشك التي بلغها بقوله «لا يوجد شيء، وإن وجد شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه، وإن فرضنا أن الإنسان أدركه فلن يستطيع أن يبلغه لغيره»، وحالة الشك الموصوفة هي التي تُصفي الشك على كل الموجودات وحتى على حواس الشخص ذاته، فيُطبق الشك على المرء حتى ليشك في حقيقة وجوده، وهذا هو الشك الحقيقي أو المطلق.

ثم جاء السوفسطائيون فلم يعترفوا سوى بالمعرفة التي يمكن إدراكها بالحواس وحده، وأبطلوا القول بوجود حقيقة مطلقة، ثم جاءت الأكاديمية الجديدة تنكر وجود مقياس ثابت للحقائق وتعترف بمذهب الاحتمال والترجيح ثم يؤثر الترجيح دون أن يتجاوزه إلى اليقين.

### المطلب الأول: أثر المعرفة في التكامل.

المعرفة لا يمكن أن تقاس بمقاييس العلم، والعلم الحقيقي لا يمكن أن يقاس بمقياس علم المفردات الذي يعتمد على معرفة المفردات دون غيرها، فالفرق كبير وواسع جداً بين المعرفة والعلم، فالمتأمل في مفهوم العلم والمعرفة سيلاحظ أن العلم لا يمكن أن يكون مثل المعرفة لأن العلم في بعض الأحيان لا يهدي إلى الصواب؛ فكم من عالم كان لا يعتقد بوجود الله تعالى! وكم من عالم هلك لأن علمه كان ضاراً به! إن التاريخ ينقل لنا صوراً عديدة لشخصيات كبيرة ومعروفة في الأوساط العلمية آنذاك، ولكنها هلكت لأنها لم تعرف الصواب.

العالم هو الذي تشنى له وسادة العلم ويتعلم ثم يتقن علماً ما، بغض النظر عما إذا كان ذلك العلم ضاراً أو نافعاً، أما العارف هو الذي لا يشترط وجود العلم عنه إنما يكون عارفاً بحقيقة أمره. فإن بعض الذين خالفوا رسول الله عند رسالته كانوا علماء في بعض الشيء ولكن علمهم لم ينفعهم في ذلك أبداً، والذين تبعوه وأسلموا له لم يكن لديهم إلا القليل من المعرفة وصراخ داخلي يرنو إلى المعرفة بالذات الإلهية؛ فما إن جاء رسول الله ﷺ وعرض عليهم دعوته تحرك عندهم ذلك الضمير ونمت تلك المعرفة، فصدقوا به وأسلموا بين يديه وأطاعوا أوامر الله عز وجل، فانعكست تلك المعرفة على سلوكهم فوراً فأصبحوا بما عرفوا لا يشركون ولا يكذبون ولا يرايون، ليكونوا متكاملين فيما عرفوا.

حجرة من المعرفة صغيرة في بوادي النفس تضاهي جبلاً من العلم الشامخ، لأنه لا توجد مقارنة بين عالم يهلك بعلمه وعارف تنجيه معرفته؛ الأمر يعود في طبيعة الأمر إلى أن المعرفة مرتبطة في الإيمان، أي إن المعرفة هي معرفة الله تبارك وتعالى والإيمان، وهذا ما أمر به الله تبارك وتعالى ودعا إليه رسولنا الأكرم، وبعدئذ أمر به أمير الموحدين، وفصله وبينه بياناً واضحاً ومنهجياً، وسيأتي تفصيله في طيات البحث.

أما الأثر الذي تعكسه المعرفة على السلوك هو ناتج من معادلة سهلة وبسيطة في أن الإنسان جهل بعد علم، وهذا العلم بواقع الأمور ينعكس على معرفة الفرد فوراً، فلو عرف الإنسان أن شرب الماء البارد سيضره ولربما يؤدي إلى فقدان صوته؛ فهو في طبيعة الحال بعد أن أصبحت عنده معرفة بما يضره وينفعه سيترك الماء البارد ويشرب المعتدل وهذا ما انعكس على سلوكه فوراً.

إن شخصية الإنسان في فطرتها وطبيعتها ترنو إلى المعرفة دوماً وتغرب في تحصيلها، وما إن عرف الإنسان أمراً معيناً حتى طبقه فوراً وقام بتجريبه عملياً. فكر أمير المؤمنين وإمبراطوريته المعرفية والعلمية التي كانت وما زالت هي التي تجري ولا يجري معها في إعطاء الإنسان حقه وتعريفه في الواقع البشري.

إنَّ مبدأ (الإنسان المتكامل) هو بما وصلت إليه أنّه المبدأ الذي كان يحكم به أمير المؤمنين فهو كان يطمح إلى هذا الأمر ويدعو إلى تطبيق المعرفة سلوكياً لتكون عادة وملكة للإنسان، ونقصد بالمعرفة كما أشرنا آنفاً هي معرفة الله عزّ وجلّ، فازدهر هذا الفكر في دولته عليه السلام، لأنّه هو من أحاط بالمعرفة كما قال الدكتور مهدي محبوبه: (أحاط علي بالمعرفة دون أن تحيط به، وأدركها دون أن تدركه)<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: مراتب المعرفة.

إنَّ المعرفة التي يحتاجها الإنسان في تكامله تحتاج بعض الشيء إلى تفرع وتقسيم، والأنسب أن تقسم إلى ثلاثة محاور..

الأول / معرفة الله: إنَّ المعرفة الأولى التي يحتاجها الإنسان حتى يسيطر على سلوكه ويغير ملامح شخصيته، هي معرفة الله تبارك وتعالى وهذا ما نراه في الوقائع التاريخية التي شهدتها الأنبياء فإنَّ الدعوة إلى الإيثار هي غالباً ما تكون على مرحلتين؛ الأولى هي المعرفة وتدخل في عنوان التوبة؛ فلا توبة إلّا بعد معرفة الله، والمرحلة الثانية هي السلوكية أي التي تكون مرحلة عملية في السلوك السويّ والعمل الصالح، فجاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup> السعي والعمل الصالح يأتي بعد معرفة الله والإيمان به، وهذه أفضل وأرفع درجات المعرفة للإنسان، وقد ذكر إمام المتقين في حديث له: (من عرف الله توحد، من عرف نفسه تجرد، من عرف الدنيا تزهد، من عرف الناس تفرد)<sup>(٣)</sup>.

(١) عبقرية الإمام: ص ١٣٨.

(٢) سورة القصص: الآية: ٦٧.

(٣) ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ج ٣: ص ١٨٧٧.

ثانياً / معرفة الذات: وهذا ما كان يحث عليه أمير المؤمنين فإنه كان يعتقد في منظومته الفكرية أن هناك علاقة ارتباطية بين معرفة النفس ومعرفة الله، فمن عرف الأولى عرف الثانية. وهذا ما نصّ عليه حديثه المبارك (عليه السلام) في قوله: (من عرف نفسه عرف ربه) (١). وذلك لأن معرفة النفس ليست أمراً عادياً؛ بل تحتاج إلى تفكير طويل. وهذا التفكير يقود إلى استفهامات متعددة، وقد تكلم عنها أمير المؤمنين قائلاً: (اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم) (٢) وما إن عرف هذه التساؤلات وعرف ربه ثم عرف نقاط القوة في نفسه فهو إذن قد قطع شوطاً لا بأس به من المعرفة. وقد أدلى أمير المؤمنين بذلك قائلاً: (من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كل معرفة وعلم) (٣). وبعد ذلك تنعكس هذه المعرفة على سلوك الإنسان فتكون معظم تصرفاته جليلة وسديدة كما ورد عن أمير المؤمنين: (من عرف نفسه جل أمره) (٤).

ثالثاً / المعرفة الاكتسابية: إن الأركان المعرفية الموجودة داخل الخرائط الذهنية والعصبية عند الإنسان هي لم تنم عند الإنسان إلا من خلال العمل والتحصيل، وكذا هي السنن الطبيعية؛ فلا علم إلا لمن تعلم. وهذه القواعد لا تجري في طبيعة الحال على الأئمة المعصومين والأنبياء المرسلين، لأنهم قد ميزهم الله عن غيرهم بالعلم الإلهامي والمعرفة المقدفة والملقاة في قلوبهم لما وجب عليهم من أداء الرسالة أو التبليغ والدعوة إلى سبيل الله. الإنسان المتكامل يكون متكاملًا حينما يعرف الله فيتحلّى بالآيمان، ويعرف نفسه فيتحلّى بالنجاح والإرادة والثقة والقوة. وحينما تكون عنده معرفة مكتسبة حول بقية الأمور في حياته العامة كأن يتعرف على الأساليب المهمة في الحياة كالتفقه في الدين وإتقان فنون

(١) المصدر السابق.

(٢) ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ج ٣: ص ١٨٢٤

(٣) ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ج ٣: ص ١٨٧٧

(٤) المصدر السابق.

الحوار والتواصل وغيرها من الأساليب المهمة، التي تعتبر الآن ضرورة من ضروريات الحياة، ولتكون أسلوب حياة أفضل، ولتعطي هذه المعرفة انعكاساً مباشراً على سلوك الإنسان فتكون معرفة صحيحة ومطبقة فتعطي أنموذجاً متكاملًا للإنسان.

## المبحث الثالث السلوك وأثر المعرفة فيه

### المطلب الأول: ثنائية السلوك والمعرفة.

يُعدّ سلوك الكائن الحيّ المحور الأساسي للدراسات النفسية والعلوم النفسيّة، فيسلط علم النفس الضوء بشكلٍ رئيس على السلوك بجميع أشكاله المقبولة وغير المقبولة، كما يهتم بدراسة معايير السلوك السويّ وغير السويّ وأسباب وظروف ظهوره. وقد عرّف علم النفس السلوك من خلال عدّة تعريفات ومفاهيم؛ ومنها أن السلوك هو حالة التفاعل الحاصل بين الكائن الحي وبيئته وعالمه الخارجي. وفي أغلب الأحيان يظهر السلوك على هيئة استجابات سلوكيّة مكتسبة ومتعلّمة من خلال تعلّم الفرد بالتدريب والملاحظة والتعرض للخبرات المختلفة. ويُعرّف السلوك كذلك بأنّه مجموعة من الاستجابات التي تصدر عن الفرد تجاه المثيرات البيئية المختلفة، حيث تُمثّل البيئة جميع المؤثرات التي تدعم آلية ظهور السلوك.<sup>(١)</sup> من التعريفات الأخرى للسلوك هو جميع أشكال الاستجابة الكليّة التي تظهر عند الكائن الحيّ تجاه أي موقف يواجهه،<sup>(٢)</sup> كما يرى علماء النفس السلوك بشكلٍ شموليّ بأنّه نشاطٌ مركّبٌ تتكوّن بُنيته من ثلاثة جوانب أساسيّة، وهي<sup>(٣)</sup> الجانب المعرفي: هو مجموعة العمليات العقلية والمعرفية التي يستخدمها الإنسان لإدراك الأحداث التي تدور من حوله، وآلية تفاعله معها بالطريقة التي يتفرد فيها الشخص باستخدام المعاني

(١) منى خضر الحبش (٢٠٠٧ - ٢٠٠٨)، المشكلات التربوية والسلوكية، الجامعة العربية المفتوحة، صفحة ٣. بتصرّف.

(٢) «تعريف ومعنى سلوك في معجم المعاني الجامع»، [www.almaany.com](http://www.almaany.com)، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠١٨-٢-١٣. بتصرّف.

(٣) د. طلعت منصور، ود. أنور الشرقاوي، ود. عادل عز الدين، وآخرون. (٢٠٠٣)، أسس علم النفس العام، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية، صفحة ٨ - ٩. بتصرّف.

والرموز؛ ومن أهم هذه العمليات الإدراك، والتذكر، والتصور، والتعبير الرمزي واللغوي واللفظي وغيرها. الجانب الحركي: هو جميع الاستجابات الجسميّة التي تظهر على الفرد بسبب تعرضه لمثيرٍ مُعين. وتكون هذه الاستجابات على صورٍ استجابات حركيّة لتعليمات لفظية، أو ممارسة الكتابة والرياضة، أو عزف الموسيقى، أو ركوب السيارة، وغيرها الكثير. الجانب الانفعالي: هو الحالة الانفعالية والعاطفية التي يمرُّ بها الفرد أثناء استجاباته السلوكيّة للمثيرات المختلفة؛ أي إنّها الحالة الداخليّة التي ترافق سلوكاً معيناً، كالشعور بالحماس والسعادة تجاه نشاط معين، أو الشعور بالارتياح أو عدم الارتياح لمثيرٍ أو نشاط آخر.

وبعد هذا التوضيح عن السلوك وخصائصه، والكلام حول المعرفة آنفاً يجدر بنا الآن أن نفهم كيف يتغير السلوك بعد المعرفة، فهي ثنائية ملازمة، كالمعادلة الرياضية؛ فمن عرف نفسه عرف ربّه، ومن عرف ربّه فقد حسن سلوكه واطمئن قلبه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: آلية تقويم السلوك بعد المعرفة.

يتقوم سلوك الإنسان ويتغير وفقاً لمعرفته لله تبارك وتعالى ولنفسه. فمن عرف الله حق معرفته التزم بما أمره الله من تعاملات وعبادات، ليرى بعدها ثمرة ذلك السلوك الذي نتج من معرفة قريباً، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(٢)</sup>. آلية تقوم السلوك بعد المعرفة ترتبط في نوع تلك المعرفة التي اكتسبها ذلك الفرد، فكم من معرفة أدت بصاحبها إلى الهلاك، وكم من معرفة بسيطة يصحبها نوع من الصحوة واليقين قادت صاحبها إلى الهداية والصلاح.

(١) سورة الرعد: الآية: ٢٨.

(٢) سورة الزلزلة: الآيتان: ٧-٨.

معرفة الله أول شيء ستزرعه في ذات من اكتسبها هي الكلمة الطيبة، ستجد نفسك بعد أن عرفت ربك معرفة معينة، تمتلك كلاً طيباً يجعلك مترابطاً بين الناس ومحققاً محبة وتوصلاً بين الآخرين منذ كلمة المعرفة الأولى (لا إله إلا الله) وما بعدها من الكلمات ستجد هناك تغيراً واضحاً وملموساً في كلمات الإنسان ومفرداته التي هي المعبر الأول عن سلوكه. فهذه الكلمات تعكس صورة مثالية حول الإنسان السوي وتؤدي أكلها لجعل الإنسان متكاملًا قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾<sup>(١)</sup>.

كرم الخلق وحسن المعاملة هي الأداة الثانية في عكس المعرفة على السلوك وتعتبر من أهم أدوات التكامل الإنسان فهي التي أشار إليها القرآن مراراً، وذكرها أهل البيت تكراراً، فهي أول ما ينظر إليه في الإنسان. وبعدها التكاثر والعيش بروح الجماعة والتواصل والتفاعل مع الآخرين ومشاركتهم أحزانهم وأفراحهم. فهذا يعطي شعوراً تكافلياً وجمعياً في داخل الإنسان.

أما بعد معرفة النفس، فيتمكن الإنسان من معرفة مكان القوة الجسدية والروحية لديه؛ وهذا ما أمر به القرآن الكريم فقد جاء في قوله تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾<sup>(٢)</sup>، وغيرها من الآيات التي تدعو إلى التفكير والتأمل في الإنسان في خلقه وقوته الروحية ليتعرف على مكان قوته وقدراته ويكون إنساناً متكاملًا، متعلماً عارفاً نفسه وربّه أثرت معرفته على سلوكه. وهذه الآلية حتماً تحتاج إلى ذكر متواصل لله تبارك وتعالى وفضله وإحسانه لأنّ الذي يعرض عن ذكر الله يشقى شقاءين الأول أنّه لن يعرف لذة المعرفة، والثانية أنّه لن يستطيع أن يقوم سلوكه أبداً، فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>(٣)</sup>

(١) سورة إبراهيم: الآيتان: ٢٤-٢٥ .

(٢) سورة الطارق: الآية: ٥ .

(٣) سورة طه: الآية: ١٢٤ .

كما إنّ هذه المعرفة تنزّه الإنسان عن الكثير من الأمور التي تخلّ بشخصيته؛ فمن عرف أنّ السرقة والخمر والكذب والزنا وقول الفحش وغيرها محرّمة دون معرفة الأسباب، فحتماً لن يكون هناك التزام كامل في ذلك المنع والتحريم. ولكن إذا كانت هناك معرفة شمولية في الأسباب فهنا ترى الإنسان يكون أكثر حرصاً في تطبيق ذلك المنع والسّرّ يكمن في طبيعة النفس البشرية وتسخير سلوكها ورغباتها تحت سيطرة المعرفة التي هي المحرك الأول للسلوك الذي يجعل الإنسان متكاملًا.

## الخاتمة

في نهاية المطاف، وفي أواخر هذه الصفحات، أيقنت أن لولا فضل الله تبارك وتعالى ونعمته علىّ، لما وفقت إلى خدمة وليّه سيدي ومولاي يعسوب الدين وقائد الغر المحجلين، أمير المؤمنين -صلوات الله تعالى عليه- في أن عرفنا أعظم خلق الله الإنسان وبيننا السبل والأدوات التي تجعل منه إنساناً مثالياً ومتكاملاً، وعرفنا الطريق الأساسي الذي يعتبر السبيل الوحيد لتكامل الإنسان ألا وهي المعرفة، وكيف تنعكس تلك المعرفة على السلوك. وأما النتائج التي توصلت إليها من خلال الأدلة والمصادر، فادعو الله تبارك وتعالى أن يثيبني عليها ويأخذ بيدي إلى مزيد من السداد لخدمة سيدي أمير المؤمنين وآله الأطهار، والاستنتاجات التي توصلت إليها في هذه الوريقات تتمحور فيما يلي..

## الاستنتاجات

إنَّ الإنسان طاقة كبرى وتركيب عجيب، قادر على اختراق كلِّ الأبعاد المادية والمعنوية، وإنَّه مخلوق يطمح إلى الكمال.

إنَّ ما أشيع من قبل الفلاسفة واليونانيين والإغريق القدماء في بيان ماهية الإنسان، لا ينطبق كلياً على الإنسان، فهو غالباً ما يحطّ ويوضع من قدر وقدرات الإنسان.

إنَّ نهج البلاغة هو الدستور الأول بعد القرآن الكريم الذي يصرح بالحرّيات وينصّ على حقوق الإنسان، وإنَّ أمير المؤمنين هو المشرّع البشري لللائحة حقوق الإنسان في السلام.

إنَّ مقدار الضابطة لحرّيات الإنسان تكمن في كرامته، ففي أي وقت يهدّد أحد التصرفات كرامة الإنسان وحياته فإنَّ في ذلك الوقت ستتزع حرية الإنسان منه.

إنَّ العقل والفطرة والوجدان هي عناصر داخلية، ودوافع محفزة لرقى الإنسان وكماله، فهي من تدفعه إلى أن يزداد معرفة ورقياً ليكون إنساناً متكاملًا بعد ذلك.

إنَّ الفرق بين مصادر المعرفة ومنازلها فرق كبير؛ فالأول يعطينا المعرفة والثاني يعلمنا فيمَ نستخدم المعرفة؛ والطرفان يجعلان الإنسان يتجه ويتهيأ لبداية كماله وإدراكه.

إنَّ الكمال البشري يلاحظ آنياً على سلوك الإنسان فما إن وجدنا أنَّ السلوك متغيّر نحو الإيجاب مع زيادة الاكتساب المعرفي، فنعلم أنَّ تلك هي بؤادر الكمال الإنساني التي تبني الإنسان السليم والسويّ، وهذا ما نصّ عليه أمير المؤمنين في نهج البلاغة، فأصبح لنا معياراً.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. نهج البلاغة
٢. تأويل المعاني والدلالات، الإنسان حكمة الروح والجسد - علي محمد عبد الله.
٣. التفسير الصافي - الفيض الكاشاني.
٤. الإمام علي في الفكر المسيحي.
٥. شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد.
٦. Universal Declaration of Human Rights نسخة محفوظة ٢٤ فبراير ٢٠١٨ على موقع واي باك مشين.
٧. علل الشرائع - الشيخ الصدوق - طبعة قم.
٨. ميزان الحكمة - محمد الريشهري.
٩. كشف اصطلاحات الفنون نسخة محفوظة ١٥ ديسمبر ٢٠١٩ على موقع واي باك مشين.
١٠. منى خضر الحبش (٢٠٠٧ - ٢٠٠٨)، المشكلات التربوية والسلوكية، الجامعة العربية المفتوحة، صفحة.
١١. «تعريف ومعنى سلوك في معجم المعاني الجامع»، [www.almaany.com](http://www.almaany.com)، اطلع عليه بتاريخ ١٣-٢-٢٠١٨.
١٢. د. طلعت منصور، ود. أنور الشرقاوي، ود. عادل عز الدين، وآخرون. (٢٠٠٣)، أسس علم النفس العام، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية.

13. «السلوك والعوامل المؤثرة عليه»، [www.uobabylon.edu.iq](http://www.uobabylon.edu.iq)، اطلع عليه بتاريخ 2018-2-10. بتصرّف.

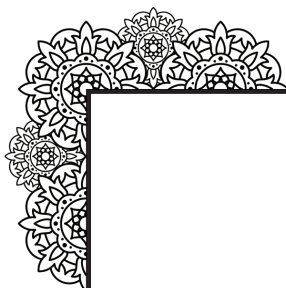
١٤.

human”, [www.en.oxforddictionaries.com](http://www.en.oxforddictionaries.com), Retrieved.15  
2018-3-2. Edited

16. «Epistemology”. Oxford English Dictionary (الطبعة الثالثة -  
rd. (Oxford University Press. 2014

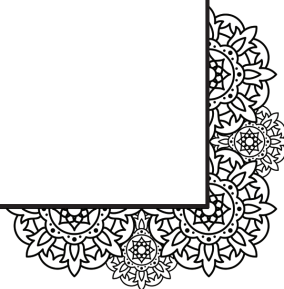
17. «Epistemology”. Encyclopedia Britannica. مؤرشف من  
الأصل في 17 أغسطس 2021. اطلع عليه بتاريخ 22 يونيو 2020.





**فكر التعايش الاجتماعي**  
**في تراث الزهراء عليها السلام**  
**دراسة مقارنة بين القانون والتراث الإسلامي**

الباحث  
د. السيد محمد قاسم الجبوبي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

لا يخلو أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، وعلى مرّ التاريخ من فروق واختلافات بين أفرادها. وأوجه التمايز تلك تتباين في نفسها نوعاً وشدة؛ بل إنّ فطرة الخلق والإيجاد جاءت مبتنة على وجود الفوارق. وسواء قلّت الفوارق أو كثرت، فدورها واضح بدخولها بصورة وأخرى مع غيرها لتشكّل معياراً طبيعياً للتقسيمات السكانية والجغرافية؛ وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾.

ولكن الظروف الحياتية، لا سيما الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أوجدت أحكاماً وسلوكيات كان الدافع من ورائها ومن مروجها تمييز المجتمعات فيما بينها على أساس وأد الاختلاف، ولكنّ الواقع المريع كشف أنّهم قد استبدلوا ظلماً وجوراً الاختلاف بالخلاف..

### مشكلة البحث:

مع شيوع مصطلح التعايش - لا سيما في العقود الأخيرة - إلا أنّ البحث يرى أنّ المشكلة في ضبابية وصف هذا المصطلح بالسلمي، وكذلك في عدم التمييز بين أسس التعايش ولوازمه.

### هدف البحث

يهدف البحث إلى وضع معيار واضح يمكن أن يضمّ أكبر قدر ممكن من أسس التعايش إن لم نقل جميع المتفق عليه دولياً وعالمياً، بأمل أن يشكل حجر الأساس لبناء النصّ القانوني.

### منهج ونطاق البحث:

يبدأ البحث -ومن خلال المنهج الوصفي- ببيان المقصود من مصطلح التعايش والمفاهيم المرتبطة به، ومن ثمّ تحليل النصوص القانونية والفقهية التي جاءت شاهداً عليه من خلال المقارنة تحديداً بين نصوص الدستور العراقي والمشهور من نصوص الفقه الإسلامي أولاً؛ وثانياً من خلال استقراء أقوال وسيرة أئمة وعلماء مدينة سامراء، أي أقوال الإمامين العسكريين عليهما السلام وسيرة البارزين من علماء مدينة سامراء كـ نموذج للدراسة.

### الدراسات السابقة:

كُتِبَ كثير من البحوث والمقالات عن موضوع التعايش، ومن جهات عديدة، منها أخلاقية واجتماعية وتربوية وحضارية وسياسية وفقهية وغير ذلك؛ إلا أنّ الذي يشغلنا هو الناحية القانونية التي لم نجد فيها ما يغني عن البحث القانوني مرة أخرى. ولذا سنكتفي بذكر ثلاث دراسات بحثت التعايش من الجهة القانونية على أن نذكر معها ما يميز هذا البحث عنها:

أولاً: دراسة إسماعيل نعمة عبود، دور القانون في حماية التعايش السلمي بين أفراد المجتمع.

تميزت هذه الدراسة بتركيز البحث حول مشروع الهيئة الوطنية لحماية التعايش السلمي في العراق، وبيان الإيجابيات والسلبيات، ولكن من دون التطرق إلى الواقع القانوني دستورياً كان أو غيره، ومن دون النزول إلى تطبيقات الواقع. وهذا بخلاف ما عليه الدراسة هنا؛ فضلاً عن إشكالية وصف التعايش بالسلمي الذي يلزم منه محدودية التشخيص والمعالجة.

ثانياً: دراسة حسن علي كاظم، التعايش السلمي والوحدة الوطنية.

تتسم هذه الدراسة بسلامة التشخيص لمشاكل الواقع الحياتي وعمق الأهداف المرجوة،

إلا أنها كانت للدراسات التربوية والأطر الحضارية والاستراتيجيات السياسية أقرب منها للدراسات القانونية؛ مضافاً إلى إشكالية الركون إلى الوصف المتداول لمصطلح التعايش دون الغور في بيان مزايا استخدامه وأسباب شيوعه.

ثالثاً: دراسة أحمد طارق ياسين وجاسم محمد طه، دور القانون الدولي في تفعيل العدالة الانتقالية وتعزيز قيم التسامح والتعايش السلمي.

من خلال عنوان الدراسة يتّضح الغرض منها في تسليط الضوء على توجهات القوانين والعهود الدولية في نشر التسامح ونبد الكراهية. وفي هذا -فضلاً عن تكرار الشكل ورتابة البحث- ترويج إعلامي وتبييض مبالغ فيه لصور الدول العظمى التي يخالف فعلها قولها، وكأنّها تصدر السلم والأمن الذي عبث فيه من جراء الوقوف علناً في تقرير مصير الدول والشعوب والتلاعب في مقدراتها، وهو ما ينبغي العزوف عنه أو لا أقلّ من بيان تناقضاته الواقعية.

### هيكليّة البحث:

قُسِّم البحث إلى ثلاثة مطالب؛ الأول بعنوان مفهوم التعايش، وهو بدوره مقسّم إلى ثلاثة فروع؛ الأول حول المقصود بالتعايش، والثاني حول أنواع التعايش، والثالث في تمييزه عمّا يمكن أن يشته به من مصطلحات.

وأما المطلب الثاني، فهو بعنوان أسس التعايش الاجتماعي وفقاً للقانون والفقه الإسلامي، وهو بدوره يُقسّم إلى ثلاثة فروع؛ الأول نصوص القوانين العراقية، والثاني التشريعات والمواثيق الدولية، والثالث بعنوان أبرز أسس التعايش الاجتماعي

وأما المطلب الثالث، فهو بعنوان تأصيل التعايش الاجتماعي في سامراء، وقد قُسِّم إلى فرعين؛ الأول بعنوان منهج الإمامين العسكريين (عليهما السلام)، والثاني بعنوان سيرة بعض البارزين من علماء سامراء.

وأخيراً، خاتمة البحث وتوصياته، ومنه تعالى نأمل التوفيق والتسديد.

### المطلب الأول: مفهوم التعايش

يراد من المفهوم بيان المقصود من المصطلح، وما يتضمنه من عناصر لها الدور الكبير في إيضاح أبعاده بما يكون جامعاً لأفراده مانعاً للأغيار. ومن هنا سوف يشمل هذا المطلب ثلاثة فروع يراها البحث كفيلة في إدراك المفهوم؛ فالفرع الأول حول المقصود من كلمة التعايش، والفرع الثاني حول أنواع التعايش. وأما الفرع الثالث فهو لتمييز مصطلح التعايش عما يمكن الاشتباه به من مصطلحات قريبة منه، وكما يأتي:

#### الفرع الأول: المقصود بالتعايش:

لمعرفة مصطلح التعايش لا بدّ من البحث عنه أولاً في كتب اللغة، ومن ثمّ البحث عنه اصطلاحاً وكما يأتي من خلال هاتين الفقرتين:

##### أولاً: لغة:

ترجع مفردة التعايش إلى كلمة «عيش»، ومعناها الحياة، وهي مصدر الفعل «عاش يعيش، وعيشةً، ومعاشاً، فهو عائش». وعاش الشخص كان ذا حياة، وعاش الأحداث: عاصرها، وأدركها، ومنها يصاغ الفعل تعايش، وهو فعل خماسي لازم ومصدره تعايش، وتعايش الناس: وُجدوا في نفس المكان والزمان.

##### ثانياً: اصطلاحاً:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للتعايش في جوهره عن المعنى اللغوي، وهو العيش المشترك مع قبول الآخر. ولكن لما كان المصطلح حديثاً، فإن سمات الحداثة والمعاصرة تبدو عليه واضحة وبحيثيات عديدة، تبعاً لاختلاف جهة التداول لهذا المصطلح. ولكنّ هناك شبه اتفاق على أنّ الحيشة السياسية هي أول من تصدّى لاستخدامه؛ فقد قيل بأنّ

أول من استعمله بالصفة السلمية هو الزعيم الروسي خروتشوف مفهوماً في العلاقات الدولية، ودعا إليه بعد رحيل ستالين، حيث يعني التعايش اتباع منهج سياسي قائم على مبدأ قبول فكرة تعدد المذاهب الإيديولوجية والتفاهم بين المعسكر الغربي والشرقي في القضايا الدولية.

وهناك من جعله نافذة لدولوات كثيرة، منها المدلول السياسي الأيديولوجي الذي يحمل معنى الحد من الصراع، أو تذويب الخلاف والعمل على احتوائه، أو التحكم فيه دولياً، وكذلك المدلول الاقتصادي القائم على توزيع الفرص الاستثمارية وأماكن الثروة والتسويق، ومدلول آخر ديني عرقي يمكن من خلاله ضمان حرية العبادة واحترام الأعراق، وكذلك مدلول اجتماعي يتضح في محاربة الطبقية وتوطيد علاقات الجوار، ودعم الرابطة البيئية والنسيج المجتمعي؛ وهكذا.

وعلى ضوء ما تقدّم يعرفه البعض بأنه القبول بالآخر، وحلّ جميع القضايا الخلافية بالطرق السلمية، بما يسهم في تعزيز الأمن والسلم وتحقيق التطور والازدهار.

بينما يصوّره آخر بأنه: «العيش المشترك بين الشعوب والحضارات في جوّ من التفاهم والتعاون والتضامن والتسامح وتبادل المنافع والمصالح بعيداً عن الصراعات والنزاعات والعنف والاضطهاد، حتى يسود الأمن والسلام». وبتعبير قريب، مع إدخال عنصر العاطفة، عرّفه باحث آخر بأنه: «الاشتراك في الحياة على الألفة والمودة والمحبة من خلال العيش المتبادل مع المخالفين القائم على المسالمة والمهادنة».

ويظهر جلياً أنّ التعريف الاصطلاحي لم يكن لخصوص التعايش، بل كان للتعايش السلمي؛ وكأنّه لا يُعرف إلا بهذا الوصف...! بينما يجد المتابع لأحاديث أهل البيت (عليه السلام) أثراً من هذا المصطلح كما في قول الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام): (صلاح شأن الناس التعايش

والتعاشر)؛ وهو قول على إيجازه يحمل معنىً كبيراً أقل ما فيه أنّ التعايش مع حسن المعاشرة هو أساس صلاح المجتمع. وبتعبير أدق، إنّ صلاح شأن الناس ثمرة تعايشهم.

ومّا تقدّم، يمكن تعريف مصطلح التعايش بأنّه: العيش المشترك للناس بتسامح في جميع نواحي الحياة مع احترام كلّ منهم لخصوصيات الآخر.

### الفرع الثاني: أنواع التعايش:

يمكن تقسيم التعايش وفقاً لعدّة جهات، فتارةً يُقسّم وفقاً للزمان إلى تعايش تاريخي ومعاصر ومستقبلي، وتارةً أخرى وفقاً للمكان إلى تعايش داخلي وإقليمي وعالمي، وثالثة وفقاً لذاته وطبيعته إلى تعايش ديني وعرقي وسياسي واقتصادي وسلمي وبيئي وغير ذلك. وهذا التقسيم الأخير هو ما سنعمده هنا في تفصيل الحديث عن أبرز أنواع التعايش، وكما يأتي:

#### أولاً: تعايش ديني:

كما هو معلوم، إنّ تعدّد الديانات والمذاهب مسألة قديمة ومتجدّرة في تاريخ الشعوب؛ ولذا من الحكمة وحسن التدبير، سلامة التعامل معها والتخفيف من مواطن إثارتها. وبمنظرة تاريخية سريعة يمكن تحسّس إيجابيات التعايش بين أتباعها في مكان واحد، وانعكاس ذلك على الرقيّ الفكري والحضاري لذلك المكان؛ والعكس صحيح. فمثلاً تاريخ الدولة الإسلامية، لا سيما في القرون الثلاثة الأولى من عمرها، لم يكد يجد الباحث والمحقّق شيئاً يذكر من النزاع بين المسلمين وأهل الكتاب من النصارى واليهود، بل حتى مع غير الكتابيين<sup>(١)</sup>.

(١) الشؤون الفكرية: وقائع التاريخ تشهد بغير ما طرحه الباحث.

### ثانياً: تعايش عرقي:

ويقصد به ذلك الانصهار في النسيج المجتمعي بين أناس من قوميات وأصول مختلفة، كما في تعايش العرب والأكراد والتركمان في مدينة واحدة، كما هو حاصل في العديد من مدن العراق، أو كأولئك الناس الموجودين والمتعايشين في المدن التجارية الكبيرة مثل مدينة لندن وباريس ونيويورك وشنغهاي ودبي وغيرها.

### ثالثاً: تعايش سياسي:

وهو الحاصل ما بين الفرقاء السياسيين في البلد الواحد والذين يرجعون إلى أحزاب واتجاهات سياسية متباينة، أو كما هو الحال على الصعيد الدولي في العلاقات الخارجية، سواء من حيث التمثيل الدبلوماسي والتعايش في البلد الأجنبي أو بين ممثلي الدول المتعددة.

### رابعاً: تعايش اقتصادي:

وهو الحاصل بين أصحاب المصالح الاقتصادية المختلفة، سواء ما يحصل بين المتعاقدين على مستوى الأفراد والشركات والدول أو ما بين أصحاب السلعة الواحدة أو السلع المختلفة في الأسواق التجارية، حيث هدف الجميع الثقة والاستقرار في المعاملات رعاية لمصلحة الجميع.

### خامساً: تعايش لغوي:

ويقصد به ذلك العيش المشترك بين أناس يختلفون في لغاتهم، من دون إثارة لمشاعر الآخر الذي لا يفهم من كلامهم شيئاً، ومن دون محاولة فرض اللغة الأخرى أو إلغاء اللغة الأم. ومن لوازم ذلك تجنب موارد السخرية والاستهزاء، فإنها إن زادت عن حدها، أضحت كقنابل موقوتة في إشعال نار الفتنة والاقتتال. والمثال الحي ما يعيشه العراق الذي

تتفاوت فيه أمثال تلك التصرفات بين المحافظات، حيث تتدنى كلما زاد الوعي الاجتماعي وروح الوطنية، كما هو حال العاصمة بغداد. ومن هنا يُحسب للعراق التزامه الدستوري بفسح المجال لأكثر من لغة، بل في اعتماد اللغة الكردية مضافاً إلى اللغة العربية لغة رسمية، مع ضمان حقّ العراقيين باللغة الأم كالتركية والسريانية والأرمنية في المؤسسات التعليمية الحكومية.

### سادساً: تعايش سلمي:

وهذا النوع من التعايش في حقيقته ليس نوعاً مستقلاً، بل هو ثمرة لجميع أنواع التعايش، والدليل أنّ وصف السلمية ليس أمراً مستقلاً بحدّ ذاته، لأنّ السلام والأمان هما هدفان منشودان للعيش المشترك بين أناس متباينين من حيث العرق أو الدين أو اللغة أو الاتجاه أو المصلحة. ولو تنزّلنا وقلنا بأنّه نوع من التعايش، فإنّه حينئذ سيكون حالة خاصة وليست عامة، لأنّه سيختصّ بما يقابل حالة الحرب، أي لا يكون التعايش السلمي إلّا بعد حالة الحرب والاقتيال أو العنف والتصادم بين شتّى المختلفين.

ولذا يرى البحث أنّ الصحيح هو أن يوصف مطلق التعايش بكونه اجتماعياً، لأنّ العيش المشترك المصاحب للاحترام المتبادل بين أناس قلّوا أو كثروا، وبأيّ غرض أو اتجاه، إنّما في حقيقته اجتماع انساني، وهذا ما دعانا إلى اختياره (التعايش الاجتماعي) عنواناً للبحث هنا.

### الفرع الثالث: تمييز التعايش عما يشبهه به

قد يختلط الأمر على البعض، فيستخدم مصطلح التعايش في غير محلّه لبعض التشابه مع مصطلحات قريبة قد تجتمع معاً في بعض التطبيقات، ولكنّها تفرق عنه مؤكداً وفقاً لما يأتي:

**أولاً:** المساكنة: تعني المساكنة العيش في مكان واحد، أي المشاركة بين أناس في مكان واحد كالدار الواحدة، والزقاق الواحد والمحلة الواحدة والمدينة الواحدة وهكذا، إلا أن هذه المساكنة قد لا يتحقق فيها التعايش، وذلك حينما يغيب الاحترام المتبادل بين الأفراد، أو قد يغيب الاثنان معاً كما في حال النزاع بين أبناء مدينتين أو دولتين.

**ثانياً:** المجاورة: يعدّ مصطلح الجوار أوسع قليلاً من مصطلح المساكنة، إذ لا سكنى فيه للناس في المكان نفسه، وإنّما يتميز بعنصر التلاصق ما بين سكناهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة بما يحقّق معنى الجوار عرفاً، وهذه المجاورة يتحقق معها السكن المشترك لما هو أوسع من الدور المتجاورة والأزقة والمحلات والأحياء المتجاورة..

**ثالثاً:** المودّة: وهي من أعلى مراتب المحبة المشتركة؛ ومن هنا كان لها الخطوة من الجعل الإلهي في العلاقة الزوجية، وهي تشترك مع التعايش في اشتراط الاحترام المتبادل، إلا أنّه لا يشترط فيها وجود العيش المشترك كما في مودّة الأقارب والأصدقاء، وإن بعدت بينهما المسافة، أو قد يغيبان معاً كما في حالات الاختلاف والشقاق ما بين الزوجين.

**رابعاً:** المرحمة: وهي ترجع إلى الرحمة التي تعني باختصار الرقة الصادرة من أحد بها تقتضي الإحسان للغير، فالأول هو الراحم، والثاني هو المرحوم؛ بل قيل إنّها مجمع المعاني الأخلاقية وأمّه، ولذا جاء وصفه سبحانه وتعالى في فاتحة الكتاب بالرحمن الرحيم، وفي غيرها بأنّه أرحم الراحمين.

وهذا المعنى مهمّ جداً في تحقّق التعايش، ولكن في حدّ ذاته لا يشترط في تحقّق المرحمة صدورها من الطرفين، بل يكفي في تحقّقها صدورها من مصدر الرحمة، وخير شاهد على ذلك وصف النبي الأكرم ﷺ فتح مكة بكونه يوم المرحمة، ولذا فإنّ نسبة العلاقة بين مصطلحي المرحمة التعايش هي من نوع العموم من وجه أيضاً.

والنتيجة لما تقدّم أنّ أهمّ ركيزتين لتحديد مصطلح التعايش هما السكن المشترك

والاحترام العام المتبادل والمطلق المبني على التسامح، كما هو جوهر تعريف البحث لمصطلح التعايش.

### المطلب الثاني: أسس التعايش الاجتماعي وفقاً للقانون والتراث الإسلامي:

لما كان البحث هنا ذا جنبه قانونية، ينبغي أولاً استعراض عدد من القوانين العراقية ذات العلاقة، ومن ثم التوجه ثانياً إلى التشريعات والمواثيق الدولية، لنتتقل بعدها في محاولة لخصر أبرز ما يمكن عدّه من أسس للتعايش الاجتماعي مقارنة بالتراث الإسلامي:

#### الفرع الأول: نصوص القوانين العراقية:

يمكن تقسيم النصوص وفقاً لما عليه الدستور العراقي، ثم قانون العقوبات العراقي، وكما يأتي:

أولاً: الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥

لقد تطرق الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ إلى موضوع التعايش، وكما يأتي:

المادة ٣ التي نصّها: (العراق بلد متعدد القوميات والأديان والمذاهب...) وهذه التعددية تعني احترام الخصوصيات لكلّ منها، وهو جوهر التعايش.

المادة ٤/ أولاً التي نصّها: (اللغة العربية واللغة الكردية هما اللغتان الرسميتان للعراق، ويضمن حقّ العراقيين بتعليم أبنائهم باللغة الأم كالتركمانية والسريانية والأرمنية في المؤسسات التعليمية الحكومية وفقاً للضوابط التربوية، أو بأية لغة أخرى في المؤسسات التعليمية الخاصة). وهذه المادة تفصيل لما سبق من تأكيد التعايش اللغوي.

المادة ١٤ التي نصّها: (العراقيون متساوون أمام القانون دون تمييز بسبب الجنس أو العرق أو القومية أو الأصل أو اللون أو الدين أو المذهب أو المعتقد أو الرأي أو الوضع الاقتصادي أو الاجتماعي).

المادة ١٥ التي نصّها: (لكلّ فرد الحقّ في الحياة والأمن والحرية، ولا يجوز الحرمان من هذه الحقوق أو تقييدها إلّا وفقاً للقانون، وبناءً على قرار صادر من جهة قضائية مختصة).

وخارجه جميع المواد (١٤-٤٤) تثبت عنصر الحرية في احترام الخصوصيات وإثبات المساواة في الحقوق، وهو الأساس للعدالة الاجتماعية والأمان المجتمعي.

المادة (٧/أولاً) يحظر كلّ كيان أو نهج يتبنّى العنصرية أو التكفير أو التطهير الطائفي أو يحرّض أو يمجّد أو يبرّر له...).

المادة ٩/أولاً التي نصّها: (...يحظر تكوين ميليشيات عسكرية خارج إطار القوات المسلحة..)

### ثانياً: قانون العقوبات قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩

يمكن الاستشهاد على كلّ ما يسهم في تحقيق التعايش الاجتماعي أو الحفاظ عليه بما يأتي:

المادة ١٩٥ التي نصّها: (يعاقب بالسجن المؤبد من استهدف إثارة حرب أهلية أو اقتتال طائفي، وذلك بتسليح المواطنين أو بحملهم على التسليح بعضهم ضدّ البعض الآخر أو بالحثّ على الاقتتال، وتكون العقوبة الإعدام إذا تحقّق ما استهدفه الجاني).

المادة ٢٠٠/٢ التي نصّها: (يعاقب بالسجن مدّة لا تزيد على سبع سنوات أو بالحبس كلّ من حبّد أو روج أيّاً من المذاهب التي ترمي إلى تغيير مبادئ الدستور الأساسية أو النظم الأساسية..)

المادة ٢١٤ التي نصّها: (يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة، وبغرامة تزيد على مائة دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين كلّ من جهر بالصياح أو الغناء لإثارة الفتنة).

### الفرع الثاني: التشريعات والمواثيق الدولية

وهذه بعض من أمثلتها وكما ما يأتي:

قانون العقوبات السويدي لعام ١٩٦٢ (المادة ٧٠٠) نصّ على تجريم ارتكاب جريمة الكراهية ضدّ الآخر، ومنها جريمة العنصرية، وتكون العقوبة أشدّ إذا أدّت إلى إزهاق الروح، وكذلك الحال لجملة من قوانين الدول الأوربية في حظر خطاب الكراهية.

قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٠٤ - ١٨٥ في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٣ الذي هو عبارة عن إعلان من الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري؛ وقد ورد في المادة ٧ من الإعلان المذكور ما يأتي:

(١. لكلّ إنسان حقّ في المساواة أمام القانون وفي العدالة المتساوية في ظلّ القانون..).

العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية وفقاً للفقرة ٢ من المادة ٢٠ ما يأتي: (تُحظر بالقانون أية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تُشكل تحريضاً على التمييز أو العداوة أو العنف).

الميثاق التأسيسي لليونسكو المعتمد في ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٥ الذي ينصّ في ديباجته على أنّ: (من المحتّم أن يقوم السلم على أساس من التضامن الفكري والمعنوي بين بني البشر).

المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٥، وقد نصّت المادة السادسة منه على ما يأتي:

(..وسعيّاً إلى إشراك الجمهور، والتشديد على أخطار عدم التسامح، والعمل بالتزام ونشاط متجددين لصالح تعزيز نشر التسامح والتعليم في مجال التسامح، نعلن رسمياً يوم السادس عشر من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر من كلّ سنة يوماً دولياً للتسامح).

وليس غريباً تلمس هذا اللهجة الشديدة في تلك التشريعات، وذلك لأن خطاب الكراهية إنما يصطدم بكرامة الفرد، ومدعاة إلى تصنيف المجاميع البشرية على أساس العرق والهوية بما يناقض مبادئ حقوق الإنسان، ولكن يبقى التساؤل قائماً: هل التزمت الدول الموقعة، لا سيما الكبرى منها، بتلك المبادئ على طول الطريق وفي مختلف سلوكياتها...؟!

وأما حال التراث الإسلامي، فاللهجة أشد والردع أقوى في منع كل من تسول له نفسه العبث بمقادير الناس وزعزعة أمانهم.. فمن حيث القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتراث الإسلامي فهناك الكثير من الآيات للاستشهاد بها، منها قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .

كذلك سيرة النبي ﷺ في المدينة المنورة، وأبرز ما أسسه من قواعد التعايش الاجتماعي هي تلك المعاهدة التي كتبها، حيث أوضح فيها للمسلمين وغيرهم من الكتائبين والمشركون، فشرط لهم وشرط عليهم، وهي تعتبر أول وثيقة عرفت بها البشرية لحقوق الإنسان.

وتأكيداً لذلك قوله ﷺ: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وضمن عدالة القضاء التي تعد أساساً للتعايش الاجتماعي ما روي من قصة درع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع رجل من اليهود في الكوفة، والقصة ننقل فحواها، فقد جاءت بتعابير كثيرة ومختلفة، وملخصها أن الإمام علي (عليه السلام) وجد درعاً مع يهودي فقال له: هذه درعي، فاحتكما إلى القاضي شريح، الذي قال له: يا أمير المؤمنين، هل من بينة؟

قال: نَعَمْ، الحَسَنُ ابني يشهد أن الدرع درعي، قال شريح: يا أمير المؤمنين، شهادة الابن لا تجوز، فقال الإمام علي (عليه السلام): سبحان الله! رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟

فقال: يا أمير المؤمنين، ذلك في الآخرة، أمّا في الدنيا فلا تجوز شهادة الابن لأبيه، فقال له الإمام علي (عليه السلام): لا أريد أن أنقض حكمك، ولكن أعلم أنّك أخطأت في مواضع: أولاً على الحاكم أن يعمل بعلمه وأنت تعلم أنني صادق. وبالأمر كان يقول رسول الله علي مع الحق والحق مع علي، وثانياً لم تساو بيني وبين اليهودي، وكنتني بإمرة المؤمنين مع أننا خصمان، فتعجب اليهودي قائلاً: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه! أشهد أنّ هذا الدين على الحق، وأشهد أنّ لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله، وأن الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقط منك ليلاً، فأهداه الإمام علي (عليه السلام) الدرع).

### الفرع الثالث: أبرز أسس التعايش الاجتماعي:

بنظرة خاطفة لما تقدم من نصوص قانونية وتشريعات ومواثيق، يمكن تلخيص أهم ما يمكن اعتماده من أسس للتعايش الاجتماعي مع محاولة التأسيس لكل منها بإيجاد أصل له في الشريعة الإسلامية، وكما يأتي:

#### أولاً: تعزيز المشتركات:

بناءً على ما اعتمده البحث في تعريف التعايش الاجتماعي وقيامه على ركيزتي العيش المشترك والاحترام المتبادل، فإن المنطلق إلى تحقيق ذلك التعايش وإدامته هو تعزيز المشتركات ما بين أفراد المجتمع، من قبيل الاشتراك في الخلق والانتساب لأصل مشترك وهو آدم (عليه السلام)، وكذلك الاشتراك في التاريخ والأرض واللغة، والذي يلزم من التأكيد على هذه المشتركات هو التغافل وعدم الالتفات إلى مواطن الاختلاف من دون حذفها أو طمسها.

ومثل هذا المبدأ نجده واضحاً في القرآن الكريم في عدة مواضع، لعل أبرزها قوله

تعالى:

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) وموضع الشاهد التذكير بوحدة الانتساب إلى آدم ووحدة الخلق والتفضيل في مقابل بقية المخلوقات.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. وموضع الشاهد الاشتراك بالإنسانية وأنَّ حكمة الخلق التعارف بين الناس والذي لا يكون إلا بناءً على وجود المشتركات، ولولاها لا معنى للتعارف.

### ثانياً: احترام الخصوصيات:

وهذا الأساس واضح من خلال النصوص القانونية المتقدمة في احترام كلِّ عرق وجنس ودين ومذهب ولغة وثقافة وتاريخ كلِّ فرد، وهي أساس منح الحرية لكلِّ فرد مع احترام مشاعره من دون تفضيل أو تمييز. وهذا الاحترام لا ينافي البتة مبدأ التركيز على المشتركات، لأنَّ مجاله خصوص الذات الإنسانية، بينما الأخير مجاله عموم العلاقة بين أفراد المجتمع.

وهذا المبدأ الذي هو ملاك الحرية، نجده صريحاً في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ وموضع الشاهد فيها استقلال كلِّ فرد بدينه الخاص من دون جبر وتحريض على دين واحد، والذي يؤكده القرآن بتعبير إنساني رائع آخر بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ وهذه الآية مع تسليمها بقدرة الباري تعالى إلا أنَّها تؤكد بأنَّ الاختلاف سجية طبيعية في الخلقة البشرية.

### ثالثاً: المساواة

وتعني عدم التمييز بين أفراد المجتمع الواحد، فالكُلُّ متساوٍ في الحقوق والواجبات، والكُلُّ متساوٍ أمام القانون، ولا فرق بين فرد وآخر إلا بحسب ما يقدمه ووفقاً للقانون. وهذا المبدأ تثبته الدساتير والمواثيق الدولية لما له من دور كبير في تحقيق التعايش الاجتماعي ونزع فتيل التفرقة والشحناء ومحاربة أسباب الظلم والاستبداد، ولما يثبته النظام العام والآداب العامة من أحكام عامة تسري على الجميع دون استثناء.

وكذلك دستور المسلمين يؤكد هذا الأساس عند قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، وموضع الشاهد أن العمل محفوظ لكل عامل، وأن الجنة جزاء لكل من يعمل ولو شيئاً من الصالحات من دون تمييز، بل هذا التساوي في الحكم يسري على الذكر والأنثى أيضاً بلا تمايز بينهما.

### رابعاً: التسامح

التسامح لغة من المسامحة، وهي المساهلة، والتسامح هو التساهل. أما في الاصطلاح، فالتسامح هو: الصفح والعفو والإحسان، والذي يقابله التعصب والتطرف والغلو؛ كذلك يعني التسامح التجاوز وغض الطرف عن إساءة الغير، وهي سلوك إنساني رفيع ينم عن إرادة إنسانية قادرة على التحكم بالمشاعر لامتصاص الغضب، وذات آثار عجيبة في بث روح التعاون والمحبة والتعايش الإيجابي، وهي لا تعني تقبل الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها، بل هي سلاح المثقف في محاربة الجهل والتطرف، وأخذ الثأر الذي تتن من وطأته الكثير من شعوب العالم، وأحد الأسباب الرئيسة في نشوب الحروب الأهلية.

والقرآن الكريم حافل بآيات التسامح؛ منها قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

وفي هذا الشأن، لا بدّ من الإشارة إلى خطوة دولة الإمارات العربية المتحدة في دعم روح التسامح باستحداث منصب وزير دولة للتسامح لأول مرة في دولة الإمارات في فبراير ٢٠١٦، ولكن ينبغي أن لا يعلو مبدأ التسامح إلى درجة الإسفاف بالشوايات الإسلامية لدرجة الإشهار بمظاهر أهل الخمر والمجون وعبادة الأوثان؛ فهذا ليس من التسامح، بل من الاستهتار بدين الدولة ونزع لهوية أبنائها، فالإسلام دين الوسطية وليس السطحية..

وقد يضيف البعض موضوع الإيثار إلى منظومة أسس التعايش ومبادئه استناداً إلى دواعيه الإنسانية وآثاره الطيبة في تحطيم حجر الفردية وقسوة الأنانية، من خلال تربية الحسّ الجماعي في التبادر لفعل الخير وتغليب مصلحة الغير، ولكن التأمل في ذلك يُظهر أنّ الإيثار بحدّ ذاته لا يشكل أساساً للتعايش؛ والدليل على ذلك أنّ فقدانه لا يؤدي إلى زعزعة التعايش، بل كلّ ما هنالك يزيد من التعايش، ويشكل خطوة رائدة في مضمار التكامل المجتمعي.

وقبل الانتقال إلى المطلب الأخير من البحث نشير إلى ضرورة التمييز بين أسس التعايش الاجتماعي ولوازمه، لأنّ الخلط بينهما هو ما أوقع كثيراً من الباحثين في عدم الصياغة الصحيحة عند تعريف مصطلح التعايش، كما في التعبير عن التعايش بأنّه «حلّ جميع القضايا الخلافية بالطرق السلمية»، وهذا سبب للتعايش وليس التعايش، أو القول بأنّه «تبادل المنافع والمصالح بعيداً عن الصراعات والنزاعات والعنف والاضطهاد»؛ وهذا من نتائج وثمرات التعايش، أو بأنّه «الاشتراك في الحياة على الألفة والمودة والمحبة»، بينما الألفة والمودة والمحبة هي من ثمرات التعايش الاجتماعي ولوازمه وليست من أسسه.

فالمعيار الحقيقي لأسس التعايش الاجتماعي أنّ وجود كلّ منها أمر ضروري، حيث أنّ افتقاد أيّ منها يؤدي إلى غياب التعايش.

فالتيجة أنّ ما يُستند إليه في تحقق التعايش هو العيش المشترك بأمان مع الاحترام المتبادل، من دون احتياج للمحبّة أو تبادل المنفعة وغيرها، فهي أمور لاحقة لوجود التعايش وتتحقق شيئاً فشيئاً وفقاً للظروف البيئية والتطورات الحياتية.

وتأكيداً لما ذكرنا من أبرز أسس التعايش الاجتماعي، ومن أجل إيضاح الفرق بين أسس التعايش ولوازمه، سنذكر عدداً من لوازم التعايش الاجتماعي من دون حصر وكما يأتي:

الألفة والمحبة والتطور والازدهار: وهي الآثار الواضحة للعيان وأبرز ثمرات التعايش الاجتماعي. فمن الطبيعي إذا أنعم مكان بالاستقرار، أثمر الألفة بين أفرادها وبرزت مظاهر المحبة، فينعكس إيجاباً على تطور المكان وازدهاره.

الرغبة الدائمة في التصالح: يبدو النزاع أمراً طبيعياً، ويمكن حصوله في أي لحظة وعند جميع المجتمعات، إلّا أنّ ما يميز المجتمع المتعايش هو سرعة احتواء النزاع لاستعداده ورغبته في التصالح وعود الحياة حماية وتعزيزاً للوطنية. ومن هنا، فإنّ سرعة التصالح تُعدّ معياراً لقياس درجة التعايش في التمييز بين المجتمعات المتعايشة نفسها.. فتأمل.

زيادة الشعور بالمسؤولية: إنّ الشعور بالمسؤولية حاصل أساساً في جيلة الإنسان تبعاً لغريزة البقاء وحفظ النفس والنسل، ولكنّ التعايش يزيده فيصبح ظاهرة عامة، ولا يبعد أن يمثل الإيثار درجة راقية من القوس التصاعدي لمفهوم الشعور بالمسؤولية.

### المطلب الثالث: تأصيل التعايش الاجتماعي في تراث الزهراء (عليها السلام)

ما تركته السيدة الزهراء (عليها السلام) ابنة النبي الأكرم محمد بن عبد الله (عليه السلام) من إرث قولي وعلمي لم يكن مقصوراً على مجال دون آخر، بل هي كحال أبيها ووصيه (عليه السلام) موسوعة كمال لا يعرفها إلا خالقها، بل لها (عليها السلام) الحجية على الحجج المعصومين من ذريتها فضلاً عن بقية الناس كحال المهدي المنتظر (عليه السلام) وفقاً لنصّ التوقيع المنقول عنه (عليه السلام):

«ولي أسوة بأمي فاطمة» الذي يعد ترجمة حقيقية للحديث الموصوف من البعض بأنه متواتر معنا والمنسوب لأبيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في كتابات بعض المعاصرين: «نحن حجج الله على الخلائق، وأما فاطمة حجة الله علينا».

لم يكن اختيارنا لفاطمة الزهراء (عليها السلام) أنموذجاً للتعايش الاجتماعي محض صدفة أو مجاملة، بل هي قبل كل ذلك ممن يمتلك شخصية إيمانية إنسانية ذكرها النبي المصطفى (عليه السلام) كثيراً في مواطن كثيرة؛ منها ما رواه ابن الصبّاح المالكي عن مجاهد، قال: خرج النبي (عليه السلام) وهو آخذٌ بيد فاطمة فقال: (من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)..

وهنا تساؤل ينبغي طرحه: إذا كانت أوصاف المدح المتقدمة في الحديث مما يحتمل فيها التساهل والمجاملة في علاقة الأب مع ابنته (وحاشا النبي المختار من ذلك وألف حاشا ولكن من باب الفرض وفرض المحال ليس بمحال) فهل يمكن تصوّر ذلك التسامح في توقيف النبي لأذى الباري تعالى على أذى ابنته الزهراء (عليها السلام)؟!..

والجواب أنّه لا يمكن أن يحتمل ذلك الاحتمال إلا لمن ينكر عصمة النبي وقديسيته.. بل هذا الحديث إثبات من النبي الأكرم (عليه السلام) لقدسية الزهراء (عليها السلام)، مضافاً إلى أنّ بقية الأحاديث

ثمّا تؤيد هذا المعنى إن لم تزد عليه، حيث تفتح آفاقاً لتلك الروح القدسية، وهذه جملة من تلك الأخبار قبل التطرق عن آثارها عليها السلام في موضوع التعايش الاجتماعي وكما يأتي:

روى الخوارزمي بإسناده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم. إن فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرافاً وكرماً).

روى الخوارزمي بإسناده عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: (نزل ملك من السماء فاستأذن الله تعالى أن يسلم عليّ، لم ينزل قبلها، فَبَشَّرَنِي أَنَّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة).

روى الحاكم النيسابوري بإسناده عن عائشة: أَنَّ النبي ﷺ قال - وهو في مرضه الذي توفي فيه -: (يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين).

روى النسائي بإسناده عنه قال: أَبْطَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا صَبُورَ النَّهَارِ فَلَمَّا كَانَ الْعِشَاءُ قَالَ لَهُ قَائِلُنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شَقَّ عَلَيْنَا لَمْ نَرْكُ الْيَوْمَ، قَالَ: (إِنَّ مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَكُنْ زَارَنِي، فَاسْتَأْذَنَ اللَّهَ فِي زِيَارَتِي فَأَخْبَرَنِي وَبَشَّرَنِي، أَنَّ فاطمة بنتي سيدة نساء أمتي، وَأَنَّ حَسَنًا وَحُسَيْنًا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ).

روى الهيثمي بإسناده عن عائشة، قالت: ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها، قالت: وكان بينهما شيء، فقالت: يا رسول الله سلها فإنها لا تكذب.

ومن هنا سنقسم هذا المطلب إلى ثلاثة فروع؛ الأول حول إضاعات المآثور من قول الزهراء عليها السلام على حالة التعايش الاجتماعي، والثاني حول إضاعات المآثور من سيرة الزهراء عليها السلام على منظومة التعايش الاجتماعي، والثالث حول معوقات التعايش الاجتماعي تمثل معاول هدم لأسس التعايش الاجتماعي التي تعدّ وجهاً سلبياً مضاداً لكلّ ما استُقرّ في المطلب الثاني عند محاولة التقصي عن أسس التعايش الاجتماعي، والفروع كما تأتي تباعاً:

### الفرع الأول: معطيات القول من تراث الزهراء (عليها السلام)

لاستقراء أسس التعايش الاجتماعي في المنقول من تراث الزهراء (عليها السلام) نبدأ أولاً بالأحاديث المنقولة عنها بصورة عامة، وثانياً حول خصوص فقرات الخطبة الفدكية، وكما يأتي:

#### أولاً: أحاديث عامة لفاطمة الزهراء (عليها السلام)

وهنا في باب الأحاديث العامة المنقولة عن السيدة الزهراء (عليها السلام) اخترنا أربعة منها كمعطيات مهمة لمفهوم التعايش الاجتماعي تمثل فكراً موسوعياً راقياً، وكما يأتي:

أن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي.

يتّضح من هذا الحديث عدّة مفاهيم، كلّها تصبّ في بناء الاستقرار النفسي لكلّ شخص بما يشكّل في مجمله خير مستند للتعايش الاجتماعي؛ وهذه المفاهيم المستفادة من الحديث هي بثّ روح الأمل من خلال بيان سعة المغفرة الإلهية، والتي يلزم منها عدم جواز اليأس من روح الله، مضافاً إلى أنّ تعبير الزهراء (عليها السلام) بأنّ الباري تعالى لا يبالي في حال غفرانه لجميع الذنوب هو تعبير بلاغي يكشف عن قدرته في فعل ما يشاء بناءً على سعة رحمته، وليس المقصود منه عدم المبالاة التي إذا وصف بها الإنسان فإنّها تنمّ عن خلاف الحكمة بخلاف ساحة القدس (حاشا لله). فالزهراء (عليها السلام) بهذا الحديث تعطي دفعة قوية من الأمل للإنسان لعودة الانخراط في المجتمع وإن كثرت خطاياها.

الزم رجلها، فإنّ الجنة تحت أقدامها، والزم رجلها فثمّ الجنة.

وهذا الحديث يعطينا معنىً رائعاً عن لزوم البرّ بالأمّ، وفاءً لتضحياتها في سبيل رعاية أبنائها وتربيتهم. وتعبير لزوم الرجل للدلالة على ضرورة الطاعة للأمّ، ثمّ التعبير بأنّ الجنة تحت أقدام الأمّ للدلالة على أنّ الرضا الإلهي مرتين بلزوم طاعة الأمّ، مضافاً إلى

أنّ تخصيص الحديث بالأُمّ دون الأب، فإنّ هذه المعاني العميقة تعكس في حال مراعاتها من قبل أبناء المجتمع يكون كفيلاً في تعزيز هذا المشترك الإنساني في تكريم الأُمّ والاعتزاز بجهودها في بناء الفرد، ومن ثم تحقيق التعايش الاجتماعي، وفي هذا صدق الشاعر بقوله:

الأُم مدرسة إذا أعددتها      أعددت شعباً طيب الأعراق

ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه.

تعطي مولانا الزهراء عليها السلام بهذا الحديث درساً عملياً عن عدم جدوى العبادة إذا كانت فارغة من وجه الحكمة أو محتواها الحقيقي الداعي لتشريعها، إذ الحكمة البارزة من جرّاء تشريع الصيام هو الإمساك عن أذى الناس وليس مجرد إمساك الجوف عن المأكّل والمشرب؛ وفي هذا درس عظيم في احترام الغير وبثّ التسامح بين الناس، وهي من أسس التعايش الاجتماعي ومبادئه، فضلاً عن دروس المواساة للفقراء والمساكين والإحساس بآلامهم، فضلاً عن بثّ روح التعاون والإيثار بين أفراد المجتمع.

البشرى في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة، والبشرى في وجه المعاند يقي صاحبه عذاب النار.

قد يبدو الحديث من شطره الأول بعيداً عن موضوع التعايش لكونه مختصاً بعالم الآخرة من خلال تبشيره بالجنة للمستبشر في وجه أخيه المؤمن، إلّا أنّه بالنظر إلى حالة البشر نفسها، والتبسم في وجه المقابل يشكل خلقاً إنسانياً كثيراً ما تفتقده (وللأسف) المجتمعات البشرية لا سيما الإسلامية منها، مضافاً إلى الشطر الثاني من الحديث الذي يقرب العدو صديقاً. وبهذا يتّضح معنى الحديث في بيانه للمعاني الأخلاقية الرائعة، فيشكل ترجمة حقيقية لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

ولذا لا يمكن للمجتمع الإنساني الاستغناء عن ضرورة مدّ جسور التوادّ والتراحم بشتى الصور والأساليب، بل حتى مع الشخص المخالف المعاند الذي ينبغي مساواته في التعامل الكريم وتعزيز المشتركات الإنسانية واحترام خصوصيات الغير، وإن كان خلاف المعتقد أو معانداً للحقّ، فلهه درّك يا زهراء في حسن هذا الحديث لما له من أثر طيب في حياة الدنيا ودرعٍ واقٍ في حياة الآخرة.

### ثانياً: الخطبة الفدكية

لقد أفردنا هذه الخطبة عن بقية أحاديثها عليه السلام لأهمية هذه الخطبة من عدّة جهات، كالتاريخية والعقائدية والفقهية والبلاغية وغير ذلك، مضافاً إلى التوقيت الخطير الذي كانت تعيشه الأمة الإسلامية حال إلقاء الخطبة. ونظراً لوضوح كلمات الخطبة في معانيها الإنسانية سنقتصر على نقل جزء الخطبة المتعلق بعنوان البحث دون التعليق عليها، وكما يأتي.

(فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام وذلاً لأهل الكفر والنفاق، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنهاة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكايل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعقّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فاتقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله في ما أمركم به وما نهاكم عنه، فإنّه إنّما يخشى الله من عباده العلماء.)

ومّا تقدّم يمكن تحديد الفقرات المرتبطة بموضوع التعايش الاجتماعي وكما يأتي:

١. الزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق.
  ٢. العدل تنسيق للقلوب.
  ٣. الصبر معونة على استيجاب الأجر.
  ٤. الأمر بالمعروف مصلحة للعامة.
  ٥. برّ الوالدين وقاية من السخطاً.
  ٦. صلة الأرحام منسأة في العمر ومنمأة للعدد.
  ٧. القصاص حقن للدماء.
  ٨. اجتناب القذف حجاب عن اللعنة.
  ٩. ترك السرقة إيجاب للعفة.
- وهذه المعاني المتقدمة لا يختلف عليها اثنان في بناء التعايش وترسيخه مجتمعياً، فله درّك يا بنت المصطفى كيف جمعت العلم والأدب ببلاغة تعجز عنها عقول البشر إلا لمن ينتمي إلى هذا البيت الذي رفعه العزيز الحكيم جلّ وعلا و طهره تطهيرا.

### الفرع الثاني: معطيات السيرة من تراث الزهراء (عليها السلام)

يمكن تقسيم السيرة العملية للزهراء (عليها السلام) في إضاءاتها على منظومة التعايش الاجتماعي تبعاً لنوع المكان. ومن هنا سنقسّم هذا الفرع إلى فقرتين؛ الأولى تختص بسيرتها في مجتمع مكة المكرمة، أي ما قبل الهجرة النبوية الشريفة، والثانية في مجتمع المدينة المنورة حتى لحوقها بأبيها في رحلة الآخرة وكما يأتي:

### أولاً: مجتمع مكة المكرمة:

وهنا يمكن الاقتصار على ذكر عدد من القصص حياة الزهراء عليها السلام مع أبيها عليه السلام من جهة؛ ومن جهة أخرى مع بني قريش في مكة المكرمة، لتمثل في بعضها مقتضيات للتعايش الاجتماعي أو في البعض الآخر موانع له، حيث من المعلوم أنّ قريشاً نالت ما نالت من رسول الله عليه السلام من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب؛ وهذه الشواهد كما يأتي:

هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، قال: لما نثر ذلك السفه على رأس رسول الله عليه السلام ذلك التراب، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك.

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنّ الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف: لو قد رأينا محمداً، لقمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي عليه السلام، فقالت: هؤلاء الملاء من قومك قد تعاقدوا عليك، لو قد رأوك، قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا عرف نصيبه من دمك.

قال: «أبنيّة، اتّيني بوضوء». فتوضأ، ثم دخل المسجد، فلما رأوه، قالوا: ها هو ذا، فخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، فلم يرفعوا إليه بصراً، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله عليه السلام حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من تراب، وقال: «شاهت الوجوه».

ثم حصبهم، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر.

## ثانياً: مجتمع المدينة المنورة:

كذلك هنا يمكن الاختصار على ذكر عدد من القصص لحياة الزهراء عليها السلام تارة مع زوجها الإمام علي عليه السلام من جهة، ومن جهة أخرى مع مجتمع المدينة المنورة، لتمثل في بعضها مقتضيات للتعايش الاجتماعي أو في البعض الآخر موانع له، حيث من المعلوم أن قريشاً نالت ما نالت من رسول الله صلى الله عليه وآله من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، وهذه الشواهد كما يأتي:

عن أبي سعيد الخدري قال: أصبح علي ذات يوم فقال: يا فاطمة عندك شيء تغدنيه؟ قالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية، ما أصبح الغداة عندي شيء أغدئك، وما كان عندي شيء منذ يومين إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابني هذين حسن وحسين، فقال علي عليه السلام: يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغىكم شيئاً؟ فقالت: يا أبا الحسن إني لأستحيي من إلهي أن تكلف نفسك ما لا تقدر عليه...

عن الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام قال: رأيت أُمِّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جُمعتها، فلم تزل راکعة ساجدة حتى اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتُسَمِّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أُمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُني الجار ثم الدار.

في التفسير المنسوب للإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام قال: حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، فثنت فأجابت ثم ثلثت إلى أن عثرت فأجابت؛ ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول الله، قالت فاطمة: هاتي وسلي عما بدا لك، أرايت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما

بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى أن لا يثقل علي، سمعت أبي عليه السلام يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور، ثم ينادي منادي ربّنا عزّ وجلّ: أيها الكافلون لأيتام آل محمد عليه السلام، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كلّ واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتى أنّ فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إنّ الله تعالى يقول: أعيّدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تُتمّوا لهم خلعتهم، وتضعفوها لهم فيتّمّ لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممّن خلع على من يليهم..

### الفرع الثالث: معوقات التعايش الاجتماعي من تراث الزهراء عليها السلام

مما تقدم في الفرعين الأول والثاني كانت محاولة البحث بيان الأثر الإيجابي لتراث الزهراء عليها السلام في إثبات مبادئ التعايش الاجتماعي، ولكن نظراً لما عاشته الزهراء عليها السلام من أذى ومصائب بعد رحيل أبيها المصطفى، فإنّ الأثر السلبي يبرز في مواقف عديدة في حياة الزهراء ليتضح معها دخول عوامل كثيرة في منع التعايش الاجتماعي أو زعزعته، وهو ما يمكن التعبير عنه بموانع التعايش أو معوقاته على أضعف التقديرات، ومن أجل الإيجاز في القول تقتصر على خطبة الزهراء عليها السلام التي ألقتها على بعض نساء الأنصار اللاتي جئن لعيادتها في مرض وفاتها لأنّها قد أوجزت عليها السلام نقاط الخلل المجتمعي وكما يأتي:

التخاذل عن المسؤولية: وهو عامل مهمّ في بثّ روح الفرقة بين أفراد المجتمع، والذي سرعان ما يلقي بضلاله في تدهور المجتمع وتشرذم أفرادها بما ينعكس سلباً على تطوّر المجتمع وازدهاره، كما في قولها عليها السلام: «كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفالها الله، أو نجم قرن

الشیطان أو فغرت فاعرة من المشرکین قذف أخاه فی لهواتها، فلا ینکفی حتی یطأ صماخها بأخصه، ویحمد لهبا بسیفه».

الازدواجیة: وهذا العائق السلوكی هو ما یُعبر عنه بالنفاق فی منظومة الأخلاق، والذي یکشف هو الآخر عن أمراض اجتماعیة تنخر فی ثبات المجتمع وتعايش أفرادہ، كما فی قولها عليه السلام: «فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفیائه، ظهر فيكم حسكة (حسكة) النفاق، وسمل جلباب الدين..»

بثّ الفرقة: وهذا العامل، وإن كان مانعاً واقعياً للتعايش الاجتماعي، إلا أنه یمثل ثمرة فعلیة للعائقیں المتقدمین اللذين يشکلان أمراضاً نفسیة محصورة فی ذات الفرد أو الأفراد، بينما هذا العائق (بثّ الفرقة) یمخرج من دائرة النفس إلى فضاء المجتمع كما یشیر إليه قولها عليه السلام: «وأطلع الشیطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجیین».

## الخاتمة

يمكن تلخيص ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات بما يأتي:

لا يصح وصف التعايش بالسلمي، لأن السلم ما هو إلا نتيجة للتعايش، ومع التنازل وقبول الوصف فإنه لا يمثل مطلق التعايش بل مساحة ضيقة لحالة ما بعد الحرب، وهذا بخلاف وصفه بالاجتماعي، فإنه الحالة السليمة للتعايش التي تعكس طبيعة الجماعة الإنسانية.

التعريف الذي يراه البحث لمصطلح التعايش الاجتماعي هو: العيش المشترك للناس في جميع نواحي الحياة مع احترام كلّ منهم لخصوصيات الآخر، حيث يقوم التعريف على ركيزتين أساسيتين، هما السكن المشترك والاحترام العام المتبادل والمطلق.

وفقاً لنصوص القوانين والعهود والمواثيق الدولية، واسترشاداً بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، يمكن حصر التعايش بأربعة أسس على نحو الإجمال؛ هي تعزيز المشتركات واحترام الخصوصيات والمساواة والتسامح.

اختيار البحث تراث السيدة الزهراء عليها السلام جاء اعتزازاً بشخصيتها وانتسابها وتاريخها أنموذجاً لتأصيل فكر التعايش الاجتماعي من خلال معطيات تراثها العظيم الذي لا يقاس بحجمه الكمي، بل بكمّ النوعي في إحصائه لمبادئ التعايش الاجتماعي من خلال أقوالها وسيرتها العطرة عليها السلام وكذلك في بيانها لعوائق ذلك التعايش بأبلغ العبارات وأصدق المواقف المتخمة بالحسرة والآلام.

يوصي البحث المشرع العراقي بضرورة إدخال مصطلح التعايش صراحة أو من خلال مبادئه وأسسها ضمن نصوص القوانين، لا سيما في دياجعة كلّ تشريع، والأسباب الموجبة له، ومن خلال انتقاء بعض التعبيرات الخالدة للزهراء عليها السلام من قبيل (العدل تنسيق للقلوب) و(الأمر بالمعروف مصلحة للعامة) و(القصاص حقن للدماء).

تم البحث.. والله الحمد

## مصادر البحث

### القرآن الكريم

١. أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (٧٧٠ هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، طبعة دار المعارف، المدينة المنورة ١٩٧٧ م، مادة عيش.
٢. أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور ت ٧١١ هـ، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم، طبعة أولى، دار الكتب العلمية - محمد علي بيضون، بيروت ١٤٢٦ هـ - لبنان.
٣. أبو الخير نشأت أحمد عطا، قواعد الفقه والسياسة الشرعية الضابطة للتعايش السلمي، مجلة الشريعة والقانون عدد ٤٠ أكتوبر ٢٠٢٢ مصر - القاهرة.
٤. إسماعيل نعمة عبود، دور القانون في حماية التعايش السلمي بين أفراد المجتمع، جامعة أهل البيت (عليه السلام) ٢٠١٤ م.
٥. جعفر سبحاني، إضاءات في طريق الوحدة والتعايش، مكتبة العتبة العلوية المقدسة.
٦. رشيدة عبد السلام بوخبرة، التعايش السلمي في ضوء القرآن، مجلة الدراسات الإسلامية والفكرية للبحوث التخصصية، مجلد ٤، عدد ١ كانون الثاني ٢٠١٨ م أبو ظبي.
٧. حسن عبيد موسى، نهج النبي في التعايش السلمي مع المنافقين، بحوث مهرجان ربيع الرسالة الثقافي العالمي السابع.
٨. حسن علي كاظم، التعايش السلمي والوحدة الوطنية، كلية القانون، جامعة كربلاء ٢٠١٤ م.

٩. عبد العظيم المهدي البحراني، تجربة الوحدة والتعايش، ط ١ قم ٢٠٠٣م.
١٠. عبد الهادي الفضلي، الإسلام والتعدد الحضاري، ط ١ بيروت ٢٠١٤م.
١١. غازي سعيد سليمان، المنهج الإسلامي في التعايش السلمي مع غير المسلمين، ديوان الوقف السني ط ١، ٢٠١٠م.
١٢. محمد أحمد حلمي، التعايش السلمي ودور الفقه الإسلامي في تأصيله، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمههور، المجلد ٢، العدد ١، يناير ٢٠١٧.
١٣. محمد تقى فلسفي، الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية، مؤسسة البعثة، بيروت ط ١ ١٩٩٢م.
١٤. محمد محمد عباس الجيلاوي، التعايش السلمي دراسة في المأثور عن الإمام علي (عليه السلام) في عهده لملك الأشتر، نشر مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية، العراق - كربلاء ط ١ ٢٠١٧م.
١٥. محمد ناصر العذاري، محمد حسن الدرندي، أصول التعايش السلمي، دراسة استنباطية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشتر، العتبة الحسينية ١٤٣٩هـ.
١٦. منى حمدي حكمت، مفهوم التعايش السلمي ومعوقاته في العراق، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد - العراق عدد ٥٢، ٢٠١٦م.
١٧. هاني أحمد فقيه، خطوات في فقه التعايش والتجديد، دار الفتح، الأردن ط ١ ٢٠١٠م.
١٨. هند عبد الله أحمد، «مظاهر التعايش الاجتماعي في الإسلام»، بحث منشور، مجلة آداب الفراهيدي، العدد ٢٠١١ ٨ جامعة تكريت - العراق.
١٩. يسرى وجيه السعيد، في مفهوم التعايش الديني الماضي والحاضر والآفاق المستقبلية، مجلة ذوات التي تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط - المغرب..

٢٠. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، د.ت.
٢١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٢٢. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، (النصّ العربي لخطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام)، بيروت، دار الأضواء، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢٣. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (٣٥٤هـ / ٩٥٦م)، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط ٢، ١٩٩٣م.
٢٤. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).
٢٥. ابن أبي الحديد، عبد الحميد عبد الله المعتزلي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، دط، دمكا، د.ت.
٢٦. الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م.
٢٧. الراوندي، قطب الدين ابن الحسين سعيد بن وهبة (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م)، الخرائج والجرائح، ط ١، قم، ١٤٠٩هـ.
٢٨. السيوطي، أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور.
٢٩. ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م).
٣٠. الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) الاحتجاج، تحقيق إبراهيم الهادي (وآخرون)، ط ٥، طهران، ١٤٢٤هـ.

٣١. - ابن طيفور: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (٢٠٤-٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، ط٢، مط: شريعت، الناشر: المكتبة الحيدرية، قم، ١٣٧٨.
٣٢. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) الكافي، ط٥، طهران، ١٤٠٥هـ.
٣٣. المتقي الهندي، علاء الدين بن علي (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دط، بيروت، ١٩٨٩م.
٣٤. المجلسي، الشيخ محمد باقر (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.
٣٥. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م) السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان، ط١، بيروت، ١٩٩١م.
٣٦. الهيثمي، نور الدين علي بن أبو بكر (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط بيروت، ١٩٨٨م.
٣٧. الجبوري، كامل سليمان، ديوان فاطمة الزهراء، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
٣٨. القوانين والمواثيق والعهود
٣٩. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨.
٤٠. دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.
٤١. العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦.
٤٢. قانون العقوبات - قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩.
٤٣. قانون مكافحة الإرهاب رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٥.
٤٤. ميثاق الأمم المتحدة لعام ١٩٤٥.

## الهوامش

١. الفيومي، المصباح المنير؛ ابن منظور، لسان العرب؛ معجم اللغة العربية المعاصر؛ المعجم الغني، موقع المعاني على شبكة الانترنت.
٢. محمد عبد الجبار الشبوط، مقالة بعنوان التعايش السلمي منشورة على الموقع الإلكتروني لمؤسسة الحوار الإنساني - لندن.
٣. يسرى وجيه السعيد، في مفهوم التعايش الديني الماضي والحاضر والآفاق المستقبلية، مجلة ذوات التي تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط - المغرب، العدد ٥٨ لسنة ٢٠١٩ ص ٧٦.
٤. عبد العزيز علي الجمالي، التعايش السلمي، مجلة الجامعة الوطنية - اليمن، عدد ١٥، ديسمبر ٢٠٢٠م ص ٨١.
٥. رشيد كهوس، التعايش السلمي بين الشعوب والأديان دراسة تأصيلية تطبيقية من خلال السيرة النبوية، منشور في مجلة أصول الدين، العدد الأول ديسمبر عام ٢٠١٦
٦. محمد عباس الجيلاوي، التعايش السلمي دراسة في المأثور عن الإمام علي (عليه السلام) في عهده لملك الأشر، نشر مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية، العراق - كربلاء ط ١٥ ص ٢٠١٧م.
٧. محمد الريشهري، ميزان الحكمة، دار الحديث قم ١٤٢٢ هـ ج ١ ط ٣ ص ٢٢٨٨.
٨. المادة ٤ / أولاً من الدستور العراقي الحالي.
٩. الأعراف ١٥١، يوسف ٦٤، ٩٢، الأنبياء ٨٣.
١٠. سورة الممتحنة آية ٨.

١١. محمد الريشهري، ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢١٤٧؛ سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة حديث رقم ٣٠٥٢.

١٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥٧؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، وكذلك ينقل مثلها البيهقي في السنن الكبرى.

١٣. سورة الإسراء آية ٧٠.

١٤. سورة الحجرات آية ١٣.

١٥. سورة الكافرون آية ٦.

١٦. سورة البقرة آية ٢٥٦.

١٧. سورة هود آية ١١٨.

١٨. سورة آل عمران ١٩٥.

١٩. سورة النساء آية ١٢٤.

٢٠. سورة النور آية ٢٢.

٢١. سورة الأعراف آية ١٩٩.

٢٢. <https://u.ae/ar-AE/about-the-uae/human-rights-in-the-uae/>.

fostering-tolerance-and-co-existence موقع البوابة الرسمية لحكومة

دولة الإمارات العربية المتحدة.

٢٣. يرجع الإيثار في اللغة إلى الفعل أثر يؤثر إيثاراً، وهو التفضيل والتخصيص، وأما اصطلاحاً، فهو تقديم الآخر على النفس في النفع، ودفع الضرر، وهو أعلى مراتب

الأخوة، وقد عرفه ابن مسكويه فقال: هو فضيلة من فضائل النفس تدفع صاحبها إلى الامتناع عن بعض ما يحتاجه لنفسه ليقدمه لآخر يستحقه، وقد مدحه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾،

٢٤. محمد السند، الإمامة الإلهية: ١ / ٢٥٩

٢٥. عبد الحسين الطيّب (ت ١٤١١ هـ) تفسير أطيّب البيان: ٢٢ / ٨٢ ذيل الآية ٣ من سورة الجن؛ محمد فاضل المسعودي، الأسرار الفاطمية - الصفحة ١٧.

٢٦. الخوارزمي، مقتل الحسين ج ١ ص ٦٠.

٢٧. الطوسي، محمد بن الحسين، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي ج ٩ ص ٣٧.

٢٨. المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال ج ١٦ ص ٤٦٢ ح ٤٥٤٤٣

٢٩. المجلسي، بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٢٩٤ ح ٢٥؛ النوري، مستدرک الوسائل ج ٧ ص ٣٣٦ ح ٢

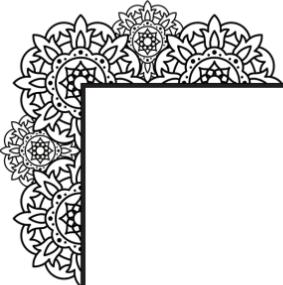
٣٠. بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٤٠١ ح ٤٣ مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٦٢.

٣١. آية ٣٤، ٣٥ سورة فصلت.

٣٢. ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾  
النور/ ٣٥.

٣٣. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾  
الأحزاب/ ٣٣.

٣٤. سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤١٧.
٣٥. أخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم: (٦٣٨٨)، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح؛ المجلسي، بحار الأنوار ج ١٨ ص ٦٠ مع اختلاف الألفاظ عن رواية الجمهور.
٣٦. المجلسي، بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٠٣.
٣٧. أبو جعفر الطبري، دلائل الإمامة، طبعة النجف: ٥٢؛ أحمد الهمداني، فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٧٩.
٣٨. المجلسي، بحار الأنوار ج ٢ ص ٣.
٣٩. الطبرسي، الاحتجاج - ج ١ - الصفحة ١٣٦؛ المجلسي، بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٥٦.
٤٠. الطبرسي، الاحتجاج - ج ١ - الصفحة ١٣٦.
٤١. الطبرسي، الاحتجاج - ج ١ - الصفحة ١٣٦؛ المجلسي، بحار الأنوار - ج ٢٩ - الصفحة ٢٢٥.

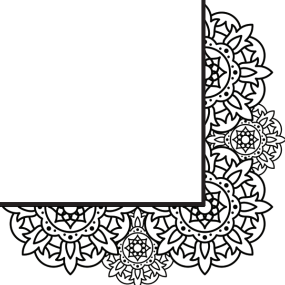


شبكة مراقبة المرؤوسين  
في الأسلوب الإداري العلوي  
(قراءة في نهج البلاغة)

الباحث

د. السيد مرتضي فري زني

باحث في جامعه المصطفى العالمية بخراسان  
في قسم الدراسة التطبيقية حول الإسلام والأديان



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة وبيان البحث

يُعتبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) نموذجاً كاملاً في مختلف مجالات الحياة الفردية والاجتماعية. وتعد إدارة الأمور من أهم الموضوعات التي شغلت اهتمام العلماء والمفكرين في المجتمعات منذ القدم. وتعد الرقابة الدقيقة والصحيحة للمرؤوسين من قبل المشرفين والمديرين من أهم أركان الإدارة الفعالة والناجحة. وفي الواقع، تعد الرقابة والضبط من الواجبات الحيوية والأركان الحيوية للأنظمة الإدارية. وقد أشار بعض خبراء الإدارة الغربيين إلى خمسة محاور للإدارة: وضع الخطط، التنظيم، القيادة، التنسيق والرقابة والضبط، وعدوا أن مبدأ الرقابة والضبط هو المبدأ المهم الذي يكمل هذه المبادئ الأربعة<sup>(١)</sup>. إن أي نظام إداري بحاجة إلى رقابة مستمرة ودقيقة لتحقيق الأهداف المحددة، والحيلولة دون الانحرافات، والكشف عن نقاط القوة والضعف من خلال تقييم أداء الموظفين والمديرين. وقد أكد أمير المؤمنين (عليه السلام) ضرورة الرقابة والضبط على أداء موظفي إدارته، وأنشأ نظاماً رقابياً لتقييم سلوك المسؤولين والمرؤوسين، والكشف عن نقاط الضعف للعمل على معالجتها، وتعزيز نقاط القوة.

وسوف يتناول هذا البحث موضوع الرقابة على المديرين في نظام إدارة أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفتها نواة أساسية للبحث، واستخدام التعاليم الواردة في نهج البلاغة لتكون مصدراً رئيساً لاستخراج هذه المسألة ومن ثم تستند إلى سائر المصادر لتكميل البحث.

#### منهجية الدراسة: (المشكلة، الأهمية، الأهداف)

كيفية مراقبة أعضاء مجموعة أو منظمة هي من المسائل الكبرى التي تركز عليها النقاشات

(١) أصول فن الإدارة - فايول، هنري: ٩.

بين الخبراء الإداريين في العالم، ويمكن اعتبار أحد أسباب نجاح المديرين الأكفاء في مجالات عملهم على أساس مقياس المراقبة والردود التي يتلقونها. لقد أكد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا المقياس في جوانبه المختلفة طوال فترة حكمه، وبالإضافة إلى نصائحه الشفوية للأفراد، قام عملياً بتطبيق عملية شبكة مراقبة على الجهاز الصغير والكبير. لذلك، من الضروري دراسة النصوص المتبقية عن سيرته الكلامية والسلوكية في هذا الشأن، وفحص عملية تطبيق هذه الشبكة المهمة وتقديمها في شكل بحث إداري.

يجب أن نرى ما إذا كان من الممكن استخراج نظام وشبكة في إطار عملية مراقبة المديرين، على الرغم من المدة القصيرة لحكمه، وما هي آثار ذلك في حالة استمراره؟ الطريقة المتبعة في هذا البحث هي تحليلية وصفية، وتعتمد على المصادر المكتبية.

يجب ملاحظة أن أهمية هذا الموضوع تكمن في أن طريقة حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) تعتبر دائماً نموذجاً شاملاً ومُلهمًا في المسائل الإدارية والتنفيذية في نظر العلماء المسلمين والشيعة، وأن جزء المراقبة والمتابعة للمرؤوسين هو من المسائل الإدارية التي لا يمكن فصلها، ومن ثمَّ يجب أن نركّز في هذا الجزء أيضاً، مع مراعاة المصادر المتبقية عن سيرته، على كيفية مراقبة الأفراد.

من الجدير بالذكر أن أحد أهداف هذا البحث هو الاهتمام بالبيانات الروائية التي يمكن استخدامها بشكل مقارن وتطبيقي في مسألة الإدارة الإسلامية، ويمكن الحصول على هذه البيانات وتفسيرها بشكل علمي بناءً على المصادر الروائية الأصلية مثل نهج البلاغة.

### خلفية الدراسة:

توجد دراسات ومقالات عديدة تتناول أسلوب الإدارة العلوية، مستندة إلى مصادر روائية مختلفة، أبرزها نهج البلاغة. من بين هذه الدراسات مقالة بعنوان -أساليب المراقبة الاجتماعية الفعّالة وأسسهـا في نهج البلاغة- لمحمود كريمي ومهناز آل علي، حيث يؤكد الكاتبان، استناداً إلى تعاليم نهج البلاغة، أن الإمام علي (عليه السلام) كان يستخدم، بالإضافة إلى

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسلوباً من أساليب المراقبة الاجتماعية، أساليب أخرى غير مباشرة مثل الترغيب والترهيب، الدعاء واللعن، إثارة الدهشة، طرح الأسئلة، والموعظة، وذلك تبعاً للزمان والمكان والمخاطب.

كما توجد مقالة أخرى بعنوان -مكانة التحفيز والعقاب في الإدارة العلوية مع التركيز على نهج البلاغة- لمهدي مرداني، حيث يذكر الكاتب أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقوم بتقييم أداء المسؤولين والحكام، ثم مكافأهم أو معاقبتهم تبعاً لذلك. ويرى الكاتب أنه يمكن استخلاص آداب أنواع ومجالات التحفيز والعقاب من سيرة الإمام علي الإدارية.

ومقالة ثالثة بعنوان -حلول لمكافحة الفساد الاقتصادي في الدولة العلوية مع التركيز على نهج البلاغة- لحسين جلائي نوبري، حيث يذكر الكاتب أن الإمام علي (عليه السلام) كان يولي اهتماماً كبيراً بخمسة عوامل أساسية لإصلاح الدولة ومنع الفساد، وهي: العوامل النفسية والسلوكية، والعوامل التنظيمية والإدارية، والعوامل الثقافية والاجتماعية، والعوامل السياسية والاقتصادية.

وفي هذا البحث، سنركز على عنصر المراقبة وأنواعها في إدارة أمير المؤمنين، مستندين إلى أحد المصادر الشيعية الأصيلة، وهو نهج البلاغة. وستتناول هذا الموضوع بشكل تفصيلي ودقيق، علاوة على السيرة الكلامية في الرسائل والخطب، بل سنتطرق أيضاً إلى السيرة السلوكية المروية عن الإمام، وبالنظر إلى الدراسات السابقة التي تناولت أسلوب الإدارة العلوية بشكل عام وكلي، فإن هذه الدراسة تهدف إلى تحليل أحد الجوانب الإدارية المهمة للإمام، ألا وهو كيفية مراقبته وتفتيشه مرؤوسيه.

### مفهوم الرقابة وأهميته:

في علم الإدارة، طُرحت تعريفات متعددة للإشراف والرقابة. فقد عرّف جيمس ستونر الإشراف بأنه «عملية مراقبة الأنشطة بهدف التأكد من أنها تتم وفقاً للتخطيط، وتصحيح الانحرافات الهامة<sup>(١)</sup>».

(١) المصدر نفسه.

وبناءً على ذلك، فإنَّ الرقابة هي عملية موازنة بين ما ينبغي أن يكون (التوقعات والمرغوب فيه) وما هو كائن (ما تم تنفيذه)، والتحقق من الإجراءات المتخذة (أو قيد التنفيذ) لضمان أنها تتم وفقاً للأهداف المخطط لها. والإشراف هو عملية مستمرة من البداية حتى النهاية.

ومن وجهة نظر الإمام علي (عليه السلام)، فإنَّ الإشراف والرقابة تكون من خلال معايير محددة، حيث يتم جمع المعلومات ثم مقارنتها بالمعايير الإسلامية والإنسانية، وفي حالة الانحراف عن هذه المعايير، يتم اتخاذ الإجراءات اللازمة على الفور.<sup>(١)</sup>

وتوجيه الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشتر «تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ» يُعبّر عن ضرورة الإشراف على سلوك المرؤوسين وقد تكرر مصطلح «تَفَقَّدْ» عدّة مرّات في الرسالة ٥٣ من نهج البلاغة<sup>(٢)</sup>، ممّا يشير إلى مجالات العمل والإشراف المختلفة. وكان الإمام علي (عليه السلام) يقوم بتقييم جميع مؤسسات الدولة، سواء الإدارية أو العسكرية أو الاقتصادية، وفقاً للأهداف الحكومية المحددة، ويعاقب المخالفين ويكافئ المستحقين.

### أنواع الرقابة في النهج الإداري لأمر المؤمنين (عليه السلام):

بشكل عام، تُمارس الرقابة في النظام الإداري لأمر المؤمنين (عليه السلام) بطريقتين: داخلية وخارجية. إنَّ تحليل كلمات الإمام، لا سيّما في رسائله الواردة في نهج البلاغة، يُظهر تركيزه على هاتين الطريقتين الرقابيتين في إدارته.

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يُوصي مديره البارزين بالرقابة الذاتية أو الداخلية. فالرقابة الداخلية تمنح الناس من الانحراف، لكن هذا العامل لا يتوافر بشكل كافٍ لدى الجميع، ويتطلّب سلامة الجهاز الحكومي أن يُراقب الحاكم باستمرار أداء المسؤولين، وخاصة كبار

(١) أساليب المراقبة الاجتماعية الفعّالة وأسسها في نهج البلاغة: كريمي وآل علي: ٦٠.

(٢) مثل ما قال في جزء من رسالته: «ثُمَّ تَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ (أي الناس) بِمَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ» أو قال في جزء آخر «ثُمَّ تَفَقَّدْ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْ حَالَتِهِمْ». (نهج البلاغة: الكتابة: ٥٣)

المديرين والمقربين منه، لمنع الانحراف والفساد والتلوث. وقد طُبّق نظام رقابي شامل في إدارة الإمام لضمان سير جميع أجزاء الدولة وموظفيها على محور الحق والعدالة. الرقابة الداخلية أو الذاتية هي حالة داخل الإنسان تدفعه لأداء واجباته دون وجود عامل خارجي يُخضعه للرقابة<sup>(١)</sup>.

الرقابة الداخلية القائمة على التقوى، على الرغم من أنها ستكون مثمرة في بعض الأحيان، إلا أنها تفقد فعاليتها بسرعة في مواجهة الانفجار المتزايد للبيانات المدمرة؛ لذلك، وبما أننا لا نملك القدرة على حدود المعلومات على الإطلاق، فيجب أن تدخل التربية الدينية على أساس عنصر «تقوى الحضور». ومن هذا المنطلق يمكن الوصول إلى الرقابة الداخلية الجذرية. في تقوى الحضور، يجد الفرد نفسه في مرتبة أعلى بحيث يستطيع أن يكون محصناً من الانحرافات، بينما هو موجود في المجتمع ومعرض لجميع أنواع التلوث. قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفقاً لمفهوم الآية الشريفة، ينبغي على الإنسان أن يتوجه إلى داخله ويصل إلى مرتبة من الهداية الداخلية بحيث لا يستطيع الضالون إلحاق الضرر به. هذا هو المعنى الدقيق والعميق للانضباط الذاتي الداخلي الذي يجعل الفرد قادراً على أن يكون موجوداً في سياق المجتمع وفي مجال التواصل، دون أن يتلوث بأنواع التلوث، وأن يربي أولئك الذين لديهم قدر أقل من التقوى<sup>(٣)</sup>.

إن الرقابة الذاتية في الإدارة الإسلامية مرتبطة بتشجيع الموارد البشرية على الخوف من الله والإيمان بأنه مراقب لأفعالهم، وبالنظر إلى كون الموت أحد أهم الركائز التربوية في

(١) الإدارة الإسلامية، نبوي: ٢٠٩.

(٢) سورة المائدة: الآية: ١٠٥.

(٣) التربية الجنسية، المباني، الأصول، والمناهج من منظور القرآن والحديث، فقيهي: ٣٩٧.

الإسلام. وبناءً على ذلك، يرى المدير المؤمن أن الله حاضر ومطلع على أفعاله دائماً.

كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في إحدى كلماته في النهج: «فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعِيْنِهِ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ فَاعْلَمَهُ وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ فَكَتَبَهُ. وَقَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَامًا لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا»<sup>(١)</sup>

وعندما استدعى القاضي شريح لشراء منزل فخم، ذكره بالآخرة والحساب، قائلاً: «يا شُرَيْحُ! أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيْتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا، وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا. فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ! لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكِهَا، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ؛ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وتعدّ الرقابة الذاتية نتيجة للرقابة الإلهية والاهتمام بالموت والآخرة، ممّا يخلق عاملاً داخلياً في الفرد يدفعه إلى مراقبة أعماله وضبطها، كما ذكر: «رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا (عَبْدًا) سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا؛ رَاقِبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ»<sup>(٣)</sup>.

### الرقابة الخارجية:

إنّ ضرورة الوقاية، والحدّ من الانحراف عن الأهداف، وضمان صحة حركة جميع عناصر المجتمع أو المنظمة نحو الأهداف المحددة، هي العامل الأهمّ في استخدام أسلوب الرقابة الخارجية. ويعدّ هذا الأسلوب من أهمّ القضايا التي تحظى باهتمام المتخصصين في القانون والإصلاح الاجتماعي والثقافي، بحيث إنّ الرقابة والتحكّم الخارجي هما من العناصر الرئيسة في جميع الأنظمة<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٨٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٧٦.

(٤) بحث في موضوع القدرة، اسكندري، ٣٠٧.

وقد استخدم أمير المؤمنين (عليه السلام) في نظامه الإداري لمراقبة المديرين نوعين من الرقابة: الرقابة المباشرة (أي بدون الوساطة) والرقابة غير المباشرة (بوساطة)، بشكل رسمي وغير رسمي، وهذا الأسلوب الرقابي يسمى «الرقابة المركبة». وقد كان الإمام هو مصمم هذه الطريقة من الرقابة.

### الرقابة المباشرة (بدون الوسيط):

تتمثل الرقابة المباشرة في أن يقوم المدير بمراقبة أداء الأجهزة وأنواع الأنشطة دون أي وساطة، ويتحكم في أصغر الأنشطة إلى القضايا الكبرى، ويقوم شخصياً بجميع مراحل الرقابة كما إن وجود المسؤول الأعلى مباشرة في مكان العمل والتواصل المباشر مع موظفي الوحدات التنظيمية المختلفة، يعزز من روح الموظفين<sup>(١)</sup>.

وقد طبق هذا النوع من الرقابة في مركز الحكم، وفي أي مكان كان الحاكم حاضراً فيه بشكل مباشر من قبله. فحضور أمير المؤمنين في السوق والاهتمام بحالة السوق والتجار<sup>(٢)</sup>، وقيادته لثلاث معارك خلال فترة حكمه، ومراقبته المباشرة لسير المعركة<sup>(٣)</sup>، هي أمثلة على الرقابة المباشرة التي قام بها؛ وقال خطاباً إلى مالك الأشتر حول الرقابة المباشرة على المرؤوسين: «ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) نظرة على الإدارة الإسلامية، تقوي دامغاني: ٩٥.

(٢) الإمام الباقر (عليه السلام) قال: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) بِالْكُوفَةِ عِنْدَكُمْ يَغْتَدِي كُلَّ يَوْمٍ بُكْرَةً مِنَ الْقَصْرِ، فَيَطُوفُ فِي أَسْوَاقِ الْكُوفَةِ سَوْقًا سَوْقًا وَمَعَهُ الدَّرَّةُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَكَانَ لَهَا طَرَفَانِ، وَكَانَتْ تُسَمَّى: السَّبِيَّةَ، فَيَقِفُ عَلَى أَهْلِ كُلِّ سَوْقٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ، اتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. فَإِذَا سَمِعُوا صَوْتَهُ (عليه السلام) أَلْقَوْا مَا بِيَدَيْهِمْ، وَارْعَوْا إِلَيْهِ بَقُلُوبَهُمْ، وَسَمِعُوا بِأَذَانِهِمْ. فَيَقُولُ (عليه السلام): قَدِّمُوا الْإِسْتِخَارَةَ، وَتَبَرَّكُوا بِالسُّهُولَةِ، وَاقْتَرَبُوا مِنَ الْمُبْتَاعِينَ، وَتَرَيَّنُوا بِالْحِلْمِ، وَتَنَاهَاوْا عَنِ الْيَمِينِ، وَجَانِبُوا الْكَذِبَ، وَتَجَافَوْا عَنِ الظُّلْمِ، وَأَنْصِفُوا الْمَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَا، وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. فَيَطُوفُ (عليه السلام) فِي جَمِيعِ أَسْوَاقِ الْكُوفَةِ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَقْعُدُ لِلنَّاسِ. الكافي: ٥ / ١٥١ ح ٣٩.

(٣) في الخطبة ١٠٧ في نهج البلاغة قال خطاباً لبعض أصحابه الذين وهنوا في الحرب: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَانْجَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، يَحُوزُكُمْ الطُّغَاةُ الْجَفَاءُ وَاعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ».

(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

### الرقابة غير المباشرة (بالوساطة):

في هذا النوع من الرقابة، يقوم المدير بمراقبة المرؤوسين من خلال وكلاء وأجهزة مختلفة تعمل عيوناً له، ويتلقى تقارير إيجابية وسلبية من خلال وسيط أو أكثر من أشخاص موثوق بهم. وبعد ذلك يقوم بفحص التقارير بدقة لاتخاذ الإجراءات اللازمة لحل المشكلات وتعزيز النقاط القوية. وقد قام أمير المؤمنين بهذا النوع من الرقابة بشكل رسمي وغير رسمي ومن خلال وسطاء.<sup>(١)</sup>

### الرقابة غير المباشرة الرسمية:

من الخصائص المهمة التي يجب مراعاتها في تنظيم القوى العاملة، بعد تقسيم العمل بناءً على الالتزام والتخصّص، هو الالتزام بالهيكل التنظيمي ليكون واحداً من السمات السلوكية للمرؤوسين تجاه المديرين. في أيّ منظمة، يتكوّن التسلسل الهرمي أو سلسلة القيادة من تدفق المسؤولية والصلاحيّة، ابتداءً من أعلى مستوى إداري وانتهاءً بأدنى مستوى تنفيذي ويؤدّي الالتزام بالهيكل التنظيمي إلى فهم أعضاء المنظمة لمكانهم، ومن يجب أن يأخذوا الأوامر منه، ومن يجب أن يأمروا، ومن هم مسؤولون أمامه.

تكتسب هذه المسألة أهمية كبيرة نظراً لضرورة النظام والانضباط وتحديد نطاق السلطة، وعمل المرؤوسين، بحيث لا يحدث أيّ خلل في الأمور بدونه. وفي هذا الصدد، قال أمير المؤمنين في كتابه ٥٣ إلى مالك الأشتر: «فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَكَ».

وقال أيضاً في خطابه إلى أشعث بن قيس: «وَأَنْتَ مُسْتَرَعَى لِمَنْ فَوْقَكَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) نظرة على الإدارة الإسلامية، تقوي دامغاني: ٩٧.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥.

لكي يستمر أي نظام إداري في الحفاظ على هذا النظام والتنسيق، والحد من المخالفات، وسير الأمور وفقاً للقوانين، والوصول إلى الأهداف، فإنه يحتاج إلى رقابة عميقة وتفتيش ومتابعة مستمرة، بالإضافة إلى المساءلة الدقيقة وفي النظام الإداري لأمر المؤمنين، كانت هذه الرقابة تتم بشكل غير مباشر ورسمي على شكل هرمي. بمعنى أن كل مدير يراقب أداء مرؤوسيه، وكل مدير ملزم بتقديم تقارير عن أنشطته إلى مديره الأعلى. ومطالبة بتقديم المستندات المحاسبية وإعطاء الأوامر الدقيقة والاهتمام بالشؤون المالية دون أي تساهل أو تقصير؛ لأن المسؤولين الحكوميين إذا علموا أن الأموال التي تحت تصرفهم تخضع لمراقبة شديدة، فإنهم سيحرصون أكثر على الإنفاق والتكاليف. في الواقع، فإن الرقابة والمراقبة تساعد بشكل كبير على العمل الصحيح والتقوى.

وفي هذا الصدد، قال أمير المؤمنين لبعض المديرين الكبار: «فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

### الرقابة غير المباشرة غير الرسمية:

بالإضافة إلى النظام الرسمي للرقابة والمتابعة الذي كان أمير المؤمنين عليه السلام يطبّقه من خلال المسؤولين في نظامه الإداري بشكل هرمي، كان يقوم أيضاً بمراقبة مختلف أجزاء المنظمة وأداء الموظفين من خلال موظفين خاصين ومفتشين موثوق بهم بشكل علني وسري، أو من خلال وحدة خاصة أنشئت للنظر في شكاوى المواطنين، والتي يمكن عدّها نوعاً من الرقابة الشعبية. وبذلك، كان على دراية بجميع الأنشطة، ممّا مكّنه من منع أيّ تجاوز للقانون أو مخالفة للأهداف المحددة، وتعزيز النقاط القوية في الأداء.

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٠.

### المفتشون الخاصون:

كان أسلوب إدارة أمير المؤمنين يقوم على تدريب أشخاص أمناء وأوفياء ليكونوا مفتشين خاصين لمراقبة المديرين. كان هؤلاء المفتشون يرسلون إلى مناطق مختلفة لمراقبة أعمال المرؤوسين بدقة بشكل علني وسري، سواء فردياً أو جماعياً، وتقديم تقارير عن أعمالهم إلى الإمام كما يأتي في ما يلي من كلماته عليه السلام.

### المراقبة العلنية للمفتشين الخاصين:

المقصود بالمراقبة العلنية للمفتشين الخاصين هو أنّ المراقبين، أي المديرين والموظفين الذين يُراقب أداؤهم ويراجعهم، على دراية بعملية التفتيش. في هذا النوع من نظام التقارير، يكون التأكيد على تقديم التقارير المكتوبة عن أنشطة العمال والموظفين، ويعلم الموظفون أنّ أداءهم يخضع للمراقبة والمتابعة، وأنّ أيّ مخالفات ستسجل ضدهم<sup>(١)</sup>.

لقد أنشأ أمير المؤمنين عليه السلام شبكات تفتيش لمراقبة المديرين في المناطق البعيدة بشكل علني، وكانت هذه الشبكات تقدم نتائج تحقيقاتها إلى الإمام بشكل كتابي أو شخصي. إحدى هذه المجموعات التفتيشية كانت بقيادة «مالك بن كعب الأرحبي»<sup>(٢)</sup> الذي كلفه الإمام بمهمة تفتيش منطقة واسعة على ضفاف الفرات. وفي كتاب إلى مالك بن كعب،

(١) ينظر موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام على أساس القرآن، الحديث، والتاريخ ٤ / ٢٦.

(٢) «مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَبِيُّ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام وَمِنْ أَرْكَانِ حُكُومَتِهِ كَانَ وَالِيًا عَلَى عَيْنِ التَّمْرِ، وَهَقْبَاذَاتٍ، مُضَافًا إِلَى إِشْرَافِهِ عَلَى عَمَلِ سَائِرِ الْمَسْئُولِينَ فِي الْكُوفَةِ وَالْجَزِيرَةِ. وَمِمَّا يُشْنَى عَلَيْهِ شَجَاعَتُهُ الَّتِي أَبْدَاهَا قِبَالَ هُجُومِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَلَى عَيْنِ التَّمْرِ؛ فَإِنَّهُ وَاجَهَ جَيْشَ النُّعْمَانِ الَّذِي قِوَامُهُ أَلْفَا فَارِسٍ بِسَرِيَّةٍ قِوَامُهَا مِئَةُ مُقَاتِلٍ فَقَطَّ، حَتَّى وَصَلَ الْإِسْنَادَ الْعَسْكَرِيَّ إِلَيْهِ، وَاضْطَرَّ النُّعْمَانُ إِلَى الْفِرَارِ. كَمَا اسْتَدْعَى لِمُؤَاجَهَةِ جَيْشِ مُسْلِمِ بْنِ عُقَبَةَ الْمُزَيِّ فِي دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، فَكَانَ مُوَفَّقًا فِي هَذِهِ الْمُهْمَةِ أَيْضًا. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ مَعْرِفَتِهِ، إِظْهَارُ اسْتِعْدَادِهِ لِإِعَانَةِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَلْبَ دَعْوَةَ الْإِمَامِ أَحَدًا. جَوَاهِرُ الْحِكْمَةِ لِلشَّابَّ: ٣٠٢.

كلّفه الإمام بمهمة تفتيش مناطق العراق مع فريقه وتقديم تقرير للإمام. وفي جزء من الرسالة، قال الإمام: «فَاسْتَخْلِفْ عَلَى عَمَلِكَ، وَاخْرُجْ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ حَتَّى تَمُرَّ بِأَرْضِ كُورَةِ السَّوَادِ<sup>(١)</sup>، فَتَسْأَلْ عَنْ عُمَالِي، وَتَنْظُرَ فِي سِيرَتِهِمْ فِيمَا بَيْنَ دَجَلَةَ وَالْعُدَيْبِ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى الْبَهْقَبَادَاتِ فَتَوَلَّ مَعُونَتَهَا، وَاعْمَلْ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا وَلَّاكَ مِنْهَا. وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ مَحْفُوظٌ عَلَيْهِ مَجْزِيٌّ بِهِ، فَاصْنَعْ خَيْرًا صَنَعَ اللَّهُ بِنَا وَبِكَ خَيْرًا، وَاعْلِمْنِي الصَّدَقَ فِيمَا صَنَعْتَ. وَالسَّلَامُ.»<sup>(٣)</sup>

وفي قصّة أخرى، ورد أنّ أمير المؤمنين أرسل رسولاً إلى زياد بن أبيه حاكم فارس لجمع المال ما حاصله: «وَجَهْ [عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ] إِلَى زِيَادٍ رَسُولًا لِيَأْخُذَهُ لِحْمَلٍ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ، فَحَمَلَ زِيَادٌ مَا كَانَ عِنْدَهُ وَقَالَ لِلرَّسُولِ: إِنَّ الْأَكْرَادَ قَدْ كَسَرُوا مِنَ الْخَرَجِ وَأَنَا إِدَارِيهِمْ، فَلَا تُعْلِمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ، فَيَرَى أَنَّهُ اعْتِلَالٌ مِنِّي. فَقَدِمَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَ عَلِيًّا بِمَا قَالَ زِيَادٌ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: قَدْ بَلَغَنِي رَسُولِي عَنْكَ مَا أَخْبَرْتَهُ بِهِ عَنِ الْأَكْرَادِ، وَاسْتِكْتَامَكَ إِيَّاهُ ذَلِكَ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تُلَقِ ذَلِكَ إِلَيْهِ إِلَّا لِتُبَلِّغَنِي إِيَّاهُ، وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمًا صَادِقًا لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، لَا أَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ<sup>(٤)</sup>، ثَقِيلَ الظَّهْرِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) السَّوَاد: أراضي وقرى العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب؛ سُمِّيَ بذلك لسواده بالزروع والتخيل والأشجار. ينظر معجم البلدان: ٣ / ٢٧٢.

(٢) الْعُدَيْب: تصغير العذب؛ وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسيّة والمغيثة، بينه وبين القادسيّة أربعة أميال، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً. ينظر معجم البلدان: ٤ / ٩٢.

(٣) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٠٤.

(٤) الْوَفْر: المال الكثير. النهاية: ٥ / ٢١٠ «وفر».

(٥) نهج البلاغة: الكتاب ٢٠.

### التفتيش السري للمفتشين الخاصين (العيون):

في هذا النوع من الرقابة، يُكلّف مجموعة من الأشخاص بالمراقبة السرية لأنشطة الموظفين دون علم المديرين. وبعد الانتهاء من أدائهم، تُقدّم النتائج إلى مدير المنظمة. من الناحية الفقهية، يتطلب العقل والشرعية بالإضافة إلى التأكد من وجود الشروط اللازمة في العاملين والمسؤولين المدنيين والعسكريين، وجود مراقبة سرية على سلوكهم وأفعالهم<sup>(١)</sup>.

لذلك، فإنّ استخدام أسلوب المراقبة السرية هو مطلب الأدلة الشرعية والعقلية، وقد أشار الإمام علي إلى هذه المجموعة المدربة من الأشخاص الأمناء المتّين بالعيون. كما قال في خطابه إلى مالك الأشتر: «انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختياراً... ثمّ تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم؛ فإنّ تعاهدك في السرّ لأموهم حدوة<sup>(٢)</sup> هم على استعمال الأمانة، والرّفق بالرّعيّة، وتحفظ من الأعوان؛ فإنّ أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بها أصاب من عمله، ثمّ نصبتّه بمقام المدلّة، ووسمتّه بالخيانة، وقلدته عار التّهمة<sup>(٣)</sup>».

وفي مكان آخر، قال للإمام مالك الأشتر حول مراقبة الجنود: «ثمّ لا تدع أن يكون لك عليهم عيون من أهل الأمانة والقول بالحقّ عند الناس، فيثبتون بلاء كلّ ذي بلاء منهم ليثق أولئك بعلمك ببلائهم<sup>(٤)</sup>».

(١) مباني فقهية للحكومة الإسلامية: ٤ / ٣٠٧

(٢) حدوة لهم: أي باعث ومحرض لهم، والحدو في الأصل: سوق الإبل والغناء لها. بحار الأنوار: ٣٣ /

٦٢٥.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(٤) نهج البلاغة: الكتابة ٥٣.

## تقارير الشعب

بالإضافة إلى التفتيش المنهجي والدقيق الذي كان يجري بشكل مباشر أو غير مباشر من قبل القوات الخاصة الحكومية، كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يطلع على أداء المرؤوسين من خلال التقارير الشعبية التي كانت تصل إليه بشكل مباشر أو عن طريق المراسلات. في إدارة أمير المؤمنين (عليه السلام)، كان الشعب يعتبر أفضل مراقب لسلوك وأفعال الموظفين. وكان الهدف من مراقبة الشعب للمسؤولين الحكوميين هو تقييد سلطتهم وإجبارهم على العمل ضمن إطار القانون<sup>(١)</sup>.

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أهمية مراقبة الشعب لأعمال المديرين في خطابه إلى مالك الأشتر، وقال: «أَنِّي وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوْلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَجَوْرِ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

عندما اشتكى أهل قبيلة بني تميم إلى الإمام من معاملة عبد الله ابن عباس<sup>(٣)</sup> القاسية لهم، ردّ الإمام على ابن عباس في رسالة وقال: «وَقَدْ بَلَغَنِي تَنْمُرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ هُمْ آخِرُ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّقُوا بِوَغْمٍ»<sup>(٤)</sup> في جاهليّة ولا إسلام<sup>(٥)</sup>.

(١) الأسس الفقهية لمراقبة المواطنين على الحكّام، جعفري: ١١٨.

(٢) نهج البلاغة: الكتابة ٥٣.

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو العباس القرشي الهاشمي، من المفسرين والمحدثين المشهورين في التاريخ الإسلامي، ولد بمكة في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وذهب إلى المدينة سنة ٨ هـ عام الفتح، كان عمره يستشير في أيام خلافته ولما آلت الخلافة إلى الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كان صاحبه ونصيره ومستشاره وأحد ولاته وأمراءه العسكريين، كان واليا على البصرة عند استشهاد الإمام علي (عليه السلام). موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ١٢ / ١٨٥.

(٤) الوغم: الترهة، الحقد. النهاية: ج ٥ ص ٢٠٩ «وغم».

(٥) نهج البلاغة: الكتاب ١٨.

كان أمير المؤمنين عليه السلام يَخْصُصُ وقتاً بعد الصلاة في المسجد لاستقبال الناس وتقديم شكواهم وتقاريرهم عن مخالفات المديرين، وكان يسمي هذا المكان «بيت القصص». كما قال ابن أبي الحديد: «كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بَيْتٌ سَمَّاهُ: بَيْتَ الْقِصَصِ، يُلْقِي النَّاسُ فِيهِ رِقَاعَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٨٧. وفي صبح الأعشى: أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ بَيْتاً تُرْمَى فِيهِ قِصَصُ أَهْلِ الظُّلُمَاتِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام. صبح الأعشى: ١ / ٤١٤.

١٦٣١. في الأوائل لأبي هلال العسكري عن محمد بن سيرين: اتَّخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِيهِ الْقِصَصَ، حَتَّى كَتَبُوا سَمَهُ فَأَلْقَوْهُ فِيهِ، فَتَرَكَهُ. الأوائل لأبي هلال: ١٤٢. وفي مصدر آخر: الإمام علي عليه السلام لِأَصْحَابِهِ: مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَيَّ مِنْكُمْ حَاجَةٌ، فَلْيَرْفَعْهَا فِي كِتَابٍ؛ لِأَصُونَ وَجُوهَكُمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ. العقد الفريد: ١ / ٢٠٣.

## تقييم كفاءة المديرين

تقييم كفاءة المديرين هو عملية يكون من خلالها تقييم قدرات الرؤوسين والمديرين ومؤهلاتهم، وتقدير أدائهم، مما يوفر فرصاً لنموهم وتطورهم. لم يغفل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن أي جهد يبذله موظفوه. وقد أشاد بخدمات العديد من المديرين في مناسبات مختلفة. والتقدير الذي قدمه لسعد بن مسعود الثقفي<sup>(١)</sup> حاكم المدائن في رسالة هو مثال على تقدير الإمام لمديره. كتب الإمام في هذه الرسالة: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ قَدْ أَدَيْتَ خَرَجَكَ، وَأَطَعْتَ رَبَّكَ، وَأَرْضَيْتَ إِمَامَكَ، فِعَلَ الْمُرِّ التَّقِيَّ النَّجِيبِ، فَعَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَكَ، وَتَقَبَّلَ سَعْيَكَ، وَحَسَنَ مَأْبَكَ.»<sup>(٢)</sup>

وقد حثَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) وكلاءه على تقييم أداء المديرين والتميز بينهم بناءً على أعمالهم، وحذَّره من عواقب عدم التمييز بين الموظفين الجيدين والسيئين. وقد أكد الإمام في رسالة إلى مالك أهمية الثناء على الصالحين وحثهم على الاستمرار، وقال: «لَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ تَرْهِيدٌ لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيبٌ لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، فَالْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلَزَمَ نَفْسَهُ، أَدْبَابًا مِنْكَ يَنْفَعَكَ اللَّهُ بِهِ وَتَنْفَعُ بِهِ أَعْوَانُكَ.»<sup>(٣)</sup>

(١) سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، من أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الأوفياء. وقيل: من أصحاب رسول الله. ذكرت بعض المصادر أنه اصطدم يوماً بعمار بن ياسر الذي كان والياً على الكوفة من قبل عمر. ولأه الإمام (عليه السلام) في البداية على منطقة الزوابي، وعندما تحرك الإمام (عليه السلام) لتلقاء صفين، ولأه على المدائن. موسوعة أمير المؤمنين (عليه السلام) على أساس القرآن، الحديث: ١٣ / ٢٥٢.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٠١.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٧٧.

## الخاتمة

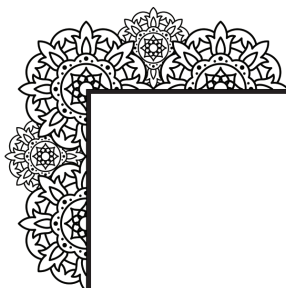
أضاف أمير المؤمنين (عليه السلام) -إلى جانب تشديده على المديرين بضرورة الرقابة الذاتية والداخلية- أساليب مراقبة مباشرة وغير مباشرة، رسمية وغير رسمية. فاستخدم المراقبة المباشرة (بدون وسيط) والمراقبة غير المباشرة (بواسطة وسيط) من خلال المأمورين الخاصين والعيون والتقارير الشعبية. ويمكن تسمية هذا الأسلوب الرقابي بالرقابة المركبة. ومع فحص وتوضيح شبكة الرقابة والمراقبة وآلياتها في ضوء نظر أمير المؤمنين (عليه السلام)، يمكننا أن نستنتج أن الهدف من هذا الأسلوب هو تحقيق العدالة الصحيحة مع إيلاء اهتمام شديد للمتابعة المستمرة وعدم التسامح مع المخالفين وتقدير الأداء الإيجابي للأفراد، كما أمر أمير المؤمنين (عليه السلام) المسؤولين الحكوميين بعدم إهمال آليات الرقابة والمراقبة على الموظفين وبناءً على أسلوب أمير المؤمنين (عليه السلام) في الإدارة، فإنَّ أيَّ نظام إداري يسعى إلى تحقيق أهدافه المحددة يحتاج إلى مراقبة دقيقة ومستمرة لتقييم أداء الرؤوسين والمديرين وتحديد نقاط قوتهم وضعفهم ومنع تكرار الانحرافات.

## المصادر

- القرآن الكريم
١. نهج البلاغة
٢. ابن الأثير، محمد بن مبارك، (١٣٦٧ش)، النهاية في غريب الحديث والأثر، قم: اسماييليان، الطبعة الرابعة.
٣. ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، (١٣٦٣ش)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.
٤. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. (١٤٠٧هـ). العقد الفريد. بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون. الطبعة الثانية.
٥. اسكندري، محمد حسين، ودارابكلاي، إسماعيل. (١٣٨٣ش). بحث في موضوع القدرة. قم: مؤسسة البحوث التابعة للحوزة والجامعة.
٦. تقوي دامغاني، سيد رضا. (١٣٧٩ش). نظرة على الإدارة الإسلامية. طهران: شركة چاپ و نشر بين الملل، بالتعاون مع سازمان تبليغات اسلامي. الطبعة الأولى.
٧. جعفري، قاسم. (١٣٨٨ش). الأسس الفقهية لرقابة المواطنين على الحكام (مع التركيز على نظرية الإمام الخميني). طهران: مركز أبحاث الإمام الخميني والثورة الإسلامية. الطبعة الأولى.
٨. العسكري، أبو هلال. (١٤٠٨هـ). الأوائل لأبي هلال الأوائل. طنطا: دار البشير. الطبعة الأولى.
٩. فايول، هنري. (١٣٣٧ش). أصول فن الإدارة. ترجمة هادي هدايتي. تهران: مؤسسة العلوم الإدارية، كلية الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية.

١٠. فقيهي، علي نقی. (١٣٨٧ ش). التربية الجنسية: المباني، الأصول، والمناهج من منظور القرآن والحديث. قم: مؤسسة علمية ثقافية دار الحديث، سازمان چاپ و نشر.
١١. قرشي، باقر شريف. (بدون تاريخ). موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). قم: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية.
١٢. قلقشندي، أحمد بن علي. صبح الأعشى. (بدون تاريخ). بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.
١٣. كريمي محمود، آل على مهنار، أساليب المراقبة الاجتماعية الفعالة وأسسها في نهج البلاغة (١٣٩٧ ش)، السنة ٩، العدد ٢، السلسلة ٣٤، ربيع ٢٠١٧، ص ٤٥-٦٤.
١٤. كليني، محمد بن يعقوب. (١٤٠٧ ق). الكافي. تهران: دار الكتب الإسلامية. الطبعة الرابعة.
١٥. مجلسي محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (بدون تاريخ)، بيروت: دار أحياء التراث العربي.
١٦. محمدي ري شهري، محمد. (١٣٨٩ ش). موسوعة أمير المؤمنين (عليه السلام) على أساس القرآن، الحديث، والتاريخ. قم: مؤسسة علمية ثقافية دار الحديث، سازمان چاپ و نشر. الطبعة الثالثة.
١٧. محمدي ري شهري، محمد. (١٤٢٦ ق). جواهر الحكمة للشباب. قم: مؤسسة علمية ثقافية دار الحديث، سازمان چاپ و نشر. الطبعة الأولى.
١٨. منتظري، حسينعلي. (١٣٦٧ ش). مباني فقهية للحكومة الإسلامية. تهران: كيهان. الطبعة الأولى.

١٩. نبوي، محمد حسين. (١٣٧٧ ش). الإدارة الإسلامية. قم: مركز نشر دفتر تبليغات اسلامى. الطبعة الرابعة.
٢٠. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله. (١٩٩٥ م). معجم البلدان. بيروت: دار صادر. الطبعة الثانية.
٢١. يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح. (بدون تاريخ). تاريخ يعقوبي. بيروت: دار صادر.



**انعكاسات التآسي**

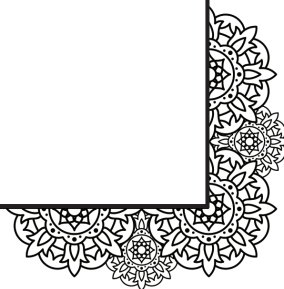
**بسيد الأوصياء وسيدة النساء عليهما السلام**

**في المنمنمات الشيعية**

الباحثة

مرضية علي پور

دكتوراه في التاريخ المقارن التحليلي للفن الإسلامي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

تعدّ لفظة «الأسوة» من الألفاظ القرآنية المباركة، وتكون بمعنى القدوة والمثل الأعلى للتشبه به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب ٣١). بشكل عام، فإنّ الأنبياء وأهل بيت الرسول الخاتم ﷺ، يعدّون قدوات كاملة قد نصبها الله جلّ جلاله، لتكون منارات يهتدي بها الناس. إنّ لفظة القدوة أو الأسوة تطلق على شخص يتحلّى بالسمات المتميّزة والخصائص الفريدة، حيث يستقطب اهتمام الآخرين، ويجعلهم يقتدون به ويسلكون سبيله ويذهبون مذهبهم. في الحقيقة التي لا مرأى فيها، إنّ النمذجة أو المحاكاة أو التعلم بالملاحظة، يعدّ من الميزات الطبيعية والفطرية الكامنة في ذوات الناس؛ ومرجع ذلك أنّ الإنسان ما يزال يسعى إلى البحث عن السعادة والكمال. فلمّا كان الإنسان قد خلُق بفطرة باحثة عن الله تعالى والخلود، فلا يزال يشعر بالنقص والدونية، فيتعطش إلى الوصول إلى الكمال الغائي، لدرجة أنّه لا يشعر بالسكينة والهدوء إلّا بعد أن يصل إلى غايته المنشودة.

جدير بالذكر أنّ تطور شخصية الإنسان يكمن في أسوة يختارها، ويحاول أن يمثّلها. زدّ على ذلك أنّ مدى سموّ غاية الإنسان وجلالة الهدف الذي يتبعه في مسار حياته، يتحدد من قدواته ونماذجه. بتعبير آخر، كلّما كانت قدوات الإنسان ذات شأنٍ عالٍ ومحمود، وحظيت بأعظم درجة في عبودية الله تعالى، تضاعفت قيمة شخصيته. بعبارة أدقّ، إنّ الناس يتأثرون بعضهم ببعض، وخاصة عندما يختار الإنسان شخصاً ما قائده وأسوته بشكل واع ودقيق. من جانب آخر، لمّا كانت الحياة البشرية محفوفة بألوان الآلام وأصناف الشدائد، كما يقول

الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾<sup>(١)</sup>، فتقديم أسوة ناجحة قد تغلبت على المشاكل والصعوبات في مسار الحياة، وسلك طريق السعادة والفلاح، يمكن أن يمنح الإنسان السكينة والوقار، ويعزز روح السعي والمثابرة فيه.

لا يفوتنا هنا أنّ الإنسان لا يستطيع أن يسلك طريق التربية الصحيحة بنجاح وأن يتحوّل إلى إنسان كامل على وجه الأرض، دون اختيار أسوة حسنة وقدوة طيبة لنفسه. فيقول الإمام علي (عليه السلام): (ومن كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وكان عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها قوله: «أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ حَنِيفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدِيَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ؛ وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وَعَيْنُهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضُمُهُ مِنْ هَذَا الْمُقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطَيْبِ [وَجْهِهِ] وَجْوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>).

من اللافت أنّ القرآن الكريم يصف الرسول الخاتم بأنّه أسوة حسنة، وقدوة طيبة للأنام بأسرهم. يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

زدّ على ذلك، أنّ الأئمة المعصومين يعدّون من المصاديق الكاملة للأسوة الحسنة والقدوة الطيبة للناس أيضاً. فعن أبي جعفر في قوله تعالى: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا»، قال: هم الأئمة ومن اتبعهم<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البلد: الآية: ٤.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة: ٤٥.

(٣) سورة الأحزاب: الآية: ٢١.

(٤) العروسي الحويزي، ١٤١٥ ق، ج ١، ص ٣٥٣.

نظراً إلى أن أئمة الشيعة يتحلّون بالعصمة، ولا يقترفون المعاصي ولا يرتكبون الخطايا، فتكون أقوالهم وأفعالهم حجّة على غيرهم، ويعدّون أسوة حسنة وقدوة كاملة للناس كافّة. مضافاً إلى ذلك، أنه توجد هناك العديد من الروايات التي تنصّ على كون الأئمة أسوة صالحة وقدوة طيبة للآخرين<sup>(١)</sup>.

على كلّ حال، فإنّ أهل البيت (عليهم السلام) بإمكانهم أن يكونوا أسوة حسنة للناس بأسرهم؛ ولكن يستفاد من بعض الروايات أنّ بعض المعصومين قد كانوا أسوة لبعضهم الآخر. فمثلاً إنّ الإمام المنتظر المهدي يقتدي بجده فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ويجعلها أسوة حسنة في كلّ أموره وشؤونه، فهو يقول في أحد توقيعاته الشريفة: «وفي ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لي أسوة حسنة»<sup>(٢)</sup>، أو يقول الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): «نحن حجّة الله على خلقه، وجدّنا فاطمة حجّة الله علينا»<sup>(٣)</sup>.

مهما يكن من شيء، فإنّ فنّ تصوير الكتب بالمضامين الشيعية، كان وما يزال متأثراً بالأفكار والآراء المذهبية للفنانين ومشجعيهم في الفترات التاريخية المختلفة، ويرسم الروايات المتعلقة بالرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الكرام (عليهم السلام). دون شك، إنّ موقف الفنانين من هذه المضامين المذهبية، قد أدّى إلى ظهور تجلّيات خاصة من الحيل والطرق التمثيلية والإشارية والتجريدية في مسار السرد مقارنة بالموضوعات الأخرى في فنّ الرسم والمنمنمة حتى يتمكنوا من الكشف عن المضامين الشيعية باللغة البصرية في لوحاتهم التصويرية. في الحقيقة التي لا مراء فيها، إنّ ما يمنح المنمنمة الإيرانية درجة عالية من الكمال الفني والتقني، علاوة على مضمونها وفحواها ونظامها الجمالي الخاص، هو وجهها الرمزي. فإنّ الرمزية التي تعدّ من أسس الجمالية ومبادئها للفنّ الإيراني في جميع العصور والأزمنة، استمرت بعد

(١) المجلسي، ١٤٠٣ ق، ج ٤٨، ص ٢٦١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٣، ص ١٨٠.

(٣) الطبرسي، ١٩٩٥ م، ج ١٣، ص ٢٣٦.

بزوغ شمس الإسلام، على أساس التعاليم الدينية والمذهبية وتجنباً للمذهب الانطباعي. من اللافت أنّ الأدب القومي والديني الثري في إيران وفر أرضية خصبة لديمومتها وتطورها. ولذا كان الرسام المذهبي يحرص دوماً على سرد الإيمان والمذهب في لوحاته التصويرية، فقد انعكست هذه العلاقة الوطيدة بطرق وأساليب شتى في الحقب الزمنية المختلفة. فأحياناً تكون على هيئة الرمز، والتمثيل، والإشارة، والصور التجريدية، وأحياناً أخرى تكون في غاية البساطة والصرامة. ولكن لما كانت الغاية المنشودة من رسم مثل هذه اللوحات التصويرية قد كانت كامنة في كشف الستار عن العلاقة بين العالم العلوي والعالم السفلي، فإنّ تلاحم المعتقدات والتقاليد والعادات الماضية والظروف والملابس الثقافية والاجتماعية، قد هيأت أرضية خاصة لتحليل الرسوم والمنمنمات ودراستها.

مهما يكن من شيء، فتسعى هذه الدراسة من خلال المنهج الوصفي-التحليلي، وبالاعتماد على المقاربة الرمزية، أن تلقي الضوء على المنمنمات التي ترسم صورة فنية من كون الإمام علي وحضرة فاطمة الزهراء أسوة حسنة للمؤمنين، وتهدف إلى تطبيق هذه المنمنمات على الآيات القرآنية الكريمة والروايات الشريفة، كما تحاول أن تتوقف عند المكونات البصرية والرمزية المتواجدة في المنمنمات المدروسة، حتى تتبين المقومات الرئيسة للروايات الشيعية فيها.

### علي (عليه السلام) بصفته أسوة حسنة:

إنّ أمير المؤمنين، علياً (عليه السلام) مظهر من مظاهر القيم الدينية والإسلامية. فهو يقع في ذروة العرفان والتصوف والعبادة والسلوك، حيث لا نعدو الصواب إذا قلنا إنّ الكمالات كلّها قد اجتمعت في ذاته المقدسة، وجعلته يتحول إلى نموذج بشري راقٍ يمثل الكمال البشري في الحياة الدنيا. فإنّ علياً (عليه السلام) بعد رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله) يعدّ أسوة ومنارة للمؤمنين، حيث إنّ الاقتداء به يؤدي إلى وصول الأمة الإسلامية إلى سبيل الرشاد والكمال، وإنّ التأسّي به

يتسبب في تقدّم الإنسان وتطوّر شخصيته؛ وفي الوقت نفسه، إنّ عصيانه وطغيانه ينتهي إلى ضلالة الإنسان والقضاء عليه.

يقول رسول الله ﷺ لعَمَّارِ حِيَالِ سيرة علي بن أبي طالب: «يا عَمَّارُ تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، وَأَنْتَ إِذْ ذَاكَ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقِّ مَعَكَ يَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ. إِنْ رَأَيْتَ عَلِيًّا قَدْ سَلَكَ وَادِيًّا وَسَلَكَ النَّاسُ وَادِيًّا غَيْرَهُ، فَاسْلُكْ مَعَ عَلِيٍّ، فَإِنَّهُ لَنْ يَدْلِكَ فِي رَدًى وَلَنْ يَخْرُجَكَ مِنْ هُدًى»<sup>(١)</sup>. زُدْ عَلَى ذَلِكَ، لَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: (أَلَا إِنَّكَ الْمُبْتَلَى وَالْمُبْتَلَى بِكَ، أَمَّا إِنَّكَ الْهَادِيَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ، وَمَنْ خَالَفَ طَرِيقَتَكَ ضَلَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)<sup>(٢)</sup>.

### فاطمة الزهراء (عليها السلام) بصفتها أسوة حسنة:

تكون لفظة السيدة مؤنثة للفظة السيد، وتكون بمعنى الشريفة والفاضلة والكبيرة والحكيمة وما شاكل ذلك. تدعى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، فهي -وفقاً للآيات الكريمة والروايات الشريفة- أسوة صالحة وقدوة طيبة ومنارة مشرقة لجميع النسوة في جميع أرجاء العالم. أما في الأديان السماوية الأخرى، فتوجد هناك نسوة كاملات، قد أضفى القرآن الكريم طابعاً مقدساً عليهنّ، بما في ذلك يمكن الإشارة إلى آسية زوجة فرعون ومريم بنت عمران (عليهما السلام). يقول الله جلال جلاله: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الخطيب البغدادي، د.ت، ج ١٣، ص ١٨٨.

(٢) الطوسي، ١٤١٤ق، ج ١، ص ٤٧٩.

(٣) سورة التحريم: الآيتان: ١١-١٢.

إنَّ الدين الإسلامي يصف فاطمة الزهراء بأنَّها ينبوع الخير الكثير (الكوثر)، ويعدها من جملة الأبرار والصالحين. زد على ذلك أنَّ آيات التطهير، والمباهلة، والمودة، أيضاً تعبر عن تفوقها على نساء العالم. كانت فاطمة الزهراء أحبَّ الناس إلى الرسول الخاتم، وكانت تتحلَّى بالخصال الحميدة المتميزة والفضائل النبيلة الفريدة. عندما نراجع النصوص الحديثية الشيعية، نلاحظ أنَّ سيدتنا قد اتَّسمت بهذه الميزات الفريدة في حوالي أكثر من ٥٠ رواية وحديثاً نبوياً، نحو كونها سيدة نساء العالمين، سيدة نساء أهل الجنة، سيدة نساء يوم القيامة، سيدة نساء المؤمنين، سيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء الأولين والآخرين. فقال رسول الله: «أما ابنتي فاطمة، فإنَّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»<sup>(١)</sup>. وروى زكريَّا بن أبي زائد، عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «وَهُوَ فِي مَرْضِهِ الَّذِي تُؤَيِّي فِيهِ: «يَا فَاطِمَةُ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟»<sup>(٢)</sup>، وقال نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أما إمَّا سَيِّدَةُ النَّسَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>، كما روى عن أنس عن النبيِّ كما روي وَسَلَّمَ عَلَى قَالَ ﷺ قال: «ثُمَّ فَتَقَّ نُورَ ابْنَتِي فَخَلَقَ مِنْهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَالسَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنْ نُورِ ابْنَتِي فَاطِمَةَ وَنُورُ ابْنَتِي فَاطِمَةَ مِنْ نُورِ اللَّهِ وَابْنَتِي فَاطِمَةُ أَفْضَلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>(٤)</sup>، و«روى ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ عُرْجِ بِي إِلَى السَّمَاءِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوباً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ، الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ صَفْوَةُ اللَّهِ، فَاطِمَةُ أُمَّةُ اللَّهِ، عَلَى بَاغِضِيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ»<sup>(٥)</sup>. وروى «جعفر بن محمد بن مسرور عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ: «أَنَا وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَتِسْعَةُ

(١) المجلسي، ١٤٠٣ق، ج ٤٣، ص ٢٤٠.

(٢) الحاكم، ١٩٩٠م، ج ٣، ص ١٧٠، ٤٧٤٠.

(٣) الأصفهاني، ١٩٧٤م، ج ٢، ص ٤٢.

(٤) المجلسي، ١٤٠٣ق، ج ١٥، ص ١٠.

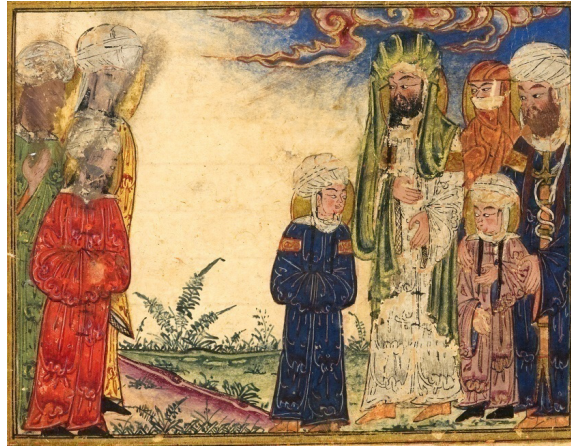
(٥) الصدوق، ١٤٣٠ق، ص ٣٥٥.

مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ حَجَّجَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، أَعْدَاؤُنَا أَعْدَاءُ اللَّهِ، وَأَوْلِيَاؤُنَا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>، وَ«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ الْحُسَيْنُ شَخْصاً لَكَانَ فَاطِمَةً، بَلْ هِيَ أَعْظَمُ. إِنَّ فَاطِمَةَ ٱبْنَتِي خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ عُنْصُراً وَشَرْفاً وَكَرَمًا»<sup>(٢)</sup>.

عندما نرجع إلى الأحاديث النبوية، نشهد أن الرسول الخاتم يُعَلِّي من شأن فاطمة الزهراء، ويثني على منزلتها الكبيرة ومكانتها المرموقة بين نساء العالم؛ الأمر الذي يدفعنا إلى أن نعترف بأنّها تعدّ أسوة صالحة وقدوة طيبة لجميع الناس في المعمورة، حيث يتعين عليهم كلّهم أن يتأسوا بها ويسلكوا سبيلها. وبالجملة، يمكن أن نقول إنّ فاطمة الزهراء هي مصدر جميع الخيرات والفلاح والهداية والرشاد في العالم.

إطالة تأملية على المنمنمات ذات موضوع كون علي وفاطمة الزهراء هما سيد الأوصياء وسيدة النساء.

#### منمنمة المباهلة



(صورة الرقم ١)

منمنمة المباهلة، نسخة من الآثار الباقية، أوائل القرن الثامن للهجرة / مكتبة جامعة إدينبورغ

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٢) الجويني الخراساني، د.ت، ج ٢، ص ٦٨.

إنَّ من أهم المصادر المؤثرة في رسم موضوع المباهلة، يمكن الإشارة إلى الروايات السنية والشيعية، وكذلك الآية ٦١ من سورة آل عمران. إنَّ آية المباهلة الشريفة، علاوة على أنَّها تدلُّ بوضوح على نبوة الرسول الخاتم، تصرح بأفضلية أهل البيت ومكانتهم الفريدة، لدرجة أنَّهم رافقوا الرسول في يوم المباهلة.

«فيه في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة حديث طويل، وفيه قالت العلماء، فأخبرنا هل فسّر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب، فقال الرضا (عليه السلام) فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً، فأول ذلك قوله عزّ وجلّ إلى أن قال.. وأما الثالثة حين ميّز الله الطاهرين من خلقه، فأمر نبيه (صلى الله عليه وآله) بالمباهلة بهم في آية الابتهاال، فقال عزّ وجلّ: يا محمد ﴿مَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، فأبرز النبي (صلى الله عليه وآله) عليّاً والحسن والحسين وفاطمة، صلوات الله عليهم، وقرن أنفسهم بنفسه، فهل تدرون ما معنى قوله: «وأنفسنا وأنفسكم»، قالت العلماء عني به نفسه، قال أبو الحسن (عليه السلام) غلطتم إنَّما عني به علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومما يدل على ذلك قول النبي (صلى الله عليه وآله)، حين قال: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفي عني علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وعني بالأبناء الحسن والحسين؛ وعني بالنساء فاطمة (عليها السلام)، فهذه خصوصية لا يتقدّمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه خلق، إذ جعل نفس علي كنفسه»<sup>(١)</sup>.

قال المأمون يوماً للرضا: أخبرني بأكبر فضيلة لأمر المؤمنين يدلُّ عليها القرآن، قال: فقال الرضا: فضيلة في المباهلة؛ قال الله جلّ جلاله: «فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحسن والحسين فكانا ابنيه، ودعا

(١) العروسي الحويزي، ١٤١٥ق، ج ١، ص ٣٤٩.

فاطمة فكانت في هذا الموضع نساء، ودعا أمير المؤمنين فكان نفسه بحكم الله عز وجل، وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أجل من رسول الله وأفضل، فواجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله بحكم الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

زد على ذلك، أن آية المباهلة تدل كل الدلالة على عصمة فاطمة الزهراء وصديقيتها. لا يفوتنا أن هذه الآية الكريمة لا تصف فاطمة الزهراء بأنها من إحدى نساءنا، بل المراد بلفظة «نساءنا» في الآية هو فاطمة الزهراء، لأنه لم تحضر المباهلة غيرها من النساء<sup>(٢)</sup>.

وفقاً للمصادر التاريخية، إن الرسول الخاتم في يوم المباهلة وقف عند الكتيب الأحمر، وقرأ آية المباهلة في شأن أهل البيت<sup>(٣)</sup>. فعندما رفع الرسول يديه إلى السماء ودعا النصارى إلى المباهلة، ففي هذه الأثناء، قال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إنى لأرى وجوهاً لو سألو الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصارى إلى يوم القيامة، فرفضوا المباهلة وأرادوا صلحاً يدفعون بموجبه جزية<sup>(٤)</sup>؛ ومرجع ذلك أن نصارى نجران كانوا يعتقدون بنبوة الرسول الخاتم، فكانوا يؤمنون باستجابة دعائه في الحضرة الإلهية، فكانوا يرون هلاكهم نصب أعينهم؛ إذن عندما شاهدوا أن الرسول يصطحبه أهل بيته في يوم المباهلة، انصرفوا عن المباهلة ودعوه إلى الصلح. بتعبير آخر، إنهم أدركوا أن الرسول لو كان غير صادق في ادّعائه، لم يعرض فلذات كبده لخطر القضاء، وما كان يجلب أهل بيته إلى ميدان المباهلة حتى يموتوا تحت لعنة الله عز وجل، فاستنتجوا أن إتيانهم إلى ميدان المباهلة يدل دلالة واضحة على صدق ادّعاء الرسول وعدم تردده في القضاء على الطرف الآخر في ذلك اليوم العظيم<sup>(٥)</sup>.

(١) المجلسي، ١٤٠٣ق، ج ٣٥، ص ٢٥٧.

(٢) بشوي، ١٣٨٦ق.

(٣) الزمخشري، د.ت، ص ٣٦٩.

(٤) ماسينيون، ١٣٧٨، ص ٨٤-٨٥.

(٥) الرازي، ١٤٠٨هـ، ج ٤، ص ٣٦١.

مهما يكن من شيء، ففي هذه المنمنمة أعلاه، إنّ الرسول قد ارتدى ثوباً أبيض وعمامة بيضاء وعباءة خضراء، وإنّ علي بن أبي طالب قد رُسم أيضاً، وذو الفقار في يده. زد على ذلك، أنّ السيدة فاطمة الزهراء وقفت خلف نبينا، وهي مرتدية قناعاً برتقالياً. (من اللافت أنّ هذه المنمنمة من أقدم المنمنمات التي قد رسمت النساء بالحجاب الكامل). إضافة إلى ذلك، إنّ طفلاً قد وقف أمام علي بن أبي طالب، وهو مرتدّ ثوباً وردياً، كما إنّ هناك طفلاً آخر قد وقف أمامه أيضاً، وقد ارتدى ثوباً بحرياً. فإنّ هذا الطفل الأخير الذي يكون أكبر من الطفل السابق، هو الإمام الحسن المجتبي. من اللافت أنّ الرسام عمل على إظهار المكانة المتساوية للطفلين عند الرسول، قد رسمهما في طرفي الرسول الخاتم.

في هذه المنمنمة، قد أحاطت هالة من النور والضياء بجميع الأشخاص المتواجدين فيها. فإنّ هذه الميزة متأثرة بأسلوب الرسم السائد في تلك الحقبة الزمنية، والذي كان يحرص على رسم هالة من النور لجميع الأفراد، سواء أكانوا مقدسين أم لا. لكن، علاوة على هالة قد أحاطت بوجه الرسول، فقد رُسم كساء يعكس مكانته المرموقة في العالم الإسلامي. من المحتمل جداً أنّ اختيار اللون الأخضر للرسول يظهر عصمته وطهارته. زد على ذلك، أنّ السماء الزرقاء الداكنة مع السحب الحلقيه الذهبية قد ظلّلت على أهل الكساء، مما ينم عن الرحمة الإلهية التي قد ظهرت بسبب حضور أهل بيت الرسول.

في هذه المنمنمة التي قد رسمت استلهاماً من آية المباهلة المباركة، قد انعكست مكانة الإمام علي بوصفه سيد الأوصياء، وكذلك مكانة فاطمة الزهراء بوصفها سيدة النساء.

منمنمة المعراج



(صورة الرقم ٢)

منمنمة المعراج، العهد القاجاري

من أهم المضامين التي قد صارت محط اهتمام الرسامين في مجال الفن الإسلامي، هو مضمون المعراج. إن واقعة المعراج تحظى بأهمية فائقة في الدين الإسلامي، لدرجة أن البعض يرى أن الاعتقاد بواقعة المعراج هو من ضروريات الدين وواجباته. فـ«جميع ما جاء به نبينا ﷺ، هو الحق المبين الذي لا مرية فيه، ومن أنكر شيئاً منه بعد إقراره بأنه مما جاء به فقد كفر»<sup>(١)</sup>، «حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَطَّانُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: لَيْسَ مِنْ شِيعَتِنَا مَنْ أَنْكَرَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ: الْمَعْرَاجَ وَالْمُسَاءَلَةَ فِي الْقَبْرِ وَخَلْقَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالشَّفَاعَةَ»<sup>(٢)</sup>، و«حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّالْقَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَضَّالٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا أَنَّهُ قَالَ: مَنْ كَذَّبَ بِالْمَعْرَاجِ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولَ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

إن الآيات التي تتحدث عن حادثة المعراج، تتوزع على قسمين: الأول يتضمن الآية الأولى من سورة الإسراء، والتي تسرد رحلة الرسول من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والثاني يشمل آيات ١٣-١٨ من سورة النجم المباركة، والتي تتحدث عن العروج بالرسول من المسجد الأقصى إلى السماوات السبع انتهاء بسدرة المنتهى وقاب قوسين<sup>(٤)</sup>.

لقد روي في تفسير النعماني بإسناده الذي سيأتي في كتاب القرآن عن الصادق، قال: قال أمير المؤمنين: وأما الردّ على من أنكر المعراج، فقله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، إلى قوله: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾، فسدرة المنتهى في السماء السابعة، ثم قال سبحانه: (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)، وإنما أمر تعالى رسوله أن يسأل الرسل

(١) الفيض الكاشاني، ١٤١٧ق، ص ٢٢٩.

(٢) الصدوق، د.ت، ج ١، ص ٥٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مكارم شيرازي، ١٣٧٤، ج ١٢، ص ٢٥.

في السماء، ومثله قوله: فإن كنت في شكّ مما أنزلنا إليك فأسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، يعني الأنبياء هذا كله في ليلة المعراج<sup>(١)</sup>.

في هذه الليلة المباركة، أسرى الرسول على البراق من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، وعند وصوله، ربطه الرسول بالحائط، ثم صعد بصحبة جبريل إلى السماوات السبع. فلما انتهى به إلى سدرة المنتهى، تخلف عنه جبرئيل، فقال رسول الله ﷺ: في هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدّم أمامك. فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك. فرأيت من نور ربّي، وحال بيني وبينه السبحة<sup>(٢)</sup>.

في هذه المنمنمة أعلاه، يعرج الرسول الخاتم إلى السماوات السبع، بصحبة الملائكة الذين قد أحدقوا به، وقد امتطى البراق، وهو مرتدّ قناعاً على وجهه مع هالة من النور حوله. إنّ المكون البصري الوحيد الأكثر رمزية في هذه المنمنمة، هو حضور أسد في السماء وتقديم خاتم إليه من قبل الرسول. فإنّ الأسد في هذه المنمنمة، يرمز إلى علي بن أبي طالب الذي يأخذ خاتم الإمامة والولاية من الرسول كهدية. يبدو أنّ رسم هذا الأسد بين جماعة من الملائكة يعكس أنّ الله تعالى فوق الحجب الدنيوية يسأل الرسول عن حبيبه علي بن أبي طالب.

قال «عمار بن ياسر: قال رسول الله: ليلة أسري بي إلى السماء وصرت كقاب قوسين أو أدنى، أوحى الله عزّ وجلّ إليّ: يا محمد من أحبّ خلقي إليك؟ قلت: يا ربّ أنت أعلم. فقال عزّ وجلّ: أنا أعلم؛ ولكن أريد أن أسمع من فيك. قلت: ابن عمّي علي بن أبي طالب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليّ: أن التفت، فالتفت فإذا بعلي واقف معي، وقد خرقت حجب السماوات، وقد أوقف رأسه يسمع ما يقول، فخررت لله تعالى ساجداً»<sup>(٣)</sup>.

(١) المجلسي، ١٤٠٣، ج ١٨، ص ٢٩١-٢٩٢.

(٢) الطباطبائي، د.ت، ج ١٩، ص ٣٥.

(٣) الحلي، ١٩٥١م، ص ١٠٧.

فقال رسول الله ﷺ: يا سلمان، فلما أسري بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى، تخلف عني جبرئيل، فعرجت إلى عرش ربي، فبينما يناجيني الله تعالى، وأنا أناجيه وإذا أنا بأسد واقف قدامي. فنظرت وإذا هو علي بن أبي طالب، ولما رجعت إلى الأرض، دخل عليّ عليّ وسلّم عليّ وهنّاني بمواهب ربّي وعناياته لي، ثم جعل يخبرني بجميع ما جرى بيني وبين ربّي من الكلام»<sup>(١)</sup>.

وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليّ ليلة أسري بي: يا محمد، من خلّفت في الأرض في أمتك -وهو أعلم بذلك-؟ قلت: يا ربّ، أخي. قال: يا محمد، علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم، يا ربّ. قال: يا محمد إنّني أطّلت إلى الأرض اطلاعة، فاخترتك منها، فلا أذكر حتى تذكر معي، وشققت لك اسماً من اسمي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم أطّلت إلى الأرض اطلاعة أخرى، فاخترت منها عليّ بن أبي طالب، فجعلته وصيّك، فأنت سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء، ثم شققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى، وهو عليّ<sup>(٢)</sup>.

وأما بالنسبة إلى تقديم الخاتم إلى الأسد من قبل الرسول الخاتم، فيمكن أن نقول إنّ ذلك ينمّ عن أنّ اختيار علي بن أبي طالب خليفة للرسول، كان أمراً إلهياً. فقال رسول الله: «يا أخي، تقبل وصيّتي وتنجز عِدتي وتَقْضِي عَنِّي دِينِي وتَقُومُ بأمر أهلي من بعدي؟» قال: نعم يا رسول الله. فقال له: «أَدْنُ مِنِّي»، فدنا منه فضَمَّهُ إليه، ثم نَزَعَ خاتمَهُ من يده فقال له: «خُذْ هَذَا فَضَعُهُ فِي يَدِكَ»، ودعا بسيفه ودرّعه وجميع لأمتِه فدفع ذلك إليه، والتَمَسَ عِصَابَةً كان يَشُدُّهَا عَلَى بَطْنِهِ إِذَا لَبَسَ سِلَاحَهُ وَخَرَجَ إِلَى الْحَرْبِ، فَجِئَ بِهَا إِلَيْهِ فَدَفَعَهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ لَهُ: اِمْضِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ إِلَى مَنْزِلِكَ.<sup>(٣)</sup>

(١) المستنبط، د.ت، ج ١، ص ١٩٠. أقول هي من الروايات الضعيفة التي لم يثبت مستندها من القدماء، والباحثة ليست من أهل التخصص فأخذتها من هذا المصدر المعاصر، وتسلمتها تسلم المسلمات. الشؤون الفكرية والثقافية.

(٢) النعماني، ١٤٢٢ق، ص ٩٥.

(٣) المفيد، ١٤١٣ق، ص ١٣١.

زد على ذلك، أنّ مشهد منح الخاتم للأسد يمكن أن يكون دلالة على رواية الشيخ المفيد، تصرّح بأنّ الرسول في الأيام الأخيرة<sup>(١)</sup> من حياته الكريمة، اختار عليّ بن أبي طالب ولياً للمؤمنين. قد روي «عن ابن عباس، قال سمعت رسول الله يقول: أعطاني الله -جلّ جلاله- خمساً وأعطى عليّاً خمساً: أعطاني جوامع الكلم وأعطى عليّاً جوامع العلم، وجعلني نبياً وجعله وصيّاً، وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام، وأسرى بي إليه وفتح له أبواب السماء والحجب حتّى نظر إليّ ونظرت إليه، وأعطاني الكوثر وأعطاه السلسيل. قال ابن عبّاس: ثمّ بكى رسول الله ﷺ، فقلت: ما يبكيك فداك أبي وأُمّي؟! قال: يا ابن عبّاس! إنّ أوّل ما كلّمني به ربّي أن قال: يا محمّد! أنظر تحتك. فنظرت إلى الحجب قد انخرقت، وإلى أبواب السماء قد انفتحت، ونظرت إلى عليّ وهو رافع رأسه إليّ، فكّلمني وكلمته وكّلمني ربّي. فقلت: يا رسول الله! بِمَ كلّمك ربّك؟ قال: قال لي: يا محمّد! إنّني جعلت عليّاً وصيّك ووزيرك وخليفتك من بعدك فاعلمه بها فيها هو يسمع كلامك، فأعلمته وأنا بين يدي ربّي -عزّ وجلّ-، فقال: قد قبلت ذلك وأطعت»<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذه الرواية، رغم أنّها تكون صحيحة، إلّا أنّ إعطاء خاتم الولاية والإمامة لعلي بن أبي طالب، يعود إلى ليلة المعراج، حيث قال الله عزّ وجلّ: أعلن خلافة علي بن أبي طالب الآن، فقبل علي.

زد على ذلك، أنّ من أسباب تجسيد علي بن أبي طالب على هيئة الأسد، هو إيراد ألقاب نحو حيدر وأسد الله له ﷺ في الروايات المختلفة.

قد علمت خبير أنّي مرحب شاكي السلاح بطل مجرب، فقال علي: أنا الذي سمتني أمي حيدرة. أكيلهم بالسيف كيل السندره كليت بغاباتٍ شديد قسوره. فاختلفا ضربتين

(١) اختار نبينا الأكرم ﷺ عليّاً خليفة ووليا في أوّل أمر الإسلام وحديث الدار يقره كل المسلمين، وغريب من الباحثة هذا القول. الشؤون الفكرية.

(٢) الحلي، ١٩٥١م، ص ١٠٨.

فبدره عليّ فضربه فقدّ الحجفة والمغفر ورأسه حتى وقع في الأرض وأخذ المدينة (ابن الأثير، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٢٢٠). روى حديثاً في معراج سيد الأنام خاتم المرسلين، وفيه سمى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بأسد الله الغالب (المرعشي، ١٤٠٩ق، ج ٤، ص ٢٧٩). في هذه المنمنمة، قد رسم علي بن أبي طالب في مكان أعلى بالنسبة إلى الرسول، مما يمكن أن يعود إلى أنّ الرسول رأى شخصاً يماثل علي بن أبي طالب في السماوات السبع، فظنّ أنّه هو عليّ.

«عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما أسري بي إلى السماء ما مررت بملاً من الملائكة إلا سألتني عن علي بن أبي طالب حتى ظننت أنّ اسم علي أشهر في السماء من اسمي، فلما بلغت السماء الرابعة، فنظرت إلى ملك الموت (عليه السلام) (فقال لي) محمد ما فعل علي؟ قلت يا حبيبي ومن أين تعرف عليّاً؟ قال: يا محمد، وما خلق الله تعالى خلقاً إلا وأنا أقبض روحه بيدي ما خلا أنت وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فإنّ الله جلّ جلاله يقبض أرواحكم بقدرته، فلما صرت تحت العرش، نظرت إذا أنا بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) واقف تحت عرش ربي فقلت: يا علي سبقتني؟ فقال لي جبرئيل: يا محمد (من الذي تكلمه؟) قلت: هذا أخي علي بن أبي طالب. فقال لي: يا محمد ليس هذا عليّاً بنفسه، ولكنه ملك من الملائكة، خلقه الله تعالى على صورة علي بن أبي طالب (عليه السلام). فنحن الملائكة المقربون كلّما اشتقنا إلى وجه علي بن أبي طالب (عليه السلام). زرنا هذا الملك لكرامة علي بن أبي طالب على الله سبحانه وتعالى ونستغفر الله لشيئته» (ابن شاذان، ١٤٠٧ق، ص ٣٣).

في هذه المنمنمة، علاوة على عرض موضوع اختيار علي بن أبي طالب خليفة الرسول في ليلة المعراج، قد تمت الإشارة إلى اختياره زوجاً لفاطمة الزهراء بأمر الله تعالى في تلك الليلة المباركة. في هذه الصورة، إنّ علي بن أبي طالب بهالة من النور على وجهه يقع في الجانب الأيمن من المنمنمة وذو الفقار في يده اليمنى، وإنّ فاطمة الزهراء بهالة من النور

على وجهها تقع في الجانب الأيسر من المنمنمة وخلف الرسول، في سدره المنتهى وتحت العرش الإلهي، مما يدل بوضوح على تساويهما وكفاءتهما.

قال الشيخ الكليني: «عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَاءِ عَنِ الْحَيَّرِيِّ عَنْ يُونُسَ بْنِ زُبَيَّانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِفَاطِمَةَ مَا كَانَ لَهَا كُفُوٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ آدَمَ وَمَنْ دُونَهُ» (الكليني، ١٤٠٧ق، ج ١، ص ٤٦١).

تحتل السيدة فاطمة الزهراء بمكانة عالية، لدرجة أنَّ الإمام الصادق يعتقد أنَّ فاطمة الزهراء تساوي علي بن أبي طالب الذي كان أفضل المخلوقات الإلهية بعد الرسول.

من المحتمل أنَّ الرسام، من أجل التعبير عن التساوي بينهما، قد لجأ إلى لون واحد لرسم عباءة فاطمة الزهراء وكذلك عباءة علي بن أبي طالب. في هذه المنمنمة، قد رسم العرش الإلهي على هيئة سرير لله جل جلاله.

### يبدو أن هذه المنمنمة قد رسمت على أساس الرواية الآتية:

روي عن جابر بن عبد الله، قال: لما زوج رسول الله ﷺ فاطمة من علي عليه السلام، أتاه أناس من قريش، فقالوا إِنَّكَ زَوَّجْتَ عَلِيًّا عليه السلام بمهر خسيس! فقال: ما أنا زوجت عليًّا عليه السلام؛ ولكن الله عزَّ وجلَّ زَوَّجَهُ. ليلة أُسْرِى بِي عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى السِّدْرَةِ أَنْ أَنْثِرِي مَا عَلَيْكَ؛ فَنَثَرْتُ الدَّرَّ وَالْجَوْهَرَ وَالْمَرْجَانَ، فَابْتَدَرَتِ الْخُورُ الْعَيْنُ فَالْتَقَطْنَ، فَهَنَّ يَتِهَادِينَهُ وَيَتَفَاخِرْنَ وَيَقْلَنَ: هَذَا مِنْ نَثَارِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ (سلام الله عليها). فلما كانت ليلة الزفاف أتى النبي ﷺ ببغلة الشهباء، وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة اركبي وأمر سلمان أن يقودها والنبي ﷺ يسوقها، فبينما هو في بعض الطريق إذ سمع النبي ﷺ وجبة، فإذا هو بجبرئيل عليه السلام في سبعين ألفاً وميكائيل في سبعين ألفاً، فقال النبي ﷺ ما أهبطكم إلى

الأرض؟ قالوا جئنا نزف فاطمة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فكبر جبرئيل، وكبر ميكائيل، وكبرت الملائكة، وكبر محمد عليه السلام، فوقع التكبير على العرائس من تلك الليلة. (الصدوق، ١٤١٣ق، ج ٣، ص ٤٠١).

مع وقفة تأملية عند الروايات التي تحكي عن قصة زواجهما، يتبين لنا أن هذا الزواج المقدس كان يقوم على الديانة والتقوى وليس على المال والثروة. كما قال الرسول: «مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لَا يَتَزَوَّجُهَا إِلَّا لِحِمْلِهَا لَمْ يَرَّ فِيهَا مَا يُحِبُّ، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِمَالِهَا لَا يَتَزَوَّجُهَا إِلَّا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَعَلَيْكُمْ بِذَاتِ الدِّينِ» (محمد ري شهري، د.ت، ج ٥، ص ٨٨).

### منمنمة التحكيم الأخروي:

تعدّ هذه المنمنمة من إحدى المنمنمات الأكثر رمزية التي قد اضطبغت بصبغة المعتقدات الشيعية. إنّ هذه المنمنمة التي يتمحور موضوعها حول محور التحكيم الأخروي والشفاعة، تعرض يوم الحساب وحضور الأئمة المعصومين، وخاصة الإمام علي في مجال قياس الأعمال، وكذلك ترسم المعتقدات الشيعية نحو الأئمة المنحدرين من ذرية فاطمة الزهراء. إنّ الشفاعة يراد منها إسقاط العذاب ورفع العقاب من الذين يستحقون العذاب والعقاب. في تعبير آخر، فإنّ الشفاعة تعني الوساطة في العفو وخطّ الذنوب. تكون الشفاعة من المعتقدات المشتركة لدى المسلمين، وتدلّ على التوسّط لدى الله ليغفر للآخرين. يذهب الإمامية إلى أنّ الشفاعة لا تنال إلا إذا كان الله راضياً عن دينه. لقد ورد أن «رسول الله صلى الله عليه وآله يشفع يوم القيامة في مذنب من الشيعة خاصة فيشفعه الله - عزّ وجلّ - ويشفع أمير المؤمنين عليه السلام في عصاة شيعته فيشفعه الله - عزّ وجلّ - وتشفع الأئمة عليهم السلام في مثل ما ذكرناه من شيعتهم فيشفعهم ويشفع المؤمن البرّ لصديقه المؤمن المذنب فتنتفعه شفاعته ويشفعه الله، وعلى هذا القول إجماع الإمامية» (المفيد، ١٤١٣ق، ص ٧٩).

قال رسول الله ﷺ: (إني أشفع يوم القيامة، فأشفع فيشفع علي ﷺ فيشفع، وإن أدنى المؤمنين شفاعته يشفع في أربعين من إخوانه) (المصدر نفسه، ص ٨٠).

إن سيدتنا فاطمة الزهراء من الشفعاء. يتفق العلماء المسلمون على أن كلاً من شفاعته الشفعاء وقبول الشفاعته للمشفوعين مشروطان بإذن الله، ويتمسكون بآيات مثل الآية ٢٥٥ من سورة البقرة، والآية ٣ من سورة يونس، والآية ١٠٩ من سورة طه، والآية ٢٦ من سورة النجم، والتي قد صرحت بأن تحقق الشفاعته إنما يكون بإذن الله عز وجل.

في المنمنمة أسفله، أن الأئمة المعصومين - بسبب المكانة البارزة التي يحظون بها - قد جلسوا جنباً إلى جنب. في هذه الأثناء، إن سيدتنا فاطمة الزهراء قد رسمت على هيئة نور، مما قد أضفى عليها طابعاً رمزياً سحرياً.

وأما في وسط الصورة، نشهد مجموعة من الشخصيات المرسومة التي تشتمل على الملائكة المقربين، والرسول الخاتم، وعلي بن أبي طالب. لقد جلس الرسول في الجانب الأيمن من الصورة، في حين أن علماً أخضر يهتز خلفه.



(صورة الرقم ٣)

منمنمة التحكيم الأخرى، نسخة فالنامه طهماسبى، سنة ١٥٧٠هـ / ٩٤٨م،  
متحف آرثر ساكلر (متحف الفنون بجامعة هارفارد)

لقد وقف علي بن أبي طالب في وسط الصورة بين الرسول ومَلَكَين، ورسم بهالة من النور وقناع على وجهه، وارتدى قباءاً أخضر يعبر عن الإسلام والسيادة. في هذه المنمنمة، يتحدث علي بن أبي طالب مع الرسول. يبدو أنهما يتحدثان معاً عن كيفية التحكيم. أما بالنسبة إلى المَلَكَين، فأحدهما هو إسرائيل الذي قد أخذ الصور بيده، والآخر هو ملك يحمل ميزان الأعمال على جناحيه.

في الجزء السفلي من الصورة، قد رسمت جثامين الأشخاص مع الألبسة والأكفان البيضاء التي تعبر عن يوم القيامة والنشور من القبور. في هذه الصورة، أنّ بعض الأشخاص قد انقلبوا رأساً على عقب، وأنّ بعضهم قد أدخلوا رؤوسهم في جيوبهم نادمين، وأنّ البعض الآخر يتجادلون مع بعضهم البعض. إنّ هذه الحالات تعبر عن مدى تأثر الرسام بالآيات القرآنية والروايات الشريفة في خصوص أحوال الناس في يوم القيامة. على أساس الروايات المتاحة، ففي يوم القيامة، علاوة على صحيفة الأعمال التي تحتوي على جميع أعمال الإنسان الحسنة والسيئة، يوجد طائفة من الشهداء، بما في ذلك الرسول الخاتم والأئمة المعصومون، يشهدون على أعمال الإنسان وما ارتكبه في الحياة الدنيا. وفقاً لهذه الروايات، إنّ المراد بالميزان، هو أعمال الأنبياء والصالحين والأئمة المعصومين، حيث تقاس أعمال العباد الآخرين بأعمالهم. لقد ورد في رواية أخرى أنّ علي بن أبي طالب والأئمة من ذريته هم الموزان في يوم القيامة (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج ٧، ص ٢٥٢).

«وإنّما تُوصف بالثقل والخفّة على وجه المجاز، والمراد بذلك أنّ ما ثقل منها هو ما كثر واستحق عليه عظيم الثواب، وما خفّ منها ما قلّ قدره ولم يستحق عليه جزيل الثواب. والخبر الوارد أنّ أمير المؤمنين والأئمة من ذريتهم الموزان. فالمراد أنهم المعدلون بين الأعمال فيما يستحق عليها، والحاكمون فيها بالواجب والعدل» (المصدر نفسه). فقال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله: «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ» هم الأنبياء والأوصياء (المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٥١)، ولعلّ أعمال كلّ أمة تعرض على أنبيائهم، فبالمطابقة مع أعمالهم ومخالفتها معهم يعلم كونه سعيداً أو شقيماً، ويؤيد ذلك ما نقرأه في زيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث ورد فيه: «السلام على يعسوب الإيمان وميزان الأعمال» (مفاتيح الجنان، الزيارة الرابعة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)).

وكأنَّ الإمام أمير المؤمنين حقَّ مجسِّم فمن شابهه فهو ممَّن ثقلت موازينه، ومن لم يشابهه فهو ممَّن خفت موازينه. وإن شئت قلت: إنَّ الإنسان المثالي أسوة في الدنيا والآخرة يميِّز به الحقُّ عن الباطل، بل الطيب عن الخبيث، وهذا أمر جارٍ في الدنيا والآخرة. (السبحاني، د.ت، ج ٨، ص ٢٥٧).

من جانب آخر، إنَّ امتداد الجسد المشرق للسيدة فاطمة الزهراء مع أجساد المذنبين الجالسين، يحكي عن المكانة المرموقة التي تحتلها سيدتنا لشفاعة المذنبين والمسودِّي الوجوه. في أعلى المنمنمة، توجد هالة ذهبية باسم فاطمة الزهراء. لقد وقع جسدها الطاهر تحت قطرة عبرة تكون على هيئة شيء متألُّى يعبر عن لقبها الكريم أي الزهراء. زد على ذلك، أنَّ لقب «أم أبيها» يحمل معاني متشابهة مع هذا الموضوع؛ مضافاً إلى ذلك، لما كان مبدأ «الأئمة من ذرية فاطمة» من جملة المؤشرات التي قد ربطت بالمعتقدات الشيعية، فقد رسم الأئمة المعصومين في طرفي فاطمة الزهراء.

في هذه المنمنمة، يحرص الرسام على أنَّ فاطمة الزهراء هي التي تضيء يوم القيامة بأنوارها المشرقة، حتى لكانها تضيء اللجنة المتنبأ بها في المستقبل، أو تشبه شمساً وضاء تهدي المجتمع الشيعي إلى السعادة والفلاح. قصارى القول، إنَّ فاطمة الزهراء تحضر يوم القيامة، وتشفع للمذنبين الذين يستحقون الشفاعة وتنقذهم من نيران جهنم؛ بذلك تدعى المنصورة بين الشيعة.

قال رسول الله: يا حبيبي يا جبرئيل ومن المنصورة؟ قال: جارية تخرج من صلبك واسمها في السماء منصورة، وفي الأرض فاطمة، فقلت: يا جبرئيل ولم سميت في السماء منصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت فاطمة في الأرض [لأنه] فطمت شيعتها من النار وفطموا أعداؤها عن حبها، وذلك قول الله في كتابه «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» بنصر فاطمة» (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج ٤٣، ص ١٨).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيَخْتَلِجَنَّ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِي دُونِي وَأَنَا عَلَى الْحَوْضِ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأُنَادِي: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، أَصْحَابِي. فَيَقَالُ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدَاكَ» (الصدوق، ١٤١٤ق، ص ٥٦).

قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما، لن يفترقا حتى يردا على الحوض» (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج ٢٣، ص ١٣٤). كما قال رسول الله: «يا علي إن هذا النهر لي ولك ومحبيك من بعدي» (المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٨).

في هذه الصورة، نشهد جدولاً إلى جانب سدرة المنتهى، يرمز إلى حوض الكوثر الذي يجري تحت العرش الإلهي. يرى الشيخ الصدوق أنّ حوض الكوثر من جملة المعتقدات الشيعية الإمامية.

في الحقيقة إنّ الكوثر يرمز للسيدة فاطمة الزهراء، وأن تطهير أهل الجنة وتركيتهم يرجع إلى وجودها الطاهر والمطهر.

وفقاً لحديث الثقلين، إنّ القرآن الكريم وعترته الرسول في يوم القيامة كليهما يردان على فاطمة الزهراء عند حوض الكوثر.

وفقاً للروايات، إنّ علي بن أبي طالب هو الساقى على حوض الكوثر يوم القيامة، حيث يسقي منه أوليائه ويزود عنه أعداءه، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً. في الحقيقة إنّ المراد من الكوثر هو الوجود الطاهر للسيدة فاطمة الزهراء، والذي يكون مصدر تطهير وتركية أهل الجنة (المصدر نفسه).

## الخاتمة

توصلت المقالة إلى ما يلي:

إنَّ تطور شخصية الإنسان يكمن في أسوة يختاره، ويحاول أن يمثله. زد على ذلك، أنَّ مدى سمو غاية الإنسان وجلالة الهدف الذي يتبعه في مسار حياته، يتحدد من قدواته ونماذجه. في تعبير آخر، كلِّما كانت قدوات الإنسان ذات شأنٍ عالٍ ومحمود، وحظيت بأعظم درجة في عبودية الله تعالى، تضاعفت قيمة شخصيته.

إنَّ الأئمة المعصومين يعدُّون من المصاديق الكاملة للأسوة الحسنة والقدوة الطيبة للناس أيضاً، نظراً إلى أنَّ أئمة الشيعة يتحلَّون بالعصمة، ولا يمكنهم اقتراف المعاصي وارتكاب الخطايا، فتكون أقوالهم وأفعالهم حجة على غيرهم، ويعدون أسوة حسنة وقدوة كاملة للناس كافة.

إنَّ هذه المنمنمات، علاوة على أنَّها تعيد خلق معتقدات الفنانين ومشجعيهم، ترسم الأفكار والمعتقدات السائدة في الجماعات التابعة. فإنَّ علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء (عليهما السلام)، يؤديان دوراً فعالاً في المنمنمات المدروسة، لدرجة أنَّه يمكن أن نشهد دورهما الريادي فيها. من اللافت أنَّ الرسامين في رسم هذه المنمنمات قد لجأوا إلى توظيف المكوّنات البصرية والرمزية الممزوجة بالآيات القرآنية والروايات الشريفة.

ففي منمنمة المباهلة، نلمس المقومات البصرية في توظيف المكانة المرموقة للرسول بالنسبة إلى الآخرين. زد على ذلك، أنَّ الرسامين قد استفادوا من الرموز الشيعية، نحو الكساء الأخضر للرسول، ورسم صورة علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء على مستوى واحد وجعلها خلف الرسول دلالة على متابعتها له، وسيف ذي الفقار وما شاكل ذلك.

في هذه المنمنمة، قد انعكست مكانة علي بن أبي طالب بصفته سيد الأوصياء، وكذلك مكانة فاطمة الزهراء بصفتها سيدة نساء العالمين.

وفقاً لمنمنمة المباهلة، إنّ علي بن أبي طالب يحظى بمكانة متساوية مع الرسول، حتى أنّه هو نفس الرسول وخير الأنام على وجه الأرض، وفقاً للنص القرآني والحديث النبوي، كما إنّ هذه اللوحة التصويرية تعكس المكانة العالية لفاطمة الزهراء عليها السلام.

أما منمنمة المعراج، فتكون مخفوفة بالمكونات الرمزية الشيعية؛ فهي علاوة على أنّها تعرض موضوع اختيار علي بن أبي طالب خليفة الرسول بالأمر الإلهي في ليلة المعراج المباركة، تتناول اختياره زوج فاطمة الزهراء بالأمر الإلهي في تلك الليلة المباركة. في هذه الصورة، عُرضت الكفاءة بين سيد الأوصياء وسيدة النساء، حيث قد وقفا على مستوى واحد وأمام بعضهما بعضاً إلى جانب سدرة المنتهى تحت العرش الإلهي.

وأخيراً، فإنّ منمنمة التحكيم الأخروي تعدّ من أكثر الآثار رمزيةً التي تصطبغ بصبغة شيعية. فإنّ هذه المنمنمة تعرض يوم القيامة وحضور الرسول الخاتم في قياس الأعمال في ذلك اليوم العظيم. كما ترسم -بأجل طريقة ممكنة- الدور البارز لعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء في شفاعة الشيعة.

قصارى القول، فإنّ المنمنمات الثلاث قد عرضت حضور علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء في واقعة المباهلة والمعراج والتحكيم الأخروي بأحسن وجه ممكن، وكشفت عن السبب الإلهي الكامن في اختيارهما سيد الأوصياء وسيدة النساء. إذن، لا نعدو الصواب إذا قلنا إنّهما أسوة صالحة وقدوة طيبة للجميع بشكل عام، والشيعة بشكل خاص.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

مفاتيح الجنان.

### - العربية

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم. (١٣٨٥ق). الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر.

ابن شاذان القمي، محمد بن أحمد. (١٤٠٧ق). مائة منقبة. تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عج). قم: الأمير.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. (١٩٧٤م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: دار الكتاب العربي.

الجويني الخراساني، إبراهيم. (د.ت). فرائد السمطين. قم: محمودي.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. (١٩٩٠م). مستدرك الصحيحين. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحلي، عز الدين الحسن بن سليمان. (١٩٥١م). المحتضر. النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. (د.ت). تاريخ بغداد. بيروت: دار الكتب العلمية.

الرازي، أبو الفتوح الحسين بن علي. (١٣٧٦هـ.ش). روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن. تحقيق محمد جعفر ياحقي. مشهد: بنياد پژوهش های اسلامی آستان قدس رضوي.

الزنجشري، جار الله محمود بن عمر. الكشف عن حقائق التنزيل. بيروت: دار الكتب العربي.

السبحاني، جعفر. (د.ت). مفاهيم القرآن. قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي. (١٤١٤ق). الاعتقادات الإمامية.

(د.ت). صفات الشيعة. د.م: د.ن.

(١٤١٣ق). من لا يحضره الفقيه. قم: جامعة مدرسي الحوزة العلمية في قم.

(١٤٣٠ق). أمالي الصدوق. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الطباطبائي، السيد محمد حسين. (د.ت). الميزان. قم: إسماعيليان.

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. (١٩٩٥م). تفسير أطيّب البيان. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن. (١٤١٤ق)، الأمالي. قم: دار الثقافة.

العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة. (١٤١٥ق). تفسير نور الثقلين. ط ٤. قم: إسماعيليان.

الفيض الكاشاني، محسن. (١٤١٧ق). المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء. قم: مؤسسة نشر إسلامي.

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب. (١٤٠٧ق). الكافي. تحقيق علي أكبر غفاري  
ومحمد آخوندي. ط ٤. طهران: دارالكتب الإسلامية.

المجلسي، محمد باقر. (١٤٠٣ق). بحار الأنوار. بيروت: مؤسسة الوفاء.

محمدي ري شهري، محمد. (د.ت). ميزان الحكمة. د.م: د.ن.

المرعشي، نور الله. (١٤٠٩ق)، شرح إحقاق الحق. تقديم وتعليق آية الله المرعشي  
النجفي. قم: مكتب آية الله مرعشي نجفي.

المستنبط، أحمد. (د.ت). القطرة من بحار مناقب النبي والعترة. د.م: د.ن.

المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد. (١٤١٣ق). الإرشاد. قم: كنزها شيخ مفيد.

(١٤١٣ق). أوائل المقالات في المذاهب والمختارات. قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ  
المفيد.

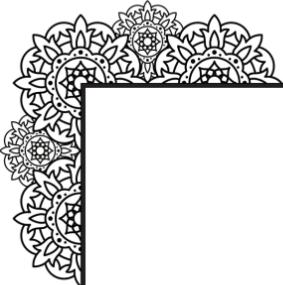
### الفارسية

بشوي، محمد يعقوب. (١٣٨٦ق). «نگاهی به جایگاه فاطمه زهرا (علیها السلام) در آیه مباحله  
از نظرگاه اهل سنت». بانوان شیعه. ش ٤. ص ٨٥-١٠٤.

ماسینون، لویی. (١٣٧٨هـ.ش). مباحله در مدینه: اسلام ومسیحیت. ترجمه  
محمدرضا افتخارزاده. تهران: قلم.

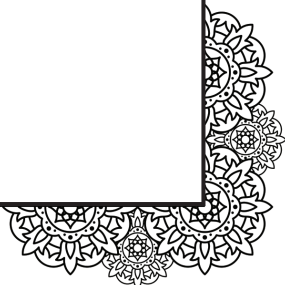
مکارم شیرازی، ناصر. (١٣٧٤هـ.ش). تفسیر نمونه. تهران: دارالکتب الإسلامية.





**المستوى النوعي للخطاب في نهج البلاغة**  
**(دراسة في ضوء النقد الثقافي)**

الباحث  
أ.م.د. مسار غازي شناوة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

يمثل الخطاب في نهج البلاغة أيديولوجية تنتظم عبر ممارسات غايتها الإخضاع غير القسري الذي لا يمكن أن تمارسه الخطابات الشمولية أو تلك التي تصدر الرأي الآخر، ولكنها تؤسس لعملية إقناع عقلية تنشأ أساساً على جذر من الصدق والممارسة العملية التي تتآلف مع المعتقد؛ فهي تهيئ لرسوخ غير مهدد بالقلق أو القلقله.

إن النصوص التي تنتظم في نهج البلاغة، تكون خطابات ذات مستويات متنوعة ومتعددة؛ فتارة تكون فكرية عقديّة، وأخرى فقهية، وأخرى أخلاقية، وأخرى تتعلق ببناء الدولة وإدارة المجتمع، وأخرى تخوض بإدارة الحياة ومتعلقاتها من أمور سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وغيرها.

تهدف هذه الدراسة للكشف عن مستويات الخطاب العلوي في نهج البلاغة، وتطمح إلى الخروج بنظرة كلية تحدّد مدى عمق مستوى تلك الخطابات وتنوعها بأيّ مجال معرفي كانت. وعليه، قد توزعت هذه الدراسة على محورين يسبقهما تمهيد يشتمل على قراءة في مفهوم الخطاب من زاوية فوكوية، فيما يناقش المحور الأول (المستوى المعرفي للخطاب)، ذلك أنّ الخطاب العلوي يتميز بقدرته على إنتاج المعرفة والمعنى، فضلاً عن تجاوزه للتاريخ. والخطاب العلوي قد اكتسب من صاحبه ما قامت عليه شخصيته؛ فبنى نصه على أسس متين لم يغفل جانباً مهماً من الحياة إلّا وشرع بتناوله، لما يراه مناسباً للمتلقي. وقد ركز صاحب الخطاب على إدراج المعرفة لتوجيه متلقيه الوجهة التي يراها مناسبة لاستقبال ما يرد بعد ذلك من أفكار. فيما تبلور المحور الثاني حول (مستوى الابتلاء والحاجة للخطاب)، إذ

يتعرض الخطاب العلوي في نهج البلاغة لموضوع متفاوتٍ من حيث الحاجة والابتلاء، فهناك موضوعات قليلة الحاجة، ومحدودة الفائدة على مستوى المجتمع، مثل الخطابات التي تتعلق بالغيب. فهي لا تتعرض لموضوع ابتلائي شديد الحاجة، بخلاف تلك الخطابات التي تتعرض لمواجهة الظلم. فإنّ المستوى النوعي في طبيعة الحاجة والابتلاء لمواجهة الظلم، والظلمة أعظم بكثير من الوقوف على مسألة العلم بالغيب والوقوف على حدوده. فيما إنّ هذه الخطابات بأيّ مجال معرفي كانت وبأيّ درجة من الحاجة والابتلاء تختلف من حيث الكثرة والقلة في الموضوع الواحد.

وقد اعتمدت الدراسة منهج النقد الثقافي؛ ذلك أنّ هذا المنهج يقدم نقداً ثقافياً ذا نزعة علمية، في تحليل الخطاب، فهو ينظر في مفردات النص، جملة، عباراته المركبة، فقراته، وجوده الإجمالي، هو يقدم التحليل وفق آلياته المقنعة التي تشمل كلّ ما يخدم التحليل ويؤدي إلى الغاية المنشودة. لذا قد يعتمد هذا المنهج على الإحصاءات والنسب والبيانات، وضبط منطلقات الإحصاء وآليات البحث ومتابعة التفاصيل، وأن يسلك شتى الطرق ليُقدم نقداً معرفياً نافعا، وأن يبعد نفسه جاهداً عن أن يكون إنشاءً بلاغياً وتصوراتٍ هشة لا تصمد أمام المساءلة العلمية.

وُخّمت الدراسة بخاتمة تضمّ أبرز النتائج التي توصلت إليها، وقائمة بأهم المصادر.

## التمهيد قراءة في مفهوم الخطاب

ينصّ مفهوم الخطاب بحسب المفكر الفرنسي «ميشيل فوكو» على أنّه (شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام بوصفه خطاباً)<sup>(١)</sup>. ويذهب «فوكو» إلى أن الإبهام الذي يحيط بنا حول مفهوم الخطاب يعود إلى اختلاف الفهم وتطورات له لدى الباحثين في النظرة إلى لفظ الخطاب؛ أي كل ما تمّ انتاجه بواسطة الأدلة من حيث أنّ الخطاب مجموعة من العبارات تفرض وجودها على حساب الوظائف المتاحة. ويعود اهتمام «فوكو» بصورة الخطاب إلى أنه ميدان تختلف فيه -على نحو دائم- ثنائية الكلمة، والشيء. وعليه كان اهتمام فوكو بالأساس يركز أولاً على تحليل الفكر، ومن ثم تحليل الخطاب. وفي تحليل الخطاب يذهب فوكو إلى أن لا يتجه الاهتمام في البحث خلف ما هو ظاهر، بل إلى إظهار التفرد الخاص في تركيب الخطاب نفسه، ولتحديد الصلات القائمة بين العبارات التي تكون ما يسمى (نسيج الخطاب). وقد أكد فوكو أيضاً على أن تحليل الخطاب يعتمد عليه<sup>(٢)</sup>.

وقد ركّز فوكو على تنوع الموضوعات التي اتخذت أشكالاً خطابية مختلفة في علوم السياسة والاقتصاد والتاريخ والاقتصاد، وأخذت العبارة الخطابية في التنوع، حيث برز فيها موقف الذات المتكلمة مع السياق والنواة السيكلوجية اللذين يميزانها. وهنا يتضح البعد النفسي ومدى تأثيره على المتكلم من جانب، ومن يدخل في دائرة الإصغاء في هذا الكلام المقصود والمخطط له من جانب آخر<sup>(٣)</sup>؛ ذلك أنّ الهدف الأساس من استعمال الكلام هو إيصال رسالة ما إلى شخص معين أو إلى مجموعة من الأشخاص؛ ولذلك فإنّ

(١) نظام الخطاب: ميشيل فوكو: ٥٠.

(٢) ينظر: حفريات المعرفة: ٣٤.

(٣) ينظر: الكلمات والأشياء ٢٨٩.

استعمال الكلام يستوجب وجود عنصرين لا يكون الحديث إلّا بهما وهما: المتكلم الذي يؤلف الرسالة تبعاً لأهوائه ورغباته، والمخاطب الذي يقوم بفك رموز الرسالة لفهمها. فلا بدّ من أن تكون هناك رسالة يبيّنها المتكلم ليتلقاها المستمع أو القارئ الذي يكون شخصاً حقيقياً أو وهمياً يتخيّله المتكلم. فهذا التواصل الخارجي لا يتم إلّا بوجود طرفي الحديث (المرسل والمرسل إليه)، فضلاً عن ضرورة وجود الرسالة التي تنتمي إلى نظام مشترك بين طرفي التواصل ليتمكن كلّ منهما من فهم الآخر وإفهامه. والتواصل مع الآخر لا يكتمل إلّا باستبطان اللغة. فمصطلح خطاب متعدد المعاني، هو وحدة تواصلية إبلاغية ناتجة من مخاطب معين ضمن سياق معين<sup>(١)</sup>.

ويتنوع الخطاب وفقاً للطرق التي يتخذها المتكلمون، وبحسب المواقف الاجتماعية والثقافية المعينة، فتنتج بذلك أنواعاً كثيرة من الخطابات مثل الخطاب الديني، والخطاب السياسي، والخطاب العلمي، والخطاب البيداغوجي وغيرها. وعلى الرغم من أنّ الخطاب يتوسل دائماً اللغة في غاياته فإنّ جوهره في الحقيقة ليس لغوياً، إذ هو مجموعة من النوايا التي تتحقق بوساطة اللغة. ومن أهم وظائف اللغة وظيفة التواصل التي تتيح للإنسان الاتصال بغيره من بني جنسه<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن الخطاب في نهج البلاغة أحادي القيمة، بل كان متعدد الأبعاد والقيم؛ وعليه، فإنّ ذلك ينتج عنه تعدّد مستوياته بما يضمّه بين ثناياه من رؤى وتطلعات. فتارة تكون فكرية عقدية تمثل واجباً شرعياً وتفانياً أملت على صاحب الخطاب أرجحيته العلمية وانتماءه الديني، وأخرى فقهية، وأخرى أخلاقية، وأخرى تتعلق ببناء الدولة وإدارة المجتمع، وأخرى تخوض بإدارة الحياة، ومتعلقاتها من أمور سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وغيرها. وكيف لا يتنوع مستوى الخطاب في نهج البلاغة، وصاحبه قد مكّنه الله من أفانين البلاغة

(١) ينظر: نظرية النقد الأدبي الحديث: يوسف عوض نور، دار الأمين، ط ١، ١١.

(٢) النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون: فاطمة الطبال بركة: ٥٠.

والسداد ما جعله يبهر قوماً أحسن ما يمكن أن نصف به بلاغتهم وعارضهم على الكلام أن كل شيء لهم إنما بديهة وارتجال وكأنه إلهام، فهو أبلغ البلغاء، وأفصح الفصحاء ما يعطيه التفرد والتميز ليكون الخطيب الذي اجتمعت فيه صفات الكمال الخطبي، إن جاز التعبير. ولا يفوتنا هنا الإضاءة على كلمة (مستوى) التي تعني في أصلها اللغوي (الاعتدال)، والاستقرار في (استوى على ظهر دابته)<sup>(١)</sup>، زيادة على الاقتران بدلالة المساواة أو التساوي التي هي اتفاق الشئين في الكمية، كما إن لفظ مستوى.. يحمل معه عنصر الذات بوصفه مصدراً ميمياً من حيث البنية الصرفية؛ وهذا يحيلنا إلى أن نعتقد بأن المستوى ما دام يحمل فيه عنصر الذات بما ينطوي عليه من دلالة ارتباط الذات بالفعل الخطابي، فهو يشترط الارتباط بكيان الخطاب نفسه بوصفه يمثل وظيفة من وظائفه<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب: مادة سوى.

(٢) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة: ٢٥١.

## المحور الأول

### المستوى المعرفي للخطاب

يحمل الإمام علي (عليه السلام) نظرة كونية تنماز بالسعة والشمول، فضلاً عن امتلاكه نظرة عقلية واستدلالية منطقياً، لأنه كان محيطاً بكل شؤون الوجود من أمور اجتماعية وعلمية وطبيعية وصولاً إلى أسمى قضية، ألا وهي قضية الألوهية والتوحيد<sup>(١)</sup>. لذلك انفردت خطابه بقدرتها على إنتاج المعرفة والمعنى، فضلاً عن تجاوزه للتاريخ، كما وتعالج قواعد خطابه معاني الجمل أو النص لتصبح موصلة إلى العقلية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية التي تؤكد إنتاجها عبر ترسيخها في المجتمع، لكن في الوقت نفسه، يخفي الخطاب قدرته على تشكيل معانيه وأغراضه<sup>(٢)</sup>.

والخطاب العلوي اكتسب من صاحبه ما قامت عليه شخصيته، بل كان مرآة ناصعة البياض لأفكار صاحبه (عليه السلام)، فبني نصّه على أسس متين، لم يغفل جانباً مهماً من الحياة إلا وشرع بتناوله، لما يراه مناسباً للمتلقي، وقد ركّز صاحب الخطاب على إدراج المعرفة، بمختلف مجالاتها لتوجيه متلقيه الوجهة التي يراها مناسبة لاستقبال ما يرد بعد ذلك من أفكار، كما نلاحظ ذلك في قوله (والله لكأني بكم فيما إخالكم أن لو حَسَّس الوغى، وحمي الضراب، قد انفرجتُم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها. وإني لعلى بينة من ربي ومنهاج من النبي، وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً)<sup>(٣)</sup>. عند التأمل في النص أعلاه نجد أن صاحب الخطاب (المرسل) - الإمام علي (عليه السلام) - قد عمد الإشارة إلى مدى بعد معرفته بنهج النبوة وأنه هو الوحيد الذي يمثل الجهة الشرعية، فهو (على بينة من ربه) و(منهاج من النبي) وأن تمتعه

(١) الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر: ٤٩٩.

(٢) ينظر: حفريات المعرفة: ١٣٤.

(٣) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: ج ٧/ ٥١.

بهاتين الصفتين يؤهله لامتلاك المعرفة كاملة. فمن حباه الله بهذه الصفات فهو الأقدر على التقاط طريق الهدى من طريق الضلال لقطاً من ها هنا وها هنا، كما يسلك الإنسان طريقاً دقيقة، قد اكتنفتها الشوك والعوسج من جانبيهما كليهما، فهو يلتقط النهج التقاطاً. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تفرده في العلم والمعرفة<sup>(١)</sup>.

يقول (عليه السلام): (من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء. أما بعد، فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا يعقب له حكم، ولا يرد له قضاء، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين. وقد بلغني تجرؤكم وشقاقكم وإعراضكم عن دينكم، بعد الطاعة وإعطاء البيعة، فسألت أهل الدين الخالص، والورع الصادق واللبّ الراجح، عن بدء محرركم، وما نويتم به، وما أحشاكم له، فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم في شيء منه عذراً مبيناً، ولا مقالاً جميلاً، ولا حجة ظاهرة.)<sup>(٢)</sup> تطالعنا في الخطاب أعلاه جملة من الإشارات ذات الدلالات المختلفة محاولة منه للإشارة إلى المحرك والمثير لعملية التفكير بشكل جدي فيما آل إليه الحاضر (الآن)؛ ذلك أن الجماعة أو الفرد لا يمتلكون القدرة على التفكير فيما هم عليه حينها من دون هذه الإشارات، وعليه يحصل تطور نوعي في المعرفة مما يؤدي إلى توجيه الأفراد توجهاً صحيحاً ينسجم مع الخطاب المفروض عليهم والذي يريد إحداث تطور نوعي لصالحه في توجيه المجتمع إلى المرحلة التي ما زال المجتمع يراوح فيها نتيجة عدم التفاعل مع الدعوة الإسلامية بوصفها تحولاً حضارياً يسعى إلى الارتقاء بالسلوك الإنساني إلى مستواه اللائق.

فعند التأمل في قوله (عليه السلام): (أغض على القذى والألم ترض أبداً)<sup>(٣)</sup> نلتمس دعوة صريحة

(١) ينظر: ابن أبي الحديد: ج ٧ / ٥١.

(٢) ابن أبي الحديد: ١ / ٢٣٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٩ / ٣٤.

لأن يعيش الإنسان الحياة الطبيعية مخاطباً الفرد والمراد به الجماعة، دلالة على أن الرضا ينبع من داخل الإنسان، فمن اقتنع بما قَسَمَ الله له فسيطمئن قلبه.

وتشكل معرفة الفضائل الأخلاقية مكوناً مهماً ركز عليه الخطاب العلوي أكثر من بين مكونات الاتصال المعرفي والعلاقة السلوكية للإنسان مع نفسه، مما يشير إلى أهمية هذا المكوّن (قيمة كلّ امرئ ما يُحْسِنُه)<sup>(١)</sup>. ففي قوله نجده يشير إلى أن قيمة المرء أمر شخصي متعلّق بالمرء نفسه غير متعلّق في الاعتبار إلى غيره من حسب أو نسب أو مال هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، جامعة هذه الكلمة وكأنّها أعطت محددات القيمة الواقعية مجموعة بعبارة (ما يُحْسِنُه) من فكر أو عمل أو صنعة أو خلق.. ونحوها من الأمور التي لها واقع اعتباري مهم ومؤثر، فأصابت كلّ المعنى وأحاطته.

إنّ الخطاب العلوي في مستواه المعرفي يمثل التأسيس الأول للنظرية المعرفية، فعند التأمل في كلماته نجده يناقش أربع مجالات معرفية مهمة تتكلل بالعلاقة مع الله أولاً، والعلاقة مع الذات ثانياً، والعلاقة مع سائر البشر ثالثاً، والعلاقة مع الطبيعة رابعاً. ولو أردنا وضع تلك الخطابات تحت مسمى رقمي، نجدها تتوزع في نهج البلاغة على (١١٠) نصّ معرفي، فالخطاب العلوي يمثل معالجة جذرية للأمور مبنية على نظر فلسفي عميق، وعلى نفاذ إلى كنه الحياة وفهم حقيقتها وتطوراتها.

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ج ٢ / ٢٧.

## المحور الثاني مستوى الابتلاء والحاجة للخطاب

يتعرض الخطاب العلوي في نهج البلاغة لموضوع متفاوتٍ من حيث الحاجة والابتلاء، فهناك موضوعات قليلة الحاجة، ومحدودة الفائدة على مستوى المجتمع، مثل الخطابات التي تتعلق بالغيب. فهي لا تتعرض لموضوع ابتلائي شديد الحاجة بخلاف تلك الخطابات التي تتعرض لمواجهة الظلم. فإنَّ المستوى النوعي في طبيعة الحاجة والابتلاء لمواجهة الظلم والظلمة أعظم بكثير من الوقوف على مسألة العلم بالغيب والوقوف على حدوده. فيما إنَّ هذه الخطابات بأيِّ مجال معرفي كانت وبأيِّ درجة من الحاجة والابتلاء تختلف من حيث الكثرة والقلة في الموضوع الواحد.

وبعد رحلة استقصائية تأملية في الخطاب العلوي، نجد تفرّد الخطاب السياسي بالجانب الأكبر في نهج البلاغة حيث انفرد هذا المحور بـ (٣٨٢) موزعاً بين خطبة ورسالة وكتاب؛ ذلك أنَّ الخطاب السياسي هو جزء من الواقع، ولعلَّ هذا الخطاب هو في الحقيقة خطاب الخلافة لا الفرد؛ ذلك أنَّ مصدر الخطاب هو الإمام علي (عليه السلام) إذ جرت مبايعته برغبة عارمة من الجماهير، وليس عن طريق توصية من شخص سبقه أو مجموعة من الأشخاص الذين لا يمثلون رأي عامة الناس، ولم يجز تكليفهم من قبل الجماهير كما يحدث في المجتمع اليوم (إنَّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد)<sup>(١)</sup>.

وجاءت خطباته (عليه السلام) السياسية متساوقة مع مبدأ الشورى أو حرية الرأي الذي يعدّ دستور نظام الحكم الإسلامي. قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن قيام

(١) ابن أبي الحديد: ٣١ / ١٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

سياسته على قواعد اجتماعية مرتبطة بالقاعدة المكونة من السواد الأعظم من الناس الفقراء والمعدمين؛ إذ كان يستمدّ من تلك الطبقة القوة الحقيقية لبقاء الدولة (وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقلّ معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملّات الدهر من أهل الخاصة، وإنّما عماد الدين وجماع المسلمين، والعدّة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك لهم وميلك معهم، وليكن أبعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لمعائب الناس)<sup>(١)</sup>.

وعند التأمل في خطاب الإمام علي عليه السلام ذي النفس السياسي، نجده يقوم على قاعدة أساسية وهي (سيادة الحق بين الناس)، فهو لا يعطي لسلطة الوالي أي معيار سوى أن يكون هذا الوالي محققاً لهذه السيادة (الحق). ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله: (أيّها المعداد كان عندنا من ذوي الألباب، كيف تسيع شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنّك تأكل حراماً وتشرب حراماً؟ وتبتاع الإماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال، وأحرز بهم هذه البلاد. فاتّق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنّك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرني إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلّا دخل النار. فوالله لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة، حتى آخذ الحقّ منهما وأزيح الباطل من مظلمتهما)<sup>(٢)</sup>. وأيضاً قوله عليه السلام: (أيّها النّاس من سلّك الطّريق الواضح ورَدَ الماءَ ومن خالف وقَعَ في التّيه!)<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد/ ٨٦/ ٣.

(٢) المصدر نفسه: ٦٦-٦٧/ ٣.

(٣) المصدر نفسه: ٤٠٢.

ومن خلال الخطاب نلمس بوضوح أنّ الحقّ ونصرة المظلوم يعدّ من أهم المرتكزات والأسس الكلية التي يقوم عليها الخطاب السياسي العلوي. المراد بالحق هنا هو الحقّ التشريعي الذي يعني القوانين الإلهية التي شرعت من أجل الفرد والجماعة في ضوء المصالح والكفاءات الذاتية والإكتسابية<sup>(١)</sup>.

فيما يحتل الجانب الاجتماعي وعلاقة المجتمع بالسلطة والعلاقات الفردية حيزاً مهماً في خطابه عليه السلام والذي وصل إلى - ٨٠ نصاً بين خطبة ورسالة وكتاب - إذ يمثل الخطاب الاجتماعي نمطاً خطابياً أفرز بواسطته الإمام علي نظرياته الاجتماعية وكيف يتم التعامل مع المجتمع، وما يمكن أن ينظم العلاقات بين أفراد المجتمع، بل إنّ ذهب إلى أكثر من ذلك، إذ أشار في كلماته إلى أهمية العلاقة الأسرية بما فيها علاقة الزوجين، وعلاقتهم بالأطفال، وأنّه تعرض إلى مبادئ في التربية والاخلاق<sup>(٢)</sup>.

(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ؛ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيَنْسِي الْآخِرَةَ. أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَدَاءً؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُهَا. أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ)<sup>(٣)</sup>. بهذه الكلمات حذر الإمام من اتّباع الهوى وطول الأمل في الدنيا. كما إنّ عمده إلى وضع مبادئ العلاقات الفردية بين أفراد المجتمع، لبنائه بناءً صالحاً مؤكداً الاعتصام بالعشيرة والتكثّر بالقبيلة، فإنّ الإنسان لا يستغني عنهم وإن كان ذا مال<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ: ٢ / ١٢٦.

(٢) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية: ١٤٤.

(٣) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٤٤٠ / ١.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٢١٤ / ١.

لقد سعى الإمام علي عليه السلام بالاستناد إلى القرآن والسنة المطهرة نحو تحقيق استقرار اجتماعي وضبط لسلوك الأفراد داخل المجتمع آنذاك؛ ومن ثم كانت غايته تحقيق وإحداث ضبط اجتماعي شامل، وهذا الضبط والاستقرار الاجتماعي لا يمكن تحقيقه ما لم يرتبط بالقضاء العادل لأجل التخلص وإضعاف مقومات السلوك المنحرف أيًا كانت تلك المقومات والدوافع التي تركز على مسألة فقدان العدالة السياسية وفقدان التوزيع العادل للثروة، فضلاً عن فقدان الروح الأخلاقية والتربوية في نفوس بعض أفراد المجتمع. ولهذا حاول الإمام عليه السلام القيام بعملية إصلاح اجتماعي بوساطة آليات تنظيمية عدة توخى بوساطتها التخلص من أصول الدافع الانحرافي أيًا كان. لذلك يربط الإمام علي ربطاً جدلياً بين القضاء العادل، والعدل الاجتماعي الذي يتصدى للمشكلات على نحو جذري. فالعدل الاجتماعي يعالج مسألة الحقوق والحريات، ومقومات الكرامة الإنسانية من جذورها، فيما يعالج القضاء العادل الآثار السلبية الناجمة من الخلل العام في الميزان الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأخلاقي. وهذه الرؤية يؤدي القضاء دوراً مهماً لكنه لا يرقى إلى مستوى عملية التغيير الجذري العادل<sup>(١)</sup>. (يا شريح، أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بيتك، حتى يخرجك منها شاخصاً، ويسلمك إلى قبرك خالصاً. فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك. فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة)<sup>(٢)</sup>. الخطاب أعلاه من كتاب له عليه السلام كتبه لشريح بن الحارث قاضيه. روي أن «شريح بن الحارث» اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً، فبلغه ذلك، فاستدعى شريحاً، وقال له: (بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً، وكتبت لها كتاباً، وأشهدت فيه شهوداً)<sup>(٣)</sup>. وهذا الخطاب يفصح عن أمرين ينصّ الأول على أن الإمام عليه السلام قد نظر إلى «شريح» نظر مغضب، إنكاراً لابتياعه داراً بثمانين

(١) ينظر: علي بن أبي طالب سلطة الحق: عزيز السيد جاسم: ٢٦٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٤/٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ١٤/٢٣٨.

ديناراً، وهذا يدل على زهد شديد في الدنيا واستكثار للقليل منها، ونسبه هذا المشتري إلى الإسراف، وخوف من أن يكون ابتاعها بهال حرام. والأمر الآخر أنه أمل عليه كتاباً زهدياً، وعظيماً، مماثلاً لكتب الشروط التي تكتب في ابتياع الأملاك<sup>(١)</sup>. وهذا الخطاب إن دل على شيء إنما يدل على الإشارة إلى أهم ركن من أركان العمل القضائي - التنظيمي، وعملية الضبط الاجتماعي التي سعى الإمام إلى ترسيخها، ألا وهو مسألة العقوبات أو الجزاء والتي تسمى بالإسلام بالحدود<sup>(٢)</sup>.

وبرؤية ذات صلة نلاحظ ارتباط الجانب الاقتصادي بالخطاب الاجتماعي؛ ذلك أن لا سلطة من دون موارد، هذا من ناحية؛ ومن ناحية ثانية، لا سلطة من دون قدرة على استخدام تلك الموارد، ولا سلطة من دون تدبير استراتيجي وبلا خطة احترازية من ناحية ثالثة<sup>(٣)</sup>. يقول عليه السلام: (الاقتصاد يُنمي اليسير)<sup>(٤)</sup>. وفي ضوء ذلك، السلطة هي المسؤولة عن عملية التنظيم الاقتصادي؛ ذلك أن تلك العملية تتطلب قوة قانونية تسهم في إمضاء مشيئة السلطة من قرارات أو أوامر، وقد استقى الإمام علي عليه السلام سياسته الاقتصادية من إدارة وتنظيم من (الشريعة الإسلامية)، وإن نسق السلطة الذي يمثله شخص الإمام علي يتجلى بدوره السياسي بوصفه الحاكم والذي كان عنصراً مهماً وأساسياً استطاع عليه السلام توظيفه في شتى أنواع التنظيم الاجتماعي والتي بضمنها التنظيم الاقتصادي. فنجد مثلاً يوصي من يوظفه لجمع الصدقات (انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاص، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحيي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم. ولا تخرج بالتحية لهم ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته

(١) ينظر: ابن أبي الحديد: ٢٤٠/١٤.

(٢) ينظر: القضاء في الإسلام: عطية مصطفى مشرفة: ١٠٧.

(٣) ينظر: المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع: د. خليل أحمد خليل: ١٢١.

(٤) غرر الحكم: ٨٦٣.

لأخذ منكم حقَّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه! فإن قال قائل: لا، فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعدده، أو تعسفه أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه، ولا عنيف به. ولا تنفرنَّ بهيمة ولا تفرعنَّها، ولا تسوون صاحبها فيه<sup>(١)</sup>. فمنهجية الخطاب الاقتصادي منهجية عادلة تسعى للمحافظة على الثروة من استيلاء أصحاب النفوس الضعيفة عليها، وإيجاد سبل كفيلة وقادرة على إنشاء مجتمع تتوافر فيه العدالة، ولا تسمح بتكوين إمبراطوريات صغيرة تتحكم بمقدرات العامة؛ فكان لا بدَّ من صياغة خطاب اقتصادي يتولَّى تنظيم ذلك على وفق منهجية علمية دقيقة تقوم أساساً على محاربة الفقر الذي وصفه عليه السلام بالفقر الأعظم<sup>(٢)</sup>. فمنذ اللحظة الأولى تبنَّى الإمام علي عليه السلام في طريق الخلافة أهدافاً اقتصادية يمكن درجها ضمن مفاهيم التنمية الاقتصادية. ومن بين هذه الأهداف الوصول إلى درجة الغنى بزيادة الدخل الفردي والقومي، فضلاً عن بناء المجتمع المعافى من الأمراض، وبناء المجتمع المتقي<sup>(٣)</sup>. يقول عليه السلام: (إلا وإنَّ من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب)<sup>(٤)</sup>.

ومن الملاحظ على الخطاب العلوي تركيزه على الجانب الأخلاقي التربوي الذي جاء متساوياً مع التوجيهات المعرفية التي أقرتها الشريعة الإسلامية - ٥٥ نصاً -؛ ذلك أنَّ الأخلاق في نظر الإمام علي عليه السلام لم تكن مجرد ضمانة تنفيذية للقوانين، وهي ليست بديلاً احتياطياً يعزِّز الضوابط الاجتماعية، بل إنَّ معطيات الأخلاق تؤدي إلى نزع دوافع الجريمة القانونية في الذات الإنسانية؛ ومن ثمَّ فإنَّ ذلك سيعمل على إرساء الأواصر والضوابط

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ ١٥ / ١٥١.

(٢) ينظر المصدر نفسه: ٣٠٩ / ١٨.

(٣) ينظر: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة: ٢٠٣.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ٢٢٧ / ١٩.

الاجتماعية والقانونية وتنفيذها بنحو أفضل. يقول (عليه السلام): (فإن كان لا بدّ من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجداً والنجداً من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالأخلاق الرغبية، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، والآثار المحمودّة. فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار...<sup>(١)</sup>). في هذا الخطاب نجده يحثّ على نبذ كلّ شكل من التعصب أو الابتعاد عنه، ولا سيما التعصب القبلي، والتحلي بالخصال والشمائل الحميدة التي تتفق وروح الإسلام وتعاليمه.

وعلى الرغم من أنّ الخطاب العسكري يتّصل بشكل مباشر بالخطاب السياسي، ذلك أنّ العسكر يمثل الدرع الواقى للدولة والحصن المنيع، ولا وجود لدولة من دون وجود جيش يحميها، احتل هذا المستوى من الخطاب - ٤٤ نصّاً - مع أنّ الإمام علي (عليه السلام) كان يميل إلى السلم الذي عدّه مبدأً ثابتاً لا يجيد عنه حتى في حالة نشوب الحرب؛ لذلك ظلّ هدفه الأول من الحرب تأديبياً لا تسلطياً. جاء في خطابه لما عزم على حرب الخوارج وقيل له (إنّ القوم قد عبروا جسر النهر وان)<sup>(٢)</sup> فجاء قوله (مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة)<sup>(٣)</sup>. يفصح الخطاب عن إنذار بينّ بما سيلاقون من سوء المنقلب الأثرة والاستبداد فيهم والاختصاص بفوائد الملك دونهم وحرمانهم من كل حقّ لهم<sup>(٤)</sup>.

ومن الخطابات التي استأثرت بمتسع من الخطاب العلوي هو الحكمة والموعظة والتي اقتربت من ٣٥ نصّاً؛ ذلك أنّ الحكمة تعمل على مكافحة الجهل. يقال إنّ الحكمة لا تشيخ،

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ ج ٢/ ١٥٠

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ٥/ ٥

(٣) المصدر نفسه: ١/ ١٠٧

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٠٧

والمعرفة لا تهدم ولا تموت، طالما تحتوي عناصر البقاء الدائم والحياة الحقّة<sup>(١)</sup>. لهذا تمثل حكمه (عليه السلام) ينبوعاً لا ينضب عطاؤه عندها يسند المرء ليستريح، فالحكمة سراج يضيء للإنسان طريقه كلما استبدّ به ألم الحياة. وعليه فإنّ حكم الإمام علي (عليه السلام) شاملة لكلّ معاني الحياة، لا تغفل عن أية قيمة من قيمها؛ لا سيما أنّ الإمام (عليه السلام) قد تمرّس بالآفات وعاش معها واقعاً، فكان خبيراً بأحداث زمانه؛ لهذا جاءت حكمه متنوعة المضامين تتناول مختلف مواضيع الحياة العامة<sup>(٢)</sup>. (أيها الناس، من سلك الطريق الواضح ورد الماء، ومن خالف وقع في التيه)<sup>(٣)</sup>. في النصّ، الإمام يعظ الناس إلى السير على الطريق الذي أوضحه الله في كتابه وتحدثت به حججه ليصل الإنسان إلى مبتغاه وغايته، والابتعاد عن الهوى؛ ذلك أنّه يعرض متبعه إلى التيه والبعد عن طريق الله.

فالإمام علي (عليه السلام) من دون شكّ هو إمام الحكماء وسيد العارفين، ذلك أنّه كان محيطاً بجميع العلوم، فقد عمد الإمام علي (عليه السلام) إلى توضيح الحقائق للناس مراعيّاً فيه مستويات عقولهم، فجاءت خطابه مفضّلة لكلّ شيء حتى لا يُعجز عن فهمه، مقدّماً إياها بأسلوب علمي أدبي لكي يكون خطابه مقنعاً ومؤثراً في الوقت نفسه.

(١) ينظر: أدب الحكمة في وادي الرافدين: صلاح سلمان الجبوري، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠م: ٢٧٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٣.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٠ / ٤٠٤.

## خاتمة ونتائج

وجّه الإمام عليّ (عليه السلام) خطابه إلى الكيان الإنساني بشكل عام، لأنّه يُخاطبُ العقل والعاطفة وعندما يتجه هذا الاتجاه فلا بُدَّ له من ترك الأثر في الذات الإنسانية وتحقيقه لأهدافه، إذ كان لغايته الجمال المتمثلتين في المنفعة واللذة حضورهما البين في خطابات الإمام عليّ (عليه السلام) من دون تفريط بأيٍّ منهما.

مثلت خطابات الإمام عليّ (عليه السلام) انعكاساً للواقع الإنساني في تلك الحقبة من تاريخ الإنسانية. ولما كان المجتمع يعيش حالة من الصراع بين عدة قوى مثل الحق والباطل، والعدل والجور ركز الإمام على استحضاره لهذه القوى في خطابه. فجاء خطابه المعرفي يمثل التأسيس الأول للنظرية المعرفية. فعند التأمل في كلماته نجده يناقش أربع مجالات معرفية مهمة تتكلل بـ(العلاقة مع الله أولاً، والعلاقة مع الذات، والعلاقة مع سائر البشر، والعلاقة مع الطبيعة). فالخطاب العلوي يمثل معالجة جذرية للأمور، مبنية على نظر فلسفي عميق، وعلى نفاذ إلى كنه الحياة الاجتماعية وفهم لحقيقتها وتطوراتها.

فتعددت مستويات الخطابات وتنوعت بوحى من المقامات المتعددة للإمام من ناحية أنّه يمثل الخليفة والإمام والحكيم والقائد، وغير ذلك مما أضفى صفة الشمول على خطابه.

## قائمة المصادر

- \* القرآن الكريم: سورة آل عمران
- \* الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر، راجي أنور هيفا، دار العلوم، لبنان، ط ١، ٢٠٠٧ م.
- \* أدب الحكمة في وادي الرافدين، صلاح سلمان الجبوري، مراجعة، فاضل عبد الواحد علي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠ م.
- \* حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة سالم يفوت، المركز العربي الثقافي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧ م.
- \* الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية، حسين العمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١ م.
- \* شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، مراجعة السيد محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠١٢ م.
- \* الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، محسن باقر الموسوي، دار الهادي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- \* القضاء في الإسلام، عطية مصطفى مشرفة، شركة الشرق الأوسط للطباعة، مصر، ط ١، ١٩٦٦ م.
- \* نظام الخطاب: ميشال فوكو، ترجمة محمد سيلا، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٤ م.
- \* الكلمات والأشياء، ميشال فوكو، ترجمة مطاع صفدي، سالم يفوت، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠ م.

- \*نظرية النقد الأدبي الحديث: يوسف عوض نور، دار الأمين، ط ١.
- \*النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، فاطمة الطبال بركة، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.
- \*لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٩٥٦ م.
- \*نفحات الولاية - شرح عصري جامع لنهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ.
- \*علي بن أبي طالب سلطة الحق، عزيز السيد جاسم، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م.
- \*المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع: د. خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، ط ١، ١٩٨٤ م.



**وظائف اللغة عند مايكل هاليداي**

**دراسة تطبيقية**

**على نصوص مختارة من نهج البلاغة**

**الباحث**

**مقدام راتب المفرجيّ**

**قسم مؤسسة الوافي للتوثيق والدراسات**

**العتبة العباسية المقدّسة**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعده..

شهد القرن العشرين بروز اتجاهات ونظريات لغوية ولسانية كثيرة، ومنها ما كان له صدى واسع، ومنها وما لم يكن ذا حظوة من هذه الصدى إلا أنه كان له تأثير واضح وجلي في بعض الدراسات. وأدى هذا البروز إلى ظهور المدارس اللسانية واللغوية في أوروبا ما رافق ذلك اختلاف الرؤى والنظريات التي تبحث عن أسرار اللغة ودلالاتها وما يكتنفها، بل وحتى تاريخها وغير ذلك، حتى صار الشغل الشاغل لجميع من يرومون الدراسات اللغوية واللسانية المعاصرة؛ فظهرت لدينا الوصفية، والمعارية، والبنوية، والتفكيكية، والتوليدية التحويلية، ومن ثم النحو النظامي الوظيفي أو وظائف اللغة التي تبناها العالم مايكل هاليداي.

هذه النظرية التي تبنت مسألة الوظيفة في اللغة ساعدت على تحديد المعاني المرادة من النص بالنظر لما يحيط به من ظروف وأحوال، فالكلمة أو الجملة وحدها لا تعطي معنى ما لم يتم تسييقها لتعطي بذلك وظيفة معينة.

والوظيفة عند هاليداي تهتم وتبحث في الجانب الاجتماعي للغة وما تؤدّيه من وظائف، لذا درسها هاليداي دراسة مكثفة وحاول بيان الأدوار التواصلية للغة بصفاتها نظاماً لا تنفصل أجزاؤه عن بعضها.

هذه الدراسة تبين ما هو دور الوظيفة عند هاليداي، ومن ثم تُطبّق هذه النظرية على نصوص مختارة من نهج البلاغة بغية معرفة الوظائف التي تؤديها اللغة على وفق هذه النظرية، فجاءت على مبحثين:

الأول: وفيه التعريف بمايكل هاليداي وبالوظيفة وما يتصل بالنظرية الوظيفية عند هاليداي.

أمّا الثاني: فقد تضمّن تطبيقات على نصوص من النهج لبيان وظائف اللغة.

وتلتها الخاتمة وفيها الاستنتاج الذي توصل إليه البحث.

هذا، والحمد لله ربّ العالمين.

## المبحث الأول التعريفات

### أولاً: التعريف بمايكل هاليداي:

هو مايكل ألكسندر كيركوود هاليداي، لغوي إنجليزي، وُلد في ليدز يوركشاير في إنجلترا سنة ١٩٢٥م لأسرة جامعية، ودرس اللغة الصينية وحصل على درجة البكالوريوس فيها من جامعة لندن، ودرس بعد تخرجه علم اللغة في جامعة بكين ثم في كامبريدج إذ حصل على الدكتوراه سنة ١٩٥٥م<sup>(١)</sup>.

### المناصب التي تسنمها:

شَغِلَ مناصب عديدة منها: مدير لمركز أبحاث الاتصال في جامعة لندن ١٩٦٣م، وفي سنة ١٩٦٥م، عين أستاذاً لعلم اللغة العام بالكلية الجامعية بلندن، ثم دَرَسَ في الجمعية اللغوية التابعة للمعاهد الصيفية اللغوية الأمريكية في إندينا وأوكلاهوما ١٩٦٦م<sup>(٢)</sup>.

### نتاجاته:

ألف مع زوجته رقية حسن -الهندية الأصل - كتاباً حول الاتساق في اللغة الإنكليزية سنة ١٩٨٥م، وهو صاحب نظرية النحو النظامي<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: وظائف اللغة: مايكل هاليداي، ترجمة: محمود أحمد نحلة، مجلة اللسان العربي، العدد (٥٤)

لسنة (٢٠٠٢م) ص: ١٠٤.

(٢) ينظر: وظائف اللغة: مايكل هاليداي، ترجمة: محمود أحمد نحلة، مجلة اللسان العربي، العدد (٥٤)

لسنة (٢٠٠٢م) ص: ١٠٤.

(٣) ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: نعمان بوقرة: ٢٦٨.

### ثانياً: تعريف بالوظيفة:

الوظيفة في اللغة عرّفها ابن منظور بقوله: (الْوَضِيفَةُ من كلِّ شيءٍ: ما يُقدَّر له في كلِّ يوم من رِزق أو طعام أو علف أو شراب، وجمعها الوُضائف والوُظف ووظف الشيء على نفس ووظفه توظيفاً: ألزمها إياه)<sup>(١)</sup>.

وفي الاصطلاح: (مصدر صناعي من وظف وهي عند الاتجاه الوظيفي التداولي تعني ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل والتبليغ والبيان ارتباطاً يجعل البنية انعكاساً للوظيفة وتابعة له)<sup>(٢)</sup>.

وعرفها هاليداي بقوله: (الوظيفة في أبسط معانيها أن تكون مرادفة لكلمة استعمال لذلك حين نتحدث عن وظائف اللغة فنحن لا نعني إلا الطريقة التي يستعمل بها الناس لغتهم أو لغاتهم)<sup>(٣)</sup>.

وبذلك يكون التعريف الأول -اللغوي- يعني بالوظيفة العمل الذي يؤديه الفرد، في حين أن الوظيفة في الاصطلاح هي عمل أيضاً إلا أن القائم به ليس الفرد وإنما اللغة والبنية اللغوية.

### نشأة الوظيفة:

ظهرت بواكر النظرية الوظيفية منذ عام ١٩١١ عند ماثيوس وعند مدرسة براغ، ومن ثم تحدث عنها العالم جاكسون، وتبعه على ذلك مارتيني وهايمز. ومن ثم تحدث عنها كل من فريث وسيمون ديك؛ وكل واحد منهم كانت له نظرتة إلى الوظيفة. فعند جاكسون

(١) لسان العرب، مادة وظف.

(٢) البنيوية واللسانيات: الحناش: ٩٦.

(٣) ينظر: وظائف اللغة: مايكل هاليداي، ترجمة: محمود أحمد نحلة، مجلة اللسان العربي، العدد (٥٤)

لسنة (٢٠٠٢م) ص: ١٠٥.

الوظيفة اللغوية تكمن في البعد التبليغي في نظرية التواصل<sup>(١)</sup>، في حين أن ماريتيني يرى أنّ النحو يجب أن يدرس بناء على تحديد الوظيفة لكلّ عنصر، وطبيعة العلاقة التي تربطه بباقي العناصر<sup>(٢)</sup>. أما عند سيمون ديك، فالوظيفة لديه هي عبارة عن نظام متكامل؛ لذا أطلق ما يسمى بالنحو.

لقد تأثر هاليداي بأستاذه فيرث وبعض علماء اللغة، أمثال سيمون ديل ومالينوفسكي ومدرستي لندي وبراغ. وبناء على ذلك، نصبت النظرية عنده بشكل كبير، إذ فهم الوظيفة اللغوية عند كلّ منهم وخرج بهذه النظرية إلى الوجود.

### النظرية الوظيفية عند هاليداي:

درس هاليداي اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية للكشف عن أنماط العلاقات بين النظام اللغوي والتركيب الاجتماعي والثقافي لمستخدميها هو أهم ما ينبغي أن يعنى به الباحثون في اللغة<sup>(٣)</sup>. كما اهتمّ باللغة من وجهة نظر سيميائية اجتماعية بمعنى أنّ الكلمة سيمية أي إشارة<sup>(٤)</sup>.

كما يرى هاليداي أنّ النحو شبكة كبرى من الأنظمة المتشابكة تترتب فيها الأنظمة ترتيباً متدرجاً أو متزامناً<sup>(٥)</sup>؛ وعليه، فإنّ النحو عنده يقوم على الاختيار. فالتكلم بلغة معينة يقوم باختيار لغة الحديث ونوعها من حيث الأفراد والجمع ووقت الحديث حسب الأزمنة

(١) مدخل إلى اللسانيات التداولية: دلاش الجليلي: ١٥.

(٢) العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، دراسة وظيفية: سعدي الزبير: ٢٥.

(٣) ينظر: الوظيفة عند هاليداي دراسة تحليلية: تمام حمد المنيزل، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، العدد (١) لسنة ٢٠٢٠م، ص ٢٦.

(٤) ينظر: الوظيفة عند هاليداي دراسة تحليلية: تمام حمد المنيزل، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، العدد (١) لسنة ٢٠٢٠م، ص ٢٦.

(٥) علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي: محمود أحمد نحلة: ١١٩.

المتاحة. وهذا ما يمكن أن نتلمسه في تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والذي يعني اختيار الكلام المناسب للمقام والحال المناسبين.

ومن ذلك، نجد أن اللغة عند هاليداي لها وظائف متعددة علمياً أن هاليداي حدّد ثلاث وظائف للغة هي:

**الفكرية:** وتتمثل في التعبير عن المحتوى، أي خبرة المتكلم بعالم الواقع بما فيه العالم الداخلي لوعيه الخاص.

**التبادلية:** وهي الوظيفة التي تؤسس العلاقات الاجتماعية وتحافظ عليها من خلال ابتكارها أدواراً اجتماعية تشمل أدوار الاتصال كالسائل والمجيب.

**النصية:** وهي التي تجعل المتكلم قادراً على بناء النصوص والربط بين أجزاء الخطاب الواحد<sup>(١)</sup>.

وقد انبثقت من هذه الوظائف الثلاث وظائف أخرى هي:

**الوظيفة النفعية:** ويطلق عليها (أنا أريد)، وتعني التعبير عن الحاجات والرغبات باللغة.

**الوظيفة التنظيمية:** وتعني (افعل كذا، ولا تفعل كذا)؛ وعبر هذه الوظيفة، يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين لتنفيذ الأوامر والنواهي.

**الوظيفة التفاعلية:** وتعني (أنا وأنت) أي استعمال اللغة للتفاعل مع الآخرين في المناسبات وغيرها.

**الوظيفة الشخصية:** وعبر هذه الوظيفة يستطيع الفرد أن يعبر عن رؤاه الفردية.

(١) علم اللغة النظامي: ٥٤.

**الوظيفة الاستكشافية:** وعبرها يستطيع الفرد أن يسأل عن أي شيء وعن الجوانب التي لا يعرفها.

الوظيفة التخيلية: وتتمثل بما ينسجه الخيال للفرد من أشعار وغير ذلك.

الوظيفة الإخبارية والإعلامية: ومن طريقها يستطيع الفرد أن ينقل ويخبر بالمعلومات إلى أقرانه.

**الوظيفة الرمزية:** وهي ترى أنّ بعض المفردات في اللغة تعطي دلالات وإشارات ورموزاً تشير إلى موجودات في هذا العالم<sup>(١)</sup>.

هذه هي النظرية الوظيفية للغة أو النحو الوظيفي الذي يتبناه هاليداي في أنّ اللغة ليست مجرد نحو تطبيقي من فعل وفاعل وتتمة، وإنّما هناك سياق حاكم ووظيفة تؤدي إلى دلالة.

(١) ينظر: الوظيفة عند هاليداي دراسة تحليلية: تمام حمد المنيزل، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية. وسياق الحال في الاتجاه الوظيفي مايكل هاليداي أنموذجاً: أحمد كاظم عماش ورياض حمود حاتم، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية جامعة بابل، العدد (٢٩) لسنة ٢٠١٦م.

## المبحث الثاني

بعد أن عرفنا ما للغة من وظائف ومهام وأسيفة ودلالات تبناها مايكل هاليداي، آثرنا أن نطبق ذلك على نصوص من نهج البلاغة لنرى مدى صحة ما يتبناه هاليداي، وهل وظائف اللغة متوافرة في اللغة العربية؟ هذا ما سيتبين لنا عبر النصوص المختارة من النهج:

ففي قوله (عليه السلام): (اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد علي بالمغفرة. اللهم اغفر لي ما وأيت من نفسي، ولم تجد له وفاء عندي)<sup>(١)</sup>، وقوله: (اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال)<sup>(٢)</sup> تجد أن الوظيفة النفعية كانت حاضرة في كلامه (عليه السلام)، وذلك عبر دعائه لنفسه. فالمعلوم أن الدعاء وطلب الحاجة من الله عز وجل إنما هي تدخل في حيز المنفعة الشخصية. فقولته (اغفر لي، عد علي، أعوذ بك) كلها أساليب طلبية ذات دلالة أدت وظيفتها النفعية بحسب نظرية هاليداي.

لا شك أن تنظيم شؤون الإنسان من لوازم الحياة لما في ذلك من جلب للمصلحة ودرء للمفسدة. وعلى ذلك، أنزل الله تعالى في دياناته السماوية السمحاء، ولا سيما في القرآن العظيم، كما من الأوامر والنواهي، غرضها تنظيم حياة الفرد والمجتمع على حد سواء لكي لا تعم الفوضى بين الأفراد. وعليه، فلا بد من وجود من يبين علل هذه الأوامر والنواهي التي فرضها الله تعالى على الناس. ففي النص التالي، بينات ذلك، فقد قال (عليه السلام): (فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسيباً للرزق، والصيام ابتلاءً لإخلاص الخلق، والحجّ تقرباً للدين، والجهاد عزاً للإسلام، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء، وصلة الرحم مناة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، ومجانبة السرقة

(١) نهج البلاغة: ٢٠١.

(٢) نهج البلاغة: ١٦٧.

إيجاباً للعفة، وترك الزنا تحصيلاً للنسب، وترك اللواط تكثيراً للنسل، والشهادة استظهاراً على المجاحدات، وترك الكذب تشريعاً للصدق، والسلام أماناً من المخاوف، والأمانة نظاماً للأمة، والطاعة تعظيماً للإمامة<sup>(١)</sup>. فالفقرات الواردة في النصّ ليست بحاجة إلى تفسير أو توضيح، فهي واضحة وضوح الشمس، إلا أنّ المراد من ذكر هذا النصّ هو بيان ما لهذه الفروض التي فرضها الله سبحانه وتعالى على الناس من فائدة، هي فائدة التنظيم لحياة الفرد والمجتمع. وبذلك نجد أنّ النصّ قد أدّى وظيفته التنظيمية -بحسب نظرية هاليداي- عبر بيان العلل من الفروض الإلهية على الإنسان، وعلى ما في ذلك النص من أدائه للوظيفة الإخبارية، إذ أخبر عن الأسباب والعلل من الفروض إلا أنّ الوظيفة التنظيمية هي الأولى بهذا النص والأكثر حضوراً فيه.

وفي قوله (تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ؛ عَضُّ عَلَى نَاجِذِكَ؛ أَعَرِ اللَّهَ جَمْعَتِكَ؛ تَدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ؛ اِرْمِ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغَضُّ بِصْرِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)<sup>(٢)</sup>، وقوله: (عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكَنُوا إِلَى جِهَالَتِكُمْ، وَلَا تَتَّقِدُوا إِلَى أَهْوَائِكُمْ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشِفَا جَرْفِ هَارٍ)<sup>(٣)</sup>، فالمتأمل في النصين السابقين يجد أنّهما احتشدا بكم من الأوامر والنواهي وهي (لا تزل، عض، أعز، تد، ارم، غض، لا تركنوا، لا تنقادوا)؛ وهذه الأوامر والنواهي إنّما هي لتنظيم شأن الفرد والمجتمع. ففي النص الأول وصية لولده محمد بن الحنفية في حرب الجمل، وهي وصايا وأوامر من القائد إلى المحارب. في حين أنّ النواهي في النصّ الثاني هي وصايا ونواهٍ من الحاكم إلى الرعية؛ وما هذه الأوامر والنواهي إلا أمور تنظيمية، وعليه فإنّ النصين السابقين إنّما يدخلان في ضمن وظائف اللغة وأدبها الوظيفية التنظيمية منها بحسب هاليداي.

(١) نهج البلاغة: ٧٣٢.

(٢) نهج البلاغة: ١١٥.

(٣) نهج البلاغة: ٢٧٩.

ويعبر لنا قوله: (فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَبَّيْ، فَصَبَرْتُ فِي الْعَيْنِ قَدَىٰ وَفِي الْخَلْقِ شَجًّا أَرَىٰ تُرَاثِي نَهْبًا)<sup>(١)</sup> عن الرؤية التي يراها الإمام عليه السلام في هذه الموقف. إذ أثر عليه السلام أن يصبر على الأمر؛ التراث الذي نهب به وأخذه من ليس أهله، لأنَّ الصبر في ذلك أفضل وأكيس؛ إلَّا أنَّ صبره كان على مضض ومرارة منه، ولكنَّ المصلحة تقتضي ذلك. ففي هذا النص بانث الوظيفة الشخصية لأنَّها عبرت عن رؤية الفرد تجاه أمر ما بحسب نظرية هاليداي.

وفي موضع آخر، نجد ذات الوظيفة حاضرة في قوله عليه السلام: (والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها ويختلها راصدها، ولكنني أضرب بالمقبل إلى الحقَّ المدبر عنه، وبالسامع المطيع العاصي المريب أبداً)<sup>(٢)</sup>. فالممعن النظر فيه يجد أنَّ للإمام رؤية شخصية تكمن في أنَّه لا يكون كالضبع تنام على طول الضرب، ولكن يسير بما يمليه عليه دينه وعمله وحكمه، فيضرب بالمقبل إلى الحقَّ - أي المؤمن - على المدبر عنه - الكافر به - وكأنَّه يسوقه به، ويضرب بالسامع المطيع لأوامر الله ونواهيه العاصي لأوامر الله ونواهيه، فهو بذلك يعطي رؤيته في الحكم وكيف يسير على نهج القرآن حيث قال: (ونقذف بالحقَّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)<sup>(٣)</sup> فمن ذلك المعنى القرآني أبدى الإمام عليه السلام رؤيته الشخصية؛ وبذلك فقد تحققت في النص الوظيفة الشخصية بحسب هاليداي.

ومن قوله عليه السلام: (فإنَّكم لو عايتتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتهم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب)<sup>(٤)</sup>؛ وقوله: (ألا وإنَّ اليوم المضمار وغداً السباق؛ والسبقة الجنة والغاية النار. أفلا تائب من خطيئته قبل منيته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه؟)<sup>(٥)</sup>. يجد القارئ في النصين محاكاة لمشاعر الناس بغية

(١) نهج البلاغة: ١٠٣.

(٢) نهج البلاغة: ١١٣.

(٣) سورة الأنبياء: ١٨.

(٤) نهج البلاغة: ١٣٠.

(٥) نهج البلاغة: ١٤٤.

تفاعلهم مع كلامه والتزام الناس بما يقوله. ففي النص الأول تحذير من الموت وما يكتنفه، وفي النص الثاني تحذير من يوم القيامة وما فيه من الثواب والعقاب. وعليه، هذه الأمور الغيبية تؤثر في نفوس الناس ومشاعرهم - لا سيما وهم مسلمون مؤمنون بالمعاد - وعليه سيتفاعلون مع القول الصادر ممن هو أعرف منهم بالله سبحانه وتعالى. وعليه، فاللغة هنا أدت وظيفة تفاعلية بين المتكلم والمتلقي.

وهذه الوظيفة تتجلى في جملة وصاياہ لکمیل بن زیاد، إذ قال: (يا كميل! العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحداث بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه. يا كميل! هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر؛ أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة)<sup>(١)</sup>. فالإخبار والكلام والوصية كانت بين شخصين؛ أحدهما الموصي والثاني هو الموصى. وعليه فقد أدى هذا النص الوظيفة التفاعلية بين المتحدث والمتلقي بحسب هاليداي.

إنَّ الإخبار عن الماضي أو وصف شيء ما خافٍ على المتلقي إنَّما هو إخبار به له، وهذا الملمح ورد في قوله ﷺ في صفة آدم ﷺ: (ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها، تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبله حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقت معدود، وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانا...)<sup>(٢)</sup>. فالوظيفة الإخبارية الإعلامية بارزة فهو ﷺ أخبر الناس عن كيفية خلق آدم ﷺ بشيء من التفصيل والإسهاب. فقد بدأ في ذلك بجمع تربة آدم من مختلف مناطق الأرض وصولاً إلى خلطها بالماء حتى استوت على ما هي عليه، ومن ثم صلدت وبيست ثم نفخ فيها الروح،

(١) نهج البلاغة: ٧١٣.

(٢) نهج البلاغة: ٩١.

هذا التعداد والتفصيل إنّما هو إخبار واجابة في ذلك الوقت عن سؤال كيف خلق الله سبحانه آدم ﷺ. وعليه يكون هذا النصّ في مقام الإخبار عن خلق آدم ﷺ.

وقوله ﷺ: (بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنتمم العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار)، وقوله: (فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة؛ فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ وشمله البلاء)<sup>(١)</sup>. فقد أخبر الإمام ﷺ عن أمر ربّنا تناساه البعض في (بنا اهتديتم وتسنتمم وانفجرتم)، فضلاً عن الإخبار عن المستقبل غير المجهول في قوله (فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ...) فتجد أنّ اللغة المستعملة في هذين النصين لغة خطابية إخبارية إعلامية، فهو يعلم الناس عن ماضيهم ومستقبلهم. وهنا أدّت اللغة إحدى وظائفها بحسب هاليداي.

في قوله: (أين الذين عمروا فنعموا وعلموا ففهموا وأنظروا فلهوا وسلموا فنسوا)<sup>(٢)</sup>. وفي هذا النصّ تجد الوظيفة الاستكشافية ظاهرة وجليّة فيه؛ فالإمام ﷺ يسأل عن الذين عمروا حياتهم ونعموا بها ولهوا وسلموا ونسوا، فإنّ الناظر إلى النصّ يلمح فيه أنّ التساؤلات الواردة ليس جوابها غائب عن الإمام ﷺ، ولا هو من المجهولات عليه ولا على المخاطب، إذ إنّ في تلك التساؤلات عبرة للمعتبر وتذكير للمذكّر، إلّا أنّ الخطاب هنا من الناحية الوظائفية أدّى وظيفة استكشافية، وهي السؤال عن الغابرين وماذا سيؤول حالهم في الحياة الأخرى.

لا شكّ أنّ الرمز في اللغة العربية كثير وأغلبه قد يأتي بصور مختلفة، إلّا أنّ المغزى هو شيء بعينه. وهذا ما تجلّى في قوله ﷺ: (فرض عليكم حجّ بيته الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام)<sup>(٣)</sup>. فلو تأملنا في النصّ نرى أنّ الإمام

(١) نهج البلاغة: ١٤٠.

(٢) نهج البلاغة: ٢٢٠.

(٣) نهج البلاغة: ٩٨.

استعمل أسلوب التشبيه في قوله (ورود الأنعام، ولوه الحمام)؛ وهذان التشبيهان إنّما أريد منهما بيان حال الحاجّ أو المعتمر إلى بيت الله العزيز، إذ لم يعكف الإمام على الوصف المباشر، وإنّما شبّهه بورود الأنعام إلى الماء لما في ذلك من تراحم وتدافع على المشرعة، وهي صورة حركية مألوفة لدى المتلقي؛ هذا فضلاً عن استعماله (عليه السلام) التشبيه الثاني (ولو الحمام) والتشبيه هنا لبيان حال الحجاج الذي يفزعون إلى بيت الله ويلوذون به ويعكفون عليه؛ وفي ذلك معنى آخر للوله، وهو شدة الوجد حتى يكاد العقل يذهب منها. وعليه، فإنّ استعمال هذا التشبيه وهذا التصوير البليغ لبيان حال الحجاج في بيت الله إنّما أدّى وظيفة رمزية دقيقة، لما في ذلك من بلاغة، بدلاً من الكلام المباشر. وهنا كان للوظيفة الرمزية الأثر الأكبر في المتلقي بحسب نظرية هاليداي.

وتجلّت هذه الوظيفة في قوله (عليه السلام): (أما والله لقد تقمصها فلان، وإنه ليعلم أنّ محليّ منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير. فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً)<sup>(١)</sup> فاستعمال الاستعارة في قوله (تقمصها، القطب، طويت كشحاً، أمواج الفتن، تيجان المفاخرة) فهذه العبارات لها دلالات رمزية (فالتقمص) يمثل ارتداء القميص؛ وفي ذلك بيان وإيضاح من الإمام (عليه السلام) أنّ الخلافة أصبحت قميصاً يرتديه من شاء ومتى يشاء؛ أي إنّها أفرغت من محتواها الحقيقي. وفي كلمة (القطب)، يوجّه الإمام الناس إلى مسألة غاية في الحساسية والأهمية، وهي أنّ هذا الأمر الذي صار قميصاً يرتديه من يشاء إنّما هو ليس كذلك؛ فضلاً عن أنّ مركزي ومكاني ومحلي من هذا الأمر إنّما هو في لبه ووسطه. والإمام استعمل في ذلك أسلوب الاستعارة لبلاغتها وتأثيرها لدى المتلقي، زيادة على أنّها تفضي إلى دلالات واضحة للسامع.

(١) نهج البلاغة: ١٠٢.

وفي قوله: (شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة)<sup>(١)</sup>، فالاستعارة في (أمواج الفتن، تيجان المفاخرة) يركن الإمام إلى هذا الرمز لأنّه أراد بذلك إيضاح أنّ الفتن إنّما هي كأمواج البحر التي تتلاقف السفن ذات اليمين وذات الشمال، لا بدّ من شقّها بسفن النجاة؛ ومعروف أنّ سفن النجاة إنّما هم أهل البيت (عليه السلام) - وهذا رمز أيضاً - وفي ذلك نجد أنّ الرمز حاضر في هذه التعبيرات عبر تقنية الاستعارة. وعليه، فإنّك تجد أنّ الوظيفة الرمزية بحسب نظرية هاليداي واضحة في هذين النصين الكريمين.

وبعد هذا العرض المبسط في هذه الأمثلة، نجد أنّ اللغة في كلّ نصّ من النصوص أدّت وظيفة معينة، علماً أنّ الوظائف قد تتداخل فيما بينها فتجد الشخصية والنفعية معاً، والإعلامية والتفاعلية معاً، إلّا أنّك تجد أنّ وظيفة تغلب على الأخرى؛ وهذا ما اقتضاه المقام.

---

(١) نهج البلاغة: ١١١.

## الخاتمة

وبعد ما عرضناه في الصفحات السابقة، وصل البحث إلى نتيجة مفادها أنّ مايكل هاليداي كان متأثراً بجملة من علماء اللغة وأبرزهم فيرث، إذ قام هاليداي بالعناية بنظريته ومن ثمّ تطويرها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه.

وقد ربط مايكل هاليداي بين اللغة والمجتمع وعدّ أنّ وظائف اللغة تُؤدّي عبر الاستعمال من لدن المجتمع على اعتبار أنّ المتكلم هو من يختار مفرداته وزمن تحدّثه والمقام- مقام الحال-.

ولوحظ أنّه عند تطبيق هذه النظرية على اللغة تنتج لنا جملة من الوظائف اللغوية بمعنى: أنّ النصوص التي طُبِّقت عليها النظرية أخرجت لنا جملة نتائج ووظائف.

كما لوحظ عند تطبيق هذه النظرية على نصوص من نهج البلاغة أنّ اللغة أدّت وظيفتها بشكل كامل على وفق النظرية، وبذلك تكون لغة النهج لغة وظيفية أدّت وظائفها على وفق ما يقتضي مقام الحال، فوجد أنّ كلام الإمام (عليه السلام) لا يخرج إلّا لإعطاء وظيفة معينة متلائمة مع المقام، فتارةً تجده يستكشف، وتارةً يدعو، وتارةً يوصي، وتارةً يحذّر، وتارةً يستعمل الرمز وغير ذلك. فهذه كلّها وظائف أدتها اللغة من منظور مايكل هاليداي.

## المصادر والمراجع

### الكتب:

١. البنيوية واللسانيات: محمد الحناش، دار الرشاد الحديثة، ١٩٨٠ م.
٢. علم اللغة النظامي - مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي: محمود أحمد نحلة، ط ٢، ٢٠٠١ م.
٣. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.
٤. اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠.
٥. مدخل إلى اللسانيات التداولية: دلاش الجيلالي، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢ م.
٦. نهج البلاغة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرح: محمد عبده، مؤسسة المعارف، بيروت، ط ١، ١٩٩٠ م.

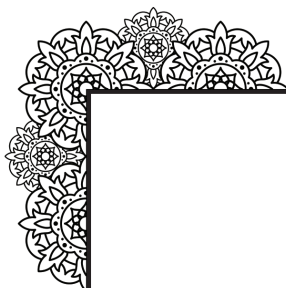
### الرسائل والأطاريح

٧. العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، دراسة وظيفية: سعدي الزبير، أطروحة دكتوراه، معهد اللغة العربية، جامعة الجزائر، ١٩٨٩ م.

### المجلات والدوريات:

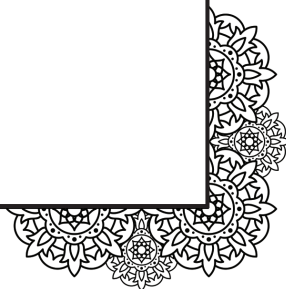
٨. سياق الحال في الاتجاه الوظيفي مايكل هاليدي أنموذجاً: أحمد كاظم عماش ورياض حمود حاتم، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية - جامعة بابل، العدد (٢٩) لسنة ٢٠١٦ م.

٩. وظائف اللغة: مايكل هاليداي، ترجمة: محمود أحمد نحلة، مجلة اللسان العربي، العدد (٥٤) لسنة (٢٠٠٢م).
١٠. الوظيفة عند هاليداي - دراسة تحليلية: تمام حمد المنيزل، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، العدد (١) لسنة ٢٠٢٠م.



**التربية الأسرية**  
**عند الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام**  
**دراسة تحليلية**  
**في ضوء النظريات النفسية-الاجتماعية**

الباحث  
د. منتظر كامل منصور الكعبي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

التربية الأسرية هي نظام التنشئة الذي يضعه الوالدان لتربية أبنائهم وإعدادهم وتنميتهم وتأهيلهم بصورة صحيحة. وإذا ما كانت هذه التربية مُقامة على أسس سليمة ومتوازنة، فإنّها سوف تؤدي إلى صلاح المجتمع ونهضته وبقائه. <sup>(١)</sup> لذلك، فمن المهم جداً للوالدين أن يهتموا بتربية أولادهم وتنشئتهم وفق اعتبارات نفسية واجتماعية ودينية في الوقت نفسه. بالإضافة إلى ذلك، تعتبر التربية الأسرية مسؤولية كبيرة، وهي تتطلب مهارات وإعداداً خاصاً. فالأسرة هي مجموعة من الأفراد الذين تربطهم علاقة اجتماعية. لذلك، فإنّ عدم الاستقرار وانعدام الوثام والسلام في الأسرة من الأضرار الجسيمة على المجتمع. وعدم معالجة هذه المشكلة يؤدي إلى أضرار لا رجعة فيها على المجتمع الإسلامي.

إنّ اتباع نموذج الأسرة الإسلامية، وأسلوب حياة أسرة الإمام علي وفاطمة عليهما السلام يمكن أن يحلّ العديد من التحديات والمشاكل التي تواجه الأسر المعاصرة. فقد أشارت دراسات حديثة إلى أنّ الاقتداء بسيرة أهل البيت عليهم السلام له تأثير فعال في التربية الأسرية، حيث بيّنت دراسة في مدينة أصفهان في إيران أنّ التعاليم الأبوية الحكيمة وفق منظور الإمام علي عليه السلام يعزز الإبداع وينمي شخصية الأطفال. <sup>(٢)</sup> وفي دراسة أُجريت في تركيا أشارت إلى أثر التربية الأسرية في فكر الإمام علي عليه السلام ومقارنته بأفكار فلاسفة آخرين. <sup>(٣)</sup> كما أكّدت دراسة حديثة أخرى أنّ أسلوب التربية الأسرية القائم على أسس منهج الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام له أثر إيجابي في تحسين الأفكار وتنميتها عند الأطفال. <sup>(٤)</sup>

(١) Hatfield, 1994, p. 4

(٢) Moghadam, 2022, p.98

(٣) Javani, 2019, p.410

(٤) Moradi Saki, 2023, p. 100

## المبحث الأول

### مفاهيم التربية الأسرية والاجتماعية

#### في فكر الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام

لقد أولى الدين الإسلامي أهمية خاصة بتربية الأسرة وتنشئتها. فنرى القرآن الكريم، وعلى الرغم من عدم وجود لفظ صريح لمفهوم «الأسرة»، يشير إلى ذلك بمصطلحات وكلمات تعبر عن كل ما له علاقة وصلة بالأسرة والتربية الأسرية. ففي سورة الأعراف، يقول عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وفي آية أخرى في سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكانت الأحاديث النبوية تركز على التربية الأسرية من منطلق مبدأ الشعور بالمسؤولية والذي أسسه الرسول ﷺ، بقوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(٣)</sup>. فالسيرة النبوية والأحاديث المروية تحتوي على منهج متكامل في تربية الأطفال بشكل خاص والتربية الأسرية بشكل عام.

وجاء منهج الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام على الطريق نفسه الذي أكدته الأحاديث النبوية، وهو أسلوب أهل البيت عليهم السلام في التربية والتعليم. فهذا النهج قد ركز على خلق الشعور بالمسؤولية عند الأبناء حتى يكون ذلك رادعاً لهم من الداخل وليس من الخارج.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

(٣) المجلسي، ج ٧٢، ص ٣٨.

كما إنّ هذا النوع من التربية الأسرية هي التي تدفع وتحفز الأبناء إلى طلب العلم والعمل الدؤوب المستمر وصيانتها وحفظ حقوقهم في سبيل خدمة مجتمعهم.<sup>(١)</sup>

وعندما نراجع أقوال الإمام علي عليه السلام وكلماته حول تربية الأبناء، فإننا نجد في مقدمة اهتماماته موضوع تثبيت العلاقة الروحية وإرسائها في جو الأسرة من وجهة نظر الإسلام؛ وهذه النظرة تحاول أن تجد التوازن ما بين المطالب في الدنيا والمطالب في الآخرة، وذلك وفق القانون الذي وضعه الله تعالى في الآية التالية: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.<sup>(٢)</sup> وهذا التوازن يتطلب بطبيعة الحال العمل في أولويات الواجبات التي تناط بالأسرة وما يتعلق بها.

ففي رسالة الإمام علي عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام، نرى جوانب كثيرة مفيدة في التربية الأسرية كان الإمام قد طبقها في تعامله مع ابنائه. فهو يقول في تلك الرسالة:

« أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا - وَرَأَيْتُنِي أَرْدَادُ وَهْنًا - بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ - وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي - دُونَ أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي - أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا تُقْصُصُ فِي جِسْمِي - أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا - فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ - وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْحَالِيَةِ - مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتْهُ - فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ - وَيَشْتَغَلَ لُبُّكَ لِمَسْتَقْبَلِ بَعْدِ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ - مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجَرَّبَتَهُ - فَتَكُونَ قَدْ كُفِّيتَ مَوْوَنَةَ الطَّلَبِ - وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجَرُّبَةِ - فَاتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ - وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي لَمْ أَكُنْ عُمَرْتُ عُمَرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي - فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ - وَسَرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ - بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ - قَدْ عُمَرْتُ مَعَ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ - فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ - فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ

(١) مغنية، ١٩٧٩، ص ٣٠٩.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيْلَه - وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيْلَه وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَه - وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْينِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ - وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ - وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ - ذُو نِيَّةٍ سَلِيْمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ - وَأَنْ أُبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَتَأْوِيلِهِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ - لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ»<sup>(١)</sup>

وفي هذه الكلمات نجد الكثير من الرسائل الموجهة نحو صميم التربية الأسرية من خلال التركيز على واجب الوالدين أن يراعوا أبناءهم في كل مرحلة من مراحل نموهم وأن يوفر لهم ما يحتاجونه من ذخيرة ثقافية أخلاقية يتناسب مع كل مرحلة عمرية.

وفي السياق نفسه، نرى أن لفاطمة الزهراء (عليها السلام) منهج تربوي فعال، فهي البنت والزوجة والأم المثالية في الحياة الأسرية داخل البيت وخارجه. فكما أراد الله تعالى أن يجعل للأمة قادة من الذكور، فقد جعل أيضاً قدوة في الإناث فاختار فاطمة الزهراء (عليها السلام) وجعلها للنساء نموذجاً تشاركهن في المسؤوليات العامة والخاصة؛ فجسدت كل هذه السلوكيات في حياتها التربوية، فأصبحت مثلاً للانسجام الأسري والاجتماعي.<sup>(٢)</sup>

فقد كانت تبذل جهدها في تربية أولادها وتعليمهم وفق مبادئ التربية الأسرية الإسلامية والإسلامية التي تليق بأهل البيت الذين كرمهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فيروي المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» أن الحسن (عليه السلام) كان يحضر مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه، وكلما دخل علي (عليه السلام) وجد عندها علماً بالتنزيل فيسألها عن ذلك؟ فقالت: من ولدك الحسن.<sup>(٤)</sup>

(١) ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٩.

(٢) مناف، ٢٠١٩، ص ٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤) المجلسي، ج ٤٣، ص ٣٣٨.

وقامت فاطمة الزهراء عليها السلام بتطبيق كلّ ما تعلّمته من والدها في تربية أبنائها والذي تمثل بالحقوق والمبادئ الأساسية كبرّ الوالدين وصلة الرحم واحترام الجار. فقد روي عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: «رأيت أُمِّي قائمة في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راکعة ساجدة حتى اتّضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقال: يا بني الجار ثم الدار.<sup>(١)</sup>

وهذا أفضل مثال يمكن الاقتداء به وتطبيقه، حيث إنّ ما قامت به الزهراء عليها السلام من عبادة الله وطاعته كان أمام أولادها لترسم صورة في أذهانهم ما تقوم به وترفع من صوتها كي تستطيع أن تسمع أذانهم، وتحفزهم على القيام به ليطبقوه فتفرح بهم، وهذا حقّ من حقوقهم. ومن ثمّ إنفاذ لوصايا الرسول صلّى الله عليه وآله في التربية الأسرية. وعلى الرغم من الفترة القصيرة التي رعت فيها أولادها، فإنّها لم تقصّر في تربيتهم واحتضانهم على الرغم من مسؤولياتها الأسرية والاجتماعية والسياسية لكونها بنت الرسالة والسند الأول للنبوّة والإمامة.<sup>(٢)</sup>

لقد كانت التربية الأسرية عند الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام تستند على مبادئ حبّ المجتمع ومساعدة الآخرين؛ وأفضل مثال على ذلك رواية تمثل إثارة أهل البيت. فقد اتفق أغلب الرواة أنّ الإمام علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام وخادمتهم فضة، صاموا ثلاثة أيام، وفاءً لنذر نذروه. وفي الليلة الأولى، حين الإفطار، قدموا طعامهم لفقير وأفطروا بالماء. وفي الليلة الثانية قدموا أفطارهم ليتيم وأفطروا بالماء. وفي الليلة الثالثة قدموا إفطارهم لأسير وأفطروا أيضاً بالماء. وعندها نزلت فيهم الآية: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.<sup>(٣)</sup>

(١) المجلسي، ج ٣٩، ص ٢٩٤.

(٢) عبد الرزاق، ٢٠٢٢، ص ١٥١.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٨.

فهذا العمل كان درساً لأبنائهم لكي يتعلموا الصبر، والإيثار، ومساعدة الآخرين في أصعب الظروف. وهذا الأمر سيعكس حالة إيجابية وسيولد طاقة هادفة في المجتمع يستفيد منها جميع الناس.

وكذلك يرى الإمام علي عليه السلام أنه لمن اللازم على الوالدين أن يهتموا ويراعوا أبناءهم في كل مرحلة عمرية من مراحل نموهم، ويوفروا لهم ما يحتاجونه من ذخيرة دينية وثقافية وأخلاقية، وبما يتناسب مع كل فترة. ففي وصيته للإمام الحسن عليه السلام، يقول: «فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفأك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة. فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه».<sup>(١)</sup>

فهذا الكلام يبين الحاجة إلى تنوير الأفراد وتثقيفهم وتوعيتهم من خلال التأكيد والمحافظة على الحقوق المتبادلة في المجتمع والأسرة، وبهذا يكون أحد طرق التربية الأسرية والتي تشتمل على حقوق الآباء على الأبناء وحقوق الأبناء على الآباء. فنرى الإمام يضع أساسات وموازين في أسلوب تبني واسترشاد التربية الأسرية الصحيحة، والتي تهدف إلى إنقاذ البشر من مطبات السلوكيات المنحرفة والارتقاء بالنفس وصيانة الكرامة الإنسانية والمجتمعية ورؤية طريق الحق.

وكان الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام يتبعون خطى الرسول الأعظم في إعداد الأسرة وتربيتها، وذلك بعد أن يعدّ الوالدان أبناءهم من الناحية النفسية والاجتماعية والسلوكية، وبما ينسجم مع الشريعة الإسلامية.

ولما كانت شخصية كل فرد تتشكل في الأسرة، وتخطيط المنزل هو سبب النجاح في المجتمع، فسيضمن القيام بذلك الوصول إلى نموذج تربوي وأسري مناسب من مدرسة

(١) نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٠-٤١.

الإمام علي عليه السلام والزهراء عليها السلام. وبيان الأساسيات والمبادئ وأساليب إدارة بيت النبوة،  
ستشهد نمو الأسرة وتميزها. ونتيجة لذلك، ستقل الأضرار الاجتماعية والانحراف على  
مستوى الأسرة والمجتمع.

## المبحث الثاني

### النظريات النفسية-الاجتماعية

في هذا المبحث، سنتناول بعض النظريات التي حاولت تفسير وفهم التربية الأسرية، ومن ثمّ نحللها وفق ما جاءت به أقوال الإمام علي وفاطمة الزهراء (عليهما السلام) وحكمهما؛ ومن هذه النظريات، نذكر:

#### ١- نظرية النظم البيئية الحياتية Bioecological Systems Theory:

إحدى النظريات الرئيسة التي حاولت تفسير التأثيرات على الأبناء وعلاقاتهم مع الوالدين وفهمها، هي نظرية النظم البيئية الحيوية للعالم الروسي برونفينبرينر<sup>(١)</sup>، وأحد المبادئ الأساسية لهذه النظرية هو أنّ نمو الأطفال والأبناء يتأثر بالعديد من «السياقات» أو «الإعدادات» أو «البيئات» المختلفة (على سبيل المثال، الأسرة، والأقران، والمدارس، والمجتمعات، والمعتقدات الاجتماعية والثقافية والأنظمة المجتمعية وأنظمة السياسات الاقتصادية).<sup>(٢)</sup> وفي قلب هذه النظرية، يوجد الأبناء. فعندما تتحرك داخل هذه الدوائر وخارجها، نقوم بتصنيف التأثيرات الخارجية التي تؤثر في نمو الأفراد. وتؤثر هذه الدوائر بعضها في بعض. فهذه السياقات والبيئات تتحرك وتتفاعل مع بعضها البعض في المجتمع، ومن ثمّ تؤثر في الطفل وتنشئته، وخصوصاً من حيث الزمان والمكان.<sup>(٣)</sup>

(١) يوري برونفينبرينر (١٩١٧-٢٠٠٥) ولد في روسيا وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستقر هناك، يعتبر أحد أبرز العلماء في مجال علم نفس النمو، وله نظرية في التربية الأسرية ومؤلفات وبحوث عديدة في علم البيئة البشرية والطفولة.

(٢) Bronfenbrenner, 1994, p.37

(٣) Tudge, 2022, p.52

عندما قال الإمام علي عليه السلام: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»<sup>(١)</sup> فهذا التعبير هو صورة جلية لما جاءت به نظرية النظم البيئية الحياتية التي تؤكد أهمية السياقات الزمانية والمكانية في التنشئة الأسرية. فهذا القول يشير إلى ضرورة مراعاة الزمان والمكان في تربية الأبناء. إن القاعدة الأساسية التي تعتمدها نظرية النظم البيئية الحياتية تتجلى في فكرة الأهمية الزمانية والمكانية في التربية الأسرية، حيث إن علاقات الأطفال مع أولياء أمورهم ومقدمي الرعاية لهم تؤثر في نموهم - وإن هذه العلاقات تتأثر ببيئة عملهم ومدرستهم ومجتمعهم، والتي تتأثر بدورها بالسياسات الاجتماعية والثقافية في المجتمع بأكمله. وهذه الطبقات المتعددة من العلاقات والبيئات المتداخلة والمتشابكة تتفاعل مع بعضها البعض مما يؤثر في النهاية في كيفية نمو الأطفال وقدرتهم على الصمود والنجاح في حياتهم الأسرية والمجتمعية.<sup>(٢)</sup>

وبصورة مماثلة، بينت دراسة في ألمانيا حول تنشئة الأطفال وعلاقتهم بالوالدين، أن طريقة التربية التي تعتمد على نهج مشابه، أي مراعاة العوامل الزمانية والمكانية في تربية الأطفال، ستؤدي إلى تقوية شخصية الأطفال، ومن ثم فهذه الطريقة تعزز من وجود أنظمة مترابطة تدعم رفاهية الأطفال، بما في ذلك الصحة العقلية والجسدية، والتكيف الاجتماعي والانفعالي، واستجابات الإجهاد الفسيولوجي والتحصيل الأكاديمي.<sup>(٣)</sup>

بينما أشارت دراسة أجريت في فرنسا حول أفضل الطرق للتنشئة الأسرية، ووجدوا أن تطبيق نظرية النظم البيئية الحياتية والاهتمام بالنواحي الزمانية والمكانية في علاقة الأطفال مع والديهم ستكون فعالة وناجحة في تقوية شخصية الأطفال ومنحهم حافزاً أكبر للنجاح

(١) ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٦٧. أقول: هذه الكلمة ليست من أصل نهج البلاغة، وإنما ذكرها ابن أبي الحديد ضمن الكلمات المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام. [قسم الشؤون الفكرية].

O'Toole, 2017, p. 388 (٢)

Fuchs, 2012, p.22 (٣)

على المستوى الشخصي والأكاديمي.<sup>(١)</sup> أي إن هذه الدراسة هي مثال مناسب لفعالية قول الإمام علي عليه السلام حول تربية الأبناء.

## ٢. نظرية النظم العائلية Family systems theory:

تنص هذه النظرية، التي وضعها العالم الأمريكي باون<sup>(٢)</sup>، أن الأسرة هي وحدة (unit) عاطفية متماسكة مترابطة، وأن احتياجات وقدرات أحد الأفراد سوف تؤثر في جميع الأسرة. وأن تفاعلات الأنظمة الفرعية بين الوالدين، وبين الوالدين والأبناء، وبين الأطفال تؤثر في كل فرد، وفي الوقت نفسه، تؤثر في الجميع في الأسرة الواحدة. وغالبًا ما تكون علاقة الأخوة أطول علاقة في حياة الفرد، حيث يلعب الأشقاء أدوارًا مركزية في حياة بعضهم البعض طوال فترة الحياة.<sup>(٣)</sup>

كذلك أشار بعض الباحثين الذين درسوا هذه النظرية أن الأسرة هنا تمثل مجموعة منتظمة واحدة، أي إن أفراد العائلة الواحدة يكونون قادرين على القيام بعمليات مثل التنظيم الذاتي Self-regulation وإعادة التنظيم الذاتي Self-reorganization بالوقت نفسه، إذا توافرت الظروف والعوامل المناسبة لذلك. فالتنظيم الذاتي ينطوي على استقرار أنماط التفاعل، بينما تشير إعادة التنظيم الذاتي إلى التكيف مع البيئة.<sup>(٤)</sup>

وإذا ما حاولنا تطبيق بعض ما ورد من روايات حول طريقة تربية الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام لأبنائهما، سنجد بعض صور وجوانب عملية من نظرية النظم العائلية في صلب محور الطريقة التي كانوا يتعاملون بها. فإحدى الروايات تبين كيف كان الإمام

(١) Bergheul et al., 2018, p.94

(٢) موراى باون (١٩١٣-١٩٩٠) أستاذ الطب النفسي في جامعة جورجتاون الأمريكية، وأحد رواد

العلاج الأسري family therapy.

(٣) Bowen, 1966, p.345

(٤) Schermerhorn & Cummings, 2008, p.188

الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) يلعبان بين يدي أمهما وكم كانت فرحةً بهما، كذلك فقد كانت (عليهما السلام) تلاعبهما وتناغيهما وتدللّهما. وهذا هو جوهر الوحدة العاطفية-الانفعالية التي أشارت عليه نظرية النظم العائلية. وفي أكثر من مرة، يقوم الإمام علي وفاطمة الزهراء (عليهما السلام) بخلق جو متكامل كأنه وحدة واحدة مترابطة لا تستغني أحدهما عن الآخر. وقد أكد الإمام علي وفاطمة الزهراء (عليهما السلام) مشاعر صغارها وعواطفهم. ففي رواية أنّ الحسن والحسين كانا يكتبان ذات مرّة، فتحاكما إلى أمّهما لتحكم بمن خطّه أحسن، فكرهت أن تؤذي أحدهما فقالت: «سَلَا أَبَاكُمَا»، وكره الإمام علي (عليه السلام) أن يؤذي أحدهما فقال: سلا جدكما... لكنّ الرسول- لم يحكم بينهما ورُدّ الحكم إلى الزهراء (عليها السلام)، فما كان منها إلا أن قطعت عقدها ونشرت حبّاته وقالت: «أَنَا أَنْثَرُ بَيْنَكُمْ جَوَاهِرَ هَذِهِ الْقِلَادَةِ فَمَنْ أَخَذَ مِنْهَا أَكْثَرَ فَخَطُّهُ أَحْسَنُ»، فكان كلّ واحد نصيبه كالآخر،<sup>(١)</sup> وكلّ ذلك حصل حرصاً على مشاعرهما، وهما إمامان معصومان! فهذه الرواية أفضل مثال للآباء والأمهات أن يكونوا مرهفي الحسّ تجاه الأطفال، ولا يعتبروا أنّ هذه مواقف تمرّ في حياة الطفل من دون أثر، وأنّ الحفاظ على مشاعره ومساعدته للاعتداد بنفسه ورؤية إنجازاته هو أمر بالغ الأهميّة في تربيته.

وقد أثبتت نظرية أنظمة الأسرة أنّها فعالة جداً في تفسير الأطر العامة للتنشئة والتربية الأسرية وفهمها. فهذه النظرية تأتي تحت مظلة النظرية الوظيفية، وتشارك في النهج الوظيفي للنظر في الاختلالات الوظيفية والوظائف للمجموعات والمنظمات المعقدة في المجتمع والذي تكون فيه الأسرة النواة الأساسية المكونة له.<sup>(٢)</sup>

كما أشارت عدة دراسات وأبحاث أجريت في دول عديدة حول كفاءة هذه النظرية وفعاليتها عند تبنيها في البحوث الميدانية والتطبيقية، خصوصاً في مجالات التربية والتنشئة

(١) البحراني، ج ١١، ص ٨٩٨.

(٢) Titelman, 2014, p. 31

الأسرية مثل دراسة كروب (٢٠١٢)<sup>(١)</sup> في ألمانيا، ودراسة كورتيه وآخرون (٢٠١٤) في فرنسا.<sup>(٢)</sup>

### ٣. النظرية الوظيفية Functionalism

عند النظر في دور الأسرة في المجتمع، فإن أصحاب هذه النظرية يدعمون فكرة أن الأسرة مؤسسة اجتماعية مهمة، وأنها تؤدي دوراً رئيساً في استقرار المجتمع. ويلاحظون أيضاً أن أفراد الأسرة يتولون أدواراً اجتماعية في الزواج أو الأسرة. وتؤدي الأسرة - وأفرادها - وظائف معينة تسهل ازدهار المجتمع وتطوره.<sup>(٣)</sup> وبمجرد ولادة الأطفال، تؤدي الأسرة دوراً حيوياً في تدريبهم على حياة البلوغ، باعتبارها العامل الأساسي في التنشئة الاجتماعية والتثقيف، حيث تقوم الأسرة بتعليم الأطفال الصغار طرق التفكير والسلوك التي تتبع الأعراف والقيم والمعتقدات والمواقف الاجتماعية والثقافية. على سبيل المثال، في بعض العائلات، يقوم الآباء بتعليم أطفالهم الأخلاق والكياسة معتقدين أن الطفل حسن الخلق يعكس والدًا حسن الخلق. ويقوم الآباء أيضاً بتعليم الأطفال الفروقات بين الذكر والأنثى. وتعدّ هذه الأدوار جزءاً مهماً من الوظيفة الاقتصادية للأسرة. يوجد في كل أسرة تقسيم للعمل يتكون من أدوار مفيدة ومعبرة. يميل الرجال إلى الاضطلاع بأدوار مفيدة في الأسرة، تنطوي عادة على العمل خارج الأسرة الذي يوفر الدعم المالي ويحدد الوضع العائلي. تميل النساء إلى القيام بالأدوار التعبيرية، والتي تتضمن عادةً العمل داخل الأسرة الذي يوفر الدعم العاطفي والرعاية الجسدية للأطفال.<sup>(٤)</sup>

(١) Groß, 2012, p.21

(٢) Cortes et al., 2014, p.2

(٣) Sever, 2012, p. 671

(٤) Doherty et al., 1993, p. 8

وعند تحليل النظرية الوظيفية في ضوء ما جاء على لسان أهل بيت النبوة (عليه السلام) نرى أنّ مرتكز هذه النظرية ينطبق على قول الإمام علي (عليه السلام) عندما وصف الإنسان بالكائن الاجتماعي «فالناس صنفان؛ أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق». فهو هنا يشجع الناس سواء كانوا ضمن أسرهم أو فرادى أن يعملوا من أجل مجتمعهم؛ وهذا رمز للتقارب والتآلف المجتمعي والذي ينعكس على تربية الأبناء داخل الأسرة الواحدة فيظهر لنا جيل جديد مؤسس على التربية الإسلامية الصحيحة وفق تعاليم أهل البيت، من حيث التركيز على جوانب عديدة مثل برّ الوالدين وصلة الأرحام ومساعدة الجار والآخرين. وهذا من ثمّ يؤدي إلى بناء مجتمع سليم مقاوم للأفكار الهدامة والسلبية والانحرافات السلوكية.

وقد أشارت النظرية الوظيفية إلى هذا الأمر عندما بيّنت أنّه بمجرد ولادة الأطفال، تلعب الأسرة دوراً حيويّاً في تنشئتهم وتهيئتهم وتدريبهم على حياة البلوغ، باعتبارها العامل الأساسي في التنشئة الاجتماعية والتثقيف، حيث تقوم الأسرة بتعليم الأطفال الصغار طرق التفكير والسلوك التي تتبع الأعراف والقيم والمعتقدات والمواقف الاجتماعية والثقافية.<sup>(١)</sup> وهنالك بعض النظريات الاجتماعية الأخرى التي حاولت تفسير جوانب التنشئة والتربية الأسرية وفهمها، إلّا أنّها لا تنطبق على بحثنا هذا لأنّها صُممت على سياقات غربية لا تتوافق مع مجتمعاتنا الإسلامية. ومن هذه النظريات: نظرية الصراع Conflict theory والتي تسلط الضوء على دور السلطة والقوة في التربية من قبل الوالدين، ونظرية التفاعل الرمزي Symbolic Interactionism والتي تركز على المبدأ القائل أنّ الأسرة هي كيان اجتماعي خاضع للتغيرات والتقلبات البيئية المحيطة به.<sup>(٢)</sup>

أما النظريات والنماذج النفسية التي حاولت تفسير بعض من مفاهيم التربية وفق محددات خاصة بعلم النفس، فمن أبرزها نظرية فرويد في التحليل النفسي Psychoanalysis

(١) White & Martin, 2018, p.45

(٢) Stamp, 2003, p. 17

والتي افترضت أنّ التطور الذاتي لدى الأفراد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمراحل المبكرة من التنشئة والتربية الأساسية في داخل الأسرة.<sup>(١)</sup>

ووضع عالم النفس الأمريكي إريك إريكسون نظرية لتطور الشخصية يمكن من خلالها تفسير مفاهيم التربية الأسرية، ولكنها تعتمد جزئياً على أعمال فرويد. ومع ذلك، يعتقد إريكسون أنّ الشخصية تستمر في التغير بمرور الوقت ولا تنتهي أبداً. تتضمن نظريته ثماني مراحل من التطور، تبدأ بالولادة وتنتهي بالوفاة. ووفقاً لإريكسون، يمرّ الأفراد بهذه المراحل طوال حياتهم. وعلى النقيض من تركيز فرويد على المراحل النفسية الجنسية والحوافز الإنسانية الأساسية، فإنّ وجهة نظر إريكسون للتنمية الذاتية أعطت الفضل لمزيد من الجوانب النفسية-الاجتماعية، مثل الطريقة التي نتفاوض بها بين رغباتنا الأساسية وما هو مقبول اجتماعياً. كما تساعد هذه النظرية على فهم فكرة أنّه بدلاً من التركيز فقط على نمو الطفل، فإنّ جميع أفراد الأسرة يمرّون بمراحل متعددة وتتداخل هذه المراحل مع بعضها البعض، ومن ثمّ تؤثر في طريقة التنشئة الأسرية.<sup>(٢)</sup>

وكان جان بياجيه، وهو عالم نفس سويسري متخصص في تنمية الأطفال والتربية الأسرية، يركّز بشكل خاص على دور التفاعلات الاجتماعية في نموهم. وقد أدرك أنّ تطور الذات يتطور من خلال التفاوض بين العالم والبيئة المحيطة الموجودة في ذهن الأفراد والعالم الموجود، كما يتم تجربته اجتماعياً.<sup>(٣)</sup>

واشتهر العالم الروسي ليف فيجوتسكي بنظرية نفسية-اجتماعية - ثقافية. وتشير هذه النظرية إلى أنّ التفاعل النفسي-الاجتماعي يؤدي إلى تغييرات مستمرة خطوة بخطوة في فكر الأطفال وسلوكهم وتنشئتهم وتربيتهم والتي يمكن أن تختلف بشكل كبير من ثقافة

(١) Harris & Meltzer, 2013, p.26

(٢) Arif et al., 2023, p. 95

(٣) Pakpahan & Saragih, 2022, p. 56

إلى أخرى. وفي الأساس، تشير نظرية فيجوتسكي إلى أن التربية الأسرية تعتمد على التفاعل مع الناس والأدوات التي توفرها الثقافة للمساعدة في تشكيل رؤيتهم الخاصة لعالمهم. كما بين أهمية اللعب عند الأطفال خصوصاً في مراحل نموهم الأولى، حيث أشار إلى أن اللعب الإيجابي له دور مهم في صناعة شخصية الطفل وتقويتها في المستقبل.<sup>(١)</sup>

وفي هذا السياق، نرى أن الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام قد ركزا في أهمية تفاعل الوالدين مع أطفالهم وأبنائهم، خصوصاً في عملية لعب الأدوار وتلطيف الجو العائلي؛ فتراهم يؤكدون أهمية اللعب عند الأطفال، حيث يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من كان له ولد صبا».<sup>(٢)</sup> أي اللعب معه بطريقة تحاكي لعب الأطفال؛ وهذا له تأثير كبير في الناحية النفسية والاجتماعية عند الطفل بحيث تجعله قادراً على التعايش والانسجام النفسي-الاجتماعي، ومن ثم تحقيق التكامل في السلوك والشخصية.

(١) Qiquan, 2021, p.208

(٢) الريشهري، ج٤، ص ٣٦٧.

## الاستنتاجات

لقد بيّنت الدراسة أعلاه أنّ اتّباع نموذج حياة أسرة الإمام علي وفاطمة عليهما السلام وأسلوبها، يمكن أن يحلّ العديد من التحديات والمشاكل المجتمعية التي تواجه الأسر المعاصرة في يومنا هذا. وهذا ليس من خلال الكلام النظري فقط، بل يمكن الاستفادة من حكمهم وكلماتهم في التربية الأسرية بصورة تطبيقية وعملية، لدرجة يمكن الاعتماد عليها في بناء برامج أسرية هادفة وفعالة في تحسين التنشئة والتربية الاجتماعية والنفسية لكل أفراد الأسرة وتقويتها، وبما يخدم المصلحة المجتمعية. فقد جمع نهجهم في تربية الأطفال بين المبادئ الدينية العميقة والحكمة العملية، مما أدى إلى تعزيز بيئة من الحبّ والاحترام والانضباط. وشددوا على أهمية التعليم الأخلاقي والمسؤولية الاجتماعية، بهدف تنمية أفراد ذوي مهارات جيدة يتمتعون بأسس أخلاقية قوية. ويمكن للنظريات النفسية والاجتماعية حول التربية الأسرية أن تجد صدًى في أساليب أهل البيت عليهم السلام. ومن خلال دمج هذه الأفكار العريقة المستمدة من بيت النبوة مع الرؤى النفسية-الاجتماعية المعاصرة، يمكننا تعزيز فهمنا للتربية الفعالة والتعليم الأسري.

## المصادر العربية

القرآن الكريم

١. ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢
٢. البحراني، عبد الله. مستدرک عوالم العلوم والمعارف. ج ١١، مؤسسة الإمام المهدي: قم، ١٩٩٣
٣. الريشهري، محمد. ميزان الحكمة. المجلد الرابع. دار الحديث. (بدون تاريخ).
٤. عبد الرزاق، آيات عبد الوهاب. الحقوق الشرعية للأولاد على الأم: الزهراء (عليها السلام) نموذجاً. دراسات إسلامية معاصرة، العدد ٣٢، حزيران ٢٠٢٢
٥. المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار. دار الوفاء.
٦. محمد عبده. شرح نهج البلاغة. الجزء الثالث. دار المعرفة للطباعة والنشر: بيروت.
٧. مغنية، محمد جواد. في ظلال نهج البلاغة. الجزء الثالث. دار العلم للملايين. الطبعة الثالثة، ١٩٧٩
٨. مناف، رغد. الفكر التربوي عند السيدة الزهراء (عليها السلام) وتأثيرها في الإسلام. مركز الدراسات الفاطمية، ٢٠١٩

## المصادر الأجنبية

- Arif, Aliza, Sadaf Zamir Ahmed, and Aqsa Wajid Abbasi. 9. "Investigation of Personality Development of Female Students at the Secondary level of Islamabad." *Research Journal of Social Sciences and Economics Review* 4, no. 4 (2023): 93-100.
- Bergheul, S., Ramdé, J., Ourhou, A., & Labra, O. (2018). 10. *La paternité en contexte migratoire: déstabilisation et redéfinition du rôle paternel. Revue internationale de l'éducation familiale*, (1), 91-115.
- Bowen, Murray. "The use of family theory in clinical practice." 11. *Comprehensive psychiatry* 7, no. 5 (1966): 345-374.
- Bronfenbrenner, Urie. "Ecological models of human development." 12. *International encyclopedia of education* 3, no. 2 (1994): 37-43.
- Cortes, Geneviève, Sandrine Freguin-Gresh, Hélène Guetat-Bernard, and Jean-Michel Sourisseau. "Les Systèmes Familiaux Multi-localisés: un modèle d'analyse original des (ruralités aux Suds)." 13. (2014)
- Doherty, William J., Pauline G. Boss, Ralph LaRossa, Wal- 14.

- ter R. Schumm, and Suzanne K. Steinmetz. "Family theories and methods: A contextual approach." Sourcebook of family theories and methods: A contextual approach (1993): 3-30
- Fuchs, Irene. "Familienbezogene Prävention an der Schnittstelle zwischen Psychologie und Sozialpädagogik: Evaluation der Implementation des FaSt-Programms zur Familien- .(stärkung." (2012) 15
- Groß, Anke. "Die Bowen'sche Familiensystemtheorie: Eine Einführung in Theorie und Praxis." Kontext 43, no. 1 .(2012): 4-21 16
- Harris, Martha, and Donald Meltzer. The educational role of the family: a psychoanalytical model. Phoenix Publishing .House, 2013 17
- Hatfield, A. B. Family education: Theory and practice. In A. B. Hatfield (Ed.), Family interventions in mental illness (pp. 3-11). Jossey-Bass., 1994 18
- Javanı, Hojjatollah, Marzyeh Heydari, and Noorisadat Shahangian. "A comparative study on view points of imam Ali and Confucius on education." Journal of Awareness 4, .no. 3 (2019): 409-418 19

20. Moghadam M, Ghamarani A. The Effectiveness of Wise Parenting Based on the Teachings of Imam Ali (AS) in Parental Wisdom and Creativity of Preschool Children. *Journal of Pizhūhish dar dīn va salāmat*. 2022;8(1):95-110
21. Moradi Saki, R., Etemadi Fard, A., & Asi Mozneb, A. (2023). Basics, principles and methods of health policies of home management in the lives of Imam Ali (AS) and Hazrat Zahra (S). *Qurān va ṭib (Quran and Medicine)*, 8(3), 99-109
22. O'Toole, Leah. "A bioecological perspective on parental involvement in children's education." In *Conference Proceedings: The Future of Education*, pp. 385-389. 2017
23. Pakpahan, Farida Hanum, and Marice Saragih. "Theory of cognitive development by jean Piaget." *Journal of Applied Linguistics* 2, no. 1 (2022): 55-60
24. Qiquan, Zhong. "A Review of the Paedological Research of the Vygotskian School." *The Logic of China's New School Reforms* (2021): 207-241
25. Schermerhorn, Alice C., and E. Mark Cummings. "Transactional family dynamics: A new framework for conceptualizing family influence processes." In *Advances in child development and behavior*, vol. 36, pp. 187-250. JAI, 2008

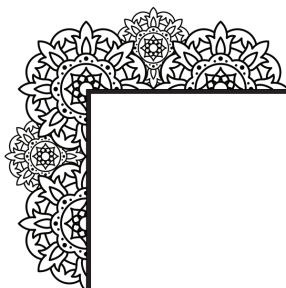
Sever, Mustafa. "A critical look at the theories of sociology of education." Journal of Human Sciences 9, no. 1 (2012): 671-650

Stamp, Glen H. "Theories of family relationships and a family relationships theoretical model." In The Routledge Handbook of Family Communication, pp. 25-54. Routledge, 2003.

Titelman, Peter. Clinical applications of Bowen family systems theory. Routledge, 2014

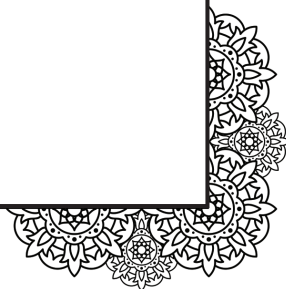
Tudge, Jonathan RH, Elisa A. Merçon-Vargas, Yue Liang, and Ayse Payir. "The importance of Urie Bronfenbrenner's bioecological theory for early childhood education." In Theories of early childhood education, pp. 50-61. Routledge, 2022.

White, James M., Todd F. Martin, and Kari Adamsons. Family theories: An introduction. Sage Publications, 2018



**رؤى الحياة**  
**في معالم الفكر التربوي العلوي**  
**(الإنسانية الرسالية أنموذجاً)**

الشيخ منير صادق نجم الكاظمي  
مكتبة الجوادين العامة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بشأنه وعلو قدره، ثم الصلاة والسلام على رسوله المصطفى وآله  
النجباء دوائر العلوم والمعارف وبعد:

منذ أن أوجد الله عز اسمه هذا الإنسان على وجه الأرض فاستخلفه فيها، ما زالت  
الذهنية الحرة والعقل الواعي لهذا الكائن يصبان كبرى اهتماماتهما لوضع البرامجيات التي  
تسهم في الوقوف على نوافذ وصياغة رؤى حياة قديمة وحررة مستقيمة. ويبقى السؤال الدائر  
في هذا المقام مستفهماً، هو إنه لأجل التنظير لمثل هذه الأدبيات ورسم هذه البرامجيات، فيا  
ترى هل إننا بصفتنا أمة وحضارة، أفراداً أم مجتمعات، نمتلك الموروث الفكري والمعرفي  
الذي يعتبر أحد المقومات في نجاح هذه الرؤى أم نبقى عالمة على هذا وكل على ذاك نستورد  
تجارب غيرنا؟! والجواب: إننا لا شك ولا ريب لدينا في تراثنا الإسلامي من البرامج  
الإسلامية والموروث الحضاري والتي تكتسب صفة الذات والخاصية الكفيلة في تغطية  
مشاكل الإنسانية بتاريخها الطويل، وذلك لما في موروثنا الفكري من أرض خصبة ينبت فيها  
أروع تمثلات القيم الرسالية العليا التي أسهمت في تربية النوابع والنخب، غرسته لنا أيادي  
رجال من أمتنا آثارهم وأخبارهم دالة على ذلك، رجال رفضوا العيش في حياة ظلامية  
حالكة؛ الفرد فيها أبكم، لا يقدر على شيء غير منتج، كل على مولاه مستهلك، أينما توجهه  
لا يأت بخير، بل كان أحدهم وبكل إكبار، يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، ويكفينا  
في هذا كله، عظيم ملاء الآفاق اسمه والأوراق آثاره أحاطت به الفضائل وشهدت بسموه  
ونبله الأواخر والأوائل، ازدحمت الآيات والروايات وشهادات الأكابر من معاصريه وإلى  
يومنا هذا، التي أفصحت وصرحت بجهوده وجهاده فكراً وعلماً وسلوكاً، هو أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وما هذه الأوراق إلا محاولة للوقوف على تراثه الثرّ النفيس الذي تجلّى في خطاب فكري فذّ تألّق بكلّ ما يحمله الفكر من علوم ومعارف أسهمت في بناء الإنسان الرسالي، ينمي طاقاته ويطور إبداعاته ويعزّز من قابلياته، وتجربة رائعة وفريدة أن نطلق المشروع الذي نستثمر به الأخبار والآثار والأفكار من نهج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كونه السبيل المعرفي الأقوم، وسبق لخطاب حضاري ناصع. وكفينا أحد معالم آثاره المسمى بنهج البلاغة، والذي هو نهج للحياة على مختلف زواياها، وتراث ضخم عظيم، وخزانة لمفاهيم الإسلام، سواء في التعاليم الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ننطلق به من الحياة المدنية إلى الحربية، وهو في الوقت نفسه ذوق أدبي وصياغة بلاغية لا تملؤها بلاغة، شهد بهذا القاضي والداني؛ فكان البحث، وفي هذه الأوراق قد خرج بالعنوان أعلاه ثم مقدمة وتمهيد بعنوان: الخطاب العلوي، أصالة دينية وشهادات مجتمعية، وأهلية علمية، نقف به على الآثار القرآنية والروائية وكلمات الإعلام التي شهدت بفضائل علي (عليه السلام)، ثم مبحثين.

المبحث الأول: المسؤولية في السلوك الإنساني في فكر علي (عليه السلام) بين السلب والإيجاب.

وفيه دوّن الباحث الآثار الواردة عن أمير المؤمنين من عبارات وكلمات في (المسؤولية) لتكون عنواناً اجتماعياً وسلوكاً رسالياً، وكيفية توظيفه بالمسار المستقيم ومجانبة السلوك السقيم.

المبحث الثاني: العدل والحرية، مبانٍ في الشخصية الرسالية - قراءة وفق الرؤى العلوية.

## التمهيد

### الخطاب العلوي، أصالة دينية وشهادات مجتمعية، وأهلية علمية

حتى يقف القارئ على معالم الخطاب الذي تبناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلا بدّ هنا أن يقرأ الواحد منّا وبوضوح البعد الشخصي لهذا الإنسان في مآثوراتنا الإسلامية، ولو بما يختصّ من محاور هذه الدراسة من مصادر معيننا الإسلامي، بدءاً من القرآن ومروراً بالأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) حتى ننتهي عند الصحابة والعلماء الأعلام، وحتى يتسنى لنا ذلك كان لا بدّ أن نتعرض للشواهد من الآيات والروايات التي تكشف عن الأصول والجذور الأساسية التي قام عليها خطاب علي (عليه السلام) للناس وطبيعة متركزاته، وتبين لنا عن مدى ارتباطه الوثيق بالكتاب الشريف والسنة المقدسة، حتى أضحي خطابه يمتلك الشرعية التي تجعل منه ممثلاً كاملاً عن القرآن وتراث النبي الأعظم، والآن نضع بين يدي القارئ بعضاً من تلك الأخبار والآثار، فقد ذكر الحاكم في المستدرک عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: عليّ مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض<sup>(١)</sup>، وقد علق عليه الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح؛ وهكذا علّق الذهبي أيضاً. ومثل هذه الرواية تكشف لنا عن بعض ارتباطات علي (عليه السلام) بالقرآن بشهادة النبي الخاتم. أما الطبري المفسر في تفسيره جامع البيان في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فقد ذكر: عن أم سلمة قالت: كان النبي (صلى الله عليه وآله) عندي، وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطّي عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ»<sup>(٢)</sup> انتهى، وقد ذكر الطبري ما يقرب من هذا روايات فراجع.

(١) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين بتعليق الذهبي (تح: مصطفى عبد

القادر عطا)، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، ج ٣، ص ١٣٤.

(٢) محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (تح: أحمد محمود شاكر)، الناشر

مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج ٢٠، ص ٢٦٣.

وهذه رابطة أخرى يقرأها القرآن لعلي عليه السلام مع رسول الله مدعومة بشهادة التطهير. ومن الأخبار التي حكى عن طبيعة الارتباط. وقريب من هذا المعنى ما رواه الطبراني في المعجم قوله: قيل لقثم بن العباس كيف ورث رسول الله صلى الله عليه وآله علي دون العباس؟ قال: لأنه كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً<sup>(١)</sup>.

ولعل ما ورد عنه عليه السلام وهو يتحدث عن ملازمته صلى الله عليه وآله فيقول: وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِالقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِصَةِ؛ وَضَعَنِي فِي حَجَرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْتُمُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ وَيُسَمِّنِي عَرَفَهُ، وَكَانَ يَنْصَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ. إلى أن قال: وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءٍ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي؛ وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةٍ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوءَةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّهُ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟! فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيسَ مِنْ عِبَادَتِهِ؛ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ<sup>(٢)</sup>. انتهى.

وفي خبر حديث المنزلة الذي خاطب به رسول الله ﷺ علياً بعد أن أخى بين الجميع بقوله: إِنَّمَا تَرَكْتُكَ لِنَفْسِي، أَنْتَ أَخِي، وَأَنَا أَخُوكَ، فَإِنْ ذَكَرَكَ أَحَدٌ فَقُلْ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو رَسُولِهِ، لَا يَدْعِيهَا بَعْدَكَ إِلَّا كَذَّابٌ. والذي بعثني بالحق، ما أَخَرْتُكَ إِلَّا لِنَفْسِي، وَأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَأَنْتَ أَخِي وَوَارِثِي<sup>(٣)</sup>.

(١) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير (تح: حمدي عبد المجيد السلفي)، الناشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط الأولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، ج ١٩، ص ٤٠.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، مط الأميرة، ط الأولى ١٤٢٨هـ، ج ١٣، ص ١٢٩-١٣٠.

(٣) قام بتخريج هذا الحديث من عشرات الأصول المعتبرة والمجاميع الحديثية، العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم، الناشر دار السيرة، ج ٤، ص ٢٣١-٢٣٢ فراجع.

وفي خبر آخر ذكره ابن ماجه في السنن عن النبي ﷺ قوله: (عليّ مني وأنا منه. ولا يؤدي عني إلّا علي). قال الألباني: حسن<sup>(١)</sup>، هذه بعض الكتب والأصول المعتمدة ومجاميع في التفسير والحديث الشريف انتخبنا منها بعض الأخبار والروايات التي تعدّ مما يشترك بنقلها والقول بصحتها أعلام المسلمين من أهل القبلة، وهم في الوقت نفسه لا يقدحون بسندها وصحة متنها مع تعليقات المحققين. هذه الأخبار التي تجعل القارئ يقف وبوضوح على بعض الأبعاد الدينية التي أثبتتها آيات القرآن وأحاديث السنة المقدسة للخاتم الأعظم ﷺ في علي عليه السلام سواء بالقول أو بالعمل، والتي إنّما ذكرناها هنا لأجل أن تكون تمهيداً يرسم لنا بعض معالم ذلك الخطاب.

مع هذه المقدمة القرآنية والروائية في علي عليه السلام فلا بدّ أن نقف على ملامح من شخصيته حكمتها لنا أحداث سجلها التاريخ المعتر، منذ باكورة عمره ثم شبابه ثم كهولته، كيف أنّه كان يتمتع بعناصر نفسية ملؤها الفرائد والفوائد والشمم والقمم؛ فحديث الدار الواقعة الأولى التي تقرأ لنا أول دعوة وجهها النبي ﷺ لقومه والخاصة من أقربائه يدعوهم بها للإيمان بالله ومؤازرته بدعوته الإلهية. ومع وجود الكبار والشيوخ في هذا المشهد التاريخي، كان لعلّي عليه السلام -وهو أصغرهم سنّاً بل في مقتبل عمره صبيّاً- المقام الأبهى والمرتبة الأسمى، وهو يكشف بموقفه وجوابه الكبير الذي يحكيه لنا التاريخ دون هؤلاء عن عظم المؤازرة للنبي الخاتم ﷺ. فقد ذكر الطبري في ذلك قول النبي ﷺ مخاطباً عشيرته الأقربين: فأَيُّكم يؤازرنِي على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت -وإنّي لأحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً- أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي

(١) محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ابن ماجه، سنن ابن ماجه (تح: محمد فؤاد عبد الباقي)، الناشر دار الفكر بيروت، ج ١، ص ٤٤، مع الكتاب تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيّلة بأحكام الألباني.

فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع<sup>(١)</sup>، فهذا الوسام تقلده في صباه ويعلن فيه النبي أن علياً الولي مع إعلانه لشخصه أنه النبي.

وهل توقفت الأوسمة بحق علي؟! ففي شبابه ويوم الاحزاب كان المقدام، وفارس الأحزاب عمرو بن ودّ (فارس ليل) ينادي في البراز في المسلمين فلم يجرؤ أن يبرز إليه أحد؛ وإذا بعلي عليه السلام أمام النبي يريد البراز. فقال له النبي ﷺ: إنه عمرو. فقال: وان كان عمرأ وأنا علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>. وهذه ثقة بالنفس تجلّت على أروع ما يكون في الميادين القتالية. ومن كانت ثقته بنفسه في مثل هذا الميادين، كيف هو بباقي أصعدة الحياة؟! نعم هذا علي الذي ما زال الباحث والقاري والمتتبع لسيرته يجد أن المكتبة العالمية والإسلامية والعربية قد ازدحمت بالمصنفات والمؤلفات التي وقفت على إحصاء فضائله ومناقبه على لسان رسول الله ﷺ منذ صدر الإسلام الأول والى يومنا هذا. فهذا الحافظ ابن عقدة الكوفي المتوفى عام ٣٣٢هـ قد كتب (فضائل أمير المؤمنين)، وهذا أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه المسمى ب(ملك الحفاظ) المتوفى عام ٤١٠هـ يكتب في علي عليه السلام (مناقب علي بن أبي طالب)، وهذا المحب الطبري المتوفى عام ٦٩٤هـ يكتب في علي كتابه (الرياض النضرة)، وهذا أخطب خوارزم أحمد بن محمد البكري (المتوفى عام ٥٦٨هـ) يضع كتابه (المناقب للخوارزمي)، حتى يأتي دور العلامة الحلي الحسن بن يوسف ابن المطهر المتوفى عام ٧٢٦هـ وكتابه (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام)؛ وهكذا من قبلهم ومن بعدهم ممن وقف وأحصى ودوّن في مناقب علي على لسان الوحي ورائد الوحي، وهذه كلّها آثار وأخبار دلّلت على ما لعلي من الأهلية في خطابه الفكري والتربوي والحضاري فوقف بين المسلمين أيام كهولته،

(١) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط الاولى -١٤٠٧هـ، ج١، ص٥٤٣.

(٢) القزويني: محمد كاظم، الإمام علي عليه السلام من المهد إلى اللحد، الناشر والطبع: دار العرفان - بيروت، ص٧٥، وقد روى النص أبو هلال العسكري في كتاب الاوائل - باب (في ذكر انواع مختلفة من الأحاديث).

وقال: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَشَّتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوَاطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا؛ اللَّهُ أَنْتُمْ! اتَّقَوْعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَّأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ) <sup>(١)</sup>.

(١) الرضي: محمد بن الحسين، نهج البلاغة (تح: السيد هاشم الميلاني)، الناشر: العتبة العلوية المقدسة،

مط: التعارف، سنة الطبع ٢٠١٠م، ص ٤٣٨، الخطبة ١٨٢

## المبحث الأول

### المسؤولية في السلوك الإنساني عند علي عليه السلام بين السلب والإيجاب

إذا كان الحديث عن معالم الفكر التربوي عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا شك ولا ريب لم تكن هذه المفردة الاجتماعية المهمة (المسؤولية) في منأى عن تلك المعالم، كيف إنّه شخصها وحدّد مساراتها بنوعيتها السلبي والإيجابي؛ بل إنّ القرآن لم يكن بالذي يهمل هذه المفردة، فمنذ أن خلق الله هذا الإنسان وأظهره بصورة النشء الحضاري وجعله مسجود الملائكة حمّله جانب المسؤولية؛ وحسبك في هذا منظومة من النصوص تشير إلى ذلك منها قوله تعالى: ﴿هُوَ أَذْنَأُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وهكذا هي الآيات تشير من قريب ومن بعيد إلى عنوان المسؤولية كونها مفردة أومية واجتماعية ينبغي أن تسهم في بناء الإنسان والمجتمع.

نعود إلى المسؤولية في فكر علي عليه السلام، إذا كنّا أمة تعيش زمامتها ومشاكلها التي أحدثتها أسباب عديدة أنتجت فقراً مدقعاً وبؤساً يعيشه الإنسان، وسلوكيات جائرة من البعض أحدثت ظلماً اجتماعياً، ففي هذا الشأن يأتي دور المسؤولية كتحدٍّ يقف أمام الظواهر السلبية في حياة الناس أفراداً وشعوباً. وينبغي للمسؤولية بوصفها التزاماً أخلاقياً ومفردة اجتماعية مهمة أن لا توظّف بالحدّ الفردي والاهتمام الشخصي، بل يجب أن تأخذ المسؤولية معالم التغيير الاجتماعي والحسّ الجمعي عند الإنسان. يقول علي عليه السلام: اتّقوا الله في عباده

(١) سورة هود، الآية: ٦١.

(٢) سورة يونس، الآية: ١١٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٤.

وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم<sup>(١)</sup>. وفي هذا الجانب حدّد الإمام (عليه السلام) الصورة العامة والعريضة للمسؤولية بوصفها التزاماً للفرد والمجتمع، فلا ينبغي المرور على الأحداث والوقائع حولنا والتي تشخص أمام أعيننا مثل ركام من المشاكل وتعامل معها بالمسؤولية السلبية التي ترزح تحت سلوكيات تظهرها سلباً لا إيجاباً. ومن بين تلك السلوكيات التي تنم عن سلبية في توظيف عنوان المسؤولية هي:

الاتكالية واللامبالاة: فلا يصح من المجتمع أن يكون الفرد فيه (نفعياً أنوياً)، إذا تحققت له رغباته واكتفى باحتياجاته الخاصة، غفل عن حال غيره ممن يقاسمه العيش في الوطن الواحد والدين الواحد. والحال عامل الحسّ الجمعي هو مما أكّد (عليه السلام) بوصفه سلوكاً إيجابياً في الحياة للفرد المسلم. يقول علي (عليه السلام) في هذا: أتمتلى السائمة<sup>(٢)</sup>، من رعيته فترك، وتشبع الربيطة<sup>(٣)</sup>، من عشبها فتربض، ويأكل علي فيهجع؟! قرّت إذن عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المريعة<sup>(٤)</sup>.

نعم حدّد أمير البيان (عليه السلام) هذه السلوكية الحيوانية تشبيهاً بالمسؤولية السلبية للإنسان يوم أن يلبس ثوب التواكل واللامبالاة، وهو يقف أمام الأحداث والمنعطفات وركام المشاكل التي يعيشها مجتمعه فيكتفي عند العلاج برميها على ساحة المجهول، أو على الأقل ينتظر التدخل الإلهي والله عزّ اسمه يقول: وقفوهم إنهم مسؤولون<sup>(٥)</sup>. ننظر إلى الفقر كظاهرة في العباد والبلاد فنرمي حلوله بساحة الله، بعد أن اكتفينا نحن ومن يتعلّق بنا بسدّ حاجاتنا بعدها لا نبالي بالآخرين، وللإشارة إلى بهيمة هذا الموقف يقول علي (عليه السلام): وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفًّى هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمَحِ وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ وَلَكِنْ

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، الناشر: مؤسسة الوفا - بيروت، ج ٣٢، ص ٤١.

(٢) الحيوان الذي يرعى في العشب.

(٣) الحيوان المربوط الذي يعلف.

(٤) ابن أبي فراس: ورام، مجموعة، الناشر: مكتبة الفقيه، ج ٢، ص ٣٥.

(٥) سورة الصافات: الآية ٢٤.

هِيَهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخَيَّرِ الْأَطْعِمَةِ. وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ أَلِيَمَامَةٍ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْفُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ! أَوْ أَيْتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بُطُونٌ غَزَتِي، وَأَكْبَادُ حَرَى؟! أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبْتَ بِيْطَنَةٍ      وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ مَحْنٌ إِلَى الْقَدِّ

ثم يكمل (عليه السلام) موضحاً جوانب مسؤولياته الإيجابية أمام هذا الموقف فيقول: أَفْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يَقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونُ أَسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ؟! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عِلْفُهَا، أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يَرَادُ بِهَا، أَوْ أَتْرِكَ سُدَى أَوْ أَهْمَلُ عَابِتًا<sup>(١)</sup>.

فالإنسان -ذلك المخلوق- ينبغي أن لا تقتصر مهام مسؤوليته على حدود نفسه معتنياً بترميم جبهتها على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والديني وحسب، بل تتعدى مسؤوليته هذه إلى الآخرين ممن معه. فالمجتمع بصورته الإيجابية الحضارية كما رسمه النبي (صلى الله عليه وآله) حيث ورد في الأثر عن سيد البشر قوله: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى<sup>(٢)</sup>. فالنبي (صلى الله عليه وآله) يدفع لأدبيات الحسّ الجمعي لا الفردي النفعي؛ المؤمنون كلهم إخوة يتقاسمون صورة العيش مهما كانت على حدّ سواء، لا يظلم أحدهم الآخر، ولا يكون شعارهم أنا فقط، والباقيون لا وجود لهم في القاموس. وفي هذا يروي المجلسي في البحار ما نصّه: عن أبي جعفر الفزاري قال: دعا أبو عبد الله (عليه السلام) مولى له يقال له: مصادف، فأعطاه ألف دينار، وقال له: تجهّز حتى تخرج إلى مصر، فإنّ عيالي قد كثروا قال: فتجهّز بمحتاج، وخرج مع

(١) الرضي: محمد بن الحسين، نهج البلاغة (تح: السيد هاشم الميلاني)، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، مط: التعارف، سنة الطبع ٢٠١٠م، ص ٦٤٩.

(٢) النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (تح: محمد فؤاد عبد الباقي)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٤، ص ١٩٩٩.

التجار إلى مصر، فلما دنوا من مصر استقبلهم قافلة خارجة من مصر، فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة، وكان متاع العامة، فأخبروهم أنه ليس بمصر منه شيء، فتحالفوا وتعاهدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح دينار ديناراً. فلما قبضوا أموالهم انصرفوا إلى المدينة، فدخل مصادف على أبي عبد الله عليه السلام ومعه كيسان في كل واحد ألف دينار فقال: جعلت فداك هذا رأس المال، وهذا الآخر ربح فقال: إن هذا الربح كثير، ولكن ما صنعتكم في المتاع؟ فحدثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا، فقال: سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألا تبيعوهم إلا بربح الدينار ديناراً؟! ثم أخذ أحد الكيسين فقال: هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح، ثم قال: يا مصادف مجالدة السيوف، أهون من طلب الحلال<sup>(١)</sup>. هذه النقمة من الإمام، وهذا الرد منه عليه السلام، يعكس رفض الإمام لمثل هذه المسؤولية السلبية التي وظفت للاهتمام بالنفس على حساب الغير من إخوانك، فلا ينبغي أن نقف أنفسنا بما هو شبيه مما قاله بعضهم:

وما أبالي إذا نفسي تطاو عني على النجاة بمن قد ظلّ أو هلك<sup>(٢)</sup>

أصلح نفسي وحدودها على مختلف الأصعدة الحياتية، وأعيش غير مكترث بما يعانیه الآخرون. وهل يصحّ موقف المتفرج هذا من ذلك الكائن الذي اختاره الله لإصلاح أمر البلاد والعباد، موقف الضعيف المكتفي بالأقوال لا الأفعال. إذا كنّا ننتظر الحلّ من السماء أن تتدخل للتغيير فأين دورك أنت؟ فمثل هذه الأخلاقيات تفقد الحياة قيمتها، فتطبيق إرادات السماء الحيّة الفاعلة ومثلها الكريمة ينبغي أن يكون عبر هذا الإنسان؛ وإلا بماذا فضّلنا الله على الملائكة ونحن نعاني موتاً على مستوى الشعور والإحساس والاهتمام، بينما في فكر علي عليه السلام الذي ينمو بشعوره ومسؤولياته حتى يبلغ الحجاز واليامة بكلّ ربوعها

(١) بحار الأنوار، ج، ص ٥.

(٢) الصفار: حسن موسى، رؤى الحياة في نهج البلاغة، الناشر: مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط الأولى:

١٩٧٧، ص ٦٢.

يقول (عليه السلام): (وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ؛ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبْعِ) <sup>(١)</sup>، نعم شعور فيض بالرسالية وتنسّم منه عقب الإمامة التي صاغت من صاحبها أنموذجاً همّه الإنسان. هذه المجموعة من الأدبيات التي لو كانت صفات وسمات لشخص فلا شك أنها تعبر عن روح المسؤولية الإيجابية والإيثار كسلوك تربوي تجاه الغير؛ وفي الوقت نفسه، ما هي إلا امتداد حقيقي لقوله تعالى: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة <sup>(٢)</sup>.

نعم ما زال التاريخ يغدق علينا من الومضات في فكر علي (عليه السلام) الاجتماعي المسؤول التي لها من الصدى والمدى، ما تحكي عن مظهر نبيل آخر، نقرأه بعبارات تألقت شعاراً للأبرار والأحرار ممن تعالوا فوق الميولات النفسية والبهيمية. سوف تجد بها علياً (عليه السلام) يعالج سلوكية سلبية أخرى تجاه الأحداث والوقائع لصورة الظلم الاجتماعي مهما كان شكله. فالإمام (عليه السلام) يعيش الأنين والهم، لا لظلم اجتماعي قريب من أرضه وأهله وحسب، بل تراه يعيب على سبات قومه مستنكراً عليهم عدم الاكتراث لأهلهم البعيدين مما يعانونه من ظلم لغارات معاوية على أطراف البلاد وما أحدثته من فساد ودمار وقتل، فيقول: (هَذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ؟ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَاحِلِهَا. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَائِهَا مَا تَمْنَعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِرْجَاعِ وَالْإِسْتِرْحَامِ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافْرِينَ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ. فَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمَةً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا) <sup>(٣)</sup>، وإن أول دلالة وإشارة على مقول هذا القول لتكشف عن المسؤولية الرسالية للأمام تخطت الحدود وألقت بظلالها على

(١) نهج البلاغة، ص ٦٤٩.

(٢) سورة الحشر، الآية، ٩.

(٣) الثقفى: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد، الغارات (تح: السيد جلال الدين محمد، ج ٢، ص ١٣٩).

أهله في بلاد الله البعيدة عنه وما يعانونه، ويعيب على القوم القريين منه غفلتهم وتغافلهم عما يحدث هناك، فيعتبر الإمام (عليه السلام) ممن سمع بهذا وسكت في عداد الموتى، وذلك لموت شعورهم ومشاعرهم، ويحترم في الوقت نفسه الشعور المجروح الذي يؤدي بصاحبه إلى الموت تأسفاً لإخوانه الذين يرزحون تحت هذه الصور من الظلم فيعدّ صاحبه حياً بكل ما تحمل هذه المفردة من معنى، وهو بدوره ضرب من ضروب المسؤولية الرسالية التي تفيض بالإنسانية الرائعة.

في نهاية المطاف، ونحن نتجول في هذه النصوص والرحاب العلوية التي نستجلي منها بعضاً من فكر أمير المؤمنين (عليه السلام) سواء التربوي أو الاجتماعي، نخلص إلى مجموعة من النقاط منها:

لا ينبغي أن نقف أمام الصورة المجتمعية المتردية من تخلف أو انهيار متغافلين أو متألمين، ولكن من دون تحمل نصيب من المسؤولية. الفرد فينا يفتقر لأيّ دور يسهم في التغيير، نعلق ما يجري حولنا على الواقع المجهول، نكتفي بإصلاح ما يتعلق بحدودنا الشخصية؛ هذه المفاهيم التي ترفضها النصوص الإسلامية جملة وتفصيلاً ابتداءً من الآيات والروايات. وقد تجلّى لنا أمير المؤمنين لصياغة مساحة خطاب إسلامي يعكس إشراقات الحياة السعيدة مفعم بسلوكيات رسالية لو قدر لها أن تأخذ مجالها في الحياة لعكست صورة ما أجملها وما أبهاها.

## المبحث الثاني

### العدل والحرية، مبانٍ في الشخصية الرسالية- قراءة في الرؤى العلوية

وبعد أن قطعنا شوطاً في مساحة الخطاب الفكري التربوي عند علي (عليه السلام) والذي أعطى من قريب وبعيد الإشارات والعبارات التي توحى من قريب وبعيد عن معالم الإنسانية الرسالية لا سيما عن طريق مفردة المسؤولية، نقف مرة أخرى لنستلهم القيم والشمم والقيم من فكر علي (عليه السلام) الاجتماعي والتربوي، وهو يتحدث عن (العدل والحرية) وما يمكن أن يعكسه هذان العنوانان من آثار الإنسان الرسالي، فما ورد من أقواله (عليه السلام) وهو يتحدث عن مفردة الحرية فيقول: ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً<sup>(١)</sup>. وأول ما يمكن تقريره من المباني في النص أن ننطلق من مفهومين رئيسيين مهمين في الإنسان؛ الأول هو قوة الشخصية التي من معالمها أن يكون صاحبها مستقلاً في القرار غير تابع، وهي بحد ذاتها أدبيات تحدث القرآن عنها في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وضخامة في المنظومة العقلية فوضها الله عز وجل للإنسان في مفصل قراراته؛ وآية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾<sup>(٣)</sup>. فالقرآن يعبر عن آلية القرار والاختيار بوصفها ثقافة وأدبية ومبنى مهماً في الإنسان تكشف عن الشجاعة والإقدام. من هنا ينطلق أمير المؤمنين في تعبيره أعلاه (لا تكن عبد غيرك)، والمفهوم الآخر كدلالة وإشارة في عبارة الإمام (عليه السلام) ذاتها، فقد ألمح (عليه السلام) إلى خصلة أخرى تبنيها الحرية في الإنسان ألا وهي تجنب الطمع الذي يدفع بصاحبه إلى الذل. يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): وأكرم نفسك عن كل دنية، وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ج ٧٤، ص ٢٢٦.

(٢) سورة النحل: الآية: ٧٦.

(٣) سورة الدهر: الآية: ٣.

لن تعترض بما تبذل من نفسك عوضاً<sup>(١)</sup>. من هنا يعيب عليه السلام على أحد ولاته الذي حضر وليمة مجتمع طبقي نفعي لا يعطي بيد شيء إلا ويأخذ بالأخرى، يقول عليه السلام: (فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْحِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوفٌ وَغَنِيَّتُهُمْ مَدْعُوفٌ)<sup>(٢)</sup>، نعم في حكومة علي مرفوض هذا التحرك لكي لا تُستفَزَّ ولا تُساوَمَ على المبدأ؛ ذلك لأنها الحكومة الحرة التي لا يساورها طمع، وهو القائل في هذا الشأن لملك الأشتر: وأزرى بنفسه من استشعر الطمع<sup>(٣)</sup>، ولنعم ما قيل في تفسير الزهد أنه ليس الزهد أن لا تملك شيئاً، بل الزهد أن لا يملكك شيء<sup>(٤)</sup>. وهذه الأخلاقيات لو توافرت في مجتمع إرادته بهذه الحرية لكشفت عن منظومة مجتمعية حضارية ما أعظمها وتركيبية ما أروعها، من هنا جاءت النصوص المروية في ما يقال بحق أحد عظماء الطفّ يوم العاشر، وهو العباس بن علي عليه السلام، يقول له الإمام الصادق عليه السلام: أشهد أنك كنت على بصيرة من أمرك، أي وأنت في هذا الميدان كنت مختاراً.

ثم نقف على ومضة أخرى من الومضات الاجتماعية السلوكية للفرد الرسالي، ألا وهو عنوان (العدل). فالعدل بذاته هو من أهم ما يتقوم به الوجود، وبدونه لا قيمة لهذا العالم. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: العدل أساس قوام العالم<sup>(٥)</sup>، فالعدالة سنّة في الحياة الكونية، وهذا ظاهر في الأنظمة الكونية من قوله تعالى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ

(١) الليثي: علي بن محمد كافي الدين، عيون الحكم والمواعظ (تح: حسين الحسني)، الناشر والمطبعة: دار

الحديث - قم، ط الأولى، ج ١، ص ١١٠.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٤٨.

(٣) بجار الانوار للمجلسي، ج ٧٠، ص ١٦٩.

(٤) الريشهري: محمد، ميزان الحكمة، النشر والطبع: دار الحديث - قم، ج ٩، ص ٣٩٥٩، باب (المال).

(٥) المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٤٢٤.

سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ<sup>(١)</sup>. وفي الحياة التشريعية هو الموقع الحساس في النظام الإنساني لذا يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ<sup>(٢)</sup>﴾، والعدل عنوان عريض تنسحب تداعياته على كل أجزاء المجموعة الحياتية، تتأثر به المنظومة الاجتماعية أفراداً وجماعات، رئيساً ورعية. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى روائعه حاكياً عن العدل: العدل قوام الرعية وجمال الولاية<sup>(٣)</sup>، وعلى نحو المقارنة سئل أمير المؤمنين عن العدل والجود فقال: (الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَفْضَلُهُمَا وَأَشْرَفُهُمَا<sup>(٤)</sup>).

نعم أعطى أمير المؤمنين فلسفة للعدل ينبغي للإنسان الواعي تقديرها فوق خصلة الجود على الرغم من أن الجود هو نفع للنفس إلا أن مبنى العدل فيه نفع أعم لكل الطبقة الإنسانية، فالعدل نفع عام والجود لعله نفع خاص. فاذا كان العدل يمتلك من الأهمية على ما أشارت إليه هذه المقدمات، نجد أن الإمام يتناوله في نصوص، يفرضه بها على الساحة المجتمعية والأمية والحضارية فيقول: (فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَاهَا أَلْسُنُهُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ<sup>(٥)</sup>).

حدد الإمام عليه السلام ما يترتب على الرعية من حقوق وما يترتب على الوالي تجاه الرعية من حقوق لم يعف أحدهم دون الآخر، ولم يوافق أحداً على حساب الآخر. فلاجل النهوض بواقع الحياة نحو الأفضل، فلا بد من معيار العدالة والحق أن يكونا هما الميزان

(١) سورة ياسين، الآية ٤٠.

(٢) سورة النحل، الآية، ٩٠.

(٣) ميزان الحكمة للريشهري، ج ٦، ص ٢٤٢٤ - باب العدل.

(٤) نهج البلاغة، ص ٨٠٩.

(٥) نهج البلاغة، ص ٥٣٧، من خطبة له بصفين ٢١٦.

بين هاذين الطرفين اللذين تقوم عليهما معادلة الحياة بالحقوق والواجبات لأجل تحقيق ما يسمى بعنوان العدالة الاجتماعية، وهو أسمى ما تصبو إليه الشعوب الواعية، لأنّ لمثل هذا العنوان لو تسامى في أفق الشعوب فسوف تنزاح معالم البؤس الاجتماعي الذي من معالمة مثلاً الطبقة، التي تتكدس بها أموال عند فئة وتفتقر إليه فئة أخرى. يقول علي (عليه السلام) في ذلك: (اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا أَوْ غَنِيًّا بَدَلَ نِعْمَةٍ اللَّهِ كُفْرًا أَوْ بَخِيلًا إِتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًا)<sup>(١)</sup>، حيث يستنكر الإمام على المجتمع الصورة الطبقة، التي عاب بها على عامله عثمان بن حنيف بقوله: (وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وَغَنِيَّتُهُمْ مَدْعُوٌّ)<sup>(٢)</sup>، نظراً لما تشكّل عند الفقير من نقمة على الناس والحياة، وتجزئ لأصحاب المال استغلالهم للفقير. يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حقّ مضيع<sup>(٣)</sup>.

ومن أصعب ما يعانيه الإنسان هو حقّه الضائع عند غيره، فالعيش مكفول وبكلّ كرامة، وإنّ الإخلال بهذه القاعدة هو خرق للعدالة الاجتماعية. يقول علي (عليه السلام): وإذا بخل الغني بآله باع الفقير آخرته بدينه. ويبيع الفقير آخرته لا يبعد أن يتمثل بالجرائم التي تعكس انحرافاً اجتماعياً. يقول أمير المؤمنين (عليه السلام)، مخاطباً ابن عباس، وكانت بيد الإمام (عليه السلام) نعلان: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، قال: والله هي أحبّ إليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقّاً أو أدفع باطلاً<sup>(٤)</sup>. فمن الحق والعدل محاربة مظاهر الظلم الاجتماعي المتمثل بعدم تحقيق تكافؤ الفرص، فئة متنعمة في وفرة من العيش، وأخرى تفتقر لأبسط معاني الحياة

(١) بحار الانوار للمجلسي، ج ١٠٠، ص ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٤٨.

(٣) شمس الدين: محمد مهدي، دراسات في شرح نهج البلاغة، الناشر والطبع: دار الزهراء - بيروت، ج ١، ص ٢٨.

(٤) البحراني: ميثم بن علي، شرح مئة كلمة (تح: مير جلال الدين الحسيني)، الطبع والنشر: جماعة المدرسين - قم، ج ١، ص ٢٦٨.

الكريمة، وذلك لأسباب الشرف الاجتماعي المزعوم بمعايير باطلة. وقد أدلى الإمام بدلوه في هذا الشأن عندما عوتب على التسوية بالعطاء من غير تفضيل أولى السابقات، فقال: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟!<sup>(١)</sup> وقد روي أن سهل بن حنيف قال لأمير المؤمنين في ما يخصّ العطاء، هذا غلامي بالأمس وقد اعتقته اليوم. فقال عليه السلام: نعطيه كما نعطيك. فأعطى كلّ واحد منهما ثلاثة دنانير، ولم يفضل أحداً على أحد<sup>(٢)</sup>.

ومن العدل الاجتماعي المساواة أمام القانون ونبذ ما يسمى بالحصانة. فلقد وقف الإمام عليه السلام من سياسة المال التي ساسها من قبله في العباد والبلاد، والتي كان يتمتع بها فئة من الناس بالحصانة على حساب العامة، فأخذوا ما ليس لهم بحق. وفي هذا يقول علي عليه السلام: ألا وإنّ كلّ قطعة أقطعها عثمان، وما أخذه من بيت مال المسلمين، فهو مردود عليهم في بيت مالهم، ولو وجدته قد تزوّج به النساء وفرّق في البلدان. فإنّه إن لم يسعه الحقّ فالباطل أضيق عنه<sup>(٣)</sup>. يقول العلامة الشيخ شمس الدين: ومن هنا أصبح من أبرز المشاكل التي حفل بها منهجه الإصلاحية يوم ولي الحكم، مشكلة الفقر والغنى. ولقد كان مجتمعه إذ ذاك يعاني جراحاً عميقة بسبب هذه المشكلة، فقد ولي الإمام الحكم والتفاوت الطبقي في المجتمع الإسلامي على أشدّ ما يكون عمقاً واتساعاً. ففي العهد السابق على ولاية الإمام عليه السلام للحكم كانت الطريقة المتبعة في التقدير وإظهار الكرامة هي التفضيل في العطاء. وقد اتّبع هذه الطريقة في بعض الحالات بصورة خارجة عن حدود المعقول والمقبول، ففضل من لا سابقة له في الدين ولا قدم له في الإسلام على ذوي السوابق والأقدار. وقد أوجد هذا اللون من السياسة المالية طبقة من الأشراف لا تستمد قيمتها

(١) ابن أبي الحديد عز الدين أبي حامد، شرح نهج البلاغة (تعليق: الشيخ حسين الاعلمي)، الناشر: مؤسسة الاعلمي - بيروت، مج ٤، ص ٢٧٩.

(٢) شمس الدين: محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام، الناشر: دار الكتاب الإسلامي - قم، مط: ستار - قم، ط الأولى - ٢٠٠٦، ص ٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٥.

من المثل الأعلى للإسلام، وإنما تستمدّها من السلالة والغنى والامتيازات<sup>(١)</sup>. ففي حكومة علي، لا وجود لمثل هذه الأخلاقيات، والتي تشكل تمثلات اجتماعية لظلم اجتماعي. هذه بعض من المسارات في سلوكيات علي أظهرت عدلاً فريداً يندر على التاريخ أن يأتينا بمثلها. هذا ما استطعنا أن ندوّنه من بعض رؤى الحياة والنهج المعرفي لأمر المؤمنين عليه السلام، وهي نوافذ اجتماعية في حياة الإمام عليه السلام، توزعت ما بين نصوص ووقائع حفظها التاريخ لتكون علامة واضحة على شخصيته الرسالية. فسلام على علي يوم ولد، وسلام عليه يوم استشهد، وسلام عليه يوم يبعث حياً.

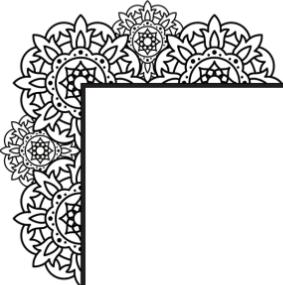
(١) دراسات في شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٨.

## المصادر

القرآن الكريم.

١. ابن أبي الحديد: عزّ الدين ابي حامد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ)
٢. شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد إبراهيم)، مط الأميرة، ط الأولى ١٤٢٨هـ.
٣. ابن أبي الحديد عزّ الدين أبو حامد (ت ٦٥٦هـ)
٤. شرح نهج البلاغة (تعليق: الشيخ حسين الأعلمي)، الناشر: مؤسسة الأعلمي - بيروت.
٥. ابن أبي فراس: ورام ابن أبي فراس (ت ٦٠٥هـ)
٦. مجموعة ابن ورام، الناشر: مكتبة الفقيه.
٧. ابن ماجه: محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني (ت ٢٧٣هـ)
٨. سنن ابن ماجه (تح: محمد فؤاد عبد الباقي)، الناشر دار الفكر بيروت، ج ١، ص ٤٤، مع الكتاب تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني.
٩. البحراني: ميثم بن علي (ت ٦٨٩هـ)
١٠. شرح مئة كلمة تح: مير جلال الدين الحسيني، الطبع والنشر: جماعة المدرسين - قم.
١١. الثقفى: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٢٨٣هـ)
١٢. الغارات (تح: السيد جلال الدين محمد).
١٣. الحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)
١٤. المستدرک على الصحيحين (تح: مصطفى عبد القادر عطا)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٠م، بتعليق الذهبي.
١٥. الرضى: محمد بن الحسين (ت ٤٠٦هـ)
١٦. نهج البلاغة (تح: السيد هاشم الميلاني)، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، مط: التعارف، سنة الطبع ٢٠١٠م.

١٧. الريشهري: محمد
١٨. ميزان الحكمة، النشر والطبع: دار الحديث - قم.
١٩. شمس الدين: محمد مهدي (ت ٢٠٠١م)
٢٠. ثورة الحسين (عليه السلام)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي - قم، مط: ستار - قم، ط الاولى - ٢٠٠٦.
٢١. شمس الدين: محمد مهدي (ت ٢٠٠١م)
٢٢. دراسات في شرح نهج البلاغة، الناشر والطبع: دار الزهراء - بيروت.
٢٣. الصفار: حسن موسى
٢٤. رؤى الحياة في نهج البلاغة، الناشر: مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط الأولى: ١٩٧٧.
٢٥. الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم
٢٦. المعجم الكبير (تح: حمدي عبد المجيد السلفي)، الناشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط الاولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م.
٢٧. الطبري: محمد بن جرير أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)
٢٨. جامع البيان (تح: احمد محمود شاكر)، الناشر مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٠هـ، ج ٢٠.
٢٩. الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)
٣٠. تاريخ الأمم والملوك، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى - ١٤٠٧.
٣١. العاملي: السيد جعفر مرتضى
٣٢. الصحيح من سيرة النبي الأعظم، الناشر دار السيرة.
٣٣. القزويني: محمد كاظم (ت ١٩٩٤م)
٣٤. الإمام علي (عليه السلام) من المهدي إلى اللحد، الناشر والطبع: دار العرفان
٣٥. المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ).
٣٦. بحار الأنوار، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت.



**دور التكافل الاجتماعي  
في تحقيق العدالة الاجتماعية  
(سيرة النورين أنموذجاً)**

الباحثة  
د. مؤمنة ياسين الزين

سوريا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

## أولاً: أهمية البحث وضرورته

تتمتاز المدرسة الإسلامية عن غيرها من المدارس المادية والتاريخية بأنها تسعى وتؤكد ضرورة قيام مجتمعٍ صالحٍ، بل إنّ هذه المدرسة تبيّن وجهة نظرها حول المجتمع والتاريخ، وحركات التكامل والسقوط فيها، حيث يشير القرآن الكريم إلى أربعة عوامل مهمة في العلو والانحطاط الاجتماعي، نذكرها باختصار: <sup>(١)</sup>

العدل والظلم: فقد تعرض القرآن الكريم في كثير من الآيات للظلم ونتائجه؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أْبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، حيث أعلنت الآية أن فرعون من المفسدين. ومن الواضح أن ذلك إشارة إلى أن هذه المظالم الاجتماعية تهدم أساس المجتمع وتفسده.

الوحدة والتشتت: قال تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله جلّ وعلا: ﴿وَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

(١) المجتمع والتاريخ، الشيخ مرتضى مطهري، ص ٢٠٢.

ج- التقيد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيث يؤكد القرآن الكريم ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن إهمالهما يؤدي إلى انهدام أركان المجتمع، قال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

د- الفسق والفجور والفساد الخلقي: والآيات القرآنية في هذا الموضوع كثيرة، فمنها التي اعتبرت عمل المترفين سبباً للهلاك، ومنها أكثر الآيات التي ركزت على الظلم وأثره في انحطاط المجتمعات. ولا بدّ من التنبيه إلى أنّ الظلم مفهوم عام يشمل حتى ظلم الإنسان نفسه، وذلك بابتعاده عن الفطرة السليمة التي أودعها الباري في أعماق نفسه، وما ذلك الابتعاد إلا نتيجة الابتعاد عن تعاليم القرآن الكريم، والهدي بسيرة المعصومين (عليه السلام).

فالمجتمع القائم على أساس العدل، والوحدة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو المجتمع الذي نادى به الإسلام. وكان النبي وآل البيت (عليهم السلام) المصدق الأكمل في هذا النداء، وسيحقق صاحب العصر والزمان مجتمع العدل، وهو أمل كلّ إنسان في مختلف الأزمان. ونظراً لتعطش الإنسانية لهذا المجتمع فقد أرتأت البحث بعنوان «دور التكافل الاجتماعي في تحقيق العدالة الاجتماعية» (سيرة النورين أنموذجاً).

### ثانياً. إجراءات البحث وحدوده ومنهجه

اعتمدت في البحث على المنهج التحليلي؛ حيث استعرضت مقطعاً من عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر، ومقطعاً من الخطبة المشهورة لسيدة نساء العالمين في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، وحللت هذين المقطعين مسطرة الضوء على التكافل الاجتماعي بشقيه المادي والمعنوي في كلمات النورين، وبعد ذلك استعرضت الآيات الكريمة، وما ورد في السنة النبوية الشريفة حول التكافل الاجتماعي، لنؤكد ما ورد في حديث الثقلين المتواتر عند جميع المسلمين.

### ثالثاً: تقسيمات البحث

تألف البحث من:

مقدمة بيّنت فيها أهمية البحث، وحدوده، وإجراءاته، ومنهجه.

أربعة مطالب وفق الآتي:

المطلب الأول: الاصطلاحات ذات الصلة بالبحث:

أولاً: العدل

ثانياً: التكافل الاجتماعي

المطلب الثاني: القرآن الكريم الثقل الأكبر وآل البيت عليهم السلام الثقل الأصغر:

أولاً: أهمية فكر آل البيت عليهم السلام.

ثانياً: علاقة أمير المؤمنين والسيدة الزهراء عليهما السلام بالله

المطلب الثالث: نصوص مختارة تعكس التكافل الاجتماعي (المادي والمعنوي) في سيرة

النورين

أولاً: الإمام علي عليه السلام وعهده إلى مالك الأشر

ثانياً: الزهراء عليها السلام وميدان العمل الاجتماعي

المطلب الرابع: العدالة الاجتماعية في الإسلام

أولاً: أسس العدالة الاجتماعية

ثانياً: وسائل العدالة الاجتماعية

٣- خاتمة: بيّنت فيها أهم النتائج والتوصيات.

## المطلب الأول

### الاصطلاحات ذات الصلة بالبحث

#### أولاً: العدل لغة واصطلاحاً

أ- لغة: العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة، وعدل يعدل وهو ما قام في النفس أنه مستقيم وهو ضد الجور، وعدل الحاكم في الحكم عدلاً، وهو عادل من قوم عدول وتعديل الشيء تقويمه<sup>(١)</sup>.

ب- اصطلاحاً: هو عبارة عن الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط، وفي اصطلاح الفقهاء [العادل] من اجتنب الكبائر، ولم يصرّ على الصغائر، وغلب صوابه واجتنب الأفعال الخسيسة كالأكل في الطريق، وقيل العدل مصدر لمعنى العدالة والاعتدال والاستقامة والميل إلى الحق<sup>(٢)</sup>.

#### ثانياً: تعريف التكافل الاجتماعي

أ- لغة<sup>(٣)</sup>: كفل الرجل: ضمنه، والكفّل: الضامن للشيء، والكافل: الذي يكفل إنساناً، ويعوله، وينفق عليه، وكفل الصغير: رباه وأنفق عليه، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]

ب- اصطلاحاً: عبارة التكافل الاجتماعي من العبارات التي درجت على السنة المصلحين والمفكرين، من خلال مناداتهم ودعوتهم المستمرة إلى تحقيق المساواة والعدالة في المجتمع.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة عدل، ١٣ ج - ٤٦٠ ص

(٢) التعاريف، علي بن الحسين الجرجاني، ج ١ - ص ١٩١

(٣) العين، الفراهيدي، ج ٥، ص ٣٧٣، مادة (كفل)

والتكافل في الإسلام شامل لكل مناحي الحياة المادية والمعنوية، فهو يتناول حفظ مقومات الفرد الأساسية في الحياة، وحفظ كرامته بتأمين العيش الكريم، وحفظ دينه ونفسه وماله وعقله.<sup>(١)</sup>

(١) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، ص ٢٢٥.

## المطلب الثاني

### القرآن الكريم الثقل الأكبر وآل البيت عليهم السلام الثقل الأصغر

#### أولاً: أهمية فكر آل البيت عليهم السلام

إنَّ أطروحة آل البيت عليهم السلام في الرسالة الإسلامية من أهم الأطروحات ذات الأبعاد المتعددة؛ العقائدية، والفكرية، والثقافية، والتاريخية، والاجتماعية، و... إلخ، فهي الأطروحة التي تعكس تكامل المنظومة التشريعية الإسلامية.

فهم امتداد النبوة، كما إنهم عدل القرآن الكريم الذي هو الثقل الأكبر، وهم عليهم السلام الثقل الأصغر الذي لن يفترق عن القرآن، وهم حملة السنة في تفاصيلها ومصاديقها.

ولذلك فقد تحمّل آل البيت عليهم السلام أعباء مسؤوليتهم الرسالية، لا تأخذهم في الله لومة لائم، فسجلوا بالتاريخ حضوراً قيادياً فاعلاً ومؤثراً، يدافعون عن الإسلام، وينصرون الضعفاء، ويقيمون العدل، ويواجهون أشكال الظلم نصرةً للإنسانية المقهورة على مرّ الزمان.

ويكفينا تأكيداً لهذا الكلام حديث الثقلين المتواتر عند جميع المسلمين، والذي يؤكد عدم افتراق آل البيت عن القرآن فكراً وسلوكاً وتطبيقاً.

ومن أعظم من أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين، نور الإمامة، ومنع الهداية، مصدر العطاء، ومنع الإيثار؟ حيث مثّل بيتها النموذج الأكمل للأسرة المسلمة، والتي حملت مسؤوليتها بنشر الإسلام وتعاليمه بأكمل وجه. والخاسر الأكبر في هذه الحياة من يمنع عن نفسه الاستضاءة بنورهما، والسير بهديهما وفقاً لمنهجهما، بل إنّه الظالم الأكبر لنفسه، وقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]

### ثانياً: علاقة أمير المؤمنين والسيدة الزهراء عليها السلام بالله

إنَّ علاقة الإنسان برَبِّه، هي جوهر فهم الإنسان لدينه، ووجوده، وحياته على هذه الأرض. هذه العلاقة بينها رسول الله ﷺ ومن بعده أئمة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين، حيث أنَّ القانون الحاكم لهذه العلاقة هو قانون العبودية لله سبحانه وتعالى.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

والعبودية لله، ليست مجرد كلام، أو نطق باللسان، وإنما هي سلوك وعمل، إنها علاقة قائمة على تقدير ما أودع الله في الإنسان، من عقل وإرادة وقدرة تمكنه من فهم آيات الله، وبالتالي فهم أسرار الحياة حوله.

لذلك نجد توجيه الحق للإنسان أن يفعل هذه الطاقات:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]

﴿سَرِّبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٤]

وفي رأي الشهيد محمد باقر الصدر فإنَّ المواقف التي مثلها أمير المؤمنين عليه السلام كانت وليدة حبه لله، لا اعتقاده بوجود الله ومعرفته لله، إذ إنَّ هذا الاعتقاد وهذه المعرفة يشاركه بها الكثير من الفلاسفة، وهؤلاء الفلاسفة ماذا صنعوا للبشرية؟ وماذا صنعوا للدين أو الدنيا؟

فليس الاعتقاد والمعرفة وحدها، وإنما حبّ الله فضلاً عن الاعتقاد والمعرفة، هذا هو الذي صنع مواقف أمير المؤمنين وانعكس من هذه المواقف قيم آمن بها فنعكسها بشكل فعلي.<sup>(١)</sup>

وبطبيعة الحال، فإنّ السيدة الزهراء أيضاً سجلت مواقف كانت انعكاساً طبيعياً لعلاقتها وحبّها لله، والكلام في مواقف أمير المؤمنين والسيدة الزهراء لا يسعه هذا البحث، وقد اخترت تسليط الضوء على مواقفها ودورها في تحقيق التكافل الاجتماعي، لما له من أثر في تحقيق العدالة الاجتماعية، أمل الإنسانية منذ خلق الله الإنسان، وسيبقى هذا الأمل إلى قيام دولة العدل على يد صاحب العصر والزمان، أرواحنا له الفداء.

وفيما يلي نصوص مختارة من سيرة النورين تسلّط الضوء على أهمية ووجوب التكافل الاجتماعي في المنظومة التشريعية.

(١) الإسلام يقود الحياة، الشهيد محمد باقر الصدر، ص ١٢٩.

## المطلب الثالث

### نصوص مختارة تعكس التكافل الاجتماعي (المادي والمعنوي) في سيرة النورين

أولاً: الإمام علي عليه السلام وعهده إلى مالك الأشتر:

يعتبر عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر عندما ولّاه على مصر من أهم الوثائق التي حظيت بالكثير من الدراسات لدى الكثير من الباحثين والعلماء، سواء بتحليلها سياسياً، أو اجتماعياً، أو تشريعياً. فلم تحظ وثيقة على مرّ التاريخ بمثل ما حظيت به هذه الوثيقة، بل كانت مصدراً مهماً من مصادر حقوق الإنسان.

وانطلاقاً من البحث الذي اخترته -التكافل الاجتماعي في سيرة النورين-، فقد اخترت مقطعاً من العهد يسلط الضوء على نهج أمير المؤمنين في نظريته لأفراد المجتمع، ومدى مسؤوليته تجاه أبناء مجتمعه، وخاصة الطبقة المستضعفة، وما ذلك إلا ترجمة لسيرة نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة والسلام، وتطبيقاً عملياً لتعاليم القرآن. وفيما يلي مقطع من العهد، وفي تحليلنا لهذا المقطع استنتجنا التطابق بين سيرة الإمام وما ورد بالقرآن حول التكافل الاجتماعي المادي في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية.

جاء في كتاب الإمام علي عليه السلام إلى واليه على مصر: «ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤس والزمى، فإنّ في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً: واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كلّ بلد، فإنّ للاقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلّ قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تُعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم. فلا تشخص همّك عنهم، ولا تصعّر خدّك لهم.....»<sup>(١)</sup>

(١) مع الإمام علي في عهده لمالك الأشتر، محمد باقر الناصري، ص ١٠٧.

### ثانياً: الزهراء (عليها السلام) وميدان العمل الاجتماعي:

هناك الكثير من الروايات التي تبين بأن الزهراء (عليها السلام)، قامت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان التشريع الإسلامي، بل والدفاع بكلّ صلابة وقوة عن الدين الذي جاهد في سبيله نبي الرحمة. ومن خلال التعريف الاصطلاحي للتكافل الاجتماعي، والذي عرضناه سابقاً، نستنتج بأن الزهراء (عليها السلام) قامت أيضاً بتأكيد التكافل الاجتماعي المعنوي، بل في سيرتها (عليها السلام) ما يؤكد أنها قامت بالتأكيد على التكافل الاجتماعي المادي، حيث إنها (عليها السلام) كانت على هدى أبيها في جوده وسخائه، وأعطت الأعرابي عقداً كان في عنقها والذي أهده إلیها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب، وقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي وقالت: «خذ وبعه، فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه».

وأما في تأكيدها (عليها السلام) التكافل المعنوي، فيكفيها خطبتها المشهورة، والمتواترة والتي ألقته في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) حيث روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه (عليهم السلام): أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فذكاً، وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلابها، وأقبلت في لمة من نساء قومها، تطأ ذيولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثم أنت أنه أجهش لها القوم بالبكاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة، حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فعاد القوم في بكائهم. فلما أمسكوا عادت في كلامها وقالت خطبتها المشهورة:

فبعد الثناء على الله تعالى، والشكر لألطفه ونعمه التي لا تحصى، تحدثت (عليها السلام) عن سيد الخلق الذي أثار العقول، وحرر الإنسان عن عبودية الأوثان، وفتح آفاقاً كريمة ومشرقة

للحياة، يعيش الإنسان في ظلالها موفور الكرامة، هادئ البال، وخلّصه من ذل العيش، ومن الخرافات التي أودت به إلى مستوى سحيق.

كما تحدثت عن عظم القرآن الكريم، فهو النور الساطع، والضياء اللامع، الذي يقود إلى الرضوان، ويؤدي إلى النجاة، إلى أن وصلت إلى الحديث عن فرائض الإسلام وعلل التشريعات قائلا: <sup>(١)</sup>

«فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكيةً للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهد عزاً للإسلام، والصبر معونةً على استيجاب الأجر ... إلى آخر الخطبة المشهورة»

فقد أكدت ﷺ في خطبتها أصول الدين، ووجوب فرائض الإسلام وبيان عللها. وفي هذا تذكير للخليفة الأول بمسؤولياته الكبيرة، والتي سيحاسب عليها أمام الله عز وجل، باعتبار أنه قد نصب نفسه خليفة للمسلمين، ولتؤكد له أن التكليف مسؤولية وليس امتيازاً، وفي هذا ترجمة لقوله تعالى: ﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]

ففي تأكيدها ﷺ وبيانها لأصول وفروع الدين، وأدائها لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي ذلك تأكيد للتكافل المعنوي، إذ أن الإنسان بتضييعه لدينه وقيمه تضييع لكرامته التي جعلها رب العزة أساساً لوجوده الإنساني.

وهكذا عرض كل من أمير المؤمنين، والسيدة الزهراء ﷺ صورة العدالة الاجتماعية من خلال مبدأ التكافل الاجتماعي تماشياً مع نظرة الإسلام الأساسية إلى وحدة الأهداف الكلية للفرد والمجتمع. لتسير الحياة في طريقها السوي القديم، وتصل إلى أهدافها العليا التي يخدمها الفرد وتخدمها الجماعة.

(١) حياة الزهراء بعد أبيها الرسول، تأليف العلامة الحجة الشيخ فضل علي القزويني (١٢٩٠-١٣٦٧)، ص ٢٢٦.

وفي المطلب الآتي سأستعرض الأسس والوسائل الخاصة بالعدالة الاجتماعية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث يعتبر التكافل الاجتماعي من أهم الوسائل لتحقيق العدالة الاجتماعية.

## المطلب الرابع العدالة الاجتماعية في الإسلام

تعتبر العدالة الاجتماعية في الإسلام جزءاً من المشروع الإسلامي؛ إذ إن الإسلام تولى تنظيم الحياة الإنسانية بشؤونها كافة. وعليه، فلا بد من تصوّر كليّ مسبق لهذا المشروع قبل البدء بالكلام عن تجليات العدالة الاجتماعية في القرآن والأسس التي تقوم عليها ووسائل تحقيقها.

فالمشروع الإسلامي يقدّم الإنسانية على أنّها وحدة متكاملة، تفترق أجزاؤها لتجتمع، وتختلف لتتفق، وتذهب شتى المذاهب لتتعاون في النهاية بعضها مع بعض:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

[الحجرات: ١٣]

حيث أن نظام الحياة الإنسانية لا يستقيم حتى يتمّ هذا التعاون والتناسق وفق منهج الله وشرعه. ولقد قرر الإسلام مبدأ العدل بين الجميع، واعتبر قيمتي التقوى والعمل الصالح أساساً للتفاضل. ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]

ومنذ القديم تناول الفلاسفة والمفكرون المسلمون قضية العدالة الاجتماعية ووضّحوا أسسها التي تقوم عليها. وفيما يلي نبينها بشكل مختصر.

### أولاً: أسس العدالة الاجتماعية في الإسلام

التحرر الوجداني المطلق:<sup>(١)</sup> عندما يمتلئ شعور الإنسان بأنّه على اتصال كامل بالله، ومحرر كلياً من شعور العبادة لعبد من عباد الله، فإنّه لن يتأثر بشعور الخوف على الحياة أو

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، ص ٣٢.

الرزق أو المكانة أو... فالأمر كله بيد الله؛ وعندئذ سينمو شعور العزة والكرامة. ولهذا، يجب على الإنسان أن يقاوم الشعور بالخوف على الحياة وعلى الرزق وعلى المكانة.

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ [التوبة: ٥١]

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]

بل إن القرآن يقرر بأن الخوف من الفقر إنما هو من إحياءات الشيطان. ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]

بل إن القرآن يسلك شتى السبل للوصول إلى غاية التحرر الوجداني ومن بينها التحذير الإيماني من فتنة الأموال والأولاد.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]

وبذلك ينبّه القرآن من الاندفاع وراء الضعف البشري مقابل الأموال والأولاد. وهذا التحرر هو أحد الأسس الركنية لبناء العدالة الاجتماعية في الإسلام، بل يعدّ الركن الأول الذي تقوم عليه الأركان، وكلّ هذه المعاني أكّدها الزهراء (عليها السلام) في خطبتها، عندما ذكرت معشر المهاجرين والأنصار في مجلس الخليفة الأول أن الدين الذي جاهد في سبيله نبيّ الرحمة هو الذي انتشل إنسان الجاهلية من ذلّ العيش، وخلّصه من الظلم وهوان العيش.

ب- المساواة الإنسانية: (١) عندما يستشعر الضمير الإنساني معاني التحرر الوجداني ويجد من الضمانات الواقعية والقانونية ما يؤكد في نفسه هذا الشعور، فلن يكون بحاجة إلى من يقول له بالمساواة طالما إنّه استشعرها بنفسه، وعندها ستكون الخطابات الإلهية مؤكدة لما استشعره وجداناً.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٣٥

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]

فلا مجال للتفاخر إلا بالتقوى والعمل الصالح. وعليه فهذا الجنس البشري كرامته التي لا يجوز أن تستذل بأي شكل من الأشكال ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وهنا أيضاً ما أكدته الزهراء (عليها السلام) في خطبتها.

ج- التوازن الاجتماعي: <sup>(١)</sup> تنبثق فكرة التوازن الاجتماعي من حقيقة كونية، وهي أن أفراد النوع البشري متفاوتون في الخصائص والصفات النفسية والفكرية والجسدية. وهذا التفاوت ليس نتيجة أحداث عرضية في تاريخ الإنسان؛ إنما نستطيع تفسيره من اعتقادنا بأنه انعكاس طبيعي لضرورة التكامل بالحياة. فالاختلاف بالعزيمة والأمل والإبداع والاختراع وفي ثبات الأعصاب والصبر... إلى غير ذلك من مقومات الشخصية الإنسانية، كل ذلك يؤدي إلى توزع المسؤوليات كلاً حسب شخصيته، ومن ثم يؤدي إلى تكامل الحياة. ولم يهمل الإسلام إعطاء كل فرد حقه بناءً على خصائصه بل كلف الحاكم الشرعي بالسعي لإيجاد التوازن الاجتماعي في مستوى المعيشة وجعله هدفاً تسعى الدولة إلى تحقيقه ضمن إمكانياتها وفي حدود صلاحياتها بمختلف الطرق والوسائل. وقد قام الإسلام من ناحيته بالعمل على تحقيق هذا الهدف؛ بضغط مستوى المعيشة من أعلى بتحريم الإسراف، وبضغط المستوى من أسفل وذلك بحث الأفراد الذين يعيشون مستوى منخفضاً بالمعيشة، وترغيبهم بالوصول إلى مستوى أرفع. وبذلك تتقارب المستويات حتى تندمج أخيراً في مستوى واحد، قد يضم درجات ولكنه لا يحتوي على التناقضات الرأسالية الصارخة في مستويات المعيشة. والنصوص الشرعية التي حددت مسؤولية الحاكم الشرعي بشأن مصارف الزكاة كافية

(١) اقتصادنا، الشهيد محمد باقر الصدر، ص ٧٠٦.

لبيان مفهوم التوازن الاجتماعي، وهذا ما أكدّه الإمام عليه السلام في عهده لملك الأشتر عندما نبّهه إلى ضرورة الانتباه إلى الطبقة الضيقة في المجتمع، وكما جاء في الخبر عن الخبر عن الإمام جعفر «تعطيه من الزكاة حتى تغنيه»<sup>(١)</sup>.

وخلاصة الكلام فإنّه على تلك الأسس الثلاثة: التحرر الوجداني المطلق، والمساواة الإنسانية، والتوازن الاجتماعي، تقوم العدالة الاجتماعية وتحقق.

### ثانياً: وسائل العدالة الاجتماعية في الإسلام:

تقوم العدالة الاجتماعية في الإسلام على تفعيل مفهوم التكافل الاجتماعي والذي يكون بالعمل على محورين أساسيين هما: الضمير البشري من داخل النفس. والتكليف القانوني المفروض من خارج بواسطة الدولة.

### أ- النداء الداخلي في الضمير الإنساني:<sup>(٢)</sup>

يهتف الإسلام بالضمير الإنساني أن يتسامى فوق التكاليف المفروضة ما استطاع، وفي الوقت نفسه، لا يغفل أبداً عن الواقع العملي في محيط الحياة، ولا عن حقيقة النفس البشرية. وبهذه الوسيلة المزدوجة، نجح في إنشاء مجتمع إنساني متوازن متناسق.

وأفضل مثال على ذلك الزكاة والصدقة؛ فالزكاة ركن من أركان الإسلام، وضرورة من ضرورات الدين ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ١ - ٣]

(١) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٥٤٨، الحديث الرابع.

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، ص ٦٣.

وهذه الزكاة تضمنتها أوامر الأنبياء قبل الإسلام، يقول عن النبي إسماعيل:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥]

فهذه الزكاة مفروضة بالشرعية، وبجانبها الصدقة، وهي موكولة إلى ضمير الفرد بلا حساب، وهي ثمرة التراحم والإخاء اللذين غني بهما الإسلام كل العناية تحقيقاً للترابط الإنساني والتكافل الاجتماعي.

وعلى أي حال، فإن الصدقة مضمونة التعويض عن الله عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]

والامتناع عن الإنفاق في سبيل الله يؤدي إلى الهلكة ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]

وأبواب الإنفاق تدور مع الحاجة ومواضعها، فالأقربون أولى بالمعروف ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]

والإسلام يقدّر غريزة حب الذات وحب المال؛ ولذلك يعتمد أسلوب الترغيب ويطلب من هذه النفس الشحيحة أن تجود بما هو حبيب إليها، عزيز عليها. ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

والإسلام يقرّر مبدأ التكافل في كل صوره وأشكاله؛ فهناك التكافل بين الفرد وذاته، وذلك بأن ينهى نفسه عن شهواتها، ويزكّيها ويطهرها.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]

وهناك تكافل بين الفرد وأسرته القريبة. ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤]

ومن مظاهر التكافل العائلي في الإسلام نظام الإرث المفصل في آيات الإرث. وهناك تكافل بين الفرد والجماعة، وبين الجماعة والفرد، يوجب على كلٍّ منهما تبعات، ويرتب لكلٍّ منهما حقوقاً. فكل فرد مكلف أن يرفع مصالح الجماعة كأنه حارس لها، موكل بها، والتعاون بين جميع الأفراد واجب لمصلحة الجماعة في حدود البرّ والمعروف.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

#### بدالقانون الملزم من الخارج:<sup>(١)</sup>

تتحمل الدولة مسؤولية حماية الضعفاء فيها ورعاية مصالحهم وصيانتها، فعليها أن تعمل جاهدة لحمايتهم. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾ [النساء: ٧٥]

حيث فرض الإسلام على الدولة ضمان معيشة الأفراد ضماناً كاملاً، وعادة تقوم بهذه المهمة على مرحلتين: ففي المرحلة الأولى تهبى الدولة للفرد وسائل العمل، وفرصة المساهمة الكريمة في النشاط الاقتصادي المثمر ليعيش بعمله وجهده. وأما إذا كان عاجزاً عن العمل فمن واجبه تهيئة المال الكافي لسد حاجاته، وهذا هو مبدأ الضمان الاجتماعي الذي يركز على أساسين: أحدها التكافل العام. والآخر حق الجماعة في موارد الدولة العامة وأما التكافل العام فهو المبدأ الذي يفرض فيه الإسلام على المسلمين كفاية كفالة بعضهم بعضاً، ويجعل من هذه الكفالة فريضة على المسلم في حدود ظروفه وإمكاناته. وفي الروايات الشريفة دلالة واضحة على ذلك، ففي الحديث: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أيما

(١) اقتصادنا، الشهيد محمد باقر الصدر، ص ٦٩٧.

مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه، وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه، مزرقة عيناه، مغلوله يده إلى عنقه، فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به إلى النار<sup>(١)</sup>. وأما حق الجماعة في موارد الدولة العامة فهو الذي يعرف بضمان الإعالة والنصوص التشريعية التي تدلّ على المسؤولية المباشرة للدولة واضحة كلّ الوضوح في تأكيد هذه المسؤولية، وهذا ما أكّده أمير المؤمنين في عهده لمالك الأشتر.

وهكذا نستنتج بأنّ النداء الداخلي بالضمير الإنساني، والقانون الملزم من الخارج، يتحقق التكافل الاجتماعي، وهو السبيل لتحقيق العدالة الاجتماعية .

وهكذا يعرض الإسلام صور وسائل العدالة الاجتماعية من خلال مبدأ التكافل الاجتماعي تماشياً مع نظريته الأساسية إلى وحدة الأهداف الكلية للفرد والمجتمع، لتسير الحياة في طريقها السوي القديم، وتصل إلى أهدافها العليا التي يخدمها الفرد وتخدمها الجماعة. ولقد أتى هذا النهج ثمراته في فجر الإسلام، وإنه لقادر على أن يعيدها في الحاضر والمستقبل حين يفهم هذا الإسلام فهماً حقيقياً، وحين يوجّه وجهته التي يجب أن يكون عليها، أملاً في تحقيق المستقبل الموعود.

(١) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٣٦٧، الحديث رقم ١.

## الخاتمة

بعد تحليل مقتطفات من كلام أمير المؤمنين، والسيدة الزهراء عليها السلام فقد تبين معي ما يلي:  
أكدنا عليها السلام على ضرورة تفعيل مفهوم التكافل الاجتماعي بشقيه، انطلاقاً من التكليف الإلهي لمنصب الإمامة، وذلك في سبيل تحقيق مجتمعاتٍ صالحٍ قوامه العدل، والقسط، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تعدّ سيرة النورين تطبيقاً عملياً لسيرة المصطفى، وللقرآن الكريم، وفي هذا تأكيد لحديث الثقلين المتواتر عند جميع المسلمين.

العدالة الاجتماعية ركيزة أساسية في المشروع الإسلامي، وهي أمل الإنسانية منذ أن وجد الإنسان على الأرض، وستبقى أمل الشعوب إلى أن يحدث الله أمراً كان مفعولاً، وتتحقق دولة العدل على يد صاحب العصر والزمان.

اقتداءً بسيرة النبي، والأئمة عليهم السلام؛ لكلّ منّا مسؤوليته أفراداً، وجماعات، ومؤسسات في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية، وما لم يقم كلّ منّا بمسؤوليته، فلن يغيّر الله أمرنا، وستبقى الشعوب تعاني من الظلم والقهر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

وأما التوصيات: في سبيل استكمال وتطوير البحث، أوصي بما يلي:

استقراء سيرة النبي عليه السلام، واستقراء مواطن التكافل الاجتماعي في سيرته زمن الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

استقراء المشاكل الاجتماعية التي تعاني منها البلاد الإسلامية، والتي تمنع من تحقيق العدالة الاجتماعية، وتقديم الحلول لهذه المشاكل، وذلك بالعودة إلى القرآن الكريم، والسنة

الصحيحة لاستنطاق النصوص الشرعية في كيفية علاج هذه المشاكل، وهو ما يعبر عنه الشهيد الصدر بالتفسير الموضوعي، وهو استقراء الواقع والعودة للنصوص القرآنية لعلاج هذا الواقع.

أخيراً:

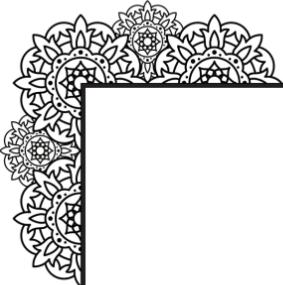
أتوجه بالشكر الجزيل للأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، وللقائمين على المؤتمر لما له من أهمية في نشر تعاليم الإسلام الأصيل، سائلين المولى عزّ وجلّ التوفيق والأجر والثواب الجزيل للجميع.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

١. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
٢. علي بن الحسين الجرجاني، التعاريف، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود.
٣. فتحي الدريني، الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
٤. الشهيد محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، دار العارف - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٥. الشهيد محمد باقر الصدر، اقتصادنا، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، دار العارف - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٦. أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي.
٧. العلامة الحجة الشيخ فضل علي القزويني، حياة الزهراء بعد أبيها الرسول، (١٢٩٠ - ١٣٦٧)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى، ١٤٢٦، مطبعة نكارش - قم المقدسة.
٨. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة التاسعة، طهران، ١٣٦٢هـ.
٩. محمد باقر الناصري، مع الإمام علي في عهده لمالك الأشر، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٠. سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١١. الشيخ مرتضى مطهري، المجتمع والتاريخ، دار المرتضى - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.





**قراءة في أصناف التكافل الاجتماعي**

**في سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام  
وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم**

**الباحث**

**الشيخ نبيل سرحان كاظم الحسناوي**

**العتبة العباسية - قسم الشؤون الفكرية والثقافية**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين، المصطفى الأجد،  
المحمود الأحمد، أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين. اللهم صل على محمد وآل  
محمد.

وبعد...

إن من أهم الأسس والقواعد التي أكدها الدين الإسلامي الحنيف هو مسألة التكافل  
الاجتماعي، والمصاديق التي تنضوي تحته، والتفرعات التي تتشعب منه.

ولأجل ذلك، استحضر الباري عز وجل مسألة التكافل الاجتماعي في دستور الإسلام  
-القرآن الكريم- بآيات كثيرة وألفاظ مختلفة، وأوجب الأجر المضاعف عليه في بعضها،  
كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي  
كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. (١)

ولقد حث رسول رب العالمين، الصادق الأمين محمد ﷺ على التكافل الاجتماعي بشتى  
الأساليب والصور؛ منها ما روي عنه أنه قال: (إن الله في عون المؤمن ما دام المؤمن في عون  
أخيه المؤمن، ومن نفس عن أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه سبعين كربة من  
كرب الآخرة). (٢)

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) المجلسي العلامة الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣١٢.

ولقد كان لأهل البيت (عليه السلام) - ومنهم الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (عليها السلام) - الدور البارز والمساهمة الكبيرة في زرع مسألة التكافل الاجتماعي بأصنافه كافة في قلوب الفرد والمجتمع المسلم وأفعالهم. ولذلك قال بعضهم: (وأسهمت مدرسة أهل البيت (عليه السلام) في ترسيخ مبدأ التعاون والتكافل في أذهان الناس وسلوكهم).<sup>(١)</sup>

وسبب اهتمام أهل البيت (صلوات الله عليهم) بمسألة التكافل الاجتماعي لتوقف قوة الفرد والمجتمع المسلم وترابطه وسعادته عليه، وضعف الفرد والمجتمع المسلم وتفككه وانهياره وتعاسته على فقده. قال السيد هادي المدرسي: (... لأن فقدان التكافل الاجتماعي، والتراحم الإنساني يؤدي - إن عاجلاً أو آجلاً - إلى تفكك المجتمع وانهياره).<sup>(٢)</sup> وقال آخر: (... إن التكافل الاجتماعي من أعظم مقومات الحياة الاجتماعية الكريمة، لا تكمل سعادة المجتمع إلّا به).<sup>(٣)</sup> ومما تقدم يظهر ويتبين أهمية بحثي هذا الموسوم بـ (قراءة في أصناف التكافل الاجتماعي في سيرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم).

ولا أدعي بأنني أول من كتب في هذا الموضوع، ولكنني أرى بأن لي الأسلوب الخاص في كتابة هذا الموضوع، كما سيتضح ذلك في طيّات هذا البحث للقارئ الكريم. وقد استعنتُ بالمنهج التحليلي عن طريق عرض السيرة العطرة لمولاتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) واستنتجت من أفعالها وأقوالها ومواقفها مسألة التكافل الاجتماعي المادي والمعنوي وأثره في الفرد والمجتمع المسلم.

علماً أنّ هيكليّة البحث تتكون من تمهيدٍ ومبحثين:

التمهيد: في الكلمات المفتاحية أو التعاريف اللغوية والاصطلاحية الواردة في عنوان

البحث.

(١) مركز الرسالة، دور العقيدة في بناء الإنسان، ص ٥٦.

(٢) المدرسي السيد هادي، أخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٣) عوض عبد الحميد عيد، أسس النظام الاجتماعي في الإسلام، ج ١، ص ١٩١.

المبحث الأول: التكافل المادي من سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم.

المبحث الثاني: التكافل المعنوي من سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن أوفق في طيات هذا البحث لبيان أصناف التكافل الاجتماعي في سيرة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وأثره في الفرد والمجتمع المسلم؛ إنه سميع مجيب.

## التمهيد

الكلمات المفتاحية أو التعاريف اللغوية والإصطلاحية الواردة في عنوان البحث.

### ١- قراءة:

القراءة لغةً: (تتضمن معنى الضمّ والنطق والإبلاغ معاً).<sup>(١)</sup> وقرأ الشيء: جمعه وضمه.<sup>(٢)</sup>

وَقَرَأَ الْأَمْرَ: تَبَعَهُ وَأَمَعَنَ فِيهِ النَّظَرَ. وَقَرَأَ مَا بَيْنَ السُّطُورِ: فَهَمَّ الْأَمْرَ الْمَضْمَرِ، اسْتَشَفَّ الْمَعْنَى الضَّمْنِيَّ.<sup>(٣)</sup>

وأما القراءة اصطلاحاً فقد عرفها البعض: (بأنّها إحدى أهمّ وسائل التعلم الإنساني، حيث يكتسب الإنسان بواسطتها العديد من الأفكار، والعلوم، والمعارف، ممّا يؤدي إلى تطوير إدراك الإنسان، وتعدّ أيضاً من أوسع مصادر المعرفة والعلم).<sup>(٤)</sup>

### ٢- أصناف:

الصنف لغةً: الصنف طائفة من كلّ شيء، وكلّ ضرب من الأشياء صنف على حدة.<sup>(٥)</sup> والصَّنْفُ من الشيء: ضَرَبٌ منه متميّز.<sup>(٦)</sup>

(١) عصفور جابر، قراءة التراث النقدي، ج ١، ص ١٢.

(٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ١، ص ٢٤.

(٣) من الإنترنت، موقع: (معجم المعاني الجامع)، مادة: قرأ.

(٤) من الإنترنت، موقع: (موضوع)، مقالة تحت عنوان: القراءة والكتابة، للكاتبة: علا عبيات.

(٥) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ج ٩، ص ١٩٩.

(٦) من الإنترنت، موقع: (معجم المعاني الجامع)، مادة كلمة أصناف.

والصنف، بالكسر والفتح: النوع والضرب، جمع: أصناف وصنوف.<sup>(١)</sup>  
وقيل الجزئيات المندرجة تحت الكلي، إما أن يكون تباينها بالذاتيات أو بالعرضيات أو  
بهما، والأول يسمى أنواعاً، والثاني أصنافاً، والثالث أقساماً.<sup>(٢)</sup>  
ولا يختلف التعريف الإصطلاحي لكلمة الأصناف في الجهة المقصودة من بحثنا هذا  
عن التعريف اللغوي كثيراً، وإن كان لها اصطلاح خاص عند أصحاب الشركات التجارية  
مثلاً.

### ٣- التكافل:

وللتكافل في اللغة معانٍ متعددة فيأتي بمعنى: النصيب، والضعف، والمثل، والحظ،  
والضامن، والعائل. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَقْلَهَا زَكْرِيَّا﴾.<sup>(٣)</sup> أي أعالها. وقوله تعالى: ﴿إِذْ  
يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.<sup>(٤)</sup> أي: أعالها وضمن معيشتها.<sup>(٥)</sup>

وأما اصطلاحاً فقد عرفه البعض بقوله: (التكافل الاجتماعي: التعاون بين أبناء المجتمع  
- فرادى وجماعات على تحقيق الخير ودفع الجور في شتى الجوانب المادية والمعنوية).<sup>(٦)</sup>

وعرفه السيد محمد باقر الصدر رحمته فقال: (هو المبدأ الذي يفرض فيه الإسلام على  
المسلمين كفاية، كفالة بعضهم لبعض، ويجعل من هذه الكفالة فريضة على المسلم في حدود  
ظروفه وإمكاناته، يجب عليه أن يؤديها على أي حال كما يؤدي سائر فرائضه).<sup>(٧)</sup>

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٦٣.

(٢) من الإنترنت، موقع: (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، مقالة تحت عنوان: صنف (المنطق).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٥) انظر كتاب: التكافل الاجتماعي، للزلفي، ج ١، ص ٧. نقلاً من موقع: جامع الكتب الإسلامية.

(٦) من الإنترنت، موقع: (الموسوعة الغنية - المحطة الأولى لطرح المواضيع التعليمية)، قسم: أحكام  
الإسلام، موضوع تحت عنوان: (منهج الإسلام في بناء الأسرة).

(٧) الصدر السيد محمد باقر، اقتصادنا، ص ٦٦٢.

وعرفه البعض فقال: (التكافل الاجتماعي، عنوان يراد منه التحام الأفراد فيما بينهم في إطار من الودّ والرحمة يشدّ بعضهم بعضاً، كما يقول الحديث الشريف: (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً). وللتكافل مظاهر متعددة: فالجهاد في سبيل الله، ينضم الأفراد بعضهم إلى بعض ليقفوا فيه بوجه العدوان من التكافل. والمهندس، والطبيب، وكلّ ذي فن وحرمة يقوم بعمله من التكافل، وتقديم الخدمات الخاصة، والعامّة من التكافل. ورعاية اليتيم أيضاً من التكافل. وأفراد الأسرة كل يقوم بواجبه الأسروي من التكافل. وإسداء النصيح، والكلمة الطيبة يقدمها الإنسان إلى غيره من التكافل.

ومد يد العون إلى الفقراء، والضعفاء من التكافل. وبتعبير شامل القيام بما يعود إلى المجتمع على نطاق الأفراد، والمجموعة ككلّ من التكافل.<sup>(١)</sup>

#### ٤- سيرة:

السيرة لغةً: السيرة بالكسر: السنّة، والطريقة، والهيئة، والميرة.<sup>(٢)</sup> وقال أبو عبيد: سار الشيء وسرته، فعم، والسيرة: الطريقة. يقال: سار بهم سيرة حسنة. والسيرة: الهيئة. وفي التنزيل العزيز: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾<sup>(٣)</sup> وسير سيرة: حدث أحاديث الأوائل.<sup>(٤)</sup>

أما تعريف السيرة اصطلاحاً: فعرفها البعض بأنها: (فنّ أدبي يعتمد على الانتقاء والترتيب لإعادة الشخصية إلى واقعها الحقيقي دون تزييف. وتعني قصة الحياة وتاريخها، وكتبها تسمّى: كتب السير، يُقال قرأت سيرة فلان: أي تاريخ حياته).<sup>(٥)</sup>

(١) بحر العلوم السيد عز الدين، الإنفاق في سبيل الله، ج ١، ص ١٩.

(٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٢، ص ٥٤.

(٣) سورة طه، الآية: ٢١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٩٠.

(٥) من الإنترنت، موقع: (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، مقالة تحت عنوان: (ترجمة سيرة حياة).

## ٥- فاطمة الزهراء (عليها السلام):

هي بنت النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، أمّها السيدة خديجة (عليها السلام)، وزوجها الإمام علي (عليه السلام)، وهي أحد أصحاب الكساء الخمسة، الذين تعتقد الإمامية بعصمتهم. ومن أولادها الإمام الحسن، والحسين (عليهما السلام)، وزينب (عليها السلام)، وهي المرأة الوحيدة التي اصطحبها النبي (صلى الله عليه وآله) لمباهلة نصارى نجران.

خصّتها سورة الكوثر، وشملتها آيات التطهير، والإطعام، ووردت في حقّها وفضيلتها أحاديث لولاك والبضعة؛ حيث اعتبرها أبوها بضعة من نفسه وغضبها غضب الله ورضاها رضاه.

ولم ترد أخبار كثيرة عن مرحلتها الطفولة وما بعدها للسيدة فاطمة (عليها السلام)، وما ورد هو صحبتها لأبيها في مواجهة المشركين وأذاهم إياه، وحضورها في شعب أبي طالب وهجرتها إلى المدينة برعاية الإمام علي (عليه السلام).

وبعد هجرتها إلى المدينة رغم كثرة الذين أقدموا على خطبتها، تزوجت الإمام علي (عليه السلام)، وذلك في سنة ٢ للهجرة، ومن نشاطاتها الاجتماعي بعد الهجرة صحبتها للنبي (صلى الله عليه وآله) في بعض المعارك، ومنها فتح مكة.

... قد عدّوها ألقاباً كثيرة تصل إلى ما يقارب ٣٠ لقباً. ولكل واحد منها دلالة خاصة بها. من أشهر هذه الألقاب: الزهراء، الصديقة، المحدثّة، البتول، سيدة نساء العالمين، المنصورة، الراضية، والمرضية. كما حملت من الكنى: أم أبيها، أم الأئمة، أم الحسن، وأم الحسين، وأم المحسن.

والمشهور إنما سمّاها النبي فاطمة، لأنّ الله فطمها ومحبيها أو ذريّتها وولدها عن النار. وأشهر ألقابها الزهراء، وقد تسمّى به غالباً، ويقترن مع اسمها أحياناً، فيقال فاطمة الزهراء، أي: النور الساطع والضياء اللامع).<sup>(١)</sup>

(١) من الإنترنت، من موقع: (ويكي شيعية)، مقالة تحت عنوان: السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

## ٥- التأثير:

التأثير لغة: إبقاء الأثر في الشيء. وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً. والآثار: الأعلام.<sup>(١)</sup> تأثر بالشيء: تطبع به، تأثر الشخص: ظهر عليه الأثر، والتأثير: نفوذ، قدرة على إحداث أثر قوي. وتأثر به: تطبع به، اقتدى، سار على نهجه.<sup>(٢)</sup>

وأما التأثير اصطلاحاً، فهو تفاعل اجتماعي بين عاملين، وهما المؤثر والمتأثر، بحيث يخلق لدى المؤثر فيه رد فعل معين. وقيل بأنه تثبيت وتعزيز الآراء والمواقف، والمشاعر، عند المتلقين عن طريق التعرض للرسالة نفسها. وعرفه البعض بكونه مهارة منظمة بغية الوصول إلى تغيير سلباً أم إيجاباً.<sup>(٣)</sup>

## ٦- الفرد:

الفرد لغة: بمعنى الوتر، والجمع أفراداً وفرادى، والفرد نصف الزوج ولا نظير له. وتأتي كلمة تفرد بمعنى انعزل وتميز عن غيره، والفرد: هو المتفرد والتميز عن القطيع أو الجماعة، فنقول أفرد زيد بالأمر تفرد به، وتفرد بالأمر أي كان فيه فرداً لا نظير له. وشكل الفرد بوصفه اصطلاحاً إنسان أحادي منفرد، ويحوي هذا المفهوم معنى آخر، هو الكلية التي لا يمكن تجزئتها إلى مكّون أصغر.<sup>(٤)</sup>

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ج ٤، ص ٥.

(٢) من الإنترنت، موقع: (معجم المعاني الجامع)، مادة كلمة التأثير.

(٣) بحث (التأثير بالآخرين والعلاقات العامة)، بحث مقدم لنيل درجة الدبلوم في العلاقات العامة في الأكاديمية السورية الدولية، إعداد الطالبة ديمة الشاعر.

(٤) من الإنترنت، موقع: (سقاية)، قسم: المعرفة والفكر الفلسفي، مقالة تحت عنوان: د. علاء جواد، وتطور مفهوم الفرد، للكاتب: أحمد بادغيش، مقالة مقتبسة من كتاب: (الفرد والمصير) للدكتور علاء جواد الباحث العراقي المعاصر.

وأما الفرد اصطلاحاً، فعرفه جميل صليبا في معجمه فقال: (الفرد في اصطلاح الفلاسفة هو كلّ موضوع فكري معين مقيد بقيد التشخيص تؤلف أجزاؤه كلّاً واحداً، والفرد في علم النفس مرادف للشخص الطبيعي من جهة ما هو متميز عن الآخرين بهويته ووحدته، أو من جهة ما هو ذو صفات خاصة مختلفة عن صفات مشتركة بينه وبين أبناء جنسه).<sup>(١)</sup>

والفرد في علم الاجتماع هو وحدة من الوحدات التي يتألف منها المجتمع، كالمواطن في الدولة، فهي آحاد حقيقة يتألف منها الجسم الاجتماعي.<sup>(٢)</sup>

#### ٧- المجتمع:

أما المجتمع لغةً: جماعة من الناس تربطها روابط ومصالح مشتركة وعادات وتقاليد وقوانين واحدة، وهو فئة من الناس تشكّل مجموعة تعتمد على بعضها البعض.<sup>(٣)</sup>

وأما المجتمع اصطلاحاً، فقد عرّفه البعض فقال: المجتمع هو عدد كبير من الأفراد المستقرين تربطهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة تصاحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها. والمجتمع هو كلّ مجموعة أفراد تربطهم رابطة ما معروفة لديهم، ولها أثر دائم أو مؤقت في حياتهم وفي علاقاتهم مع بعض.<sup>(٤)</sup>

#### ٨- المسلم:

المسلم لغةً: يقال فلان مسلم، وفيه قولان: أحدهما هو المتسلم لأمر الله، والثاني هو المخلص لله العبادة، من قولهم سلم الشيء لفلان أي خلصه، وسلم له الشيء أي خلص له.<sup>(٥)</sup>

(١) صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ج ٢، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ج ٢، ص ١٣٩.

(٣) من الإنترنت، موقع: (معجم المعاني الجامع)، مادة كلمة: المجتمع.

(٤) من الإنترنت، موقع: (أحوال الدول والمجتمعات، قسم: مقالات المجتمع البشري، مقالة تحت عنوان: تعريف المجتمع).

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٩٣.

وعرفه البعض بقوله: (والمسلمون من صلّى إلى القبلة) أي اعتقد الصلاة إليها وإن لم يصل، لا مستحلاً وقيل: يشترط الصلاة بالفعل، وقيل: يختصّ بالمؤمن وهما ضعيفان.<sup>(١)</sup>

وأما المسلم اصطلاحاً (هو الشخص الذي يُقرُّ بالله ربّاً وإلهاً واحداً، وينفي الربوبية، أو الألوهية لغيره، ويتخذ الإسلام ديناً، ويتبع محمداً نبياً ورسولاً، ويتخذ القرآن كتاب هداية، ويؤدي أركان الإسلام...<sup>(٢)</sup>).

المبحث الأول: التكافل المادي في سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم.

المبحث الثاني: التكافل المعنوي في سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم.

وقبل البدء ببيان المبحثين الأول والثاني، أودّ أن أنوه بأنّ التكافل الاجتماعي يقسم إلى صنفين: (التكافل المادي، والتكافل المعنوي أو الأدبي). قال الكاتب عباس ذهبيات في كتابه عن هذين الصنفين: (... فالإمام - الصادق عليهما السلام - هنا يذهب إلى أبعد من التكافل المادي، كما في حالة الغني الذي أصابته الفاقة، فيرى ضرورة التكافل المعنوي مع العزيز الذي ألّمت به الذلّة، والعالم الذي يستخفّ به قرابته أو الجهلة المحيطون به. فهذا الحديث يفتح لنا أفقاً واسعاً حتى لا تضيق عدسة الرؤية لدينا فننظر فقط إلى التكافل في شكله المادي البحت، بل علينا أن نولي عناية بالجانب المعنوي من التكافل، ويطلق عليه بعض الباحثين تسمية (التكافل الأدبي)، فهؤلاء يرون أنّ مفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام واسع، لا يقتصر على الجانب المادي، بل يشمل التكافل الأدبي: وهو أن يشعر الإنسان باحترام الآخرين وجبّهم له).<sup>(٣)</sup>

(١) الشهيد الثاني، شرح اللمعة، ج ٣، ص ١٨١.

(٢) من الإنترنت، موقع: (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، مقالة تحت عنوان: مسلم.

(٣) ذهبيات عباس، التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ج ١، ص ٢١.

## المبحث الأول

### التكافل المادي في سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم

سأشرع على بركة الله سبحانه وتعالى بذكر نماذج من التكافل المادي في سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم، وهي كثيرة، كتصدقها عليها السلام بهاها، وبساتينها، وبعقدها، وبسواربها، وبقماش بيتها، وبثوب زفافها، وبفراش بيتها، وبطعامها، وغير هذه الموارد، لكنني سأختار البعض منها - بما يتلاءم مع محدودية سعة أوراق البحث - فأقول مستعيناً بالله عز وجل:

#### أولاً: تصدقها عليها السلام بمالها:

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال محمد بن إسحاق: وحدثني أبو جعفر محمد بن علي أنّ فاطمة عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر، قال: وإنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كتبت هذا الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتبت فاطمة بنت محمد في مالها إن حدث بها حادث تصدّقت بثمانين أوقية، تنفق عنها من ثمارها التي لها كلّ عام في كلّ رجب بعد نفقة السقي ونفقة المغل، وأنها أنفقت أثمارها العام وأثمار القمح عاماً قابلاً في أوان غلتها، وإنما أمرت لنساء محمد أبيها خمس وأربعين أوقية، وأمرت لفقراء بني هاشم وبني عبد المطلب بخمسين أوقية.

وكتبت في أصل مالها في المدينة أنّ علياً عليه السلام سألها أن توليه مالها فيجمع مالها إلى مال رسول الله صلى الله عليه وآله فلا تفرق وتليه ما دام حياً، فإذا حدث به حادث دفعه إلى ابني الحسن والحسين فيليانه: وإنّي دفعت إلى علي بن أبي طالب على أني أحلله فيه، فيدفع مالي ومال محمد صلى الله عليه وآله لا يفرق منه شيئاً، يقضي عني من أثمار المال ما أمرت به وما تصدقت به، فإذا قضى

الله صدقتها وما أمرت به فالأمر بيد الله تعالى وبيد علي يتصدق وينفق حيث شاء لا حرج عليه. فإذا حدث به حدث دفعه إلى ابني الحسن والحسين المال جميعاً مالي ومال محمد ﷺ فينفقان ويتصدقان حيث شاء أو لا حرج عليهما، وإنّ لابنة جندب -يعني بنت أبي ذر الغفاري- الثابوت الأصغر وتغطيها في المال ما كان ونعلي الأدميين والنمط والجب والسرير والزريبة والقطيفتين.

وإن حدث بأحد ممن أوصيت له قبل أن يدفع إليه فإنّه ينفق في الفقراء والمساكين، وأن الأستار لا يستتر بها امرأة إلا إحدى ابنتي غير أنّ علياً يستتر بهنّ إن شاء ما لم ينكح، وإن هذا ما كتبت فاطمة في مالها وقضت فيه، والله شهيد، والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب كتبها وليس على علي حرج فيما فعل من معروف.

قال جعفر بن محمد: قال أبي: هذا وجدناه وهكذا وجدنا وصيتها ﷺ<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن لكثرة أسماء وأوصاف المستحقين الذين أوصت بهم الزهراء ﷺ بأموالها التأثير البالغ على الفرد والمجتمع من الناحية الاقتصادية والنفسية؛ وأهمّها إدخال السرور على قلوب المؤمنين والمسلمين.

### ثانياً: تصدقها ﷺ ببساتينها:

قال السيد محسن الأمين: (أوقفها وصدقاتها: كان لها سبعة بساتين وقفتها على بني هاشم وبني المطلب، وجعلت النظر فيها والولاية لعلي ﷺ مدة حياته، وبعده للحسن، وبعده للحسين، وبعده للأكبر من ولدها. روى الكليني في الكافي بسنده عن الصادق ﷺ: إنّ فاطمة ﷺ جعلت صدقتها لبني هاشم وبني المطلب، وبسنده عن الباقر ﷺ: إنّ فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ أوصت بحوائطها السبعة: العواف، والذلال، والبرقة.

(١) المجلسي العلامة الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ١٨٤-١٨٥.

والمبيت. والحسني. والصفاية، وما لأم إبراهيم إلى علي بن أبي طالب فإن مضى علي، فإلى الحسن، فإن مضى الحسن، فإلى الحسين، فإن مضى الحسين، فإلى الأكبر من ولدي. شهد الله على ذلك والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب. بسنده عن الصادق عليه السلام نحوه إلا أنه قال إلى الأكبر من ولدي دون ولدك وبسند عن أبي الحسن الثاني عليه السلام إنه سئل عن الحيطان السبعة التي كانت ميراث رسول الله ﷺ لفاطمة فقال: إنها كانت وقفاً فكان رسول الله ﷺ يأخذ إليه منها ما ينفق على أضيافه والتابعة تلزمه فيها فلما قبض جاء العباس يخاصم فاطمة فيها، فشهد علي وغيره أنها وقف على فاطمة، وعدّها كما تقدم وفي رواية عن الصادق عليه السلام أن المبيت هو الذي كاتب عليه سلمان فأفاه الله على رسوله فهو في صدقتها<sup>(١)</sup>.

فلو وزعت وقسمت هذه البساتين على الفقراء والمساكين لما بقي فقير بين المسلمين في صدر الإسلام بفضل فاطمة الزهراء عليها السلام، ولكن ما يؤسف له أن السلطة الظالمة غصبت بعض هذه الأراضي أو جميعها - وهذا ما يحتاج إلى تحقيق - مما أثر سلباً في الوضع المعيشي للفرد والمجتمع المسلم.

### ثالثاً: تصدقها عليه السلام بقلادتها على الفقير:

روي بسند معتبر عن جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر فلما انفتل جلس في قبلته والناس حوله. فبينما هم كذلك إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب سمل قد تملل واختلق وهو لا يكاد يتمالك ضعفاً وكبراً، فأقبل رسول الله ﷺ يستحليه الخبر، فقال الشيخ: يا نبي الله أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فارشيني.

(١) الأمين السيد محسن، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٢٠.

فقال: ما أجد لك شيئاً، ولكن الدال على الخير كفاعله. انطلق الى منزل من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يؤثر الله على نفسه، انطلق الى حجرة فاطمة - وكان بيتها ملاصقاً لبيت رسول الله ﷺ الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه - يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة، فانطلق الأعرابي مع بلال فلما وقف على باب فاطمة نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين.

فقالت فاطمة (عليها السلام): من أنت يا هذا؟

قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيد البشر مهاجراً من شقة وأنا -يا بنت محمد- عاري الجسد، جائع الكبد، فواسيني، رحمك الله، وكان علم رسول الله ﷺ ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة (عليها السلام) إلى جلد الكبش مدبوغ بالقرض، كان ينام عليه الحسن والحسين (عليهما السلام)، فقالت: خذ هذا أيها الطارق، فعسى الله أن يتيح لك ما هو خير منه.

فقال الأعرابي: يا بنت محمد! شكوت إليك الجوع فناولتني جلد كبش؛ ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب؟

قال: فعمدت (عليها السلام) لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدها لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها ونبذته الى الأعرابي، فقالت: خذه وبعه، فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه.

فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله ﷺ والنبي ﷺ جالس في أصحابه، فقال: يا رسول الله! أعطتني فاطمة بنت محمد هذا العقد وقالت: بعه فعسى أن يصنع لك. قال: فبكى النبي ﷺ، وقال: كيف لا يصنع الله لك وقد أعطتك فاطمة بنت محمد سيدة بنات آدم.

فقام عمار بن ياسر، رحمه الله، فقال: يا رسول الله! أتأذن لي بشراء هذا العقد، قال ﷺ: اشتريه يا عمار، فلو اشتريته فيه الثقلان ما عذبهم الله بالنار.

فقال عمار: بكم هذا العقد يا أعرابي؟

قال: بشبعة من الخبز واللحم، وبردة يمانية أستر بها عورتني، وأصلي فيها لربي، ودينار يبلغني إلى أهلي.

وكان عمار قد باع سهمه الذي نقله رسول الله من خير ولم يبق منه شيئاً، فقال: لك عشرون ديناراً ومائتا درهم هجرية، وبردة يمانية، وراجلتني تبلغك إلى أهلك، وشبعة من خبز البر واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال، وانطلق به عمار فوفاه ما ضمن له.

وعاد الأعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: أشبعت واكتسيت؟

قال الأعرابي: نعم يا رسول الله واستغنيت، بأبي أنت وأمي.

قال ﷺ: فأجز فاطمة بصنيعها.

فقال الأعرابي: اللهم إنك إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبد سواك، وأنت رازقنا على كل الجهات. اللهم أعط فاطمة ﷺ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت؛ فأمن النبي ﷺ على دعائه...، فعمد عمار إلى العقد وطيبه بالمسك، ولَفَّه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخير، فدفَعَ العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله ﷺ وأنت له.

فأخذ العقد فأتى به رسول الله ﷺ وأخبره بقول عمار، رحمه الله.

فقال النبي ﷺ: انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها، فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله ﷺ فأخذت فاطمة ﷺ العقد وأعتقت المملوك.

فضحك الغلام، فقالت فاطمة عليها السلام: ما يضحكك يا غلام؟

فقال: أضحكني عظم بركة هذا العقد! أشبع جائعاً وكسا عرياناً وأغنى فقيراً وأعتق عبداً ورجع إلى ربّه).<sup>(١)</sup>

وهذه الرواية بمجموعها تدلّ على تعاون وترباط فاطمة الزهراء عليها السلام وشعورها بالمسؤولية تجاه الفرد والمجتمع المسلم.

#### رابعاً: تصدّقها عليها السلام بثوب زفافها (بثوبها الجديد) على الفقير:

روي في كتاب الخصائص الفاطمية، أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: (كان عندي ثوبان أحدهما قديم والآخر جديد، وكنت جالسة للعبادة ليلة الزفاف، فإذا بسائل ينادي: يا أهل بيت النبوة ومعدن الخير والفتوة، أعطوني ثوباً قديماً فأني فقير، فأعطيته الثوب الجديد، فلما أصبح الصباح غدا علينا رسول الله بوجهه المنور، فقال: أين ثوبك الجديد ما أراك تلبسينه؟! فقلت: ألم تقل إنّ الصدقة باقية فأني تصدّقت به. فقال: لو تصدّقت بالقديم ولبست الجديد، فهو أرعى لزوجك وللفقير، وأحفظ لك من حرارة الصيف في أيام الصيام. فقلت: لقد اقتديت بك يوم تزوجت بخديجة فبذلت مالها وجاءك السائل فأعطيته ثوبك واشتملت بالخصير، ورأيتك تصنع مثل ذلك كثيراً مما لا يفعله غيرك، حتى جعلت الجنة لك ونزل فيك: -ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً-.<sup>(٢)</sup> فبكى النبي وضمّني إلى صدره، وقال: هبط الأمين جبرئيل).<sup>(٣)</sup>

ولا شك أنّ من أعظم آثار هذا التكافل الاجتماعي هو إدخال السرور على قلب الفقير، والإحسان إليه.

(١) الطبري محمد بن علي، بشارة المصطفى، ص ٢١٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٣) الكجوري الشيخ محمد باقر، الخصائص الفاطمية، ج ٢، ص ٣٨٤.

### خامساً: تصدقها ﷺ بطعامها على المسكين واليتيم والأسير:

إنَّ من مصاديق التكافل الاجتماعي الواضحة هي التصدق، وأهل البيت ﷺ طبقوا أفضل وأعلى مراتب التصدق، وهي الإيثار على النفس وتقديم الغير، حتى نزلت الآيات القرآنية الكريمة مادحة لهم (صلوات الله عليهم)، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾. (١)

روى ابن عباس فقال: (إنَّ الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك. فنذر علي وفاطمة وفضة -جارية لهما- إن برئنا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيرى اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه، وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً. فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فأثروه. ووقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك. فلما أصبحوا أخذ علي ﷺ بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم! وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها، فسأه ذلك، فنزل جبرئيل وقال: خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة). (٢)

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٨ و ٩.

(٢) الريشهري العلامة الشيخ محمد، أهل البيت في الكتاب والسنة، ص ٢٥١.

## المبحث الثاني

### التكافل المعنوي من سيرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم

قبل البحث عن نماذج التكافل المعنوي من سيرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتأثيره في الفرد والمجتمع المسلم، أحب أن أنقل إلى القارئ الكريم أهمية هذا الصنف من التكافل من خلال ما ذكره الكاتب عباس ذهبيات في كتابه -وقد أجاد فيما أفاد- الذي قال بنص عبارته: (وقد أكد الإمام الصادق (عليه السلام) على شقي التكافل، ولو بحدودهما الدنيا قال: (صل رحمك ولو بشرية من ماء، وأفضل ما يوصل به الرحم كف الأذى عنهما)). ويبدو من هذا الخبر أن للتكافل الأدبي في بعض الأحيان أفضلية على التكافل المادي. حيث أراد إمامنا الصادق (عليه السلام) أن يفتح نافذة الوعي لتقدير أهمية التكافل الأدبي، إنطلاقاً من أن دفع المفسدة والضرر أولى من جلب المصلحة. وعليه، فمن لا يستطيع صلة أرحامه وإسداء النفع لهم، فعليه أن يكف عن إلحاق الضرر بهم من حيث المبدأ.<sup>(١)</sup>

وبعد بيان أهمية التكافل المعنوي، أشرع على بركة الله سبحانه وتعالى ببيان بعض نماذج هذا الصنف من التكافل، وهي كثيرة واخترت منها خمسة طلباً للاختصار، فأقول:

#### أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لا يشك أحد بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمعات الإسلامية، حتى أطلق البعض عليه اسم (التكافل الأخلاقي)، ولكن لا بأس بنقل هذه الرواية المروية عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) لبيان هذه الأهمية، فروي عنه (عليه السلام) أنه قال: (وَمَا أَعْمَلُ

(١) ذهبيات عباس، التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ج ١، ص ٤٤.

الْبِرِّ كُلِّهَا وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَفَفْتُهُ<sup>(١)</sup> فِي بَحْرِ الْجُحِيِّ<sup>(٢)</sup>.

وروي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام): (إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ سَبِيلُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْهَاجُ الصَّالِحِينَ، فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تَقَامُ الْفَرَائِضُ وَتَأْمَنُ الْمَذَاهِبُ، وَتَحُلُّ الْمَكَاسِبُ، وَتُرَدُّ الْمَظَالِمُ، وَتَعْمُرُ الْأَرْضُ وَيَتَنَصَّفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَيَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ).<sup>(٣)</sup> وجميع هذه الأمور التي تترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أهداف وغايات توصل للتكافل الاجتماعي للفرد والمجتمع المسلم.

ولقد مارست الزهراء (عليها السلام) فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانها ولم تخش في الله لومة لائم، وقد اتخذت الأساليب المتعددة للحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنها:

١- أسلوب الخطب: خطبة الزهراء (عليها السلام) التي قالت فيها: (... فجعل الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تركية للنفس، ونهاءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة للعمر، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرّم الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).<sup>(٤)</sup>

(١) النفثة - كالنفخة - يراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ.

(٢) خطب الإمام علي (عليه السلام)، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٨٩.

(٣) الريشهري العلامة الشيخ محمد، ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٩٤٣.

(٤) المجلسي العلامة الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٢٢٣.

٢- أسلوب نشر الفقه بين الناس: قال بعض المؤلفين: (ودلت الروايات على وجوب نشر العلم وتعليم الجاهل، ونشر العلم يتحقق بتبيان العقيدة الصحيحة وأحكام الشريعة كما أنزلت وهي مظهر من مظاهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).<sup>(١)</sup>

روي أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تحيب عن الأسئلة الفقهية الكثيرة والمتنوعة<sup>(٢)</sup>. قال الشيخ علي الكعبي: (... وكان يغشاها نساء المدينة وجيران بيتها، ويبدو أن بيتها كان المدرسة النسائية الأولى في الإسلام، حيث تقبل عليها النساء طالبات للعلم، فيجذن فاطمة العالمة وهي تستقبلهنّ بصدر رحب لا يعرف الملالة والسأم).<sup>(٣)</sup>

٣- أسلوب البكاء: وهذا الأسلوب هو أحد الأساليب الاحتجاجية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال بعض المؤلفين عن هذا الأسلوب: (... فيفهم من كلّ ما تقدّم أنّ الزهراء عليها السلام كانت تمارس ببكائها أعظم دور لها، وهو دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي سرعان ما جاء ذلك الدور بثاره حين أورث في أذهان العامة مسألة غضب الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام، وغضب حق الزهراء عليها السلام بفدك حتى بدا المسلمون يعون هذا الأمر وبدأوا يلومون أنفسهم على تسرّعهم بإعطاء البيعة إلى الأول مما حدا ذلك بالشيخين وأتباعهم إلى أن يبعثوا البعض من المسلمين إلى أمير المؤمنين عليه السلام فطلبوا من الإمام أن يسكتها ويمنعها من البكاء...) <sup>(٤)</sup>.

(١) مركز الرسالة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٢٢.

(٢) راجع: المجلسي العلامة الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣.

(٣) الكعبي علي موسى، سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، ج ١، ص ٧٦.

(٤) العتبة العلوية المقدسة (قسم الشؤون الدينية - شعبة التبليغ)، دروس وعبر من خطب الزهراء، ج ١، ص ٥٨.

### ثانياً: قلة مهرها ﷺ:

لا شك ولا ريب بأن قلة مهر النساء هي أحد مصاديق التكافل الاجتماعي المعنوي التي تعكس النتائج الإيجابية على الفرد والمجتمع المسلم.

قال الكاتب يحيى بن موسى الزهراني: (والمغلاة في المهور يجعل الزوجة كأنها سلعة، تباع وتشترى، مما يخل بالمروءة، وينافي الشيم، ومكارم الأخلاق. وعلى أولياء الفتيان والفتيات، تخفيف المهور، وتيسير سبل الزواج، ومراعاة حال الشباب اليوم، ومواساتهم، وعدم الطمع والجشع، وتزويج الأيامي بما ييسر، وبذلك يتحقق التكافل الاجتماعي، والتضامن الإسلامي، وتسود الأخوة والمحبة والتعاون بين المسلمين، الذين هم كالجسد الواحد، وكالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً...)<sup>(١)</sup>

وقد أعطت الزهراء ﷺ بموقفها التالي درساً للأجيال - سيما النساء منهم - في قلة مهرهنَّ وصدقهنَّ. فروي في الخبر أنها لما سمعت بأن أباهما زوجها وجعل الدراهم مهرًا لها، فقالت يا رسول الله: (إن بنات الناس يتزوجن بالدراهم، فما الفرق بيني وبينهن، أسألك تردّها وتدعو الله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمتك، فنزل جبريل ﷺ ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعته المذنبين من أمة أبيها، فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت، وقالت: إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي وشفعت في عصاة أمة أبي).<sup>(٢)</sup>

(١) من الإنترنت، موقع: (صيد الفوائد، مقالة تحت عنوان: (غلاء المهور، قصم للظهور)، للكاتب: يحيى بن موسى الزهراني.

(٢) المرعشي السيد، شرح إحقاق الحق، ج ١٠، ص ٣٦٧.

### ثالثاً: مراعاتها ﷺ لحقوق الزوج والأسرة:

ورد في الصحيفة السجادية: (قوله - الإمام زين العابدين - ﷺ): وحقّ الزوجة أن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وأنساً، وتعلم أنّ ذلك نعمة من الله تعالى عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب فإنّ لها عليك أن ترحمها لأنّها أسيرك، وتطعمها وتكسوها فإذا جهلت عفوت عنها.

يتناول هذا الدرس جانباً جديداً في ميدان التكافل الاجتماعي في حياة الزوج والزوجة يتناول جانب الحقوق الشرعية والأدبية والمادية للزوجة، مرة بالتشريع ومرة بالتوجيه الوجداني المؤثر).<sup>(١)</sup>

(وتحدد العلاقات داخل الأسرة على ضوء المرسوم من الحقوق والواجبات القائمة على التكافل والتراحم والتناصح والسماحة والمودة والإحسان، وترسم للأسرة طريقها في التعامل الاجتماعي،

من أجل التكاتف والتآزر في بناء وإصلاح كيانها والكيان الاجتماعي الكبير).<sup>(٢)</sup>

ولقد أدّت فاطمة الزهراء ﷺ أروع أدوار الزوجة المطيعة والأم الحنون داخل بيتها وشعورها بالمسؤولية داخل أسرتها. فروي عن أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ أنّه قال: (كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي فجرت بالرحى حتى أثرت الرحي بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمت البيت حتى أغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى تلوّثت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرر).<sup>(٣)</sup>

(١) الإمام زين العابدين ﷺ، شرح رسالة الحقوق، ص ٥١٧.

(٢) مركز الرسالة، آداب الأسرة في الإسلام، ص ٨.

(٣) الطبري أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى، ص ٥٠.

وروي عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز).<sup>(١)</sup>

وروي العياشي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (إنَّ فاطمة عليها السلام ضمنت لعلِّي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب وأن يجيء بالطعام...).<sup>(٢)</sup>

فتحملت عليها السلام مسؤوليات الحياة المختلفة، فكانت نِعَمَ الزوجة الصابرة الصالحة التي تشاطر زوجها في كل صغيرة وكبيرة من أعباء الحياة.

#### رابعاً: إحسانها عليها السلام لجيرانها:

قال الكاتب حسين منتظري: (والإحسان يمثل ذروة التكافل الاجتماعي لمعالجة المشاكل المالية أو الإنسانية للمجتمع. والإسلام لا يحبذ للمسلم التوقع على ذاته والاهتمام بأموره الذاتية).<sup>(٣)</sup>

ولا ريب بأن أبرز مظاهر الإحسان الاجتماعية هو الإحسان إلى الجار. قال بعض المؤلفين: (وأمر الله بالتكافل الاجتماعي والنظر إلى حوائج الجار والعمل على إشباعها فقال الله: ومن منع الماعون من جاره إذا احتاج إليه منعه الله فضله يوم القيامة، ووكله إلى نفسه، ومن وكله الله إلى نفسه هلك، ولا يقبل الله عز وجل له عذراً).<sup>(٤)</sup>

وللإحسان مظاهر متعددة وبعض هذه المظاهر هي ذات آثار معنوية، ويمكن أن نلمس هذه المظاهر عند مولاتنا الزهراء عليها السلام بأجمل الدروس والصور الإيمانية، ومن صور الإحسان:

(١) الكليني محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٥، ص ٨٦.

(٢) المجلسي العلامة الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٩٧.

(٣) منتظري حسين علي، الإسلام دين الفطرة، ج ١، ص ٢٨٣.

(٤) مركز الرسالة، آداب الأسرة في الإسلام، ص ١١٢.

١ - اهتمامها ﷺ بتعليمات الشرع المبين بخصوص الإحسان إلى الجار: فروي عن ابن مسعود، قال: جاء رجل إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله ﷺ عندك شيئاً تطرفينه، فقالت: (يا جارية، هاتي تلك الحرية) فطلبتها فلم تجدها، فقالت: (ويحك اطلبيها، فإنها تعدل عندي حسناً وحسيناً) فطلبتها فإذا هي قد قمتها في قيامتها، فإذا فيها: قال محمد النبي ﷺ: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره...<sup>(١)</sup>

٢ - دعائها ﷺ للجار: روي عن الإمام الحسن المجتبي ﷺ أنه قال: (إنه سمعها تدعو دائماً للمؤمنين والمؤمنات، وتدعو للناس ولقضايا المسلمين العامة، وعند الصباح قال لها: يا أمّاه أما تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُنيّ الجار ثمّ الدار.)<sup>(٢)</sup>

### خامساً: رفقها ﷺ بالناس:

قال بعض المؤلفين: (إذ إنّ الرفق ليس مستهدفاً للغير في مهمته وتأثيراته فحسب، بل هو يبدأ من الذات ليشمل غيرها من الأفراد والمجتمعات، ويوصل إليها رسالة التكافل الاجتماعي بأبهى صوره. وقد أكدّ الإسلام العزيز على هذه السجية الفاضلة والخصلة النبيلة بيانات كثيرة ومتعددة الألفاظ).<sup>(٣)</sup>

ولو تتبعنا سيرة مولاتنا الزهراء ﷺ لوجدنا بأنّها كانت تتعب نفسها ولا تكلف الخادمة في أعمال المنزل رفقاً ورحمةً بها. فقد رُوي عن سلمان الفارسي ﷺ أنه قال: (كانت فاطمة ﷺ جالسة وقدّامها رحي تطحن بها الشعير وعلى عمود الرحي دُمّ سائل، والحسين في ناحية الدار يتصوّر من الجوع، فقلت يا بنت رسول الله دبرت كفاك وهذه فضّة؟ فقالت: أوصاني رسول الله ﷺ أن تكون الخدمة لها يوماً وعليّ يوماً فكان أمس يوم خدمتها).<sup>(٤)</sup>

(١) النوري الميرزا، مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٨١.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة كلمات الإمام الحسن ﷺ، ص ٢٤٠.

(٣) مركز الرسالة، الرفق في المنظور الإسلامي، ص ١١.

(٤) الراوندي قطب الدين، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٣٠.

## نتائج البحث

وأما النتائج التي ظهرت من خلال البحث هي:

- ١ - قد ظهر في مقدمة البحث أهمية التكافل الاجتماعي للفرد والمجتمع المسلم، وأنَّ سعادة المجتمع وقوته ورفقته متوقفة عليه.
- ٢ - أخذت مولاتنا الزهراء (عليها السلام) على عاتقها العمل بمسألة التكافل الاجتماعي بصورة عامة، الذي كان له التأثير الملموس على الفرد والمجتمع المسلم.
- ٣ - لقد نوعت وأبدعت وبرعت سيدة نساء العالمين (صلوات الله عليها) في استخدام أصناف التكافل الاجتماعي المادي والمعنوي بحسب الظروف والأحوال المحيطة بها.
- ٤ - ظهر من طيات البحث أنَّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قد فعلت التكافل الاجتماعي في كلِّ مكان، في المنزل مع زوجها وأولادها وخادمتها، وفي الشارع مع جيرانها وغيرهم من فقراء المسلمين، وفي ساحات القتال تهيء الطعام للمقاتلين، وتداوي جراحاتهم مع باقي النساء المؤمنات.
- ٥ - إذا كان قيام الدين الإسلامي الحنيف واستقامته بهال خديجة (عليها السلام)، فلا شكَّ أنَّ أحد الأسباب الرئيسة لبقاء قيام الدين الإسلامي الحنيف هو التكافل الاجتماعي الذي قامت به فاطمة الزهراء (عليها السلام)، كما لمسنا ذلك في طيات البحث، فنستنتج من ذلك أنَّ البنت قد أكملت دور الأم في الحفاظ على الدين الإسلامي الحنيف بشتى الوسائل والطرق التي منها مسألة التكافل الاجتماعي، فلا يقلُّ دور البنت عن دور الأم (عليها وعلى أمها آلاف التحية والسلام).
- ٦ - على المرأة المؤمنة بعد أن استلهمت الدروس المختلفة من حياة السيدة الزهراء (عليها السلام) عن التكافل الاجتماعي، ضرورة القيام بدورها المؤثر بهذا الخصوص للفرد والمجتمع الاسلامي على مدى الأجيال في حياتها الحاضرة والمستقبل.

(١) روي عن النبي محمد ﷺ أنه قال: (ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب). الحائري الشيخ محمد مهدي، شجرة طوبى، ج ٢، ص ٢٣٣.

## التوصيات والمقترحات

أوصي وأقترح على إخواني الباحثين الأمور الآتية:

- ١- تسليط الضوء على استخراج التكافل الاجتماعي من مواقف وكلمات أهل البيت (عليه السلام) بصورة عامة، والسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بصورة خاصة.
- ٢- جمع ما سُلط عليه الضوء وجعله موسوعة اجتماعية مطبوعة تثري المكتبات الإسلامية، وتتحف أنظار الباحثين والمثقفين وجميع المؤمنين للاعتراف من أصناف التكافل الاجتماعي ونماذجه التي تنفع لتغيير الفرد والمجتمع المسلم والمؤمن.

## المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، الناشر: نشر أدب الحوزة (قم - إيران)، سنة الطبع: ١٤٠٥ هـ - ١٣٦٣ ق.
٣. الإمام زين العابدين (عليه السلام)، شرح رسالة الحقوق، تحقيق وشرح: حسن السيد علي القبانجي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٦ هـ.
٤. الأمين السيد محسن، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات بيروت.
٥. بحر العلوم السيد عز الدين، الإنفاق في سبيل الله، الطبعة: الثانية، طباعة ونشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت - لبنان)، سنة الطبع: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٦. الحائري الشيخ محمد مهدي، شجرة طوبى، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: محرم الحرام ١٣٨٥ ش.
٧. خطب الإمام علي (عليه السلام)، نهج البلاغة، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ هـ - ١٣٧٠ ش.
٨. ذهبيات عباس، التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، الطبعة: الأولى، الناشر: مركز الرسالة، المطبعة: ستاره، تاريخ النشر: ١٤٢٥ هـ. ق.
٩. الراوندي قطب الدين، الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ذي الحجة ١٤٠٩ هـ.
١٠. الريشهري العلامة الشيخ محمد، أهل البيت في الكتاب والسنة، تحقيق: دار الحديث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٧٥ ش.

١١. الريشهري العلامة الشيخ محمد، ميزان الحكمة، التحقيق: دار الحديث، المطبعة: دار الحديث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٦ هـ. ق.
١٢. الزلفي، التكافل الاجتماعي، نقلاً من موقع: جامع الكتب الإسلامية.
١٣. الشهيد الثاني، شرح اللمعة، الناشر: أدب الحوزة (قم - إيران)، سنة الطبع: ١٤٠٥ هـ - ١٣٦٣ ش.
١٤. الصدر السيد محمد باقر، اقتصادنا، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥ هـ - ١٣٨٢ ش.
١٥. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، الناشر: الشركة العالمية للكتاب - (بيروت- لبنان)، سنة الطبع: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
١٦. الطبري عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم علي، بشارة المصطفى، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - بقم المشرفة، سنة الطبع: ١٤٢٠ هـ. ق.
١٧. الطبري محبّ الدين أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، الناشر: مكتبة القدسي (مصر - القاهرة)، سنة الطبع: ١٣٥٦ ش.
١٨. العتبة العلوية المقدسة (قسم الشؤون الدينية - شعبة التبليغ)، دروس وعبر من خطب الزهراء، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
١٩. عصفور جابر، قراءة التراث النقدي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة الطبع: ٢٠١٧ م.
٢٠. عوض عبد الحميد عيد، أسس النظام الاجتماعي في الإسلام، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (دولة الكويت)، سنة النشر: ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

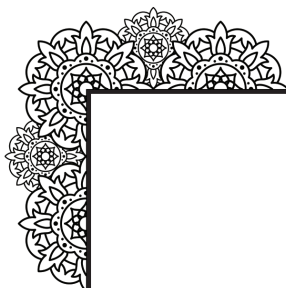
٢١. الفيروز آبادي، القاضي الشيخ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثامنة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت - لبنان)، سنة الطبع: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٢. الكجوري الشيخ الواعظ محمد باقر، الخصائص الفاطمية، تحقيق وترجمة: سيد علي جمال أشرف، الطبعة: الأولى، الناشر: انتشارات الشريف الرضي، سنة الطبع: ١٣٨٠ش.
٢٣. الكعبي علي موسى، سيّدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام)، طباعة ونشر: مركز الرسالة (ستاره).
٢٤. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٣٦٣ش.
٢٥. لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، موسوعة كلمات الإمام الحسن (عليه السلام)، الطبعة: الأولى، الناشر: دار المعروف (إيران - قم)، سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤٢٣هـ.
٢٦. المجلسي العلامة الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة: الثانية، المطبعة: مؤسسة الوفاء (بيروت - لبنان)، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٧. المدرسي السيد هادي، أخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الباقر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة الطبع: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٨. المرعشي السيد نور الله الحسيني التستري، شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، تحقيق وتعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (قم - إيران).

٢٩. مركز الرسالة، آداب الأسرة في الإسلام، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٠هـ.
٣٠. مركز الرسالة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٠هـ.
٣١. مركز الرسالة، الرفق في المنظور الإسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨هـ.
٣٢. مركز الرسالة، دور العقيدة في بناء الإنسان، الطبعة: الأولى، الناشر: مركز الرسالة، سنة الطبع: ١٤١٨هـ.
٣٣. منتظري، حسين علي، الإسلام دين الفطرة، المطبعة ارغوان دانش (إيران - قم)، سنة الطبع: ١٤٢٩هـ - ١٣٨٧ش.
٣٤. النوري، ميرزا حسين الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، المطبعة: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث بيروت - لبنان، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

### المواقع الإلكترونية:

١. من الإنترنت: بحث (التأثير بالآخرين والعلاقات العامة)، بحث مقدم لنيل درجة الدبلوم في العلاقات العامة في الأكاديمية السورية الدولية، إعداد الطالبة ديمة الشاعر.
٢. من الإنترنت، من موقع: (ويكي شيعية)، مقالة تحت عنوان: السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).
٣. من الإنترنت، موقع: (أحوال الدول والمجتمعات)، قسم: مقالات المجتمع البشري، مقالة تحت عنوان: تعريف المجتمع.

٤. من الإنترنت، موقع: (الموسوعة الغنية - المحطة الأولى لطرح المواضيع التعليمية)، قسم: أحكام الإسلام، موضوع تحت عنوان: (منهج الإسلام في بناء الأسرة).
٥. من الإنترنت، موقع: (سقاية)، قسم: المعرفة والفكر الفلسفي، مقالة تحت عنوان: د. علاء جواد، وتطور مفهوم الفرد، للكاتب: أحمد بادغيش، مقالة مقتبسة من كتاب: (الفرد والمصير) للدكتور علاء جواد الباحث العراقي المعاصر.
٦. من الإنترنت، موقع: (صيد الفوائد)، مقالة تحت عنوان: (غلاء المهور، قصم للظهور)، للكاتب: يحيى بن موسى الزهراني.
٧. من الإنترنت، موقع: (معجم المعاني الجامع)، مادة كلمة التأثير.
٨. من الإنترنت، موقع: (معجم المعاني الجامع)، مادة كلمة: المجتمع.
٩. من الإنترنت، موقع: (معجم المعاني الجامع)، مادة: قرأ.
١٠. من الإنترنت، موقع: (موضوع)، مقالة تحت عنوان: القراءة والكتابة، للكاتبة: علا عبيات.
١١. من الإنترنت، موقع: (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، مقالة تحت عنوان: مسلم.
١٢. من الإنترنت، موقع: (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، مقالة تحت عنوان: (ترجمة سيرة حياة).
١٣. من الإنترنت، موقع: (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، مقالة تحت عنوان: صنف (المنطق).



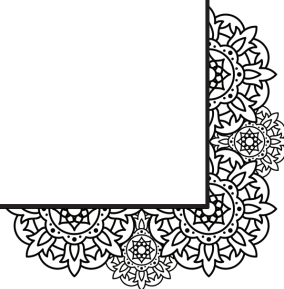
**التنمية البشرية المستدامة**

**دراسة في نماذج**

**من نصوص ووصايا أمير المؤمنين عليه السلام**

**الباحثة**

**د. نجاة باقر مشكور**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إنَّ التقدم ونهوض الأمم يعتمد على رفع كفاءة الإنسان ليتمكن من استغلال الموارد الطبيعية وتسخيرها لأبناء الوطن، والنهوض والمضي بهم لمستقبل واعد أفضل وحياة أكثر رفاهية عن طريق التنمية الاقتصادية بتحقيق مجموعة من العوامل الإيجابية، مثل خلق فرص عمل متعددة لأبناء المجتمع الواحد، ومحاربة الفقر والبطالة، مع زيادة فرص التنوع الوظيفي وتحسين المستوى المعيشي بزيادة مستويات الدخل، والتنمية البيئية المتمثلة برعاية الجوانب الصحية المرتبطة بحياة الإنسان كتوفير الغذاء، وسلامة المياه ونظافتها، ومحاربة التلوث البيئي، ومنها الهواء، والسعي إلى تعظيم الموارد ومحاربة استنزافها بطريقة خاطئة. ولا يخفى أنَّ أحد أسباب التنمية البشرية هي الاستقرار السياسي، وهو توفير البيئة المناسبة من الجانب الأمني والحماية للمواطنين، وحفظ كرامتهم؛ فإنَّ التنمية البشرية المستدامة تسعى لرفاهية الإنسان واستمرار المحافظة على صحته وكفاءته وتمنية قدراته العقلية على الحفاظ على الموارد، وتنميتها للأجيال القادمة، إذ تُعرف بأنها « كيفية إبقاء الأنظمة الحيوية متنوعة ومنتجة مع مرور الوقت، والتنمية البشرية المستدامة هي السعي إلى إيجاد المناخ الطبيعي للإنسان في البيئة من خلال توفير الرعاية الصحية والتعليمية وتعليم المهارات من أجل توفير فرص العيش ومحاربة الفقر... » وهذا يتطلب النهوض بالشعوب للتكيف مع محيطها الخارجي، وهو يتطلب نمو التعليم والقطاع الصحي والزراعي والتجاري والاقتصادي فضلاً عن المساواة... وهذا يحتاج إلى قدرات إدارية كفء قادرة على القيادة والتخطيط والتنبؤ المستقبلي.

ومن هنا يرى الباحث أنّ التنمية البشرية هي ليست عملية سهلة، بل هي معقدة، ويخطط لها، ويجب تنشأ المجتمع بجميع مراحل العمرية من أجل تحقيق الاستدامة.

ومن هنا يمكن أن نلمس أهمية البحث والحاجة إليه. فعلى الرغم من حداثة مصطلح (الاستدامة) إلا أنّ هناك الكثير من الأحاديث الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام تشير في مضامينها إلى الشروط التي تحقق التنمية البشرية المستدامة، ودورها في بناء الإنسان، والحفاظ عليه، وفي طريقة استغلال الموارد البيئية وتوظيفها والمحافظة عليها وتعظيمها.

### المشكلة وأهمية البحث:

تكمن مشكلة البحث في أنّ جيل الشباب في المجتمعات العربية والمتأثرين بالطروحات والأفكار الغربية يعتقدون أنّ علم التنمية البشرية المستدامة هو وليد القرن الحالي، غير أنّ العلوم بأجمعها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وما ورّثها الأئمة الأطهار عليهم السلام والتي تحثّ على الالتفات إلى علم التنمية البشرية والكشف عن الاستعدادات التي يجب تبنيها من أجل إعداد منهج أو برنامج للتنمية البشرية المستدامة والتخطيط. وقد وقع الكثير من المواعظ والوصايا والنصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام تبين وتكشف أهمية التنمية البشرية المستدامة وأنواعها.

وتعدّ هي أحد المعايير التي تعكس مدى تقدم الأمم وإدارات الدول والمجتمعات، وهي مؤشر لمدى الرعاية للتعليم وسيادة إدارة القضاء ومحاربة الجهل والفقر والبطالة، وإشاعة ثقافة احترام الرأي الآخر، ونبذ خطاب الكراهية، وبثّ الألفة والمحبة. وهذا ما دعا الباحث إلى دراسة المواعظ والنصوص التي لها أبعاد في الأسلوب والمنهج الذي استخدمه أمير المؤمنين عليه السلام في التنمية البشرية للأفراد والأسر والمجتمعات التي لا يُتعرّض للكثير منها في مثل هذه المسألة البحثية التي تناولتها الباحث.

كما يسعى الباحث إلى بيان الوصايا والمواظب الواردة عن أمير المؤمنين التي تبين الحثّ أو النهي في كيفية علاج المشاكل التي تعاني منها المجتمعات، وطريقة التنمية البشرية لها وأسلوب حماية مصادر الطاقة وتنميتها وحفظها، وأسلوب توريثها للأجيال.

### ثالثاً: أهداف البحث: يهدف البحث إلى ما يأتي:

بيان النصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام والتي تهدف إلى التنمية البشرية المستدامة. نشر الثقافة والوعي من خلال النصوص الواردة لحلّ الإشكاليات التي تعاني منها قطاعات مختلفة في المجتمع.

تسليط نافذة من الضوء على جانب من علوم أمير المؤمنين عليه السلام.

المبحث الثاني: نماذج من نصوص أمير المؤمنين عليه السلام ووصاياه في التنمية البشرية المستدامة

### المحور الأول: النمو العلمي والتربوي:

إنّ أول مهامّ الدعوة الإسلامية التي قام بها رسول الله ﷺ هي الحثّ على التعليم لأئمتها تعدّ السبيل إلى المعرفة واكتساب الوعي وإدراك الحقائق، وهو أحد أسباب التحصين. فالتعلم يعدّ المضادّ البيولوجي بوجه تلك التحديات. والمراد به هو فهم الحقائق والاطلاع على التجارب الحديثة للشعوب وتطوير المناهج الدراسية بشكل يتوافق مع حاجة السوق والمجتمع والتطور الحادث. لذا يعدّ أحد القواعد الأساسية التي تستند إليها التنمية البشرية في مراعاة التنمية البشرية من ناحية محاربة الجهل والسعي إلى محاربة الأمية ونشر التعلم، فإن ارتفاع العمليات العقلية هو أحد أسباب تعظيم الموارد والمحافظة عليها؛ وهذا ما دعا أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحثّ على التعلم بقوله: « ولا يستحيّن أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه »<sup>(١)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ. ق، الحكمة ٨٢.

إنَّ زمان أمير المؤمنين عليه السلام شهد الكثير من الفئات المنحرفة، وهو الذي قاتل على التأويل ممَّا تطلب الحثُّ على التعليم لما تستجوبه المرحلة من أفكار منحرفة؛ وهذا ما دعا أمير المؤمنين لتبيان فضل طلب التعلم بما ورد عنه بقوله عليه السلام: «الشاخص في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله»<sup>(١)</sup>، كما بيَّن أثر التعلم مقابل الصلاة بقوله عليه السلام: «ركعتان من عالم خير من سبعين ركعة من جاهل، لأنَّ العالم تأتيه الفتنة فيخرج منها بعلمه، وتأتي الجاهل فينسفه نسفا»<sup>(٢)</sup>، ولذا عدَّ الصلاة إلى الله سبحانه تعالى مضاعفة، أما صلاة الجاهل كون اليقين والثبات على الايمان والحق يُستَوحي من المعرفة والحكمة والتعلم؛ وهذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «العلم يهدي إلى الحق»<sup>(٣)</sup>.

ويرى الباحث أنَّ الحثَّ على التعلم جزء من الدور الرئيس للشريعة الإسلامية لأثرها الكبير في نشر الوعي والثبات على العقيدة والقيم التربوية، وهي الأساس في بناء المجتمعات والنهوض بها، وهو قاعدة أساسية في التنمية البشرية المستدامة.

### المحور الثاني: الوظائف الذهنية:

إنَّ الإنسان كرمه الله بنعمة العقل عن باقي المخلوقات، ومن خلاله يمكن التمييز بين الأشياء؛ بين النافع والمضرّ، وبين الخير والشرّ، وبين الحق والباطل... ويكون حسابه في الآخرة على قدراته العقلية، فهو مركز الإدراك والتصور والتفكير والقرار... فإنَّ أفعال الإنسان وسريته تبنى على أساس القرارات العقلية.

(١) روضة الواعظين: ١٥.

(٢) الاختصاص: الشيخ المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي. الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤، صفحة ٢٤٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، التحقيق: مير سيد جلال الدين المحدث، جامعة طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٠ هـ. ق. صفحة ١٥٨١، صفحة ١٥٨١.

وإذا ما أرادت الشعوب الرقي والتقدم، لا بدّ أن تجهد نفسها في بناء الأسرة وتوجيهها نحو القيم السامية وزجّها في المؤسسات التعليمية، ورعايتها صحياً، وتوفير فرص عيش متناسب وحفظ كرامتها ورفع الظلم عنها، فإنّ جميع ذلك يوفرّ للإنسان حسن الاختيار من خلال تطور قدراته العقلية. وهي تعدّ سبباً للتخطيط والإدارة الناجحة، والحكم على الأشياء بطريقة موضوعية؛ وهي تعدّ من أسباب الانتقال إلى التنمية المستدامة.

لذا يجب الاهتمام بتطوير القدرات العقلية وتنميتها، فهي أساس التخطيط والتنبؤ، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «العقل أقوى أساس»<sup>(١)</sup>. وعنه (عليه السلام) يحدّث على أنّ أسلوب التخلص من المحن وما يواجهه المؤسسات أو الأسر أو الأفراد لا بدّ أن يكون من خلال التروي وإعطاء الفرصة لصوت العقل بقوله (عليه السلام): «لا يستعان على الدهر إلا بالعقل»<sup>(٢)</sup>؛ فإنّ الاستسلام للجهل والفقر وغياب الإدارة والتخطيط بسبب الأمية، أو الجري وراء الشهوات تاركين القوة العقلية التي هي من أعظم نعم الله على الإنسان، سوف يجعله يقع في مستنقع التخلف والشعوذة وسيطرة الإرادات المنحرفة عليه. ولذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنّما العقل التجنب من الإثم، والنظر في العواقب، والأخذ بالحزم»<sup>(٣)</sup>، وإنّ محافظة الإنسان على تنمية ورفع قدراته العقلية من خلال التعلم ومحاربة الجهل يعدّ أحد موارد التنمية المستدامة بالمحافظة على مصادر الطاقة، والذي يتطلب التفكير والتخطيط وصياغة المناهج من أجل تحقيق الأهداف واتخاذ القرارات السليمة.

### المحور الثالث: الصحة البدنية:

إنّ القيام بالأفعال والحركات والمهارات اليومية وأداء الأعمال والنشاطات يتطلب امتلاك الصحة البدنية واكتساب قدرًا من الصفات البدنية؛ وهو يدلّل على وجود ارتفاع

(١) غرر الحكم: عبد الواح الأمدي، مصدر سبق ذكره، (١٠٣٣ - ٨١٦ - ٨١٧).

(٢) مطالب السؤول: ٥٠.

(٣) غرر الحكم: عبد الواح الأمدي، مصدر سبق ذكره، ٣٨٨٧.

في الكفاءة الوظيفية لأجهزة الجسم، ومنها جهاز الدوران ووظائف الدماغ، فضلاً عن نشاط الجهاز الهرموني، والذي يعكس ارتفاع القدرة المناعية؛ وهو جانب مهم في قدرة أبناء المجتمع على أداء أعمالهم، والتي تنعكس على الاستدامة في التنمية البشرية، وموارد الطاقة التي -من خلال ارتفاع القدرة على الإنتاج والنشاط- يمكن المحافظة على تضخيم الموارد.

وهذا يتطلب السعي لبناء السلامة الصحية للبدن وتنميتها. وهذا ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في المحافظة عليها بقوله: «صحة الأجسام من أهنأ الأقسام»<sup>(١)</sup>. ولذا نهى الإمام عن العمل بصورة مستمرة دون إعطاء الفترة الكافية لراحة للجسد والعضلات والوقاية من الإصابة وفقدان الصحة البدنية بقوله (عليه السلام): «يضرّ الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل اتكالاً على الصحة، وتكلف حمل ما لا يطاق اتكالاً على القوة، والتفريط في العمل اتكالاً على القدرة»<sup>(٢)</sup>، إذ يشير (عليه السلام) إلى كيفية ضرّ الإنسان نفسه؛ أي تهيئة البيئة الخاصة بالإصابة من خلال حمل الأثقال التي لا تناسب مع ما يمتلك من القوة الجسمية أو الاستمرار بالعمل لفترات طويلة تفوق قدرته. وإنّ هذه الموعظة تظهر حديث الإمام (عليه السلام) ليس فقط في علم الوقاية من الإصابة، بل في توظيف القدرات البدنية بشكل يوافق أسلوب المهارة والعمل المنجز. ويرى الباحث أنّ الإهمال وعدم المعرفة يسبب فقدان الصحة، وهو يؤثر في التنمية البشرية والتي تنعكس على فقدان الموارد واستنزافها بالجانب المالي والصحي والتنمية البشرية.

#### المحور الرابع: السلامة الصحية:

إنّ الدين الإسلامي ينهى الإنسان عن رمي نفسه بالتهلكة أو ممارسة الأعمال دون الأخذ بالحسبان المحافظة على السلامة الصحية التي تعني بلوغ العافية والبرء من العيوب والآفات، والنجاة من المهالك. فهي الكشف عن القوانين الموضوعية التي تضبط حركة

(١) غرر الحكم: عبد الواحد الأمدي، مصدر سبق ذكره، ٥٨١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد المعتزلي، مصدر سبق ذكره، الجزء ٢٠.

الظاهرة موضوع العلم، التي تضبط حركة السلامة من خلال التدابير الوقائية التي يتخذها الإنسان لمنع وقوع الحوادث؛ إذ هي تتطلب توفير الأسباب والمقدمات لتحقيقها. لذا لنهوض مصادر الطاقة وتطويرها، يجب المحافظة على السلامة الصحية للفرد والأسرة والمجتمع، ولذا يتطلب وضع قواعد في الحمية والوقاية للمحافظة على الصحة العامة ودفع مخاطر الإصابات المرضية. ويحث على ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) مع مرحلة الرضاعة بقوله (عليه السلام): «انظروا من ترضع أولادكم فإن الولد يشب عليه»<sup>(١)</sup>، فقد وجب الحذر بإجراءات وقائية حول تحديد الحليب الذي يناسب الأطفال للنمو والوقائية والعلاج ودفع المخاطر النفسية والمرضية عنهم، وهي بدء التنشئة الصحية. كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن جزءاً من المحافظة على السلامة الصحية هو الاهتمام بنظام التغذية بحسن الاختيار للغذاء كماً ونوعاً بشكل يتناسب مع نشاطه وحذر من الإفراط في التغذية بقوله: «احذر الشره، فكم أكلة منعت أكالات»<sup>(٢)</sup>. ولذا حث أمير المؤمنين على الحفاظ على السلامة الصحية من خلال الوقاية من الآثار السلبية للغذاء؛ فلا بد من الوقاية والحمية من آثارها السلبية بقوله (عليه السلام): «صلاح البدن الحمية»<sup>(٣)</sup>. وعنه (عليه السلام) «لا تنال الصحة إلا بالحمية»<sup>(٤)</sup>؛ وهذا يزيد من القدرة المناعية ودفع مخاطر الإصابات المرضية والحد من اعتلال الصحة للفرد والمجتمع والسعي لعدم توفير بيئة لحدوثها باستخدام الأساليب الوقائية، وتنظيم التعامل مع المحيط والحاجات بطريقة منظمة. لذا يرى الباحث المراد من ذلك النهي والحث هو المحافظة

(١) الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تحقيق: على أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ. ق. ٦ / ٤٤ / ١٠.

(٢) ميزان الحكمة: ميزان الحكمة: محمد الريشهري. دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع قم ١٤٢٢ - ج ٢ - الصفحة ١٤٤٦.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي الجزء. تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي الطبعة: الأولى، مطبعة دار الحديث الناشر: دار الحديث، صفحة ٣٠٣.

(٤) غرر الحكم: عبد الواحد الأمدي، مصدر سبق ذكره، ١٠٦٠٥.

على السلامة الصحية، والذي يمكن من خلاله إعداد المناهج والبرامج للتنمية البشرية المستدامة. ومن هنا ورد عن أمير المؤمنين عليه: «الصحة أفضل النعم»<sup>(١)</sup>.

### المحور الخامس: التعايش السلمي

الابتعاد عن إشاعة خطاب الكراهية الذي يسبب نشر الفتن والأحقاد بين أبناء الشعب الواحد، والذي يسبب عادة إلى العنف والافتتال. وهذا يسبب ضياع وتمزق الموارد البشرية والموارد الطبيعية واستنزافها، فيجب دائماً الحرص على نشر ثقافة قبول ثقافة الآخر عندما لا تتعارض مع الأخلاق العامة، ولا تتعدى على الحريات العامة فضلاً عن نشر ثقافة التسامح والابتعاد عن الظلم، بل السعي إلى العدل مع جميع الأطياف واحترام حقوق الإنسان والسعي إلى إصلاح ذات البين في فكّ النزاعات التي تسبب سفك دماء الأبرياء. ولذا ورد عن أمير المؤمنين بالنهي عن الفرقة، والاختلاف وما تسبب من عواقب خطيرة على السلم المجتمعي بقوله: «احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثالث بسوء الأفعال وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشرّ أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم»<sup>(٢)</sup>، كما بين أنّ كلّ اختلاف وجدال مذموم ولا بدّ من كون أحد الطرفين على ضلال بقوله ﷺ: «ما اختلفت دعوتان إلّا كانت إحداها ضلالة»<sup>(٣)</sup>. ولذا كان يدعو ويحثّ على عدم التفرقة والالتزام مع الجماعة بقوله ﷺ: «والزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإنّ الشاذ من الناس للشيطان، كما إنّ الشاذّ من الغنم للذئب»<sup>(٤)</sup>. ويرى أنّ تشبيه أمير المؤمنين ﷺ الشاذّ بالشاة التي تشدّ وتكون حصّة الذئب إشارة إلى الشاذ الذي تفرسه العقائد المنحرفة وتقوده إلى الهلاك.

(١) غرر الحكم: المصدر السابق صفحة ١٠٥٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، مصدر سبق ذكره: ٤ / ٤٥.

(٣) نهج البلاغة: المصدر السابق، الحكمة ٤٦٤ و ١٨٣.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، مصدر سبق ذكره

وإنَّ جميع أسباب الاختلاف والخصومة والتفرقة تسبب آثاراً سيئة على السلم المجتمعي مسببة التناحر والافتتال وفقدان الأمن وضياع التخطيط السليم لاستخدام الثروات وتنمية الطاقة البشرية، بل إلى ضياعها. ولهذا يدعو أمير المؤمنين إلى الألفة والتسامح بقوله: «طوبى لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله»<sup>(١)</sup>؛ وهي دعوة إلى قبول الآخر وإلى التعايش ونبد الخصومة والتخلي عن خطاب الكراهية من أجل النهوض بالأمم وتنمية قدراتها البشرية ومواردها من أجل أن تعيش الأجيال.

#### المحور السادس: العدل والمساواة:

إنَّ تحقيق العدالة هو أمر نسبي. ومن أجل رفع الظلم وإعطاء الفرص المتكافئة، لا بدّ من وجود قرارات تصدر من السلطة التشريعية المتمثلة بالقضاء؛ وهو يتطلب مجموعة من القوانين التي تحقق العدالة والمتابعة والرقابة ومعاقبة المخطئين ومجازاة الأكفاء. وهذا يضمن نوعاً من الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ويولد دوافع للعاملين والمستثمرين وحمائهم، ويوفر فرصة كبيرة للتجارة ونمو حركة الاقتصاد، ويقلّل من فرصة الفساد؛ وبذلك جميعه، تتقدم الأمم ويحمي الموارد والطاقات التي يعتمد عليها البلد وتورّث إلى الأجيال.

لذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في أهمية العدل الذي يعدّ القواعد التي تبنى عليه الدول وتنمو مواردها بقوله: «العدل أساس به قوام العالم»<sup>(٢)</sup>. ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «بالعدل تتضاعف البركات»<sup>(٣)</sup> أي تتضاعف الأموال وتتعاظم الموارد ويحافظ عليها من

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار عليهم السلام: العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ. ق. صفحة، ٧٥ / ٢٦٥ و ٩ / ٧٨ و ٥٦ / ١١٢ و ١٥٠ / ٧٧

(٢) مطالب السؤل: ٦١

(٣) غرر الحكم: عبد الواح الأمدي، مصدر سبق ذكره (٤٩٦ - ٥٨٠٤)، ١٤٣٧، ٤٢١٥، ٤٢١١.

خلال إعطاء كل ذي حق حقه برفع الظلم عن الرعية ومحاسبة المقصرين ومجازاة العاملين كما ورد عنه عليه السلام: «ما عمرت البلدان بمثل العدل»<sup>(١)</sup>

وإذ حذر عليه السلام من ضياع الأسر والمجتمعات بانتشار الرشوة والفساد الإداري وضياع القضاء وغياب سلطة القانون وبيّن نتائج ذلك بقوله عليه السلام: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه، وأخذوهم بالباطل فاقتدوه»<sup>(٢)</sup>، وعنه عليه السلام: «وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام، وإمامة المسلمين البخيل... ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع»<sup>(٣)</sup>.

لذا يتطلب اختياراً صائباً لعمال القضاء وإيجاد أساليب لمتابعة عملهم؛ وهذا جزء من عوامل التنمية البشرية المستدامة بخلق بيئة مناسبة بمحاربة الفساد والرشوة والظلم...

### المحور السابع: ترسيخ القيم الأخلاقية والتربوية:

إنّ المجتمعات التي يسودها التراحم والألفة هي تستند على قاعدة القيم الأخلاقية والتربوية والتي تمتاز بالعفو والإخلاص والتسامح والصدق وحبّ الآخرين، وهو أبرز ما جاءت به الديانات والتشريعات السماوية بثبتت القيم الأخلاقية وجعلها قاعدة رئيسة لتغيير المجتمعات عن قيمها المنحرفة. وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها»<sup>(٤)</sup>، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام بتحديد القواعد الثلاثة الرئيسة في اتصاف الفرد بحسن الخلق بقوله: «حسن الخلق في ثلاث: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسع على العيال»<sup>(٥)</sup> أي أن يكون الكسب وما تتناوله لتغذي به

(١) غرر الحكم: عبد الواح الأمدي، مصدر سبق ذكره ٧٧٤، ٢٢٢٣، ٢٢٥٣.

(٢) نهج البلاغة: أبي حديد المعتزلي مصدر سبق ذكره، ٧٩، والخطبة ١٣١.

(٣) نهج البلاغة: أبي حديد المعتزلي مصدر سبق ذكره، ٧٩، والخطبة ١٣١.

(٤) البحار: العلامة المجلسي مصدر سبق ذكره، ١٦ / ٢٨٧ / ١٤٢.

(٥) البحار: ٧١ / ٣٩٤ / ٦٣ و صفحة ٣٩٣ / ٦٣ و صفحة ٣٩٦ / ٧٦.

جسدك وأطفالك من الرزق الحلال لأن ذلك ينعكس على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والوراثي... وأن تهتم بمن كنت سبباً في مجيئهم لهذه الدنيا، أي التخطيط والسعي إلى توفير المحيط المناسب للأسرة لتكون إحدى لبنات البناء للمجتمع الأخلاقي. وعنه عليه السلام يحث على مكارم الاخلاق لانعكاساتها لاستمرار الحياة بقوله: «لو كنا لا نرجو جنة، ولا نخشى ناراً ولا ثوباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنها مما تدلّ على سبيل النجاح»<sup>(١)</sup>.

فان التحلي بالأخلاق الحميدة هو أساس الحفاظ على ممتلكات البلد والنهوض بها وتعظيمها؛ أي تحقيق التنمية البشرية المستدامة. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن البرّ وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»<sup>(٢)</sup>. بالمقابل، إن اصطباغ أفراد المجتمع بسوء الأخلاق يكون سبباً للنقمة عليه وعلى موارده، فتكون سبباً لضياعها، ومنها الفساد والرشوة والكذب والخداع والنفاق والزنا؛ إذ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الزنا يورث الفقر»<sup>(٣)</sup>. فهو تحذير من نتائج الممارسات المنحرفة، والتي تسبب تفكك الأسرة والمجتمع وضياع موارد الطاقات البشرية وهدرها، واستنزاف المورد الطبيعية وضياعها؛ فإن التنمية البشرية تستند إلى قواعد أخلاقية لتنميتها.

### المحور الثامن: الصحة النفسية:

إن المحيط الخارجي وما يرافقه، يسبب المشاعر التي تسبب الطاقة الإيجابية والسلبية لدى الإنسان. وينعكس ذلك على تصرفاته والقرارات التي يتبناها، فلا بدّ أن توفير المناخ والبيئة اللتين تحاربان الاضطراب النفسي وتحدث الاستقرار والاطمئنان لها. وهذا

(١) مستدرک الوسائل: الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي. مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، - في مدينة قم. سنة ١٤٠٨ هجرية، ١١ / ١٩٣ / ١٢٧٢١.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي مصدر سبق ذكره، ٧٧ / ١٧٢ / ٨.

(٣) البحار: العلامة المجلسي، مصدر سبق ذكره ٧٩ / ٢٣ / ١٨ وصفحة ١٩ / ٤.

يحدث من خلال جملة من الأسباب، منها التواجد في المكان المناسب وما يسببه من طاقة إيجابية كاجلوس أو الذهاب إلى المسجد. اذ ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو كلمة تردّه عن ردى، أو يسمع كلمة تدلّه على هدى، أو يترك ذنباً خفية أو حياء»<sup>(١)</sup>. وكما إنّ المسجد يكسب الطاقة الإيجابية، فهو كذلك في أماكن العمل التي تُقضى فيها حوائج الناس. بالمقابل ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) هناك أماكن تستنزف الطاقة الإيجابية وتكسب طاقة سلبية بقوله: «السجن أحد القبرين»<sup>(٢)</sup>.

في حين من أسباب استنزاف الطاقة الإيجابية أو كسبها، هو اختيار الصحة ومرافقة الأصدقاء. فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «اتقوا من تبغضه قلوبكم»<sup>(٣)</sup> وعنه (عليه السلام): «صديق الجاهل متعوب منكوب»<sup>(٤)</sup>، كما ورد عنه (عليه السلام): «أكثر الصلاح والصواب في صحبة أولي النهى والألباب»<sup>(٥)</sup> وعنه (عليه السلام): «صحبة الولي اللبيب حياة الروح»<sup>(٦)</sup>، وعنه (عليه السلام): «لا عليك أن تصحب ذا العقل، وإن لم تجد كرمه، ولكن انتفع بعقله، واحترس من سيء أخلاقه، ولا تدعن صحبة الكريم وإن لم تنتفع بعقله، ولكن انتفع بكرمه بعقلك، وافرر الفرار كله من اللئيم الأحمق»<sup>(٧)</sup>. وهذا ما يحثّ عليه وينهى عنه أمير المؤمنين في اختيار

(١) أمالي: الشيخ الطوسي: تحقيق مؤسسة البعثة، دار الثقافة - قم، ط ١: ٣٠٣ / ٦٠٤. سنة ١٤١٤، ١٦، ٣١٨.

(٢) غرر الحكم: عبد الواح الأمدي، مصدر سبق ذكره صفحة، ١٦٣١.

(٣) الدرة الباهرة من الاصداف الطاهرة: لأبي عبد الله محمد بن مكي العاملي الجزيني المعروف بالشهيد الأول. مؤسسة الطبع التابعة للحضرة الرضوية المقدسة - مشهد سنة ١٣٦٥ هـ. ش. صفحة ٢٥، ٢٦.

(٤) غرر الحكم: عبد الواح الأمدي، مصدر سبق ذكره ٥٨٢٩.

(٥) غرر الحكم: عبد الواح الأمدي، مصدر سبق ذكره، ٣١٢٩، ٥٨٣٨.

(٦) غرر الحكم: عبد الواح الأمدي، مصدر سبق ذكره، ٥٨٣٧، ٥٨٤٢، ٦٢٧٧، ٨٧٧٥.

(٧) البحار: العلامة المجلسي، مصدر سبق ذكره، ٧٤ / ١٩٩ / ٣٦.

الصاحب ومرافقته، وما تجرّه من آلام وأحزان وتعب لمرافقة الجاهل أو الأحمق أو الكذاب، أو من كَسْبٍ وتعظيمٍ للطاقة الإيجابية.

ومن الأمور التي تتسبب في استنزاف أو تعظيم الطاقة هو اختيار الأعمال وممارستها. فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «من يعمل يزداد قوة، من يقصر في العمل يزداد فترة»<sup>(١)</sup>، وعنه عليه السلام: «العمل يحصل الثواب لا بالكسل»<sup>(٢)</sup>، وعنه عليه السلام: «بحسن العمل تجنى ثمرة العلم لا بحسن القول»<sup>(٣)</sup>، وفي الوصايا السابقة الحثّ على العمل والطاقة المستنزفة والمكتسبة.

إنّ جميع ذلك له تأثير على المشاعر والصحة النفسية، وهذا ما ورد عن أمير المؤمنين بقوله: «الهمّ نصف الهرم»<sup>(٤)</sup>، وعنه عليه السلام: «الهم يذيب الجسد»<sup>(٥)</sup>، وهذا ما تشير إليه الوصايا بأنّ الطاقة السلبية المتسببة من المحيط الخارجي لها استجابات على الصحة النفسية إما إيجابية أو سلبية؛ فإنّ خلاصة الأمر إنّ الإنسان يمكن أن يوظف المحيط الخارجي من خلال قدراته بشكل لا يؤثر فيه سلباً من خلال انتقاء الأصدقاء وانتقاء المنبهات واختيار أماكن العمل والتعامل مع الظواهر؛ ومن ثمّ، فإنّ رفع الطاقة الإيجابية والمشاعر والحب يؤثر بشكل إيجابي في القرارات، وإنّ الطابع الاجتماعي هو جزء من التنمية المستدامة بالحفاظ على الموارد البشرية وصحتها وكيفية ترابط علاقتها الاجتماعية.

(١) غرر الحكم: عبد الواح الأمدي، مصدر سبق ذكره (٧٩٩٠ - ٧٩٩١)، ١٩٢٤، ٢٠٦٠، ٤٢٩٥.

(٢) غرر الحكم: عبد الواح الأمدي، مصدر سبق ذكره، صفحة (٧٩٩٠ - ٧٩٩١)، ١٩٢٤، ٢٠٦٠، ٤٢٩٥.

(٣) غرر الحكم: المصدر السابق، صفحة، ٤٠٨، ٩٧٥، ٤٨٢، ١٢٢٤، ٤٢٩٦.

(٤) تحف العقول: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني. مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. ص ٢١٤.

(٥) غرر الحكم: المصدر السابق، صفحة، ١٠٣٩، ١٦٣٤.

## المبحث الثالث

### الخاتمة

أولاً: الاستنتاجات: أهم ما استنتجه الباحث ما يأتي:

إنّ الروايات والنصوص الواردة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) التي ورثها من رسوله الله (صلى الله عليه وآله) هي منهاج يتّسم بالجانب الإداري والعلمي والتربوي والأخلاقي تتوافق مع كلّ زمان ومكان.

إنّ ما تعاني منه المجتمعات من ظواهر سلبية هي ناتجة عن انحراف الإدارات والأسر والمؤسسات التعليمية عن المنهج الإسلامي المتمثل برسول الله والأئمة الأطهار (عليهم السلام) لا سيما ما حملته التاريخ من إرث زاخر لأمير المؤمنين (عليه السلام).

التوعية الناتجة بالاطلاع على تجارب الشعوب ترفع القدرات العقلية وتطوير التفكير وتُكسب الوعي، وهو أساس القدرة على التخطيط وتحديد الأهداف للتنمية البشرية المستدامة.

إنّ الاقتصاد الإسلامي هو أساس التنمية البشرية المستدامة لما يتمتع به من سلامة الأموال وطرق الحصول عليها وأسلوب توزيعها.

إنّ أساس التنمية البشرية هو التعايش السلمي والحدّ من خطاب الكراهية.

إنّ التخطيط لتعظيم الموارد والتنمية البشرية يتطلب الوعي والمعرفة ونموّاً من خلال رعاية المؤسسات التعليمية.

المساواة ورفع الظلم وتوفير الفرص المتكافئة، وحماية فئات المجتمع سبب رئيس في تحقيق التنمية البشرية المستدامة.

إنّ الاختيار المبني على أسس موضوعية لاختيار الصحة والعمل وأماكن التواجد فيها له آثار كبيرة على القرارات التي يتخذها الإنسان، وتنعكس على التنمية البشرية المستدامة.

### ثانياً: التوصيات: أهم ما يوصي به الباحث:

إعادة تحديد أهداف المؤسسات التعليمية بشكل يتوافق مع وصايا ومواعظ أمير المؤمنين (عليه السلام) للتنمية المستدامة.

توفير البنية التحتية المناسبة وإعداد الكوادر الصحية لتطوير قطاع الصحة الذي يعدّ سبباً في تقليل الهدر المالي والمحافظة على الطاقات البشرية واستثمارها.

نشر ثقافة الألفة والتسامح وقبول الآخر للوصول إلى السلم المجتمعي الذي يتوافق مع حفظ الموارد وحفظ حقوق الأجيال منها.

تشجيع التنمية الاقتصادية وتنويع الوظائف من أجل زيادة فرص العمل لمحاربة الفقر الذي يعدّ أحد أسباب هدر الطاقات وضياعها.

نشر الوعي لحفظ النظام البيئي من التلوث (الهواء والماء والغذاء) واعتماد الطاقة النظيفة التي لها الأثر الأكبر في استمرار الحياة بصورة طبيعية وتمكن الإدارات من التنمية البشرية المستدامة.

إقامة المؤتمرات والورش ودورات التعليم المستمر للملاكات كافة وللتخصصات المختلفة لمواكبة التقدم العلمي لضمان التنمية البشرية.

تأكيد سلامة الشروة المائية والبرية والهواء من التلوث من خلال استخدام الطاقة النظيفة.

## المصادر العربية الدينية

القرآن الكريم: سورة العلق

١. أمالي: الشيخ الطوسي: تحقيق مؤسسة البعثة، دار الثقافة - قم، ط ١: ٣٠٣ / ٦٠٤، سنة ١٤١٤.

٢. الاختصاص: الشيخ المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي. الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليه السلام): العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ. ق.

٤. تحف العقول: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني. مؤسسة الأعلمي - بيروت سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٥. الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة: لأبي عبد الله محمد بن مكي العاملي الجزيني المعروف بالشهيد الأول، مؤسسة الطبع التابعة للحضرة الرضوية المقدسة - مشهد سنة ١٣٦٥ هـ. ش.

٦. غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي، التحقيق: مير سيد جلال الدين المحدث، جامعة طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٠ هـ. ق.

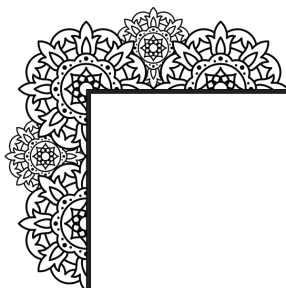
٧. شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ. ق

٨. عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي الطبعة: الأولى، مطبعة دار الحديث الناشر: دار الحديث

٩. كنز العمال: علاء الدين حسام الدين الهندي والمشهور بالمتقي الهندي. الناشر بيت الأفكار. سنة ٢٠٠٥.
١٠. الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ. ق.
١١. مستدرک الوسائل: الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، - في مدينة قم. سنة ١٤٠٨ هجرية.
١٢. ميزان الحكمة: محمد الريشهري. دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع قم ١٤٢٢.

#### المصادر العلمية العربية:

١٣. أحمد محمد بدح وأحمد سليمان مزاهرة وزين حسن بدران: الثقافة الصحية، ط ١. دار المسيرة للنشر. سنة ٢٠١٥.
١٤. غايتون وهول: ترجمة صادق الهلالي، المرجع في الفيزيولوجيا الطبية. منظمة الصحة العالمية، سنة ١٩٩٧.
١٥. كاثرين آسري وربورت بلومين وآخرون: الجينات والتعلم. مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة سنة ٢٠١٧.
١٦. منى خليل عبد القادر: التغذية العلاجية، استاذة التغذية. جامعة حلوان. الطبعة ٣.
- القاهرة مجموعة النيل سنة ٢٠٠٤.
١٧. ويليام هوارد هاي: عصر الصحة الحديث ١٩٣٣.



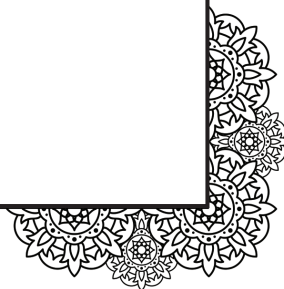
## مقومات القيادة في نهج البلاغة

- رسالة الإمام علي عليه السلام

إلى عثمان ابن حنيف الأنصاري - أنموذجاً -

الباحث

أ.د. نجم عبد الله غالي الموسوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المبحث الأول

### أولاً: مشكلة البحث:

الإدارة والقيادة - بصفة عامة - هي عملية إنسانية دينامية تسعى لتحقيق أهداف المجتمع. وهي ليست مجموعة من الدعائم أو الأسس، ولا مجموعة من الإجراءات والنظم، ولكن هي مجموعة علاقات اجتماعية وإنسانية، وتفاعلات واتصالات بين الجماعات البشرية، والمجتمعات الإنسانية، كما إنها منظومة من العمليات المتشابكة التي تتكامل فيما بينها، على المستويات الإدارية كافة للوصول إلى أفضل تنمية للمجتمع. ويزداد الاهتمام بالإدارة في العصر الحديث بوصفها الأداة المحركة للطاقة الإنتاجية في المجتمع، ولكونها القادرة على توجيه القوى البشرية والموارد المالية التوجيه الأمثل لتحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع. والإدارة التربوية هي عملية تطوير وتحديث للتربية، مراعية الحاضر المتاح، والمستقبل الطموح، لبناء مستقبل أفضل لأبناء المجتمع في ضوء إمكاناته المادية والبشرية؛ وبذلك يتم تطوير الإدارة التربوية في ضوء النظريات التربوية الحديثة والمتغيرات الثقافية المعاصرة مع اختيارها للقيادات التربوية المؤثرة في المجال التربوي. ويعتبر ميدان الإدارة التربوية من ميادين الدراسات التربوية الحديثة وليدة القرن العشرين بالرغم من أن الممارسة العقلية والفكرية والثقافية لها قديم قدم الحضارة الإنسانية نفسها؛ وبذلك تطور مفهومها تطوراً سريعاً معتمداً على تطور مفاهيم الإدارات المختلفة في مجالات أنشطة المجتمع (سعد، ٢٠٠٦: ٣).

ويشهد العصر الحالي تطورات كثيرة جداً ونمواً سريعاً واضحاً في جميع اتجاهات الحياة، وبمختلف جوانبها، وعلى الأصعدة الإنسانية والعلمية والإدارية والتربوية

والاقتصادية والسياسية وغيرها، وإنَّ الفرد هو الرائد في هذه العملية أي عملية التطوير والتغيير، إذ لا يكون التطوير ناجحاً إلا إذا تمكَّن الإنسان من تنظيم أمور حياته وترتيب علاقاته بالمحيطين به، وإدارة أموره بصورة صحيحة وناجحة، فالإدارة هي الأساس في تحقيق الأهداف ونيل السموّ والرفعة وتسخير الإمكانيات المادية والمعنوية المتاحة للوصول إلى الأهداف المرسومة والمراد تحقيقها.

ومن الواضح أنَّ هناك علاقة وثيقة بين الإدارة والقيادة والعلاقات الإنسانية؛ فالإداري الناجح هو الذي يضع أمام عينيه أنَّه يتعامل مع أناس وبشر لهم مشاعرهم وأحاسيسهم وكيانهم، ويحتاجون إلى تحقيق التقدير والاحترام وبناء الذات، فلا بدَّ من إعادة النظر في أساليب وطرائق التعامل مع الآخرين بحيث تكون أساليب حيوية ونشطة وفاعلة وفعالة لنجاح العمل وبناء الروح التعاونية بين أعضاء المجتمع. ومن أبرز خطوات النجاح في العلاقات الإنسانية بالنسبة للقائد أو المدير هي تفهم حاجات المرؤوسين والسعي الدائم لإنجازها وتلبية متطلباتهم التي يسعون لإشباعها وقضائها، وأن يكون القائد قدوة طيبة لهم وأسوة حسنة من حيث سماته الأخلاقية والعملية وحسن سيرته وسلوكه وتصرفاته وأعماله في تصرفاته وأفعاله وسلوكه، وأن يحافظ على سيرته وسمعته وحسن خلقه وثقافته وأدبه، وأن يتَّصف بالأخلاق الفاضلة والالتزام الديني، وأن يكون قدوة صالحة للجميع، فضلاً عن الكثير من الصفات والسمات الواجب توافرها في شخصية القائد والإداري الناجح.

ونتيجة لأهمية القيادة والإدارة، جاء هذا البحث ليسلط الضوء على الإدارة في فكر الإمام علي عليه السلام -رسالته إلى عثمان بن حنيف الأنصاري أنموذجاً- ليعطي رؤية إسلامية نفسية علمية تربوية موضوعية في هذا المجال، لكون الإدارة علماً وفناً وخبرة، فضلاً عن الأهمية الكبيرة لشخصية الإمام علي عليه السلام في كونها واجهة إسلامية متميزة بشخصيته وإدارته وعلميته ومواقفه المباركة التي سجّلها التاريخ له.

### ثانياً: أهمية البحث:

إن توافر السمات القيادية في القائد مؤشر لحصوله على ولاء العاملين والتزامهم؛ فلا بدّ من وضع الرجل المناسب في المناسب. قد يعين شخص ما في منصب، ولكنه لا يستطيع أن يقود نفسه فضلاً عن قيادة الآخرين. إنّ فاعلية القائد تنبع من خلال السلطة المعطاة له، والصلاحيات الخاصة للمنصب الذي يشغله. ومن الأهمية بمكان أن يمتلك القائد سمات قيادية. ولا شكّ أنّ قبول المرؤوسين ورضاهم عن قائدهم نابع من امتلاكه السمات والمهارات القيادية، فهي السرّ في فاعلية القيادة. إذن فما هي السمات والمهارات القيادية التي يجب أن يتحلّى بها القائد الفعال حتى يكسب ولاء مرؤوس؟ لأنّه عند عدم وجود الولاء لن يكون هناك التزام، وعندما لا يكون هناك التزام ستفقد الفاعلية وتقلّ الإنتاجية (المغربي، ٢٠١٨: ٢٢٧).

ولا تستقيم الحياة الإنسانية، وتكامل متطلبات سيرها بانتظام وانسجام، إلّا بضوابط سلوكية تنظم علاقات الناس بعضها ببعض في مختلف شؤون حياتهم، ومن بين تلك الضوابط الأخلاق التي تحكم سلوك الإنسان في مجتمعه. وأرقى وأسمى الضوابط الأخلاقية للإنسان في تعاملاته كافّة حوتها الشريعة الإسلامية بنصوص واضحة وصریحة تأمر بما فيه الخير وتحضّ عليه وترغب فيه، وتنهى عن كلّ سلوك فيه شرّ أو مكروه وتشدّد على الابتعاد عنه وتذرّ بسوء عواقبه (المرايقي، ١٩٩٧: ٨).

فقد أوجد الإمام (عليه السلام) في فكره الإداري أنّ الكلّ محترمون على اختلاف قومياتهم وأديانهم وانتمائهم العشائري وأنّ الكلّ متساوون لديه وليس فيهم أفضلية ولا أسبقية لأحد عنده، وحاول قدر الإمكان أن يزرع هذا الانطباع لدى رعيته امتثالاً لرغبة السماء في أن يكون هذا المجتمع متساوياً من النواحي كافة.

وحينما ولي أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أعلن قراره القاضي بالمساواة التامة بين الناس في العطاء، من أجل إشاعة العدل في توزيع الثروة وإلغاء أسباب التمايز كافة بين الناس، فكان

قرار انتزاع قطائع بني أمية وقرار التسوية من أول القرارات التي اتخذها علي عليه السلام في اليوم التالي من البيعة وطبقه عملياً في اليوم الثالث، وتحمل مزيداً من العناء في هذا السبيل. (الكعبي، ص ١٣٤، ١٤٢٩هـ).

وقد ركز الإمام علي عليه السلام على أهمية بناء المجتمع على وفق أسس التعاون والمحبة والأخوة الدائمة، فالعلاقات الاجتماعية الطيبة هي الكفيلة بأن تجعل المجتمع متماسكاً ويعيش أواصر المحبة والتضحية، وهي النسيج الرابط فيما بينهم إيماناً منه عليه السلام بأن ذلك يُعدّ من أبرز الأسس التي يركز عليها المجتمع وتخلق روح التعاطف والتوادر والرحمة والمحبة بين الناس. فقد لجأ الفكر التربوي الإداري عند الإمام علي عليه السلام، إلى العمل على إيجاد المجتمع المسلم المتعاون من خلال الإهتمام ببناء الإنسان أينما وجد، ليتربى على وفق القيم السماوية التي أكدها الله تعالى، كما في قوله جلّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة المائدة: من الآية: ٢).

وفي مثل هذه الحالة، لا يحتاج المجتمع إلى سوى أكثر من نسيج يؤمن علاقة التعاون، وتوزيع الأعمال بين أعضاء المجتمع، ويؤمن لهم العدالة الاجتماعية، والحسم، والقضاء بعدل، في حالة تصادم المصالح، والعدوان، وتوفير التعليمات، والمجاملات الإنسانية التي تلطف جو التعامل الإنساني (الأصفي، ١٩٩٧ ص ١٥).

### وتتجلى أهمية البحث الآتي فيما يأتي:

سعي الإمام علي عليه السلام على خلق القاعدة الأساسية في تعيين القادة والإداريين الأكفاء ومتابعة أعمالهم وإعدادهم أعداداً يؤهلهم أن يكونوا أفراداً صالحين، وأعضاء نافعين ومتكفين مع المجتمع الإنساني الذي يعيشون.

بيان تجربة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإدارية وإظهار المقومات الأساسية التي كان يعتمد عليها في اختيار القائد والإداري الناجح وحرية نقده بالقول والفكر.

استقراء الصفات والسمات الخاصة بالقيادة الإدارية في فكر الإمام علي (عليه السلام) كونه القرآن الناطق وأن ما يصدر منه يشكل نبراس عمل، ودستوراً واضح المعالم لنجاح العمل القيادي والإداري.

تسليط الضوء على رسالة مهمة صدرت من الإمام علي (عليه السلام) هي رسالته إلى عثمان بن حنيف الأنصاري بوصفها تحتوي على توجيهات قيادية وإدارية تصقل عمل القائد والإداري، وتجعل شخصيته واعية وحاذقة.

### ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى بيان مقومات القيادة عند الإمام علي (عليه السلام) - رسالته إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف أنموذجاً.

### رابعاً: حدود البحث:

- الحدّ العلمي: رسالة الإمام علي (عليه السلام) إلى عثمان ابن حنيف الأنصاري.

- الحدّ الزمني: تطبيق البحث في العام ٢٠٢٤.

### خامساً: مصطلحات البحث:

١. القيادة: عملية تحريك للأشخاص والأفراد نحو الهدف الدنيوي والأخروي، على وفق تعاليم وقيم الإسلام وشريعته؛ وهذا يقوم على دعامين أساسيتين هما: العقيدة، وهي ما يؤمن به القائد؛ والأدوات، وتمثل فيما يتيسر للقائد من أدوات مادية وفكرية

وبشرية، وهي السلوك الذي يقوم به القيادي أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة (عملية سلوكية)، وهي تفاعل اجتماعي فيه نشاط موجه ومؤثر، علاوة على كونه مركزاً وقوة (الموسوي وعيال، ٢٠٢٢: ٢٧).

### التعريف الإجرائي:

وهي مجموعة الصفات والسمات التي عمل أمير المؤمنين علي عليه السلام على زرعها في نفوس القادة والولاة والتي تشكل الملامح الإدارية المتميزة لشخصية القائد وتضمن له النجاح في عمله وإدارته، وهي مجموعة التوجيهات والنصائح والمواظب التي وجهها إلى عامله على البصرة.

٢. الإمام علي عليه السلام : وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ ولد في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب المبارك في بيت الله الحرام، قبل البعثة باثنتي عشرة سنة تقريباً، تكفل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان عمره يومئذ ستة أعوام فكانت شخصيته حصيلة الإعداد النبوي وعاش في كنف الرسالة والوحي، فكان أول المؤمنين وأميرهم وقائدهم وأول الدعاة إلى الإسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. حمل هموم الإسلام وسائر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن توفاه الله تعالى، واستمر بعطائه إلى أن استشهد وانتقل إلى جوار ربه على يد عبد الرحمن بن ملجم في ٢١ / رمضان سنة ٤٠ هـ وهو يصلي في مسجد الكوفة المعظم (دار التوحيد، ج ٢، ٢٠١٥: ١٠).

### التعريف الإجرائي:

الإمام علي عليه السلام من الشخصيات المهمة في تاريخ الإسلام والمسلمين، فهو الرجل الثاني في هذا البيت الطاهر، بعد أخيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والرجل الأول في تسلسل الإمامة. تسلّم الإمامة وإمرة المؤمنين بأمر الله تعالى في يوم الغدير، مارس دوره أماماً بما نصّت عليه السماء على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكان زمانه مشحوناً ومتأزماً بالعديد من المشكلات التي افتعلها

الناكثون والقاسطون والمارقون، وخصوصاً معاوية بن أبي سفيان ومن ناصرته وأزره على ذلك. فعند قيادته للأمة، كان عليه مواجهة التركة الثقيلة في بناء الأمة الإسلامية وإكمال مسيرة الإسلام الذي بذل جهده الكبير في احتواء العديد من الأمور ومواجهة بعضها بالسياسة تارة وبالمواجهة تارة أخرى.

#### ٤. رسالة الإمام علي إلى عثمان ابن حنيف:

##### التعريف الإجرائي:

وهي من أبرز الوثائق السياسية والإدارية، وهي رسالة كتبها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى واليه على البصرة، عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي، من صحابة رسول الله ﷺ؛ وكنيته (أبو عمرو) وقيل (أبو عبد الله)، وردت في نهج البلاغة بتسلسل رسالة (٤٥) حوت على مضامين توعوية وأخلاقية وتربوية ونفسية كبيرة حرص الإمام عليه السلام على الوالي أن يتحلّى بها ويتصف بها.

## المبحث الثاني

### الخلفية النظرية والدراسات السابقة

أولاً: الخلفية النظرية:

مفهوم القيادة في الإسلام:

تضمنت القيادة والإدارة في الإسلام كثيراً من المفاهيم والمعاني التي تطرقت إليهما البحوث الحديثة التي تناولت مسألة الإدارة والقيادة بالدراسة والتمحيص والبحث، إلا أنّ مفهوم القيادة والإدارة وصفات القائد الناجح أو الإداري الناجح في ضوء الإسلام كان له خصوصية واضحة في الشريعة الإسلامية، إذ إنه ربط مفهومي القيادة والإدارة بالضوابط الشرعية والأخلاقية التي تضمن للقائد والإداري سلامة المنهج الذي يتبعه ويسير عليه، وبما يحقق الأهداف المرجوة.

فالقيادة والإدارة الإسلامية لا تعرف الاستبداد أو الفوضى، فإذا ما انطلق القائد أو الإداري المسلم من مبادئ الإسلام متشاوراً مع زملائه باحترام وموضوعية، فإنّه يتخذ القرارات بعدالة وتجرد قدر الإمكان؛ فهو ليس مسؤولاً أمام أتباعه ومرؤوسيه في الدنيا فحسب، بل مسؤول أمام ربّه سبحانه وتعالى. وهذا النموذج من خلال إشراك الآخرين هو النموذج الأفضل، لأنّه ينمي أصرة الأخوة والمحبة فيما بينهم ويعزز مستوى أدائهم.

يعدّ مفهوم القيادة عملية تحريك مجموعة أفراد باتجاه محدد؛ ولذا فالقيادة الناجحة تحركهم في الاتجاه الذي يحقق مصالحهم على المدى البعيد، وقد يكون ذلك الاتجاه اتجاهاً عاماً، مثل نشر الدعوة الإسلامية في العالم، أو اتجاهاً خاصاً مثل قيادة مجموعة من الموظفين أو مجموعة من الطلبة لتحقيق هدف معين. وقد عرّفت القيادة بشكل عام عدّة تعريفات نتيجة لصعوبة الاتفاق حول معنى موحد لمفهومها، نذكر منها:-

مصطلح القيادة يشير إلى الخصائص والسلوك والتأثير والتفاعل مع الآخرين والأدوار والعلاقات التي يتم اعتمادها للحصول على القيادة الفعالة، لذا فهي فن استعمال القدرات والمهارات لتحقيق هدف محدد (حسين، ٢٠١٠: ٦٨).

وهي النشاط الذي يمارسه الشخص للتأثير في الناس، وجعلهم يتعاونون لتحقيق هدف يرغبون في تحقيقه؛ وكذلك هي القدرة على التأثير في سلوك أفراد الجماعة، وتنسيق جهودهم، وتوجيههم لبلوغ الغايات المنشودة.

ومن التعاريف السابقة يتضح أن القيادة تتكون من ثلاثة عناصر أساسية، هي:

١. وجود جماعة من الأفراد.
٢. وجود فرد بين المجموعة يؤثر فيهم.
٣. وجود أهداف مشتركة يسعون لتحقيقها (عوض، ١٩٩٠: ٥٨).

### أهمية القيادة:

١. لها دور مهم في التواصل بين الأفراد وقائدهم وخططه وتصوراته المستقبلية.
٢. توجيه جهود الأفراد وتوحيدها نحو أهداف محددة وتحقيقها بالشكل المطلوب.
٣. من خلال القيادة الناجحة، يمكن الوصول إلى تحقيق الأهداف المطلوبة.
٤. بواسطتها يكون الاستغلال الأمثل للمواد المتاحة.
٥. بدون القيادة الفعالة تفقد الوظائف الإدارية الأخرى معانيها.
٦. إن تصرفات القيادة الفعالة هي التي تعتبر حافزاً قوياً للأفراد، وتدفعهم إلى أداء أفضل وإنجاز الأعمال المطلوبة (حسين، ٢٠١٠: ٦٨).

### مقومات القيادة الإسلامية :

العدالة والمساواة بين الناس: أي إنّه يعدل بين رعيته ومن يكون مسؤولاً عنهم، فلا يظلم أحداً أو يحابي إنساناً على آخر، بل يحقق العدالة والمساواة بينهم جميعاً.

القدوة الصالحة: أي إنّ القائد المسلم قدوة لرعيته، فلا يأتي من الأفعال ما ينهى الناس عنه، بل تراه أول الناس التزاماً بالمنهج الذي يأمر به.

صحة العقيدة التي تضمن سلامة المنهج: أي إنّ القيادي على وفق الإسلام، صحيح العقيدة، مؤمن برّبهِ إيماناً قاطعاً لا يتخلل إليه الشكّ، مدافعاً عن دينه، مؤمناً بالقيم والمبادئ التي جاءت بها الشريعة الإسلامية. ولا شكّ أنّ هذا الإيمان يولد لدى القائد المسلم العزيمة التي تحثّه على السعي لتحقيق الغايات والأهداف التي آمن بها.

عدم الاستئثار بالرأي: فمن صفات القائد الناجح في الإسلام أنّه لا يستأثر برأيه دون الناس، معتقداً أنّه الصواب وما دونه الباطل، مثلما فعل فرعون مع قومه حينما استخفّ بعقولهم، بل ترى القائد المسلم يحرص على مشاورة أهل الخبرة والعلم والمعرفة حتى يضمن صواب الرأي الذي يتخذه (القيسي، ٢٠١٣: ١٩٤).

### القيادة من منظور القرآن:

لقد كان القرآن الكريم الموجه الأول لقائد الأمة الإسلامية محمد ﷺ، فهو القدوة الحسنة في القيادة وفنّ التعامل، والقرآن يزخر بالآيات الكثيرة التي توجّه الرسول في مختلف أمور الحياة؛ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: الآية: ٢١)، ويمكن استخلاص التوجيهات القيادية للرسول ﷺ من هذه الآية الكريمة بما يأتي:

١- اللين الذي تمتع به الرسول ﷺ؛ وذلك من رحمة الله تعالى للأمة.

٢- عدم الفظاظة والشدة والغلظة.

٣- الأمر بالعفو عن صحابته.

٤- الأمر بالاستغفار والدعاء لهم.

٥- الأمر بالتشاور في جميع الأمور.

٦- الأمر بالتوكل على الله بعد العزم (القيسي، ٢٠١٣: ٢٠٧).

ولهذا نجد أن صفات القيادة في الإسلام تحقق انسجاماً فكرياً وتعاوناً وثيقاً بين القائد والمرؤوسين وتغرس الضبط والنظام في القلوب والنفوس، لأنها تستمد مرتكز قوتها وثباتها من عقيدة التوحيد التي تمنح الإنسان المسلم طاقات مادية ومعنوية لا تنضب. كما إن هذه الصفات قد تعمقت جذورها في شمائل المثل الأعلى للإنسانية كلها. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وكان ﷺ خبيراً بمزايا أصحابه الكرام، فيختار الرجل المناسب للمكان المناسب، ويرعى الموهوبين منهم، ويظهر مواهبهم في القيادة الحربية، ويختار لقيادة الجند صاحب الطبع الموهوب والعلم المكتسب والخبرة العلمية؛ فكان النصر حليفاً لهم في ممارسة الأدوار القيادية في حياته المباركة ﷺ واستمر النصر معقوداً بألويتهم في الفتح الإسلامي. (الأهدل، ١٩٩٩: ٣٧).

### العوامل المؤثرة في القيادة:

١. السمات والأنماط الشخصية للقائد وسلوكه؛ ومنها السمات الجسمية، والنفسية، والسلوكية.

٢. صفات المرؤوسين وسماتهم، وهي (سمات جسمية، ونفسية، وسلوكية).

٣. أهداف المؤسسة ومنها: أهداف قصيرة المدى، وأهداف إستراتيجية بعيدة المدى.
٤. نوع المؤسسة من حيث حجمها، أو نوع إنتاجها، أو الأساليب التنظيمية، وهيكلها التنظيمي، ونوع المهام الموجودة فيها، والحوافز، وجماعة العمل.
٥. الظروف والعوامل البيئية المحيطة بالمؤسسة وما تمرّ به من ظروف وعوامل مؤثرة سواء في بيئته العامة أو الداخلية (العديلي، ١٩٩٣: ٤٥).

### القيادة عند الإمام علي عليه السلام:

لم تكن شخصية الإمام علي عليه السلام بالشخصية العابرة في خضم التاريخ، بل كانت شخصية لها أبعاد إيجابية تركت تأثيراً واضحاً في مختلف اتجاهات الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية والتربوية والنفسية وغيرها. فهو عليه السلام ترك لنا إراثاً علمياً كبيراً بما قدمه من أسس للارتقاء بالفرد والمجتمع وبنائه بناءً صحيحاً ناجحاً.

ومن خلال تسليط الضوء على الجانب الإداري، نجد أنّ هناك عهده عليه السلام إلى واليه على مصر ممالك الأشتر عليه السلام قد أخذ حيزاً واسعاً لدى الإداريين والمتخصصين في الإدارة والأعمال، والتربويين والنفسيين، وعلماء الاجتماع؛ كلّ ينظر إليه بعين البصر والبصيرة، ويبين إعجابه به وبمحتواه وبرؤاه، وما يتضمّنه من أسس خلق الدولة الناجحة وأسس العمل الإداري الصحيح.

ونتيجة للاطلاع على بعض الدراسات والبحوث في الإدارة والقيادة، وجدنا أنّ العديد من الباحثين الذين سلطوا الضوء على علم الإدارة والقيادة عند الإمام علي عليه السلام كانوا قد بنوا إعجابهم به كون محتوياته وأفكاره كأنها بنيت على فلسفة إدارية حديثة ومتجددة أخذت الطابع العملي والعلمي والموضوعي في شكل ومضمون من يتصدى لإدارة الحكم الأمر الذي يخلق ثقافة تنظيمية واعية في إدارة الدولة.

كما إنَّ هذا الفكر الإداري للإمام علي (عليه السلام) يمثل في حقيقة الأمر أسلوباً قيادياً متميزاً أنشأه الإمام علي (عليه السلام) على فلسفة إسلامية ذات نظرية تختلف عن كلِّ نظريات القيادة والإدارة، قائمة على ضرورة إقناع المجتمع بقيادته وبمبادئها، وخصوصاً إذا أثبتت تلك المبادئ نجاحها في الواقع العملي والتطبيقي.

إنَّ المبدأ المهم الذي ركَّز عليه الإمام علي (عليه السلام) هو ضرورة إشباع الحاجات الأساسية، وتحقيق الرغبات بالصورة التي تتلاءم مع توقعات أفراد المجتمع؛ الأمر الذي يساعد على تحقيق الرضا والسعادة لديهم والقناعة التامة بقيادتهم الإدارية.

ومن الجدير بالذكر إنَّ مبدأ القيادة (leadership) في فكر علي (عليه السلام) ليست امتيازاً وتميزاً، بل هو عنوان عمل وطريق خدمة، يعمل الرئيس والوالي عن طريق فريق عمل متعاون لأداء الأعمال وإظهار طاقات المرؤوسين والعمل الجاد على تطويرها والنهوض بها وخلق روح التنافس في النجاح والتميز.

ولقد حرص أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على ضرورة تطوير القائد الناجح لأساليبه القيادية والإدارية والعمل على الاقتراب من المجتمع وعدم الابتعاد عنه أو الانعزال، بل خلق حالة شعور لدى أفراد المجتمع أنَّ القائد أو الوالي أو الرئيس يشعر بما يشعر به الآخرون، ويتعاش مع آمالهم وآلامهم وطموحاتهم، ويحسُّ بما يتألمون وبما يريدون.

وكذلك سعى الإمام علي (عليه السلام) إلى خلق قناعة لدى القائد بضرورة جعل العنصر البشري أو الإنساني هو الثروة الحقيقية الناهضة في بناء الدولة، وهو المحور الأساس في نجاح القائد في عمله. فالعنصر البشري يمثل الركيزة الأساسية لعمل القائد، ونجاحهم يمثل نجاح القائد، وانحرافهم عن المستوى المطلوب يمثل انحراف القائد عن تحقيق الأهداف المرسومة.

### رؤية الإمام علي عليه السلام في رسالته لعثمان بن حنيف:

حفلت شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالعديد من العطاءات الفكرية على المستوى النظري والتطبيقي في الاتجاهات المختلفة الدينية والاجتماعية والقضائية والسياسية والإدارية، وغيرها من مناحي الحياة الأخرى. فهذا هو عليه السلام يرسم خطة النجاح في العمل ويوجه ويرشد الأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء في خطبه ورسائله وحكمه إلى السير في هذا الاتجاه بموعظة ونصح وخبرة متناهية الدقة، فكأنه عليه السلام يضمن نجاح عمل الإنسان في هذه التوجيهات والنصائح المقدمة لنا جميعاً.

وقد احتل الجانب الإداري حيزاً كبيراً في اهتمامات الإمام عليه السلام من أجل بناء شخصية القائد وبناء الدولة التي يقودها بصورة سليمة، ولا سيما أنه القائد (إذا صلح الراعي صلحت الرعية). ومن أهم وأبرز الأمور الإدارية بعد عهده المبارك إلى مالك الأشتر رضي الله عنه هي رسالة الإمام علي عليه السلام إلى الصحابي الجليل عثمان بن حنيف الأنصاري حينما ولاه البصرة، هذه الرسالة التي أصبحت محط أنظار المتخصصين في علم الإدارة والقيادة والتنمية، لما فيها من أسس فلسفية وفكرية وتربوية لنجاح القائد في عمله.

كما إن مضمون الرسالة أعطى بعداً استراتيجياً للبصرة التي عرفت بأهميتها التاريخية والدينية والاقتصادية والاجتماعية، والتي كان لها وقع كبير في مجريات الأحداث العربية الإسلامية، وحفلت مسيرتها بالوقفات العديدة والمنعطفات الكبيرة في حياة الإسلام والمسلمين.

وللعلم إن شخصية الوالي عثمان بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه لها موقعها في الإسلام، فهي ليست بالشخصية البسيطة، وإنما هي شخصية متميزة؛ فهو صحابي جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومعروف بولائه للإمام علي عليه السلام، ولديه تاريخ ناصع ومتميز ومنير في الدفاع عن الإسلام. فقد اشترك في معارك الإسلام، وهو من الأوائل الذين رفضوا بيعه

الآخرين من غير الإمام علي عليه السلام فضلاً عن أنه لديه خبرة في العمل الإداري، وإنه لم يرتكب محرماً، وإنما هو أمر لا يليق به. فأرسل إليه الإمام علي عليه السلام رسالة لفت انتباهه بأن عمله غير مناسب ولا يليق به، فكأنه يقول له أنت محسوب علينا، وجزء منا، ووالينا وخليفتنا وممثلنا، فيجب أن تكون ممثلاً حقيقياً بكل ما تحويه الكلمة. فمضمون هذا الكتاب هو عتاب شديد، وليس انتقاصاً؛ فالرجل من حواربي الإمام علي عليه السلام ومعروف بسيرته الطيبة وسلوكه الحسن.

وقد وضح الإمام علي عليه السلام جملة من الإرشادات والتوجيهات التي لم تكن خاصة بعثمان بن حنيف فقط، بل هي توجيهات للجميع، ولن يتصدى للإدارة والقيادة. ففي معايير الإدارة والقيادة، لا بد من وجوب مراعاة الحالات الإنسانية في القيادة، وأن يكون القائد إنساناً قبل أن يكون قائداً. فالصفة الإنسانية هي عين نجاح القائد أو الوالي. فمن واجبات الوالي أن يبتعد عن الأمور التي تبعده عن الله وتدخله في الشبهات.

### ثانياً: الدراسات السابقة:

حصل الباحث على العديد من الدراسات السابقة والبحوث التي تناولت بعض الأمور القيادية في عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر رضي الله عنه، وسيكتفي بعرض ثلاث دراسات منها؛ وكما يأتي:

١. دراسة (الجيلاوي، ٢٠١٧): الموسومة: (التعايش السلمي دراسة في المأثور عن الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر).

أجريت هذه الدراسة في العراق، وهدفت إلى معرفة التعايش السلمي، دراسة في المأثور عن الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر. استعمل الباحث منهج البحث العلمي في دراسته، إذ عرض دراسته بمنهجية متكاملة.

وقد حاول الباحث تسليط الضوء على الجوانب المهمة في خطاب الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) التي تتضمن الدعوة إلى السلم والتعايش السلمي بين أبناء المجتمع كافة، وعدم التمييز بين طبقاته المختلفة فضلاً عن احترام حريات الجميع، وأنهم أفراد متساوون، كونهم أبناء مجتمع واحد. وفي الختام، بين الباحث أنّ موضوع التعايش السلمي الذي أكدّه الإمام علي (عليه السلام) وصفة ناجحة للتعامل الحضاري، وبناء المجتمع والنهوض به، وتطوره وتقدمه، وأنّه سعى إلى وضع دعائم الدولة الناجحة التي تقوم على احترام حقوق الإنسان وإنسانيته.

٢. دراسة (موسى وقُدوري، ٢٠١٧): الموسومة: (التنظيم القضائي في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)).

أجريت هذه الدراسة في العراق، وهدفت إلى معرفة التنظيم القضائي في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)، استعمل الباحث منهج البحث النظري في دراسته. فقد ركز الباحث على موضوع التنظيم القضائي والإداري في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر؛ وكذلك ركز الباحث على التنظيم الموضوعي للقضاء مستعرضاً أهمّ الأمور التي يراها الإمام علي (عليه السلام) مهمة في شخصية القاضي ومشروعية القضاء، وبالنظر إلى أهمية القضاء كونه من المهن المقدسة، فعن طريق القضاء العادل يتحقق الأمن والعدل والاستقرار في المجتمع. نرى أنّ الإمام علي (عليه السلام) يؤكد مسألة التنظيم الإداري الدقيق للقضاء وضرورة متابعة التحقيق الجنائي للوصول إلى الحكم القضائي الصحيح.

٣. دراسة (العابدي، ٢٠١٨): الموسومة: (المشورة في فكر الإمام علي (عليه السلام) عهد مالك الأشتر أنموذجاً).

أجريت هذه الدراسة في العراق، وهدفت إلى معرفة المشورة في فكر الإمام علي (عليه السلام) عهد مالك الأشتر أنموذجاً. استعمل الباحث منهج البحث النظري في دراسته، إذ عرض دراسته بمنهجية متكاملة، ركّز من خلالها على ما متوافر من أفكار تخصّ المشورة

والاستشارة التي ركز عليها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في عهده المبارك لمالك الأشتر (رضي الله عنه). فقد عرض الباحث فقرات خاصة من العهد الشريف وبين تفاصيلها وما فيها من عبر ودروس ومواعظ وحكم. كما أكد الباحث المبادئ التي تخص شخصية المشور في العهد المبارك، والتي يراها أمير المؤمنين ضرورية لمن يريد القائد أن يستشير ويسترشد برأيه. وفي الخاتمة، حدّد الباحث مجموعة من الأمور أهمّها أنّ المشورة لا غنى عنها للإنسان في حياته الإدارية واليومية سواء كان والياً أو غيره.

### مناقشة الدراسات السابقة:

١. تناولت الدراسات السابقة جميعها عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه). أما الدراسة الحالية، فقد تناولت رسالته إلى عثمان بن حنيف الأنصاري (رضي الله عنه).
٢. أجريت الدراسات السابقة جميعاً في العراق، وكذلك الدراسة الحالية.
٣. اختلفت الدراسات السابقة من حيث الموضوع فدراسة (الجيلاوي، ٢٠١٨) تناولت التعايش السلمي، ودراسة (العابدي، ٢٠١٧) تناولت المشورة، ودراسة (موسى وقدوري، ٢٠١٧) تناولت التنظيم القضائي. أما الدراسة الحالية فقد تناولت مقومات القيادة.

## المبحث الثالث إجراءات البحث

### أولاً: تحديد مجتمع البحث:

يعدّ تحديد مجتمع البحث من الخطوات المهمة والأولى لأيّ مشروع بحث يتبع منهج البحث العلمي لإجراء الدراسة. وفي هذا البحث يكون مجتمع البحث رسالة الإمام علي (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري (رضي الله عنه).

### ثانياً: المنهجية والعمل:

نصّ رسالة الإمام علي (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري (رضي الله عنه): (أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ حُنَيْفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادُبَةٍ، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوءٌ، وَغَنِيَّتُهُمْ مَدْعُوءٌ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضُمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيقَنْتَ بِطِيبِ وَجْهِهِ فَنَلْ مِنْهُ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ.

أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعْيُنُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا، وَلَا أَدَخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًا، وَلَا أَعْدَدْتُ لِنَالِي ثَوْبِي طِمْرًا، بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَمَتْهُ السَّيِّئَاتُ، فَسَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنَعَمَ الْحُكْمُ اللَّهُ، وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَاكَ وَعَيْرِ فَدَاكَ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدِ جَدَثٍ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فَسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمُدَّرُ، وَسَدَّ فَرْجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَرْلَقِ.

وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إِلَى مُصَفًى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمَحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا  
الْفَرْ، وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعِمَةِ - وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ  
بِالْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ - أَوْ آيَّتِ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَّتِي  
وَأَكْبَادُ حَرَى، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبْتَ بِيْطَنَةَ      وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَحْنُ إِلَى الْقِدِّ

أَفْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونُ أَسْوَةً  
هُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِفْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمُرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلْفُهَا، أَوْ  
الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يَرَادُ بِهَا، أَوْ أَتْرِكَ سُدًى، أَوْ أَهْمَلُ  
عَابِثًا، أَوْ أَجَرَّ حَبْلَ الصَّلَاةِ، أَوْ أَعْتَسَفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ!

وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ  
الْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ، أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُودًا، وَالرَّوَاعِجَ الْخَضِرَةَ أَرْقُ  
جُلُودًا، وَالنَّابِتَاتِ الْعَذِيَّةَ أَقْوَى وَقُودًا، وَأَبْطَأُ حُمُودًا، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَالصَّنَوِ مِنَ  
الصَّنَوِ، وَالذَّرَاعِ مِنَ الْعُضْدِ.

وَاللَّهُ لَوْ تَطَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمَكَنْتِ الْفَرْصُ مِنْ رِقَابِهَا  
لَسَارَعَتْ إِلَيْهَا، سَاجِدَةً فِي أَنْ أُطَهَّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمُعْكَوسِ، وَالْجِسْمِ  
الْمُرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمُدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ.

إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ، قَدْ انْسَلَلْتُ مِنْ مَحَالِيكَ، وَأَفْلَتُ مِنْ حَبَائِلِكَ،  
وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِصِكَ، أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَزْتَهُمْ بِمَدَاعِيكَ؟! أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ  
فَتَنْتَهُمْ بِزَخَارِفِكَ؟! هَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ، وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ شَخْصًا مَرِيئًا،  
وَقَالِبًا حَسِيًّا، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَزْتَهُمْ بِالْأَمَانِي، وَأَمَمُ أَلْقَيْتَهُمْ فِي الْمَهَاوِي،  
وَمُلُوكُ أَسْلَمْتَهُمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، إِذْ لَا وَرْدَ وَلَا صَدَرَ!

هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِئَ دَحْضَكَ زَلَقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجْجَكَ غَرِقَ، وَمَنْ ارْزُورَ عَنْ حَبَائِلِكَ  
وُفِّقَ، وَالسَّلَامُ مِنْكَ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مَنَاحُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمِ حَانَ انْسِلَاحُهُ.

اغْزُبِي عَنِّي! فَوَاللَّهِ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتَسْتَدِلِّيَنِي، وَلَا أَسْلَسُ لَكَ فَتَقُودِيَنِي، وَإِنَّمَا اللَّهُ -يَمِينًا  
أَسْتَشْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ- لَا رَوْضَنَ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ  
عَلَيْهِ مَطْعُومًا، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُومًا؛ وَلَا دَعَنَ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً  
دُمُوعَهَا.

أَتَمْتَلِي السَّائِمَةَ مِنْ رَغِيهَا فَتَبْرُكْ؟ وَتَشْبَعُ الرِّبِضَةَ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرِبْضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلَيَّ  
مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ؟ قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السَّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ  
الْمُرْعِيَةِ!

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمَضَهَا،  
حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعَشَرِ أَسْهَرِ عُيُونِهِمْ  
خَوْفَ مَعَادِهِمْ، تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَنَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شَفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ  
بَطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ (أَوَّلِكَ حِزْبُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) فَاتَّقِ اللَّهَ يَا  
ابْنَ حَنِيفٍ، وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ (نهج البلاغة، ٢٠١٥: ٥٠٤).

٢. تحليل لرسالة الإمام علي عليه السلام إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري، إذ  
يمكن أن نستنتج مقومات القيادة الآتية:

مراقبة الولاية والعمال ومتابعتهم، ومعرفة ما يقومون به ويؤدونه من أعمال وأفعال في  
وظيفتهم، ولكي لا ينحرفوا عن منهجه الشريف، وإنَّ الإمام علي عليه السلام كان على دراية تامة  
وإحاطة كاملة بموضوع المأدبة؛ وهذا لا ينمُّ إلَّا عن قوة مراقبة الوالي ومتابعة تصرفاته.

تقويم العمل بصورة مستمرة، وتشخيص الجوانب الإيجابية، والعمل على تعزيزها،  
وتحديد السلبيات، ووضع العلاج المناسب لها.

إحساس من يتولى الأمر أنه متابع ومراقب؛ فلا بدّ من السير بخطوات دقيقة ومحسوبة وناجحة، والاستشارة الدائمة لأرباب العقول من جهة أخرى.

عدم الانسياق وراء دائرة اللا شعور وعدم التفكير، بل يجب عليه أن يلاحظ كلّ خطوة يخطوها وتصدر منه فلا تكون خطواته وأفعاله وأقواله إلّا عن دراية وشعور وتفكير وتدبر ومعرفة تامة، ولا ينساق وراء الأعراف الاجتماعية البعيدة عن الواقع الإسلامي الحقيقي.

تأكيد عملية الإصلاح الديني والمالي والاجتماعي لشخصية الوالي أو المتصدي، وعدم التأني في تنبيه أي مقصّر تجاه المجتمع والرعية. فلا يوجد لأحد خطوة أو تميز عند الإمام علي (عليه السلام) إلّا بمبدأ التقوى والعمل، والطاعة لله تعالى، والإخلاص في العمل. فضلاً عن ذلك، لا توجد حصانة لشخص حتى وإن كان متصدياً للولاية.

أن يكون الوالي متبصراً عارفاً بأحوال الولاية وما فيها من واقع اجتماعي؛ أي بمنظار علم النفس أن يجري مسحاً شاملاً من خلال الخواص والخلّص والمؤمنين لمعرفة الشخصيات، والاطلاع على تاريخهم، حتى لا يكون الوالي عرضة للانجرار وراء أهواء الآخرين وأغراضهم ورغباتهم، فيكون ممن باع دينه وآخرته لأجل غيره.

عناية الوالي بصورة أساسية بالمعيار الأساس لدى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو العناية بالفقراء. فليس فكر الإمام علي (عليه السلام) رفض الوليمة، بل إنّ الوليمة التي دعي إليها الوالي كانت مخصصة للطبقة الأرستقراطية فقط من أبناء البصرة. فلو كانت الوليمة عامة لا اعتقد أنّ الإمام علي (عليه السلام) يعترض عليها، بل بالعكس قد يشجع إذا كانت عامة وللفقراء فيها نصيب كبير والوالي يحضر، حاله حال المدعوين الآخرين. (وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيَّتُهُمْ مَدْعُوٌّ) عبارة فيها استغراب كبير يبثه الإمام علي (عليه السلام) ويبدأ به رسالته إلى الوالي، فكأنّه يرى أنّ هذه الوليمة لم تعدّ لله تعالى ولم تكن إلّا محاولة من هؤلاء الداعين لاختراق شخصية الوالي وجعله يعيش حالة السلطوية والابتعاد عن الرعية

والمحتاجين، وعدم الاحتكاك بهم ومعرفة أحوالهم، والانعزال عنهم، فكأنهم طبقة منسية لم يكن لها وجود في هذا المكان المليء بالأغنياء والتجار وأصحاب الأموال، وهم يأكلون ما لذ وطاب من وجوه الأطعمة المختلفة.

حرص الإمام علي عليه السلام على خلق حالة اليقظة والتنبه والوعي وحيوية الضمير والإحساس بالآخرين والوعي بما يجري حوله وتفهم الأمور. وهذا السعي للإمام عليه السلام يريد أن يخطّ بحروفه وكلماته وعباراته نهجاً مستقيماً ناضجاً يسير عليه من يتولى الإمام علي عليه السلام ويقتدي بسيرته ويجعله أسوة وقدوة في الواقع والعمل.

بين الإمام علي عليه السلام أنّ على الوالي الناجح في عمله أن يكون متحلياً بالتأني في اتخاذ القرارات في الأصعدة جميعها، وأن لا يتسرع وينساق وراء ظواهر الأمور، وأنّه يجب عليه قراءة ما وراء السطور في تصرفاته حتى على أبسط الأشياء، وإن كانت دعوة لوليمة أو غيرها، فلا يتسرع ويستعجل في إجابة الدعوات التي توجه إليه إلا بعد السؤال والاستفهام وفرض الفرضيات والاحتمالات لهذه الدعوة أو الوليمة ومعرفة خفاياها، وما الذي يكمن من وراء كلّ دعوة توجه إليه؛ هل هناك مناسبة لها؟ ما وراءها؟ ما أهدافها؟ ما المقصود منها؟ وما الغرض منها؟ ما المصلحة منه؟ وأن يجعل لنفسه موازين يسير عليها كي لا يبتعد عن طريق الحقّ وجادته.

ينبغي للوالي أن يكون حذراً واعياً في التعامل مع عليّة القوم لكي لا يذهب في منزلقات الدنيا ومنزلقات الأهواء، فالوليمة التي وجهت إليه كانت من شخص واحد (أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة)، فكان من الحريّ بالوالي أو المتصدّي أن يلزم الدقة والتأني في الإجابة لمثل هذه الأمور، فالشخص الواحد ونخبة أغنياء مدعويين لا وجود للعائل بينهم؛ إذن هي وليمة أرسقراطية نخبوية للأغنياء فقط، وهذا لا يتناسب مع الخطّ العلوي الشريف وتوجيهات وسيرة الإمام المعصوم عليه السلام.

العمل بمبدأ القدوة والأسوة وضرورة سير المأموم على نهج الإمام؛ وفي الوقت نفسه يوضح فلسفته الشريفة في هذه الحياة ويرى أنه من الواجب على الولاة أن يقتدوا بالأمير والرئيس في تصرفه وتعامله وحياته ومأكله وملبسه وسلوكه، وهو الذي قد (اكتفى من دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ) ولا سيما أن إمامهم وأميرهم علي عليه السلام كرس حياته للفقراء والأيتام والمعوزين.

أن يكون الوالي جزءاً من المجموعة التي يرأسها، يتحسس آلامهم ويسعى إلى تحقيق آمالهم، ويعيش معهم خشونة العيش وصعوبة الحياة، ويحسّ ببعيدهم، ويتأمل في حاجاتهم. فهناك من لا يجد قرص الخبر، وليس لديه لقمة يسدّ بها جوعته. فالولاة والقادة الناجحون هم أصحاب مجارة ومساواة مع رعيّتهم وإخوانهم لا يتقدّمون عليهم لا في مأكّل ولا في ملبس؛ وهي من صفات القائد الناجح هو أن يكون غير مميز ولا متصدر أو يترفع على القمة بما لديه من إمكانيات مادية ومعنوية.

ابتعاد الوالي عن حالة الترف وأن لا يكون من المترفين الباذخين، أو ممن يتعود على الترف، بنذ جشوبة العيش، وأن يتخذ خطأً ومستوى اقتصادياً مثل الفقراء، وأن يكون الوالي محتاطاً في تعامله، وأن يهذب نفسه وسلوكه، وأن يتعد عن كلّ ما يخلّ باستقامته وخلقه. وعلى الوالي أن يكون جزءاً من عامة الناس وليس جزءاً من الخاصة، وأن لا يعتلي عليهم بسلوك وتصرف، فيفترض أن يكون بمستوى أفقر الناس وأقلّهم مالاً.

## المبحث الرابع

### نتائج البحث

إنَّ الإمام علي عليه السلام يدعو القائد إلى التكيّف الإيجابي مع المجموعة الصالحة والعيش بأمن وأمان مع المجتمع الذي يعيش فيه ويتحسس آماله وآلامه وطموحه.

سعي الإمام علي عليه السلام إلى توعية القائد أو الحاكم بمجريات الأمور وأن يكون واعياً فطناً، وأن لا ينقاد وراء المغريات والشبهات، وأن يتحسس كلّ ما يدور حوله، وأن يكون نبهاً غير غافل.

توجيه الإمام علي عليه السلام باعتماد أيسر الأمور وأبسطها، وأن على الوالي أن لا يسرف في مأكله ومشربه، وأن يلتزم بقدر كافٍ، وأن لا يسعى إلى الادخار أو الإسراف في النفقة.

أرشد الإمام علي عليه السلام الوالي بضرورة مشاركة الآخرين في حياتهم، وإن كان الوالي غنياً، وذلك لأهمية مهنته وعمله، ولخطورة موقع ومسؤوليته تجاه الناس.

دعوة الإمام علي عليه السلام إلى أن يكون الوالي ذا تفكير عميق، وأن لا يضيع وقته في تلبية الدعوات المشبوهة وغير المعروفة. إنَّ الموقع الاجتماعي للحاكم والمكانة الدينية تدعوه إلى ضبط النفس وعدم الانصياع للباطل، وعدم الإسراع إلى إجابة أيّ دعوة إلا بعد معرفة جميع جوانبها، حتى لا يقع في الفتن والباطل.

تأكيد الإمام علي عليه السلام أهمية مراعاة الموقع والعمل والوعي والثبات في التعامل مع المواقف المختلفة، والاهتمام بطبقات المجتمع كافة، والتفاعل معهم أخذاً وعطاءً.

إنَّ أسلوب الإمام علي عليه السلام في رسالته كان قد غلب عليه طابع العتب الشديد واللوم والتأنيب لشخصية عثمان بن حنيف الأنصاري. وإن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على عدم رضا

الإمام علي عليه السلام عن إجابة الوليمة والإسراع إليها من جانب، ولقرب ابن حنيف الأنصاري للإمام علي عليه السلام من جانب آخر.

إن هذه الرسالة المباركة هي عبارة عن خطاب عام يتخطى الزمان والمكان، موجّه إلى كلّ من يتصدّى لإمرة المسلمين وولايتهم؛ فهي خارطة عمل لشخصية الوالي والقائد والحاكم تضمن له سلامته ونجاحه وقبوله من رعيته.

### التوصيات: يوصي الباحث بما يأتي:

١. توجيه القائمين في وزارتي التربية والتعليم العالي بضرورة تضمين أفكار الإمام علي عليه السلام في المناهج الدراسية للمراحل الدراسية كافة، واستلهاهم الدروس والعبر منها.
٢. الاستفادة من توجيهات الإمام علي عليه السلام في استنباط المعايير والقيم الشخصية والنفسية لبناء الشخصية المتكاملة للقائد الناجح المتباعد عن مغريات الدنيا وزخرفها.
٣. تناول المؤسسات التربوية والتعليمية والصحية، الجوانب النفسية والأسس الصحيحة والسليمة في علاج الاضطرابات والمشكلات والأمراض النفسية على وفق القواعد والمعالم المنهجية التي رسمها أهل البيت عليهم السلام.
٤. إقامة ندوات وورش ودورات تدريبية للمتصدين للعمل الإداري والقيادي لبيان الأفكار الأساسية التي تؤهلهم للنجاح في أعمالهم وتكوين أطر القيادة الناجحة لديهم.
٥. تفعيل الدراسات الإدارية والقيادية في فكر الإمام علي عليه السلام، وخصوصاً لدى طلبة الدراسات العليا.

### المقترحات: يقترح الباحث إجراء الدراسات الآتية:

١. مقومات الإدارة عند الإمام علي (عليه السلام) - رسالته إلى عثمان ابن حنيف الأنصاري أنموذجاً.
٢. سمات القائد عند الإمام علي (عليه السلام) - رسالته إلى عثمان ابن حنيف الأنصاري أنموذجاً.
٣. معايير اختيار القائد عند الإمام علي (عليه السلام) - رسالته إلى عثمان ابن حنيف الأنصاري أنموذجاً.
٤. مقومات الإدارة عند الإمام علي (عليه السلام) - عهده إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) أنموذجاً.
٥. سمات القائد عند الإمام علي (عليه السلام) - عهده إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) أنموذجاً.
٦. مقومات الإدارة عند الإمام علي (عليه السلام) - عهده إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) أنموذجاً.

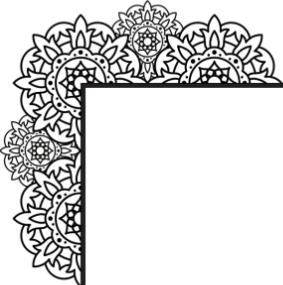
## المصادر

\* القرآن الكريم.

١. الأصفي، محمد مهدي (٢٠١٢): الثقافة القيادية والإدارية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ط ١، الناشر العتبة العلوية المقدسة النجف الأشرف، العراق.
٢. الأهدل، عبد الله قادري (١٩٩٩): المسؤولية في الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
٣. حسين، سعد مهدي (٢٠١٠): القيادة والتفكير الاستراتيجي، مجلة كلية التراث الجامعة، الإصدار ٧، جامعة التراث، بغداد، العراق.
٤. دار التوحيد (٢٠١٥): سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ط ٤، مطبعة دار التوحيد، الكويت.
٥. سعد، عبد المنعم فهمي (٢٠٠٦) الملامح الحديثة للإدارة التربوية، ط ١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر.
٦. العديلي، ناصر محمد (١٩٩٣): إدارة السلوك التنظيمي، معهد الإدارة العامة، الرياض، السعودية.
٧. عوض، عباس محمود (١٩٩٠) القيادة والشخصية، الطبعة الثالثة - دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
٨. الجيلاوي، محمد عباس (٢٠١٧): التعايش السلمي دراسة في المأثور عن الإمام علي عليه السلام في عهده لملك الأشر، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، العراق.

٩. القيسي، طه فريح (٢٠١٣): القائد مؤهلاته وصفاته في المنظور القرآني في ضوء سورة النمل، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العراق.
١٠. الكعبي، علي موسى: معالم الإصلاح عند أهل البيت (عليه السلام)، ط ١، إصدار مركز الرسالة، مطبعة ستاره، قم المقدسة ١٤٢٩ هـ.
١١. الكناني، صبيح كرم (٢٠١١): جودة الإدارة في فكر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، مجلة جامعة أهل البيت (عليه السلام)، العدد ١٧ ص ٦٢ - ٨١.
١٢. المراياتي، كامل، الأمن الاجتماعي: (١٩٩٧):، بيت الحكمة، سلسلة (٧)، بغداد، العراق.
١٣. موسى، ساهر محي، وقدوري ظافر أكرم: التنظيم القضائي في عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشرع (عليه السلام)، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، العراق ٢٠١٧.
١٤. الموسوي، نجم عبدالله غالي، عيال عبد الباسط محسن (٢٠٢٢): القيادة الجامعية (الرؤية والطموح)، ط ١، دار الوضاح للنشر، عمان، الأردن.
١٥. المغربي، محمد الفاتح محمود بشير (٢٠١٨) أصول الإدارة والتنظيم، ط ١، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر.
١٦. نهج البلاغة، تحقيق السيد هاشم الميلاني، قسم الشؤون الفكرية، العتبة العلوية المقدسة، النجف الاشرف، العراق.





**مَنْظُومَةُ الْقِيَمِ الْفَاطِمِيَّةِ  
وَأَثَرُهَا فِي بِنَاءِ الْمَجْتَمَعِ**

الباحث

أ.م.د. نوري كاظم الساعدي

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول، فلم تجد مساعاً إلى بلوغ غاية ملكوته. اللهم صل على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، صلاة لوجهك الكريم لا يحصيها أحد غيرك.

تعد منظومة القيم الأداة الفاعلة في استمرار المجتمعات الإنسانية، وسراً من أسرار بقائها؛ لأنها تحكم العلاقات السائدة بين الأفراد وتوجهها، فهي قوانين أخلاقية، ودينية، واجتماعية.

وإذا كانت تلك القيم مصدرها الله - سبحانه وتعالى - فإنها تكفل للبشر - عندما يتعاملون بها - حياة يسودها: العدل، والمساواة، والصدق، والأمانة، والمودة، والرحمة، والإيثار، وغير ذلك من قيم ترتقي بهم؛ حينئذ يأخذ كل ذي حق حقه.

ومن الراسخ أن تلك القيم، لا بد أن تكون محكومة بمعطيات أخلاقية، فإن الأخلاق، وسموها الطريق الأمثل المؤسس لمنظومة القيم، وهذا السبيل أشار إليه الحق تعالى ابتداءً، وأنه حاضر في رسوله الكريم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: الآية: ٤].

وفي هذا العطاء انبثقت منظومة القيم الفاطمية، ونمت، وآت أكلها بوصف السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلوات الله عليهما) نشأت، وترت في بيت النبوة - رسول الله وأم المؤمنين السيدة خديجة (صلوات الله وسلامه عليهما)، فهي الأم والقُدوة في أهل البيت (عليهم السلام) وكانت المثل الحي، والفاعل لمعطيات النبوة. وقدمت ذلك الرصيد سلوكاً ومنهجاً، تأكدت أواصره مجتمعة مع أمير المؤمنين (عليه السلام).

إنّ التحديات التي يواجهها المجتمع المعاصر تحديات كبيرة جداً، ولعلّ السبب الرئيس فيها، هو التواصل غير المقنن، وغير المنضبط بين المجتمعات في أنحاء العالم من دون النظر إلى أنّ لكلّ مجتمع ثقافته، وعقائده التي ينطلق منها في رؤيته للحياة والوجود. يزداد على هذا المشاكل الاجتماعية التي تواجه المجتمع عندما يتعد عن روح الإسلام، وقيمه، وفي عدم استحضاره للقدوة الصالحة. وأرى أنّ أتمّ قدوة وأكملها هي السيدة فاطمة بنت نبينا (صلوات الله وسلامه عليهما). إذ يمكن للمجتمع المسلم -على نحو خاص- والمجتمع الإنساني -على نحو عام- أن يتخذها مناراً تسير على هديها ويسلك سبلها. فهي من أهل البيت الذين قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٣]. وهي التي قال فيها رسول الله ﷺ: (كانت أربع نساء سيدات زمانهنّ، مريم، وآسية، وخديجة، وأفضلهن من حيث الزمان: فاطمة).

من أجل هذا، كان بحثي الموسوم بـ(منظومة القيم الفاطمية وأثرها في بناء المجتمع). اتجهت فيه إلى رصد بعض من منظومة القيم الفاطمية التي يمكن للمجتمع استثمارها في حياته، على وفق منهج تحليلي، فالتفتنا فيه إلى أربعة مطالب؛ المطلب الأول: منطلقات تأسيسية: التفتنا فيه إلى بيان مفهومي المنظومة، والقيم: في اللغة، والاصطلاح. والمطلب الثاني: منظومة القيم الفاطمية في القرآن الكريم: توجّهنا فيه لتقاء مراحل ثلاث مهمة، تبين حياة السيدة الزهراء (عليها السلام) وينشق منها عدد من القيم التي تختص بأهل البيت (عليهم السلام) والسيدة الزهراء. وغاية البحث -من ذكر هذه المراحل- الإشارة إلى أنّ الله تبارك وتعالى أوجب لهم قيماً من الحريّات وأتباعها والسير الحثيث على خطاها. أمّا المطلب الثالث فكان: حجّة القرآن الكريم في مطالبتها بالحق: إذ وضفت (عليها السلام) آيات الله البينات في مطالبتها بحقّها في أثناء الخطبة الفدكية. وإنّ ثمة قيماً لها حضور في تلك الخطبة.

وسعى البحث في المطلبين الثاني والثالث إلى الالتفات فيهما إلى مبدأ عدم الافتراق بين كتاب الله، وأهل البيت عليهم السلام في حديث الثقلين. أمّا المطلب الرابع: فقد أشرنا فيه إلى قيمة الصديق الذي لم يفارق المعصومة أبداً، فكان: صديق السيدة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.

وأخيراً: كانت الخاتمة: وهي في حقيقتها نتائج وتوصيات فاعلة في بناء المجتمع، وتوجيهه نحو منظومة قيم تدعو إلى الرفعة والسمو.

والحمد لله ربّ العالمين في الأولى والآخرة، وصلّى يا ربّ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، واجعل من الصلاة على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد حصناً، وسوراً، وسداً منيعاً.

## المطلب الأول

### منطلقات تأسيسية

#### ١: مفهوم المنظومة:

في اللغة: مادة: (نظم): النّظم: الطريقة، والنظام: هو كُلُّ خِيطٍ يُنْظَمُ به، ودرّ منظوم، ومُنْظَمٌ، وهو جمع اللؤلؤ في السلك، ويقال: للجمع نُظْمٌ، والانتظام: يُراد به اتساق الكلام، والأمر. والمنظومة هي صيغة المؤنث لمفعول (نَظَمَ).<sup>(١)</sup>

في الاصطلاح: هي مجموعة من المفاهيم تختصّ بموضوع معين، وتمثل كنه الموضوع، ورؤيته وموقفه في الحياة، وتتعدد مصاديقها بحسب الموضوع الذي ترتبط به. فإن ارتبطت بالأفكار، فهي منظومة فكرية، وإن ارتبطت بالمجتمع، فهي منظومة اجتماعية، وإن ارتبطت بالسلوك، فهي منظومة سلوكية، وإن ارتبطت بالعقيدة، فهي منظومة عقدية، وإن ارتبطت بالقيم، فهي منظومة قيمية؛ وهكذا الحال مع عدد من المفاهيم. وتمثل المنظومة القيمية النسق القيمي للمجتمع<sup>(٢)</sup>.

#### ٢: مفهوم القيم:

في اللغة: مادة (قيم) وردت من ضمن مادة (قوم): وهي مصدر بمعنى الاستقامة. تقول العرب: قِيَمَ القوم: يريدون به: الذي يَسُوسُ أمرَ القوم، ويُقَوِّمُهُم، وقومُ العود، وأقامه، فقام، واستقام، وتقوّم، وهو الحي القيوم: الدائم الباقي، والقيّمة: يراد بها الملة

(١) ينظر: ترتيب كتاب العين: (مادة: نظم): ٣ / ١٨٠٩ - ١٨١٠. وأساس البلاغة: (مادة: نظم): ٤٦٣. والتعريفات: ٢٣٨.

(٢) مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها من منظور إسلامي - بحث: - ٨٢.

المستقيمة. إذ جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: الآية: ١٦١]. فالدين القيم: هو المستقيم الذي لا عوج فيه.<sup>(١)</sup>

في الاصطلاح: هي المبادئ، والمعايير، والمعتقدات الأساس التي تعدّ الموجه العام لسلوك الفرد التي تساعد على تقويم معتقداته، وأفعاله وصولاً إلى المثل العليا، مجموعة الفضائل الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية التي يعتمد عليها المجتمع في بقائه وديمومته، وتحافظ على استقراره وتوازنه. ويمكن القول: إنّها معايير الحكم على سلوك الأفراد في الوسط الذي ينتمون إليه ويعيشون فيه. وتنتقل بين أفراد المجتمع بوساطة التربية، والتعليم، والتلقين، والتثقيف، والتدريب. وعلم القيم: وهو العلم الذي يشتمل على الفضائل، وعلى نحو خاص: القيم الأخلاقية. أو المثل.<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا، فإنّ منظومة القيم: هي مجموعة من المفاهيم التي تشير إلى المثل العليا الواجب السير على خطاها بوصفها الأنموذج الذي يجب الأخذ بهجه في القول والعمل. وعندما ترتبط بالسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) حينئذ تسمي: منظومة القيم الفاطمية، بوصفها (عليها السلام) مصداق المنهج النبوي في التربية والسلوك، والأنموذج في المثل العليا الذي توافرت فيه أعلى درجات السمو، والرفعة، والصدق، واليقين؛ وهي فيما نزل فيها من قرآن كريم، وما توافر من سيرة عطرة، تمثل: مجموعة من القيم، تظهر في قيمتي الحق، والخير، وما يتفرع عنهما، بيد أنّها بمجملها ترتبط بالعقيدة.

ولعلّ من نافلة القول الإشارة إلى أنّ العقيدة من البنيات المؤسسة لمنظومة القيم، والمسلم الحقيقي، ولا بدّ أن ينظر إلى أهل البيت (عليهم السلام) بأنهم صفوة العقيدة، وجوهرها

(١) ينظر: ترتيب كتاب العين: (مادة: قوم) ٣/ ١٥٤٣. وأساس البلاغة: (مادة: قوم): ٣٨٢.

(٢) ينظر: القيم الاجتماعية كما تعكسها ثورة كربلاء: ٢٤-٢٥. ومفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها من منظور إسلامي - بحث: - ٨٢.

اصطفاهم الحق تبارك وتعالى، فأمست طاعتهم واجبة، فهم المعنيون بأولي الأمر<sup>(١)</sup> في قول الحق تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: الآية: ٥٩]. وهم الأئمة، والسادة، حبُّهم حبُّ الله، وبُغضهم بُغضه، وموالاتهم موالاته، ومعاداتهم معاداته، وطاعتهم طاعته، وعصيائهم عصيانه، هذا قول الصادق الأمين عليه السلام فيهم عليه السلام إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام: (سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: أنا سيد ولد آدم، وأنت يا علي والأئمة من بعدك سادة أمتي، مَنْ أحبنا فقد أحبَّ الله، ومن أبغضنا فقد أبغض الله، ومن والانا فقد والى الله، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن أطاعنا فقد أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله)<sup>(٢)</sup>.

من أجل هذا، وغيره، إذا أردنا أن تنتظم مسارات الحياتين، وجبت علينا طاعتهم، وهي طاعة خالصة لله تبارك وتعالى.

وإذا كانت القيم ذاتية، وشخصية أي ترتبط بالفرد، ولها علاقة باهتماماته وتوجهاته ورغباته، أو قيم نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان،<sup>(٣)</sup> فإن منظومة القيم الفاطمية قيم مطلقة؛ لأنها تتخطى حدود الزمان، والمكان. وترتبط بمعطيات الشريعة، وثوابتها، بالقرآن الكريم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل البيت عليهم السلام.

(١) ينظر: أسباب النزول في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام: ٥٣.

(٢) أمالي الصدوق: ١٦ / ٣٨٤.

(٣) ينظر: مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها من منظور إسلامي - بحث - ٨٥.

## المطلب الثاني

### منظومة القيم الفاطمية في القرآن الكريم

إنّ التغييرات التي يشهدها العالم المعاصر ليست مسوّغا لتغيير منظومة القيم الأخلاقية التي تعطي المجتمعات ديمومتها، وفعاليتها في التقدّم، فعند النظر إلى الإسلام، نجد أنّ كل ما جاء به الرسول ﷺ إنّما هو بناء حضاري للفرد والمجتمع، وإعلان عن ثوابت قيمية بداءة من الفعل (اقرأ) في قول الحق تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: الآية: ١]. ستؤتي أكلها فيما بعد. ويمكن أن نسميها مرحلة التأسيس الحضاري، وتتضمن -أيضاً- إعادة النظر في العلاقات بين أفراد المجتمع (رجالاً، ونساء). وهنا اكتسبت المرأة -شأنها في هذا شأن الرجل- مكانة جديدة في محيطها العربي، ومحيطها في العالم. بوصف الرسول الكريم مبعوثاً للناس كافة، هادياً وبشيراً. فالفعل الحضاري للإسلام يقرّ به القريب والبعيد، ومنه ما ذكره المؤرخ الإنكليزي توماس كارليل في قوله: (ولقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، وأحيا به أمة هامدة، وأرضا هامدة، وهل كانت إلّا فئة من جوّالة العرب، خاملة فقيرة تجوب الفلاة، منذ بدء العالم، لا يُسمع لها صوت، وتحسّ منها حركة)<sup>(١)</sup>.

وتعبّر مسيرة الفرد عن أطوار حياته من ولادته: طفولته، وصباه، وشبابه، وشيخوخته، وهرمه، إلى وفاته. وعندما ننظر إلى مراحل حياة السيدة الزهراء (عليها السلام) -يكفي أن نقف عند تلك المراحل في القرآن الكريم، فإنها تمثل المقامات التي اصطفّاها الله سبحانه وتعالى لها، وعرف بها، وهي في الوقت نفسه، تمثل منظومة القيم الفاطمية، ويمكن إجمالها في مراحل ثلاث:

(١) محمد ﷺ المثل الأعلى: ٥٥.

المرحلة الأولى: قبل الحياة الدنيا: كان لرسول الله وأهل بيته - صلوات الله وسلامه عليهم - حضور فاعل بوصفهم مصدر فيوضات الله، والشفعاء عنده لنبية آدم، وإبراهيم عليهما السلام ف((عن المفصل قال: سألت جعفر الصادق عليه السلام قوله عز وجل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: الآية: ١٢٤] الآية، قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وهو أنه قال: يارب! أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ثبت علي! فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم. فقلت له يا ابن رسول الله! فما يعني بقوله (فأتمهن) قال: يعني أتمهن إلى القائم المهدي، اثنا عشر إماماً، تسعة من ولد الحسين عليه السلام.<sup>(١)</sup> فكللمات الله - سبحانه - هم رسول الله وأهل بيته عليهم السلام وسيدة نساء العالمين واحدة منهم، الذين كانوا سبيل آدم إلى الحق تبارك قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: الآية: ٣٧].

من أجل هذا فإن للسيدة الزهراء عليها السلام سموً عالياً لا تدانيه أي امرأة قبل تحقق وجودها في الحياة الدنيا، ومكانتها التي قال تعالى عنها في الحديث القدسي لرسوله الكريم ﷺ: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا فاطمة لما خلقتكم)<sup>(٢)</sup>.

المرحلة الثانية: في الحياة الدنيا: وتظهر في أكثر من آية، منها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلَ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: الآية: ٣]. وذكر المفسرون للكوثر عدداً من المعاني؛ ومنها: ما جاء من إشارة إليها في أسباب نزول الآية المباركة في مجمع البيان: (وقيل: هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام حتى لا يحصى عددهم، واتصل إلى يوم القيامة مددهم)<sup>(٣)</sup>، لا، بل هم سبيل من سبل الشفاعة. وعلى وفق هذا المفهوم، فإنها تمثل بداية الوجود الدنيوي، فالسيدة الزهراء عليها السلام

(١) ينابيع المودة: ١١٢-١١٣.

(٢) مستدرک سفینه البحار: ٥/ ٢٤٣.

(٣) مجمع البيان: ١٠/ ٢٥٩.

عطاء الله لرسوله الكريم ﷺ، وامتداده الذي حاجَّ به الكافرين في مجتمع ذكوري، يُعلي من شأن الرجل على حساب المرأة، عندما صيَّرها امتداد الوجود الإنساني لرسوله عن طريق امرأة هي الزهراء في ذريتها ﷺ، فالسيدة الزهراء تمثل ثقلاً إلى جنب ذكر وجوده التعبدي مع الله سبحانه وتعالى عن طريق: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وأمست مودتها واجبة مع أهل البيت ﷺ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: الآية: ٢٣]. فهو فرض من الله تعالى أوجبه على خلقه، وجعل المودة لهم مما اختص به الرسول ﷺ، وأهل بيته ﷺ دون سواهم. والمودة من الودِّ، وهو: (محبة الشيء وتمني كونه... وفي المودة التي تقتضي المحبة المجردة)<sup>(١)</sup>. وجاء في شواهد التنزيل عن ابن عباس ؓ أنه لما نزلت هذه الآية (قالوا: يا رسول الله مَنْ هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال علي وفاطمة وولدهما)<sup>(٢)</sup>.

ولا بدّ من الإشارة إلى مكانة الأم في المجتمع. فعند النظر إلى أثر السيدة فاطمة الزهراء ﷺ في التربية نجده مؤثراً في بيت العصمة، لا، بل إنّ رسول الله ﷺ امتداده كان منها عن طريق ذريتها ﷺ، فكان يكتفيها بأم أبيها. ومن مؤشرات الأنموذج الفاطمي لأفراد الأسرة: إقامة الفرائض الواجبة، والاقتداء بسيرة أهل البيت ﷺ قولاً وعملاً، والتمسك بالهوية الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعفة، والصدق، والابتعاد بالظلم والجور، والاتجاه نحو العلم والمعرفة. وهذه منظومة القيم له أثر كبير في بناء الفرد، والمجتمع.

كلّ هذا يتفق مع قول الرسول الكريم ﷺ في كتاب الله العزيز، والعترة الطاهرة: (إني مُخْلَفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي - لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. انظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم)<sup>(٣)</sup>. وهو اجتباء من الله لأهل

(١) المفردات في غريب القرآن: ٦٩٨-٦٩٩.

(٢) شواهد التنزيل: ٢/ ١٣٠-١٣١.

(٣) تحف العقول: ٣١٣.

بيت رسوله يعزز منظومة القيم الفاطمية، التي تبدو في مواضع متعددة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٣]. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اجْتَبَى صَفْوَةَ مَنْ خَلَقَهُ مِنْ دُونِ سَائِرِ الْعَالَمِينَ؛ ومصدق هذا النهج، يظهر في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ٦١]. فَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِ الرَّسُولِ (عليه السلام) في هذه الآية دليل تصديق النبي من الله سبحانه وتعالى عندما قال: (فُقِلَ)، فاشتركوا مع كتاب الله في هذا الأمر من دون الناس، وهم حُجَّةُ النبوة في قول الحق تبارك وتعالى؛ شأنهم في هذا شأن القرآن الكريم الذي هو دليل تصديق النبي ومعجزته الكبرى. وقد جمع الحق سبحانه كل النساء المؤمنات في امرأة واحدة لا غيرها، هي السيدة البتول الزهراء (عليها السلام)، عندما جعلها مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين، والحسين (عليه السلام) حُجَّةً من حجج النبوة، وتلك مزية، وفضيلة، وكرامة لم تتحقق لامرأة من قبل. أو من بعد، ولا ريب في ذلك فهي سيدة نساء العالمين. وقوله تعالى: (ونسائنا) فَإِنَّ الْمَفْسَرِينَ (اتفقوا على أن المراد به فاطمة (عليها السلام) لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء. وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء، وبعضه ما جاء في الخبر أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) قَالَ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِينِي مَا رَأَيْتُهَا»، وقال: «إِنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ لَغَضَبِ فَاطِمَةَ، وَيَرْضَى لِرِضَائِهَا». وقد صحَّ عن حذيفة أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ: «أَتَانِي مَلِكٌ فَبَشَّرَنِي أَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ أُمَّتِي». وعن الشعبي عن مسروق عن عائشة قال: أَسْرَّ النَّبِيُّ إِلَى فَاطِمَةَ شَيْئًا فَضَحِكَتْ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ قَالَ لِي: «أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ»، فضحكت لذلك<sup>(١)</sup> وهذا اجتباء لها من الله سبحانه وتعالى من دون سائر نساء العالمين.

ومن القيم التي كان لها حضور في أهل البيت (عليهم السلام) في هذه المرحلة (المرحلة الثانية) الإيثار، والزهد الذي كان دأبهم في الحياة الدنيا، وقد قال الحق فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: الآية: ٩]. وقد ورد في سبب نزول آية الإيثار هذه أَنَّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت للإمام علي عليه السلام اذهب إلى أبي فابغنا منه شيئاً. فقال: نعم، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه ديناراً، وقال: يا علي اذهب فابتع لأهلك طعاماً. فخرج من عنده، فلقية المقداد بن الأسود رضي الله عنه فأعطاه الدينار، بعد أن ذَكَرَ له حاجته وانطلق إلى المسجد، ولقي رسول الله ﷺ فقال له: يا علي، ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله، خرجتُ من عندك فلقيني المقداد بن الأسود، فذكر لي ما شاء الله أن يذكر فأعطيته الدينار.

فقال رسول الله ﷺ أما إِنَّ جبرائيل عليه السلام قد أنبأني بذلك، وقد أنزل الله فيك كتاباً<sup>(١)</sup> ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: الآية: ٩].

إِنَّ الصَّدِيقَةَ الطَاهِرَةَ عليها السلام كان إيثارها، وزهدا واضحين، فهي لم تكن تبتغي عَرَضَ الحياة الدنيا الزائل، وقد أقرها الله على هذا الأمر في القرآن الكريم. فهي تسعى نحو غرض عقائدي أساسه رضى الله ورسوله، نشأت، وتربت عليه. وهذا يشير إلى السمو الأخلاقي عندها عليها السلام.

من أجل هذا، من الحريّ أن تكون الأخلاق الفضاء الرحب الذي يجمع مفاصل الأسرة من أب وأم وأخوة وأخوات، وأن تكون المنظومة الأخلاقية لأهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم -على نحو عام- كالإيثار عند السيدة الزهراء عليها السلام مثلاً لتلك المنظومة الأخلاقية. فالإيثار، والزهد كانا دأبهم في الحياة الدنيا، فهما سبيل رافق مسيرة حياتهم. من أجل هذا وغيره وصفهم الحق تعالى بأنهم (المُفْلِحُونَ)، وأنهم الشجرة الطيبة المباركة،

(١) ينظر: أسباب النزول: ٢٠٦ - ٢٠٧. ويذكر الطبرسي رواية أخرى، مفادها أَنَّ الآية نزلت في أهل البيت عليهم السلام؛ ينظر: مجمع البيان: ٩ / ٢٣١ - ٢٣٢.

والسيدة الزهراء عليها السلام عنصر تلك الشجرة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]. هذا ما ذكره صاحب مجمع البيان، عندما قال: (وروى ابن عقدة عن أبي جعفر عليه السلام أَنَّ الشجرة رسول الله ﷺ، فرعها علي عليه السلام، وعنصر الشجرة فاطمة وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتنا ... وروي عن ابن عباس قال: قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ أنت الشجرة، وعلي غصنها، وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها<sup>(١)</sup>.

والذي ينتفع من هذا -أفراداً وجماعات- أَنَّ الأمم إذا أردت الديمومة والبقاء، لا بدّ لها من أن تجعل من الإيثار والزهد نهجاً تسير على هداه. وإنّ فسح المجالات للمرأة، لا بدّ أن يكون على وفق ما أقرّه القرآن الكريم، ورسوله الكريم، وأهل بيته عليهم السلام، وفي اتخاذ سيرة السيدة الزهراء عليها السلام أنموذجاً في القول والعمل، وفي تفعيل روح المبادرة لديها. وهذا الأمر يحفظ كرامتها، ويظهر وجودها الإيجابي الحقيقي بعيداً عن الاستلاب أو التقليل من شأنها. ويمكن الخروج عن تحديات الهوية الأسرية للمرأة المسلمة المعاصرة بالمنهج الفاطمي بوساطة: بيان أهمية العلاقة الأسرية، والاجتماعية، والتربوية بين أمير المؤمنين، والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام، وكان نتاجها الأسرة الصالحة، أهل بيت العصمة عليهم السلام، وهم جميعاً غرس رسول الله ﷺ، إذ تعيش المرأة المسلمة في بعض المجتمعات أزمة كبرى في هويتها؛ يظهر في إشكالية النمط الحياتي السائد، ومنظومة القيم الإسلامية. فكيف لها أن توفق بينهما بعد الانفتاح غير المنضبط على العالم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، فاختلط الغثّ بالسمين.

المرحلة الثالثة: في الجنة: وتظهر منظومة القيم -على نحو أكبر- عندما اجتبى الحقّ تبارك وتعالى رسوله الكريم وأهل بيته عليهم السلام في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وبَيّن لنا نهجهم في سورة الإنسان، لنرى عمل الدارين والمكانة التي فيها أهل بيت النبي ﷺ. فجاء في الكشف

(١) مجمع البيان: ٦ / ٤٢ .

لنزخشري (ت ٥٣٨هـ) في سبب نزول ثمانى عشرة آية منها: (إن الحسن والحسين مريضا، فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي، وفاطمة، وفصة -جارية لهما- إن برآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيرى اليهودى ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً، واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا. فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين. أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا، ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فأثروه، ووقف عليهم أسير فى الثالثة، ففعلوا مثل ذلك. فلما أصبحوا، أخذ علي -رضى الله عنه- بيد الحسن والحسين، وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلما أبصرهم، وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم! وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة فى محرابها، قد التصق ظهرها بطنها وغارت عيناها، فسأه ذلك، فنزل جبريل، وقال: خذها يا محمد! هناك الله فى أهل بيتك، فأقرأه السورة<sup>(١)</sup>.

فعمل أهل البيت (عليه السلام) والنعيم والملك الكبير الذى أسبغه الخالق العظيم سبحانه وتعالى -عليهم. وجزاؤهم فى الآخرة، وشكر الحق عملهم فى الحياة الدنيا، فقال فى شأنهم: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: الآية: ٣]. فإنه على مقدار عملهم المحاط برحمة الله أولاً، ومن ثم عملهم ثانياً، المخصوص بنهج معين، وعلى هذا كانت الجنة فى سورة الإنسان التى تسمى: سورة الدهر، أو من يسميها بمفتحتها (هل أتى) أو سورة الأبرار، الذين ورد ذكرهم فى الآية رقم (٥): ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾. فالمنظومة القيمية فى هذه السورة المباركة تشير -أيضاً- إلى أنهم الأبرار، وأنهم عباد الله، وكانوا يوفون بالنذر لله، ويخافون من الله، ومن أهوال يوم القيامة، وإطعامهم الطعام

للمسكين، واليتيم، والأسير قربة إلى الله، والصبر، والإيثار الذي كان دأبهم في الحياة الدنيا. يزداد على ذلك كله، فإنَّ الحقَّ - سبحانه وتعالى - يقدم رسالة كونية، لمنظومة القيم التي اصطفاهما خير خلقه رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، ويمكن للبشرية أن تسير على هديها، ومنهجها في الحياة والوجود.

وفي جنة سورة الإنسان تعدّد عطاء الله - تبارك وتعالى - لأهل بيت النبي ﷺ، وكان للسيدة الزهراء ﷺ نصيب وافر من ذلك العطاء ففي قوله تعالى: ﴿يُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنْشُورٌ﴾ [الإنسان: الآية: ١٩] عندما اتجهت إلى ذكر فئة محددة، في تلك الجنة، نهضت بخدمة أهل بيت النبي ﷺ سمّتهم الولدان المُخلَّدون، وبيّنت هذا العطاء في تفسير العلامة الألوسي لهذه الآية المباركة عندما يقول: (ومن اللطائف على القول بنزول السورة فيهم، يعني أهل البيت، أنّه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين، وإنّما صرّح عزّ وجلّ بولدان مخلصين رعاية لحرمة البتول وقرّة عين الرسول)<sup>(١)</sup>.

هؤلاء هم أهل البيت ﷺ وأمّهم السيدة الزهراء ﷺ، الذين يقول فيهم أمير المؤمنين ﷺ: (لا يقاسُ بأل محمد ﷺ أحد من هذه الأمة، ولا يُسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً: هم أساس الدين، وعماد اليقين)<sup>(٢)</sup>.

إنَّ تلك الآيات المباركة، وغيرها نزلت فيهم، وأسبغ الحقّ عليهم آلاءه ظاهرة، وباطنة، فهم الثقل الآخر مع القرآن الكريم الذي أوصى بهما الرسول الكريم محمد ﷺ.

إنَّ السيدة الزهراء ﷺ تضرب لنا مثلاً في التضحية، والإيثار، وإكرام المحتاج، وإغاثة الملهوف، وهذه كلّها معايير، تتسق مع سموّ خلقها، وتربية الرسول الكريم ﷺ لها، ونشأتها في حضن أم المؤمنين السيدة خديجة ﷺ، فهي صديقة ابنة الصالحة الصديقة التي هي أوّل

(١) روح المعاني: روح المعاني: ٢٩/ ١٥٨.

(٢) نهج البلاغة: ٤٧.

من آمن برسول الله من النساء، وشاركته في العقيدة<sup>(١)</sup>، وزواجهما من أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول فيه المؤرخ الإنكليزي توماس كارليل: (أما علي فلا يسعنا إلا أن نحبه، ونتعشقه، فإنه فتى شريف القدر، كبير النفس، يفيض وجدانه رحمة وبراً، ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة، وكان أشجع من ليث، ولكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف، ورأفة حنان)<sup>(٢)</sup>.

هذه الأسرة التي نشأ فيها الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام وما اتسمت به من مقدار عالٍ من التضحية. وهذه المعايير التي يقدمها الأنموذج الفاطمي في الحسينين عليهما السلام لتربية الأبناء في هذه السورة المباركة، فإنها تسهم في بناء الأسرة على نحو سليم، وهذا البناء يمسي منهجاً يمكن الانتفاع منه في كل حين وأوانٍ. وعلى هذا، كان بناء أسرة أمير المؤمنين والسيدة الزهراء، ومن ضمنها الحسينين عليهما السلام، فإن غرس القيم، وتنميتها، يرتبط بالأنموذج الفاعل الذي يجب اتباعه، وبالطريقة التي يتم توجيهه إليها.

وثمة مسوغ يحقق منظومة القيم الفاطمية (صدق، وأمانة، وإيثار)، وهو: خوف الله في السرّ والعلانية، فإنّ أساس كلّ شيء مخافة الله، فإذا بنيت العلاقة بين الزوجين على هذا الأمر، فلا ظلم يقع على أحد الطرفين، حينئذ تتحقق مفاهيم الصدق، والأمانة، والصحة الصالحة. في سلوك يؤتي أكله على نحو كبير. ولنا في السيدة الزهراء عليها السلام التي قدّمت أعلى درجات خوف الله - سبحانه - عندما قدمت الطعام (خمسة أرغفة) في ثلاثة أيام للمسكين، واليتيم، والأسير، وكانت مع أهل البيت عليهم السلام صياماً، ولم يفطروا إلا على الماء. فكان الإيثار في هذا الموقف في أعلى درجاته، ومصدره قوة اليقين، وتوكيد المحبة لله، والصبر على تحمل المشقة، فالميل نحو مكارم الأخلاق. ويعدّ الإيثار أفضل تلك المكارم، وكان له حضور في أهل البيت عليهم السلام، وهو دليل تكامل الإيمان، والخلق الرفيع، وهو أعلى درجات الإيثار. فكان إيثار رضا الله سبحانه وتعالى على رضا غيره، ونسبة الإيثار إليه سبحانه. كلّ ما تقدّم مآله

(١) ينظر: محمد صلى الله عليه وآله المثل الأعلى: ٣٣-٣٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥.

خوف الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: الآية: ١٠]. فجاءهم الجواب ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: الآية: ١١].

مما تقدّم، يمكن القول إنّ حياة السيدة الزهراء ﷺ تعدّ منظومة معرفية وتربوية متكاملة، يمكن الاستفادة منها على نحو كبير بوصفها أنموذجاً قيمياً؛ قرآنياً وإنسانياً لعناصر التكامل البشري- المرأة على نحو خاص - وإنّ اختلاف الزمان والمكان لا يعني اختلاف منظومة القيم. وفي هذا السياق، فإنّ الطرائق المستفادة من الأنموذج الفاطمي المرتبطة بصدر الإسلام لها القدرة على الخروج من المأزق المعاصر. فالحقّ والجهربه، والصبر، وبرّ الوالدين، والإيثار، وغيرها، ثوابت راسخة في منظومة القيم الفاطمية، وهي كفيلة بتصحيح مسارات المجتمع المعاصر الذي يعاني بعض أفراد من التيه، والانفصام الأخلاقي عندما عدّوا الأنموذج الغربي مثلاً يحتذى في حين إنّ أولئك الأفراد-على الأغلب الأعم- نشأوا وسط مجتمع يختلف اختلافاً جذرياً عن الآخر (الغربي).

## المطلب الثالث

### حجية القرآن الكريم في مطالبتها بالحق

القرآن الكريم كتاب الله الذي ذكر فيه - سبحانه وتعالى - كل شيء مجملًا ومفصلاً، فقال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية: ٣٨]. من أجل هذا، فإنَّ المرء يكفيه أن يقف عند كتاب الله الكريم وآياته البينات، بعد أن يتملك رصيذاً معرفياً يمكنه من الوقوف عند الآيات الكريمة، فكيف إذا كان الأمر مختصاً بالمعصومة سيدة نساء العالمين، وابنة صفوة خلق الله الذي نزل القرآن الكريم فيهم، وفي بيتهم، فهي مع أهل البيت (عليهم السلام) أقدر خلق الله على تفسيره، وتأويله، وبيان مقاصد آياته.

وثمة عدد من المعطيات بدت واضحة في توظيف السيدة الزهراء (عليها السلام) للقرآن الكريم، يمكن أن تكون منهجاً حياتياً للبشر - على نحو عام - وللمجتمع الإسلامي - على نحو خاص - في وضع كتاب الله نصب عينيها، وفي الرجوع إليه في مطالبتها بحقوقها التي كفلها الإسلام. ومن هذه المعطيات:

١- النصح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمساواة بين أفراد المجتمع: في خطبتها المعروفة بالفدكية، وهي الخطبة التي ألقتها في المسجد النبوي الشريف على الخليفة الأول بحضور جمع من المسلمين، بعد أن مُنعت من حقّها في إرثها في أرض فدك. وعرضت فيها للظلمة التي وقعت عليها، وعلى أهل بيت النبي (عليهم السلام) بعد مدّة وجيزة من انتقال الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، كاشفة لعدد من الأسرار والخفايا الخطيرة التي أخفاها التاريخ السياسي للحكام؛ كلّ ذلك كان بلغة تعتمد على الفصاحة المؤطرة بالحجاج القرآني، والعقلي، والاجتماعي، بيد أنّ القوم لم يلتفتوا إلى ما عرضته، وقد تناسوا أنّها بضعة رسول الله (عليه السلام) ولم تكن الصديقة الطاهرة تبتغي في خطبتها هذه عرض الحياة الدنيا الزائل،

بل أرادت أن تضع النقاط على الحروف للقوم في أنهم عصوا الله ورسوله في حياته، وبعد وفاته، وكيف أمسى حال الأمة، وما ستؤول إليه من نكوص عن الحق، وغدر بأبناء نبيّه من بعده. فدعت بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلت القوم بالتي هي أحسن، مصداقاً لقول الحق - تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: الآية: ١٢]. وما قامت به في وقتنا الحالي، يمكن أن نطلق عليه (القيم السياسية) التي تدعو إلى النصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى المساواة بين أفراد المجتمع.

٢- التحلي بالشجاعة: تعدُّ الشجاعة عنصراً فاعلاً ينضوي تحت منظومة القيم. ومن الشائع أنها غالباً ما تقترن بالرجل؛ بيد أن السيدة الزهراء (عليها السلام) عندما تصدح بالحق، فإنها تقدّم أنموذجاً لشجاعة المرأة التي تطالب بالحق، وتجهز به من دون خوف أو وجل، جاعلة من القرآن الكريم شاهداً ونصيراً، تحتجّ به في المطالبة بإحقاق الحق، فإنه يجري عذاباً غصّاً طرياً على لسان السيدة الزهراء (عليها السلام) فهو نزل في بيتهم على أبيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله). ولا ريب أن يجري عذاباً فزاعاً على ألسنتهم، قاراً في أفئدتهم، فهم عدله، وترجمانه، وهي (عليها السلام) تُدرك أثره، فوظفت في مستهل خطبتها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٨]. في استدلالها في خطبتها الفدكية، فهي بداءة تذكّر الناس - عن طريق القرآن الكريم - برسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) فهو أبوها، وابن عمّ زوجها، لكنها تصفها بقولها: (فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آباءكم وأخا ابن عمي دون رجالكم)<sup>(١)</sup>. وهذا التأكيد منها لأمر، وهو حقوق الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) عليهم، التي تناساها القوم مع أن العهد به لم يكن بعيداً، فثمة قصديّة واضحة من الصديقة الطاهرة في استهلاكها لخطبتها بهذا النصّ القرآني. عندما تذكّره بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) الذي كان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين، فما بال القوم قد تناسوا هذا، و(لم يجمع الله سبحانه لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلا للنبي (صلى الله عليه وآله) فإنه قال: «المؤمنين رؤوف

(١) بلاغات النساء: ١٧.

رحيم»، وقال: «إن الله بالناس لرءوف رحيم». «فإن تولوا» أي ذهبوا عن الحق واتباع الرسول، وما يأمرهم به وأعرضوا عن قبوله. وقيل: معناه فإن تولوا عنك وعن الإقرار بنبوتك «فقل حسبي الله» أي كافي الله فإنه القادر على كل شيء «لا إله إلا هو عليه توكلت» وبه وثقت، وعليه اعتمدت، وأموري إليه فوضت «وهو ربّ العرش العظيم»<sup>(١)</sup>. فجاء توظيف النص القرآني على نحو مباشر من دون تغيير في ألفاظه، مراعاة منها ﷺ أن لكلّ مقام مقالاً، تذكّرة منها، وإلزامهم بالحجة بالقرآن الكريم - وبآياته الكريهات التي نزلت في رسول الله ﷺ وبتفويضها أمرها لله تعالى.

وتلتفت السيدة الزهراء ﷺ إلى حال العرب، وحال أصحاب الرسول قبل مبعث أبيها رسول الله ﷺ فهو الهادي البشير، قائلة: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ [آل عمران: الآية: ١٠٣]<sup>(٢)</sup>. فهم كانوا قاب قوسين أو أدنى من الهلاك وورود جهنم، ولم يكن بينهم وبينها إلا الموت، لكنّ الله - سبحانه وتعالى - أنقذهم بإرسال رسول الله ﷺ لهم بالإسلام الذي جاءهم به، لعلهم يهتدون إلى طريق الحق والنجاة.<sup>(٣)</sup> يزداد على هذا، فإنكم كنتم (تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله برسوله)<sup>(٤)</sup>، وهنا الصديقة الزهراء ﷺ تشير إلى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: الآية: ٢٦]. وتؤكد مضمون النص القرآني المتقدّم عندما تفسره بقولها: (فأنقذكم الله برسوله)، وقيل معنى «تخافون أن يتخطفكم الناس» أي يستلبكم المشركون من العرب إن خرجتم منها، وقيل إنّه يعني بالناس كفار قريش... وقيل: فارس والروم... «فآواكم» أي جعل لكم مأوى ترجعون إليه يعني المدينة دار الهجرة «وأيّدكم

(١) مجمع البيان: ٨٢/٥.

(٢) بلاغات النساء: ١٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٧.

بنصره» أي قواكم «ورزقكم من الطيبات» يعني الغنائم أحلّها لكم ولم يحلّها لأحد قبلكم. وقيل: هي عامة في جميع ما أعطاهم من الأطعمة اللذيذة «لعلكم تشكرون»، أي لكي تشكروا. والمعنى: قابلوا حالكم التي أنتم عليها الآن بتلك الحال المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة فتشكروا عليها<sup>(١)</sup>.

من أجل هذا، يمكن القول: إنّ ثمة قصيدة بيّنة للصدّيقة الزهراء (عليها السلام) في اختيارها للنصوص القرآنية المتقدمة، على نحو يتفق مع قضيتها التي سعت إليها في خطبتها، فذكرت أولاً: برسول الرحمة الذي كان رؤوفاً رحيماً، وثانياً: نصره الله عندما هزم الجمع الكافر، والثالث: أنّه أنقذكم من النار، والرابع: أنقذكم من أعدائكم، فحقّق لكم الأمن بعد الخوف. فاجتمعت في هذه الأربعة: الهداية، والنصر، والأمن في الحياتين: الدنيا، والآخرة.

ثم تنتقل (عليها السلام) في خطبتها إلى توظيف نص قرآني آخر: تعرّض بوساطته بالقوم الذين أنكروا الحق الإلهي في خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهم (كلما حشوا ناراً للحرب أطفالها)<sup>(٢)</sup>، ويجب الالتفات إلى السياق القرآني الذي ورد فيه قول الصدّيقة الطاهرة (عليها السلام) وهو قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤]. وجاء في تفسير هذه الآية في مجمع البيان: (فقد كانت اليهود أشدّ أهل الحجاز بأساً، وأمنعهم داراً، حتى أنّ قريشاً كانت تعتصد بهم، والأوس، والخزرج تستبق إلى مخالفتهم، وتتكرّر بنصرتهم فأباد الله خضراءهم، واستأصل شأفتهم، واجتث أصلهم، فأجلّ النبي بني النضير، وبني قينقاع، وقتل بني قريظة، وشرّد أهل خيبر، وغلب على فذك، ودان له أهل وادي القرى، فمحا الله تعالى آثارهم صاغرين. وقال قتادة: معناه أنّ الله أذلّهم ذلاً لا يعزّون بعده أبداً، وإنما يطفئ نار حربهم بلطفه، وبما يطلع نبيه عليه من أسرارهم، وبما يمنُّ به عليه من التأييد والنصر «ويسعون في الأرض فساداً»

(١) مجمع البيان: ٢٣٧/٤.

(٢) بلاغات النساء: ١٧.

بمعصية الله وتكذيب رسله، ومخالفة أمره، ونهيه، واجتهادهم في محو ذكر النبي ﷺ من كتبهم «والله لا يحب المفسدين» العاملين بالفساد والمعاصي في أرضه<sup>(١)</sup>. فاليهود افترّوا على الله، وأججوا نار الفتنة، وسعوا في الأرض فساداً، ومن ينكر حقّ أهل البيت ﷺ إنّما شأنه في هذا شأن اليهود الذين عُرفوا بحسدّهم، وميلهم عن الحق. وفي الجانب الآخر يظهر الحقّ في البيت ﷺ: أولياء الله، وتشير إلى أمير المؤمنين ﷺ في قولها: (قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صمته بأخصه، ويحمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله ﷺ يداً في أولياء الله وأنتم في بلهنية وادعون آمنون)<sup>(٢)</sup>. وقد وظفت ﷺ لفظتي: (أولياء الله) وهما لفظتان قرآنيّتان وردتا في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: الآية: ٦٢]. فاخترتها: (أولياء الله) له دلالة لا يمكن أن تبعد عن سياق النص القرآني الذي وردتا فيه، فقد ((بين سبحانه أنّ المطيعين لله، الذين تولوا القيام بأمره وتولاهم سبحانه بحفظه وحياطته، لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب «ولا هم يحزنون» أي لا يخافون. واختلف في أولياء الله، فقليل: هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سماء الخير، والإخبار... وقيل: هم المتحابون في الله ذكر ذلك في خبر مرفوع، وقيل: هم الذين آمنوا وكانوا يتقون. وقد بيّنهم في الآية التي بعدها... وقيل: إنّهم الذين أدّوا فرائض الله وأخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل هذه الدنيا، ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله لمعايشهم، لا يريدون به التفاخر والتكاثر، ثم أنفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا، ويثابون على ما قدموا منه لآخرتهم)<sup>(٣)</sup>. وأيا كانت الأقوال في بيان معنى: (أولياء الله) فإنّها تتحقق في أمير المؤمنين ﷺ.

(١) مجمع البيان: ٣/ ٢٢٠.

(٢) بلاغات النساء: ١٧.

(٣) تأويل مُشكل القرآن: ١٧٠.

إنَّ موقف السيدة الزهراء عليها السلام يمثل كلّ قيم البطولة والشجاعة عندما تجهر بالحق، فإنَّها هي تؤسس لمنهج لا بدَّ أن يكون حاضراً في حياة المجتمع، أفراداً وجماعات؛ وهو رسالة واضحة للمرأة في أن تتحلّى بالشجاعة، وتمتلك القوة والصبر في المطالبة بالحق، والدفاع عنه.

٣- الدفاع عن الحقوق: في الخطبة الفدكية، توجه خطابها إلى القوم -على نحو مباشر- عندما أنكروا حقوق أهل البيت عليهم السلام فتقول لهم: (زعمتمْ خَوْفَ الفتنة ألا في الفتنة سَقَطُوا وإنَّ جهنمَ لمحيطَةٌ بالكافرين، فهيهات منكم، وأنّى بكم، وأنّى تُؤفكون)<sup>(١)</sup>.

مشيرة إلى أنَّ الفتنة قد حطَّت برحالها بعد وفاة رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وكُشِفَت الأَقْنَعَة، وكان أمير المؤمنين، والسيدة الزهراء عليها السلام على بيّنة من الناس.

وهي عليها السلام في خطبتها اختارت آيات قرآنية دالة على المنحى الذي اتجه تلقاء القوم: (ألا في الفتنة سَقَطُوا)، (وإنَّ جهنمَ لمحيطَةٌ بالكافرين)، (وأنّى تُؤفكون). وختمت قولها بـ(تؤفكون)، وهذه اللفظة التي وظفتها عليها السلام دعاء يُراد به الدَّم، فهم انصرفوا عن الحق إلى الإفك أي الكذب. وبعد ذلك تواصل الدفاع عن الحقوق فإليهم التي وقعت عليها، تذكّرهم بالقرآن الكريم قائلة: (وهذا كتابُ الله بين أظهركم وزواجه بيّنة وشواهدُ لائحة وأوامره واضحة، أرغبة عنه تُدبرون؟ أم بغيره تُحكّمون؟)<sup>(٢)</sup>.

إنَّها عليها السلام عندما وظفت الاقتباس فإنَّه يشير إلى أنَّ ثمة قصديّة واضحة، عندما اختارت من هذه الآيات الكريمة، وغيرها في خطبتها في المطالبة بحقّها في أرض فدك قائلة: (وأنتم الآن ترعمون أن لا إرث لنا أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون، وبها معشر المهاجرين أبتر إرث أبي؟ أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً

(١) بلاغات النساء: ١٨.

(٢) المصدر نفسه: ١٨.

فرياً فدونها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكلّ نبأ مستقر وسوف تعلمون<sup>(١)</sup>.

وهي عليها السلام في قولها هذا، تدعوهم إلى الحكم بشريعة الله ورسوله، لا الحكم بشريعة الجاهلية، لأنّ مآل الأمور إلى الله، وفي حينها لات مندم، عندما تُحرم من أرث أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أفقه منها، فهي عالمة غير مُعلمة، ومن أمير المؤمنين الذين نزل في بيتهم القرآن الكريم، فقد صدعت بالحقّ وجهرت به، ولكنّها في الوقت نفسه، تعبّر عن الألم الكبير الذي أصابها نتيجة ما فعله القوم بمخالفتهم لله ولرسوله، فثمة نفي قسري عن الخلافة، يختصّ بأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ومحيطه الأسري، أمسى نهجاً متبعاً لكلّ الحكام - فيما بعد - سوّغ لهم هضم حقوقهم، ومساواتهم بغيرهم. وهذا النفي القسري، هيمن على الوعي الجمعي عند أغلب المسلمين.

ويمكن انتفاع المرأة المعاصرة من توجه السيدة الزهراء عليها السلام في مطالبتها بحقوقها: توظيفها الحُجّة، والبرهان، وجعل القرآن الكريم مآلاً يركن إليه في القول أداء، وفي العمل منهجاً. فأسلوب الإقناع العقلي يعتدّ بالبرهان والاستدلال في تعزيز البنى العقائدية بما يحقق سبل النجاة للمجتمع وأفراده.

#### رابعاً: صدق السيدة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام:

من ضمن منظومة القيم الفاطميّة: الصدق، وهذا الجانب مصاديقه كثيرة، يمكن الاكتفاء بواحد منه، فعندما كانت السيدة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام تلقي خطبتها، كان القوم يجهشون بالبكاء، تصديقاً لها، وتأكيداً منهم على ما جاء في قولها من حقّ، بيد أنّ ما فائدة البكاء، إن لم يُسفر عن موقف يُصحّحون به مسيرتهم، وإرجاع الحقّ لأهله. وقد

(١) المصدر نفسه: ١٨. الخطم: هو الجزء البارز من أنف الدابة، وهو الخطب الجليل. الرحل: كلّ شيء يُعد للرحيل، وهو في الأصل ما يوضع على ظهر البعير أو الناقة للركوب.

عجّت كتب السير والتاريخ والأدب بمثل هذا النمط من الوعظ المقترن ببكاء الحكّام، والقوم الذين يستمعون للموعظة، بل إنّ المصادر تعدّ سماع الموعظة فضيلة، تُحسب لمن يستمع إليها، في حين إنّها لم يُعمل بها. وهنا تكمن المفارقة، لأنهم يدركون صدق السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكيف لا، وهي بضعة رسول الله ﷺ التي نشأت وتربت على صدقه، وهذه من الصفات التي اجتمعت في رسول الله وأتى إلى ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٣٣].

مما تقدّم تظهر حجّية السيدة الزهراء في صدقها، وفي الدفاع عن الحقّ، مستعينة بالقرآن الكريم بآياته الواضحات البينات، من أجل هذا لا بدّ أن يكون القرآن العظيم أنيساً للنفوس يعمل به المرء قولاً وعملاً، وهو الأساس المتين في بناء أفراد المجتمع.

من أجل هذا، فإنّ مقومات بناء المجتمع الإنساني السليم حاضرة في كنه ديننا الحنيف، وتسهم المرأة مع الرجل في بنائه، فهي ركن رئيس فيه. وفيما له علاقة ببلدنا الذي شهد عدداً من الحروب العبيثة التي تركت آثارها في المجتمع في ظلّ نظام أحدث خللاً في بعض من منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية. وأسهمت سياسته في توجيهه نحو إيديولوجيا غايتها الأساس نفس القيم الأصلية للمجتمع. من هنا لا بدّ من النهوض بالمجتمع وتصحيح بعض من مساراته -التي أصيبت بالعطب- في إنتاج خطاب جديد يعتمد في نسقه على مرجعيات إسلامية أصيلة، تعتمد منهجاً فاطمياً أساسه القرآن الكريم بوصف السيدة الزهراء عليها السلام القدوة الحسنة والمنار الذي نستضيء به، ونلوذ بفيئه في ترسيخ مبادئ الحقّ والعدل، والتنشئة الصالحة للأفراد. فهي عليها السلام تربية رسول الله ﷺ، وهذا يتحقّق عن طريق توجيه خطاب يتّفق مع المرحلة التي نحن عليها، وبوساطة التمكن من وسائل التواصل الاجتماعي، وعرض كلّ ما من شأنه تغيير الأفكار والقناعات التي لا تمتّ بصلة بمجتمعنا وديننا والإنسانية والفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها. وهنا لا بدّ أن

يكون للدولة فعلها الرصين في تنقية البرامج، واختيار ما يتفق مع منظومة قيمنا وديننا. وفي تشريع القوانين وتفعيلها على نطاق واسع التي تحفظ المجتمع من الانجراف نحو هاوية ثقافة غريبة عنّا. إذ تعيش المرأة المسلمة في بعض مجتمعاتنا أزمة كبرى في هويتها. يظهر في إشكالية النمط الحياتي السائد، ومنظومة القيم الإسلامية. فكيف لها أن توفّق بينهما بعد الانفتاح غير المنضبط على العالم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، فاختلط الغث بالسمين. ويمكن الخروج عن تحديات الهوية الأسرية للمجتمع المسلم المعاصر في التوجه تلقاء المنهج الفاطمي بوساطة: بيان أهمية العلاقة الأسرية، والاجتماعية، والتربوية بين أمير المؤمنين، والسيد فاطمة الزهراء عليها السلام وكان نتاجها الأسرة الصالحة، أهل بيت العصمة عليهم السلام، وهم جميعاً غرس رسول الله ﷺ. وإنّ منظومة القيم الفاطمية إذا أُريد تفعيلها في المجتمع، لا بدّ أن يسهم في إنجازها كلّ من: الرجل، والمرأة ضمن نطاق الأسرة، والمسجد، والمدرسة، والجامعة، ووسائل التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام، فهي مسؤولية جماعية إذا أُريد للمجتمع أن يتخطّى عوامل انهياره، ومن ثم زواله.

## الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع بحثي الموسوم بـ (منظومة القيم الفاطمية وأثرها في بناء المجتمع). الذي اتجهت فيه إلى رصد بعض من منظومة القيم الفاطمية التي يمكن للمجتمع استثمارها في حياته. يمكن القول إن السيدة المعصومة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قدمت منظومة قيمية متكاملة، اجتمعت فيها القيم الفردية: الصدق، والصبر والإحسان، والكرم، والتواضع، والقيم الأسرية: المودة، والرحمة، والمساواة بين الأبناء، والقيم الاجتماعية: التكافل، والتضحية. وتتخطى - تلك المنظومة - حدودي الزمان، والمكان. تعتمد فيها على عدد من المعطيات منها:

أولاً: للقيم خصائص متعددة منها: أنها نسبية، بيد أن منظومة القيم الفاطمية قيم مطلقة؛ لأنها تتخطى حدود الزمان والمكان. وترتبط بمعطيات الشريعة، وثوابتها، بالقرآن الكريم، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام).

ثانياً: عرض السيرة العطرة لأهل البيت (عليهم السلام) بكل ما فيها من قيم تعزز بناء الفرد وتوجه سلوكه ومن ثم تظهر فاعليتها في بناء المجتمع وديمومته.

ثالثاً: بدا القرآن الكريم متداخلاً مع أقوالها، فلا يمكن فصل بعض كلامها عن بعضه الآخر؛ يزداد على هذا، فهي على بينة من مناسبة نزول الآيات القرآنية الكريمة التي عندما وظفتها للتعبير عن ما آلت إليه الأمور، وداعية إلى إعادة الحق إلى نصابه، فقد وظفت (عليها السلام) القرآن الكريم في مساحة واسعة من أقوالها، فهو نزل في بيوتهم على أيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله). ولا ريب أن يجري عذباً فراتاً على ألسنتهم، قاراً في أفئدتهم، فهم عدله، وترجمانه، وتذكر (عليها السلام) أثره، الذي وظفته خدمة للقضية التي سعت جاهدة إلى بيانها، عادة من القرآن الكريم وسيلة من وسائل المطالبة بالحق.

رابعاً: يمكن للمؤسسات العلمية الرصينة أن تسهم إسهامها فاعلاً في عولة الخطاب الفاطمي ونشره، في أثناء مطالبتها باسترداد الحق عن طريق خطوات إجرائية تتبعها في تقديم الأنموذج الفاطمي والسير على خطاه.

خامساً: إن المناهج المعدّة التي يلقي مفرداتها أساتذة أكفء أكاديميون، يمكنها أن تسهم في إثراء المعارف -على نحو عام- ومعارف مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، ومن ضمنها نشر الثقافة الفاطمية وعلومها.

سادساً: لا بدّ من قدوة صالحة تمثل القيم العليا التي تُيسر للمجتمع محاكاتها، ومن ثمّ السير على خطاها، وعند تقديم الخطاب الفاطمي في البلد بإسلوب يتفق ومقتضيات العصر، فإنّ له آثاراً كبيرة تسهم في ديمومة المجتمع، وتماسك أفرادها، وبروز روح الألفة والتعاون فيه، ومن ثمّ تفضي إلى تطوره علمياً ومعرفياً، وتؤدي بدورها إلى ضعف الأمراض الاجتماعية، والأخلاقية التي قد تعصف بوجوده، وتهدد عناصر مكوناته من رجال ونساء.

سابعاً: ثمة آثار متعددة لعولة الخطاب الفاطمي في الرأي العام والمفكرين في البلد. ومن تلك الآثار:

أ- الالتفات إلى الهوية الإسلامية وبيان فاعليتها وأصالتها في بناء المجتمع.

ب- التأكيد على العنصر الجمعي الحاضر في السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) في القرآن الكريم، وعلى نحو خاص في آية المباهلة. فهي سيدة نساء العالمين. عندما أمست مع أهل البيت (عليه السلام) دليل تصديق النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله تبارك تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ٦١].

ثامناً: إذا أريد للمرأة أن تحقق وجودها الإنساني الحقيقي، فما عليها إلا الاقتداء بالسيدة الزهراء (عليها السلام) في كلّ مناحي الحياة.

تاسعاً: من ضمن منظومة القيم الفاطميّة: الصدق، وهذا الجانب مصاديقه كثيرة، فعلى المجتمع أن يلتزم به، ويتخذ نهجاً لا يحيد عنه.

عاشراً: إنّ التصحيح ينجز عن طريق توظيف وسائل التواصل على نحو سليم؛ وتغيير لغة الخطاب بما يتفق ومتغيرات العصر؛ وتوظيف معطيات العصر في التأثير، كالأفلام القصيرة الهادفة، واللوحة الفنية، وعمل المسابقات المختلفة في أماكن العمل.

حادي عشر: إذا أريد للنشء الجديد أن يحيا حياة طيبة، فعلى الذين يتولون أمره أن يرسموا له طريقاً يعتمدون فيه على برامج متعددة منها: دينية تتفق مع المرحلة العمرية التي هم عليها، متخذين من القرآن الكريم، وسيرة رسول الله والمعصومين (صلوات الله عليهم) مثلاً يقتدون به، وتأكيد دور الأئمة، والالتزام بطاعتها، والإحسان إليهما. يزداد على هذا، إعداد برامج ثقافية تنبع من تراثنا الأصيل، تعتمد على استنهاض قيم الحق والعدل؛ كلّ ذلك يُعزّز بإشاعة روح المبادرة لديهم.

## المصادر والمراجع

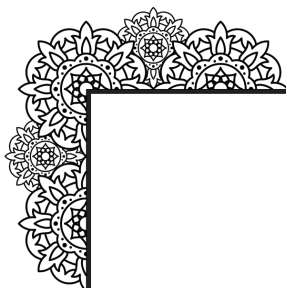
- القرآن الكريم.
- أساس البلاغة: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.
- أسباب النزول في ضوء روايات أهل البيت (عليه السلام): مجيب جواد الرفيعي، ط ١، قم - إيران، ١٤٢١هـ.
- أمالي الصدوق: الصدوق القمي، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١هـ) منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ٥.
- بلاغات النساء (وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن): لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ)، شرح: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة - مصر، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨ م.
- تأويل مُشكل القرآن: الدينوري (عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت ٢٧٦هـ)، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧ م.
- تحف العقول عن آل الرسول - صلى الله عليهم -: لأبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع الهجري)، قدّم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، ط ٦، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.
- ترتيب كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، تصحيح: أ. أسعد الطيّب، ط ١، انتشارات أسوه، قم - إيران، ١٤١٤هـ.

- التعريفات: الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: محمد باسل سود العيون، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت، صلوات الله وسلامه عليهم: الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله الحنفي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٩٧٤م.
- القيم الاجتماعية كما تعكسها ثورة كربلاء: محمد محمود إبراهيم، ط ١، مركز الأبحاث العقائدية، قم المقدسة - إيران، ١٤٣٤هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، شرح وضبط: يوسف الحمّادي، مكتبة مصر، الفجالة، مصر.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، أمين الإسلام الفضل بن الحسن (ت ٥٨٤هـ)، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م.
- مُحَمَّدٌ ﷺ المثل الأعلى: توماس كارليل، عربيه: محمد السباعي، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة - إيران.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها من منظور إسلامي: أحلام عتيق مغلي السلمي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، ع ٢، ٣، السعودية - يناير ٢٠١٩ م.

- نهج البلاغة: تحقيق: د. صبحي الصالح، ط ٢، انتشارات أنوار الهدى، إيران، ١٤٢٤ هـ.

- ينباع المودة: القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ)، صححه وعلّق عليه: علاء الدين الأعلمي، ط ٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.



**تقنيات الحوار في الخطاب النسوي**

**دراسة تطبيقية**

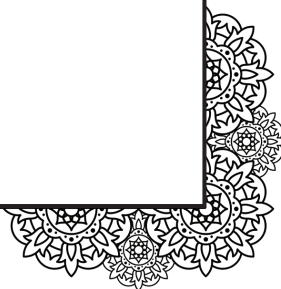
**في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام**

**الباحث**

**أ.د. هادي سعدون هنون العارضي**

**قسم اللغة العربية / كلية التربية الأساسية**

**جامعة الكوفة / العراق**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

لا يخفى على المتفحص لثراث أهل البيت (عليه السلام) حجم الدراسات التي سلّطت على بلاغتهم وقدراتهم على نسج نصوصهم المؤثرة في المتلقي عبر الأزمان عن طريق الحوار؛ فهو تقنية معرفية ذات قيمة تواصلية مؤثرة استمدها أهل البيت (عليه السلام) من الخطاب القرآني، فجعلوا الحوار طريقاً لإثارة الفكر، وترسيخ العقيدة، والدعوة إلى العمل والتغيير في المسارات المنحرفة. ولم تنزح تلك الرؤية البنائية للفرد والمجتمع عند أهل البيت (عليه السلام) على الرغم من تعاقب السنين، واختلاف البيئات، وثقافة المجتمعات قديماً وحديثاً.

ولعلنا ننجح في هذه الدراسة التي ستختص بالتحليل، وإظهار قيمة الخطاب الحوارية (dialogue du discours Valeur)، ورصد تقنياته التي وظفتها السيدة الزهراء (عليها السلام)، لتحقيق ذلك الخلود الراسخ في أعماق المخاطب عبر الأزمان المتعاقبة، ويمكن أن تستمدها المرأة المسلمة في الحياة الاجتماعية، والسياسية، والدينية بعد تتبع أسلوبها الخطابي، والحجج المقدمة فيه، وكيفية بنائه المعاصر لحقبة تاريخية مهمة في حياة المسلمين، ففي خطابها تأسيس لحادثة تاريخية معقدة طرفها رأس السلطة، فجاء عنوان البحث: (تقنيات الحوار في الخطاب النسوي - دراسة تطبيقية في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام))

ونأمل في دراستنا هذه إلى وضع هذه النصوص الخطابية العائدة للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في ميزان المنهجية القائمة على أساس الإطار النظري، والتطبيقات الفعلية للنص، وبما يجعله نصاً، وأثر المعطيات الخارجية المساهمة في إنجازه، وهو موافق لما ورد في المحور الرابع، والثامن من محاور المؤتمر، وسنرصد مصاديق تلك التقنيات على وفق ما

وردنا في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور (ت ٥٢٨٠هـ)، وهو من الوثائق التاريخية المهمة لهذه الخطبة، وعلى وفق المهارات المطبقة التي سيقسمها البحث على المحاور الآتية:

المحور الأول: مهارة الضبط الانفعالي: هذه التقنية الشكلية الخاصة بالمتكلم لها أهميتها في بيان الحجة، ونجاح الحوار، وهي في مجملها بعيدة عن ملفوظات النص الخطابي للمتجاوزين، وهي تقنية ظاهرة في خطب السيدة الزهراء (عليها السلام)، نستمد تطبيقاته من وصف كتاب بلاغات النساء في عرضه للخطاب.

المحور الثاني: مهارة التحليل والابتكار: فتقنية التحليل المنطقي للأحداث، والوقائع المشتركة بين المتجاوزين قبل مرحلة النسج الخطابي، ستمنح المتكلم بصورة مباشرة أو غير مباشرة القدرة على رسم سمات الشخصية المتحاور، ويرفده بطاقات البناء الخطابي المبتكر والمؤثر في ذهن المتلقي.

المحور الثالث: مهارة التصوير للأفكار: وهي تقنيات تقوم على أساس الترابط في البناء المعرفي للحوار عن طريق الربط الصوري للأفكار التي يعرضها المتكلم بشكل غير مباشر، فتبنى الفكرة عن طريق التصوير البلاغي لجعلها أكثر تأثيراً وعمقاً في ذهن المتجاوزين.

وعلى أساس هذه المهارات، سنرصد التطبيقات الفعلية لتقنيات الحوار الفعال في خطب السيدة الزهراء (عليها السلام)، وبعدها سنوثق النتائج في خاتمة البحث ونلحقها بقائمة المصادر والمراجع ومن الله التوفيق.

### أولاً: مهارة الضبط الانفعالي

الحوار في تشكيله العام لا يقف عند حدود صناعة الفكرة، وبيان الحجّة وعرضها بالألفاظ المناسبة، وإنّما يرتبط بعوامل خارجة عن اللفظ والمعنى؛ ومن أهمها: هيئة المتكلم، وطريقة الأداء الحوارية، وما يتطلبه من مهارة في الضبط الانفعالي. وعلى هذا الأساس، هذه التّقنيّة شكليّة خاصة بالمتكلم لها أهميتها في بيان الحجّة ونجاح الحوار، وهي في مجملها بعيدة عن ملفوظات النص الخطابي للمتخاورين. فقد (يلجأ المتكلم إلى توظيف بعض العناصر الحجاجيّة غير اللغويّة (شكليّة) تعمل على التأثير في السامع بصورة غير لفظيّة؛ مخاطباً الشّعور والذهن في الوقت ذاته متخذاً من حاسة البصر عاملاً مؤثراً في وعي المخاطب)<sup>(١)</sup>.

ونجد مصاديق هذه التّقنيّة ظاهرة في خطب السيّدة الزهراء (عليها السلام)، فيمكننا أن نرصد تطبيقاتها من وصف كتاب بلاغات النساء في عرضه لخطاب السيّدة الزّهراء (عليها السلام) بقوله: (لأَتَّ حِمَارَهَا عَلَى رَأْسِهَا، وَأَقْبَلْتُ فِي لَمَّةٍ مِنْ حَفْدَتِهَا وَنَسَاءَ قَوْمِهَا تَطَأُ ذِيولَهَا، مَا تَحْرُمُ مَشِيَّتِهَا مَشْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ)<sup>(٢)</sup>.

عندما نكرر القراءة لوصف حال المتكلم من قبل ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ) صاحب كتاب بلاغات النساء قبل التلفظ، نجد مجموعة من الإشارات التي تُدلل على الضبط الانفعالي للسيّدة الزّهراء (عليها السلام) قبل التوجه بحواريتها إلى المتلقي، ويمكن تبيان هذه الإشارات الدالة على ذلك على وفق الآتي:

- تحديد الشكل الذي يجب أن تكون عليه المرأة في حديثها مع الآخرين: فمهما كان عظم الحدث يجب على المرأة المحافظة على صورتها التي أراد لها الإسلام. والدفاع عن الحق أو المطالبة فيه لا يُنسيها الواجب الشرعي، فوصف المؤلف شكلها قبل الخطاب بقوله:

(١) المقدمات والسلام الحجاجيّة في خطب السيّدة الزهراء (عليها السلام) - دراسة تداوليّة -، د. هادي سعدون هنون العارضي، مؤسسة دار الصادق الثقافيّة، العراق، ط ١، ٢٠٢٣ م: ٢٣ - ٢٤.

(٢) بلاغات النساء: ١٦.

(لا تَحْمَرَّهَا عَلَى رَأْسِهَا، واشتملت بجلباها، وأَقْبَلْتُ فِي لَمَّةٍ مِنْ حَفْدَتِهَا ونساء قومها تطأُ ذيولها، ما تحرم...)، فنقل لنا الراوي الشَّكل الذي كانت عليه الزَّهراء (عليها السلام) قبل أن توجه كلامها للآخرين، فكما يظهر من الوصف العناية الفائقة بما يجب أن تكون عليه المرأة من شكل في خطابها الحواري، ولعلنا نذهب أبعد من الجانب العقائدي فنقول: إِنَّ الشَّكل بحدِّ ذاته تقنيَّة سلوكيَّة تفرض احترامها على الآخرين، فهذه الثَّياب الطويلة والخمار والمشية ما هيَ إِلَّا مُقَدِّمَات حجاجيَّة غير لفظيَّة الهدف منها التَّأثير، وهذا المِيعَار - أكان مقصوداً أم غير مقصود - له أثره في نجاح الخطاب أو فشله<sup>(١)</sup>.

- عدم الضعف وإظهار القوة: فترتبط القوة الحوارية للمتكلم وضعفها بقدرات الشخصية المتحاوره وسلوكياتها مع الحدث، فمهما كان الظلم والقهر يجب ألا تظهر المرأة الضعف أو الميوعة، وتعمل على التَّحكم والسيطرة في توجيه السلوك. فالسيدة الزَّهراء (عليها السلام) لم تُظهر الانكسار حتى في مشيتها؛ فيقول ابن طيفور في ذلك: (... وأَقْبَلْتُ فِي لَمَّةٍ مِنْ حَفْدَتِهَا ونساء قومها تطأُ ذيولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله) <sup>(٢)</sup>، فهي تشابه في مشيتها مشيت الرجال وأي رجال تشابه؟ فهي تشابه مشية أبيها نبي الأمة (عليه السلام)، وما تعترى هذه المشية من القوة، والهبة، والوقار.

وتظهر مؤشرات القوة في الخطاب الحواري في موضع آخر من خطب السيدة الزهراء (عليها السلام) يتجلَّى فيه الضبط الانفعالي، فهي لم تتكلم إِلَّا بعد أن سكن نشيج القوم، وهذا ما وثقته الرواية التي تقول: (حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ فِي حَشْدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَنِيطَتْ دُونَهَا مَلَاءَةٌ، ثُمَّ أَتَتْ أَنَّ أَجْهَشَ الْقَوْمِ لَهَا بِالْبُكَاءِ وَارْتَجَّ الْمَجْلِسُ، فَأَمْهَلَتْ حَتَّى سَكَنَ نَشِيجُ الْقَوْمِ وَهَدَأَتْ فَوَرْتَهُمْ) <sup>(٣)</sup>، فهذا الانضباط الانفعالي المتمثل في

(١) ينظر: المقدمات والسلام الحجاجيَّة في خطب السيدة الزهراء (عليها السلام): ٢٤.

(٢) بَلَاغَاتُ النِّسَاء: ١٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٦.

قوة الشخصية المتحاوره عمدت إليه السيدة الزهراء، فهي تقنيّة وظفتها لتعود بالمتلقي إلى (ماضيه القريب، الذي كان فيه مجدد العهد لرَسُول الله عليه أفضل الصّلاة والسّلام، وهذه ابنته وبضعته، وكأَنَّها بدأت بإنارة موجزة قد أغفلها أو نسيها المخاطب)<sup>(١)</sup>.

وهذا الأمر يذكرنا بموقف السيّدة زينب (عليها السلام) في مجلس يزيد عندما وصفها الكاتب نفسه بقوله: (ولم أرَ خيرة - والله - أنطق منها، كأنّها تفرغ على لسان أبيها أمير المؤمنين - رضوان الله عليه -، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فلما سكنت الأنفاس، وهذأت الأجراس قالت...) <sup>(٢)</sup>، فهي تشابه في صوتها صوت أبيها علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وما يعترى هذا الصوت من القوة والصلابة التي فرضت على الناس قطع الأصوات، والأجراس، فلم تتكلم إلّا بعد الصمت الكلي من قبل الجمهور، فحققت بذلك شرطاً من شروط الخطاب الناجح الذي لا يغفل نوعيّة الجمهور<sup>(٣)</sup>.

وعندما نربط علل الحوار الخطابي عند السيدة الزهراء، والسيدة زينب (عليهما السلام) نجد أنّ الخطابين لم يردا إلّا لعلّة سامية أساسها الدفاع عن رسالة السّماء. فالسيّدة الزّهراء (عليها السلام) لم يكن هدفها الحوار بحدّ ذاته، وإنّما دافعت عن مبادئ الدين وأساسياته التي رسمها النّبي (صلى الله عليه وآله). ومن هنا نضع شرعيّة خطاب المرأة، وتوظيف تقنياته عندما يكون الأمر في الدّفاع عن أهداف ساميّة، ولا نضع أي شرعيّة في الخطابات الأخرى الخارجة عن تلك الحدود بدلالة ما وجدناه في الخطابين؛ أضف إلى ذلك تلك الواقعيّة التي انمازت بها السيّدة الزهراء (عليها السلام) في حوارها الإصلاحي لهذه الأمّة التي فقدت تدريجيّاً أكبر مقوماتها المستقبليّة القائمة على التّمسك بالرسالة السّماويّة المنزلة على نبيه الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله)، فأظهرت

(١) المقدمات والسلام الحجاجيّة في خطب السيّدة الزهراء (عليها السلام): ٢٤.

(٢) بلاغات النساء: ٤١.

(٣) ينظر: التداوليّة والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، دمشق - سوريا، ط ١، ٢٠٠٨ م. ٧٠.

في واقعيتها شخصية المرأة الثابتة التي يؤخذ منها قوّة الإرادة، ووضوح الفكرة، وسمو الهدف، وهو مبدأ شاع في عموم الحوار القرآني الذي جعل: (الحوار سبيلاً لكلّ قضاياها، كما إنّه السبيل لبيان الخلافات التي تظهر على ألسنة مخالفيه، وليس في القرآن وسيلة للتفاهم مع الخصوم غير الحوار. أما القوة فإنّ التهديد بها لا يكون إلّا بعد الفشل مع المتحاورين وإصرارهم على الباطل مع سطوع الحق<sup>(١)</sup>).

وعلى هذا الأساس، وظفت السيّدة الزهراء (عليها السلام) هذه التقنيّة الحواريّة بشخصيّة الثابت الواثق بفكرته على الرغم من الصّد والتّحدي والإصرار على الباطل من قبل المتحاورين، فأظهرت في خطابها صورة واضحة لتقنيّة الضبط الانفعالي الذي يجب أن تنماز به المرأة المسلمة على مرّ العصور المختلفة.

### ثانياً: مهارة التّحليل والابتكار

لا يمكن للمتكلّم النجاح في حوارياته من دون امتلاكه المهارة الكافية في تحليل موجبات الخطاب عن طريق رصد المشكلة المركزيّة، وتجزئتها، ومن ثم الوقوف عندها، وتحليلها تحليلًا منطقيًا، وإعادة نسجها بطريقة مبتكرة، وبسياقات مؤثرة في وعي المخاطبين. فتقنيّة التّحليل المنطقي للأحداث، والوقائع المشتركة بين المتحاورين قبل مرحلة النّسج الخطابي، ستمنح المتكلّم بصورة مباشرة أو غير مباشرة القدرة على رسم سمات الشخصية المتحاور، ويرفده بطاقات البناء الخطابي المبتكر والمؤثر في ذهن المتلقي، وعندما نقف للبحث عن هذه التقنيّة في خطاب السيّدة الزّهراء (عليها السلام) نجدها ظاهرة في مفاصل الخطاب، فرصدت المشكلة القائمة على أساس الرجوع على الأعقاب وبداية الانحراف في مجموعة من الأساسيات يمكن أن نقف عند بعضها وعلى وفق الآتي:

(١) أسلوب الحوار في القرآن الكريم - خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية -، عبد الله الجيوسي، بحث منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ع ٢، ٢٠٠٦ م: ١٢.

- بداية الخروج على القرآن الكريم فنبهت لذلك بقولها: (تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَبَدَلْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ)<sup>(١)</sup>.

- بداية الخروج على وصية النبي ﷺ فذكرتهم بقولها: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، فَإِنْ تَعْرِفُوهُ، تَجِدُوهُ أَيْ دُونَ آبَاءِكُمْ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ).

- بداية الخروج عن الإمامة التي أوصى بها النبي ﷺ بقولها: (لِلَّهِ فِيكُمْ عَهْدٌ قَدْ مَدَّهُ إِلَيْكُمْ، وَنَحْنُ بِقِيَّةٍ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ وَمَعَنَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَهُ بَصَائِرُهُ، وَآيَ فِينَا مِنْكَشِفَةٌ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ، مُنْجِلِيَّةٌ ظَوَاهِرُهُ، مَدِيمُ الْبَرِيَّةِ أَسْمَاعُهُ، قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ أَتْبَاعُهُ، مُؤَدِّ إِلَى النَّجَاةِ اسْتِمَاعُهُ، فِيهِ بَيَانُ حُجُجِ اللَّهِ الْمُتَوَرَّةِ، وَعَزَائِمُ الْمُفَسَّرَةِ، وَحَاوِزُهُ الْمُحَذَّرَةُ، وَتَبْيَانُهُ الْجَالِيَّةُ، وَجَمْلُهُ الْكَافِيَّةُ، وَفَضَائِلُهُ الْمُنْدُوبَةُ، وَرُخْصَتُهُ الْمُؤْهُوبَةُ، وَشَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ)<sup>(٢)</sup>.

فالحوار الخطابي في مجمله يقف عند هذه الأساسيات، ولا يتعدى إلى غيرها من إطلاقات عامة ممنهجة لأغراض ضيقة كما صور في بعضها، فهذه التسمية إطلاق مختزل عن الغرض الأساس، وهو بداية الانحراف في أساسيات الأمة الإسلامية التي يجب أن تقف عند تلك الحدود التي وضعها الله سبحانه وتعالى، وشرحها على لسان نبيه الصادق الأمين ﷺ، فحللتها السيدة الزهراء، ووقفت عندها طويلاً، لتنبه الأمة من الانجرار إلى تلك المخاطر التي ستفضي إلى تفرقها ومن ثم ضعفها، والسيطرة عليها، وهذا ما نشاهد مصاديقه اليوم في الأمة الإسلامية. ولا شك أن السيدة الزهراء ﷺ لم تخض الحوار إلا بعد أن حللت المشكلة وشخصت الظروف العامة التي تحيط بالمتلقين، مما يعطي للحوار القبول والنجاح؛ فلن يحقق الحوار نجاحه من دون أن يراعي المتكلم الظروف النفسية والسمات العامة، والوسط الثقافي من معتقدات ومسلمات المتلقين<sup>(٣)</sup>.

(١) بلاغات النساء: ٢١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠.

(٣) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد الأمين طلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي - ليبيا، ط ١، ٢٠٠٨ م: ١١٨ الهامش.

ولا نريد الخوض في طريقة الأداء الحجاجي للسيدة الزهراء (عليها السلام)، فقد وقفنا عنده<sup>(١)</sup> بقدر ما نركّز على تقنيات الحوار الخاصة بالتحليل والابتكار التي بُنيت في الخطاب الفاطمي. فكما ظهر عندنا كيف شخّصت المرتكزات والعلل في الخطاب الذي اقتضى الوقوف أمام الناس، والإعلان عن مخاطره المستقبلية؛ لذلك نجدتها ركّزت في حواريتها بعد تحليل المشكلة على ثلاثة محاور أساسية يمكن اتباعها لحلّ هذه المشكلة وهي: (القرآن الكريم - الحديث النبوي الشريف - منهج أهل بيت النبي (عليه السلام))، فحضرت الدعوة إلى التزام القرآن الكريم في حواريتها ما نسبته (٤٥) مرة والحديث النبوي ما نسبته (١٥) مرة، التزام جانب أهل بيت النبوة والسير على نهجهم بما نسبته (٢٠) مرة. ولو وضعنا مخططاً يوضح نسبة توظيف هذه المحاور الثلاثة لكان على النحو الآتي:

ولا بدّ من الإشارة بأنّ هذه المحاور لا تأتي منفصلة بعضها عن بعض، وإنّما تأتي متضافرة منسجمة يأخذ بعضها برقاب بعض، لإثبات قضية أو تعميق فكرة ما، ألا وهي خطورة الابتعاد عنها. وهي فكرة متساوقة مع الحديث النبوي الشريف المعروف بحديث الثقلين<sup>(٢)</sup> الذي يقول فيه: (وأنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله، جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وإيّمهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)<sup>(٣)</sup>. وهذا التحليل للأحداث الواقعة، ومقامات الخطاب أعطى المتكلم القدرة على الرّبط بين ثقافة المتلقي، والمشكلة الرئيسة التي يدور حولها الخطاب فأنّج لنا نسجاً مبتكراً يقوم على الإرث المعرفي لمتلقي الخطاب.

(١) ينظر: إصدار مؤلف خاص تحت عنوان المقدمات والسلام الحجاجية في خطب السيدة الزهراء (عليها السلام).  
(٢) سُميا ثقلين؛ لأنّ الأخذ بهما ثقل، والعمل بهما ثقل، وأصل الثقل أنّ العرب تقول لكلّ شيء نفيس خطير مصون (ثقل): يُنظر في ذلك: لسان العرب: ٨٨/١١، مادة (ثقل) تاج العروس: ٨٥/١٤.  
(٣) مسند أحمد، رقم أحاديثه: محمد عبد السلام عبد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٣م: ١٨/٣، ويُنظر في المعنى نفسه: سنن الدارمي: الدارمي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠٠٣م: ٤٣٢/٢، صحيح مسلم بشرح النووي، عني بنشره: محمود توفيق، مطبعة حجازي، القاهرة - مصر، (د.ت.).

### ثالثاً: مهارة التصوير للأفكار:

الضبط الانفعالي، وتحليل الشخصيات المتحاورة وابتكار الحلول لعقد المحاورة غير كافية لتحقيق النجاح في الخطاب، فنحتاج إلى مهارة تصوير تلك الأفكار التي نريد أن نوصلها إلى المتلقي بطريقة فنية واعية قادرة على تعميق المعنى في النفس، وهي تقنية تقوم على أساس الترابط في البناء المعرفي للحوار عن طريق الربط الصوري للأفكار التي يعرضها المتكلم بشكل غير مباشر؛ فتنبى الفكرة عن طريق التصوير البلاغي لجعلها أكثر تأثيراً وعمقاً في ذهن المتحاورين.

والحق أن البناء الصوري للأفكار في أي خطاب أمر لا يتقنه الجميع، ويحتاج إلى قدرات تصويرية عالية من جهة، وإلى فهم عميق لحالات المخاطبين النفسية من جهة أخرى؛ فلا يكفي تصوير الفكرة من دون الربط بين جميع أجزائها المعرفية. فظهرت هذه التقنية في الحواريات عند السيدة الزهراء عليها السلام إذ إنهازت بقدرتها على احتواء الحالات النفسية المتأزمة عند المتلقي بعد أن طمعت تلك النفوس بما في هذه الدنيا من رغبات، فخرجت من سطوة العقل فاحتواها الخطاب الفاطمي بإسلوبه الوعظي المغلف بحركة العقل، والجمع بين اللين والشدّة، وتذكير الأمة ووعظها من أجل احتواء تلك النفوس الشاذّة، فعملت على التزام الجانب الموضوعي، والحقائق التي تشير إلى ما هو مشترك عند عدد كبير من المتلقين، ويمكن أن يكون مشتركاً عند الجميع<sup>(١)</sup>.

فتتجلى في نصوصها الحوارية البراعة في استثمار الطاقات التصويرية للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والفنون الأدبية العربية، وتوظيفها لتصوير دقائق الأمور التي ترسم فداحة الحدث في قلوب السامعين بالتوظيف الأمثل لآيات القرآن الكريم في المواضع

(١) ينظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، د. الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس - ليبيا، ط ١، ٢٠١٤م: ٤٣.

الملائمة للموقف في النص<sup>(١)</sup>، فسار تصوير الأفكار في ثلاثة محاور أساس: محور التصوير القرآني والنبوي الشريف للأحداث، ومحور تصوير أهل البيت (عليه السلام) لا سيما شخصية الإمام علي (عليه السلام)، ومحور تصوير متلقي الحوار. ولضيق مساحة البحث ومحدداته الكمية، سنقف عند المحور الأول؛ لسعته وشموله في الحوار إذ يدخل أساساً في مجريات التصوير الأخرى.

### محور التصوير القرآني والنبوي الشريف لأحداث الحوار

بيّن الإحصاء الذي أجريناه لخطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) في المحور الثاني سيادة التوظيف القرآني في الخطاب الحواري بنسبة عالية قياساً للتوظيفات الأخرى؛ وهذا يُدلل على عمق الثقافة القرآنية للسيدة الزهراء (عليها السلام) من جهة، والقدرة على توظيف تصوراتها الفنية القائمة على البرهنة والتدليل المتقن، والمؤثر في نفوس المخاطبين من جهة أخرى؛ لأنها اشركت المخاطب في تلك التصويرات القرآنية، بوصفها (أنساق أكثر تعقيداً، تتعلق بصلات بين الوقائع، سواء تعلق الأمر بنظريات علمية أو بتصورات فلسفية أو دينية تتجاوز التجربة)<sup>(٢)</sup>، فأكسبت الحوار بذلك الفعالية المنتجة، وشكلت مساراً موجه نحو النتيجة، ومنه تكون نقطة الإنطلاق (propositions de depart) الفعالة في الاستدلال<sup>(٣)</sup>.

فعندما أرادت وصف الحالة التي كانوا عليها المخاطبين قبل مجيء النبي (صلى الله عليه وآله) بالرسالة السماوية، ومقارنتها بوضعهم الحالي حضرت الاستعانة بالتصوير القرآني في قولها: (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُدْقَقَةَ الشَّارِبِ، وَهُمْزَةَ الطَّامِعِ، وَقَبَسَةَ الْعَجَلَانِ، وَمَوْطِئَ الْأَقْدَامِ،

(١) ينظر: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة، د. هادي سعدون هنون العارضي، العتبة العلوية المقدسة، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ١، ٢٠١١م: ٣٥.

(٢) نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، د. الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط ١، ٢٠١٤م: ٤٣.

(٣) ينظر: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيق، د. عبد الله صولة، مسكيليان للنشر، تونس، ط ١، ٢٠١١م: ٢٤.

تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْقِدَّ أَذِلَّةَ خَاسِيَيْنَ، تَخَافُونَ أَنْ يَخْتِطِفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

ولا يغيب عن ذهن المتلقي لهذا الخطاب دقة التصوير القرآني لما عليه القوم من جهة، وفاعليته المؤثرة خاصة وأنها توجه إليهم النقد اللاذع لما فعلوه بعد أبيها النبي ﷺ، وتقبله من دون أدنى شك فيما تقوله، والحق أن الحديث الموسع في هذه النقطة يحتاج إلى بحث منفصل لغزارة وجوده في الحوار؛ فلا نجد حجة من حججها ﷺ خالية من التصوير القرآني المعزز لدقة وتأثير حوارها مع المخاطبين، وهذا الأمر يدفعنا إلى القول بأن مسألة التوظيف القرآني في حوار العقلية العربية يمنحه بعداً واقعياً مؤثراً، لأن التصوير القرآني يرتبط بحياتهم الواقعية الملموسة، فالحوار الحجاجي الناجح في الخطاب النسوي، وحتى غيره يرتبط بقدرة المتكلم في (معرفة المواقف السابقة للمخاطب، فيكون للخطيب خلفية معرفية بالأحداث، والمواقف، فلا يكتفي بقدرته على الفن الخطابي، وإنما يحتاج إلى عملية ترابط رصينة بين أركان العملية الخطابية)<sup>(٢)</sup>، وعملية الترابط هذه ينسجها نسجاً تصويرياً مؤثراً في قنوات المخاطبين، ولا يتأتى ذلك إلا لمن يدرك التصورات المؤثرة في وعي المخاطب إذ يُنقل بعد انتهاء خطبتها ﷺ القول: (فما رأينا يوماً كان أكثر باكيةً ولا باكيةً من ذلك اليوم)<sup>(٣)</sup>.

فنتيجة هذا البكاء جاءت بعد التصوير المحاكي لوعي المخاطب إذ ((تثير الصورة القرآنية جانب الشعور الإنساني فتَهزُّ أعماق الإنسان لتوقظه على حقائق الحياة، من خلال المشاهد المعروضة والصور المشخصة فيبلغ التأثير الوجداني مداه الواسع وتنتفتح منافذ

(١) بلاغات النساء: ١٧.

(٢) الحجاج في خطب السيدة زينب ﷺ - دراسة تداولية -، د. هادي سعدون هنون العارضي، دار تموز للنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠١٧م: ١٥.

(٣) بلاغات النساء: ٣٢.

النفس لتستقبل هذا التأثير في العقل والشعور<sup>(١)</sup>، وعلى هذا الأساس التصوير القرآني في حوارية السيدة الزهراء عليها السلام تقنية مؤثرة في الخطاب النسوي، ويعد ضرورة لنجاح الحوار مع الآخرين. وأدناه جدول إحصائي، ومخطط مبسط يبين نسبة التوظيف للتصوير القرآني المباشر وغير المباشر في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام:

كلام السيدة فاطمة <small>عليها السلام</small>	التصوير القرآني الموظف في الحوار	السورة والآية
(وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُدَقَّةَ الشَّارِبِ، وَهَرَّةَ الطَّامِعِ...)	قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾	آل عمران / ١٠٣
(كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَهُ بَصَائِرُهُ)	﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	الجاثية: ٢٩ المؤمنون / ٦٢
(الْقُرْآنُ الصَّادِقُ...)	قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ﴾	الأحقاف / ١٢
(النُّورُ السَّاطِعُ....)	قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾	المائدة / ١٥ النساء / ١٧٤
قوله: (تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَبَدَلْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ...)	قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾	النمل: ١٦

(١) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة، د. هادي سعدون هنون العارضي: ١٦١.

قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثْنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾	مريم / ٦-٥	قوله: (وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا اقْتَصَرَ مِنْ خَيْرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثْنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ...)
قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾	النساء / ١١	قوله: (وَقَالَ عَزَّ ذَكَرَهُ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَقَالَ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ..)
قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	البقرة / ١٨٠	قوله: (وَقَالَ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ، وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حِطَّةَ لِي وَلَا إِرْثَ لِي مِنْ أَبِي وَلَا رَحِمَ...)
قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾	يوسف / ١٨	قوله: (،) كَلَّا بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ...)

إنعام النظر في الجدول الإحصائي والمخطط الخاص بنسب السور والآيات القرآنية المقتبسة بصورة مباشرة وغير مباشرة تفضي إلى القول بأن السيدة الزهراء (عليها السلام) في خطبها قد وظفت التصوير القرآني في حوارها على وفق رؤية عميقة وواعية لدلالات الآيات القرآنية والسور المقتبسة بما يعزز الحجّة ويرسخها في ذهن المخاطب من جهة، ومن جهة أخرى يُدلل على عمق الثقافة القرآنية فنجد وكأنّها قد أجرت مسحاً ميدانياً لجميع القرآن الكريم، ومن ثمّ اختيار ما يقوي حوارها. فلم يقتصر التوظيف على سورة واحدة أو سورتين أو حتى ثلاث، وكما موضح في المخطط. ولا يخفى على المتلقي ما يضيفه هذا الأسلوب في التوظيف الشامل لدوائر المعرفة الإسلامية العربية كافة، فينتج تواصلاً منطقياً؛ لأخذه

بمبدأ الاشتراك مع الغير في طلب العلم، وطلب العمل بالمعلوم، كما تبني على قواعد أخلاقية تأخذ بمبدأ النفع المتعدي إلى الغير<sup>(١)</sup>.

والحق أن الحديث في علاقة السيدة الزهراء عليها السلام مع القرآن، والحديث النبوي الشريف، وحتى مع أهل البيت عليهم السلام لا تسعه هذه الدراسة، ويحتاج لدراسة مفصلة، وموسعة تبين جميع مظاهر التأثير في حوارها مع المخاطبين، فنكتفي بهذا القدر، ونترك المجال والفرصة للباحثين لدراسة هذه العلاقة في جميع تجلياتها المعرفية، وآثارها العلمية، والتربوية القادرة على بناء الفرد والمجتمع، ولا سيما المرأة المسلمة عن طريق أسلوب الحوار القائم على أسس معرفية متمثلة في القيم والمبادئ الدينية التي أرساها الله سبحانه وتعالى في عبادته، وبلغها على لسان نبيه وأهل بيته عليهم السلام.

وإذا ما أردنا الوقوف على توظيف السيدة الزهراء عليها السلام للفنون البلاغية العربية في تصوير الأفكار المعروضة في الخطاب نجدها جلية في سير تصويرها للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فتقول: (قَذَفَ أَخَاهُ فِي هَوَاتِمَا، فَلَا يَنْكَفِي حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ، وَيُحْمَدَ لَهَا بِسِفِهِ، مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ، مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللَّهِ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، سَيِّدًا فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مُشْمَرًا نَاصِحًا، مُجِدًّا كَادِحًا، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَةِ مِنَ الْعَيْشِ، وَادْعُونَ فَاكِهُونَ أَمْنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ، وَتَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النَّزَالِ، وَتَفَرُّونَ مِنَ الْقِتَالِ. فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ، وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ، ظَهَرَ فِيكُمْ حَسَكَةُ النِّفَاقِ، وَسَمَلُ جِلْبَابِ الدِّينِ)<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: تجديد المنهج في تقويم التراث، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط ٢، د.ت: ٢٠.

(٢) بلاغات النساء: ١٩، وينظر: السقيفة وفدك: ٩٧ - ١٠١؛ نثر الدر: ٤ / ٥ - ٨؛ كتاب الشافي في الإمامة: ٣ / ١٤٠، دلائل الإمامة: ٣٠ - ٣٩؛ معاني الأخبار: ٢ / ٢٩٥ - ٢٩٦ مع اختلاف وتقديم وتأخير بعض الألفاظ.

ومن نعم النظر في هذه الحوارية يجد أنها توجّهت ﷺ لتصوير شجاعة، وإقدام الإمام علي عليه السلام من دون ذكر مقومات كثيرة إنماز بها على غيره من القوم المخاطبين، وأهمّها: (الولاية)، فهم على معرفة تامة، وقرب عهد بوصيّة النبي ﷺ عندما عهد إليه بالولاية من بعده بقوله: (أيّها النّاس من أولى النّاس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؛ فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث مرات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ، وإتمام النعمة، ورضى الرّب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي<sup>(١)</sup>، وهذا الأمر يعطينا السبب للتساؤل عن سبب ذلك، فما علّة تركيز السيّدة الزّهراء في خطابها على الشجاعة، وتقديمها على الولاية؟

ويبدو أنّ الإجابة تكشفها تقنيات الحوار التي ضمنتها السيّدة الزّهراء ﷺ في الخطاب، فهي تعلم تماماً سيطرة طمع السّلطة في أذهان المخاطبين، فتسليط الحوار عليها لن يجدي نفعاً مع قوم أصبحوا مرتعاً لأطماع الدّنيا، فركزت على الشّجاعة؛ لأنّها تمثل قيمة معنويّة عالية عند العربي، فالعرب يفتخرون بكرمهم، وفصاحتهم، وشجاعتهم على مرّ الأزمان بغضّ النظر عن الدين، والسياسة، فكثفت فكرة الحوار الحجاجي بتلك التصويرات الاستعارية؛ لما تحمله من قيمة تاريخيّة مؤثرة في قناعات المخاطبين، وهي تقنيّة حوارية ذات قيمة معرفيّة يفتخر بها متلقّي الخطاب.

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، مؤسسة الأعلمي، لبنان- بيروت، ط ١، ١٩٩٤م: ١/ ٢٩- ٣٠. آثرنا ذكر هذا المصدر من دون غيره من المصادر والمراجع في كتب الحديث لأنّه كتاب شامل ومختص بهذه الواقعة.

## الخاتمة والنتائج

- ضرورة تفعيل الحوار في جميع المستويات الفردية والجماعية، فهو وسيلة للعيش الآمن والحياة المستقرة في جميع الشعوب؛ لذلك ظهرت تجلياته في الخطاب القرآني وخطاب أهل البيت (عليه السلام) بشكل كبير وفي جميع الأزمان.

- شاع في بعض الأوساط المجتمعية ضرورة تحفظ المرأة في الحوار مع الآخرين مهما بلغ حجم الحدث، وهذا مخالف لما وجدناه في بحثنا، فالمرأة لا بد أن تمتلك تقنيات الحوار في خطابها مع الآخر، وتوظفها في الدفاع عن الحقوق، ويجب أن يكون ذلك على وفق ما وصلنا من تقنيات الحوار في الخطاب النسوي عند السيدة الزهراء والسيدة زينب (عليهما السلام) واتخاذهما مثلاً يحتذى به من القوة والضبط الانفعالي عند المرأة على مرّ الأزمان. فعندما نربط في علل الحوار الخطابي عندهما نجد أن الخطابين لم يردا إلا لعلة سامية أساسها الدفاع عن الدين والمعتقد، فالسيدة الزهراء لم يكن هدفها الحوار بحدّ ذاته، وإنما دافعت عن مبادئ الدين وأساسياته التي رسمها النبي (صلى الله عليه وآله). ومن هنا نضع شرعية خطاب المرأة (من نظرة أكاديمية) وتوظيف تقنياته عندما يكون الأمر في الدفاع عن أهداف سامية، ولا نضع أي شرعية في الخطابات الأخرى الخارجة عن تلك الحدود بدلالة ما وجدناه في الخطابين.

- في الدراسة ردّ على من شكّك في قدرات المرأة بشكل عام، والمرأة المسلمة بشكل خاص، فبيّنت قدرتها على توظيف التقنيات الحوارية المؤثرة في المخاطبين، فانهاز الحوار في خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) بالتدليل المنطقي، فشكّل بذلك قطعة بحثية مستمدة من الوقائع التي كانت تعيشها السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من دون خيال، ولا تأويل، فأعطت لخطابها الديمومة، والثبات في الاستدلال عبر مراحل التاريخ القديم، والمعاصر، والذي يمكن أن يكون نمطاً تقنياً فعالاً عند جميع النساء المسلمات.

- وضح الحوار في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام وجود علاقة وطيدة مع القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأهل البيت عليهم السلام؛ والحق أن هذه العلاقة لا تقوم على أساس القبيلة أو الانتماء العشائري، أو المصلحة ذات المنفعة الدنيوية، وإنما هي علاقة مستمدة من معرفة الله سبحانه وتعالى، وتطبيق تعاليمه وتوصيات نبيه صلى الله عليه وآله.

- تبين من دراسة الحوار الحاجة إلى التوسع في موضوع البحث، وفي جميع تجلياتها المعرفية، وآثارها العلمية، والتربوية القادرة على بناء الفرد والمجتمع، ولا سيما المرأة المسلمة عن طريق أسلوب الحوار القائم على أسس معرفية متمثلة في القيم والمبادئ الدينية التي أرساها الله سبحانه وتعالى في عباده، وبلغها على لسان نبيه وأهل بيته عليهم السلام.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- بلاغات النساء، الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ)، مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبي فيض الزبيدي (ت ١٢٠٥)، دراسة وتحقيق: علي سيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- التداولية والحجاج - مداخل ونصوص، صابر الحباشة، دمشق - سوريا، ط ١، ٢٠٠٨م.
- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية، هادي سعدون هنون، العتبة العلوية المقدسة، ط ١، ٢٠١١م.
- تجديد المنهج في تقويم التراث، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط ٢، د. ت.
- الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد الأمين طلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي - ليبيا، ط ١، ٢٠٠٨م.
- الحجاج في خطب السيدة زينب (عليها السلام) - دراسة تداولية -، د. هادي سعدون هنون العارضي، دار تموز للنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠١٧م.
- دلائل الإمامة: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، منشورات مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٤٩م.
- السقيفة وفدك: أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري (٣٢٣هـ). تح. د. محمد هادي الأميني، شركة الكتبي للطباعة، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٣م.

- سنن الدارمي: الدارمي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠٠٣ م.
- صحيح مسلم بشرح النووي، عني بنشره: محمود توفيق، مطبعة حجازي، القاهرة - مصر، (د.ت).
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، مؤسسة الأعلمي، لبنان- بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م.
- في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيق، د. عبد الله صولة، مسكيلاني للنشر، تونس، ط ١، ٢٠١١ م.
- كتاب الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ) تحقيق عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مؤسسة الصادق لطباعة والنشر، طهران- إيران، ١٤١٠ هـ.
- لسان العرب: لابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦ م.
- المقدمات والسلام الحجاجية في خطب السيدة الزهراء (عليها السلام) - دراسة تداولية -، د. هادي سعدون هنون العارضي، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق، ط ١، ٢٠٢٣ م.
- مسند أحمد، رقم أحاديثه: محمد عبد السلام عبد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٣ م.
- معاني الأخبار محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الشيخ الصدوق) (٣٨١هـ) ملحق بكتابه علل الشرائع، ط ١، إيران.
- نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، د. الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس- ليبيا، ط ١، ٢٠١٤ م.

#### البحوث والمجلات:

- أسلوب الحوار في القرآن الكريم - خصائصه الإعجازية وأسواره النفسية -، عبد الله الجيوسي، بحث منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ع ٢، ٢٠٠٦ م.



# الحق اليقين في علي و الزهراء عليهما السلام

الباحث

م. هاشم محمد محمد باقر الباججي

مدير مركز الامام أمير المؤمنين عليه السلام

للدراستات والبحوث التخصصية

النجف الاشرف



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله خالق الخلق ومعيدهم، وصلى الله على رسوله المصطفى أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إنّ ما ذكره الرواة وأصحاب السير من مناقب النبي الأكرم وعترته الطاهرة صلوات الله عليهم وفضائلهم في الكتب المعتبرة ما ملأ الخافقين، وإنّ ما ذكره من ذلك إنّما هو جزء يسير من تلك الفضائل والكرامات الدالة على سمو مقامهم وعلو شأنهم عند الله سبحانه وتعالى. وعلى الرغم من الضغوط السياسية التي كانت تمنع نقل كلّ حديث يُشَمُّ منه رائحة تفضيل أهل البيت الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، إلا أنّ الأحاديث قد ملأت الخافقين. ومن كتب المناقب والفضائل هذا الكتاب المخطوط بعنوان (الحقّ اليقين في تراجم المعصومين) للشيخ علي كاشف الغطاء رحمته الله، وقد أخذنا في هذا البحث (سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وزوجته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام)، فيما ورد من ترجمتهم، وقمنا بتحقيق ما ذكر عنهم في هذا الكتاب المخطوط، وقد أسميناه البحث (الحقّ اليقين في علي و الزهراء صلوات الله عليهما) فعملنا على ما ذكره الشيخ في مؤلفه من سيرة النورين علي وفاطمة صلوات الله عليهما، ليكون مناسباً لأعمال المؤتمر الثالث عشر الخاص بهاتين الشخصيتين العظيمتين، وقد كان عملنا في منهج التحقيق الآتي:

١ - اعتمدنا في التحقيق على مخطوطة مكتبة ومؤسسة آل كاشف الغطاء العامة، وهي نسخة وحيدة لديهم، فالشكر موصول لهذه المؤسسة التي لا تبخل بشيء من أجل نشر العلم والتراث الفكري.

٢- المخطوط الذي تم تحقيقه للشيخ علي كاشف الغطاء رحمته الله له اسمان، الأول مختصر تراجم المعصومين، والثاني الحق اليقين في تراجم المعصومين.

٣- اقتطعنا من هذه المخطوطة ما ورد من ترجمة الإمام أمير المؤمنين والزهراء سلام الله عليهما، وقمنا بتحقيقه، وأسَميت البحث (الحقّ اليقين في علي و الزهراء صلوات الله عليهما).

٤- قمنا بترجمة السيرة الذاتية والعلمية للمؤلف.

٥- خرّجنا الآيات القرآنية الواردة في المخطوط، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الأئمة عليهم السلام.

٦- شرح الكلمات الغامضة والأماكن والحوادث التاريخية التي ترد في المخطوط.

٧- ترجمة الأعلام الواردة في المخطوطة، وبصورة موجزة تجنباً للإطالة وإثقال الهوامش.

٨- تخريج الروايات الواردة في المتن وإرجاعها إلى مظانها تبعاً لعلومها المختلفة.

٩- وضعت علامات الترقيم معتمداً بذلك على الطريقة الحديثة في الرسم.

وقد قسّمت البحث إلى ثلاث مباحث؛ المبحث الأول ترجمة مختصرة لمؤلف كتاب (الحق اليقين في تراجم المعصومين)، والمبحث الثاني (بيان أحوال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) وهو عنوان المؤلف نفسه في المخطوطة، والمبحث الثالث (أحوال سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها)، وهو نفس عنوان المؤلف.

## المبحث الأول

### ترجمة مختصرة لمؤلف كتاب (الحق اليقين في تراجم المعصومين)<sup>(١)</sup>

**نسبه:**

هو الفقيه، والمجتهد، والعالم العامل، والبالغ قبل الثلاثين من عمره ذروة منصة الاجتهاد، سليل بيت العلم، والفقاهة، والمرجعية آية الله العظمى الشيخ علي ابن الشيخ محمد رضا ابن الحجة الشيخ هادي ابن المجتهد الشيخ عباس ابن المجتهد الشيخ علي صاحب (الخيارات) ابن المجتهد الشيخ الأكبر الشيخ جعفر صاحب كتاب (كشف الغطاء) ابن العلامة الشيخ خضر بن محمد بن يحيى بن مطر بن سيف الدين المالكي الذي يرجع بهم النسب إلى مالك بن الحارث الأشتر النخعي صاحب مولانا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام). وأما لقب الأسرة بآل كاشف الغطاء فهو نسبة إلى كتاب (كشف الغطاء) لجدهم الأكبر الشيخ جعفر، طاب ثراه.

ولد سنة ١٣٣١ هـ في محلة العمارة بمدينة النجف الأشرف.

**أساتذته:**

أخذ العلم عن جدّه وأبيه الهادي والرضا، والفقيه الكبير الشيخ كاظم الشيرازي، الذي كان جلّ تحصيله عليه، حتى تبهر في علوم الفقه والأصول، والعلامة السيد علي اللكنهوي في الفلسفة والمنطق والعقائد.

(١) ينظر كتاب: ذروة من حياة الشيخ علي كاشف الغطاء، السيد عبد الستار الحسني، مؤسسة كاشف الغطاء العامة. (العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية) للإمام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (رحمته الله). وكذلك حصلنا على بعض من ترجمته من مؤسسة ومكتبة كاشف الغطاء العامة التي يديرها نجله سماحة الشيخ الدكتور علي آل كاشف الغطاء، دام ظله.

**تلاميذه:**

وقد تتلمذ عليه جمهرة صالحة من العلماء والباحثين، منهم السيد علي والسيد جمال الدين نجلا المرجع الديني الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي، رحمتهما الله تعالى، والحجة الشيخ باقر القرشي، والعلامة الشاعر الكبير المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، العلامة الفقيه الشيخ عبد الكريم القطيفي، والخطيب الكبير العلامة الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، والعلامة الشيخ حسين آل زيد دهام، والعلامة النحوي الدكتور مهدي المخزومي، والعلامة الشيخ نور الدين الجزائري، والعلامة الشيخ أسد حيدر.

**إجازته في رواية الحديث:**

يروى الشيخ المترجم بالإجازة عن جدّه الإمام الهادي عن العلامة الكبير الفقيه الأصولي الرجالي الشهير السيد أبي محمد الحسن آل صدر الدين الموسوي العاملي الكاظمي.

**مؤلفاته:**

وللشيخ المترجم مؤلفات قيمة في مختلف فنون المعرفة الإسلامية، من فقه وأصول، ومنطق، وتراجم، ومناظرات بينه وبين كبار علماء الأمة من الفريقين، ومن أشهر آثاره:

**أولاً: المطبوعة:**

١. النور الساطع في الفقه النافع، بحوث في الاجتهاد والتقليد، طبع في مجلدين.

٢. نقد الآراء المنطقية، طبع في مجلدين أكثر من مرة.

٣. نهج الصواب إلى حلّ مشكلات الإعراب.

٤. نهج الهدى في علم الكلام.

٥. نظرات وتأملات. وهو شذرات من المطارحات العلمية والمناظرات الأدبية بينه وبين الدكتور فلييب حتي.
٦. أسس التقوى لنيل جنة المأوى، رسالة عملية.
٧. مرشد الأنام لحج بيت الله الحرام.
٨. أدوار علم الفقه وأطواره.
٩. باب مدينة علم الفقه.
١٠. مصادر الحكم الشرعي والقانون المدني.
١١. كتاب الصلاة.

### ثانياً: المخطوطة:

١. مختصر تراجم المعصومين (عليه السلام).
٢. كتاب الأحكام؛ أربعة عشر مجلداً.
٣. شرح الكفاية؛ عشر مجلدات.
٤. شرح الرسائل؛ تسعة مجلدات.
٥. شرح المكاسب؛ ثلاثة مجلدات.
٦. مصادر الحكم الشرعي والقانون المدني؛ المجلد الثالث.
٧. نقد الآراء الفلسفية.

٨. شرح منظومة السبزواري؛ مجلدان.
٩. الكلم الطيب؛ ثمانية مجلدات.
١٠. إظهار الحق؛ مختصر من شرح كبير على حاشية الشيخ ملا عبد الله اليزدي.
١١. الأحكام الدرية في المسائل النحوية.
١٢. كواكب الحكماء فيما اخترناه من كتب القدماء.

#### وفاته:

توفي رحمه الله في ١٩ رجب الأصب سنة ١٤١١ هـ، ودفن في مقبرة أسرة آل كاشف الغطاء في النجف الأشرف. وقد أعقب من المشايخ كل من: العلامة الدكتور الشيخ عباس، صاحب كتاب المال المثلي والمال القيمي في الفقه الإسلامي، وكتاب المعاملات المصرفية في الفقه الإسلامي، والذي ما يزال يحضر الدروس الراقية في الحوزة العلمية عند كبار المجتهدين، وكذلك الشيخ أسعد، والشيخ ذو الفقار.

ملحوظة: ألف المصنف هذا الكتاب، وعمره الشريف ستة عشر عاماً.

## المبحث الثاني

### بيان أحوال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

#### أولاً: ولادته، عليه أفضل الصلاة والسلام

المشهور أنّه (عليه السلام) ولد في مكة المعظمة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة<sup>(١)</sup>، ولم يولد في البيت الحرام أحد قبله ولا بعده<sup>(٢)</sup> وكان عمر النبي (صلى الله عليه وآله) في ذلك الحين ثمانية وعشرين سنة، وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين في الإسلام<sup>(٣)</sup>، وأخوته الثلاثة طالب وعقيل وجعفر لأنّ أباهم أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم.

وقد روى المحدثون من أهل السنة<sup>(٤)</sup> والشيعة<sup>(٥)</sup> عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: (خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد نسب الله يمينة العرش قبل أن يخلق الله آدم بأربعة وعشرين ألف عام، فلما خلق الله آدم (عليه السلام) جعل الله عزّ وجلّ ذلك النور في صلبه. ولقد ركب نوح (عليه السلام) السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم (عليه السلام) في النار ونحن في صلبه، فنجاه الله تعالى من النار، فلم يزل ينقلنا الله عزّ وجلّ من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة،

(١) الإرشاد، محمد بن النعمان الشيخ المفيد، ج ١، ص ٥.

(٢) كشف الغمة، ابن أبي الفتح الأربلي، ج ١، ص ٥٩.

(٣) تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ١٩. وقد جاء في بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٣٥، ص ٥: قوله (أول هاشمي) ليس بسديد إذ إخوته كانوا كذلك وكانوا أكبر منه، ويمكن أن تحمل الأولية على الإضافية. وجاء في المصدر نفسه هامش ص ٦: بل الصواب أن يقال (وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي).

(٤) تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، ج ٤٢، ص ٦٧. المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد الخوارزمي، ص ١٤٥. ينابيع المودة، سليمان بن إبراهيم القندوزي، ج ١، ص ٤٦.

(٥) علل الشرائع، علي بن بابويه القمي الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٣٤. المسترشد، محمد بن جرير الطبري (الشيعة)، ص ٦٣٠. مناقب أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، ج ١، ص ٢٧.

حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب فقسمنا نصفين فجعلني في صلب عبد الله، وجعل علياً في صلب أبي طالب، وإن الله تعالى قد حكم أنّ محبّي ومحبّ علي بن أبي طالب لا يدخل النار، وأنّ عدوي وعدوّ علي لا يدخل الجنة، وأنّ الله تعالى خلق الملائكة بأيديهم أباريق من فضة الجنة، وتلك الأباريق مملوءة من ماء الحياة وهي عين في جنة الفردوس، فإذا أراد أحد من آباء شيعتنا أن يقارب في الوقت الذي يريد الله انعقاد النطفة فيه جاء ملك وألقى قليلاً من ذلك الماء في الماء الذي يشربه، فيختلط ذلك الماء بنطفته فينعدّد في قلب المولود محبتي ومحبة علي وفاطمة والحسن والحسين)، ثم قال: (الحمد لله الذي جعل محبة علي والإيمان به سبباً لدخول الجنة والنجاة من النار)<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (أنّه لما ولد النبي ﷺ فُتح لآمنة بصرها فرأت بياض فارس وقصور الشام فجاءت فاطمة بنت أسد إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة فأعلمته بما رأت آمنة فقال لها أبو طالب: (أوتعجبين من هذا اصبري سبتاً فستحبلين بمثله إلا النبوة ويكون وصيه ووزيره)، والسبت ثلاثون سنة.

وقال النبي ﷺ لجابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله عليه في حديث طويل وقد سأله عن ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام): (يا جابر من قبل أن يقع علي في بطن أمّه، أنّه كان في زمان رجل عابد يقال له المثرم بن رعيب، وكان قد عبّد الله مئة وتسعين سنة ولم يسأله حاجة فسأل ربه أن يريه ولياً، فبعث الله تبارك وتعالى بأبي طالب إليه فلما أن بصر به المثرم، قام إليه فقبل رأسه وأجلسه وجلس بين يديه، فقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: رجل من تهامة، فقال: أمن مكة؟ قال: نعم، قال: ممن؟ فقال: من عبد مناف قال: من أي عبد مناف؟ قال: من بني هاشم، فوثب إليه الراهب وقبل رأسه ثانية، وقال: الحمد لله الذي أعطاني

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٢٤، ص ٨٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، ج ١، ص ٣١.

(٣) روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري، ص ٧٧.

مسألتي، ولم يمّتنني حتى أراني وليه، ثم قال: أبشر يا هذا فإنّ العليّ الأعلى قد ألهمني فيه بشارتك. قال أبو طالب: ما ه؟ قال: ولد يخرج من صلبك هو ولي الله تبارك وتعالى، وهو إمام المتقين ووصي رسول ربّ العالمين، فإن أدركت ذلك الولد فأقرأه مني السلام وقل له: إنّ المّثم يقرأ عليك السلام، وهو يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّك وصيّ حقاً، بمحمد تتم النبوة وبك تتم الوصية. قال فبكى أبو طالب وقال له: ما اسم هذا المولود؟ قال: اسمه علي، فقال أبو طالب: إني لا أعلم حقيقة ما تقوله إلاّ ببرهان يبيّن ودلالة واضحة، قال المّثم: فما تريد أن أسأل الله لك أن يعطيك في مكانك هذا؟ قال أبو طالب: أريد طعاماً من الجنة في وقتي هذا، فدعا الراهب فما استتم دعاءه حتى أتى بطبق فواكه الجنة رطباً وعنباً ورماناً، فتناول أبو طالب منه رمانة ونهض فرحاً مسروراً من ساعته، حتى رجع إلى منزله فأكلها فتحولت ماءً في صلبه، فجامع فاطمة بنت أسد فحملت بعلي وارتجت الأرض وزلزلت بهم أياماً حتى لقيت قريش من ذلك أمراً عظيماً من شدة الخوف وفرعوا إلى آلهتهم. وأتوا أبا قبيس، فلما اجتمعوا في ذروة أبي قبيس جعل يرتج ارتجاجاً حتى تدكدكت بهم الصخور، وتناثرت وتساقطت الآلهة على وجوهها فقالوا: لا طاقة لنا بما حل بنا. فصعد أبو طالب الجبل وهو غير مكترث بما هم فيه، فقال: أيها الناس إنّ الله تبارك وتعالى قد أحدث في هذه الليلة حادثة وخلق فيها خلقاً إنّ لم تطيعوه، وتقرّوا بولايته وتشهدوا بإمامته لم يسكن ما بكم، ولا يكون لكم بتهامة مسكن، فقالوا: يا أبا طالب إنا نقول بمقالتك فبكى أبو طالب، ورفع إلى الله عزّ وجلّ يديه وقال: إلهي وسيدي ومولاي أسألك بالمحمدية المحمودّة، وبالعلوية العالية وبالفاطمية البيضاء إلاّ تفضلت على تهامة بالرأفة والرحمة، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد كانت العرب تكتب هذه الكلمات فتدعوها عند شدائدّها في الجاهلية وهي لا تعلمها ولا تعرف حقيقتها؛ فلما كانت الليلة التي ولد فيها أمير المؤمنين أشرقت السماء بضياؤها وتضاعف نور نجومها وأبصرت قريش من ذلك عجباً، فهاج بعضها في بعض وقالوا: قد أحدث في السماء حدث، وخرج

أبو طالب وهو يتخلل مكة وأسواقها، ويقول: يا أيها الناس تمت حجة الله، وأقبل الناس يسألونه عن علة ما يرونه من إشراق السماء وتضاعف نور النجوم فقال لهم: أبشروا فقد ظهر ولي الله، وبه يكمل خصال الخير ويختتم به الوصيين. وهو إمام المتقين وناصر الدين، وقامع المشركين ومغيظ المنافقين وزين العابدين ووصي رسول رب العالمين. إمام هدى ونجم علاً ومصباح دجى ومبيد الشرك والشبهات وهو اليقين نفسه ورأس الدين، فلم يزل يكرّر هذه الكلمات والألفاظ إلى أن أصبح، وغاب عن قومه أربعين صباحاً.

قال جابر: يا رسول الله إلى أين غاب؟ قال: إنّه مضى بطلب المثرم كان قد مات في جبل اللكام فاكتم يا جابر، فإنّه من أسرار الله المكنونة وعلومه المخزونة أنّ المثرم كان قد وصف لأبي طالب كهفاً في جبل اللكام وقال: إنك تجدني هناك حياً أو ميتاً فلما مضى أبو طالب إلى ذلك الكهف، ودخل إليه وجد المثرم جسداً ملفوفاً في مدرعة مسجى بها إلى قبلته فإذا هناك حيتان أحدهما بيضاء والأخرى سوداء، وهما يدفعان عنه الأذى. فلما أبصرتا بأبي طالب غربتا في الكهف ودخل أبو طالب إليه فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فأوحى الله تعالى بقدرته إلى المثرم فقام قائماً يمسح وجهه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ علياً ولي الله والإمام بعد نبي الله، فقال أبو طالب: البشرى فإنّ علياً قد طلع إلى الأرض، فقال: وما علامة تلك الليلة التي طلع فيها، قال: أبو طالب: لما مضى من الليل الثلث أخذ فاطمة ما يأخذ النساء عند الولادة، فقلت لها: ما لك يا فاطمة، قالت: إني أجد اضطراباً، فقرأت عليها الاسم الذي فيه النجاة فسكنت فقلت لها: إني انهض فأتيك بنسوة من صوحيباتك يعيننك على أمرك في هذه الليلة، فقالت: رأيك يا أبا طالب، فلما قمت لذلك إذا أنا بهاتف هتف من زاوية البيت: أمسك يا أبا طالب فإنّ ولي الله لا تمسه يد خاطئة، وإذا أنا بأربع نسوة يدخلن عليها وعليهن ثياب كهيفة الحرير الأبيض، ورائحتهن أطيب من المسك الأذفر، فقلن لها: السلام عليك يا ولية الله فأجابتهن. ثم جلسن بين يديها ومعهن جونة من فضة، فأنسنها حتى ولد أمير المؤمنين.

فلما ولد انتهيت إليه، فإذا هو كالشمس الطالعة، وقد سجد على الأرض وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وأشهد أنّ علياً وصي محمد رسول الله وبمحمد يختم النبوة، وبى تتم الوصية وأنا أمير المؤمنين، فأخذته واحدة منهم من الأرض ووضعته في حجرها فلما نظر علي إلى وجهها ناداها بلسان طلق السلام عليك يا أماه. فقالت: وعليك السلام يا بني، فقال: ما خبر والدي؟ قالت: في نعم الله يتقلب وصحبته يتنعم فلما سمعت ذلك: قلت يا بني ألسنت بأبيك؟ قال: بلى ولكني وإياك من صلب آدم وهذه أمي حواء. فلما سمعت ذلك غطيت نفسي بردائي، وألقيت نفسي في زاوية البيت حياء منها ثم دنت أخرى ومعها جونة يعني -ظرف من الغالية- فأخذت علياً فلما نظر في وجهها قال: السلام عليك يا أختاه قالت: وعليك السلام يا أخي، قال: فما خبر عمي قالت: بخير، وهو يقرأ عليك السلام، فقلت: يا بني أي أخت هذه وأي عم هذا؟ فقال هذه مريم ابنة عمران، وعمي عيسى ابن مريم وطيبته بطيب كان في الجونة فأخذته أخرى منها، فأدرجته في ثوب كان معها.

قال أبو طالب فقلت: لو طهرناه لكان أخف عليه، وذلك أنّ العرب كانت تطهر أولادها، فقالت: يا أبا طالب إنّه ولد طاهرٌ مطهرٌ لا يذيقه حر الحديد في الدنيا إلا على يد رجل يبغضه الله ورسوله وملائكته والسموات والأرض والجال والبحار، وتشتاق إليه النار فقلت: من هذا الرجل؟ فقلن: ابن ملجم المرادي لعنه الله، وهو قاتله في الكوفة سنة ثلاثين من وفاة محمد ﷺ.

قال أبو طالب: ثم غبن عني النسوة فقلت في نفسي لو عرفت المرأتين الأخيرتين فألهم الله علياً، فقال: يا أبي، أما المرأة الأولى فكانت حواء، وأما الثانية مريم بنت عمران التي أحصنت فرجها، وأما التي أدرجتنني في الثوب، فأسيا بنت مزاحم، وأما صاحبة الجونة فأم موسى فالحق الآن بالمرثم وبشره وخبره بما رأيت، فإنه في كهف كذا في موضع كذا،

فخرجت حتى أتيت بأمري ولدي أبشرك به وبما عاينت وشاهدت من ابني. فبكى المثرم، ثم سجد شكراً لله ثم تمطى فقال: غطني بمدرعتي فغطيته بمدرعته فإذا هو ميت كما كان فأقمت ثلاثاً أكلت. فما أجاب فاستوحشت لذلك وخرجت الحيتان فقالتا: السلام عليك يا أبا طالب فأجبتهما، ثم قالتا: الحق بأهلك و بولي الله فإنك أحق بصيانتته، وحفظه من غيرك، فقلت لهما من أنتم؟ قالتا: نحن عمله الصالح خلقنا الله من خيرات عمله فنحن نذب عنه الأذى إلى أن تقوم الساعة فإذا قامت الساعة كان أحدنا قائده، والأخرى سائقه ودليله إلى الجنة، ثم انصرف أبو طالب إلى مكة<sup>(١)</sup>.

وقد روى جماعة<sup>(٢)</sup> ممن شاهد فاطمة رضوان الله عليها، حيث أخذها الطلق بأمير المؤمنين أقبلت إلى البيت الحرام، فقالت: ربّي إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإني مصدقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل وإنه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى البيت، وبحقّ هذا المولود الذي يكلمني في بطني ويؤنسني، الذي أعلم أنه آية من آياتك وعصمتك إلا ما يسرت عليّ ولادتي. قال الراوي<sup>(٣)</sup>: فرأيت البيت وقد انفتح عن أظهره ودخلت فاطمة، وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط فرمنا أن نفتح باب البيت فلم يفتح فعلمنا أن ذلك أمر من الله، ثم خرجت في اليوم الرابع وببيدها أمير المؤمنين عليه السلام، وقالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء، فإني دخلت بيت الله الحرام وولدت فيه، فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها. ولما أردت الخروج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سمّيه علي، فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهره ويقدسني

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٣٥، ص ١٠٥.

(٢) الأمالي، ابن بابويه الشيخ الصدوق، ص ١٩٥. وكذلك العمدة، يحيى بن الحسن ابن البطريق، ص ٨.

(٣) يزيد بن قعنب. لم يذكره، روى الصدوق وغيره عن ثابت بن دينار (أبي حمزة الثمالي) عن سعيد بن جبير عنه حديث ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة، ورواه الشيخ في أماليه، والطبري. مستدركات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، ج ٨، ص ٢٥٨.

ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن خالفه وعصاه، فلما وقع نظر أبو طالب على ولده قام فرحاً مستبشراً، فقال علي عليه السلام: (السلام عليك يا أباه)، ولما دخل الدار دخل رسول الله صلى الله عليه وآله فاهتز له أمير المؤمنين عليه السلام وضحك في وجهه وقال: (السلام عليك يا رسول الله)، ثم تنحنح وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (قد أفلحوا بك وأنت والله أميرهم أمير المؤمنين تيمرهم من علومك فيمتارون وأنت والله دليلهم بك يهتدون)<sup>(٢)</sup>، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: (اذهبي فبشري عمي حمزة بولادته)، فقالت: إذا ذهبت فمن يرضعه؟ قال صلى الله عليه وآله: لا عليك أنا أرويه، قالت فاطمة: أنت ترويه، قال: نعم. فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله لسانه في فيه فانفجرت من لسانه اثنتا عشرة عينا قال: (فسمي ذلك اليوم يوم التروية)<sup>(٣)</sup>. ولما كان من غد، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة فلما أبصر علي عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله سلم عليه وضحك في وجهه وأشار إليه أن خذني إليك واسقني بما سقيتني بالأمس. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله، ففرحت بذلك فاطمة، فقالت: عرفه ورب الكعبة. فسمي ذلك اليوم يوم عرفة فلما كان الثالث، وهو العاشر من ذي الحجة، أذن أبو طالب أذاناً في الناس جامعاً إلى وليمة ابنه علي عليه السلام، ونحر ثلاثمائة من الإبل وألف رأس من الغنم والبقر، واتخذ له وليمة عظيمة وقال: (هلموا وطوفوا بالبيت سبعاً سبعاً وادخلوا وسلموا على ولدي) ففعل الناس ذلك وجرت به السنة، وكان عمر الرسول صلى الله عليه وآله يومئذ ثلاثين سنة وكان يحبه حباً شديداً ويقول لأمه: (اجعلي مهده بقرب فراشي)، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يلي أكثر أمره وتربيته، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك له مهده عند نومه، ويناعيه عند يقظته، ويحمله على رقبته وصدره، ويقول: (هذا أخي ووصيي وولي وناصري وصفيي وأميني وصهري وزوج كريمي وأميني على وحيي وخليفتي). وكان يحمله دائماً ويطوف به<sup>(٤)</sup> صلى الله عليه وآله على الحامل والمحمول.

(١) سورة المؤمنون: الآيتان: ١-٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر اشوب، ج ٢، ص ٢٣.

(٣) الأمالي، محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، ص ٧٠٨.

(٤) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٣٥، ص ١٠.

## ثانياً: شهادة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

المشهور أنه ضُرب الجمعة لتسع عشر ليلة مضت من شهر رمضان عند الفجر. ولقد أخبر رسول الله ﷺ بشهادته، كما روى الصدوق <sup>(١)</sup> وغيره <sup>(٢)</sup> عن الرضا عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة النبي ﷺ في فضل شهر رمضان بعد كلام قال علي (عليه السلام): (فقلت وقلت يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر)، فقال: (يا أبا الحسن الورع عن محارم الله عز وجل)، ثم بكى فقلت: (ما يبكيك يا رسول الله؟) فقال: (أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقاها، عاقر ناقة صالح، فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك)، فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال ﷺ: (في سلامة من دينك)، ثم قال: (يا علي من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبك فقد سبني، لأنك مني كنفي؛ روحك من روحي، وطيتك من طيتي. إن الله تبارك وتعالى خلقني وإياك واصطفاني وإياك، فاختراني للنبوّة واختارك للإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي، يا علي أنت وصيي، وأبو ولديّ، وزوج ابنتي، وخليفتي في أمّتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري ونهيك نهيي. أقسم بالذي بعثني بالنبوّة وجعلني خير البرية، أنك الحجة لله على خلقه وأمينه على سرّه وخليفته في عبادته).

ولما ورد ابن ملجم <sup>(٣)</sup> على أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الوفد الذين وفدوا عليه للبيعة <sup>(٤)</sup>، جعل

(١) الأُمالي، ابن بابويه الشيخ الصدوق، ص ١٥٥.

(٢) عيون أخبار الرضا، ابن بابويه الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٢٦٦. روضة الواعظين، محمد بن الفثال النيسابوري، ص ٣٤٦. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٢، ص ١٩٠.

(٣) (عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري، أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر، وقرأ على معاذ بن جبل فكان من القراء، شهد فتح مصر وسكنها، شهد مع علي صفين، ثم خرج عليه فاتفق مع البرك وعمرو بن بكر على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة، وتعهد بقتل علي). الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ٣، ص ٣٣٩.

(٤) فرحة الغري، ابن طاووس، ص ٤٥.

أمير المؤمنين يطيل النظر إليه، ثم أخذ عليه البيعة مرتين أو ثلاثاً، فلما أدبر عنه، دعاه أمير المؤمنين عليه السلام فتوثق منه وأكد عليه أن لا يغدر ولا ينكث، فقال له ابن ملجم: ما رأيته فعلت هذا بأحد غيري، فقال عليه السلام:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليك من مراد

(امض يا ابن ملجم والله ما أرى أنك تفني بما قلت)، ثم قال: (هذا والله قاتلي) ثم قال: (أرأيتك إن سألتك عن شيء هل أنت مخبرني عنه؟)<sup>(١)</sup>، قال: نعم، وحلفه عليه، فقال عليه السلام: (أكنت يوماً تلاعب الصبيان وتقوم عليهم فكنت إذا جئت فروا منك وقالوا قد جاءنا ابن راعية الكلاب)، قال: اللهم نعم، فقال عليه السلام: (ولقد مررت برجل راهب فنظر إليك وأحد النظر فقال: أشقى من عاقر ناقة صالح). قال نعم، قال: (ولقد أخبرتك أملك أنها حملت بك وهي حائض)، فقال نعم ولو كنت كاتماً شيئاً لكتمتك هذا، ثم قال عليه السلام: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن قاتلك يشبه اليهود، بل هو يهودي).

وخطب علي عليه السلام في شهر رمضان فقال في خطبته<sup>(٢)</sup>: (أنه قد أتاكم شهر رمضان وفيه تدور رحى الإسلام ألا وإنكم حاجوا العام صفاً واحداً وآية ذلك أني لست فيكم)، وكان يفطر في هذا الشهر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند زوج ابنته عبد الله بن جعفر<sup>(٣)</sup> وكان لا يزيد على ثلاث لقم فقيل له في ذلك، فقال: (أحب أن يأتي أمر الله، وأنا خميص البطن، وإنما هي ليلة أو ليلتان).

(١) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج ١، ص ١٨١.

(٢) الإرشاد، محمد بن النعمان الشيخ المفيد، ج ١، ص ١٤.

(٣) (عبد الله بن جعفر بن أبي طالب/ كنيته أبو جعفر، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمي. ولدته بأرض الحبشة أول من سني الهجرة، وكان يقال له قطب السخاء. مات سنة ثمانين بالمدينة.. مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان، ص ٢٧). (عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قليل الرواية، من أصحاب الرسول ﷺ وعلي والحسن والحسين عليهم السلام) نقد الرجال، التفرشي، ج ٣، ص ٩٢.

قالت أم كلثوم<sup>(١)</sup>: لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدمت لأبي عند الإفطار طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره، ثم قال: (يا بنية أتقدمين لوني لي في طبق واحد تريدين أن يطول وقوفي بين يدي الله تعالى أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله ﷺ، فإنه ما قدم إليه أدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله، ثم يا بنية إن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، يا بنية ما من رجل طاب مطعمه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة. ولقد أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ أن جبرئيل عليه السلام نزل ومعه مفاتيح كنوز الأرض فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت سيرت معك جبال تهامة ذهباً وفضة وخذ مفاتيح كنوز الأرض وما ينقصك من حقك يوم القيامة، فقال: يا جبرئيل ثم ما يكون من بعد ذلك، قال: الموت، فقال: لا حاجة لي في الدنيا دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً، فاليوم الذي أجوع فيه أتفرغ فيه إلى ربي وأسأله، واليوم الذي أشبع فيه أحمد ربي وأشكره، فقال له جبرئيل: (وفقت لكل خير يا محمد)، ثم قال: يا بنية والله لا أتناول شيئاً حتى ترفعين أحدهما)، قالت: فرفعت اللبن فأكل من الخبز والملح وحمد الله ثم قام إلى صلاته. ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ويتضرع ويبتهل إلى الله تعالى ثم يخرج ساعة بعد ساعة، وينظر في الكواكب ويقلب طرفه إلى السماء ثم تلا سورة يس ثم نام قليلاً وانتبه من النوم مرعوباً فجمع أولاده وأهله وقال لهم: (إني مفارقكم في هذا الشهر وقد رأيت في هذه الليلة رؤياً أهالطني، إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي وهو يقول: يا أبا الحسن أنت قادم إلينا عن قريب سيخضب لحيتك أشقى هذه الأمة من دم رأسك وإني مشتاق إلى لقائك وأنت قادم إلينا في العشرة الأخيرة من هذا الشهر، فهلم إلينا فالذي عندنا لك خير وأبقى).

فلما سمع أهله ضججوا بالبكاء والنحيب، فأمرهم بالسكوت ثم أقبل يوصيهم بالخير وينهاهم عن الشر ثم يخرج ساعة بعد ساعة ينظر إلى الكواكب ويقلب طرفه السماء وهو

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٢، ص ٢٧٥.

يقول: (والله لا كذبت ولا كُذِّبْتُ إنها الليلة التي وعدني بها رسول الله ﷺ، ثم يعود إلى صلاته وهو يكرر: اللهم بارك لي في الموت)، ويكثر من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، ويصلي على النبي ﷺ ويستغفر الله كثيراً.

قالت أم كلثوم<sup>(١)</sup>: فلما رأيت ما عرض لأبي من القلق والاضطراب لم يأخذني النوم وقلت: يا أبتاه لم حرمت على نفسك النوم في هذه الليلة ولم لا تسترح يا أبة؟ فقال: (يا بنية إني كثيراً ما قاتلتُ الشجعان وقاسيت الأهوال ولم يحصل لي رعب واضطراب مثل هذه الليلة، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون)، فقلت: يا أبة لم أراك تنعى إلينا نفسك في هذه الليلة؟ فقال: (يا بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل)، قالت أم كلثوم: فلما سمعت ذلك بكيت، فقال: (يا بنية لا تبكي فإني ما أخبرتك إلا بما عهد إلي حبيبي رسول الله ﷺ)، ثم غفا قليلاً ثم أُنْبِه وقال: (يا بنية إذا قرب الوقت فأعلميني)، ثم جعل يتضرع إلى الله ويدعو فلما قرب وقت الصلاة قدمت إليه وضوئه، فقام وجدد وضوءه ولبس ثيابه فلما توجه إلى المسجد وصار في صحن الدار كان في الدار أوز وقد اهدي إلى أخي الحسن فلما رأيته رفرفن بأجنحتهن وصحن في وجهه، فقال: (لا إله إلا الله صوارخ وصوائح تلحقها نوائح، وسيظهر قضاء الله غداً)، فقلت: يا أبة لم تتفأل بالشر؟ فقال: (ليس منا أهل البيت أحد يتفأل بالسوء ولا يؤثر السوء فينا ولكن جرى الحق على لساني)، ثم قال: (يا بنية بحقي عليك إلا ما أطلقتيه فقد حبسني ما ليس له لسان فأطعميه واسقيه وإلا فخلى سبيله يأكل من حشيش الأرض)، فلما وصل إلى الباب وهو مغلق عاجله فانحل مئزره وشده وهو يقول:

أُشدّد حيازيمك للموت فإنّ الموت لائقكا

ولا تجزع من الموت إذا حل الموت بواديكا

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٢، ص ٢٧٧.

ولا تغتر بالدهر وإن كان يواتيك

كما أضحك الدهر كذلك يكيك

ثم قال: (اللهم بارك لي في الموت، وبارك لي في لقاءك)، قالت أم كلثوم: وكنت أمشي خلفه فلما سمعت قلت واغوثاه يا أبتاه مالي أراك تنعى نفسك منذ الليلة؟ فقال: (يا بنية إنَّها علائم ودلائل للموت يتبع بعضها بعضاً)، ثم فتح الباب وخرج، وقالت أم كلثوم فأتيت إلى الحسن فقلت: يا أخي قد كان من أمر أهلك الليلة كيت وكيت وقد خرج فقم وألحقه قبل أن يدخل المسجد، فلحقه الحسن فقال: (يا أبتاه ما أخرجك في هذه الليلة إلى المسجد)، فقال: (يا بني لرؤيا رأيته في هذه الليلة أهالتي)، قال: (خيراً رأيت وخيراً يكون يا أبة فقصها)، فقال: (يا بني رأيت كأن جبرئيل عليه السلام قد نزل من السماء على جبل أبي قبيس فتناول منه حجرتين ومضى بهما إلى الكعبة وضرب أحدهما على الآخر فصارا كالمرم، ثم ذراهما في الهواء، فما بقى بمكة ولا بالمدينة بيت إلا ودخله من ذلك الرماد شيء)، فقال الحسن: يا أبتاه فما تأويله؟ فقال: (يا بني إن صدقت رؤياي فإن أباك مقتول ولا يبقى بمكة ولا بالمدينة بيت إلا ويدخله غم من أجلي)، فقال الحسن: وهل ترى متى يكون ذلك يا أبتاه؟ فقال: (يا بني إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن عهد إلي حبيبي رسول الله أنه يكون في العشرة الأواخر من شهر رمضان، يقتلني عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله)، فقال: (يا أبتاه إذا علمت منه ذلك فاقتله)، فقال: (يا بني لا يجوز القصاص قبل الجناية)، ثم قال: (يا بني ارجع إلى فراشك)، فقال الحسن: (يا أبتاه أريد أن امضي معك إلى المسجد)، فقال: (بحقي عليك يا بني إلا ما رجعت إلى فراشك لئلا يتنغص عليك نومك ولا تعصني في ذلك)، قال فرجع الحسن فوجد أخته أم كلثوم خلف الباب، فدخل وجلسا يتحدثان وهما محزونان، وسار

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

أمير المؤمنين حتى دخل المسجد والقناديل قد أخذ ضوءها، فصلى في المسجد ركعتان وعقب، بعدها ثم أنه ﷺ علا المأذنة وتنحى وجعل أصبعه في أذنه وأذن، وكان إذا أذن لم يبق في الكوفة بيت إلا ودخله صوته، وكان اللعين ابن ملجم قد بات في المسجد ومعه شبيب بن بجرة <sup>(١)</sup> وكان من أشجع، وورد ابن مجالد <sup>(٢)</sup> وقد كانت قطام <sup>(٣)</sup> شرطت لهم شرائط ولا بن ملجم أن تزوج به وكانت معتكفة في المسجد الأعظم فدخلوا عليها وقالوا: قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل <sup>(٤)</sup>، فدعت لهم بحريز فعصبت به صدورهم وتقلدوا أسياهم ومضوا وجلسوا مقابل السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين إلى الصلاة وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس <sup>(٥)</sup> لعنه الله ما في نفوسهم من العزيمة وواطأهم على ذلك وحضر معهم لمعونتهم في تلك الليلة وكان حجر بن عدي الكندي <sup>(٦)</sup> رضوان الله عليه في تلك الليلة في المسجد فسمع الأشعث لعنه الله يقول: يا ابن ملجم النجا النجا

(١) (شبيب بن بجرة الأشجعي: خارجي من أهل الكوفة، اشترك مع عبد الرحمن ابن ملجم في مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ في الكوفة، ضربه بالسيف أولا وتلاه ابن ملجم.. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ٣، ص ١٥٦.

(٢) (وردان بن مجالد بن علقمة بن الفريش التيمي، من أهل الكوفة أحد المشاركين في قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كان أبوه وعمه من الخارجين على علي، استعان به ابن ملجم لاغتيال أمير المؤمنين، وقتله عبد الله بن نجبة ابن عبيد الكاهلي غضبا لعل) الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ٨، ص ١١٤.

(٣) (قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرباب، قتل علي أباه وأخاها بالنهروان، وكانت من أجمل النساء، فخطبها ابن ملجم، فطلبت صداقها ثلاثة آلاف درهم ووصيفا وخادما وقتل علي بن أبي طالب.. مقاتل الطالبين، أبو الفرج الاصفهاني، ص ١٩.

(٤) (الإرشاد، محمد بن النعمان، الشيخ المفيد، ج ١، ص ١٩.

(٥) (الأشعث بن قيس بن معدي كرب.. بن ثور الكني، يكنى أبا محمد، وفد إلى النبي ﷺ سنة عشرة، وكان أبداً أشعث الرأس فسمي الأشعث، وكان الأشعث قد ارتد فيمن ارتد من الكنديين وأسر، فأحضر إلى أبي بكر فأسلم فأطلقه، وسكن الكوفة وشهد مع علي صفين، مات وله ثلاث وستون سنة) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، ج ١، ص ٥٠.

(٦) (حجر بن عدي الكندي: كان من الأبدال. قاله العلامة والشيخ في أصحاب علي ﷺ، وروى الكشي مدحه) وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، ج ٣٠، ص ٣٣٨.

لحاجتك فقد فضحك الفجر، فأحس حجر بما أراد الأشعث فقال له: قتلت يا أعور؟ وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين ليخبره الخبر فخالفه في الطريق، ثم إن أمير المؤمنين لما نزل عن المأذنة جعل يسبح لله ويقدسه ويكثر من الصلاة على النبي ﷺ، ومر على قوم نيام في المسجد وفيهم ابن ملجم فقال: (الصلاة الصلاة) حتى انتهى إليه وهو مكبوب على وجهه فقال: (قم إلى الصلاة ولا تنم هكذا فإنه نوم الشياطين) ثم قال: (لقد أضمرت أمراً عظيماً تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا ولو شئت لأخبرتكم بها اخفيته تحت ثيابك) <sup>(١)</sup>، ثم أنه تقدم إلى المحراب ودخل في الصلاة وأطال ركوعه وسجوده كما هي عادته فجاء اللعين ابن ملجم ووقف حذاء الإسطوانة التي كان يصلي عندها أمير المؤمنين وأمهله حتى صلى الركعة الأولى وسجد السجدة الأولى فلما رفع رأسه منها رفع اللعين سيفه وضربه وتعمد بالضربة على رأسه الشريف فوقعت الضربة في الموضع الذي ضربه عمرو بن عبد ود العامري، فشقت الضربة رأسه إلى موضع سجوده وقال (بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله فزت ورب الكعبة) <sup>(٢)</sup>، فلما سمع أهل المسجد صوته أسرعوا إلى المحراب وكانت الضربة مسمومة وقد جرى السم في بدنه ورأسه وكان قد ضربه اللعين شبيب بن بجرة فأخطأه ووقعت الضربة في الطاق.

أحاط الناس بأمر المؤمنين ﷺ وهو يشدّ رأسه بمتزره والدم يجري على لحيته ووجهه الشريف وهو يتلو: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ <sup>(٣)</sup>، (أتى أمر الله وصدق رسول الله)، وزلزلت الأرض، وماجت البحار، ورجفت السماء، واصطكت أبواب الجامع، وضجت الملائكة في السماء بالدعاء، وهبت ريح عاصف مظلمة سوداء، ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ: تهدمت والله أركان الهدى، وانفصمت العروة الوثقى، وانطمست أعلام التقى، قتل ابن عم

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٢، ص ٢٨١.

(٢) شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري، ج ١، ص ٦٤.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٥.

المصطفى، قتل الوصي المجتبى، قتل علي المرتضى، قتله أشقى الأتقياء، فسمعت أم كلثوم نعي جبرئيل فلطمت خدها وشقت جيبها وصاحت: وا أبتاه وا عليها وا محمداه، فانتبه من صوته كل من في الدار وخرج الحسن والحسين، فسمعا الناس يضجون وينوحون ويقولون وا إماماه وا أمير المؤمنين، والله لقد قتل إمام العابدين والمجاهدين، الذي لم يسجد لصنم قط، قتل أشبه الخلق بالنبي، فدخلوا المسجد باكين قائلين: (وا أبتاه وا عليها ليت الموت أعدمنا الحياة ولا نرى يومك هذا).

فأقبلا إلى المحراب فوجدا أباهما طريحاً في المحراب وأبو جعدة<sup>(١)</sup> وجماعة، يعالجونه للصلاة وهو لا يستطيع، فلما رأى ولده الحسن جعله في موضعه وأمره أن يصلي بالناس، وصلى أمير المؤمنين جالساً مومياً للصلاة، والدم يجري على لحيته الشريفة ووجهه وهو يميل يميناً وشمالاً، فلما فرغ الحسن من الصلاة وضع رأس أبيه في حجره، وهو يقول: (يا أبتاه كسرت ظهري كيف أستطيع أن أراك في هذه الحالة؟)، ففتح أمير المؤمنين عينيه في وجهه وقال: (يا بني لا غم على أبيك بعد هذا اليوم ولا جزع. اليوم ألقى جدك محمد المصطفى وجدتك خديجة الكبرى وأمك الزهراء، وإن الحور العين ينتظرن أباك ويتربحن قدومه ساعة ساعة، فلا بأس عليك يا بني لا تبك فقد بكت ملائكة السماء لبكائك).

ودخل الناس المسجد فرأوا أمير المؤمنين قد وضع رأسه في حجر الحسن، والدم يسيل على وجهه الشريف ولونه قد مال من الصفرة إلى البياض، وهو ينظر إلى آفاق السماء يسبح لله ويقدهسه ويقول: (إلهي أسألك مرافقة الأنبياء والأوصياء وأعلى درجات الجنة)، ثم غشي عليه فبكى الحسن وجعلت دموعه تتساقط على خديه فسقط من دموعه قطرة على وجه أمير المؤمنين، ففتح عينيه فوجده باكياً فقال: (ما هذا البكاء يا بني لا خوف ولا جزع على أبيك بعد اليوم يا بني لا تبك علي فإنك تقتل مسموماً ويقتل أخوك الحسين بالسيف هكذا،

(١) أبو جعدة بن هيرة المخزومي، زوج أم هانئ بنت أبي طالب، واستعمل علي عليه السلام ولده حين أفضت إليه الخلافة. مروج الذهب، المسعودي، ج ٣، ص ٢٧٤.

وتلحقان بجدكما وأبيكما)، ثم قال له الحسن: (من قتلك؟) فقال: (قتلني ابن اليهودية عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله)، فقال: (يا أبتاه من أي طريق مضى؟)، فقال: (لا يمضي أحد في طلبه فإنه سيطلع عليكم من هذا الباب)، وأشار إلى باب كندة. فاشتغل الناس بالنظر إلى باب كندة وقد غص المسجد بالعالم ما بين باك وباكية ونادب ونادبة، وقد سرى السم في رأس أمير المؤمنين، فإذا بالصيحة قد ارتفعت وقد جاءوا باللعين ابن ملجم فوقع الناس بعضهم على بعض وهو مكتوف مكشوف الرأس والناس هذا يلطمه وهذا يضربه وهذا يلعنه ويصبقون في وجهه ويعضون لحمه بأسنانهم ويقولون: يا عدو الله أهلك الأمة وقتلت خير الناس، واللعين ساكت لا يتكلم وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي<sup>(١)</sup> وبيده سيف مسلول وهو يرد الناس عن قتله. فأوقفوه عند الحسن فلما نظر إليه قال له: (يا ملعون قتلت أمير المؤمنين وإمام المسلمين هذا جزاؤه منك حين آواك وقربك وأدناك وأثرك على غيرك، هل كان بسئ الإمام لك حتى تجازيه هذا الجزاء يا شقي الأتقياء؟)

وضجَّ الناس بالبكاء والعيول ثم التفت الحسن وقال: كيف ظفرت بعدو الله وأين لقيته؟ فقال: يا مولاي حديثي عجيب وذلك أني كنت نائماً وزوجتي إلى جنبي، وسمعت ناعياً ينعي أمير المؤمنين وهو يقول انهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله أعلام التقى وانفصمت والله العروة الوثقى. قتل ابن عم المصطفى. قتل الوصي المجتبي. قتل علي المرتضى. قتله أشقى الأتقياء. فأيقظتني زوجتي فقالت: أنت نائم وإمامك قد قتل؟ فانتبهت فزعاً وقلت: ما هذا الكلام؟ فض الله فاك. لعل الله قد ألقاه في سمعك فإن أمير المؤمنين عليه السلام ليس لأحد عنده تبعة ولا طلبية، وإنه لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج العطوف. ومع ذلك فمن يقدر على قتله وهو كالأسد الضرغام والبطل الهمام؟ فأكرت علي الكلام وقالت: إني سمعت ما لم تسمع وما أظن في الكوفة بيتاً إلا وقد دخله ذلك

(١) حذيفة النخعي، وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي أخذ ابن ملجم في الطريق حين قتل أمير المؤمنين عليه السلام وأراد الفرار. مستدركات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، ج ٢، ص ٣١٨.

النعي. فبينما هي وأنا في مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة وقائل يقول: قتل أمير المؤمنين، فأحس قلبي بالشرّ وأخذت سيفي وسللته ونزلت من الدار. فلما صرت في وسط الحارة، وإذا بعدو الله يجول فيها يطلب مهرباً، وقد انسدت الطرق في وجهه فقلت: يا ويلك من أنت في وسط الطريق تمر وتجيء؟ فتسمى بغير اسمه وانتمى إلى غير نسبه. فقلت له من أين أقبلت؟ قال من منزلي قلت والى أين تريد؟ قال: الحيرة. قال: سمعت صيحة عظيمة وقائلاً يقول قتل أمير المؤمنين فهل عندك من ذلك خبر؟ قال لا، قلت: لم لا تمض معي حتى نتحقق الخبر؟ قال: أنا ماضٍ في أمر أهم منه فقلت له: يا ويلك وأي أمر أهم من قتل أمير المؤمنين؟! ثم قلت: يا ويلك لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين وإمام المسلمين، إذن والله ما لك عند الله من خلاف، وهممت عليه بسيفي أن أعלוه فزاغ عني فانكشف سيفه فرايته يبرق فقلت يا ويلك ما هذا السيف تحت ثيابك لعلك قاتله؟ فأراد أن يقول لا فقال: نعم فرفعت سيفي وضربته على ساقه فوق لحينه ووقعت عليه وصرخت صرخة شديدة فخرج أهل الحارة فأعانوني عليه حتى أوثقته وجئتك به، فهذا هو ذا بين يديك جعلني الله فداك، فقال الحسن: (الحمد لله الذي نصر وليه على عدوه).

ثم انكب الحسن على أبيه يقبله ففتح عينيه وهو يقول: (ارفقوا بي يا ملائكة ربي)، فقال الحسن: (هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم لعنه الله قد أمكن الله منه وقد حضر بين يديك). ففتح أمير المؤمنين عينيه، وقال بضعف وانكسار صوت: (يا هذا لقد جئت شيئاً عظيماً واركتبت أمراً جسيماً أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء؟ ألم أكن شقيقاً أوثرك على غيرك وأحسن إليك وزدت في عطائك وقد كنت أعلم إنك قاتلي لا محالة؟ ولكن رجوت بذلك الاستظهار عليك يا شقي الأتقياء). قال فدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله وقال: يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار؟ فقال: (صدقت)، ثم التفت إلى الحسن وقال: (يا بني ارفق بأسيرك وارحمه واشفق عليه ألا ترى إلى عينيه قد صارتا في أم

رأسه وقلبه يرحف خوفاً)، فقال الحسن: (يا أبتاه قد قتلك هذا اللعين وفجعنا وأنت تأمرنا بالرفق به؟) فقال: (يا بني نحن أهل بيت الرحمة والمغفرة فأطعمه مما تأكل واسقه مما تشرب فإن أنا مت فاقصص منه بأن تقتله ثم تحرقه بالنار<sup>(١)</sup>) ولا تمثل بالرجل فإنّي سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول: (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور)، فإن أنا عشت فأنا أعلم ما أفعل به وأنا أولى بالعفو، فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا عفواً وكرماً).

قال محمد بن الحنفية<sup>(٢)</sup> ثم إنَّ أبي قال: (احملوني إلى منزلي)، فحملناه إليه وهو مدنف<sup>(٣)</sup>، والناس حوله قد أشرفوا على الهلاك من البكاء والعيول. فالتفت الحسن إلى أبيه وهو باك حزين فقال: (يا أبت من لنا بعدك وإنَّ مصابنا بك مثل مصابنا برسول الله كأننا ادخرنا البكاء لك يا أبتاه)، فقربه أمير المؤمنين عليه السلام إليه وأدناه ونظر إلى عينيه مقرّوحتين من البكاء، فمسح الدموع من عينيه ووضع يده على صدره، وقال عليه السلام: (يا بني أسكن الله قلبك بالصبر وعظم أجرك وأجر إختوتك بمصابكم بي وأسكن الله اضطرابك ودموع عينيك فإنَّ الله يؤجركم بقدر مصابكم).

ثم حمل إلى موضع مصلاه في حجرته، وأقبلت زينب وأم كلثوم تندبانه وتقولان: (من للصغير حتى يكبر ومن للكبير بين الملأ، يا أبتاه حزنا عليك طويل وعبرتنا لا ترقى)، فضج الناس بالبكاء والعيول من وراء الحجرة، وفاضت دموع أمير المؤمنين على خديه وجعل يقلب طرفه في أهل بيته، ثم دعا الحسن والحسين وجعل يقبلهما، ثم أغمى عليه ساعة طويلة. ثم أفاق، فلما أفاق ناوله الحسن قعباً من لبن فشرب منه قليلاً ثم نحاه عن

(١) كذا، وفي (منتهى الآمال) للشيخ عباس القمي ج ١ / ٣٤١: «ولا تحرقه بالنار»؛ وكذلك في (جامع أحاديث الشيعة) للسيد البروجردي: ٢٦ / ٢٣٠، ولم يذكر عبارة الإحراق أو عدمها الطبري في تاريخه: ٤ / ١١٤، أو الموفق الخوارزمي في مناقبه: ص ٣٨٦، أو الإربلي في (كشف الغمة): ١ / ٤٣٣. (الفكرية).

(٢) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٢، ص ٢٨٨.

(٣) الدنف: المرض الملازم، وأدنفه المرض، فهو مدنف ومدنف القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، ج ٣، ص ١٤١.

فمه، وقال (عليه السلام): (احملوه إلى أسيركم بحقي عليكم، طيبوا طعامه وشرابه وارفقوا به إلى حين موتي).

قال محمد بن الحنفية <sup>(١)</sup>: وبتنا ليلة عشرين مع أبي وقد نزل السم إلى بدنه الشريف وكان يصلي تلك الليلة من جلوس، ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزينا عن نفسه، فلما أصبح استأذن الناس عليه فأذن لهم فدخلوا وأقبلوا يسلمون عليه، وهو يرد عليهم السلام ثم قال (عليه السلام): (أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم). قال فبكى الناس عند ذلك بكاءً شديداً واشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه فقام إليه حجر بن عدي الطائي، وقال:

فيا أسفي على المولى التقي أبي الأظهار حيدرة الزكي

فلما نظر إليه قال (عليه السلام): (كيف بك يا حجر إذا دعيت إلى البراءة مني فما عساك أن تقول)، قال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً وأضرمت لي النار وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك، فقال (عليه السلام): (وفقت لكل خير يا حجر، وجزاك الله عن أهل بيت نبيك خيراً)، ثم تناول شربة من لبن فشربها، وقال (عليه السلام): (هذا آخر شرابي من الدنيا).

ولما كانت ليلة إحدى وعشرين جمع أبي أولاده أهل بيته ثم قال (عليه السلام) <sup>(٢)</sup>: لهم: (الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل)، وأوصاهم بما أوصاه رسول الله به ونحن ننظر إليه وإلى يديه ورجليه قد احمرتا جميعاً، فكبر ذلك علينا وآيسنا منه ثم عرضنا عليه الأكل فأبى، ورشح جبينه عرقاً وهو يمسحه بيده، فقلت له: يا أبت أراك تمسح جبينك، فقال (عليه السلام): (يا بني إن المؤمن إذا نزل به الموت عرق جبينه وسكن أنينه)، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً وهو يقول: (الله خليفتي عليكم)، وهم يبيكون، ثم قال (عليه السلام): (إني

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٢، ص ٢٨٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٠.

رأيت رسول الله ﷺ في منامي قبل الكائنة بلبلة فشكوت إليه ما أنا فيه من النكر والأذى من هذه الأمة، فقال: ادع الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلهم بي شراً مني وأبدلني بهم خيراً منهم، فقال: قد استجاب الله دعائك وإن الله سينقلك إلينا بعد ثلاثة أيام، وقد مضت الثلاثة، يا أبا محمد أوصيك بأبي عبد الله خيراً فأنتمنا مني وأنا منكم، ثم التفت إلى أولاده من غير فاطمة وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة، ثم قال ﷺ: (أحسن الله لكم العزاء وإني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولا حق بجدكما رسول الله كما وعدني)، ثم قال للحسن والحسين <sup>(١)</sup>: (غسلاني وكفناني وحنطاني واحملاني على سريري واحملا مؤخره تكفيا مقدمه فإذا وضع المقدم فضعا المؤخر فإنكما تنتهيان إلى قبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها بالسريانية بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما حفره نوح علي وصي محمد قبل الطوفان بسبعائة عام، فألحداني وأشرجا علي اللبن وارفعوا لبنة من عند الرأس فانظروا ما تسمعان)، فأخذوا اللبنة من عند الرأس بعدما أشرجا عليه اللبن فإذا ليس في القبر شيء وإذا بهاتف يقول: أمير المؤمنين كان عبداً صالحاً فألحقه الله عز وجل نبيه، وكذلك يفعل بالأوصياء، ثم إنه ﷺ أسبل يديه ومد رجله وقال: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله)، ثم قضى نحبه فضج أهله بالبكاء، ثم إن الحسن أخذ بتجهيزه كما أمر وحمله ليلاً إلى الموضع المشار إليه كما أمر، فكان كما ذكر، وساووا قبره مع الأرض مخافة الخوارج، ولم يزل قبره مخفياً، حتى أظهره الصادق ﷺ أوائل الدولة العباسية.

وقد روى جماعة <sup>(٢)</sup> أن ليلة وفاته لم يرفع من وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دماً عبيطاً، ولما رجع الحسن من دفن أمير المؤمنين ﷺ، وقد اجتمع الناس لقتل ابن ملجم لعنه

(١) مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر اشوب، ج ٢، ص ١٧١.

(٢) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج ١، ص ٢٩٢، بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ١٠، ص ١٥٣.

الله أخرجه الحسن، فقال اللعين للحسن (عليه السلام): إني أريد أن أسرك بكلمة فأبى، وقال: (إنه يريد أن يعض أذني) فقال ابن ملجم لعنه الله: (لو أمكنني منها لأخذتها من صمأخه) (١).

وقد روى الراوندي (٢) والأربلي (٣) عن ابن الرفا قال: كنت بالمسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم (عليه السلام)، فقلت: ما هذا؟ قالوا: شيخ أسلم فأشرفت عليه، فإذا بشيخ كبير عليه جبة صوف وقلنسوة صوف عظيم الخلقة فسمعتة يقول: كنت قاعداً في صومعتي فأشرفت منها فإذا بطائر كالنسر قد سقط على شاطئ البحر على صخرة فتقيأ ربع إنسان، ثم طار فتفقدت الطائر فعاد فتقيأ ربع إنسان إلى أن فعل ذلك أربع مرات، فدنت الأربع فإذا هو رجل قائم ينبح مثل الكلاب وأنا أتعجب منه، عندئذ انحدر الطائر فأخذ ربعاً منه ثم طار ثم عاد وأخذ ربعاً آخر حتى فعل ذلك أربع مرات، فبقيت متفكراً فتحسرت أن لا أكون قد لحقته وسألته من هو؟ فبقيت أتفقد الصخرة حتى رأيت الطير قد أقبل فتقيأ ربع إنسان فقممت بإزائه فلم أزل حتى تقيأ الربع الرابع ثم طار فدنت الأربع فصار رجلاً قائماً، فدنوت منه فسألته من هو؟ فسكت عني، فقلت له: بحق من خلقتك فقال اللعين: أنا ابن ملجم فدنوت وقلت: وأي شيء عملت؟ قال: قتلت علي بن أبي طالب. فوكل الله تعالى إلى هذا الطائر يقتلني في كل يوم قتلة، فبينما هو يكلمني إذ انقض الطائر فأخذ ربعه ثم طار وعاد فأخذته أرباعاً فسألت عن علي بن أبي طالب فقيل لي: وصي محمد فأسلمت، فلما قتل الحسن ابن ملجم لعنه الله استوهبت جثته أم الهيثم النخعية فأحرقتها بالنار.

(١) فرحة الغري، ابن طاووس، ص ٤.

(٢) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج ١، ص ٢١٦.

(٣) كشف الغمة، ابن أبي الفتح الأربلي، ج ٢، ص ٦١.

وكان موضع قبر الإمام علي (عليه السلام) مخفياً إلى زمان هارون الرشيد<sup>(١)</sup> كما روي أنه خرج يوماً إلى الصيد أرسل الصقور والكلاب على الظباء بجانب الغريين فجادلتها ساعة ثم لجأت الظباء إلى الأكمة فرجعت الكلاب والصقور عنها فسقطت في ناحية فلما هبطت الضباء من الأكمة نهضت الكلاب والصقور إليها فرجعت الظباء إلى الأكمة فانصرف عنها الكلاب والصقور ففعلوا ذلك مراراً فتعجب هارون من ذلك، وسأل شيخاً من بني أسد هناك ما هذه الأكمة؟ فقال لي الأمان؟ قال نعم قال: فيها قبر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فتوضأ هارون وصلى ودعا، ولقد أظهره الصادق (عليه السلام)، وبني عليه هارون قبراً ومن أراد مزيد الاطلاع فليلاحظ فرحة الغري للسيد ابن طاووس رضوان الله عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) أول من أظهر قبر الإمام علي (عليه السلام) إلى العلن الإمام جعفر الصادق سنة ١٣٢ هـ بعد سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية. وقد ذكرت التفاصيل كاملاً والمصادر في كتابي (التسلسل التاريخي لمرقد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف الأشرف، م. هاشم الباججي، مركز الامام امير المؤمنين للدراسات والبحوث التخصصية، النجف الاشرف ٢٠٢٠م).

(٢) فرحة الغري، ابن طاووس، ص ١٤١.

## المبحث الثالث

### بيان أحوال سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها

#### أولاً: بيان ولادتها وأسمائها:

المشهور في ولادتها أنها في العشرين من جمادي الآخرة لستين من البعثة يوم الجمعة<sup>(١)</sup>، وفي الكافي<sup>(٢)</sup> عن الإمام الباقر عليه السلام: (أنَّ ولادتها بعد مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنين وتوفيت ولها ثمانية عشر سنة وخمسة وسبعون يوماً)، وأهل السنة تروي<sup>(٣)</sup> أنَّ مولدها قبل البعثة بخمس سنين.

وروى القمي<sup>(٤)</sup> عن الصادق عليه السلام قال: (كان رسول الله ﷺ يكثر تقبيل فاطمة) فأنكرت ذلك عائشة، فقال رسول الله ﷺ: (يا عائشة أنه لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فأتاني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلت، فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري فلما هبطت إلى الأرض وقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبلتها إلاَّ وجدت رائحة شجرة طوبى).

روى الصدوق في الأمالي<sup>(٥)</sup> عن الصادق عليه السلام قال: (إنَّ خديجة لما تزوج بها رسول الله ﷺ هجرتها نسوة مكة فكن لا يدخلن إليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها فاستوحشت من ذلك فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدثها في بطنها وتصبرها

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٣، ص ٩. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٥٧.

(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي، ج ٣، ص ٤٣٨. الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٨، ص ٢٦٣. ميزان الاعتدال، الذهبي، ج ٣، ص ٤٣٩.

(٤) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج ١، ص ٣٢.

(٥) الأمالي، ابن بابويه الشيخ الصدوق، ص ٦٩٠.

وكانت تكتم ذلك من رسول الله ﷺ فدخل يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة)، فقال ﷺ: (يا خديجة من تحدثين؟)، قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني، قال ﷺ: يا خديجة إن جبرائيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة، وإن الله سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة يجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه)، فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء، فأرسلن أنت عصيتنا وتزوجت بيتيم آل أبي طالب فقير لا مال له، فلسنا نجىء إليك. فاغتمت خديجة.

فبينما هي كذلك، إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال، كأنهن من بني هاشم، ففزعت لما رأتهم فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة إنا رسل الله إليك، ونحن أخواتك أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهذه مريم بنت عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما يلي النساء من النساء. فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة خلفها، فوضعت فاطمة طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض وغربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور. ودخل عشر من الحور العين منهن من معها طشت من الجنة وأبريق، وفي الأبريق ماء من الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاويتين، أشدّ بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر فلفتها بواحدة، وقنعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة الزهراء بالشهادتين، وقالت: (أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ أبي رسول الله، وأنّ بعلي سيد الأوصياء، وولدي سادات الأسياف)، ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة باسمها وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة ﷺ، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقتها ثديها، فكانت تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر، وكانت تنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنة.

## ثانياً: معاجزها ومناقبها:

روى بعض أهل السنة <sup>(١)</sup> قال: أقبلت فاطمة تمشي مشيتها مشية رسول الله ﷺ فلما رآها قال: (مرحباً بابنتي مرتين)، ثم قال: (أما ترضين أن تأتي يوم القيامة وأنت سيدة نساء هذه الأمة).

وقال سلمان المحمدي <sup>(٢)</sup>: كانت فاطمة <sup>(٣)</sup> جالسة وقدامها رحي تطحن بها شعيراً، وقد جرحت يداها وعلى عمود الرحي دم سائل، والحسن عليه السلام في ناحية الدار يتضور من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله ﷺ دُبرت <sup>(٤)</sup> كفّاك وهذه فضة هنا، فقالت: أوصاني رسول الله ﷺ أن تكون الخدمة عليها يوماً وعليّ يوماً، فكان أمس يوم خدمتها. قال سلمان: فقلت لها: إني مولى عتاقة أما تأمريني أن أطحن الشعير أو أسكت الحسن عليه السلام، فقالت: (أنا أسكته فاني أرفق منك)، فطحن شيئاً من الشعير. فإذا أنا بإقامة الصلاة، فمضيت وصليت مع رسول الله ﷺ. فلما فرغت قلت لعلي عليه السلام ما رأيت، فبكى وخرج ثم عاد فتبسم فسألته عن ذلك فقال: (دخلت على فاطمة وهي مستلقية لقفها والحسين نائم على صدرها وقدامها الرحي تدور من غير يد)، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: (يا علي ما علمت أن لله ملائكة سيارة يخدمون محمداً وآل محمد).

(١) صحيح البخاري، البخاري، ج٧، ص١٤١. و مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج٦، ص٢٨٢. و صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ج٧، ص١٤٢.

(٢) (سلمان المحمدي ابن الإسلام، أبو عبد الله، أول الأركان الأربعة، مولى رسول الله ﷺ وحواريه الذي قال فيه سلمان منّا أهل البيت، أصله من أصبهان؛ هاجر لطلب العلم والدين، هاجر إلى المدينة وشهد معه الخندق. لزم أمير المؤمنين ولم يبايع. تولى حكومة المدائن زمان عمر بأمر علي وتوفي بها). أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج٧، ص٢٨٤.

(٣) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، ص١٤٠.

(٤) (الدبرة: بالتحريك قرحة الدابة والبعير، وفسروه بالجرح الذي يكون في ظهر الدابة، وقيل: هو أن يقرح خفّ البعير) تاج العروس، الزبيدي، ج٦، ص٣٨٥.

وروى الشيخ <sup>(١)</sup> والعياشي <sup>(٢)</sup> وغيرهما <sup>(٣)</sup> عن الإمام الباقر عليه السلام وأبي سعيد الخدري أنه أصبح علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ساغباً، أي جائعاً فقال عليه السلام: يا فاطمة هل عندك شيء تغذيني؟ فقالت: (لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء أطعمناه منذ يومين إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى إبنَي هذين)، فقال علي عليه السلام: يا فاطمة ألا أخبرتني فأبغىكم شيئاً)، فقالت: (يا أبا الحسن إني لأستحي أن أكلف نفسك ما لا تقدر عليه). فخرج علي من عند فاطمة واثقاً بالله بحسن الظن فاستقرض ديناراً، فبينما الدينار في يده يريد أن يتنازع لأهله ما يصلحهم، فتعرض له المقداد في يوم شديد الحرّ قد لوحته الشمس من فوقه وأذته من تحته، فلما رأى علي بن أبي طالب انكسر شأنه، قال عليه السلام: (يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة عن رحلك)، قال يا أبا الحسن خل سبيلي ولا تسألني عما ورائي، فقال عليه السلام: يا أخي أنه لا يسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك)، فقال له: يا أبا الحسن رغبة إلى الله وإليك تخلي سبيلي ولا تكشفني عن حالي. فقال له عليه السلام: يا أخي أنه لا يسعك أن تكتمني حالك). فقال يا أبا الحسن أما إذا أبيت فوالذي أكرم محمداً بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أزعجني عن رحلي إلا الجهد وقد تركت عيالي يتضورون من الجوع. فلما سمعت بكاء العيال لم تحملني الأرض فخرجت مهموماً وراكباً رأسي، هذه حالتي وقصتي فانهملت عينا علي بالدموع، فقال له عليه السلام: (أحلف بالذي حلفت ما أزعجني إلا الذي أزعجك من رحلك فقد استقرضت ديناراً أؤثرك به على نفسي، فدفعت الدينار إليه)، ورجع حتى دخل المسجد فمسجد النبي فصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء،

(١) الأُمالي، محمد بن النعمان الشيخ الطوسي، ص ٦١٥.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ج ١، ص ١٧١.

(٣) حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، ج ٢، ص ٢٦٨. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٣، ص ٥٩.

فلما قضى رسول الله المغرب مر بعلي عليه السلام وهو في الصف الأول فغمزه برجله فقام علي معتقبا خلف رسول الله حتى لحقه على باب المسجد فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال عليه السلام: (يا أبا الحسن هل عندك شيء تتعشاه)، فسكت أمير المؤمنين لا يردّ جواباً وهو مطرق إلى الأرض حياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يعلم عن أمر الدينار ومن أين أخذه وأين وجهه. وقد كان أوحى الله إلى نبيه أن يتعشى الليلة عند علي، فلما نظر رسول الله إلى سكوته، فقال: (يا أبا الحسن ما لك لا تقول لا فأصرف أو تقول نعم فأمضي معك)، فقال عليه السلام: (حباً وتكرماً فاذهب بنا)، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يد علي ابن أبي طالب عليه السلام، فانطلقا حتى دخلا على فاطمة وهي في مصلاها قد فضت صلاتها وخلفها جفنة تفور دخاناً. فلما سمعت كلام رسول الله في رحلها خرجت من مصلاها فسلمت عليه فرد عليها السلام ومسح بيده على رأسها، وقال لها عليه السلام: (يا أبتاه، كيف أمسيت رحمك الله، عشنا غفر الله لك وقد فعل)، فأخذت الجفنة فوضعتها بين النبي وعلي، فلما نظر علي عليه السلام وشم ريحه رمى فاطمة ببصره رمياً شديداً، فقالت له فاطمة عليها السلام: (سبحان الله ما أشحّ نظرك وأشدّه هل أذنبت فيما بيني وبينك ذنباً أستوجب به السخطة)، قال علي عليه السلام: (وأي ذنب أصبته أعظم من هذا؟! أليس عهدي إليك اليوم الماضي وأنت تحلفين بالله مجتهدة ما أطعمني طعام منذ يومين)، قال: فنظرت إلى السماء، فقالت: (إلهي يعلم في سمائه ويعلم في أرضه أني لم أقل إلا حقاً)، فقال لها: (يا فاطمة أنى لك هذا الطعام الذي لم أر مثل لونه قط ولم أشم مثل ريحه قط وما أكلت أطيب منه قط؟)، قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله كفّه الطيبة بين كتفي علي فغمزها، فقال: (يا علي هذا بدل دينارك وهذا جزاء دينارك من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)، ثم استعبر النبي صلى الله عليه وآله باكياً، وقال: (الحمد لله الذي أبى لكم أن تخرجوا من الدنيا حتى يجريكم مجرى زكريا ومريم بنت عمران) ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(١)</sup>.

## ثالثاً: زواجها ...

قال المفيد<sup>(١)</sup> وابن طاووس<sup>(٢)</sup> وأكثر علمائنا<sup>(٣)</sup> أنّ تزويجها كان في ليلة الخميس ليلة إحدى وعشرين من المحرم سنة ثلاث من الهجرة.

وقد روى الخاصة<sup>(٤)</sup> والعامّة<sup>(٥)</sup> عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وأم سلمة وسلمان، قالوا: إنّ لما أدركت فاطمة (عليها السلام) بنت محمد مدرك النساء خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام والشرف والمال. وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أعرض عنه بوجهه، حتى كان الرجل يظن أنّ في رسول الله وحياً من السماء. ولقد خطبها منه أبو بكر وعمر فقال (عليه السلام): (أمرها إلى ربها)، وإنّ أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ الأنصاري كانوا ذات يوم جالسين في المسجد، فتذكروا أمر فاطمة وأنه قد خطبها الأشراف من رسول الله، فقال (عليه السلام): (إنّ أمرها إلى ربها إن شاء أن يزوجه زوجها، وإنّ علياً لم يخطبها ولم يذكرها ولا أراه يمنعه من ذلك إلاّ قلة ذات يده وإنه يقع في نفسه أنّ الله ورسوله إنما يحبسائها عليه، فهل لكم في القيام إلى علي فتذكروا له ذلك فإن منعه قلة ذات يده واسيناه).

فخرجوا من المسجد والتمسوا علياً في منزله فلم يجدوه، وكان ينضح ببيعر له الماء على نخل رجل من الأنصار بأجره، فانطلقوا نحوه فلما نظر إليهم، قال (عليه السلام): (ما وراءكم وما الذي جئتم به)، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن إنّ لم تبق خصلة من خصال الخير إلّا

(١) مسار الشيعة، محمد بن النعمان، الشيخ المفيد، ص ٣٦.

(٢) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج ٣، ص ٩٢.

(٣) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٣، ص ٩٢.

(٤) المناقب، الموفق الخوارزمي، ص ٣٤٣. كشف الغمة، ابن أبي الفتح الأربلي، ج ١، ص ٣٦٢. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد ابن الصباغ، ج ١، ص ٦٥٣.

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٨، ص ١٩. و ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ٢، ص ٦١. والإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٨، ص ٢٦٤.

ولك فيها سابقة من رسول الله بالمكان الذي عرفت من القرابة والصحبة، وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله ﷺ، وقال: أمرها إلى ربها إن شاء زوجها، فما يمنعك أن تذكرها لرسول الله وتخطبها منه، قال فتغرغرت عينا علي بالدموع، وقال ﷺ: (يا أبا بكر لقد هيئت مني ساكناً وأيقظتني لأمر كنت عنه غافلاً، والله إن فاطمة لموضع رغبة وما مثلي قعد عن مثلها غير أنه يمنعني من ذلك قلة ذات اليد). فقال أبو بكر: لا تقل هذا يا أبا الحسن فإن الدنيا وما فيها عند الله ورسوله كهباء منشور.

قال ثم إن علي بن أبي طالب ﷺ حلّ ناضحه وأقبل يقوده إلى منزله فشده فيه ولبس نعله، وأقبل إلى رسول الله ﷺ فكان رسول الله في منزل زوجته أم سلمة، فدخل الباب فقالت أم سلمة: من بالباب؟ فقال لها رسول الله قبل أن يقول علي أنا: (قومي فافتحي له الباب وأمره بالدخول، فهذا رجل يحبه الله ورسوله ويجب الله ورسوله) فقالت: فذاك أبي وأمي ومن هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره؟ فقال ﷺ: (مه فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق هذا أخي وابن عمي وأحب الخلق إلي)، فقالت أم سلمة: فقامت مبادرة أكاد أن اعثر بمرطي<sup>(١)</sup>، ففتحت الباب فإذا أنا بعلي بن أبي طالب ﷺ. والله ما دخل حين فتحت الباب حتى علم أني قد رجعت إلى خدري.

ثم إنه دخل على رسول الله ﷺ، فقال: (السلام عليك يا رسول الله)، فقال له النبي ﷺ (وعليك السلام يا أبا الحسن اجلس). قالت أم سلمة: فجلس علي بين يدي رسول الله ﷺ وجعل ينظر إلى الأرض كأنه قصد الحاجة وهو يستحي أن يديها فهو مطرق إلى الأرض حياءً من رسول الله ﷺ. فقالت أم سلمة: فكأن النبي علم ما في نفسه، فقال له: (إني أرى أنك أتيت حاجة فقل حاجتك، وأبد ما في نفسك فكل حاجة لك عندي مقضية).

(١) (المرطي سرعة العدو كأنه من سرعته يتمرط عنه شعره). معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ج ٥، ص ٣١١.

قال علي عليه السلام: (فقلت فداك أبي وأمي إنك لتعلم أنك أخذتني من أبي طالب وفاطمة بنت أسد وأنا صبي، فغذيتني بغذائك، وأدبتني فكنت أفضل من أبي طالب وفاطمة بنت أسد في البر والشفقة، وإن الله هداني بك وعلى يدك واستنقذني مما كان عليه غيري من الحيرة والضلالة والشرك، وإنك والله يا رسول الله ذخري وذخيري في الدنيا والآخرة. يا رسول الله وقد أحببت مع ما شد الله به عضدي بك أن يكون لي بيت وأن تكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راعباً أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوجي يا رسول الله؟)

قالت أم سلمة: فرأيت وجه رسول الله يتهلل فرحاً وسروراً ثم تبسم في وجه علي عليه السلام، فقال عليه السلام (يا أبا الحسن فهل معك شيء أزوجك به)، فقال علي عليه السلام: (ما يخفى عليك من أمري شيء وأنا أملك سيفي ودرعي وناضحي<sup>(١)</sup> وما أملك شيئاً غير هذا)، فقال عليه السلام له: (أما سيفك فلا غنى لك عنه، وناضحك تنضح به على نخلك، ولكني قد زوجتك بالدرع يا أبا الحسن أبشرك)، قلت: (نعم فداك أبي وأمي)، فقال لي عليه السلام: (أبشر يا أبا الحسن فإن الله عز وجل قد زوجك فاطمة من السماء من قبل أن أزوجك في الأرض ولقد هبط إلي من قبل أن تأتني ملك له وجوه شتى وأجنحة شتى لم أر قبله من الملائكة مثله، فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أبشر يا محمد باجتماع الشمل وطهارة النسل، قلت وما ذاك؟ فقال: يا محمد أنا سبطايل الملك، الموكل بإحدى قوائم العرش، سألت ربي أن يأذن لي في بشارتك، وهذا جبرائيل في أثري يخبرك بكرامة الله، فما استتم كلامه حتى هبط جبرائيل علي، فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا نبي الله، ثم إنّه وضع حريرة بيضاء في يدي من حرير الجنة وفيها سطران مكتوبان بالنور، فقلت: حبيبي جبرائيل ما هذه الحريرة وما هذه الخطوط؟ فقال: يا محمد إن الله عز وجل أطلع إلى الأرض اطلاعه فاخترك من خلقه

(١) (النواضح: جمع ناضح، وهو العير يستقي عليه الماء). معجم ما استعجم، البكري الأندلسي، ج ٤، ص ١٣٤٤.

فاتبعك برسالتك، ثم اطلع إلى الأرض ثانية فاختر لك منها أخاً ووزيراً فزوجك ابنتك فاطمة، فقلت: حببي جبرائيل ومن هذا الرجل، فقال لي: أخوك في الدنيا وابن عمك بالنسب علي بن أبي طالب، وإن الله أوحى إلى الجنات أن تَزْخَرْ فتزخرت الجنات، وإلى شجرة طوبى مُهل الحلي والحلل، وتزينت الحور العين وأمر الله الملائكة أن يجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور، فهبط من فوقها إليها وصعد من تحتها إليها، وأمر الله عز وجل رضوان فنصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور، وهو الذي خطب عليه آدم يوم عرض الأسماء على الملائكة فأوحى إلى أحد ملائكته يقال له: راحيل أن يعلو ذلك المنبر وأن يحمد بمحامده ويمجده بتمجيده وأن يثني عليه بما هو أهله وليس في الملائكة أحسن منطقاً ولا أحلى لغةً من راحيل الملك، فعلا المنبر وخطب في البيت المعمور في جمع من أهل السموات السبع بهذه الخطبة<sup>(١)</sup>، فقال: (الحمد لله الأول قبل أولية الأولين، الباقي بعد فناء العالمين نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيين وبربوبيته مدعنين وله على ما أنعم علينا شاكرين منجينا من الذنوب وسترنا من العيوب وأسكننا في السموات وقربنا السراقات وحجب عنا النهم والشهوات وجعل نهمتنا وشهوتنا في تسبيحه وتقديسه الباسط رحمته الواهب نعمته جلّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين وتعالى بعظمته عن إفك الملحدين، ثم قال بعد كلام - اختار الملك الجبار صفة كرمه وعبد عظمته لأُمّته سيدة النساء بنت خير النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين فوصل حبله بحبل رجله من أهله صاحبه المصدق دعوته المبادر إلى كلمته على الوصول بفاطمة البتول بنت الرسول، قال جبرائيل، ثم أوحى الله إلي أن أعقد عقد النكاح فإني قد زوجت أمتي فاطمة عبدي علي بن أبي طالب، فعقدت عقدة النكاح وأشهدت على ذلك الملائكة أجمعين، وكتب شهادتهم في هذه الحرية، وقد أمرني ربي أن أعرضها عليك وأن أختتمها مسك، وأن أدفعها إلى رضوان، وإن الله عز وجل لما أشهد الملائكة على تزويج فاطمة من علي أمر شجرة طوبى أن تنثر حملها من الحلي والحلل،

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١٢٥.

فنشرت ما فيها فالتقطت الملائكة والخور العين وإن الخور العين ليتهادين ويفتخرن به. يا محمد إن الله أمرني أن أمرك أن تزوج علي من فاطمة، وتبشرها بغلامين زكيين نجيين، فو الله يا أبا الحسن ما عرج الملك من عندي حتى دقت الباب، إلا وأني منفذ فيك أمر ربي امض يا أبا الحسن أمامي فإني خارج إلى المسجد ومزوجك على رؤوس الناس).

قال (عليه السلام): (فخرجت مسرعاً وأنا لا أعقل فرحاً فاستقبلني أبو بكر وعمر وقالوا ما وراءك؟ فقلت: زوجني رسول الله ابنته وأخبرني أن الله زوجنيها من السماء، وهذا رسول الله خارج في أثري ليظهر ذلك بحضرة الناس فأظهر الفرح ورجعا إلى المسجد)، فما توسطناه حتى لحق بنا رسول الله، وإن وجهه ليتهلل فرحاً وسروراً، فقال (عليه السلام): (يا بلال)، قال لبيك، قال (عليه السلام): (اجمع المهاجرين والأنصار). فجمعهم ثم رقى إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال (عليه السلام): (يا معاشر المسلمين إن جبرائيل أتاني أنفاً وأخبرني أن ربي عز وجل أنه جمع الملائكة عند البيت المعمور، وأنه أشهدهم جميعاً أنه زوج أمته فاطمة بنت رسول الله من عبده علي وأمرني أن أزوجه في الأرض وأشهدكم على ذلك)، ثم جلس وقال لعلي: (قم فاخطب لنفسك)، فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وقال (عليه السلام): (الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه ولا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه، وصلى الله على محمد صلاة تزلفه وتحطيه والنكاح مما أمر الله عز وجل ورضيه، ومجلسنا هذا مما قضاه الله وأذن فيه، وقد زوجني رسول الله ابنته، وجعل صداقها درعي هذا، وقد رضيت بذلك فاسألوه واشهدوا)، فقال المسلمون لرسول الله زوجته؟ قال (عليه السلام): نعم، فقالوا بارك الله لهما وعليهما، وانصرف رسول الله إلى أزواجه.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): أنه لما خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فاطمة من رسول الله (صلى الله عليه وآله):

(١) قال: يا علي أنه قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت لها ذلك فرأيت الكراهة في وجهها،

ولكن على رسلك حتى أخرج إليك، فدخل إليها فقامت، وأخذت رداءه ونزعت نعليه، وأتته بوضوء فوضأته بيدها وغسلت رجليه، ثم قعدت، فقال لها: يا فاطمة: قالت: لبيك ما حاجتك، قال: إن علي بن أبي طالب عليه السلام من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإني قد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت ولم تدل وجهها ولم ير فيه رسول الله كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر سكوتها إقرارها، فأتاه جبرائيل فقال: يا محمد زوجها علي بن أبي طالب، فإن الله تعالى قد رضيها لها ورضيها له. قال علي عليه السلام (فزوجنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم).

قال الصادق عليه السلام <sup>(١)</sup>، قال علي عليه السلام: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قم فبع الدرع، فقمت وبعته فأخذت الثمن، فسكبت الدراهم في حجره فلم يسألني كم هي ولا أنا أخبرته، ثم قبض قبضة ودعا بلال فأعطاه وقال صلى الله عليه وسلم: ابتع لفاطمة طيباً)، ثم قبض من الدراهم بكلتا يديه فأعطاه أبا بكر وقال صلى الله عليه وسلم: (ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت)، وأردفه بعمار بن ياسر وعدة من أصحابه، فحضروا السوق وكانوا يعترضون الشيء مما يصلح فلا يشترونه حتى يعرضوه على أبي بكر فإن استصلحه اشتروه، فكان مما اشتروه قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيبرية، وسرير مزمل أي ملفوف بشرائط وهو الخوص المقتول، وفراشين من خيش <sup>(٢)</sup> مصر، حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جز الغنم، وأربع من مرافق من آدم الطائف حشوها اذخر <sup>(٣)</sup>، وستر من صوف، وحصير هجري، ورحاء لليد، ومخضب من نحاس، وسقاء من آدم وقعب للبن، وشن للماء، ومظهرة مزفتة، وجرة خضراء، وكيزان خزف، حتى إذا كمل الشراء حمل أبو بكر بعض

(١) الأمامي، الشيخ الطوسي، ص ٤٠

(٢) (الخيش: ثياب من مشاقة الكتان، في نسجها رقة، تتخذ من أصلب العصب). العين، الخليل الفراهيدي، ج ٤، ص ٢٨٤.

(٣) (اذخر بكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيت فوق الخشب، وهمزتها زائدة). النهاية في غريب الحديث، ابن الاثير، ج ١، ص ٣٣.

المتاع وحمل أصحاب رسول الله الباقي فلما عرض المتاع على رسول الله ونظر إليه بكى وجرت دموعه، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: (اللهم بارك لقوم جل أنيتهم الخزف).

قال علي (عليه السلام)<sup>(١)</sup>: (ولما زوجني رسول الله ﷺ فاطمة بحضور جميع الصحابة مكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله في أمر فاطمة استحياءً مني، وإني كنت إذا مكثت بعد ذلك شهراً خلوت مع رسول الله) يقول: (ما أحسن زوجتك وأجملها، أبشر فقد زوجتك سيدة النساء). (فلما كان بعد شهر دخل علي أخيه عقيلاً) وقال: يا أخي ما فرحت بشيء كفرحي بتزويجك فاطمة. يا أخي فما بالك لا تسأل رسول الله يدخلها عليك فتقر عيوننا بإجماع شملكما.

قال علي (عليه السلام): (والله يا أخي إني لأحب ذلك ولكن الحياء يمنعني) فقال عقيلاً: أقسمت عليك ألا أقمت معي فقمنا نريد رسول الله فلقينا في طريقنا أم أيمن مولاة رسول الله فذكرنا ذلك لها فقالت: لا تفعل ودعنا نحن نتكلم فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال. ثم انشئت راجعة فدخلت إلى أم سلمة فأخبرتها بذلك وأعلمت نساء النبي فاجتمعن عند رسول الله وكان في بيت عائشة وقلن فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله إنا قد اجتمعنا لأمر، وإن خديجة في الأحياء أقرت عينها. قالت أم سلمة فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله وقال: (خديجة وأين مثل خديجة صدقتني حين كذبتني الناس، ووازرتني على دين الله، وأعانتني عليه بما لها، إن الله أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد لا صخب فيه ولا نصب).

قالت أم سلمة: فديناك بآبائنا وأمهاتنا إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك غير أنها قد مضت إلى ربها، فهناها الله بذلك، وجمع بيننا وبينها في الجنة. يا رسول الله هذا أخوك في الدنيا وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب يحب أن تدخل عليه زوجته

(١) كشف الغمة في معرفة السمة، علي بن أبي الفتح الأربلي، ج ١، ص ٣٦٩.

وتجمع شمله فقال ﷺ: (يا أم سلمة، فما بال علي لا يطلب مني زوجته فقد كنا نتوقع منه ذلك)، فقالت: يمنعه الحياء منك.

قالت أم أيمن: فقال ﷺ لي: (انطلقني إلى علي فأتييني به)، فخرجت فإذا علي ينتظري، فلما رأيته قال ﷺ: ما وراءك، قلت: أجب رسول الله، فدخلت وقمن أزواجه فدخلن البيت وجلس علي بين يديه مطرقاً حياءً منه، فقال ﷺ: (أتحب أن أدخل عليك زوجتك)، فقال ﷺ وهو مطرق: (أجل يا رسول الله) فقال ﷺ: (يا أبا الحسن أدخلها عليك في ليلتنا هذه أم في ليلة غد إن شاء الله)، فقام فرحاً مسروراً، ثم التفت الرسول ﷺ إلى النساء، فقال: (من ها هنا)، فقالت أم سلمة: أنا أم سلمة وهذه زينب وهذه فلانة وفلانة، فقال ﷺ: (١) (هيئوا لابنتي وابن عمي في حجر بيتي)، فقالت أم سلمة: في أي حجرة، فقال ﷺ: (في حجرتك)، وأمر نساءه أن يزين ويصلحن من شأنها قالت أم سلمة: فسألت فاطمة هل عندك طيب ادخرته لنفسك فأتت بقارورة فسكبت منها في راحتي فشمنت منها رائحة ما شممت مثلها قط فقلت: ما هذا فقالت رضوان الله عليها: (كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله فيقول: يا فاطمة هاتي الوسادة فاطرحها لعمك، فاطرح له الوسادة فيجلس عليها، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني أبي بجمعه). فسأل علي رسول الله عن ذلك فقال (هو عنبر يسقط من أجنحة جبرائيل)، قال علي ﷺ: ثم قال لي رسول الله: (يا علي اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً)، ثم قال ﷺ: (من عندي الخبز واللحم عليك التمر والسمن، فاشترت تمرًا وسمنًا، فحسر رسول الله عن ذراعيه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى جعله حليساً وبعث إلينا كبشاً سميناً فذبح وخبز لنا خبزاً)، ثم قال ﷺ: (يا علي ادع من أحببت، فأتيت المسجد وهو مشحون بالصحابة، فما أحببت أن أدعو قوماً وأدع قوماً، فصعدت على ربوة هناك، وناديت: أجيئوا إلى وليمة فاطمة فأقبل الناس ارسالاً فاستحييت من رسول الله من كثرة الناس وقلة الطعام، فعلم ما في داخلي فقال لي ﷺ: إني سأدعوا الله بالبركة، قال ﷺ:

(١) الأماشي، الشيخ الطوسي، ص ٤١.

فأكل القوم عن آخرهم ودعوا لي بالبركة، وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، ولم ينقص من الطعام شيء. ثم دعا رسول الله ﷺ بالصحاف فملئت، ووجه بها إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صحيفة وجعل فيها طعاماً وقال ﷺ: هذا لفاطمة وهذا لبعلها)، حتى إذا انصرفت الشمس للغروب، قال ﷺ: (يا أم سلمة هلمي فاطمة)، فانطلقت فأتت بها وهي تسحب أذيالها، وقد تصببت عرقاً حياً من رسول الله، فعثرت فقال رسول الله: (أفالك الله العثرة في الدنيا والآخرة)، فلما وقفت بين يدي النبي كشف النبي عن وجهها حتى رآها علي، ثم أخذ يدها فوضعها في يد علي، وقال ﷺ: (بارك الله لك فيها يا علي نعم الزوجة فاطمة، ويا فاطمة نعم البعل علي، انطلقا إلى منزلكما ولا تحدثا أمراً حتى آتيكما)، قال علي ﷺ: (فأخذت بيدها وأنطلقت بها حتى جلست في جانب الصفة وجلست فاطمة في جانبها وهي مطرقة إلى الأرض حياءً مني وأنا مطرق إلى الأرض حياءً منها)، ثم جاء رسول الله، فقال: (من هاهنا؟ فقلنا أدخل يا رسول الله، مرحباً بك زائراً فدخل وجلس وأجلس فاطمة إلى جانبه) ثم قال: (يا فاطمة آتيني بهاء) فأتته فأخذ جرعة فتمضمض بها ثم مجها في القعب ثم صب منه على رأسها ثم قال: (أقبلي)، فلما أقبلت نضح منه بين ثديها ثم قال: (أدبري فأدبرت فنضح منه بين كتفيها) ثم قال: (اللهم ابنتي وأحب الخلق إلي، اللهم اجعله لك ولياً، وبك حفيماً، وبارك له في أهله) ثم قال: (يا علي ادخل بأهلك بارك الله لك، قال علي ﷺ: (١) (ومكث رسول الله ثلاثاً لا يدخل علينا فلما كان صبيحة اليوم الرابع جاءنا ليدخل علينا فصادف في حجرتنا أسماء) فقال ﷺ لها: (ما وقوفك هنا وفي الحجرة رجل)، فقالت: فذاك أبي وأمي إن الفتاة إذا زفت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعاهدها وتقوم بحوائجها فأقمت هنا لأقضي حوائج فاطمة، فقال ﷺ: (قضى الله لك حوائج الدنيا والآخرة).

قال علي ﷺ: (وكانت غداة قر<sup>(٢)</sup> وكنت أنا وفاطمة تحت العباء، فلما سمعنا كلام

(١) المناقب، الموفق بن أحمد الخوارزمي، ص ٣٥٢.

(٢) القر: البرد. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ٥، ص ٢١. غداة قر: يوم برد.

رسول الله لأسماء، ذهبنا لنقوم فقال: بحقي عليكما لا تفترقا حتى أدخل عليكما، فرجعنا إلى حالنا فدخل وجلس عند رؤوسنا وأدخل رجله فيما بيننا وأخذت أنا رجله اليمنى وضممتها إلى صدري وجعلنا ندفي رجله من القر حتى إذا دفيناها، قال ﷺ: يا علي اتني بكوز من ماء، فأتيته به فتفل فيه وقرأ عليه آيات من كتاب الله ثم قال ﷺ: يا علي اشربه واترك منه شيئاً، ففعلت ذلك، فرش الباقي على رأسي وصدري وقال ﷺ: اذهب الله عنك الرجز وطهرك تطهيراً وقال: اتني بماء جديد فأتيته ففعل كما فعل وسلمه إلى ابنته، وقال: اشربي واتركي منه قليلاً، ففعلت فرش الباقي على صدرها ورأسها، وقال: اذهب الله عنك الرجز وطهرك تطهيراً، وأمرني بالخروج من البيت وخلا بابنته وقال ﷺ: كيف أنت يا بنية وكيف وجدت زوجك؟ قالت يا أبتى خير زوج إلا إنه دخل علي نسوة من قريش وقلن زوّجك رسول الله من فقير لا مال له.

فقال ﷺ: يا بنية ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت علي خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربي، يا بنية ما آلوک نصحاً. ولقد زوجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حليماً.

ثم صاح بي رسول الله ﷺ، فقال: ادخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها فإن فاطمة بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها ويسرني ما يسرها، استودعكم الله واستخلفه عليكما، قال علي عليه السلام: فو الله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل إليه، ولا أغضبني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان). ثم قام رسول الله لينصرف فطلبت منه خادماً لأنها لا قابلية لها على الخدمة، فقال لها ﷺ: (يا فاطمة أولاً تريدين خيراً من الخادم)، فقالت: (بلى)، فقال ﷺ: (تسبحين الله عز وجل في كل يوم ثلاثاً وثلاثين مرة، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين مرة، وتكبرينه أربعاً وثلاثين مرة فدونك مئة باللسان وألف بالميزان، يا فاطمة إن قلتها في صبيحة كل يوم كفاك الله ما أهّمك من أمر الدنيا والآخرة).

### رابعاً: بكائها وشهادتها

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) <sup>(١)</sup> أنه قال: (البكاؤون خمسة آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة، وعلي بن الحسين صلوات الله عليهم).

أما فاطمة فبكت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) <sup>(٢)</sup> حتى تأذى أهل المدينة فشكوا ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فبنى لها بيتاً خارج المدينة وسماه بيت الأحران بعد أن كانت تخرج فتستظل بشجرة عن حرارة الشمس وتبكي عندها فقطعوا الشجرة، فكانت تجلس في الشمس وتبكي إلى أن بنى لها أمير المؤمنين البيت المعروف، فكانت تخرج إليه أول النهار فإذا جاء الليل جاء إليها أمير المؤمنين وأخذ بيدها وردّها إلى البيت.

وعن ابن عباس <sup>(٣)</sup> قال: لما حضرت رسول الله الوفاة بكى، فقلنا ما يبكيك يا رسول الله فقال: (أبكي لذريتي ما يصنع بهم شرار أمي؛ كأني بفاطمة وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه فلا يعينها أحد). فسمعت فاطمة فبكت، فقال لها رسول الله: (لا تبكي يا بنية)، فقالت (عليها السلام): (لست أبكي بما يصنع بي من بعدك ولكن أبكي لفراقك)، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أبشري بسرعة اللحاق بي يا بنت محمد، فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي ولا تمكثين من بعدي إلا اثنتين وسبعين يوماً ونصف ولا تلحقي بي حتى تحفي بشار الجنة)، فضحكت فاطمة، وعن الصادق (عليه السلام) أيضاً: (أثما عاشت بعد أبيها لم تر كاشرة ولا ضاحكة) <sup>(٤)</sup>.

وروى الصدوق <sup>(٥)</sup> قال: لما قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امتنع بلال عن الأذان، وإن فاطمة سلام الله عليها قالت يوماً: (إني أحب أن أسمع صوت مؤذن أبي)، فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان،

(١) الخصال، علي بن بابويه الشيخ الصدوق، ص ٢٧٢.

(٢) الأمالي، علي بن بابويه الشيخ الصدوق، ص ٢٠٤.

(٣) الأمالي، محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، ص ١٨٨.

(٤) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٥) من لا يحضره الفقيه، علي بن بابويه الشيخ الصدوق، ص ٢٩٨.

فلما قال: الله أكبر ذكرت فاطمة أباهما وأيامه فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله أشهد أنّ محمداً رسول الله شهقت فاطمة وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس: أمسك يا بلال فقد فارقت ابنة رسول الله الدنيا، فقطع بلال أذانه، فلما أفاقت سألته أن يتم أذانه فلم يفعل وقال لها: يا سيدة النساء إني أخشى عليك مما تنزليه بنفسك.

وروى الصدوق<sup>(١)</sup> بسنده عن ابن عباس قال: بينما رسول الله جالس إذ أقبل الحسن فلما رآه بكى ثم قال: (إِلَيَّ إِلَيَّ)، فما زال يديه حتى أجلسه على فخذه اليمنى ثم أقبل الحسين فلما رآه بكى، ثم قال: (إِلَيَّ إِلَيَّ)، فما زال يديه حتى أجلسه على فخذه اليسرى، ثم أقبلت فاطمة، فلما رآها بكى ثم قال: (إِلَيَّ إِلَيَّ يا بنية)، حتى أجلسها بين يديه، ثم أقبل أمير المؤمنين، فلما رآه بكى، ثم قال: (إِلَيَّ إِلَيَّ يا أخي)، فما زال يديه حتى أجلسه إلى جانبه الأيمن، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترى أحداً من هؤلاء إلاّ بكيت؛ أما فيهم من تسرّ برؤيته؟

فقال ﷺ: (والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية إني وإياهم لأكرم الخلق على الله عزّ وجلّ، وما على الأرض نسمة أحب إليّ منهم. أما علي بن أبي طالب فإنه أخي وشقيقي، وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كل مسلم وإمام لكلّ مؤمن، وقائد لكلّ تقي، وهو وصيي وخليفتي على أهلي وأمتي في حياتي وبعد موتي، محبّه محبّي ومبغضه مبغضي، وبولايته صارت أمتي مرحومة، وبعداوته صارت المخالفة له ملعونة، وإني بكيت حين أقبل لأني ذكرت غدر الأمة به بعدي ثم لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن. وأما ابنتي فاطمة فإنّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الانسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جلّ جلاله زها

(١) الأمالي، علي بن بابويه الشيخ الصدوق، ص ١٧٤.

نورها لملائكة السماء كما يزهو نور الكواكب لأهل الأرض، فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمامي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت على عبادتي بقلبها، أشهدكم أنني منعت شيعتها من النار. وإني لما رأيته ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأني بها وقد دخل الذل بيتها، وانتهكت حرمتها، وغضب حقها، ومنعت إرثها، وكسر جنبها، وهي تنادي واحمداه فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة وتذكر فراقني أخرى، وتستوحش إذا جنبها الليل لفقد صوتي الذي كانت تسمعه إذا تهجدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيامي عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى بالملائكة، فتناديها بها نادت به مريم ابنة عمران فتقول الملائكة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ثم يبتدؤها الوجد فتمرض، فيبعث الله تعالى إليها مريم ابنة عمران تمرضها وتؤنسها في علتها، فتقول عند ذلك: يا رب إني سئمت الحياة فألحقني بأبي، فيلحقها الله عز وجل بي، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم علي محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غصبها، وذل من أذلها، وخلد في النار من ضرب جنبها حتى لقيت والدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين.

وأما الحسن فإنه ابني وقرّة عيني، وضيء قلبي، وثمره فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني ومن عصاه فليس مني، وإني لما نظرت إليه تذكّرت ما يجري عليه من الذل بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسم ظلماً وعدواناً. فعند ذلك تبكي عليه ملائكة السبع الشداد، ويكيه كل شيء حتى الطير في جو السماء والحيتان في جوف الماء. فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره، في بقيعه ثبت قدمه يوم تزل فيه الأقدام.

وأما الحسين فإنه مني، وهو ابني وولدي، وخير الخلق بعد أخيه، وهو إمام المسلمين ومولى المؤمنين، وخليفة رب العالمين، وغياث المستغيثين، وكهف المستجيرين وحجة الله على خلقه أجمعين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وباب نجاة الأمة، أمره أمري، وطاعته طاعتي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس مني، وإني لما رأيته تذكرت ما يصنع به بعدي، كأني به وقد استجار بحرمي وبقبري فلا يجار، فأضمه في منامه إلى صدري، وأمره بالرحلة عن دار هجرتي، وأبشره بالشهادة، فيرتحل منها إلى أرض مقتله ومصرعه أرض كرب وبلاء وقتل وفناء تنصره عصابة من المسلمين، أولئك من سادات شهداء أمتي يوم القيامة، كأني أنظر إليه وقد رمي بسهم فخر عن فرسه صريعاً، ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً).

ثم بكى رسول الله ﷺ وبكى من حوله، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثم قام وهو يقول: (اللهم إني اشكو إليك ما يلقي أهل بيتي بعدي ثم دخل منزله).

وروي<sup>(١)</sup> أنها ما زالت بعد أبيها، معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد أخرى، وتقول لولديها: (أين جدكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل ذلك بكما)، ثم مرضت ومكثت أربعين ليلة، فلما نعت إليها نفسها، دعت أم أيمن وأسماء بنت عيسى، ووجهت خلف علي فأحضرتة، وقالت ﷺ: (يا ابن عم إنّه قد نعت إلي نفسي وإنني لا أرى ما بي، إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي)، فقال لها علي ﷺ: (وصني بما أحببت يا بنت رسول الله) فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، فقالت ﷺ: (يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني). فقال: معاذ الله، إنني أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله أن أؤيخك بمخالفتي، قد عزّ علي مفارقتك وتفقدك، إلا إنه أمر لا بد منه. والله جددت

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص ١٥٠.

علي مصيبة رسول الله وقد عظمت وفاتك وفقدك فإننا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء لها ورزية لا خلف لها). ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ علي رأسها وضمها إلى صدره، ثم قال (عليه السلام): (أوصيني بما شئت، فإنك تجدينني أمضي فيها كما أمرتني، وأختار أمرك على أمري) فقالت (عليها السلام): (جزاك عني خيراً، يا ابن عم أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة إمامة فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لا بد لهم من النساء، ثم قالت (عليها السلام): يا ابن عم وأوصيك ثانياً، أن تتخذ لي نعشاً رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال (عليها السلام) صفه لي: فوصفته له فاتخذها لها: وهو أول نعش حمل على وجه الأرض، ثم قالت (عليها السلام): (أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، وأخذوا حقي فإنهم عدوي وعدو رسول الله ولا تترك أن يصلي علي أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفني ليلاً إذا هدأت العيون ونامت الأبصار).

وروى العياش قال دخلت أم سلمة<sup>(١)</sup> على فاطمة سلام الله عليها: فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله، فقالت (عليها السلام): (أصبحت بين كمد وكرب فقد النبي وظلم الوصي، هُتِك والله حجابي من أصبحت إمامته مقضية على غير ما شرع الله في التنزيل، وسنها النبي في التأويل، ولكنها أحقاد بدرية وثارات أهدية، كانت عليها قلوب أهل النفاق متكئة لأمكان الوثبة)، وفي رواية<sup>(٢)</sup> أنها قالت (عليها السلام): (لأسماء عند قرب وفاتها: اتتني بهاء فاتتها به فاغتسلت أحسن غسل، وقالت هاتي طيبي الذي أتطيب به وهاتي ثيابي التي أصلي فيها، واتتني ببقية حنوط والدي الذي نزل به جبرائيل من الجنة، فقسم أبي أثلاثاً، ثلث لعلي وثلث لي، في موضع كذا فضعيه عند رأسي)، ثم تمسحت بثوبها، وقالت (عليها السلام): (انتظريني هنيهة وادعيني فإن أجبتك وإلا فأعلمي أني قدمت على ربي).

قالت أسماء: فانتظرتها هنيهة، ثم ناديتها فلم تجبني فناديت يا بنت محمد المصطفى،

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٤٩.

(٢) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٣، ص ١٨٦.

يا بنت أكرم من حملته النساء، يا بنت خير من وطأ الحصى، يا بنت من كان قاب قوسين أو أدنى، فلم تجب، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا، فوقعت عليها أقبلها وأقول: يا فاطمة إذا قدمت على أبيك فاقرأيه عن أسماء بنت عميس السلام. فينمنا هي كذلك إذ دخل الحسنان عليهما السلام، فقالا: (يا أسماء ما ينمنا في هذه الساعة)، فقالت: يا ابني رسول الله ليست أمكما نائمة، بل قد فارقت الدنيا فوقع عليها الحسن يقبلها ويقول: (يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني) وأقبل الحسين يقبل رجلها ويقول: (يا أماه أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن ينصدع قلبي فاموت). فقالت لهما أسماء: يا ابني رسول الله اذهبا وانطلقا إلى أبيكما فاخبرا بموت أمكما، فخرجا حتى إذا كانا قريباً من المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء، فابتدرهما جميع الصحابة، وقالوا ما يبكيكما يا ابني رسول الله لا أبكى الله أعينكما، لعلكما نظرتما إلى موقف جدكما فبكيكما شوقاً إليه قال عليهما السلام: (أوليس قد ماتت أمنا فاطمة)، قال فوقع علي على وجهه، وهو يقول عليه السلام: (بمن العزاء يا بنت محمد كنت بك أتعزى فقيم العزاء بعدك؟) ثم قال عليه السلام:

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فِرْقَةٌ      وَكُلِّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلٌ  
وَإِنْ اِفْتَقَادِي فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمَدٍ      دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومُ خَلِيلٌ

وصاح أهل المدينة<sup>(١)</sup> صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها وصرخوا صرخة واحدة، كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهن وهن يقلن يا سيدتاه يا بنت رسول الله، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي وهو جالس والحسن والحسين بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما، وخرجت أم كلثوم وعليها برقة وهي تحجّر بذيلها متجللة برداء عليها تسحبه وتقول: يا أبتاه يا رسول الله الآن حقاً فقدناك، فقد لا لقاء أبداً. واجتمع الناس وهم يضحون وينتظرون خروج الجنازة فيصلون عليها، فخرج أبو ذر وقال: انصرفوا فإن

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٣، ص ١٩٣.

ابنة رسول الله قد أُخر إخراجها في هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا. فلما أن هدأت العيون ومضى شطر من الليل، أخرجها علي والحسن والحسين وعمار والمقداد وأبو ذر وعقيل والزبير وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم، فصلوا عليها ودفنوها في جوف الليل وسوى علي حول قبرها قبوراً سبعة حتى لا يعرف قبرها.

وروى عن الحسين عليه السلام<sup>(١)</sup>: (أَنَّ عَلِيًّا لما دُفِنَهَا وأَخْفَى موضع قبرها فلما نفَضَ يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله) فقال عليه السلام: (السلام عليك يا رسول الله مني ومن ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك والباثية في الثرى ببقيعك، المختار لها الله سرعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صِفَتِكَ صبري، وضعف عن سيدة النساء تجلّدي، إلّا أَنَّ في التَّأْسِي بسنتك والحزن الذي حلَّ بي لفراقك موضع التعزي، ولقد وسدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري، فإنّا لله وإنا إليه راجعون قد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة واختلست الزهراء فما أقبح الخضراء والغبراء. يا رسول الله أمّا حزني فسرمد وأمّا ليلي فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مبرح، وهم مهيج، سرعان ما فَرَّقَ الله بيننا، وإلى الله اشكو وستنبأك ابنتك بتظاهرك أمتك علي وعليها فاستخبرها الحال. فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً، وستقول ويحكم الله والله خير الحاكمين، سلام عليك يا رسول الله سلام مودع، لا سائمٍ ولا قالٍ فإن أنصُرَ فلا عن ملاله وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، والصبر أيمن وأجمل ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، والتلبث عنده معكوفاً ولأعولت أحوال الشكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، ويهتضم حقها قهراً ويمنع ارثها جهراً ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك أجمل العزاء فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته).

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، ج ١٣، ص ٣٧.

وروى ابن شهر آشوب في المناقب<sup>(١)</sup>، أنهم لما ساروا بفاطمة إلى القبر المبارك خرجت يدان من القبر شبيهتان بيدي النبي فتناولتها.

الأشهر بين الإمامية الذي دلّ عليه الأخبار الكثيرة<sup>(٢)</sup> أنّ عمرها الشريف وقت وفاتها ثمانية عشرة سنة، وقيل ثلاثون، وفيه أقوال آخر ما بين الثمانية عشر إلى الثلاثين، والله أعلم. والاختلاف في موضع قبرها مشهور معلوم لعن الله الظالمين لها. اللهم بحق أبيها وبعلمها وبنيتها صلّ على محمد واله واحشرنا معها وأدخلنا في شفاعتها وأمتنا على حبها وحبّ أبيها وبعلمها وبنيتها.

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١٣٩.

(٢) (وأما مدّة عمرها، فالأخبار فيه أيضاً مختلفة. ففي الكافي ولدت فاطمة بعد مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنين، وتوفيت ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً، وبقيت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً.

ونحوه في البحار ومن عيون المعجزات للسيد المرتضى، قال: روى أنّ فاطمة ؑ توفيت ولها ثمان عشرة سنة وشهران، وأقامت بعد النبي ﷺ خمسة وسبعين يوماً، وروي أربعين يوماً. وفي البحار من بعض كتب المناقب القديمة عن سيّد الحفاظ أبي منصور الديلمي بإسناده أنّ عبد الله بن الحسن دخل على هشام بن عبد الملك، وعنده الكلبي، فقال هشام لعبد الله بن الحسن: يا أبا محمد كم بلغت فاطمة بنت رسول الله ﷺ من السن فقال: بلغت ثلاثين، فقال للكلبي: ما تقول؟ قال: بلغت خمساً وثلاثين، فقال هشام لعبد الله: ألا تسمع ما يقول الكلبي فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين سلني عن أمي فأنا أعلم بها وسل الكلبي عن أمه فهو أعلم بها.

وعن العاصمي بإسناده عن محمد بن عمر قال: توفيت فاطمة بنت محمد ﷺ لثلاث ليال خلون من شهر رمضان وهي بنت تسع وعشرين أو نحوها. وقال محمد بن إسحاق توفيت ولها ثمان وعشرون سنة، وقيل: سبع وعشرون سنة.

وفي رواية أنّها ولدت على رأس سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ فيكون سنّها على هذا ثلاثاً وعشرين، والأكثر على أنّها كانت بنت تسع وعشرين أو ثلاثين، والله العالم بحقائق الوقائع). منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، ج ١٣، ص ١١.

## المصادر

### القران الكريم

١. الطبقات الكبرى، ابن سعد، مكتبة الخانجي - ٢٠٠٦م.
٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير - لبنان، ٢٠١٦م.
٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩١م.
٤. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، قم - ط ١ - ١٤٣٥هـ.
٥. الكافي، الشيخ الكليني، منشورات الفجر - بيروت، ٢٠٠٧م.
٦. علل الشرائع، علي بن بابويه القمي الشيخ الصدوق، دار المرتضى - بيروت، ط ١ - ٢٠٠٦م.
٧. الإرشاد، محمد بن النعمان الشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت، لبنان ٢٠٠٨م.
٨. الأمالي، ابن بابويه الشيخ الصدوق، الأعلمي - بيروت، ٢٠٠٩م.
٩. الأمالي، محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، تقديم محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الأهلية - بغداد، ١٩٦٤م.
١٠. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر - بيروت، بلا.
١١. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: عمر المعموري، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٥م.

١٢. كشف الغمة، علي بن عيسى الإربلي، المطبعة الإسلامية - تبريز، ١٣٨١هـ.
١٣. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، تصحيح: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٦هـ.
١٤. المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد الخوارزمي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١١هـ.
١٥. ينابيع المودة، سليمان بن إبراهيم القندوزي، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ط ٧ - ١٩٦٥م.
١٦. ميزان الاعتدال، الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة - بيروت، ٢٠٠٩م.
١٧. الإصابة، ابن حجر العسقلاني، المطبعة الشرقية - ٢٠٠٧م.
١٨. المسترشد، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد المحمودي، مؤسسة الثقافة الإسلامية - طهران، ١٤١٥هـ.
١٩. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ.
٢٠. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، منشورات وزارة الإرشاد الإسلامي - ١٣٦٥هـ.
٢١. روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري، تحقيق: السيد محمد مهدي الخراسان، منشورات الشريف الرضي - قم، بلا.
٢٢. عمدة عيون صحاح الأخبار، يحيى بن الحسن ابن البطريق، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٧هـ.
٢٣. مستدركات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٢٦هـ.

٢٤. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، مطبعة ابن زيدون - دمشق، ط ١ - ١٣٥٤هـ.
٢٥. دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ.
٢٦. تاج العروس، محمد الزبيدي، مطبعة الكويت - الكويت، ٢٠٠٦م.
٢٧. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، قسم الدراسات الإسلامية - قم، ط ١ - ١٤٢١هـ.
٢٨. حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، تحقيق: غلام رضا مولانا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلامية - ١٤١٤هـ.
٢٩. مسار الشيعة، محمد بن النعمان الشيخ المفيد، دار المفيد - بيروت، ١٤١٤هـ.
٣٠. إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط ١ - ١٩٩٦م.
٣١. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد ابن الصباغ، تحقيق: جعفر الحسيني، المجمع العالمي لأهل البيت - قم، ط ٢ - ١٤٣٢هـ.
٣٢. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا، دار الفكر - بيروت، ٢٠٠٧م.
٣٣. معجم ما استعجم، عبد الله بن عبد عزيز البكري الأندلسي، عالم بيروت - ٢٠٠٩م.
٣٤. العين، الخليل الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ٢٠٠٧م.
٣٥. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، مؤسسة الحلبي - ٢٠٠٨م.

٣٦. ذروة من حياة الشيخ علي كاشف الغطاء، السيد عبد الستار الحسني، مؤسسة كاشف الغطاء العامة.

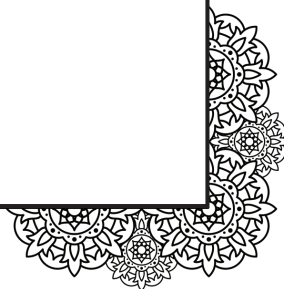
٣٧. العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية، للإمام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، تحقيق: جودت القزويني، بيسان للنشر - لبنان - ١٤١٨ هـ.



**شخصية السيدة الزهراء عليها السلام**  
**وأثرها في توجهات فكر المرأة المعاصرة**  
**بنت الهدى وأمينة الأصفهانية أنموذجاً**

الباحثة  
م.م هند كامل خضير

ماجستير في اللغة العربية - جامعة ذي قار  
مديرية تربية ذي قار



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

تشغل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حيزاً عظيماً من صفحات التاريخ، إذ لم يكن حضورها في سجل التراث حضوراً انطولوجياً مستقلاً، بل كان حضوراً معرفياً يُدلي بلوازم كثيرة على سبيل الدين من (عقائد، وأصول، وأركان)، ومن ثم على أبعاد سياسية وأخلاقية وتربوية، طالت مناحي الحياة المدنية عامة، لترسم في مجموعها الحدود الحقيقة للهوية المسلمة.

قد أضفت الصورة الفاطمية تجسيدا حتمياً في جلّ الثقافات الإنسانية بحكم اتّصالها برمزيات يُقدّسها التاريخ على مديات الأجيال البشرية. ومن هنا كان حضور صورتها يمرّ من خلال اشتراطات ثقافية هي من صلب التكوين التاريخي / الحضاري للثقافة أو المجتمع. وعليه جاءت أطروحات (أمينة الأصفهانية و بنت الهدى) أنموذجاً يجسّد في حضوره المثال الزهراي، فحملت السيدتان همّ التأسي بالسيدة فاطمة عليها السلام في جيل عصرهما على أهبى صورة وتجليّة، فعلمتا ودرّستا وكتبتا في سبيل إيصال الرسالة الإسلامية للمرأة العصرية التي أخذت تتلاطمها أمواج الانحراف؛ لذا كان انطلاق الدراسة من النخبتين (أمينة الأصفهانية و بنت الهدى) في رسالتهما الفاطمية الحافلة بالعلم والنور. وقد أخرجها البحث في مبحثين، يسبقهما تمهيد، وتليهما خاتمة. جاء الأول بعنوان (أمينة الأصفهانية و بنت الهدى - التماهي مع المثل الأعلى واجتراح المنهج). وجاء المبحث الثاني بعنوان (المثال الفاطمي في مدونات السيدتين)، انصرف فيهما الحديث إلى كيفية استيعاب المثال الفاطمي في أنموذج السيدتين - بوصفهما نخبة - خطاباً، ومنهجاً، وتجربة، ورسالةً، جديرة بأن ينفذ تطبيقها لكل فتاة مسلمة. وينتهي الحديث في رحابها إلى أنّ السيدة الزهراء بوصفها أنموذجاً تاريخياً، تعدّ حاضنة صالحة لكل زمان، ولكل فتاة، كونها سيرة تُثري فيها جلّ سياقات الطريق القويم بالمعنى الإنساني الكامل.

## التمهيد

إنَّ أسلوب الاهتداء إلى التاريخ لا سيما شخوصه، وتحديدًا نخبها أو من يتمتع برمزيات دينية ومقدَّسة، يُعدّ مرجعاً أثيراً، بل مصدراً حياً من مصادر الكمال الإنساني الذي ينشده المقتدي، ذلك أنَّ (المعطيات التراثية تكسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة ونوعاً من اللصوق بوجدانها، لما للتراث من حضور حيٍّ ودائم في وجدان الأمة...) (١)، لا سيما التراث الذي حمل حقبة البيت المحمّدي، الذين جسّدوا الرسالة السأوية الحقّة. فالتاريخ حين يتوسّم الوصول إلى وجدان أمته بطرحه الأنموذج يكون قد توسل إليه بأقوى الوسائل تأثيراً عليه وهي الدين؛ بوصف أنَّ الذائقة الدينية تتجاوز في إطارها العام جُلّ المرجعيّات المتخيّلة إلى حيث العمل (من أجل السمو الروحي والأخلاقي والاجتماعي والفكري، وهذا هو جوهر التربية الإسلامية) (٢)؛ لذا إنَّ الإنسان إنما يتعاطى مع شخصيات آل البيت (عليه السلام)، فلا تُهم مثلوا رسالة الإسلام ورسوله، وتجلّت عندهم وعلى أيديهم أهداف الإسلام وتعاليمه، ومن ثم بذلوا واجتهدوا وضخّوا من أجلها ابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ. ومن هنا فهم - أهل البيت - ليسوا شخصيات تاريخية عابرة، إنّما كانوا شخصيات تحمل عنصري (التأثير والمؤثر) قابلة بشموليتها للتجدّد والبقاء على امتداد التاريخ.

تجسّد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتمثّل الصلة المحمدية الأولى، ووليّة الأثر المحمدي الكريم، فحياتها مرآة له، وسيرتها تجلّ لسيرته. إنّ السيدة الزهراء سيرة أعادها الله، وجعلها بلسان نبيه، فأصبحت سيدة على نساء العالمين. فكل حياتها مثل وشواهد، ودروس للمسلم المهتدي، ومنهج للمرأة المسلمة الناضجة. وقد باهى الله تعالى بفاطمة الزهراء ومنزلتها، إذ قال الله في الحديث القدسي لرسوله الكريم (ﷺ): (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما) (٣). ومن هنا فالمرأة المسلمة حين تتخذ من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إرثاً وموقفاً تاريخياً تشعر أنَّ هناك صلة قد بلغت حدّ الاتحاد والامتزاج

بها، وأن هذه الشخصية المثل قادرة - بملاحظتها التراثية- على أن تحمل أبعاد تجربتها الخاصة. وهذا ما حصل مع تجربة السيدتين (آمنة بنت الهدى\*)، وأمينة الأصفهانية (\*\*\*) حينما جسدتا في عصرهما أنموذج السيدة الزهراء (عليها السلام)، بوصفه مثلاً تاريخياً إسلامياً يصور طبيعة الصلة الحضارية التي يمكن للمرأة المسلمة من خلالها أن تواجه بها متغيرات عصورها، لأن - الوقوع أدل دليل على الإمكان كما يقول المنطق - الأسوة الحسنة حجة الله في واقع الممارسة وحقيقة المشهد المحسوس (٤)، لا سيما أن في وظيفة الاقتداء بهذه الأسوة - السيدة الزهراء- توجد المعجزات في صنع النفوس وصبّ القلوب في قالب التأسي؛ لتخرج وكأنها طبق الأصل من المقتدى به، ومن ثم تكون وسيلة لاستمرار تأثير القدوة الأصل وبقائها حية في الواقع (٥). فكانت السيدتان (بنت الهدى، وأمينة الأصفهانية) معجزتين من معجزات التأسي بالسيدة الزهراء، ولطالما جسدت مثلاً يحتذى به على مديات التاريخ حجة بالغة على نساء عصرها والعالمين؛ فلا غرابة أن ينعكس هذا الفضاء الفاطمي بدوره لمنطق التناسب الصوري بين المنظومة الإسلامية لا سيما النسوية فتنعشه بالتجربة قلباً وقالباً؛ لذا اتسم اقتداء السيدتين؛ بوصفه منهجاً تاريخياً بالحميمية القرية من المنهج الزهرائي حتى أصبحن يمثلن أنموذج النخبة في جيلهن، ومصدقات الحجة الصالحة في عصرهن يُعلّق عليهن بالبنان، كما قيل في السيدة (أمينة الأصفهانية): (وأمر هذه الشريفة ممّا يقضي منه العجب في هذا العصر، مصدقة في حصول الاجتهاد لها عن جمّ كشيخنا عبد الكريم الحائري وغيره. فهي فريدة العصور، ونادرة الدهور، والحجة على نساء العصر، والآية لبارئ الدهر...) (٦)، كما عرفت السيدة أمينة الصدر بأنها (من فضليات بنات جنسها ومذهبها في العصر الحديث علماً وتقوى وجهاداً) (٧).

فعند اختيارهن المثل الفاطمي منهجاً، وبعد أن وجدن فيه معيناً أعذب، يمكن للمرأة أن تنهل منه وترتشف منهجها. فالسيدة بنت الهدى قد بينت مراراً من الذكر تجارب التاريخ الخالدة فتقول في إحدى دعواتها لنساء عصرها: (فإلى الإسلام يا فتيات

الإسلام، وإلى الدعوة يا حفيدات خديجة والزهراء، وبنات سكينة والخوراء، فإنّ فيه الأمن والأمان... (٨). ولعلّ ما طرحه علم الاجتماع اليوم يؤيد هذه الحاجة من التعبير التي تضيفها الهوية لا سيّما من جهة الانتماء الديني، إذ إنّ إحدى الركيزتين في نهوض الوجود الاجتماعي هو (الحاجة إلى الشريعة... وأنّ ما يصنع التماسك والتلاحم الاجتماعيين هو المشاركة المعيارية المبنية على معتقدات مشتركة، وفي مقدمتها المعتقدات الدينية التي تُشكّل عامل التدامج الأمثل) (٩). ومن هنا مثّلت النخبتان (السيدة الأصفهانية والسيدة أمينة الصدر) أنموذجاّ عصرياً بمصداق تاريخي من جهة، وديني من جهة أخرى؛ وبقدسية الجهتين وافق النساء كافّة بمختلف عصورها وأطوارها.

## المبحث الأول أمانة الأصفهانية وبنت الهدى

### التماهي مع المثل الأعلى واجترح المنهج:

الحقّ أنّ المثل الزهرائي يكاد في أسلوب حياة السيدتين يُشكّل -من حيث هو تراث تاريخي- المضمون الأكثر استغراقاً في النظر النخبوي، حتى أعطى لحياتها عنواناً مركزياً يُشار إليه بالبنان في أدبيات عصرهما. وقد أنتجت بصدده السيدتان (أمانة الأصفهانية، وأمانة الصدر) مركزية محورية بالغة الثراء أسست في بعض مناحيها مدارس علمية بمنهج توعوي وإرشادي، هيأت بها السيدتان القاعدة التداولية لمدونة من المفاهيم والمنجزات النظرية والتطبيقية. ولعلّ ما يُلفت النظر في قدر جمّ من المنجزات استرفدت المسترسل من نصوص ذي صبغات مختلفة للأمثلة والصور لتجسيد شخصية المثل الفاطمي، وبناء مجالها الدلالي كما صرّحت به السيدة الزهراء عليها السلام عندما قالت: (نحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصّته ومحلّ قدسه، ونحن حجته في غيبته، ونحن ورثة أنبيائه) (١٠)، وبالنظر لهذا المسار فقد شكّل الانشغال بالـ (الحجة)، و (القدوة)، و (التجربة)، و (الأنموذج) من حيث هي تفرّعات لسؤال التأسّي، الجانب العلمي بعد الجانب العملي لأسلوب حياة السيدتين الخاصّة. من ذلك ما قالته (السيدة بنت الهدى) في جواب إحدى الفتيات المسلمات: (... وأنا أيضاً من أريد أن أجعل من نفسي مثلاً وأنموذجاً جرى عليه تجارب أدب الإسلام التي قد يظنّ البعض الجاهل أو المتجاهل أنّها تجارب فاشلة، فأنا أريد أن أثبت بنفسي ما يحدثنا به التاريخ الإسلامي عن أمهات وأخوات لنا في صدر الإسلام ناهضن بثقافتهن أعظم الرجال مع تمسكهن بالإسلام وتعاليمه) (١١).

وفي السياقات المتقدمة يجدر بنا التمييز بين مستويين من الاقتداء عند (بنت الهدى وأمينة الأصفهانية) في تمثالات الأسوة الفاطمية؛ الأول: يتصل بعوالم ذواتهن الفاعلة في علاقاتهن مع مجتمع النص، والثاني: ينصرف إلى نسج احتمالات التفاعل والتقارب بين المثال ومرجعياته الموجهة، وعليه سيتضح أمامنا تجربتين اقتادتهما السيدتان الكريمتان في رحاب المثال الفاطمي:

### أولاً: مدارس الزهراء (عليها السلام)

#### تأسيس النخبة والتمثالات والاستراتيجية

مما لا شك فيه أنّ العلم بوصفه شكلاً جامعاً لمحاكاة المعرفة والحضارة هو الفضاء الأمثل لتحقيق التأسّي بالمثال بمختلف تجلياته؛ كونه يحتضن الصلات المشتركة لموضوعات الاقتداء ذات الطبيعة الفكرية والاجتماعية والنفسية حتى الدينية. ومن هنا يصبح من الأجدى الحديث عن استحضرار المثال، لا سيما وأن السيدة الزهراء (عليها السلام) استطاعت أن تثبت في تاريخ الإسلام أنّ العلم يجتمع مع الدين، وأنّ الثقافة الحقيقية توأم مع الإيمان بالله ومع التمسك بالإسلام ومع التمسك بشعائر الدين. لذا اندلعت السيدتان وانطلقتا من هذا الحراك الفاطمي؛ بوصفه المثل الأعلى للعلم والثقافة. فقد بلغت السيدة الأصفهانية (من الشهرة بين أهل العلم حدّاً جعل العلماء والفضلاء من إيران والعراق يتسابقون للقاءها... أدركها بعض العلماء ومنهم العلامة الأميني... كما كثير من الفضلاء يأتون لزيارتها كالعلامة الطباطبائي والسيد المرعشي النجفي والسيد هاشم الحداد وآية الله عبد الكريم الحائري...) (١٢)، حتى سجّلت في قاموس العلماء وتراجهم بهذه الصفة من العلم، وعليه وصفت بأنّها: (العاملة المجتهدة الصالحة الأدبية المترضة السالكة العارفة) (١٣). لذا كان تأسيس المعاهد والمدارس النسائية باسم السيدة الزهراء (عليها السلام)، مآثر اقتفت منهجه (بنت الهدى وأمينة الأصفهانية) تيمناً؛ كونها سيدة نساء العالمين، وبوصفها تحمل

الوجهة الإنسانية والقدسية معاً، ومن جانب آخر إنّ المدارس هي من أهمّ الأساليب التي يمكن من خلالها تربية الفتيات وتثقيفها، وإنشائها -المدارس- كان أسلوباً يلبي حاجات العصر ويناسبه لا سيما في عصري السيدتين بكثرة المواجهات الثقافية والفكرية التي تدعو إلى الانحراف والتردي الأخلاقي.

أسست السيدة أمينة الأصفهانية مدرسة علمية باسم معهد (فاطمة الزهراء عليها السلام) في عام (١٩٦٥م) يضمّ من (٦٠٠-١٠٠٠) طالبة (١٤)، وقد سعت باسم السيدة الزهراء لأنّ تنور عالم نساء عصرها وفتياتها بالمثال الإسلامي السليم، ووصلت إلى نتيجة مفادها أنّ الأمهات المتعلّقات والواعيات يمكنهنّ تربية أطفال جيدين ومتميّزين في المجتمع. ولا شكّ في أنّ السيدة عندما أرادت ذلك، كانت قد وعت المواجهات الفكرية لعصرها؛ لذا أعدت المعهد الفاطمي وأمدته بدروس بمختلف المعارف والمجالات الدينية من (الفقه والأصول والحكمة والعرفان والفلسفة والأخلاق) (١٥) تعهدت بتدريس هذه العلوم بنفسها. وفضلاً عن هذا المعهد، فقد أنشأت مدارس أخرى عرفت باسم (ديريستان دخترانه أمين) و(مكتب فاطمة) إذ تخرّجت منها نساء فاضلات تولّين التدريس وبعض الشؤون العلمية والدينية في عصر السيدة الأصفهانية وبعد وفاتها (١٦).

وباسم السيدة (فاطمة الزهراء عليها السلام) أيضاً قامت السيدة بنت الهدى بإنشاء مدارس السيدة الزهراء، وذلك في عام (١٩٦٧م) تحققت انتشارها في بغداد- الكاظمية، والنجف الأشرف. وبالطبع تأسيسها كان لضرورة اقتضتها المصلحة العصرية آنذاك، من خلال من إيجاد مدرسة إسلامية تتخصّص وتهتمّ بهذه المسؤولية وتمارس مهامها لتخريج جيلٍ واعٍ ومتديّن من الفتيات المؤهلات ليتحملن مسؤولية في المجتمع، وليعطين الصورة الحقيقية للمرأة المسلمة العاملة.

إضافة إلى ذلك، كان الاقتداء بالمثال الزهرائي هو الجوهرية الغالبة على مناخ هذه المدارس؛ بوصفها جسدت البديل الذي وفر بدوره فرصة التعليم الديني والثقافي، إذ كانت دروس العقيدة والتربية الإسلامية تمثل الجزء الأكبر والأكثر حضوراً في مدارس الزهراء (عليها السلام)، وكانت تعطى بشكل مكثف ورصين؛ بوصف أن السيدة (بنت الهدى) تسنمت الدور المشرف والموجه لمدارس الزهراء، فضلاً عن حضور مزايا الزي الإسلامي للكادر التدريسي، كي يكن قدوة للطالبات (١٧). وعليه أثمرت مدرسة الزهراء حصادها اليافع تجربة زكية وشاهد عيان للحظوة التاريخية التي يجسدها المثال. وقد نقلت أحد العاملات في مشروع مدارس الزهراء، قائلة: (ومن المفرح أن أرى هنا في بريطانيا - وكذلك في الخليج - مجموعة من خريجات مدارس الزهراء، وأنا مسرورة جداً لأنهن حقّهن أمل الشهيدة كم كانت تتمنى أن ترى الزهور اليانعة في المدرسة أمّهات رساليات وزوجات مجاهدات...) (١٨).

### ثانياً: البيوتات العلمية في باحة السيدتين:

#### من الخطى من الفكرة إلى حمولة الدعوة:

لا يعزب عن النظر أنّ السيدتين (بنت الهدى) و(نصرت أمين) تربيّتا وترعرعتا في بيوت تفجّرت بها النهضة العلمية، وعليه جسدت بيوتها محطّ رحال مجاهدي العلم والمعرفة، ولمن تسعى لتبلغ سلم الإيمان ونوره؛ فحياة السيدتين اليومية سيرة أخذت من منابع الإسلام المكملّة بالنور المحمّدي على صعيد حمل الفكرة الصالحة والثقافة الإسلامية فكانتا مدارس إسلامية ترويان عن النبي وآله، فخطاهما هو تجلُّ عن سيدتهن الزهراء (عليها السلام) إذ كانت (عليها السلام) في (طليعة الراويات عن النبي والناشرات لأحكام الإسلام). فقد روت عن أبيها وروى عنها أبناها الحسن والحسين، وزوجها أمير المؤمنين... (١٩). لذا إنّ الخطوة المنهجية الأهمّ عند السيدتين لا تكمن في مجرد الوعي التقليدي من تكوين ثقافة ما، بل هو محاولة ترجمة ذلك

الوعي إلى مرتكزات تمكّن المرأة المسلمة من الوصول إلى الأنموذج الأصيل. من هنا كان نفوذ مشروع السيدتين الإيماني في أهمّ مواطن المرأة المسلمة وهو البيت.

ويمثّل بيت المرأة، في نظر السيدتين، مدرسة يمكن أن تخدم الغاية المقدّسة من العلم والمعرفة، لا سيّما أنّ (البيت) في بعده التاريخي يفصح عن مصداق من المثال الزهرائي. فأحد خطابات السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) انطلق من بيتها وهي على فراش المرض في خطبتها المعروفة لنساء الأنصار، إذ استطاعت أن تقلّب التاريخ من جديد وتعيده إلى سنّة أبيها الرسول الأكرم، فأفصحت وفضحت سياسات القوم من خلال بيتها الكريم. كما جسّدت السيدة الزهراء في بيتها أعلى درجات الإصلاح التي يصلح أن ينظر إليها من كلّ الجهات (ال بنت، والزوجة، والأم). فكان للسيدتين في ابنة رسول الله أسوة، إذ انطلقت بوادرهما من عتبات بيوتهنّ ففيها تعلّمن ودرسن ومنها بلّغن رسالتهما المثال. فمن البيت بلغت السيدة الأصفهانية (رتبة الاجتهاد...) (٢٠)، ونظر إليها على أنّها: (الحجّة على نساء عصرنا) (٢١)، ومن هذا الاعتبار - البيت - انبرت شخصية السيدة (بنت الهدى)، فصقل العلم نشأتها في كنف أخوين عالمين لتصبح بعد حين علماً للمرأة الرسالية. وفي نصّ لافَت للسيدة (بنت الهدى) تستوقفنا به مع الدكتورة عائشة بنت الشاطئ حين التقت بها في النجف الأشرف، سألتها الدكتورة:

- من أيّ كلية تخرجت؟

- قالت السيدة بنت الهدى ببسمة وادعة (أنا خريجة مدرسة بيتنا)

فدهشت الدكتورة لهذه المفاجأة التي لم تكن تتوقّع سماعها حيث تجد نفسها تقف أمام مفكّرة إسلامية لم تدخل مدرسة قط (٢٢).

لقد شكّلت البيوتات (التعليم والدرس) خصيصة أسلوبية في سياقات عمل السيدتين،

وهي صناعة أجواء العلم في المنزل ومعاشتها - لا سيما أنّ السيدة الزهراء عليها السلام خير قدوة في هذا الجانب - فكانتا تعقدان حلقات التدريس من خلال بيوتها أو بيوت غيرهما من النساء؛ لذا كانت حلقات التدريس في بيت السيدة (بنت الهدى) تمثل مرحلة الإعداد، وخلق طاقات علمية نسائية قادرة على تحمّل المسؤولية في ممارسة الدور نفسه، وقادرة على نشر الثقافة الإسلامية من مصادرها النقيّة الصحيحة (٢٣)، فكانت تستقبل في بيتها الذي حوّله إلى مدرسة إسلاميّة، وأحياناً تذهب إلى بيوت المتعلّقات ومناسباتهن، وتقطع المسافات الطويلة وتجهّد نفسها وتبذل وقتها في سبيل تبليغ رسالتها (٢٤)، كما أصبح بيت السيدة الأصفهانية (متنّدى للنساء العالمات والمتعلّقات يقدن عليها من مختلف المدن، وعلى مختلف المستويات الثقافية، لغرض التعلّم والاستفادة ممّا آتاه الله من العلم والمعرفة، والاستشارة في أمور دينهن) (٢٥)، فأضمت سنين طويلة في بيتها مدرّسة ومُرشدة للنساء تعظهنّ وتعلّمن المبادئ الإسلامية (٢٦).

ولعلّ ما يميّز هذا التراث الصوري عند السيدتين، أنّه بطبيعته مشروع إلهي يتخطّى الأوامر في دلالاته. فتولّت السيدتان الإعداد لجيلهما والجيل القادم كان انطلاقاً من خطاب السيدة الزهراء عليها السلام، في بعثة أبيها: (فَرَأَى الْأُمَمَ فِرْقاً فِي أَدْيَانِهَا، عُكُفًا عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِّأَوْثَانِهَا مُنْكَرَةً لِّلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا فَأَنَارَ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام ظُلْمَهَا...) (٢٧)، فوجوب التفحص عن حال الأمّة في نظر السيدتين كان أثراً زهرايًّا بوصفه وجوباً كفائياً يقع ضمن مقدمات الإصلاح والتوجيه، إذ يجب في موارد التأسّي أن يكون الإنسان كالمصباح المنير للمجتمع ينير لهم سبيل الرشاد وفي كلّ حقّل كيّمفا تمكّن (٢٨)، وذلك ما ورد من كلام السيدة الأصفهانية، إذ تقول: (لما رأيت أنّ عموم الناس - إلّا من شدّد وندر - غفلوا عن تحصيل معرفة الله تعالى والسلوك في طريق مرضاته، ورفدوا الجهالة، متعذّرين بأنّه لا يمكن لنا معرفة الله تعالى زائداً على القدر الذي أخذناه من الآباء والأمّهات... فأردت إعلان عموم فضله لكلّ أحد كي يعلموا أنّ فيضه مبذول لخلقه ورحمته قريب من المحسنين) (٢٩).

ولم يكتفِ دور التثقيف عند فئة محدّدة من النساء، بل كان التأسّي بالمثال يتوجّه عند السيدتين في أهمّ الأوساط النسائية، وهو الوسط الجامعي، فقد سعت السيدة (بنت الهدى) إلى (الارتباط به نفسياً، والاقتراب منه ما أمكنها ذلك، لعلمها أن الشابات في الجامعة هن عماد المستقبل، ويمثلن أمل الإسلام، وهنّ اللواتي يحملن مشعل القرآن بوعيهن وشخصيتهن ونفوذهن في المجتمع...) (٣٠).

## المبحث الثاني

### المثال الفاطمي في مدونة السيدتين

في مطلع ما كتبه السيدتان تحدثهما بالمعينة عن الشيء المثير الذي يجعل سلوكهما في تجسيد الأنموذج الفاطمي مبرراً وضرورياً. فبالطبع لا يمكن لمدونة حول التجربة الدينية أو الذاتية من نظير ما كتبه السيدتان إلا أن يستثير أسئلة وطيدة الصلة بالمفهوم الاقتدائي وتمثلاته الأسلوبية. لا سيما أنّ عملية الائتلاف مع الموروث التاريخي عاشتها السيدتان بتجارب ذاتية ضمن مصاديق المثال الحقيقية. فمن يقرأ سيرتهما سيجد الكثير من المصاديق الفاطمية ومفاهيمها التي حاولتا نقلها لجيلهما من خلال أساليب الكتابة والتأليف، وضمن سياقات عرفانية وفلسفية وأدبية يمكن أن ينفذ سبيلها إلى كلّ امرأة مسلمة، لتجعلنا من وجود المرأة كوناً إسلامياً بالمعنى الزهرائي الشامل الذي تثرى فيه مرجعيات التفاعل، لا سيما أنّ علاقات التفاعل في مستوها الأولى تتخذ منحى عمودياً مع النصوص المتواترة تاريخياً، وهي علاقة تضع موقع المثال موضع المركزية، فيطرد بينها أسباب الاهتداء.

#### أولاً: بنت الهدى:

راعت السيدة بنت الهدى ضمن مجالها التبليغي مختلف المستويات الإرشادية حتى تصل بالفتاة المسلمة نحو عقيدتها الإسلامية. فراحت تمارس دعوتها -هذه المرأة- مستغلة الجانب الفني من الأدب العربي من خلال كتابتها للقصة الإسلامية الهادفة، إذ إنّ في هذا الرحاب الأدبي -برأيها- تستطيع أن تُوصل صوتها ودعوتها للحقّ إلى أكبر عدد من النساء في العالم العربي (٣١). ولعلّ السيدة ترى أنّ الظواهر الإنسانية متغيّرة وخاضعة للعواطف والأفكار فضلاً عن الظروف التاريخية والبيئية على اختلافها. وقد أشارت إلى ذلك في مقدّمات قصصها، قائلة: (سوف نجد في كلّ قصة الموقف الإيجابي الذي تفرضه وجهة

النظر الإسلامية في الحياة، والبون الشاسع بين نظافة هذا الموقف وطهارته وبين الانخفاض والانحطاط الذي تُمثله وجهات النظر الأخرى في الحياة (٣٢). من هنا أسدلت جهودها بأن تختار السبيل الذي غُزيت من خلالها المرأة ثقافياً وعاطفياً (٣٣)، وأقصر طريق لمخاطبة الجيل الناشئ هو الأسلوب القصصي، وعليه صرّحت، قائلة: (إنّ تجسيد المفاهيم لوجهة النظر الإسلامية في الحياة هو الهدف من هذه القصص الصغيرة) (٣٤)، لذا عاجلت بالأسلوب الأدبي أزمة الضياع التي سيطرت متاهاتها على الوسط النسائي، فجلّت بأسلوبها الأدبي ما تهدف إليه من الحقائق الإيمانية أحسن تجلية. والحقّ أنّ (بنت الهدى) أخذت من (السيدة الزهراء بلاغتها، ونبوغها الأدبي لتسخّرهما في مجال الخدمة والتبليغ، وكما خطبت السيدة الزهراء ووعظت وشرحت فلسفة الإسلام ببيانها الساحر... كذلك فعلت ابتتها المتأسيّة بها فاستخدمت الجانب الأدبي وسيلة للخدمة الصادقة، وطريقاً في العمل الرّسالي البناء) (٣٥). فقد ورد لها في مقدّمة أحد مدوناتها، أنّها استرسلت في أبيات بمثلها التاريخي لدعوة الفتيات المسلمات، فتقول (٣٦):

إلى المجد يا فتيات الهدى	لنحيي مآثرنا الخالدات
ونمضي سوياً إلى غاية	لأجل لقائها تهون الحياة
ونكتب تاريخنا.. ناصعاً	مضيئاً بأعمالنا الزهرات
فأما مقام العلي نرتقيه	وأما قبوراً تضمّ الرّفات

فواصلت تبليغها العصري بروح التراث الزهراي، فتماهت وعاشت الشخصية الفاطمية العظيمة التي حاولت أن تصوّرّها بدقّة في قصصها. كما إنّها في جملة خوضها مع القصّ الأدبي كانت قد خاضت أيضاً عالم البحث التاريخي المتزامن مع التجربة الفاطمية، فكتبت كتابها (المرأة مع النبي ﷺ في حياته وشريعته) وقد تناولت فيه بنت الهدى شخصيات النساء اللواتي كان لهنّ دور في حياة الرسول الأعظم بأسلوب أدبي، وكان لشخصية السيدة

الزهراء عليها السلام مساحة وافية من الكتاب تحدّث فيه بنت الهدى (٣٧) عن مراحل الزهراء عليها السلام في (طفولتها، وصباها، وشخصيتها، وقدسيّتها، وصفاتها الكاملة)، إذ كانت ترى فيها صورة المرأة الأنموذجية، بوصفها (مثال المرأة المسلمة المترفعة عن المواد الدنيويّة والصاعدة بروحها وروحانيّاتها إلى أفق الكمال وسماء العصمة والفضيلة) (٣٨).

ولمّا كان الأدب في أحد رسائله، هو لسان حال صاحبه، ومن ثمّ فهو يجسّد في المجتمع آراء أدبائه وأفكارهم وفلسفاتهم؛ لذا انطلقت بنت الهدى في توجيه مقاصدها الفاطمية عبر مسار الأدب النسائي المتّزم؛ كي تُقدّم للمرأة المسلمة أدباً يرتقي بها وبمُثلها، حتى طغى هذا الاتجاه عليها، وعُرفت بأنّها: (الأديبة، الفاضلة، الكاتبة... كتبت مقالات توجيهيّة إسلامية في الصحف النجفيّة بتوقيع بنت الهدى) (٣٩). وقد كانت القصة الأدبية والرواية هما مضمار تجربتها الاقتدائية، وقد أعطتَ فيها أدباً مثالياً، يعيش الواقعية للأنموذج الفاطمي، فضلاً عن أتيانها بقصص تماهت فيها بمستوى التصديق الذي تحمله نفسه. فقامت في قصصها باختيار نماذج نسائية -تحديداً- ذوات العمق الديني، وقرأتَ فيها الصفات الملزمة، ثم تناقشها بالمقارنة مع المثل الفاطمي، وما كان يتطلبه من كلّ امرأة أن تتّسم به.

فصفات السيدة الزهراء التي أوردتها بنت الهدى لا سيما في كتاب (المرأة مع النبي) جاءت ضمن سيرتها عليها السلام التاريخية، ثمّ عكستها بنماذج في كتاب (الفضيلة تنتصر)، وكتاب (لقاء في المستشفى) التي يمكن أن يتمّ استخدامهما مرجعاً للمقارنة، بوصفها قصصاً جسّدت على فهم بنت الهدى لشخصية فاطمة عليها السلام.

ففي قصة (الفضيلة تنتصر) عرضت بنت الهدى سرداً يتناول شخصية نسائية بصفات فاطمية (البساطة في المظهر، والحياء، وعلاقتها بزوجها...)، لا سيما شخصية (لقاء) الفتاة الفاضلة، وهي تجلّ عملي من المثل الزهراي. فقد نقلت بنت الهدى حوارية نقاء مع زوجها حين قال لها: (...لم أقل لك إنّ الجهاد ليس وفقاً على الحروب فقط. فأمضي في جهادك يا

عزيزتي مكلّلة بالغار، مجلّلة بأبراد العفة والفضيلة)(٤٠)، إذ إنّ هذه الصفات التي تكتنف العلاقة الزوجية لبطلّة القصة تجسّد في رقيها ارتقاءً للصفات التي تتصف بها حياة السيدة الزهراء (عليها السلام) وتتسبب إليها، ولعلّ السيدة بنت الهدى قد نوّهت لذكرها في كتاب (المرأة مع النبي (ص))، قائلة: (...وحياؤها العذري يمنعها من التصريح بما تريد... نعم كانت هي هكذا وكانت أكثر من هذا، ولكنها ومع كلّ هذه المميزات الروحية والمعنوية كانت بسيطة في أسلوب حياتها لا تكاد تختلف عن أي امرأة فقيرة، فبيتها متواضع للغاية لا يحوي إلّا النزر القليل من الأثاث الضروي...) (٤١).

كذلك السيدة بنت الهدى تقف عند شخصيتي معاد وورقاء في قصة (لقاء في المستشفى) يجمعهما موقف إنساني يجسّد في ماهيته صفة فاطمية، وهي (حبّ العطاء والإيثار على النفس)، أبرزتها شخصية (معاد) بشكل واضح بوصف دورها الإنساني وهو عملها بصفة طبيبة، تبدأها بنت الهدى من صراع الطبيبة معاد ما بين سلطان النوم ونداء الواجب، عندما استيقظت في وقت متأخر من الليل لتسعف جدّة ورقاء. ومن المقاطع التي أدرجتها بنت الهدى في مواقف معاد الإنسانية في حوارها مع ورقاء المرافقة للجدة المريضة، قالت الدكتورة: (إنّ هذا واجب عليّ اتّجاه كل مريض...)، و(...) سوف أسهر أنا عليها بدلاً عنك) و(إنني اعتدت على هذه الأتعاب، ولم أعد أحسّ بثقلها عليّ) (٤٢). ولا شكّ في أن هذا العمل هو صفة زهرائية، فعندما نتصفح سيرة السيدة الزهراء (عليها السلام) سنجد هذا المصداق متجسّداً في إيثارها (عليها السلام) مع خادمتها (فضة)، فقد كانت (عليها السلام) تشاطرها الخدمة. فقد قالت حين قيل لها يا بنت رسول الله دبرت كفاك وهذه فضة، قالت: (قد أوصاني رسول الله (ص)) أن تكون الخدمة لها يوماً فكان أمس يوم خدمتها...) (٤٣)، فتاريخ السيدة الزهراء (عليها السلام) الحافل بالإيثار والمحبة هو أمثلة إنسانية استشفّتها السيدة بنت الهدى من تماهيا العميق مع شخصية الزهراء (عليها السلام)، لتعيشها مع نماذج أدبية نسجتّها بحبّ واقتداء لتكون خير سبيل للمرأة المسلمة. ومن الجدير بالذكر أن استجلاء هذا السبيل في معالمة الأدبية كانت بنت

الهدى قد استلهمته من سيدة عالمها فاطمة عليها السلام، بوصف أنّ من المرجّحات في الدعوة والتبليغ والإرشاد استعمال أسلوب (الأدب التصويري) والسيدة الزهراء عليها السلام. استخدمت هذا الأسلوب في مقاطع شتى من خطبتها، فقالت: (كلّمّا أوقدوا ناراً للحرب... أو نجم قرن للشيطان... أو فغرت فاغرة... قذف... في لهواتها... يطأ بأخصه...)(٤٤)، فكانت بنت الهدى سالكة هذا المعلم التأثري في رسالتها المثال.

فضلاً عن استلهاها من البلاغة الصدرية التي تمثّلت عند أخيها، أليس الصدر هو الذي يقول في كتابه (فدك): (وقفت - الزهراء - لا يخالجها شكّ فيما تقدّم عليه... وها هي الآن في أعلى القمة من استعدادها النبيل، وثباتها الشجاع على خطتها الطموح... وقد اختارت الطريق الطويل المتعب من الطريقين الذي يشقّ سلوكه على المرأة بطبيعتها الضعيفة لما يكتنفه من شدائد ومصاعب تتطلب جرأة أدبية، وملكة بيانية مؤثرة...)(٤٥)؟

### ثانياً: نصرت أمين الأصفهانية:

ينظري المثال الفاطمي في مدونة السيدة الأصفهانية على التفاتة مائزة ومردّها - فيما يتضح من سيرتها - كونها عالمة ذات توجه عرفاني فلسفي، متكلمة، فقيهة أصولية... لها ولاء شديد لأهل البيت، كثرة المطالعة والتفكير، فضلاً عن إتقانها اللغة العربية (٤٦)، وقد تجلّت هذه المعارف والمباحث في مؤلفاتها لا سيما (الأربعون الهاشمية، ونفحات رحمانية، وكتابها السير والسلوك)(\*) التي سوف يركّز عليها البحث في تعاطيها مع التجربة الفاطمية. وقد قال أحد العلماء عندما قرأ كتابها (الأربعون الهاشمية)، معلّقاً: أنّ السيدة الأميني هي (... ثمرة الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وزهرة روضة بني الزهراء، ربّة المناقب والمفاخر، وعقيلة آل أبي طالب، المقتفية آثار آبائها وأجدادها والجامعة طريف المكارم. والآخذة بطرفي المجد من الحسب والنسب... أهدتني كتابها الكريم الذي سمّته « الأربعون الهاشمية » ولو كان أمر التسمية بيدي. لسمّيته « الأربعون الفاطمية »

فوجدته عقداً منظماً من غوالي الفرائد... وهو مصنف، يشهد كل مصنف أنه حاوٍ لأصناف العلوم ومجدد من الآثار المعاهد والرسوم (٤٧)، لا سيما أن الكتاب يستمد أهمية كونه (كتاب نافع منير من كتب التراث يُمثل حصاد السابق... ليتصل اللاحق بالسابق. فيستند الأخير إلى متن وثيق ويسمد منه القوة والنماء) (٤٨).

لقد مثلت مباحث السيدة الأصفهانية في (الأربعون الهاشمية) لا سيما في جانبها العرفاني والفلسفي، حذواً فاطمياً في بعض الصور العقدية التي تناولها الكتاب في أحاديث معرفة الله وصفاته، فقد أوردت السيدة الأصفهانية عشرة أحاديث دالة على معرفة الله والتوحيد، وقد تعاطت في بعض تفاصيل (شواهد الأربعون) مع كلام السيدة الزهراء (عليها السلام)، لا سيما في خطبتها المعروفة عندما خاضت (عليها السلام) أدق المباحث العلمية فيما يرتبط بمعرفة الله عز وجل.

ففي معرض إتيانها لحديث أمير المؤمنين (عليه السلام): (اعرفوا الله بالله...)، أبرزت المحتوى العقدي الدائر في هذا البحث، وتثير لبعض جزئيات البحث الزهرائي، فتقول: (أنه لما كان الله تعالى خالق الأشياء ومبدعها، والأشياء مخلوقاته ومعلولاته، والعلة لا يمكن أن تكون في مرتبة وجود المعلول... وبيان ذلك يحتاج إلى رسم مقدّمة وهي أن الشيء يعرف بأحد الوجهين: أما بذاته. وأما بغيره...) (٤٩)، وقد مرّ الحديث على تلك الجزئيات في بداية خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) في قولها: (ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنْشَأَهَا بِلاَ احْتِدَاءٍ أَمْثَلَةٍ أَمْثَلَهَا، كَوْنَهَا بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَهَا بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى تَكْوِينِهَا، وَلَا فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِهَا إِلَّا تَبَيُّناً لِحُكْمَتِهِ... وَإِظْهَاراً لِقُدْرَتِهِ...) (٥٠). ولعلّ هناك التماس نظر من السيدة الأصفهانية اتّجاه مضامين خلق الكون في ابتدائه وعلة وجوده من أن الله تعالى خلق الخلق بقدرته، وابتدأ مخلوقاته ابتداءً وإنشاءً (٥١).

وقد تعاطت السيدة نصرت الأصفهانية في مواضع أخرى من مدوناتا مع المثال الفاطمي، لا سيما في كتابيها (السير والسلوك) و(طريق السعادة) الذي جسّد شعورها

بالمسؤولية اتجاه مجتمعها في ظروفه الاجتماعية والسياسية المعاشة آنذاك؛ ومنها صيحات خلع الحجاب، وما رافق ذلك من ردود أفعال ومواقف رأت فيها السيدة نصرت أن من مهامها - بوصفها عالمة - أن تتصدى وتوقظ نساء عصرها لهذا الخطر الجلل، فهي تنظر إلى الحجاب بوصفه واجباً شرعياً. فليس الأمر عندها اقتداء بالسيدة الزهراء فحسب، بل كانت ترى أن التصدي للواقع المنحرف، وتوعية المرأة لجوهر إسلامها هو ما يجري في خدمة سيدتها الزهراء؛ فأخر ما ختمت به كتابها (طريق السعادة)، قولها: (أقلّ خادمة من خدم آل الرسول، وأصغر ذرة من ذراري البتول)(٥٢).

إذ التمت السيدة نصرت ضمن موضوع الحجاب السيرة الزهرائية في مظهرها وحشمتها، وحتى في صوتها، كانت قدوة فاطمية. إذ كان الاحتشام في اللباس اقتداءً أبدأت به من نفسها أولاً. وقد وصف أحد العلماء وقار السيدة الأصفهانية عندما زارها في بيتها، قائلاً: (بعد خمس دقائق من جلوسنا في غرفة الاستقبال دخلت علينا السيدة الجليلة، وهي ترتدي العباءة (التشادر)، مجللة بالهيبة والوقار، سلّمت بصوت ضعيف وجلست...) (٥٣)، ويعلّق على منظر وقارها، بقوله: حين رأيته تراحمت في رأسي صور نساء عصر صدر الإسلام الوقورات (٥٤). إن هذه المظاهر التي لطالما كانت تتألق بها السيدة الأصفهانية تتصل بالمظهر الزهراي الأصيل الذي رسمته السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها للقوم لما أجمع الخليفة الأول على منعها أرثها، وبلغها ذلك، فقد (لأثت خمارها على رأسها، واشتمكت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ديوها، ما تحرّم مشيتها مشية رسول الله ﷺ...) (٥٥). ومعروفة ما تتضمنه هذه المفردات من وجوب الستر، بل شدة الستر فما تعنيه لفظ (لأثت) في مظهر الزهراء هو إداره خمارها مرتين وقاية للتبرج... (٥٦)، وهكذا اقتضت السيدة الأصفهانية مظهرها في لقاء الرجال الأجنيبي. فغلب على السيدة الأصفهانية الوقار الزهراي. وكان ممن ارتاد بيتها أيضاً السيد آية الله الحائري، واصفاً أباها

(حين دخلنا منزلها استضافتنا بمتهى الصلابة والكبر، وهي تردي عباءة (تشاوراً) أبيض منقطاً، ومقنعة بيضاء، كانت تصغي إلى كلامنا، وتحجب عن أسئلنا)(٥٧).

وكثيراً من المواقف استلهمتها نصرت أمين من مدرسة السيدة فاطمة (عليها السلام)، ولا شك أن نصيحها -دائماً- المسدلة إلى قريتها هي الاقتداء بالسيدة الزهراء وأبنائها الكرام أسوة وخطى، فتقول لها: (اجعلي أقوال أئمة الهدى وأفعالهم المثل الذي تحتذينه في حياتك، تنالي شفاعتهم... كما إن محبتهم يجب أن تحصل بالمنطق الصحيح، أي معرفة أولياء الله بمقام النورانية والولاية... وتحاولين السير على خطاهم، وتعدّينهم قدوة لك...) (٥٨)، بل هذا الموقف قد شكل منعطفاً أساسياً اهدت إليه السيدة الأصفهانية في إحدى مدوناتها، الذي تجلّى فيه مدى حبّها لأهل البيت (عليهم السلام)، إذ جسّدت فيه مفهوماً فاطمياً. فقصة تأليف الكتاب تعيد أذهاننا إلى نذر السيدة فاطمة (عليها السلام)، وتصدّقها بقوت عيالها لثلاثة أيام متتاليات، والسيدة الأصفهانية من خلالها زيارة لحرّم أمير المؤمنين (عليه السلام)، نذرت نذراً - كما تقول- لقضاء حاجة، بأن تؤلف كتاباً لو قضيت حاجتها. وجاء وفاؤها بالنذر، فكان كتاب (مخزن الآلئ في فضيلة مولى الموالئ) (٥٩). من هنا جسّدت السيدة نصرت في كلّ حركة وجهه سيرة اقتبستها سراجها ممّن اهدت إليهم فكراً ومنهجاً، وكونها امرأة كانت السيدة الزهراء قدوتها المثل.

## الخاتمة

بعد الوقوف على المثال الزهراي في أنموذج السيدتين، ظهرت للبحث النتائج الآتية:

إنّ الاقتداء بالسيدة فاطمة الزهراء في منهاج السيدتين جاء في سياق يلخص حياة الزهراء عليها السلام العلمية والعملية، وكان ذلك ضمن برنامج بناء متكامل لشخصية المرأة الزهرائية.

لقد مثّلت السيدتان (بنت الهدى، وأمينة الأصفهانية) في عصرهما الأنموذج الملتزم، فأخذتا على عاتقهما مجابهة موجات الانحراف والحملات الفكرية الشرسة، وفي مقابل هذا التحرر عاشتا القدوة الفاطمية وتجربتها ابتداءً من بيتيهما، فعملتا على فتح باب التعليم والدروس الحوزويّة، فضلاً عن ذلك ما كتبه السيدتان في مجالات المعارف والعلوم الدينية التي وجدت فيها وسيلة نافعة في سلاح المرأة المعرفي في مجابهة التآزّات الفكرية.

جسّدت السيدة بنت الهدى في سرديات قصصها نماذج نسائية طرحت فيها المثال الفاطمي والقدوة الزهرائية، لا سيّما في شخصية (نقاء) بطلة قصة (الفضيلة تنتصر)، إذ صوّرت من خلالها أنّ كلّ حركة تقوم بها (نقاء) تمثل صفة فاطمية، وتتصل بصفات الزهراء المثالية مثل (التهذيب، الحياء، التمسك بالمبادئ...).

كما تبّنت السيدة أمينة الأصفهانية منهاجاً زهرايّا تمثّل بالتدريس والتأليف، لا سيما في كتابها (الأربعون الهاشمية) الذي أثر العلماء تسميته بـ(الأربعون الفاطمية)، نظراً لأهميته المعرفية لا سيما ما يتعلق بالذات الإلهية وما يتعلّق بأحاديث الأئمة عليهم السلام.

## الهوامش

١. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري زايد: ١٦.

٢. تربية الإنسان الجديد، محمد فاضل الجمالي: ٩٩.

٣. من فقه الزهراء (صلوات الله عليها)، محمد الشيرازي: ١٩.

وأيضاً ما ورد من مباهاة الله بها، ما قاله رسول الله ﷺ: في مناسبة الحديث عن ابنها الحسن والحسين: (أيها الناس إن الله سبحانه وتعالى باهى بها وبأبيهما وبأمهما وبالأبرار من ولدهما الملائكة جميعاً).

(\*) السيدة بنت الهدى، هي آمنة بنت حيدر بن إسماعيل بن صدر الدين بن صالح العاملي المعروفة بنت الهدى.

(\*\*) أمّا السيدة أمينة الأصفهانية، أو نصرت أمين الأصفهانية، بنت محمد علي بن مير معصوم الحسيني الخاتون آبادي الأصفهاني، تعرف بـ (بخانم أمينة) وبـ (بانوي إيراني أي السيدة الإيرانية) عالمة ومجتهدة، وناطقة عصرها في الفقه وأصوله والكلام والعرفان. يُنظر: أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح، محمد جاسم الساعدي: ١ / ٢١٢.

٤. يُنظر: أسوة العاملين، فاضل النوري: ٣٠١.

٥. يُنظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

٦. موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح، محمد جاسم الساعدي: ١ / ٢١٣.

٧. المصدر نفسه: ١ / ٢٢٧.

٨. كلمة ودعوة، الشهيدة بنت الهدى: ١٣.
٩. دين الحياء من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، د. طه عبد الرحمن: ٣/ ١٦٤.
١٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ٢١١.
١١. كلمة ودعوة: ٥.
١٢. نصرت أمين: مجتهدة عالمة في الزّمن الصعب، دلال عبّاس: ١٨٣.
١٣. موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح: ١ / ٢١٣.
١٤. يُنظر: مجتهدة العصر... ذكرى الـ ٣٨ لوفاة عالمة نصرت أمين الأصفهانية، هادي الأنصاري، ٢٦، أبريل، الاجتهاد (مقال نت).
١٥. يُنظر: موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح: ١ / ٢١٢.
١٦. يُنظر: أعلام النساء المؤمنات، محمد الحسون و أم علي مشكور: ٧٤٠.
- المدرسة الفاطمية، أي كلية التربية للبنات الدينيّة، درّس أساتذة عدّة، وكانت السيدة نصرت تدرّس يوماً في الأسبوع تفسير القرآن، وكان مراجع قم يرسلون إلى السيدة الطالبات اللواتي يدرسن في قم لملاقاتها، وتوجيه الاستفسارات إليها والاستفادة من محضرها. ينظر: نصرت أمين: مجتهدة عالمة في الزّمن الصعب: ١٩٩.
١٧. يُنظر: الشهيدة بنت الهدى - سيرتها ومسيرتها، محمد رضا النعماني: ٩٨-١٠٣.
١٨. المصدر نفسه: ١٠٠ و ١٠١.
١٩. بطولة المرأة المسلمة،: ٢٥.

٢٠. الإجازة الكبيرة، شهاب الدين المرعشي: ٢٤٥، وينظر: فهرس التراث: محمد الحسيني الجلاي: ٨٠٥، وينظر: موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح: ٢١٢/١.

٢١. أعلام النساء المؤمنات: ٧٤٧. قيل في ترجمتها بأنها (من أصحاب العلم من النساء اللائي بلغن رتبة الاجتهاد).

٢٢. الشهيدة بنت الهدى: سيرتها ومسيرتها: ٥٥.

٢٣. يُنظر: المصدر نفسه: ١٠٣.

٢٤. يُنظر: أسوة العاملين: ٢٩٧.

٢٥. أعلام النساء المؤمنات: ٧٤٠.

ومن الجدير بالذكر، أنّ السيدة نصرت أمين بدأت في الأربعين من عمرها التدريس محاضرة أسبوعية في منزلها للنساء والشابات، وتدرّس منتظم لتلميذتين تدرّسهما المقدمات، وتستفيدان، فضلاً عن ذلك من أنفاسها الروحية كما تقول علوية همانيوني في تركية روحيهما. ينظر: نصرت أمين: مجتهدة عالمة في الزمن الصعب: ١٩٥.

٢٦. يُنظر: أعلام النساء المؤمنات: ٧٤٧.

٢٧. بلاغات النساء، ابن طيفور: ١٥.

٢٨. من فقه الزهراء (صلوات الله عليها): ٢/٢٢٢.

٢٩. نفحات رحمانية، نصرت أمين: ٥٨، وينظر: أعلام النساء المؤمنات: ٧٤٩ و ٧٥٠.

٣٠. أسوة العاملين: ٣٠٤.

٣١. أعلام النساء المؤمنات: ٩٥.

٣٢. مقدّمة قصة (صراع من واقع الحياة)، بنت الهدى: ٤.
٣٣. أسوة العاملين: ٣٠٤.
٣٤. مقدّمة قصة (صراع من واقع الحياة): ٣.
٣٥. أسوة العاملين: ٣٠٢.
٣٦. مقدّمة كتابها (كلمة ودعوة): ٣.
٣٧. المرأة مع النبي ﷺ في حياته وشريعته، بنت الهدى: ٣٤-٦١.
٣٨. المصدر نفسه: ٤٠.
٣٩. فهرس التراث: ٧٩٧.
٤٠. الفضيلة تنتصر، بنت الهدى (الفصل الحادي والعشرون من القصة): ١٥٧.
٤١. المرأة مع النبي ﷺ في حياته وشريعته: ٤٠ و ٤٣.
٤٢. لقاء في المستشفى، بنت الهدى: ٧ و ٨.
٤٣. بحار الأنوار - الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار -، العلامة المجلسي: ٤٣ / ٢٨.
٤٤. من فقه الزهراء ﷺ: ٣ / ١٢٩.
٤٥. فدك في التاريخ، الشهيد الصدر: ٩.
٤٦. ينظر: الإجازة الكبيرة: ٢٤٥، وينظر: أعلام النساء المؤمنات: ٧٤٧.
- (\*) يعد كتابها الأربعون الهاشمية: أول كتاب لها، وأول كتاب لها باللغة العربية فضلاً عن كتاب نفحات رحمانية، وجامع الشتات.

٤٧. نصرت أمين - مجتهدة عالمة في الزمن الصعب -: ٢٧ و ٢٨. جاء القول ضمن أجازة الشيخ محمد رضا النجفي الأصفهاني للعلوية الأصفهانية، يُنظر: أعلام النساء المؤمنات: ٧٥٣.

٤٨. الأربعون الهاشميّة، العلوية بنت السيد محمد علي الحسيني: ٣ (تقديم الكتاب)

٤٩. المصدر نفسه: ١٩ و ٢٠ (الحديث الثالث).

٥٠. بحار الأنوار - الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار -: ٢٩ / ٢٢٠.

٥١. شرح خطبة الزهراء (عليها السلام)، نزيه القميحا: ٨٥.

٥٢. نصرت أمين: مجتهدة عالمة في الزمن الصعب: ٩٠.

٥٣. المصدر نفسه: ٣٧.

٥٤. يُنظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

٥٥. شرح نهج البلاغة: ١٦ / ٢١١.

٥٦. يُنظر: من فقه الزهراء (عليها السلام): ٢ / ٧٢.

٥٧. نصرت أمين: مجتهدة عالمة في الزمن الصعب: ١٨٨.

٥٨. المصدر نفسه: ٨٢.

٥٩. يُنظر: المصدر نفسه: ١١١. وقد كُتب الكتاب باللغة الفارسية.

## المصادر والمراجع

- ١- الإجازة الكبيرة - الطريق والمحجة لثمرة المهجة-، شهاب الدين المرعشي النجفي، تحقيق: محمد السامي الحائري، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة، ط١، قم-إيران، ١٤١٤ هـ.
- ٢- الأربعون الهاشمية، العلوية بنت السيد محمد علي الحسيني، دار الفكر، ط٢، دمشق- سوريا، ١٣٩٩ هـ.
- ٣- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، الدكتور علي عشري زايد، دار الفكر العربي- القاهرة، ١٩٩٧ م.
- ٤- أسوة العاملين، فاضل النوري، مؤسسة العارف للمطبوعات، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨ م.
- ٥- أعلام النساء المؤمنات، محمد الحسون وأم علي مشكور، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط١، إيران - قم، ١٤٢١ هـ.
- ٦- بحار الأنوار - الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار-، محمد باقر المجلسي، دار أحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، بيروت- لبنان، ١٩٨٣ م.
- ٧- بطولة المرأة المسلمة، الشهيدة بنت الهدى، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٥ م.
- ٨- بلاغات النساء، ابن طيفور، مكتبة بصيرتي، (ب.ط)، قم - إيران، (ب.ت).

- ٩- تربية الإنسان الجديد، محمد فاضل الجمالي، الناشر: الشركة التونسية (ب.ط)، تونس (ب.ت).
- ١٠- دين الحياء من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتمان، د. طه عبد الرحمن، الناشر: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠١٧ م.
- ١١- شرح خطبة الزهراء (عليها السلام)، نزيه القميحا، الناشر: الشيخ نزيه القميحا، ط٢، ١٩٩٥ م.
- ١٢- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٩ م.
- ١٣- الشهيدة بنت الهدى: سيرتها ومسيرتها، محمد رضا النعماني، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، ط١، إيران - قم، ١٤٢٠ هـ.
- ١٤- صراع من واقع الحياة، بنت الهدى، مطبعة الآداب، (ب.ط)، العراق - النجف الأشرف.
- ١٥- فذك في التاريخ، الشهيد الصدر، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٩٤ م.
- ١٦- الفضيلة تتصر، الشهيدة بنت الهدى، دار التعارف للمطبوعات، ط٦، بيروت - لبنان، ١٩٨٠ م.
- ١٧- فهرس التراث، محمد حسين الحسيني الجلاي، تحقيق: عبد الله الدشتي، الناشر: دار الولاء لصناعة النشر، ط٤، بيروت- لبنان، ٢٠١٥ م.

- ١٨- كلمة ودعوة، الشهيدة بنت الهدى، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع - مطبعة القضاء النجف الأشرف، ط ١، بيروت - لبنان.
- ١٩- لقاء في المستشفى، الشهيدة بنت الهدى، دار التعارف للمطبوعات، ط ٣، بيروت - لبنان، ١٩٨٠ م.
- ٢٠- من فقه الزهراء (صلوات الله عليها)، محمد الشيرازي، منشورات رشيد، ط ١، إيران - قم، ١٤٢٨ هـ.
- ٢١- موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح، محمد جاسم الساعدي، الناشر: المعاونة الثقافية، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ط ١، إيران - طهران، ٢٠١٠ م.
- ٢٢- نصرت أمين: مجتهدة عالمة في الزمن الصعب، دلال عباس، مكتبة مؤمن قريش - دار المجحة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت - لبنان، ٢٠١٨ م.
- ٢٣- النفحات الرحمانية في الواردات القلبية، نصرت أمين الأصفهانية، دار المعارف الحكيمة، ط ١، بيروت - لبنان، ٢٠١٨ م.

### شبكة الأنترنت:

- مجتهدة العصر... ذكرى الـ ٣٨ لوفاة عالمة نصرت أمين الأصفهانية، هادي الأنصاري، ٢٦، أبريل، الاجتهاد (مقال نت).

